



جامعة بورسعيد  
Port Said University



# مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد

دورية ربع سنوية محكمة

العدد الثاني والعشرون

أكتوبر ٢٠٢٢ م

الجزء الثاني

الموقع الإلكتروني

[HTTPS://:JFPSU.JOURNALS.EKB.EC/](https://jfpsu.journals.ekb.ec/)

(ISSN: 2356-6493)

الرقم الدولي الموحد للطباعة

(ISSN: 2682-3551)

الرقم الدولي الموحد الإلكتروني



## شروط وقواعد النشر بالمجلة

### أولاً: القواعد العامة للنشر

١. مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد دورية ربع سنوية محكمة تختص بنشر الأبحاث باللغة العربية والأجنبية على أن تكون تلك الأبحاث في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية واللغوية، وضمن الموضوعات التي تهتم بها المجلة.
٢. تنشر المجلة الأبحاث النظرية والتطبيقية والمقالات والدراسات التي تسهم في تقدم المعرفة الإنسانية والاجتماعية واللغوية فتضم المجلة الأبحاث والمقالات العلمية، والمراجعات النقدية أو العلمية، والأعمال المترجمة، وملخصات رسائل الماجستير والدكتوراة والأبحاث المشتقة منهم، وتقارير المؤتمرات والندوات وورش العمل.
٣. تنشر المجلة الأبحاث التي لم يسبق نشرها في أي دورية أخرى؛ يتعهد الباحث أن البحث لم يسبق نشره وأنه غير مُقَدَّم حاليًا لأي جهة نشر أخرى، مع الالتزام بعدم تقديمه لأي جهة أخرى حتى انتهاء إجراءات التحكيم وإخطاره بالقبول أو الرفض.
٤. ينبغي أن يتسم البحث المُقَدَّم للنشر في المجلة بالأصالة في تخصصه العلمي الدقيق، وأن يكون قائمًا على أسس منهجية صائبة. كما يجب أن يكون البحث مكتوبًا بلغة سليمة، وخاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية.
٥. الأوراق البحثية التي تُنشر بالمجلة ليست لها أي توجهات سياسية أو دينية، وإنما أبحاث علمية متخصصة تعبر عن وجهة نظر مؤلفيها دون أن تعكس بالضرورة وجهة نظر المجلة. كما تقع صحة البيانات والمعلومات التي تتضمنها الأبحاث على عاتق مؤلفيها دون مسؤولية على جانب المجلة.
٦. كل ما يتم نشره بالمجلة يُعتبر ملكًا لها ولا يجوز إعادة نشره بأي طريق أو في أي مكان آخر إلا بإذن كتابي من إدارة المجلة. كما يحق للمجلة التصرف في الأوراق البحثية - سواء ورقياً أم إلكترونياً- بعد النشر أو إعادة نشر تلك الأبحاث أو المشاركة في قواعد البيانات أو المواقع الإلكترونية دون الرجوع للمؤلف.

## ثانياً: قواعد كتابة الأبحاث بالمجلة

١. يُكتب البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word ويراعى فيه التالي:

- حجم الصفحة B5
- الأبحاث المُقدّمة باللغة العربية: تكون هوامش الصفحة ٢,٥ سم من كل الجوانب ماعدا الجانب الأيسر ٣ سم، والمسافة بين الأسطر مفرد ١ سم ونوع الخط Simplified Arabic.
- الأبحاث المُقدّمة بلغاتٍ أجنبية: تكون هوامش الصفحة ٢,٥ سم من كل الجوانب ماعدا الجانب الأيمن ٣ سم، والمسافة بين الأسطر مفرد ١ سم ونوع الخط Times New Roman.
- في جميع الأبحاث - سواء باللغة العربية أو الأجنبية - يكون بنط الخط 16 Bold للعنوان الرئيسي و14 Bold للعنوان الثانوي و13 Regular للمتن. أما الهوامش فنُكتب بخط Times New Roman بنط ١٠ والمسافة بين أسطر الهوامش مفرد (٠ سم).

٢. كتابة عنوان البحث واسم الباحث بالكامل ولقبه العلمي (الدرجة الوظيفية) والجهة التي يعمل بها أو الجامعة التي ينتمي إليها كباحث والإيميل الأكاديمي أو الخاص على الصفحة الأولى من البحث باللغتين العربية والإنجليزية.

٣. تقديم مستخلصات للبحث (Abstract) باللغة العربية والإنجليزية (من ١٥٠ إلى ٢٥٠ كلمة) في حالة الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، أما في حالة الأبحاث المكتوبة بلغةٍ أجنبية فيشترط وجود مستخلص بلغة البحث وآخر باللغة العربية. ويجب كتابة الكلمات الرئيسية (المفتاحية) أسفل كل مستخلص باللغة المُستخدمة فيه (من ٣ إلى ٥ كلمات).

٤. وجود قائمة لمراجع ومصادر البحث في نهايته (مرتبة أبجدياً) تبعاً لنظام التوثيق APA.

٥. في حالة استخدام برنامج خارجي أو نوع خط مميز لإدراج الآيات أو الرموز القرآنية في ملف البحث، يُرجى كتابة اسم البرنامج أو الخط المُستخدم في حالة كونه غير شائع

كي تتم قراءة هذه الآيات والرموز في ملف البحث المُرسَل بصيغة Word، وكذلك في حالة استخدام نوع خط معين في كتابة الرموز الصوتية في أبحاث اللغات.

### ثالثاً: الإجراءات المتبعة لتقديم ونشر الأبحاث بالمجلة

١. يشترط تقديم تقرير عن فحص مؤشر التشابه (الانتحال) للبحث المُقدم للنشر في المجلة معتمد من الوحدة الرقمية بجامعة بورسعيد.
٢. يُرسل البحث إلكترونياً على موقع المجلة <https://jfpsu.journals.ekb.eg> بصيغة Word مع مراعاة أن تُرسل البيانات الشخصية للمؤلف في ملف مستقل (صفحة العنوان) عن ملف البحث (الملف الأصلي للمقال) الذي يجب ألا يتضمن اسم المؤلف أو ما يدل عليه.
٣. يقوم الباحث بسداد رسوم التحكيم للبحث كاملةً فور وروده للمجلة وقبل إرساله للمحكمين. تخضع المادة العلمية للأبحاث والدراسات المُقدمة للنشر إلى التحكيم العلمي السري (المعمي) وفقاً للنظام المتبع في المجلة من الأساتذة المتخصصين في مجال البحث.
٤. يعتبر البحث مقبول للنشر بعد إجازته من المحكمين وقيام الباحث بعمل كافة التعديلات المطلوبة من المحكمين (إن وُجدت)، ويخطر الباحث بذلك، كما يمكنه الحصول على إفادة رسمية بقبول البحث للنشر.

## مجلس تحرير المجلة

## \* رئيس التحرير:

عميد الكلية

أ.د. / بدر عبد العزيز بدر

## \* نائب رئيس التحرير:

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

أ.د. / أحمد إبراهيم صابر

## \* الأعضاء :

- أستاذ بقسم الاجتماع
- أستاذ بقسم اللغة العربية
- أستاذ بقسم علم النفس
- أستاذ بقسم الاجتماع
- أستاذ بقسم اللغة العربية
- أستاذ بقسم اللغة العربية
- أستاذ بقسم التاريخ
- أستاذ بقسم علم النفس
- أستاذ بقسم الجغرافيا
- أستاذ بقسم الآثار
- أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية
- أستاذ مساعد بقسم الفلسفة
- أ.د. / نادية عبد العال رضوان
- أ.د. / علي السيد يونس
- أ.د. / جبر محمد جبر
- أ.د. / محمود صادق سليمان
- أ.د. / ندا الحسينى ندا
- أ.د. / محمد سعد محمد
- أ.د. / عبير زكريا سليمان
- أ.د. / أحمد أبو زيد
- أ.د. / عبد السلام عبد الستار
- أ.د. / محمود سعد الجندي
- أ.د. / سيد صادق عوض الله
- أ.د. / وجدى خيرى نسيم

## \*سكرتير تحرير المجلة:

المدرس المساعد بقسم اللغة الإنجليزية

م.م / إيمان رؤوف محمد

## \* القائمون بالأعمال الإدارية والمالية بالمجلة :

- مشرف مالى وإداري
- مراجع مالى وإداري
- أمين الصندوق
- أمين الكلية
- رئيس قسم الحسابات
- قسم الدراسات العليا
- الأستاذ / محمد السوداني
- الأستاذة / شيماء المنصوري
- الأستاذة / شيماء فتحي

## الهيئة الاستشارية للمجلة

- ١ أ.د/ ابتهاج أحمد كمال  
أستاذ اللغة الفرنسية- كلية الآداب- جامعة القاهرة.
- ٢ أ.د/ ابراهيم القادري بوتشيش  
اسماعيل- مكناس- المغرب.
- ٣ أ.د/ أريزا أرمادا المودينا  
أستاذ الدراسات الاندلسية - جامعة نيويورك- مدريد - إسبانيا.
- ٤ أ.د/ آمال أحمد العمري  
أستاذ الآثار والفنون الإسلامية- كلية الآثار- جامعة القاهرة.
- ٥ أ.د/ جبر محمد جبر  
أستاذ علم النفس الاكلينيكي- كلية الآداب- جامعة بورسعيد.
- ٦ أ.د/ جوسيبى اسكاتولين  
أستاذ الفلسفة الإسلامية- أكاديمية اللغة العربية بالقاهرة- جامعة غريغوريانا - روما- إيطاليا.
- ٧ أ.د/ حسنة شويل أحمد الغامدى  
قسم التاريخ والآثار- جامعة جدة - السعودية.
- ٨ أ.د/ خلود بنت محمد بن عايد الأحمدي  
قسم العلوم الاجتماعية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة طيبة-المدينة المنورة - السعودية.
- ٩ أ.د/ دراجو لوتسيانو  
قسم الجيومورفولوجيا ونظم المعلومات الجغرافية - كلية الجغرافيا - جامعة بابيش بولياى دين كلوج - رومانيا.
- ١٠ أ.د/ رأفت محمد النبراوي  
أستاذ المسكوكات الإسلامية- كلية الآثار-جامعة القاهرة.
- ١١ أ.د/ سعيد محمد غريدة  
مدير معهد التعاون الثقافى والدولى-جامعة السنوسى - ليبيا.
- ١٢ أ.د/ صابر أمين سيد دسوقي  
أستاذ الجيومورفولوجيا-كلية الآداب-جامعة بنها.

- ١٣ أ.د/ صالح بن محمد بوسليم  
عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية - جامعة  
غرداية- الجزائر .
- ١٤ أ.د/ طه حسين هديل  
المستشار الثقافى لسفارة اليمن فى مصر - قسم  
التاريخ - كلية التربية - جامعة عدن - اليمن .
- ١٥ أ.د/ عامر جادله أبوجيلة  
أستاذ التاريخ الإسلامى - كلية الآداب- جامعة  
مؤتة- الأردن .
- ١٦ أ.د/ عبدالقادر بوباية  
قسم التاريخ وعلم الآثار - كلية العلوم الانسانية  
والعلوم الإسلامية - جامعة وهران - الجزائر .
- ١٧ أ.د/ غيلان حمود غيلان  
أستاذ الآثار- كلية الآداب- جامعة صنعاء-  
اليمن .
- ١٨ أ.د/ محمد محمد عناني  
أستاذ اللغة الإنجليزية -كلية الآداب-جامعة  
القاهرة .
- ١٩ أ.د/ محمود السيد مراد  
أستاذ الفلسفة اليونانية-كلية الآداب-جامعة  
سوهاج .
- ٢٠ أ.د/ ياروسلاف دروبنى  
كلية الآداب- جامعة كومنيوس- سلوفاكيا .
- ٢١ أ.د/ يوسف حسن نوفل  
أستاذ اللغة العربية- كلية البنات- جامعة عين  
شمس .



## مجلة كلية الآداب آفاق رحبة للإبداع الإنساني

يعد البحث العلمي هو المدخل الحقيقي للتطور الحضاري والتموي والتويري. لذا، إيمانًا من الكلية بأهميته ودوره المحوري الرئيسي في تحقيق التنمية المستدامة، ولأنه في الوقت ذاته المُرْتَكز الأساسي لبنية الجامعة في أصل وجودها؛ فلقد أصبح لزامًا عليها أن توليه أهمية كبرى. كما أن دور الكلية لا يقف عند مهام التدريس، وإعداد الطلاب بالمناهج الدراسية، وإنما دورها منبثق من رؤيتها الشاملة، والتي تقوم على تفعيل الكفاءات العلمية، وإثراء ميادين البحث الأكاديمي، بما يخدم فلسفة العلم، ويردد أصداءه في البيئة المحيطة.

فكان لابد من إصدار مجلة علمية محكمة، وفق الأسس والمعايير والضوابط الرئيسية المقررة لتعمل على تشجيع وحفز مَنَاشط البحث العلمي في مجالات علوم الإنسان كافة، وتطوير وإثراء كفاءة الأداء البحثي الأكاديمي لأعضاء هيئة التدريس بالكلية، وتفعيل فحوى رؤية الكلية ورسالتها المهمة والملهمة، وتقديم الجديد والآني في مَصَامير العلوم الإنسانية كافة، ورفع مستوى تصنيف الجامعة عالميا، وتطوير التعليم وضمان جودته. فأنتت مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد لتفتح آفاق رحبة للإبداع الإنساني.

وقد صدر العدد الأول من المجلة في يناير ٢٠١٣م، وتوالى صدور الأعداد على مدار التسع سنوات الماضية بشكلٍ نصف سنوي، مُشكّلةً قاعدة بيانات متكاملة في شتى المجالات اللغوية والإنسانية والاجتماعية، حتى رأت المجلة ضرورة تحديث تلك القاعدة بشكلٍ مستمر ومواكبة منارات البحث العلمي المستجد واستيعاب قدرٍ أكبر من الأوراق البحثية؛ فتغيرت طبيعة إصدار المجلة من نصف سنوية إلى ربع سنوية في عام ٢٠٢٢م بداية من العدد العشرين إصدار أبريل ٢٠٢٢م ليكون أولى أعداد المجلة التي يتم إصدارها بشكلٍ ربع سنوي، ويليه العدد الحادي والعشرون إصدار يوليو ٢٠٢٢م ثم العدد الحالي بين يد القارئ وهو العدد الثاني والعشرون إصدار أكتوبر ٢٠٢٢م.

يصدر العدد الثاني والعشرون على ثلاثة أجزاء تضم كافة التخصصات التي تهتم بها المجلة. يضم الجزء الأول أحد عشر بحثًا، منهم خمسة أبحاثٍ في تخصص اللغة

العربية وآدابها، وأربعة أبحاثٍ تتناول موضوعات متنوعة ومتخصصة في مختلف مجالات الجغرافيا الطبيعية والبشرية، وبحاثان يجولان في مختلف عصور التاريخ والحضارة والآثار الإسلامية. ويضم الجزء الثاني تسعة أبحاثٍ في شتى علوم الاجتماع والنفس والفلسفة. أما الجزء الثالث، فهو جزء أجنبي يحوي خمسة أبحاثٍ لغوية في تخصصات اللغة الإنجليزية والفرنسية والصينية وآدابهم.

ونسأل الله تعالى أن تحقق البحوث العلمية المنشورة في المجلة الفائدة المرجوة، وأن تتبعها خطوات بحثية أوسع، وأعمق، وأكثر استشرافاً للغد القريب.

أ.د./ بدر محمد العزیز بدر

عميد الكلية

ورئيس تحرير المجلة

أ.د./ أحمد إبراهيم حابر

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

ونائب رئيس تحرير المجلة

## فهرس الجزء الثاني

م	البحث	الصفحات
<b>أولاً: علم الاجتماع</b>		
١	الأبعاد السوسيو- قانونية للزواج المدني دراسة استطلاعية في تنامي الظاهرة بوسائل التواصل الاجتماعي د. إسلام فوزى أنس قطب أستاذ مساعد بقسم علم الاجتماع ، كلية الآداب، جامعة دمنهور	٥١-١
٢	استشراف الأدب للتحويلات السياسية في المجتمع المصري "دراسة تحليلية لرواية أجنحة الفراشة" د. رباب أحمد أحمد مجاهد مدرس بقسم علم الاجتماع ، كلية الآداب، جامعة المنصورة	١٠٦-٥٢
٣	انتشار الأدوية المغشوشة وتأثيراتها العكسية دراسة ميدانية علي عينة من الصيادلة بمحافظة الإسماعيلية د. شريف السيد محمد علي مدرس علم الاجتماع الطبي، كلية الآداب، جامعة السويس	١٨٠-١٠٧
٤	الحركة الكشفية الليبية وأهداف التنمية المستدامة "دراسة حالة مفوضية طرق للكشافة والمرشدات" د. محمد شحاتة عبد النبي واصل أستاذ علم الاجتماع المشارك، جامعة طرق، ليبيا	٢٣٣-١٨١
<b>ثانياً: علم النفس</b>		
٥	إسهام إدارة الرعاية الذاتية، والضيق الانفعالي وفعالية الذات، في التنبؤ بجودة الحياة الصحية لدى مرضى السكري د. حسن عبدالسلام حسن العشري قسم علم النفس ، كلية الآداب، جامعة السويس	٢٨٣-٢٣٤
٦	فاعلية برنامج تدريبي مقترح لخفض الانسحاب الاجتماعي لدى عينة من الأطفال التوحدين شيماء طارق علي عامر	٣٠٨-٢٨٤

	باحثة دكتوراة بقسم علم النفس كلية الآداب، جامعة بورسعيد	
<b>ثالثاً: الفلسفة</b>		
٣٠٩-٣٦٢	الحضور والغياب في التجربة الروحية عند "سيمون فايل" قراءة في مفهوم المفارقة د. جوزفين رزق الله مدرس بقسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة دمنهور	٧
٣٦٣-٤٠٢	النزعة الوجودية في فكر التوحيدي د. ريهام أبوالمعاطي مدرس بقسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة بورسعيد	٨
٤٠٣-٥٤١	أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا عند بروس جينينجس الإشكاليات الأخلاقية والطول العملية د. هدى عبدالرحمن جاب الله أستاذ الفلسفة المعاصرة المساعد، كلية الآداب، جامعة الفيوم	٩

أولاً: تخصص علم الاجتماع



الأبعاد السوسيو- قانونية للزواج المدني  
دراسة استطلاعية في تنامي الظاهرة بوسائل التواصل الاجتماعي

د. إسلام فوزى أنس قطب

أستاذ مساعد بقسم علم الاجتماع

كلية الآداب، جامعة دمنهور

[eslamfawzy513@yahoo.com](mailto:eslamfawzy513@yahoo.com)

doi: 10.21608/jfpsu.2022.156056.1223

## الأبعاد السوسيو - قانونية للزواج المدني دراسة استطلاعية في تنامي الظاهرة بوسائل التواصل الاجتماعي

### مستخلص

شرعت فرنسا الزواج المدني ، ثم اكتسب شرعية من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة ١٦ ومفادها إيجاز الزواج المدني دون أي قيد بسبب العرق أو الجنسية أو الدين، وفي مصر يطبق في الشهر العقارى بوزارة العدل على غرار الزواج المختلط ويكون بين مسيحي ومسلمة، أو مسلم ومسيحية ؛ مما ينتج عنه مخاطر للأمن المجتمعي والعقائد الدينية والحقوق، ويهدف البحث معرفة أبعاد الزواج المدني اجتماعياً وقانونياً من خلال دراسة استطلاعية تتبنى نظرية المجال العام عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتعتمد لدراسة حالات مثيرة للإستبصار . وقد توصل إلى نتائج أهمها للبعد الاجتماعي أن وعى الأسرة من المحاور التي أثرت في الإقبال ، كما تبين تأثير جماعة الأقران والأقارب على الدعم والتحفيز ، مما انعكس على طبيعة التعايش مع المحيط المجتمعي للحالات التي استقرت في مصر بشكل دائم. وعلى طبيعة التجانس والتوافق بين الزوجين من حيث الشعور بالرضا والمسؤولية. كما اثرت وسائل التواصل الاجتماعي على تنامي الظاهرة من خلال سرعة التعارف والحوار وتقليص المسافات بين الأفراد، لتقافة النسق العالمي التي تتيح التواصل بحرية دون قيود الدول والأديان والأجناس واللغات. أما قانونياً مازال الزواج المدني في مصر في أضيق الحدود ، لعدم وجود قانون يعترف بالزواج المدني إلا أن الحالات الموجودة تم إبرام عقدها خارج مصر أو بشكل غير رسمي أو على غرار الزواج من أجنب . كما أن الحقوق المدنية التي يكفلها الزواج المدني للمرأة لا تناسب الضوابط الدينية والتشريعية ، بل تتعارض مع الحقوق والواجبات والممنوعات والمسموحات في الزواج الإسلامى و المسيحي .

**الكلمات المفتاحية:** السوسيو، قانونية، الزواج المدني، وسائل التواصل

الاجتماعي، الزواج.



## **The Socio-legal Dimensions of Civil Marriage: An Exploratory Study in the Growth of the Phenomenon on Social Media**

### **Abstract**

France legalized civil marriage, then gained legitimacy from the Universal Declaration of Human Rights in Article 16, which states that civil marriage is permitted without any restriction because of race, nationality or religion. Muslim and Christian; Which results in risks to societal security, religious beliefs and rights. The research aims to know the dimensions of civil marriage socially and legally through an exploratory study that adopts the theory of the public sphere through social media, and deliberately studies cases that provoke clairvoyance. And he reached the most important results for the social dimension, that the awareness of the family is one of the axes that affected the turnout, and the influence of the group of peers and relatives on support and motivation was shown, which was reflected on the nature of coexistence with the social environment of the cases that settled in Egypt permanently. And on the nature of homogeneity and compatibility between spouses in terms of a sense of satisfaction and responsibility. Social media has also affected the growth of the phenomenon through the speed of acquaintance and dialogue and the reduction of distances between individuals, due to the culture of the global format that allows communication freely without restrictions of countries, religions, races and languages. As for legally, civil marriage in Egypt is still within the narrowest limits, There is no law recognizing civil marriage, but the existing cases were concluded outside Egypt, informally, or similar to marriage with foreigners. Moreover, the civil rights guaranteed by civil marriage to women are not compatible with religious and legislative controls, but rather conflict with the rights in Islamic and Christian marriages.

**Keywords:** socio-legal, civil marriage, social media, marriage.

**المقدمة:** ظهرت في الأونة الأخيرة ظاهرة الزواج المدني في بعض الدول الإسلامية على غرار إنتشارها في قبرص، وتركيا، وأوكرانيا، وجورجيا، وتونس. وهو نظام متعارف عليه منذ أمد بعيد في أوروبا وأمريكا وأستراليا، حيث شرعت له فرنسا في نص الدستور الصادر سنة ١٧٩١م في المادة السابعة من الباب الثاني "القانون لا يعتبر الزواج إلا مجرد عقد مدني". ولاحقاً اكتسب شرعيته من المادة ١٦ في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ التي تنص على جواز وحرية الزواج المدني " للرجل والمرأة، متى أدركا سنَّ البلوغ، حقَّ التزوُّج وتأسيس أسرة، دون أيِّ قيد بسبب العرق أو الجنسية أو اللِّين، وهما متساويان في الحقوق لدى التزوُّج وخلال قيام الزواج ولدى انحلاله" ولذا يمكن اتمام إجراءات الزواج أمام الجهات المعنية بعيداً عن المؤسسات الدينية، ودون النظر للدين.

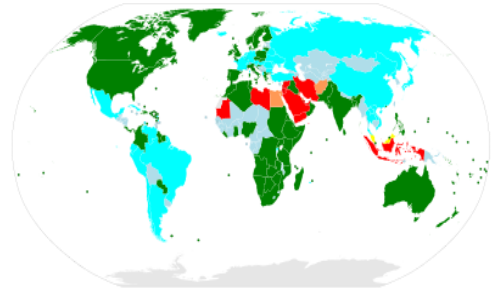
### أولاً: الإطار التصوري للدراسة

١) **مبررات اختيار الموضوع وأهميته:** على الرغم من تفعيل الزواج المدني وإقراره في معظم الدول الأجنبية وبعض الدول الإسلامية، إما بشكل إلزامي، أو بشكل اختياري. حيث يعتبر إلزامياً في كل من فرنسا وألمانيا وسويسرا وبلجيكا والسويد وإيطاليا ورومانيا والنرويج وموناكو واللوكسمبورغ والبرازيل وأميركا اللاتينية وروسيا. بينما يعتبر اختياريّاً في إنجلترا والولايات المتحدة الأميركية واليونان وأسبانيا. بيد أنه يتعارض مع قانون الأحوال الشخصية في مصر؛ وذلك نظراً لتعلقه بالأحكام الدينية التي يطبقها الأزهر للمسلمين، والكنيسة للمسيحيين؛ ولذا يطبق الزواج المدني في الشهر العقاري في وزارة العدل على غرار الزواج من أجنب أو الزواج المختلط ويكون بين مسيحي ومسلمة، أو مسلم ومسيحية؛ مما ينتج عنه مخاطر حقيقية للأمن المجتمعي والعقائد الدينية والحقوق والواجبات لا سيما مع ترويج الظاهرة بشكل سريع في المجال الرقمي الذي ساعد على انتشار وتنامي الفعل التواصلى من خلال وسائل التواصل الاجتماعي. وبناءً على المبررات السابقة تتحدد **الأهمية النظرية:** في سعى الدراسة إلى اختبار مدى ملائمة القضايا الفكرية لنظرية المجال العام ونظرية الفعل التواصلى في تفسير الأبعاد السوسيوقانونية لظاهرة الزواج المدني وتفسير دور وسائل التواصل الاجتماعي في تنامي

الظاهرة ، وكذا، سد ثغرات التراث البحثي من خلال إثراء علم الاجتماع القانوني بموضوعات اجتماعية وثيقة الصلة بالتكنولوجية والعالم الرقمي. أما الأهمية العملية أو التطبيقية فتتمثل في توفير نتائج موضوعية حول الظاهرة وعوامل انتشارها والمخاطر الاجتماعية المترتبة عليها ، ومن ثم طرح توصيات ومقترحات لحلها تفيد دوائر صنع القرار من المسؤولين والمشرعين.

٢) إشكالية الدراسة: توضح الصورة التالية من خلال شقيها (الخريطة والمفاتيح) اتساع المدى الجغرافي للإعتراف بالزواج المدني وهو أمر يهدد بخطر اجتماعية وفقاً للإحصاءات والتقارير التي صدرت بهذا الشأن ، سيما على البلدان التي لا يوجد بها قوانين تشرع الزواج المدني ؛ وذلك لعدم توافق هذا النوع من الزواج مع الضوابط التشريعية والدينية لها ؛ مما يسبب لها خلل وتصدع في كيفية التعامل مع الحالات التي عقدت الزواج المدني خارج أراضيها بشكل رسمي أو داخل أراضيها بشكل غير رسمي (عرفي)، ومنها دول الشرق الأوسط مثل مصر وسوريا، والأردن، والمملكة العربية السعودية وقطر واليمن، وكذلك ليبيا وموريتانيا وإندونيسيا، وغيرها. وفيها يتم إجراء جميع الزيجات من قبل السلطات الدينية، ولا يتم تسجيلها من قبل السلطات المدنية إلا بعد تسجيلها من قبل سلطات الديانات المعتمدة رسمياً، أو بعد تسجيلها في الخارج.

State recognizes civil marriages only
State recognizes both civil and certain religious marriages
State recognizes civil marriages; no additional information
State recognizes religious marriages only
Civil marriages only for foreigners
Civil marriages only for non-Muslims



Civil marriage by country

تتعترف الدولة لازواج المدني فقط
تتعترف الدولة بالزيجات المدنية وبعض الزيجات الدينية
تتعترف الدولة بالزيجات المدنية
تتعترف الدولة بالزيجات الدينية فقط
الزواج المدني للأجانب فقط
الزواج المدني فقط لغير المسلمين

بيد أن هذا لا يمنع وجود حالات تعاني من تداعيات الزواج المدني في بعض هذه البلدان مثل سوريا التي تعترف رسمياً بالإسلام والمسيحية والدروز واليهودية والزواج المدني فيها ممكن في حدود ، حيث حظر القانون السوري الاعتراف بأي زواج يقع خارج نطاق محظورات قوانين الأحوال الشخصية ، حتى لو تزوج الزوجان في الخارج. وبالنسبة لمصر فهي تعترف بالزيجات المدنية ولكنها معقدة للغاية ويحتاج المرء فيها إلى إكمال جميع الأوراق اللازمة. ومن ثم يجب عليه الذهاب مع رجلين كشاهدين. ويحتاج الأجانب إلى ورقة اثبات من سفارتهم. وهذا يؤدي إلى مشاكل خاصة لأولئك الذين يرفضون الطلاق ، أو الأزواج في التقاليد الدينية التي تحظر الطلاق تماماً. وأما ماليزيا فتسمح بالزواج المدني لغير المسلمين فقط، بينما يسمح به في الكويت والبحرين وأفغانستان للمواطنين الأجانب فقط . ومن ثم ، فإن ظاهرة الزواج المدني لها أبعاد اجتماعية تتمثل في الأسباب والإنعكاسات التي يمكن أن تفرزها للمجتمع والأسرة والأبناء . وأبعاد قانونية تتمحور في قضايا إبرام العقد وضياح حقوق المرأة ولغط قضايا النسب والميراث والجنسية للأبناء ؛ ولذا يتعارض الزواج المدني مع الدستور في مادته الثانية التي جعلت الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، والتي تجيز زواج المسلم من غير المسلمة وليس العكس لأنها تقر بلا ولاية لغير المسلم على مسلم. ومن هنا تتضح إشكالية الدراسة في معرفة الأبعاد السوسيوقانونية للزواج المدني وتقتضد الدراسة وجود علاقة بين وسائل التواصل الاجتماعي و انتشار وتنامي الظاهرة . كما تقتضد وجود علاقة بين الإقبال على الزواج المدني وبين ثقافة الأسرة والأقران. وأيضاً تقتضد وجود علاقة بين اعلان الزواج المدني وبين عدم التوافق الاجتماعي والتعايش بين الأزواج في الدول التي لا تعترف به .وعليه يمكن تحديد أهداف وتساؤلات الدراسة .

**٣)الأهداف والتساؤلات:** ثمة هدف رئيس يتحدد في معرفة أبعاد الزواج المدني اجتماعياً وقانونياً ؛ ومنه ينبثق أهداف فرعية تتمثل في الآتي:

- ١) معرفة أسباب الزواج المدني
- ٢) كشف انعكاسات الزواج المدني على الفرد والمجتمع
- ٣) الوقوف على قانونية العقد؛ دستورياً وتشريعياً وحقوقياً.
- ٤) الكشف عن دور وسائل التواصل الاجتماعي في تنامي الزواج المدني

ومن ثم يعرض البحث تساؤل رئيس مفاده ما الأبعاد الاجتماعية والقانونية للزواج المدني؟ ومنه ينبثق تساؤلات فرعية تتمثل في التالي:

١. مادور ثقافة الأسرة في الإقبال على الزواج المدني؟
٢. مادور الأقران والمقربين في المحيط الاجتماعي؟
٣. مادور وسائل الإعلام في نشر ثقافة الزواج المدني؟
٤. ما انعكاس الزواج المدني على طبيعة التعايش مع المجتمع؟
٥. ما انعكاس الزواج المدني على طبيعة التوافق والتجانس بين الأزواج؟
٦. ما تأثير عدم قانونية الزواج المدني على أطراف العلاقة؟
٧. ما دور وسائل التواصل الاجتماعي على انتشار الزواج المدني؟

#### ٤) مفاهيم الدراسة

١. مفهوم الأبعاد السوسيو- قانونية **The socio- legal dimensions**: ويشمل

شقين يمكن تحديدهما إجرائياً بالإستعانة بالدراسة الإسترشادية

أولاً: الأبعاد الاجتماعية " تم تحديدها في الدراسة الراهنة من خلال الأسباب والانعكاسات. أما عن الأسباب؛ فتوجد ٣ مسببات اجتماعية تتمثل في دور الأسرة من خلال ( قوة وشكل البناء الأسري- نوع التعليم الذي توفره الأسرة - المستوى الاقتصادي للأسرة - الفئة العمرية لحالات الدراسة داخل الأسرة) ، ثم دور الأقران والأقارب في الدعم والتحفيز الأيديولوجي والسيكولوجي لحالات الدراسة وزيادة دفعهم نحو الإقبال على الزواج المدني ، ثم دور الإعلام (العالمي والمحلي) المقروء والمسموع والمرئي في نشر ثقافة الزواج المدني. وأما عن الإنعكاسات بينت الدراسة الإسترشادية أن إنعكاسات الزواج المدني يمكن تحديدها في أبعاد أساسية هي : التعايش مع المجتمع ثم التجانس والتوافق بين الزوجين، من حيث الشعور بالرضا أو الانفصال بعد فترة - إن وُجد ذلك - والشعور بالمسؤولية من قبل الزوجين لا سيما تجاة الأبناء .

ثانياً: الأبعاد القانونية: ساعدت الدراسة الإسترشادية نحو الزواج المدني على تحديد الأبعاد القانونية إجرائياً من خلال ثلاثة أبعاد أساسية تحدد قانونية عقد الزواج وأثاره (الإطار الدستوري - الإطار القانوني - الإطار الحقوقي) ، وتتجسد في (نسب الأطفال

- الطلاق - الخلع - النفقة - تعدد الزوجات - مسؤولية وجوب الإنفاق)، وكذلك الحقوق المدنية والسياسية والخدمية التي يكفلها الزواج المدني للطرفين.

## ٢. مفهوم الزواج المدني: **The Civil Marriage**

أولاً: مفهوم الزواج المدني من منظور الدول التي تعترف به في قوانينها وتطبقه وتشرف على تنفيذه: هو الزواج القانوني المُعترف به رسمياً والذي لا يتضمن إجراء طقوس أو احتفالات دينية ، وقد اكتسب الزواج المدني مكانةً واحتراماً كبيراً في أوساط الناس وبين خبراء القانون؛ لكونه معترف به من قبل جميع الحكومات المدنية حول العالم، **(The Advantages and Disadvantages of Civil Marriage in South Africa , 2020)** . وهو يحقق المسؤوليات المتبادلة والحقوق والأطر القانونية التي تحمي طرفي الزواج بعيداً عن الأديان ، ويبقى الزواج المدني في النهاية مؤسسة اجتماعية وثقافية مهمة على المستوى الاجتماعي، وقد أصبح الزواج المدني طريقة للحصول على الحقوق المدنية ؛ فيكون بوسعهم الإستفادة من خدمات الضمان الاجتماعي المتعلقة بالوفاة والعجز والتقاعد، كما يكون بوسعهم الحصول على المغادرات الطبية ومغادرات الأمومة وغيرها الكثير من الحقوق المدنية التي تختلف بالطبع من دولة إلى أخرى. **(Civil marriage", Cambridge Dictionary,2020)**.

وبناءً عليه ؛ هو زواج يتم توثيقه وفقاً للقوانين المنظمة للزواج، وتسجيله في المحكمة التي تُطبق الدستور والقانون بين شخصين مُسجلين في السجلات المدنية لدى الدولة أو من الأفراد المُقيمين فيها، ويقوم على فكرة أساسية قوامها إلغاء الفروقات الدينية، والمذهبية، والعرقية بين طرفي الزواج؛ فلا يمنع إرتباط أتباع الدين الإسلامي بأتباع الدين المسيحي أو اليهودي أو العكس، ويتم بقبول الطرفين؛ الزوج والزوجة، وبحضور الشهود، وكتاب العقد، ويتمتع المتزوجون مدنياً بكامل حقوقهم المدنية؛ الاجتماعية، والسياسية، والخدمية، ولا يجوز لأحد مخالفة ذلك؛ لأنه يُعتبر مخالفة لقانون الدولة التي أتاحت هذا النوع من الزواج **(Civil Marriage v. Civil Unions, 2020)** .

وهو عقد زواج بين شريكين موثق بشاهدين في مقر رسمي (المحكمة)، ويقوم هذا العقد على الحب المتبادل والرغبة في تأسيس أسرة ويتم تسجيله في سجلات الدولة التي تسمح بالزواج المدني وهو خاضع بشكل كامل للقواعد القانونية التي حددها المشرع ، والتي لا

يجوز للأفراد مخالفتها. (What Is The Difference Between A Sacramental And A Civil Marriage?", The Catholic Leader, 13/4/2016). و يضمن هذا العقد حقوق كلا الزوجين بالمساواة في حالة الطلاق والنفقة ونسب الأبناء إلى عائلة أي من الأبوين، وعدم تعدد الزوجات.؛ فيمكن للمرأة أن تضع اسم عائلتها لأطفالها ويقبل الزوج فكرتها.بالإضافة إلى ذلك ، سهولة طلاق المرأة أو الرجل عندما يتزوجا أو يرونا أن الطلاق أفضل من البقاء في صراعات وخلافات أسرية طويلة الأمد ، لذا فإن الزواج المدني أسهل للطلاق من الزواج القائم على الأديان والذي يصعب الطلاق. كما في المسيحية. (International Marriage & License Requirements By Country", Wedaways, Retrieved,2020)

ثانياً: مفهوم الزواج المدني من منظور الدول التي لا تعترف به : هو زواج ينطوي على شبهات كثيرة فشبهة الصيغة، وشبهة الولي، وشبهة الشهود، وشبهة المهر، والزواج المدني في كثير من الدول يلغى الشهود من حسابه، أما المهر فهو غير معتبر أثناء إبرام العقد ولا بعد ذلك ، وليس للمرأة أن تطالب به.(الرافعي، سالم، ٢٠١٨، ص٣١٨). وبناءً على ما سبق فالزواج المدني لا يحقق مقاصد الشريعة من حفظ الأنساب وتكوين الأسرة، فالهدف منه إشباع رغبات جنسية، ومكاسب مادية، وعليه فهو عقد باطل لا تترتب عليه آثار، ولا يحقق الإستقرار. وهذا يتفق مع ما جاء في قرارات المجمع الفقهي<sup>(١)</sup> "إن من أخطر منافذ المعصية والسخط الإلهي قضايا النكاح، حيث يظن الزوجان أن علاقتهما مشروعة معتمدين إما على الهوى، أو الجهل بأحكام الدين، والعلاقة تكون غير مشروعة، وقضايا الزواج مبنية على الورع والاحتياط حتى لا يتسرب الحرام إلى هذه الرابطة فيسود التوتر والنزاع محل الإستقرار والمودة".(الرافعي، ٢٠١٧: ١٥٢) وبذلك يكون الزواج المدني هو: مجرد عقد يخلو من مراعاة شروط وآثار العقد فهو نظام قانوني، يقوم على توافق إرادتي رجل وامرأة، على ارتباطهما به، ويستهدف إقامة الحياة المشتركة بينهما، وتبادل الرعاية والمعونة لخيرهما المشترك، وذلك على الوجه المحدد في القانون"(وهبه، ٢٠٠٦ : ٢١٤)؛ فالزواج المدني في تعريفه حسب إصطلاح المدنية المشهور هو الزواج الذي يتم وفقاً لما حددته دولة ما في تشريعاتها القانونية بعد أن أقصت أي شرط ديني أو أي تدخل ديني في الزواج لا من

- حيث صلاحية إبرامه فقط، بل من حيث شروطه وأركانه ومواصفاته الأخرى. ومن خلال التعريف السابق يتضح أن الزواج المدني يتسم بما يلي: (كبارة ، ١٩٩٤ : ٣٧-٤١) .
- ١- الدولة هي التي تتولى تنظيمه بواسطة القوانين التي تصدرها، وهي التي تتولى الفصل في المنازعات التي تثور بصدده، دون خضوعها للتعليمات الدينية.
  - ٢- تجاوزه للتوافق الديني بين الزوجين، فللرجل الارتباط بوثنية، وللمرأة الارتباط بغير المسلم.
  - ٣- تجاوزه لموضوع الحل والحرمة في المرأة المعقود عليها فيصح الارتباط بالمحرمات أو بالمعتدات.
  - ٤- ويترتب على مدنية الزواج أن القانون لا يعترف بالزواج إلا إذا أبرم أمام الموظف المختص، فإذا أبرم الزواج بين الزوج والولي بحضور الشهود، واستكمل جميع أركانه وشروطه، لا يُعترف به قانوناً لأنه لم يُبرم أمام الموظف المختص.
- ومما سبق يُعرف إجرائياً على أنه : زواجا قانونياً لا دينياً ، تنظمه بعض الدول وتصدر بشأنه قوانين منظمة بعيداً عن الضوابط الدينية للزواج وما يترتب عليه من حقوق وواجبات ، يعترف به ويجيزه العديد من الدول الأجنبية ككرواتيا ، وفرنسا ، وكندا ، وكذلك بعض الدول الإسلامية ومن بينها تونس ، وتركيا ، والإمارات ، أما لبنان فتعترف به إذا تم عقده خارج أراضيها وتقوم بتوثيقه بأحكام قضائية تصدر من محاكمها ولكنها لا تُسن قانون يجيز لها عقد الزواج المدني في أراضيها . ولا شك تختلف قوانين الزواج المدني من دولة إلى أخرى ، أما مصر فهي لازالت لا تعترف بالزواج المدني إلا في حالات ضيقة شريطة ألا يتعارض مع القانون ومنها زواج المسيحية من مسلم أو الزواج من أجنبي ويعقد من خلال وزارة العدل .

**وإجرائياً يمكن تحديد خصائص مفهوم الزواج المدني في الدول التي تعترف به قانونياً كإجابيات فيما يلي :**

- يحد من التحايل على القوانين بعقد الزواج بالخارج ثم توثيقه بالداخل
- يلغى التمييز بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات
- يسمح لكليهما بالتطليق وإنهاء العلاقة متى شاء
- يحد من استغلال المرأة خارج إطار العلاقات الرسمية



- خصائص مفهوم الزواج المدني من وجهة نظر الدول التي لاتعترف به ولم تجيزه بشكل رسمي، فيمكن تحديدها في شكل عيوب ونواقض ومهددات اجتماعية كالتالي:
- الخروج على الضوابط الشرعية في الإسلام والمسيحية والسماح بالزواج دون النظر الى الأديان والشرع.
  - ضياع حقوق المرأة التي أقرتها القوانين والأديان (مهر، نفقة، مؤخر، القوامة )
  - يثير لغط في قوانين الجنسية والنسب والميراث ويعمد لفصل الدين عن الدولة
  - استبعاد فكرة الشهود والولى ولا يشترط الإنجاب أو استمرار النسل

### ٣. مفهوم وسائل التواصل الاجتماعي: **The social media:**

هى مجموعة تطبيقات متاحة على شبكات الإنترنت، تساهم فى زيادة التفاعلات الاجتماعية وتوفير مساحات مشتركة من التعاون وإتاحة الاتصالات الاجتماعية وتبادل المعلومات بشكل هائل فى بيئة الإنترنت. (حسن، ٢٠١٦: ٢٣٠). أو هى طرق لتواصل الأفراد على مواقع تُشكل من خلال الإنترنت وتسمح بتقديم لمحة عن حياتهم العامة، وإتاحة الإتصال بقائمة المسجلين، والتعبير عن وجهة نظر الأفراد أو المجموعات من خلال عملية الإتصال (Danah, Nicole, 2010:56). أو هى خدمات متوفرة على شبكات الإنترنت تعمل على ربط عدد كبير من المستخدمين فى شتى أرجاء العالم ومشاركتهم وتشبيكهم فى موقع إلكترونى واحد، للتواصل بشكل مباشر وتبادل الأفكار والاهتمامات والمعلومات ومناقشون قضايا لها أهمية مشتركة بينهم ويتمتعون بالمحادثات الفورية ومشاركة الملفات النصية والمصورة والفيديوهات والصوتيات (عبد المولى، ٢٠١٤: ١٥٢). ويمكن تعريفها اجرائياً بأنها الوسائل المتاحة عبر شبكة الإنترنت العالمية من خلال بعديها التكنولوجى الذى يوفر آليات المشاركة وتشبيك العلاقات وخدمة التواصل فى المجال الرقمة، والبعد الاجتماعى الذى يتيح التفاعل والاندماج وإقامة علاقات ومناقشات وتوائمات واهتمامات مشتركة، وأبرز هذه الوسائل (الفييس بوك- تويتتر - الياهو) وتستخدم الدراسة الراهنة منها (الفييس بوك) من خلال دراسة حالات مثيرة للاستبصار، بدراسة المحتوى على وسائل التواصل الاجتماعى وليست المعالجة، ذلك لمعرفة دورها فى تنامى الظاهرة؛ لكونها وسائل تعمل على توفير المجال العام تكنولوجياً واجتماعياً؛ مما يساعد على ترويج فكر الزواج المدني ونشر الفعل التواصلى بين

الحالات ومردودها على زيادة دافعية المقبلين تجاه هذا النوع من الزواج من خلال تيسير سبل التعارف ودعم ثقافة الآخر في التحرر من قيود الأديان والقوانين أثناء الزواج.

### ثانياً: المنظور السوسيولوجي للدراسة

**نظرية الشبكة الفاعلة "Actor- Network Theory":** هذه النظرية لبرونو لاتور "Bruno Latour" الذي يرى أنها مقارنة نظرية اجتماعية، فكل ما يوجد في المجتمع يتبلور في شبكات من العلاقات المتغيرة باستمرار ، ويفترض أن لا يوجد شيء خارج ما وكيف يتفاعل المشاركون في الشبكة الفاعلة، كالمحكمة أو أقسام الشرطة تلك الشبكات التي تتعامل مع الفضاءات الخارجية المتاحة في المجتمع مثل الأسرة والمصنع والمدرسة وما تفرزه هذه الفضاءات من مشاكل اجتماعية. والنظرية لا تهتم فقط بالعنصر البشري Human وإنما بالأشياء "Objects" ، والمنظمات "Organization" كعناصر فاعلة ، ومن مفاهيم النظرية العنصر الفاعل "Actor-Actan" والشبكة "Network" هي مجموعة علاقات بين كيانات غير محددة ، والقانون "Prescription" الذي يسمح أو يمنع لكل عنصر بشري أو غير بشري في الشبكة، أو هو المعيار الذي يحدد المسموحات والممنوعات في عملية التفاعل (Fenwick, 2010:p.13) وقد أهتم علماء النظرية بدراسة المجتمع العلمي وفهم وتحليل العلاقات البينية بين أعضائه وتحديد آليات التفاعل (جودة، ٢٠١١: ٧).

**نظرية الفعل التواصلي لهابرماس Jurgen Habermas:** يعتبر هابرماس أن العالم الاجتماعي عالم عقلاي وعلى هذا الأساس ينبغي تعاملنا مع طبيعته العقلانية، ومن هنا يمكن القول أن المجتمع هو حصيلة للتواصل الإنساني ونتاج لتفاعل أفراد وجماعاته مع بعضهم ومع العالم الخارجي وأن اللغة هي أساس كل تفاعل اجتماعي. وبهذه الكيفية استخدمت أفكاره في إبرام تعاقد اجتماعي يقوم على إنفتاح علاقات اجتماعية وسياسية وإقتصادية واضحة المعالم ، تمثل الديمقراطية التشاورية أرضيتها الثابتة، والتأكيد على مجتمع مدني قوي الدعائم ومستوعب الوطنية الايجابية بمنأى عن الإكراه والتسلط. حيث يرى أن سيادة الشعب لا تتجسد في ذات جمعية أو في كيان سياسي وإنما تكمن في إشكال غير موضوعية من التواصل والخطاب ، متداولة في الهيئات التشريعية بين

الحقائق والمعايير ويرى أن نظام الحقوق ينص على شروط يتوجب معها إجراء التأسيس القانوني لأشكال التواصل الضرورية وذلك لأن القانون له جانب معياري وآخر وقائعي ، فلا يكون القانون شرعياً إلا عندما يكون له مغزى يساعد على التواصل والإمتثال له من خلال وجود سلطة مسبقة هي السلطة القضائية والسلطة السياسية ودولة تحتكر القوة الشرعية والقدرة على تنفيذ القوانين بواسطة التنفيذ الشرطي ومعاينة مخالفيها ؛ ليكون بذلك قدم التواصل بين الدولة ومواطنيها في هيئة تحقيق الضبط والنظام والأمان وعدم الإنحراف أو الجريمة من خلال الخطاب القانوني الذي يساعد على إدماج الفاعلين في المجتمع في شكل من الديمقراطية من خلال إمتثال المواطنين للقوانين. فالعقل التواصلية يجسد العلاقة بين الفعل الإنساني والبنية الاجتماعية عبر فهم تداولي تصوري يشكل منه مجال عام حر قادر على ممارسة التعبير المنفتح عن نفسه والتي تمثل المسؤولية والحوار الجدي أو تحقيق تواصلية بممارسة الحقوق والواجبات في المجتمع. (Machura , 2020)

**نظرية وجهة النظر الإنعكاسية والقانونية Legal and Reflexive Viewpoint Theory** : تطبق هذه النظرية في البحوث التي تتناول قضايا القهر والظلم وعدم المساواة والشعور بأزمات في تطبيق العدالة لاسيما في البحوث التي تتطلب مقابلة المتقاضين أو المجتى عليهم أو الجناه، وغيرهم ممن يثروا دراسات علم الاجتماع القانوني ؛ فهي تعبير لوجهات النظر وسماع آراءهم التي تعبر عن تجاربهم الشخصية ورؤيتهم الأيديولوجية وخبراتهم حول الموضوعات هي انعكاس لمضمون خطاب فتوى عند كارل مانهايم "Karle Manhiem" أو مضمون وقائع وظروف وتجارب شخصية كإنعكاس لظروف استثنائية عند جورج لوكاش "Gorge Loucash" أو تصوير من زاوية معينه للصراع في الواقع الاجتماعي فيما يخص سوسيولوجيا القانون والمحاكم كمؤسسات وتنظمات اجتماعية. وهي بهذا تعبر عن حالة من التغذية الراجعة للتجارب الشخصية ؛ ولهذا فهي تعبر عن أفعال ذا مرجعية ذاتية معرفية تشير إلى علاقات دائرية بين السبب والنتيجة في علاقة ثنائية الإتجاه. ومن الدراسات التي إستخدمتها دراسة ( Denesha, 2021)

**نظرية المجال العام public sphere theory لدى بورجين هايرماس Haber** : عندما ظهرت المؤسسات البيروقراطية و العسكرية والقضائية ظهر المجتمع

في بناءه الجديد كميدان يجتمع فيه المواطنون لتبادل الآراء ومناقشة ونقد القضايا وهو ما عرف بالمجال الذي إهتم بالفكر النقدي كإسهام لهابرماس "Habermas"؛ فالمجال العام هو جزء من الحياة الاجتماعية التي تشكل الرأى من خلال الحوار النقدي الذي ساهم في شكل وبناء المجتمع المدني، والمجال سابق على القانون المدني الذي ينظم العلاقات، والتطورات القانونية والتشريعات التي لم تعمل إلا على ضمان الحريات والممارسات في مجال عام و ضمان إستقلاله وتأمين خصوصيته، سيما بعد فكرة العقد الاجتماعي و'لتزام أطراف العقد بالمنصوص عليه.

وتتضمن نظرية هابرماس في المجال العام نقطة هامة تتمثل في التمييز بين نوعين من الحقوق هما حق التعبير عن الرأى، وحق أن يصبح هذا الرأى مؤثراً في المجال العام ، فمهمة المجال عند هابرماس هي الحفاظ على مبدأ المناقشة الحرة للقضايا العامة القائمة على النقد العقلاني ، فالمجال العام هو الوسط الذي تصبح فيه أراء شخصية قابلة للتعميم ،كسن القوانين والتشريعات وإتخاذ القرار من قبل صناع القرار وبناء السياسات الاجتماعية والتشريعية(منصور، ٢٠٠٢ : ٢٥٢-٢٦٢).

ويتكون المجال العام وفقاً لرؤية هابرماس من مجموعة من الأفراد يجتمعون معاً لمناقشة القضايا العامة في الأماكن العامة كالنوادى والمحاكم وهيئات سن القانون وتداول القضايا وغيرها، وهذا المجال قد يكون اجتماعي أو قانوني وتفترض النظرية وجود أربع سمات رئيسية تُميز المجال العام وهي القدرة على الوصول إلى دائرة الإتصال، والحرية التي يتمتع بها الأفراد في الإتصال داخل هذه الدائرة، وبنية المناقشة، وطرح خطاب مُبرر بأدلة إقناعية (Jennifer, 2020:p.28) أى أن افكار هابرماس حول المجال العام تتطبق على المجتمعات الافتراضية، حيث شكل الانترنت مجالاً عاماً افتراضياً يتخطى حدود المجال الفيزيقي ويسبقه في أفق المجتمع الشبكي ، وذلك لعدة اعتبارات وهي الحرية . والاهتمامات المشتركة -والتفاعلية ، وبالنسبة للحرية نجد أن الانترنت جعل الفضاء المعلوماتي ملاذاً للحرية في ظل سهولة التفاعل مع الشبكات وحرية الإنضمام ومرونة التحرك، أما الاهتمامات المشتركة فنجد أن المجتمع الافتراضي مبنى على فكرة التجانس في الاهتمامات ، أما التفاعلية فقد فتح الإنترنت مجالاً للتفاعل الذي لا يرتبط بحدود الزمان أوالمكان أوالسلطة(موسى، ٢٠١٦ : ١٤٧).حيث يرى علماء ما بعد الحداثة أن

الذى يتحكم فى عالم اليوم هى وسائل الاتصال الحديثة، فقد احدثت الرقمنة والكود الإلكتروني نقلة نوعية فى حياتنا . (مرتضى ، ٢٠١٠ : ٥٢٢) وهذا يتفق تماماً مع تعبير انتونى جيدنز بأن الناس تحولت عبر الحيز الإلكتروني اللامتناهى الى مجموعة من النصوص والصور والأصوات والوثائق والرسائل جعلت الشبكات الالكترونية تحدث تحولاً جذرياً فى ملامح حياتنا اليومية تهاوت فيها الفروق العالمية والمحلية ، وتعددت فيها قنوات الاتصال والتفاعل ورغم أنها فتحت أفق جديدة لاكتشاف العام إلا أنها تهدد بضعف العلاقات والقيم الاجتماعية . (جيدنز، ٢٠١١ : ٥٢٥ ) . وبالنسبة لجيدنز فالعيش فى عالم الحداثة العالية مثل العيش فى بيئة من الصدفة والمخاطر يصاحبه حتمية نحو هيمنة الطبيعة وانعكاس تاريخى. (Frederici, 2020 : 165 ) ومن الدراسات التى اعتمدت علي نظرية المجال دراسة (Eller, 2020)

جدير بالذكر أن البحث سيتبنى منطلقات نظرية المجال العام و تتمثل فى التالى :

- ١)-يصف هابرماس المجال العام بأنه شبكة للتواصل وتبادل المعلومات ، ووجهات النظر والآراء التى تعبر عن مواقف سلبية أو ايجابية ، ويشترط انتاج المجال العام فعل تواصلى يكفى للقيام به مجرد اتقان اللغة . (القطاطفة ، ٢٠١١ : ٢٠ )
- ٢)-المجال العام هو حيز من حياتنا الاجتماعية ينشأ من ناس تجمعهم خصوصية واهتمامات مشتركة. (العلوانة ، ٢٠١٢ )
- ٣)- تتطلق النظرية من ضرورة بناء مجتمع حوارى يوجه مبدأ قبول الآخر المختلف ، لكونه مجال للعلاقات القائمة على الاختلاف والحوار والديمقراطية وتأكيد الذات .
- ٤)- يقوم المجال العام فى المجتمع الافتراضى (شبكة الإنترنت) على تبادل ونقد الحجج والدعاوى العقلانية من وجهة نظر المشاركين الفاعلين فى شبكات تمثل المجال العام بشأن الايمان بقضايا تمثل اهتماماتهم ، فيقدموا حجج وبراهين للدفاع عنها بالنقاش العقلانى الحجاجى التداولى . (Dahlberg, 2001, p.623)
- ٥)-يفحص المشاركون بشكل ناقد فى المجال العام الذى يوفر لهم الفعل التواصلى، قيمهم الثقافية وفرضياتهم ومصالحهم بالإضافة إلى السياق الاجتماعى الأكثر اتساعاً .
- ٦)-يبدل كل مشترك مخلصاً جهداً فى تقديم المعلومات ذات الصلة بمشكلة معينة تقع فى محيط اهتماماتهم ، كالمعلومات التى تعكس المصالح والرغبات والاحتياجات ؛ فمن حق

كل مشارك أن يقدم الطرح الذي يريده بشأن القضية دون تبعية لخطابات وقواعد رسمسة أو غير رسمية . (بن زروق ، سوهيلة ، ٢٠١٧ : ١٩٠)

### ثالثاً: التراث البحثي (الدراسات السابقة):

أولاً: دراسات عربية: توجد دراسات وثيقة الصلة بموضوع الدراسة ومنها ما يلي:

دراسة (كبارة ، عبد الفتاح ، ١٩٩٤) بعنوان: الزواج المدني دراسة مقارنة ، بهدف التعرف على معوقات الزواج وأشكاله في الديانتين الإسلامية والمسيحية ، وقد توصلت الدراسة إلى أن الزواج المدني هو من دعاة الفكر العلماني التحرري بهدف إبعاد الدولة والأفراد إلى الاحتكام للأديان السماوية (الإسلام والمسيحية ) من خلال كسر الحدود الشرعية والتعدى على الموانع الربانية والتي من بينها زواج المسلمة من مسيحي والتحرر من القيود الدينية بحجة المواطنة والوحدة الوطنية ، وأن هذا الوضع تخطاه الزمن وتجاوزه التطور البشري في رأى الذين ينادون بتطبيق الزواج المدني كبديل لكل أنظمة الزواج في لبنان على غرار الأنظمة الأوروبية.

دراسة (الرفاعي، جميلة - القواسمي أمل ، ٢٠٠٧، ص. ١٦٥-١٨٨) بعنوان: الزواج المدني في فقه الجاليات المسلمة، والتي هدفت إلى معرفة أبرز مسائل الأحوال الشخصية الموجودة في مجتمع الأقليات المسلمة، من خلال النظرة الشرعية إلى الزواج المدني ضمن ضوابط وشروط شرعية، تتمثل في شرعية صياغة العقد، ودور الشهود وصفتهم في العقد، ودور الولي، والحديث عن المهر ومكانه في هذا النوع من الزواج. وخلصت الدراسة إلى أن الكثير من المسلمين في مجتمع الأقليات المسلمة يضطرون لإجراء عقد الزواج المدني، خاصة إذا كانوا ممن يحملون جنسية الدولة، بالإضافة لما يعنيه عقد الزواج المدني من حفظ حقوق الزوجين وأولادهما بوصفه عقداً موثقاً عند سلطة لها سيادة قانونية، والإهمال في توثيقه يؤدي إلى ضياع الحقوق، وبالنظر إلى هذا الواقع، فإنه لا بأس بالإقدام على إجراء عقد الزواج المدني، مع ضرورة الحرص على استكمال شروطه الشرعية، ليقع عقداً صحيحاً تترتب عليه آثاره الشرعية كاملة.

دراسة (قدار، مرزوقي ، ٢٠١٢) بعنوان: اتجاه المشرع الجزائري نحو العقد المدني في الزواج، والتي هدفت إلى معرفة التطور الاجتماعي والتاريخي لعقد الزواج المدني

بجانب التمييز بين الزواج المدني والعقد المدني للزواج . وقد توصلت إلى أن عقد الزواج في الجزائر يقوم على اعتبارات منها القانونية والدينية والعرفية كباقي الدول ، كما توصلت إلى أنه هناك فرق بين الزواج المدني وهو إبرام الزواج أمام الموظف المؤهل قانوناً والمختص بذلك. أما العقد المدني في الزواج ؛ فهو العقد الذي تتوفر فيه مجموعة شروط يتفق عليها الزوجان لتنظيم الجوانب المالية وتحديد الحقوق والواجبات أو شروط أخرى لا يتنافى شروط وأهداف الزواج.

دراسة (ديدي، الهام ، ٢٠١٦) بعنوان : تنازع القوانين في الزواج المختلط ، هدفت الدراسة إلى التعرف على قواعد الإسناد المتعلقة بالزواج المختلط لتحديد مجال كل منها في القانون، وتوصلت إلى أن المشرع الجزائري نظم الزواج المختلط بقواع ترشد القاضي الوطني إلى القانون الواجب التطبيق، ذلك نظرا لقدسية هذه الرابطة وباعتبار الأسرة هي النواة الأولى لنشوء المجتمع ،-كما لم يخص المشرع شكل الزواج بقاعدة إسناد تحده، بل يطبق عليه القاعدة العامة للشكل والمنصوص عليها في المادة ١٩ من القانون المدني الجزائري. وعليه يجذب لو يضع المشرع قاعدة إسناد خاصة بشكل الزواج مستقلة، ذلك لأهمية الشكل في عقد الزواج والذي قد يؤثر على مدى صحته، وهذا ما سبقت إليه بعض التشريعات كالتشريع الكويتي والتونسي.

دراسة(بوشوشة، علاوة، ٢٠١٧، ص ٣٥٠ - ٣٧٠ )، بعنوان: الزواج بين العقد العرفي والعقد المدني وأثره على الأسرة- مقارنة في ضوء الفقه الإسلامي وقانون الأسرة الجزائري والتطبيقات القضائية لدى المحكمة العليا "، وهدفت الدراسة لمعرفة أبعاد الزواج المدني والعرفي، وتوصلت إلى أن المشرع أوصى بأن يكون العقد المدني أمام الموظف المختص طبقاً لقواعد النظام وحتى لا تضيع الحقوق فلا بد من التوثيق وعدم اتباع الفتاوى بعدم ضرورة التوثيق، فضلاً عن كون التشريعات لازالت بحاجة إلى توضيح الغموض وتحقيق المرونة وفقاً للتطور الاجتماعي .

دراسة ( الرفاعي، ردينا ، ٢٠١٧، ص ١٣٥-١٦٣) بعنوان: صور الزواج المستحدثة وأثرها على الاستقرار الأسري ، حيث هدفت هذه الدراسة لمعرفة الأحكام الشرعية لصور الزواج المستحدثة ومن بينها الزواج المدني؛ وبيان أثرها في استقرار الأسرة، وفي مدى تحقيقها لأهداف الزواج ومقاصده. وتوصلت إلى أن تحقيق الاستقرار

الأسري من أهم مقاصد الزواج، وأن زواج السفر، وزواج المسيار يعتبران مشروعان متى توافرت لهما الأركان والشروط، ويعتبر الزواج المدني، والزواج العرفي، وزواج المثليين، وزواج الأصدقاء صوراً غير مشروعة للإختلال في الأصل؛ ولتناقضهما مع مقاصد عقد الزواج و من أهمها تحقيق السكن والاستقرار .

دراسة (مريم، بلخيري-أمباركة، مختارى ٢٠١٧ ) بعنوان: الزواج المختلط وآثاره، وقد هدفت الدراسة إلى معرفة الضوابط التي ينعقد بمقتضاها إختصاص القضاء للنظر فى نزاعات الزواج المختلط وكيف نظم القانون الفرنسى مسألة تنفيذ أحكام إنحلال الزواج المختلط؟، توصلت الدراسة إلى إن إنحلال الزواج المختلط يثير مشاكل متعددة وذلك من خلال القانون الواجب التطبيق .مثل مشاكل الحضانة عند إنحلال الزواج المختلط والمشاكل المتعلقة بالنفقة، ولابد من مراعاة القانون المدنى فى مجال الزواج وشروطه و آثاره و إنحلاله.

ثانياً "دراسات أجنبية : نظراً لإعتراف الدول الأجنبية بالزواج المدنى وتقنيته واعتباره زواجاً طبيعياً قانونياً . فيصعب إلتقاء البحث الراهن مع طبيعة الدراسات الأجنبية التى تناولت الزواج المدنى من حيث الإشكالية ، ولذا نعرض بعض الدراسات التى ناقشت أوجه قريبة الصلة بإشكالية الدراسة الراهنة كربط القيم الأسرية من حيث البناء والوظائف بمستحدثات العولمة الناعمة ووسائل التواصل الاجتماعى وخطورة ذلك على قيم الأسر وإتجاهاتها الجديدة نحو تغيير البناء أوالوظائف ،كأن يكون هدف الزواج بعيداً عن وظيفة الإنجاب؛ مما يؤدى لظهور أسر نووية غير متكافئة وغير متشابهة فى الثقافات والديانات. وهذا خطر ينوه به الزواج المدنى على الأسرة فى مجتمعاتنا العربية الإسلامية .ومن هذه الدراسات الأجنبية (Mayowa, 2019: 99-105)، ودراسة (Carlson & et al,2020)، ودراسة (Gennetian& et al, 2020) ، ودراسة (Cole & et al,2021:599-625 )

الدراسة الحالية على خريطة الدراسات السابقة : يتضح مما سبق أن غالبية الدراسات العربية جاءت برؤية قانونية من منظور كليات الحقوق والشريعة ، فضلاً عن كون معظمها دراسات فى مجتمعات مغايرة للمجتمع المصرى ، ولذا تُعد هذه الدراسة أول دراسة تتناول موضوع الزواج المدنى من منظور اجتماعى فى المجتمع المصرى . كما



تختلف عن الدراسات السابقة في تبنيتها قضايا نظرية المجال العام وتفسير انتشار الظاهرة من خلال المجال الرقمي ، فقد تم انتقاء حالات مصرية بكرة الثلج لدراساتها . أما الدراسات الأجنبية فلا ثمة اتفاق معها في إشكالية الدراسة لإختلاف الظروف البيئية والتشريعية والظوابط الدينية ، وعليه فمن البديهي اختلاف الأبعاد الاجتماعية والتشريعية للظاهرة قيد الدراسة . ولذا اتفقت الدراسة مع مقاصد وأهداف بعض الدراسات التي هدفت لتوضيح العلاقة بين منتجات العولمة والمجال الرقمي كوسائل الاتصال الحديثة وقدرتها على تغيير قيم الأسرة البنائية والوظيفية بتهديدات مجتمعية تتنافى مع الضبط والاستقرار الاجتماعي .

#### رابعاً: الإجراءات المنهجية للدراسة: تم الإستعانة بالإجراءات التالية:

- (١) **مجالات الدراسة :** تم تحديد ثلاثة مجالات تمثلت في التالي:
  - **المجال الجغرافي :** الدولة المصرية في المجال الرقمي ،حيث تم تحديد حالات الدراسة بأحد وسائل التواصل الاجتماعي من خلال مجموعات الفيسبوك - الجروبات - الداعمة للظاهرة عن طريق كرة الثلج . وقد تم إنتقاء الحالات المصرية بطريقة عمدية لتكون حالات مثيرة للإستبصار .
  - **المجال البشري :** تتضمن حالات من الذين خاضو تجربة الزواج المدني (إنثاءً وذكور) بواقع ٧ حالات، و ٣ حالات من المحامين الذين لهم احتكاك مباشر مع حالات للزواج المدني .
  - **المجال الزمني :** استغرقت الدراسة من الناحية الزمنية ثلاثة شهور ، وهي فترة جمع البيانات من خلال دراسة الحالات موضوع الدراسة.
- (٢) **الخطوات المنهجية :** تُعد الدراسة إستطلاعية تبنت المنهج التحليلي واعتمدت على الخطوات التالية:
  - البدء بدراسة إسترشادية من خلال كرة الثلج على المواقع والجروبات الإلكترونية ؛بهدف تحديد حالات الدراسة والإسترشاد ببعض البيانات المبدئية التي تساعد في تعمق الدراسة الميدانية أثناء دراسة الحالات المختارة .

▪ الإعتقاد على دراسة الحالات المثيرة للإستبصار ، حيث تعد من أبرز الطرق المستخدمة في مجال العلوم الاجتماعية ، وتقوم على العرض والتحليل ؛ بهدف الكشف عن العوامل الدقيقة في الوحدات موضوع الدراسة (Porgata and Montgomery,200,p.246) .

▪ تم الإعتقاد على وسائل التواصل الاجتماعي أولاً: في تحليل المحتوى الإلكتروني في بدء الدراسة الإسترشادية . وثانياً: في التطبيق العملي للدراسة من خلال إنتقاء الحالات وتطبيق دليل بهدف التعمق في جمع البيانات وتحليلها كفيماً ، لمعرفة الأبعاد السوسيوقانونية للزواج المدني، وتبيان انعكاس وسائل التواصل الاجتماعي على تنامي الظاهرة . وقد مثلت حالات الدراسة فئات عمرية مختلفة تراوحت بين ( ٣٠ - ٤٥ عام ) كما تنوعت حالات الدراسة في المستوى التعليمي ؛ فجاءت غالبية الحالات (٥حالات) خريجي مدارس (أجنبية داخلية أو خارجية) ، و ( حالتان ) خريجي تعليم حكومي.

(٣) أدوات جمع البيانات: تم استخدام دليل دراسة الحالة بإعتباره الأداة التي تناسب عملية جمع البيانات من الحالات المثيرة للإستبصار ، وتضمن بيانات وتحليلات موضوعية متنوعة ؛ من أجل التعرف على الأبعاد السوسيوقانونية للظاهرة ، حيث شمل دليل دراسة الحالة على مجموعة بيانات كالتالي:

- التاريخ التطوري للحالة
- بيانات عن الأسرة ودورها في دعم الزواج المدني
- بيانات حول الأقران والأقارب ودورهما في التحفيز والتشجيع
- بيانات عن وسائل الإعلام ودورها في نشر ثقافة الزواج المدني
- بيانات بشأن الأبعاد القانونية للزواج المدني
- بيانات عن وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في تنامي الظاهرة

**صحة ودقة بيانات الدليل:** للتحقق من صحة ودقة الدليل تم عرضه على عدد من أساتذة علم الاجتماع الذين أدلوا بأرائهم ، حيث تم استبعاد بعض البيانات البعيدة عن موضوع الدراسة ، كما تم استبعاد بعض البيانات المحرجة لحالات الدراسة والتي قد تؤدي إلى النفور وعدم التعاون ، وكذلك تم تبسيط بعض البيانات رغبة في سهولة استجابة الحالات

لدليل دراسة الحالة، وقد تم استبعاد البيانات التي لها علاقة بالجوانب الدينية منعاً لصد الحالات وعدم الإستجابة. وبذلك يكون الدليل مر بمراحل متعددة فى صياغته تمثلت فى مرحلة الصياغة المبدئية وفقاً لأهداف الدراسة، ثم مرحلة التحكيم، ثم التعديل بالإضافة والحذف وتفسير الغموض، ثم مرحلة تجريب الدليل للتأكد من صلاحيته، ثم مرحلة التطبيق الفعلى والنهائى على حالات الدراسة.

### خامساً: تحليل الأبعاد السوسيوقانونية للزواج المدني ومناقشة النتائج

#### (١) - التاريخ التطورى لحالات الدراسة:-

**الحالة الأولى:** تبلغ من العمر ٣٥ عاماً، تزوجت عن عمر ٣٠ عاماً، تقيم فى القاهرة (مصر الجديدة)، يعمل والدها جنرال بالجيش، هى ابنة لأسرة مكونة من ٤ أفراد (زوج - زوجة الأب - بنتان)، وهى الأبنة الكبرى، تخرجت فى مدارس أجنبية خارجية، تربت فى انفصال أسرى مع الأب وزوجة الأب، وقد تزوجت الأم مرة ثانية وسافرت خارج البلاد. تزوجت الحالة زواج مدنى من رجل (مسيحى) بسبب وقوف الديانة عائق بينها، وقد باركت الأم هذا الزواج وسافرت مع زوجها خارج البلاد لعقد الزواج فى البلد الذى تعيش فيه الأم (قبرص) لمدة عامان ثم رجعا إلى مصر بعد انجاب طفلهما الوحيدة.

**الحالة الثانية:** تبلغ من العمر ٣٥ عاماً، تزوجت عن عمر ٢٥ عاماً، تُقيم فى القاهرة (الزمالك)، يعمل والدها أعمال حرة صاحب شركات استيراد وتصدير، هى ابنة لأسرة مكونة من (زوج - زوجة - ثلاثة أبناء)، وهى البنت الوحيدة، تربت فى ثقافة مختلطة - مصرية أجنبية-، تخرجت فى مدارس أجنبية خارج مصر (السويد)، وكانت تقيم بالخارج فترات الدراسة مع والدها - وفقاً لطبيعة عمله - تزوجت بغير مصرى "تونسى" لا يدين بالإسلام - رفضت الحالة ان تذكر ديانة الزوج - تم عقد زواج مدنى خارج مصر (بالسويد)، وقد تم ذلك برضا الأب، وهما الآن يقيمان بين مصر وتونس، لم تجب أطفال بعد.

**الحالة الثالثة:** تبلغ من العمر ٣٧ عاماً، تزوجت زواج مدنى وعمرها ٣٣ عاماً، وقد سبق لها الزواج مرتان، تُقيم فى القاهرة (مدينة الرحاب)، يعمل والدها طبيب بشرى ولكن توفاه الله قبل زواجها، هى الأبنة الوحيدة لأسرتها، تربت مع الأم، تخرجت فى مدارس

أجنبية داخل مصر ، للأم أصول لبنانية وتدين بالمسيحية ، تزوجت الأبنة من رجل لبنانى من عائلة الأم ، تم عقد الزواج المدنى فى (قبرص) واستقرا الزوجان مع الأم فى مصر بجوار عائلة الأب حيث ممتلكات الأبنة وأمها وميراثها من الأب ، رفضت عائلة الأب هذا الزواج إلا أن الأم باركت ذلك .

**الحالة الرابعة :** تبلغ من العمر ٢٩ عاماً ، وهى مسيحية الديانة تزوجت زواج مدنى وعمرها ٢٥ عاماً، تخرجت فى مدارس حكومية نشأت فى الصعيد - لم يتم كتابة المكان الحالى حفاظاً على أسرار الحالة - تعرفت على رجل مسلم ورفضت العائلتان تزويجهما ، يعمل والدها موظف بشركة الكهرباء ، هى الأبنة الثانية ولديها أخ وأختان ، تربت فى أسرة مسيحية ، تخرجت فى مدارس حكومية ، تم عقد زواج مدنى بين الطرفين ، ولديهما ابنان ويعانيان من التعايش مع المجتمع ، على الرغم من قانونية وشرعية الزواج فى هذه الحالة ؛ نظراً لزواج مسلم بمسيحية بما لا يختلف مع المادة الثانية من الدستور التى جعلت الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع ، وعليه يحق للمسلم الزواج من غير مسلمة وليس العكس ؛ ولذا فهو جائز شرعاً وقانوناً ، وقد قدمت الحالة طلب زواج مدنى، وهى فى انتظار موافقة المحكمة ، وتتطلع لإعلان المحكمة موافقتها على العقد ، لم يتم توثيق الزواج فى بدايته نظراً لرفض الكنيسة ورفض عائلة الزوجة وطردھا.

**الحالة الخامسة :** تبلغ من العمر ٢٧ عاماً، وهى مسيحية أحببت مسلماً، وتزوجت زواج مدنى وعمرها ٢٤ عاماً نشأت فى القاهرة ، عمل والدها مهندساً بالحكومة ولكنه توفى منذ كانت صغيرة ، تخرجت فى مدارس أجنبية داخلية ، لجأت إلى الزواج المدنى ؛ نظراً لما تعرضت إليه من ضغوط عديدة من العائلة والأصدقاء. فقد حرمتها الأم من الميراث وهى الأبنة الثانية لها ولديها اخت واحدة ، وحاولت استخدام العنف معها ومع زوجها. كما لجأت العائلة إلى الكنيسة لمحاولة إقناعها للابتعاد عنه، وقامت بتهديدها . وقد رفضت عائلة زوجها زواج ابنهم منها خوفاً من إحداث فتنة طائفية فى البلد. مما اضطرهما إلى الهروب داخل مصر من عائلتها إلى محافظة بعيدة عن القاهرة- لم يتم كتابة المكان حفاظاً على أسرار الحالة - فقد أخفت زوجها عن كل المحيطين بها فى سكنها الجديد. فى بداية الأمر إلى أن أنجبت طفلاً وهى لم تسجله خوفاً من معرفة أهلها بمكانها. ونتيجة لإخفاء زوجها المدنى بشكل عرقى ، تتعرض لضغوط من المحيطين بها ولا

تستطيع التعايش مع الآخرين ، ففي كل مرة يعاني زوجها من رفض المحيطين ويبحث عن حجج مختلفة لإيجاد مسكن لهما. وهذه الضغوط التي تعيشها تجعلها لا تشعر بالاستقرار وتعيش قلقاً وتهديدات مجتمعية كبيرة.

**الحالة السادسة:** شاب مسيحي يبلغ من العمر ٤٢ عاماً ، تزوج زوجاً مدنياً و عمره ٣٧ عاماً تم عقد الزواج خارج مصر ( اليونان ) من مسلمة ، كلتا العائلتان تقيم بالأسكندرية "فلمنج" بنفس العقار السكنى تخرج من مدارس تعليم أجنبي بالداخل ، وهو ابن لأسرة مسيحية مكونة من ٥ أفراد (زوج وزوجة وولدان و بنت) وهو الأبن الأوسط ، يعمل والده مديراً بمدرسة أجنبية داخلية ، اعترض أصدقائهما ونصحهما بأن يغير دينه، وقد رفضا كلاهما الاستماع إلى هذا النصح، اختار أن يقترن بها بزواج مدني، وقد رأت الزوجة المسلمة "أنّ الأديان السماوية واحدة ولا تفرق بين مسيحي ومسلم، فكل شخص حر في دينه". وقد تقبلت عائلتها ذلك، ؛ لذا هي ترى انها محظوظة لأنها تربت في عائلة تحترم الاختلاف الديني". ، وتعيش معه اليوم في الخارج، ولكنهما يزورا مصر من فترة إلى أخرى.

**الحالة السابعة :** شاب مسلم يبلغ ٣٨ عاماً تزوج زوجاً مدنياً وعمره ٣١ عاماً من أجنبية مسيحية أسبانية في الشهر العقارى في وزارة العدل المصرية على غرار الزواج من أجنبى أو الزواج المختلط ، يقيم في البحيرة (كفر الدوار) تخرج في مدارس حكومية ، نشأ في أسرة تعيلها الأم بمعاش الأب الذى كان يعمل مدرساً بإحدى المدارس الحكومية ؛ نظراً لوفاة والده، هو الأخ الأصغر لثلاثة أخوة آخرين، تعرف على زوجته من خلال "الفيس بوك" وأتت هي إلى مصر وتم عقد زواج مدنى ، وقد باركت الأسرة هذا الزواج ، ثم سافرا سوياً إلى أسبانيا ، وأثناء إجراء دراسة الحالة كانا في مصر بسبب جائحة كورونا وتخوفهما من الفيروس . ولديهما ابن وابنة .

## (٢)- الأبعاد الاجتماعية للزواج المدني (الأسباب و الإنعكاسات)

### (أ) الأسباب:

- النتائج المتعلقة بتأثير العوامل الأسرية فى الإقبال على الزواج المدني: وتتمثل فى (شكل وبناء الأسرة و التنشئة - نوع التعليم الذى توفره الأسرة - المستوى

الاقتصادى للأسرة - الفئة العمرية للحالة داخل الأسرة - الوعى الثقافى للأسرة -  
 مهن ووظائف الأباء)

مما سبق يتضح من أن هناك علاقة تأثير فعال بين شكل وبناء الأسرة وبين الإقبال على الزواج المدني وعدم إحترام الأديان والقوانين المنظمة للزواج والمؤسسات الدينية (الأزهر والكنيسة) ، حيث لوحظ أن الحالة الأولى تربت فى إنفصال وتفكك أسرى والحالة الثانية نشأت فى ثقافة مختلطة جمعت بين الثقافتين المصرية والسويدية التى تبيح الزواج المدني بشكل إلزامى ، أما الحالة الثالثة فتوفى أباهما المسلم وتربت مع الأم صاحبة الديانة المسيحية والثقافة اللبنانية التى تجيز الزواج المدني ،أما الحالتين الرابعة والخامسة فهما مسيحيان انساقت كلتاهما وراء الحب والمشاعر فى جو من التحدى للأهل والكنيسة ، ولم تعطِ اهتماماً للدين أو القانون أو المجتمع حيث طردت الأم إبنتها وهى تمثل (الحالة الرابعة ) بينما لجأت (الحالة الخامسة ) للهروب بعيداً عن الأهل وهو ما يوحى بسوء تربية فى جو لا يسوده التفاهم والحوار والمتابعة أو الرقابة الأسرية .أما(الحالة السادسة ) فكانت لشاب مسيحي تزوج من فتاة مسلمة نشأ كلاهما فى أسرة تراعى الاختلاف العقائدى وتؤمن بحرية الأديان ، وأما الحالة السابعة فكانت لشاب مسلم تربى فى أسرة تعولها الأم نظراً لوفاة الأب .

كما لوحظ تأثير نوع التعليم على إقبال الحالات على الزواج المدني ، حيث تبين أن غالبية حالات الدراسة (٥ حالات ) تخرجوا فى مدارس أجنبية (داخلية أو خارجية) فى حين تخرج (حالتان) فى مدارس حكومية ، ويفسر ذلك بأن نوع التعليم الأجنبى ينعكس على المستوى الفكرى فى ضوء ثقافة خارجية تتعارض مع الثوابت الدينية والتشريعية والموروث الثقافى المصرى، فتبيح الزواج المدني فى ايديولوجيات ومعتقدات حالات الدراسة بعيداً عن عقائدهم ، فى إصرار يشوبه التحدى للكنيسة والأزهر .

وقد تبين تأثير وفاعلية المستوى الاقتصادى ورفاهية المعيشة التى تتيح الاحتكاك بثقافات دول أخرى ؛مما يجيز الزواج المدني فى فكر وقناعات حالات الدراسة ، فقد تبين أن غالبية حالات الدراسة (٥حالات) تتمتع برفاهية التعليم الأجنبى انقسمت إلى (٣ حالات تعليم أجنبى داخلى)و(حالتان تعليم أجنبى خارجى) ، لا شك أن السفر للتعليم فى الخارج والإحتكاك بطبيعة هذه المجتمعات والتعايش مع ثقافتها أو حتى الإكتفاء بدراسة

مناهجها بما تحويه من أيديولوجيات وثقافات مغايرة ؛ يؤثر على المستوى الفكري والمعرفي لحالات الدراسة ، فيزيد من دافعيتهم نحو الإقبال على الزواج المدني في ضوء الإيمان به.

بينما تؤكد بيانات الدراسة عدم تأثير السن أو الفئة العمرية على الإقبال على الزواج المدني فقد تراوحت أعمار حالات الدراسة وقت الإقبال على الزواج بين ( ٢٥ إلى ٣٨ ) عام وهو السن المعتاد والمألوف والأكثر تداولاً أثناء إقبال الأفراد على الزواج بكل أنماطه ، كما أنه السن المناسب للذكر والأنثى بشكل عام .حيث يتمتع الإنسان في هذه المرحلة بكافة مؤهلات الزواج البدنية والنفسية والمجتمعية والمادية، فهو سن الخصوبة والنشاط والحيوية كما أنه سن التحرر الفكري . فيما يتعلق بالوعي الثقافي للأسرة وتأثيره على إقبال حالات الدراسة نحو الزواج المدني ، كشفت الدراسة عن أن الوعي الثقافي للأسرة يُعد من أبرز المحاور التي أثرت تأثيراً فعلياً في الإقبال على هذا النوع من الزواج ، وذلك نظراً لإختلاف المعايير والسمات الثقافية والمعرفية التي تمتلكها كل أسرة على حدة ، والتي ترتبط بطبيعة وخصائص البيئة الاجتماعية والتربوية والتعليمية سواء أكانت (مكان التنشئة - مكان الإقامة - طبيعة التبادل والإختلاط بين بيئات متعددة- تأثير البيئة التعليمية الخارجية في بعض الحالات ) ؛ مما ساعد على امتزاج العديد من الأفكار والإتجاهات والملاحم القيمية لبيئات متعددة ؛ فخلق مستوى من الوعي الثقافي مغاير تماماً للثقافة المصرية الخالصة التي ترفض الزواج المدني قانونياً وعقائدياً. وقد تجسد تأثير الوعي الثقافي للأسرة في موقف الأبناء من التفكير في الزواج المدني بل والإقبال عليه ، كما تجسد أيضاً في موقف الأسر من أبنائهم حالات الدراسة أثناء الإقبال على الزواج المدني ، حيث نجد أن (الحالة الأولى ) ، تخرجت في مدارس أجنبية خارجية ، تربت في ثقافة مختلطة تزوجت الحالة زواج مدني من رجل (مسيحي) بسبب وقوف الديانة عائق بينهما ، وقد باركت الأم هذا الزواج وسافرت الحالة مع زوجها خارج البلاد لعقد الزواج في البلد الذي تعيش فيه الأم (قبرص) لمدة عامان ثم رجعا إلى مصر بعد انجاب طفلهما الوحيدة. وأيضاً (الحالة الثانية) تربت في ثقافة مختلطة - مصرية أجنبية- ، تخرجت في مدارس أجنبية خارج مصر(السويد) ، وكانت تقيم بالخارج فترات الدراسة مع والدها - وفقاً لطبيعة عمله - تزوجت بغير مصري لا يدين بالإسلام ، تم عقد زواج مدني خارج

مصر (تونس)، وقد تم ذلك برضا الأب ، وهما الآن يقيمان بين مصر وتونس. كما نجد أن (الحالة الثالثة) تخرجت في مدارس أجنبية داخل مصر ، وترتبت في ثقافة مختلطة أيضاً ، فضلاً عن وجود أصول لبنانية للأب وتدين بالمسيحية ، تزوجت الأبنة من رجل لبناني من عائلة الأم ، تم عقد الزواج المدني في (لبنان) واستقرا الزوجان مع الأم في مصر بجوار عائلة الأب حيث ممتلكات الأبنة ، رفضت عائلة الأب هذا الزواج إلا أن الأم باركت ذلك . وفي (الحالة السادسة ) لشاب مسيحي تم عقد الزواج خارج مصر ( اليونان ) من مسلمة مصرية ، تخرج في مدارس تعليم أجنبي بالداخل ، وترتبت في ثقافة مختلطة أيضاً ، باركت كلتا الأسرتين الزواج رغم اعتراض أصدقائهما ونصحهما بأن يغير الآخر دينه، وقد رفض كلاهما الإستماع إلى هذا النصح، إختار الشاب أن يقترن بها بزواج مدني، وقد رأت الزوجة المسلمة "أنّ الأديان السماوية واحدة ولا تفرق بين مسيحي ومسلم، فكل شخص حر في دينه". وتقبلت عائلتها ذلك، ؛ لذا هي ترى انها محظوظة لأنها تربت في عائلة تحترم الاختلاف الديني". كما نجد أن (الحالة السابعة) : تزوج زواجاً مدنياً من أجنبية مسيحية أسبانية في الشهر العقاري في وزارة العدل المصرية في البحيرة (كفر الدوار) تخرج في مدارس حكومية ، وقد باركت الأسرة هذا الزواج ، ثم سافرا سوياً إلى أسبانيا ، وأثناء إجراء دراسة الحالة كانا في مصر بسبب تداعيات جائحة كورونا .

**ويلاحظ مما سبق أن (٥ حالات )** تم الزواج المدني بمباركة الأسرة أو أحد أفرادها ، وتوجد سمات ثقافية مشتركة بين (٤ حالات ) تمثلت في التربية في ثقافة مختلطة بسبب التعليم الأجنبي (الداخلي أو الخارجي) ، كما إشتكرت الحالات في تعرض ثقافتها لبيئات متعددة بين ( التنشئة والإقامة والتعليم والزواج) فمن هذه البيئات بجانب مصر (تونس ، لبنان ، السويد، قبرص، اليونان) ، أيضاً من السمات الثقافية المشتركة أن المنشأ أو الإقامة كانت في بيئات اجتماعية تُحسب على الطبقات ذات المستوى الرفيع فجاءت بالترتيب كالتالي (القاهرة "مصر الجديدة -الزمالك - الرحاب" ، الأسكندرية "فلمنج") بينما اختلفت حالة واحدة في نمط تعليمها وبيئتها ومستوى ثقافتها فكانت ، تعليم حكومي من البحيرة "كفر الدوار " في بيئة تعولها الأم ، على الرغم من إشتراك الحالة مع الحالات الأربعة السابقة في مباركة الأسرة للزواج إلا أننا نقف هنا على اختلاف طبيعة الزواج



المدنى لهذه الحالة فهو مسلم تزوج زواجاً مدنياً من أجنبية مسيحية أسبانية فى الشهر العقارى فى وزارة العدل المصرية على غرار الزواج من أجنبى ، وهذه هى الحالة الوحيدة التى يسمح فيها بالزواج المدنى فى مصر لأنه لا يختلف مع المادة الثانية من الدستور ولا مع الشريعة الإسلامية .أما الحاليتان (الرابعة والخامسة ) : وهما حالتان تعيشان فى بيئات ثقافية مصرية طبيعية ، إلا أنهما انجرفتا وراء المشاعر التى وقفت حائلاً أمام إختلاف العقائد ، فهما مسيحيان تزوجتا زواجاً مدنياً من رجلين مسلمين ، وقد رفضت العائلتان والكنيسة هذا الزواج ، على الرغم من قانونية وشرعية فى هاتين الحاليتين ؛ نظراً لزواج مسلم بمسيحية بما لا يختلف مع المادة الثانية من الدستورالتى جعلت الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع ، وعليه يُحق للمسلم الزواج من غير مسلمة وليس العكس ؛ ولذا فهو جائز شرعاً وقانوناً ، ويمكن لهما ثبوت هذا الزواج فى المحكمة .

وبالنسبة لتأثير مهنة ووظائف الآباء على إقبال الحالات نحو الزواج المدنى ، بينت الدراسة تعدد وإختلاف مهنة الآباء فى (الحالة الأولى) يعمل الوالد جنرال بالجيش ، و(الحالة الثانية) يعمل والدها أعمال حرة "صاحب شركات استيراد وتصدير" ، بينما يعمل والد (الحالة الثالثة) طبيب بشرى ولكن توفاه الله قبل زواجها ، أما (الحالة الرابعة) فيعمل والدها موظف بشركة الكهرباء ، بينما يعمل والد (الحالة الخامسة) مهندساً بالحكومة ولكنه توفى منذ كانت صغيرة ،أما (الحالة السادسة) يعمل الوالد مديراً بمدرسة أجنبية داخلية ،بينما كان يعمل والد (الحالة السابعة) قبل وفاته مدرساً بمدرسة حكومية.ويتبين من ذلك أنه لا توجد ثمة تأثير بين مهنة الآباء وبين إقبال الحالات على الزواج المدنى ، فقد تعددت وتنوعت المهنة بين طبيب ومهندس ومدير وأعمال حرة ومهنة التدريس وجنرال بالجيش، ويفسر ذلك فى ضوء أن العوامل والمسببات الأسرية التى تؤثر على الإقبال نحو الزواج المدنى تتمثل فى الوعى الثقافى والفكر التعليمى وبيئة التربية وقوة وبناء الأسرة والمستوى الاقتصادى الذى يتيح فرص الاحتكاك ببيئات وثقافات مختلفة ، مما يترتب عليه وجود قناعات فكرية ومعتقدات أيديولوجية مسبقة ساعدت فى تشكيل ثقافة وشخصية غالبية الحالات فكان قرار الزواج المدنى شكلاً من أشكال ممارسة حرية الأفكار والعقائد

والمعتقدات لديهم . وهذا يجيب على التساؤل العلمي الأول للدراسة ومحتواه ما أثر العوامل الأسرية على الإقبال نحو الزواج المدني ؟

### • النتائج المتعلقة بتأثير الأقران والأقارب في الإقبال على الزواج المدني

تحاول الدراسة التعرف على دور جماعة الأقران والأقارب في المحيط الاجتماعي لحالات الدراسة ، كعامل مؤيد أو معارض ، أو معوق لقرار الإقبال على الزواج المدني ، بالإضافة إلى التعرف على الكيفية التي أثرت بها هذه الجماعات على إستعداد الحالات ودافعيتهم وقت إتخاذ قرار الزواج المدني ، وكذلك التعرف على مستوى الدعم المعنوي في مباركة هذا الزواج من عدمه.

فيما يتعلق بنوع التحفيز كشفت الدراسة عن أن جماعة الأقران والأقارب لعبت دوراً محورياً في التأثير على قرار الزواج المدني سواء بالسلب أو الإيجاب ، حيث تفاوت دورها بين عامل مؤيد في بعض الحالات أو عامل معارض في حالات أخرى ، وأحياناً كانت بمثابة معوق لإقبال الحالات على الزواج المدني .فقد ظهرت جماعة الأقران والأقارب كمشجع في الحالات ( الأولى والثانية والسادسة والسابعة ) وذلك بسبب طبيعة تشابه المحيط المجتمعي الذي نشأ فيه الحالات (الأولى والثانية والسادسة) مع محيط أقرانهم وأقاربهم فقد اتسم بالإنفتاح على مجتمعات وثقافات مختلفة غير ثقافة المجتمع المصري ،بالإضافة لطبيعة المناهج التي تعلموها وتربوا عليها في المدارس ؛ فترتب على ذلك تقارب البيئة الفكرية والتعليمية والوعي الثقافي للحالات مع أقرانهم وأقاربهم ، وترتب عليه مباركة الزواج وتشجيعه ودعمه . ، حيث تقول (الحالة الأولى) "مما بعد الطلاق اتجوزت وعاشت في قبرص ولما معارف هناك شجعوني جداً على الزواج المدني لأنه زواج عادي جداً بيكفل لكل واحد حرية دينه وفكره، أما أصحابي في مصر ففي منهم برضو اتجوز جواز مدني ،أيه المشكلة في ده يعني ؟" . وتقول (الحالة الثانية) "كنت أقيم في السويد لسنوات ومعظم أصدقائي بنفس فكري ، وزواجي بابا وافق عليه وقرايبي وأصحابي فرحولي ، واتجوزت في تونس مدني وعملت هناك فرح جامد ورجعنا نعيش هنا" ويقول صاحب الحالة السادسة " انا ومراتي كنا جيران وسكنين في نفس العمارة وبابا مدير المدرسة اللي كنا فيها و معظم صحابنا وقرايبننا حضروا فرحنا وباركولنا وشجعولنا ،على الرغم من وجود بعض الأصدقاء اللي نصحوني بتغيير ديانة مراتي لكنهم مش كثير وفي

الآخر حضروا فرحنا برضو لما لقونا مصريين ، ودى حاجة تخصنا احنا ، مالمهمش يقولوا رأيهم فيها لأن دى حرية ، واحنا اتربينا على الحرية واحترام اختلاف الأديان " . غير أن (الحالة السابعة) تختلف فى تفسير أسباب تشجيع وتحفيز الأقران والأقارب، فهى حالة لشاب مسلم تزوج أجنبية مسيحية فى وزارة العدل المصرية ، فكان التحفيز من باب عدم التعارض مع الشريعة والقانون ، وربما لأن هذا هو النوع الوحيد المقبول فى المجتمع المصرى ؛ لأنه يعطى المسلم حرية الزواج من غير مسلمة ، فطبيعة الثقافة المصرية تقبل وتجزئ ذلك كما أنه لا يتعارض مع القانون أو الشريعة الإسلامية التى هى المصدر الرئيسى للتشريع فى المادة الثانية من الدستور . حيث يقول صاحب الحالة السابعة "أصدقائى شجعونى وهما نفسهم عندهم استعداد يعملوا كده لأن ده مش حرام ، بالعكس دينا بيشجع إن الرجل يتجوز من واحدة مش مسلمة يمكن يقدر يخليها تدخل الإسلام ويكسب دنيا وأخرة ، من الآخر كده أنا خدت حسانات على الجواز دى ، وأمى نفسها كانت مبسوطه وكل قرابىي مبسوطين أوى، وشجعونى وعلى فكرة أنا مخترتش الزواج المدنى ده ، بس هى دى الطريقة الوحيدة عشان اتجوزها من غير ما أجبرها تغيير دينها إلا لو هى اقتتعت" . وعلى النقيض من ذلك ، لم يحفز الزواج المدنى أقران الحالات ( الثالثة والرابعة والخامسة) ، حيث أشاروا إلى معارضة أقرانهم و أقاربهم للزواج المدنى نظراً لإختلاف ديانة الزوج . وتتشابه الحالتين (الرابعة والخامسة) فى انهما مسيحيان تزوجتا من رجلين مسلمين ؛ ولذلك رفض الأقران والأقارب هذا الزواج لأنه يختلف مع عقائدهم الدينية . حيث تقول (الحالة الرابعة) "تعرفت على راجل مسلم ورفضت العائلتان والأصدقاء والأقارب الزواج واتجوزنا غصب عنهم كلهم زواج مدنى عرفى بشهود ومحامى ، ورافعين قضية اثبات الزواج فى المحكمة ، لأنه شرعى وقانونى فى مصر. وأكد المحكمة هتحكمنا ونحتفل بذلك" . وتقول (الحالة الخامسة) " حرمتى أمى من الميراث ، وحاولت إستخدام العنف معايا ومع زوجى. ولجأت العائلة إلى الكنيسة لمحاولة إقناعى بإنى أبتعد عنه، وهددونى ، وكمان رفضت عائلة زوجى الزواج من ابنهم خوفاً من إحداث فتنة فى البلد. واضطرينا نهرب داخل مصر من عائلتى إلى محافظة بعيدة ، وأخفيت الزواج عن كل المقربين والأصدقاء لأنهم عارضونى بشدة واتعرضنا لضغوط كبيرة انا وزوجى" . وتختلف أسباب تفسير معارضة الأقران والأقارب فى (الحالة الثالثة) عنها

فى الحالتيين (الرابعة والخامسة )، ويفسر ذلك بأنها حالة لفتاة مسلمة تزوجت بعد وفاة الأب من أحد أقارب الأم بلبنان والتي لها أصول مسيحية لبنانية وعلى الرغم من مباركة الأم وتشجيعها للزواج إلا أن أهل الأب وقفوا عائقاً أمام زواجها ، ولكن فى جو من التحدى تم عقد الزواج المدنى بالخارج ، وعاشت بلبنان فترة ثم رجعت مصر ، وقد اعترض كل أقرانها على هذا الزواج أيضاً . فتقول "صاحبى كانوا رافضين ونصحونى أخلى زوجى يغير ديانتة الى الديانة الإسلامية واتجوزه جواز شرعى ، أما أهل بابا فوقفوا فى وش الجواز بكل الطرق ، وعشان كده ماما خدتنى برا مصر واتجوزنا هناك مدنى ، وشوية ورجعنا مصر".

ومما سبق يتبين تأثير جماعة الأقران والأقارب على دعم وتحفيز الزواج المدنى سلباً وإيجاباً ، فقد كشفت الدراسة على الكيفية التى أثرت بها هذه الجماعات على استعداد الحالات ودافعيتهم ايجاباً وقت اتخاذ قرار الزواج المدنى والتي تنوعت بين الدعم والتشجيع المعنوى ، أو مباركة الزواج بالحضور، أو محاولة تخفيف الضغوط الاجتماعية عن كاهل الحالات ، بينما اتضحت كيفية التأثير السلبى من خلال أشكال متعددة منها الرفض ، أو المعارضة ، أو النصح بتغيير الطرف الأخر لديانتة وكذلك كشفت حالات الدراسة عن مستوى الدعم المعنوى فى مباركة هذا الزواج من الأقران والأصدقاء كان فى (٣ حالات من إجمالى ٧) بمستوى قوى ، نظراً لشعور اقران الحالات وأقاربهم بأن الزواج المدنى زواجاً عادياً لا يختلف عن الزواج الشرعى أو القانونى ، غير أنه يتيح حرية العقائد وإحترام إختلاف الأديان، فيحل مشاكل عقائدية ومجتمعية - حسب معتقداتهم الفكرية وثقافتهم ، وفى نفس السياق كشفت الدراسة عن أن مستوى الدعم المعنوى فى مباركة الزواج المدنى جاءت بمستوى قوى جدا فى (حالة واحدة من إجمالى ٧) ، وذلك لأنها كانت لشاب مصرى مسلم يعقد زواجه بوزارة العدل على أسبانية مسيحية وهو زواج مقبول وغير مرفوض قانونياً أو دينياً، وفى المقابل جاء مستوى الرفض أيضاً قوى لدى أقران وأقارب (٣ حالات من إجمالى ٧) ، ويرجع ذلك لاختلاف ظروف هذه الحالات والخوف من إطلاق شرارة فتنة طائفية ، فمنهم حالتان مسيحيان تزوجتا مصريان مسلمان ، وحالة لمسلمة تزوجت بلبنانى مسيحي. وهذا ما يجيب على التساؤل العلمى الثانى للدراسة ومؤداة ما أثر جماعة الأقران والأقارب فى الإقبال على الزواج المدنى؟

### • النتائج المتعلقة بوسائل الإعلام وأثرها في نشر ثقافة الزواج المدني

حاولت الدراسة الكشف عن دور وسائل الإعلام الإقليمية والدولية في نشر ثقافة الزواج المدني من عدمه ، من خلال الكشف عن دور الدراما والسينما ، أو البرامج التليفزيونية والإذاعية ، أو الصحف والجرائد في نشر قيم التحرر من الأديان أثناء الزواج ، وفصل الدين عن الدولة ، و كفالة حرية الزواج بأشكاله المستحدثة . ففيما يخص أثر وسائل الإعلام في نشر قيم التحرر من قيود الأديان أثناء الزواج، أشارت بعض الحالات (الأولى والثانية والسادسة )إلى الدور المحورى للدراما والسينما العالمية في نشر قيم التحرر من قيود الأديان أثناء الزواج ، لا سيما وسائل الإعلام الإنجليزية ، والفرنسية ؛ ويفسر ذلك أن الثقافتين الإنجليزية والفرنسية لا يتعارضوا مع الزواج المدني ، بل تم تقنين هذا الزواج بما يتيح الحق للأفراد في الزواج من ديانات أخرى ، ويرجع ذلك أيضاً إلى أن هذه الحالات نشأت في بيئات ثقافية مختلطة بين الثقافة المصرية وثقافة بلدان أخرى فنجد (الحالة الأولى) تقول " أنا سافرت قبرص مع ماما كثير لأنها متجوزة وعاشية هناك، وهي اللي ساعدتني اتجوز مدني ، وكل وسائل الإعلام هناك بتدعم هذا الزواج جداً ، لأنه مش ضد القانون "، وتقول (الحالة الثانية) "انا بنت مدارس السويد واتيبت على ثقافتهم وحررياتهم ، والإعلام هناك مش ضد ده ، بالعكس بيشرح على الحريات واحترام أديان الآخرين ، وقانون الزواج بيعطى حرية الزواج بين كل الديانات "، أما صاحب (الحالة السادسة )يقول" انا خريج تعليم اجنبي يوناني ونشأت من صغرى على أن الأديان السماوية واحدة وغلط نفرق بين مسيحي ومسلم، فكل شخص حر في دينه، واتيبت في عائلة تحترم الإختلاف الديني ، ووسائل الإعلام الأجنبية فعلا بتتمى الفكر نحو قيم التحرر من قيود الدين خاصة في الزواج ، لأن دى مشاعر مش بنتحكم فيها ويتكون غصب عن الإنسان ، وانا شايف ان هو ده الصح ، زنبى أياه أحب واحدة ويمعنى دينى من الزواج منها ، طب ما أحسن كل واحد يفضل على دينه بينه وبين ربنا ونتجوز عادى ، ويبقى في أسرة وعلاقة وتعاون وحب ، زى بالظبط فكرة تعاون المسلم والمسيحي في المجتمع في العمل أو في المدارس وكل واحد يفضل على دينه برضو مفيش مانع ، لأن ده مفهوم الحرية الصح " .بينما أشارت الحالات ( الثالثة والرابعة والخامسة والسابعة ) إلى أن الإعلام المصرى بكل أشكاله لا يدعم قيم التحرر من قيود الأديان أثناء الزواج ،

ويفسر ذلك أن القانون والإعلام والأدب والفن والطبوس والعادات والأعراف جميعها من مكونات الثقافة لا شك ، ولذا لا ينشر الإعلام قيم تتعارض مع الثقافة المصرية لاسيما قوانينها ، حيث تقول (الحالة الثالثة) " أنا احتكيت بلبنان كثير قبل ما اتجوز منها لأن أمى لها اصول مسيحية لبنانية ، ووسائل الإعلام هناك بتحفز على الزواج المدني ، وبيناقشوه فى برامج حوارية من باب أنه حرية شخصية وكمان القانون بيسمح بتوثيقه هناك ، لكن بالنسبة للإعلام المصرى أعتقد متكلمش عن قضية الزواج المدني ، ولو بيتكلم عن الحرية من قيود الدين فى الجواز؛ فيوضح سلبيات الأمر وخطورته مش بيدعمه ولا يشجع الناس عليه" وتقول (الحالة الرابعة) "لا طبعاً الإعلام بكل أشكاله بينقل قصة زواج المسيحية من مسلم على أنها فتنة طائفية ويحذر منها دائماً، ودا اللي حصل معايا أنا شخصياً ، رغم إن القانون بيحيز إنى أتجوز مسلم" ، وتقول (الحالة الخامسة) "إعلام أيه اللي بيشجع على حرية الزواج من دين آخر ، لا مش بيحصل ، اذا كان فيلم حسن ومرقص كان بيوضح كمية الرفض لدعم التعاون والمؤخاة بين الأديان ، وكان بينقلنا صورة حقيقية من الواقع ، يبقى إزاي بقى هيشجع الجواز بين الأديان ، صحيح القانون بيحيز إن مسلم يتجوزنى وأنا مسيحية بس دا خط أحمر فى مصر وإعلامها ومسيحيتها ومسلميتها أعتقد"، بينما اختلف صاحب (الحالة السابعة) مع الحالات السابقة قائلاً "أبوا الإعلام بينشر قيم الحرية فى زواج المسلم من مسيحية بس ساعات بيحيزوا مشاكل ويعرضوها تخوف ، لكن المهم إن الشريعة الإسلامية والقانون المصرى مابيمنعوش ؛" ويفسر هذا الإختلاف فى آراء الحالة السابعة بأنه مسلم تزوج من مسيحية أسبانية فى الشهر العقارى فى وزارة العدل المصرية على غرار الزواج من أجنبى أو الزواج المختلط، وهى الحالة الوحيدة المقبولة فى الثقافة المصرية، أما الحالتان السابقتان فعلى الرغم من كونهما لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية والقانون المصرى إلا أنهما غير مقبولتين فى الثقافة المصرية ولزالتا تلاقيا ضغوط وقيود ورفض مجتمعى ؛لكونهما مسيحيان تريدا الزواج من مسلمين .

ومما سبق يتضح أن ٣ حالات كشفت عن الدور الإيجابى للإعلام فى نشر قيم التحرر من قيود الزواج والحث على إحترام دين الآخر من خلال ممارسة صور الزواج المستحدثة ومنها الزواج المدني وأحقية الأفراد فى فصل الدين عن الدولة من خلال إتاحة

القانون الحق في الزواج بين الأديان بشكل مدني ، ولكن أختصوا الإعلام العالمي بهذا الدورون الإعلام المصري . وفي نفس السياق كشفت غالبية حالات الدراسة ٤ حالات عن عدم تأثير وسائل الإعلام في تحفيز ودعم الصور الحديثة للزواج والتي تدعم الزواج بين الأديان المختلفة ، وقد أوضحت الدراسة أن الإعلام لازال يعرض هذه القضية بهدف التحذير والبعد عن مخاطر الفتنة الطائفية ودرأ مشاكل اجتماعية لهذه الصور من الزواج ومن بينها الزواج المدني . وبناء على ماسبق يمكننا تأكيد أثر وسائل الإعلام على نشر ثقافة الزواج المدني بالسلب والإيجاب وفقاً لثقافة المجتمع ، فالمجتمعات التي تجيز الزواج المدني تساعد ايجاباً في نشر وتحفيز ودعم الزواج المدني من خلال إعلامها ، بينما المجتمعات التي يتعارض الزواج المدني مع قوانينها ومنها مصر ؛ فيؤثر الإعلام سلباً على نشر ودعم وتحفيز ثقافة الزواج المدني فيها. وهذا ما يجب على التساؤل العلمي الثالث للدراسة ومؤده: ما أثر وسائل الإعلام على نشر ثقافة الزواج المدني .

#### ب) الإنعكاسات :

##### • النتائج المتعلقة بإنعكاس الزواج المدني على طبيعة التعايش مع المجتمع

كشفت الدراسة عن إنعكاس الزواج المدني سلباً على طبيعة التعايش مع المحيط المجتمعي لاسيما للحالات التي إستقرت في مصر بشكل دائم ، فقد أشارت بيانات الحالات (الثالثة والرابعة والخامسة ) إلى وجود مشاكل مع الآخرين أثناء التعاملات اليومية ، فمنهم من لازال يخفي الزواج عن الجيران "مثل (الحالة الخامسة) ، حيث تقول " أخفينا جوازنا عن كل المحيطين بنا في سكننا الجديد في البداية، لحد ما خلفنا طفل ومسجلنهوش عشان خايفين من أهلى يعرفوا مكانا فين ، وبتعرض لضغوط من الجيران ومن الشارع ، وكل مرة جوزى بيعانى عشان يأجرشقة ويفضل يقول حجج مختلفة ، ولما بعض الناس يعرفوا بيرفضونا ، وبنفضل في خوف ، أو نسيب المكان ونمشى ، وتعبنا جداً " ، وتقول (الحالة الرابعة)"احنا عايشين في قلق دائم ، ورافعين قضية نسب زواج لأن القانون المصري بيجيز زواج المسلم من مسيحية ، لكن دايم الناس بيخافوا يختلطوا بينا ، أو يتعاطفوا معنا ، ودا مسببنا مشاكل نفسية كمان وقلق مستمر، بس لما أكسب القضية هعزم كل الناس ومش هيهمني حد"، وتقول الحالة الثالثة "أهل بابا الله يرحمه رافضين جوازى لحد النهاردة بس ماما هي اللي مصبرانى على تعامل الناس بطريقة مش كويسة

معانا ، وعشان كده ساعات كثير بنسيب البلد ونعيش فى لبنان عشان نهربوا من الجو والمعاملة هنا ."

أما الحالات (الأولى والثانية والسادسة ) فقد أكدوا على أن طبيعة ردود الأفعال فى مصر تختلف تماماً عنها فى المجتمعات التى تجيز الزواج المدنى ، وعلى الرغم من مباركة الأهل والأقربان وتشجيعهم لهذه الحالات الثلاثة ، إلا أن الوسط الاجتماعى أثناء التعاملات الحياتية لازال به ردود فعل مزعجة بالنسبة لهم تمثل تهديد فى قضاء المصالح ، أو التعامل معهم كأسرة معترف بها ، فنقول (الحالة الأولى) " مش بعرف اخلص مصلحة تخصنا كأسرة" ونقول (الحالة الثانية) "محدث بيعترف بينا فى المصالح الحكومية كأزواج ، دا غير إن لسه فى ناس متخلفة شايقة إن الجواز المدنى حرام ، هما اللى عقولهم رجعية واحنا اللى بندفع التمن ، عشان كده احنا بنسافر فترات كبيرة " . بينما صاحب(الحالة السابعة) ، فهو يستطيع التعايش بشكل إيجابى مع المحيط المجتمعى ؛ ويفسر ذلك بأنه مسلم تزوج من مسيحية أسبانية ، فهو لا يعانى من أى رفض اجتماعى .

و نستنتج مما سبق أن غالبية الحالات تتعرض لضغوط مجتمعية من المحيطين بهم أثناء المعاملات الحياتية ، ولا يستطيعون التعايش مع الآخرين بشكل طبيعى ، فهم يعانون من أشكال رفض متعددة ومختلفة منها: عدم التعاطف، عدم الرغبة فى التعاون ، النبذ و الاستهجان ، قلة الاختلاط ، البعد والنفور؛ عدم الاعتراف بالزواج، عدم قانونية الزواج فى المصالح الحكومية ؛ وهذا تسبب فى شعورهم الدائم بالتهديد وعدم الاستقرار؛ لأنهم هم فى حالة قلق وتخوف مستمر. فيؤثر الزواج المدنى سلباً على التعايش بشكل طبيعى مع المجتمع، وهذا ما يجيب على التساؤل العلمى الرابع للدراسة ومؤداه: ما انعكاس الزواج المدنى على التعايش مع المجتمع؟

#### ▪ النتائج المتعلقة بإنعكاس الزواج المدنى على التجانس والتوافق بين الزوجين (الشعور بالرضا - الشعور بالمسؤولية - الاتجاه للإنفصال)

كشفت الدراسة عن تأثير الزواج المدنى على طبيعة التجانس والتوافق بين الزوجين من حيث (الشعور بالرضا - الشعور بالمسؤولية - الاتجاه للإنفصال)، حيث أشارت بيانات (٤ حالات) هم (الحالة الأولى والثالثة والرابعة والخامسة ) إلى ضعف الشعور بالرضا وزيادة الشعور بالمسؤولية خاصة فى مواجهة الرفض والضغط المجتمعى ، وذلك



نظراً لكثرة المشكلات الناجمة عن طبيعة الزواج المدني ، فتقول (الحالة الأولى) " رغم إنى إتربيت على حرية القرار ومؤمنة بالزواج المدني وأهلى وأصحابى كانوا موافقين ، لكن ساعات لما يكون فى مصر ويتعرض لمشاكل فى المصالح الحكومية ورفضهم الزواج بحس إنى مخنوقة ومتضايقه ولازم أعيش برا على طول وبعض الأوقات اللى فيها مشاكل مع زوجى بفكر أنفصل وأعيش مستقرة فى مصر " ، وتقول (الحالة الثالثة) " عندى مشاعر متصارعة بين الرضا والرفض والمسؤولية ، مرة أحس إنى عاملة حاجة مش غلط وماما وأهل جوزى موافقين ومرة أحس إن رفض أهل بابا ورفض المجتمع للإعتراف بزواج مسلمة من مسيحي شيء صعب وإنى غلط " ، وتقول (الحالة الرابعة) " لا أنا مش راضينى اللى أنا فيه لكن بحاول أخلى المجتمع يقبل لأنى تعبانه ولسه هتعب ، أنا رفعت قضية فى المحكمة بإثبات زواجى كمسيحية من مسلم ومستتية أكسبها ، حاسة إن المسؤولية عليا أكبر لأنى بواجه رفض مجتمع كامل ولسه كمان معرفش موقف ولادى لما يكبروا هيكون أيه؟" ، وتقول (الحالة الخامسة) "معنديش ذرة شعور بالرضا ، فى الأول كنت سعيدة ومبسوطة لكن الوقتى بقيت خايفة ومرتبكة وفى مشاكل بإستمرار وحاسة إنى أنا المسؤولة عن كل المشاكل اللى أنا فيها وأحياناً بفكر أنفصل بس معنديش لسه قرار نهائى " .

بينما كشفت الدراسة عن تأثير الزواج المدني على طبيعة التوافق والتجانس بشكل إيجابى ، فقد أشارت بيانات (حالتين) هم الحالة الثانية والسادسة إلى وجود مشاعر من الرضا المتبادل والشعور بالمسؤولية المشتركة ،؛ ويُفسر ذلك بأنه زواج قائم على الحب والتوافق والرغبة الشديدة من كلا الطرفين فى البقاء مع الآخر مع التوافق فى طبيعة التربية والثقافة بين طرفى العلاقة رغم اختلاف الأديان والعقائد ، إلا أن هذا الإختلاف نجم عنه العديد من الخلافات الزوجية التى اعتبرتتها الحالتين "مشاكل زواج عادية" ، فتقول الحالة الثانية " بينا تفاهم ورضا وإحترام ومسؤولية مشتركة إلى أبعد حد، وبيننا مشاكل وخلافات عادية زى أى زواج ويمكن أقل عشان بينا حب شديد وثقافة متشابهة فى إحترام حريات الآخر " ، ويقول صاحب الحالة السادسة " طبعاً أنا وزوجتى بينا تفاهم وألفة بشكل كبير وعائشين كويس أوى ، أما المسؤولية فهى أمر طبيعى فى أى زواج ، وبالنسبة لوجود مشاكل فهى سنة الحياة كلها ، زى ما بينى وبين بابا وساعات بينى وماما بعض

المشاكل العادية". أما بيانات (الحالة السابعة) فقد أشارت إلى سلبية تأثير الزواج المدني على التوافق والتجانس ولكن بمنظور مختلف فقد يتسبب إختلاف الأديان فى اختلافات عديدة بعد الزواج ، حيث يقول صاحب الحالة " لا شك أن تشابه الأديان بيحل خلافات كثيرة واختلاف الأديان بيزود المسؤولية ويزود مشاكل فوق مشاكل الزواج العادية ، لكن أقدر أقول فى الآخر إنى راضى وعندى أمل كبير طول ما بينا حب هندوب خلافتنا سوا وهقدر أخلها تدخل الدين بتاعى". **ونستنتج** مما سبق أن الزواج المدني يعكس سلباً على طبيعة التوافق والتجانس من حيث تدنى الشعور بالرضا، وزيادة الشعور بالمسؤولية فى مواجهة رفض المجتمع وضغوط الشارع ، حتى وإن جمع الحب والرغبة الشديدة بين الأطراف إلا أن إختلاف الأديان حتماً يترتب عليه إختلاف يتضح ويتفاقم مع مشاكل الحياة بعد الزواج .وهذا يجيب عن التساؤل العلمى الخامس للدراسة ومؤداه: ما انعكاس الزواج المدني على التوافق والتجانس بين الزوجين ؟

### (٣)- الأبعاد القانونية : النتائج المتعلقة بقانونية عقد الزواج وأثاره

#### (الإطار الدستوري - الإطار القانونى - الإطار الحقوى)

إ-الإطار الدستوري : مازال الزواج المدني فى مصر فى أضيق الحدود، وهو ما أكدته حالات الدراسة الثلاثة "المحامون من أصحاب الخبرة" مفسرين ذلك فى ضوء أن "الدستور المصرى لا يعترف بالزواج المدني ، وقد أرجعوا ذلك بالإجماع إلى أن المادة الثانية من الدستور نصت على أن "الإسلام دين الدولة، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع". وبالتالي الدستور المصرى لا يعترف بتلك الزيجات ولا يكسبها أية حقوق، لاسيما و أنه يقف حائلاً أمام زواج المسيحي من المسلمة ؛ لكون ذلك يخالف نص المادة ٥٣ من الدستور ويعد تمييزاً لا مبرر له. ب-الإطار القانونى :فى ضوء الدستور لا يوجد قانون مصرى يعترف بالزواج المدني كما أشارت استجابات حالات الدراسة الثلاثة من أصحاب الخبرة ، فقد أجمعوا على أن حالات الزواج المدني الموجودة فى مصرتم إبرام عقد زواجها إما خارج مصر أو بشكل عرفى غير رسمى. وعند الإحتكام للقضاء بهدف توثيق أو إثبات عقد الزواج ينظر القاضي فى مواصفات الزواج المدني هذا فإن توافرت فيه أحكام العقد الصحيح حكم بصحته، وإن ثبت ثمة تعارض مع الدستور والقانون حكم بفساده . وإن تم بلا شهود حكم بوجوب فسخه، وفى حال فقدانه لكل مقومات العقد الصحيح حكم

ببطلانه تماماً. كما أكدت حالات الدراسة من ذوى الخبرة على أن الزواج المدني لا يطبق في مصر ولا يعترف به قانونياً إلا في الشهر العقارى فى وزارة العدل على غرار الزواج من أجنبى أو الزواج المختلط ويكون بين مسلم ومسيحية .وفى ضوء تواجد الأجنبي على أرض الدولة والإعتراف له بمجموعة من الحقوق، لاسيما منها الحقوق المدنية كحق الزواج الذي نصت عليه المواثيق الدولية ومثالها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨ إذ تنص المادة ١٦ منه على أن: " للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة، دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، و لهما حقوق متساوية عند الزواج. ولكون العلاقات المتضمنة عنصر أجنبي تتصل بعدة دول، فإذا أثير نزاع بشأنها وطرح الأمر على القضاء الوطني يشكل تنازعا بين القوانين التي ترتبط به، لتحديد القانون الملزم لحكم هذا النوع من العلاقات. وقد يُبرم الأجنبي عقد زواجه مع أحد مواطني الدولة التي يقيم فيها، أو أحد مواطني دولة أخرى لا يحمل جنسيتها على إقليم الدولة التي يقيم فيها، فإن هذه العلاقة يتسلل إليها العنصر الأجنبي في أشخاصها، وذلك لكون أطراف العلاقة مختلفي الجنسية مما يضي على العلاقة وصف " الزواج المختلط"، فيظهر أكثر من قانون للتطبيق عليها .ويعتبر الزواج المختلط من أهم مسائل الأحوال الشخصية وأفسحها مجالا لتنازع القوانين نظر لإختلاف نظرة المجتمعات إليه ، سواء من حيث أركانه أو شروطه أو شكلياته، كما تختلف كذلك في تحديد آثاره، وهذا ما أثبتته أيضاً دراسة (ديدى، الهام ، ٢٠١٦، ص ب). ففى ضوء هذه الأسباب طبقت بعض الدول فكرة الزواج المدني وسنت له تشريعاً كاملاً يجيز العقد ويحدد الحقوق والواجبات، ومن ثم تُعد تونس أول دولة عربية تطبق الزواج المدني بشكله الحديث ؛حيث يُعد إقرار تونس في عام ١٩٥٦ بزعامة رئيسها الأسبق "الحبيب بورقيبة" تشريع الزواج المدني، كأولى الدول العربية التي خطت على خطى أوروبا، فيما يتعلق بفصل الدين عن القانون والأحوال الشخصية، عندما، نصّ قانون الأحوال الشخصية على منع تعدد الزوجات، وعليه فإن التنازع بين القوانين في الزواج المدني لا يظهر فقط إذا كانت هذه العلاقة موضوع دعوى أمام المحاكم للفصل فيها، بل أنه قائم منذ اللحظة التي تنشأ فيها العلاقة القانونية، لأن نشوء هذه العلاقة في أصلها يتطلب تحديد القانون الذي يحكم وضعها شكلاً وموضوعاً، وتحديدته يثير تزامم بين قوانين الدول التي تحكم علاقة الزواج و في كل حال فإن العلاقة القانونية تمر بثلاث

مراحل ، أولهما :تعيين القانون الواجب التطبيق أثناء إبرام عقد الزواج المدني ، و ثانيهما :تطبيق هذا القانون على العلاقات ذات العنصر الأجنبي. وثالثهما النزاع أمام القضاء . ومن ثم تكشف الدراسة عن أن الزواج المدني هو الزواج الذي يتم توثيقه، وتسجيله في المحكمة ،ويعتمد أساساً على إلغاء الفروق الدينية والمذهبية والعرقية، بين كل من الرجل والمرأة. ولا يمنع الزواج المدني من إرتباط شخص مسلم، بشخص مسيحي أو يهودي أو العكس. ويتم الزواج المدني بين الزوج والزوجة، بحضور كاتب العقد ، وهذا النوع من الزواج معترف به قانونياً في بعض الدول الأجنبية وليس هذا فحسب وإنما في بعض الدول العربية وفي مقدمتها تونس ، أما مصر فلا تعترف بهذا الزواج المدني ولا تقر بصحته أو إثباته في المحاكم ؛ لكونه يتعارض مع نصوص القانون ومبادئ الدستور ويعود ذلك للإعتبارات الدينية والاجتماعية للزواج كنظام قانون .ويظهر تنازع القوانين في الزواج المدني في مناسبات عديدة حسب كل نزاع، فقد يظهر عند انعقاده وتوثيقه أو في آثاره وانعكاساته على الأفراد والمجتمع.

**ج-الإطار الحقوقي** :أشارت استجابات حالات الدراسة الثلاثة إلى أن الزواج المدني يضمن للمرأة حقوقاً منها عدم السماح للرجل بأن يتزوج امرأة ثانية، فضلاً عن كونه يساوي بين الزوجين بالإنفاق، كما أن الزواج المدني يعطي حق الطلاق للزوج والزوجة بالتساوي، فللمرأة الحق بتطبيق نفسها. وهذا يختلف مع الزواج القائم على الضوابط الدينية مثل الزواج الإسلامي والزواج المسيحي، كما أشارت بيانات دراسة الحالات الثلاثة إلى أن كلا الزوجين يتمتع في الزواج المدني بكافة الحقوق المدنية (اجتماعية أو سياسية أو خدمية). وعليه فلا يجوز لأي من الزوجين مخالفة العقود المدنية، لأن من يخالفها فهو مخالف للقانون في الدولة التي أقرت هذا النوع من الزواج. **وهنا يمكن تحديد الفرق بين الحقوق في الزواج المدني والزواج الإسلامي** : حيث لا يسمح الزواج المدني بتزويج شخص متزوج، أما الدين الإسلامي فيسمح للرجل بأربع زوجات. كما أنّ الزواج المدني يسمح للزوجين بالإنفاق، أما في الزواج الإسلامي تكون النفقة على الزوج ، هذا فضلاً عن أن الزواج المدني يعطي حق الطلاق للزوجين معاً أما الزواج الإسلامي فيجعل الطلاق في يد الرجل وللزوجة حق طلب الفرقة بالخلع أو بالتطليق . ويعطى الدين الإسلامي للأب القوامة وحق نسب الأبناء بينما الزواج المدني يعطى هذا الحق لكلا

والوالدين . كما يسمح فلزواج المدني للمسلمات الراغبات في الزواج من ديانة آخر. ولكي يتضح مفهوم الزواج المدني يمكننا أيضاً توضيح الفرق بين الحقوق في الزواج المدني والزواج المسيح؛ فالزواج المسيحي يكون بمباركة الكنيسة من خلال عقد رباط مقدس لا يسمح بالتطليق إلا بوفاة أحد الزوجين ويكون بين أبناء الدين المسيحي والطائفة المشتركة. أما الزواج المدني يجيز "زواج المسيحية من مسلم والمسيحي من مسلمة ، فلهما الحق في الزواج مدنياً، حيث يُسقط الزواج المدني كل الفوارق الدينية والمذهبية بين رجل وامرأة يريدان الارتباط ببعضهما والعيش سوياً تحت سقف واحد، وبناءً عليه فلا مانع من زواج الكاثوليكي بالأرثوذكسية و العكس، ولا مانع من زواج المسلمة بالمسيحي وقد يجمع هذا الزواج شريكين من الطائفة نفسها أو طوائف وأديان مختلفة " .ومما سبق كشفت بيانات الدراسة مع الحالات الثلاثة من أصحاب الخبرة في موضوع الدراسة أن عقد الزواج المدني وإن كان معترف به في كثير من الدول التي سنت له تشريعات وأقرت له حقوق وضوابط بعيداً عن الضوابط الدينية من باب المواطنة والحرية والمساواة ، إلا أنه لازال غير قانوني في مصر ولا يوجد له أية نصوص قانونية تقر بصحته ، أو تجيز إثباته ؛ لأنه يتعارض مع الدستور الذي نص على أن الدين الإسلامي هو دين الدولة وعليه يتم تنظيم مسائل الزواج بين الأفراد ، وإذا كانت هناك بعض الحالات لهذا النوع من الزواج فغير معترف بها قضائياً لمخالفتها ضوابط الزواج الرسمي ، والحالة الوحيدة التي يعترف بها في مصر هي الزواج المدني على غرار الزواج من أجنب شريطة ألا تتعارض بنود الزواج مع القوانين المصرية والضوابط الشرعية .

كما كشفت الدراسة عن أن الحقوق المدنية التي يكفلها الزواج المدني للمرأة لا تتناسب مع الضوابط الدينية والتشريعية في مصر ، بل تتعارض صراحة مع الحقوق التي أقرها الزواج الإسلامي بمباركة الأزهر ، أو الزواج المسيحي بمباركة الكنيسة وهذا يجب على التساؤل العلمي السادس للدراسة ومؤداه: ما قانونية عقد الزواج المدني دستورياً، وقانونياً، وحقوقياً ؟

#### ٤) وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في تنامي ظاهرة الزواج المدني

كشفت الدراسة عن تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على إنتشار الزواج المدني ، بل عن أهمية الدور الذي تؤديه في التعارف والتواصل والحوار وتمهيد الوصول إلى قرار

الزواج المدني ، وأثارها في زيادة مستوى تنامي الظاهرة بشكل سريع من خلال تقليص المسافات بين الأفراد ، وخلق ثقافة النسق العالمي التي تتيح التواصل بحرية وسهولة وسرعة بين الأفراد دون قيود الدول والأديان والأجناس واللغات ، فقد أصبح العالم الرقمي مجالاً خصباً لحوار الأديان وتبادل العلاقات وفقاً لمقاييس التجانس والتوافق ، أو الإختلاف والتنافر، ولا شك أن المجال الرقمي مهّد بيئة خصبة لإنتشار وتنامي ظاهرة الزواج المدني بين مختلف الأديان والجنسيات ، فخلق فعل تواصلى لهؤلاء الأفراد. فقد كشفت نتائج الدراسة عن التأثير الفعال لشبكات التواصل الاجتماعي على الحالات (من الأولى إلى السابعة)، نظراً لما وفرته من وسائل للتعرف على ثقافات الآخرين الفكرية والعلمية والعقائدية في مختلف المستويات ، وزيادة مستوى الوعي الثقافي حول ظاهرة الزواج المدني؛ والتي كانت سبباً لتوفير مجال يتم فيه تمهيد الفعل التواصلى حول ظاهرة الزواج المدني من خلال طرح المجال الرقمي أمام جميع الأفراد فى النسق العالمي ؛ قأتاح سولة التعارف وبسط كيفية التواصل و ساعد على فهم أفكار الآخرين من خلال آليات لتبادل المعلومات والخبرات .

وقد أثر ذلك على تشكيل الأفكار وإعادة بناء الروى والأيديولوجيات لدى حالات الدراسة. حيث باتت وسائل التواصل الاجتماعي على شبكات الإنترنت بمثابة فتح قنوات تواصل عالمية ومحلية غيرت من شكل النسق المجتمعى وخلقّت نسق اجتماعى عالمى أو بيئة فضائية تتيح مجال رقمى بديل للتواصل من خلال تقليص المسافات الجغرافية والأوقات الزمنية فى مجموعات للتواصل وتبادل الأفكار والقضايا ، وهى ماتسمى بالجروبات على الفيس بوك ، فقد كشفت الدراسة عن اشتراك جميع حالات الدراسة السبع فى "جروبات للزواج المدني " تحت مسميات مختلفة مثل "جروب الزواج المختلط " "نعم للزواج المدني" "الزواج المدني إلى جميع الدول " الزواج من أجنبيات" " ادمع الزواج المدني "" "الزواج بين الأديان " ، حيث تقول الحالة الأولى "دخلت الجروبات عادى لأننى مؤمنة بيه وبشجعه" ، وتقول الحالة الثانية " أنا مشتركة فى جروبات الزواج المدني من أول مافكرت فيه" ، وتقول الحالة الثالثة "دخلت فعلاً عشان اشوف الحالات اللى مثلى عاملين أيه وأعرف تجاربهم" ، وتقول الحالة الرابعة " دخلت جروب الزواج من مسيحيات مدنى عشان يدعمنى ويشجعونى "وتقول الحالة الخامسة" بتابع جروبات زواج مدنى كثير

عشان بيرفعوا عنى الهموم والضغط شوية" ويقول صاحب الحالة السادسة " بتابعهم ومشارك معاهم وبشجع على الزواج المدني لأنه حرية شخصية وفيه إحترام للأديان عشان بعد الزواج كل واحد يفضل على دينه " ، بينما يقول صاحب الحالة السابعة " أنا اتعرفت على مراتى من الفيس ومشارك فى مجموعات الزواج من أجنب"،

وهكذا كشفت نتائج الدراسة عن تأثير مواقع وشبكات التواصل الاجتماعى على إنتشار ظاهرة الزواج المدني وتناميها من خلال تقديم الدعم والتحفيز والتشجيع وتوفير سبل التواصل والتقارب الفكرى والثقافى .وهذا ما يجيب على التساؤل السابع للدراسة ومؤداه: ما أثر وسائل التواصل الاجتماعى على انتشار وتنامى ظاهرة الزواج المدني؟

### سادساً: نتائج الدراسة وطرح التوصيات

#### (أ) الأبعاد الاجتماعية:

- كشفت الدراسة عن أن الوعي الثقافى للأسرة يُعد من أبرز المحاور التى أثرت تأثيراً فعلياً فى الإقبال على هذا النوع من الزواج ، وذلك نظراً لإختلاف المعايير والسمات الثقافية والمعرفية التى تمتلكها كل أسرة على حدة ، والتى ترتبط بطبيعة وخصائص البيئة الاجتماعية والتربوية والتعليمية سواء أكانت (مكان التنشئة - مكان الإقامة - طبيعة التبادل والاختلاط بين بيئات متعددة- تأثير البيئة التعليمية الخارجية فى بعض الحالات ) ؛ مما ساعد على امتزاج العديد من الأفكار والإتجاهات والملاحم القيمية لبيئات متعددة ؛ فخلق مستوى من الوعي الثقافى مغاير تماماً للثقافة المصرية الخالصة التى ترفض الزواج المدني قانونياً وعقائدياً. وقد تجسد تأثير الوعي الثقافى للأسرة فى موقف الأبناء من التفكير فى الزواج المدني والإقبال عليه ، كما تجسد فى موقف الأسر من إقبال أبنائهم عليه
- تبين تأثير جماعة الأقران والأقارب على دعم وتحفيز الزواج المدني سلباً وإيجاباً ، فقد كشفت الدراسة عن الكيفية التى أثرت بها هذه الجماعات على استعداد الحالات ودافعيتهم ايجاباً وقت اتخاذ قرار الزواج المدني والتى تنوعت بين الدعم والتشجيع المعنوى ، أو مباركة الزواج بالحضور، أو محاولة تخفيف الضغوط الاجتماعية عن

كاهل الحالات ، وأيضاً التأثير السلبي بالرفض ، أو المعارضة ، أو النصح بتغيير الطرف الأخر لديانته

- أثرت وسائل الإعلام على نشر ثقافة الزواج المدني بالسلب والإيجاب وفقاً لثقافة المجتمع ، فالمجتمعات التي تجيز الزواج المدني تساعد ايجاباً فى نشر وتحفيز ودعم الزواج المدني ، بينما المجتمعات التي يتعارض مع قوانينها ومنها مصر ؛فيؤثر الإعلام سلباً على نشر ودعم وتحفيز ثقافة الزواج المدني فيها
- كشفت الدراسة عن إنعكاس الزواج المدني سلباً على طبيعة التعايش مع المحيط المجتمعي لاسيما للحالات التي إستقرت فى مصر بشكل دائم .كما كشفت الدراسة عن تأثير الزواج المدني سلباً على طبيعة التجانس والتوافق بين الزوجين من حيث (الشعور بالرضا - الشعور بالمسؤولية - الاتجاه للإنفصال)
- كشفت الدراسة عن تأثير وسائل التواصل الاجتماعى على انتشار الزواج المدني ، بل عن أهمية الدور الذى تؤديه فى التعارف والتواصل والحوار وتمهيد الوصول إلى قرار الزواج المدني ، وأثارها فى زيادة مستوى تنامى الظاهرة بشكل سريع من خلال تقليص المسافات بين الأفراد ،وخلق ثقافة المجال العام الرقمية الذى يتيح التواصل بحرية وسهولة وسرعة بين الأفراد دون قيود الدول والأديان والأجناس واللغات ، فقد أصبح العالم الرقمية مجالاً خصياً لحوار الأديان وتبادل العلاقات وفقاً لمقاييس التجانس والتوافق أو الإختلاف والتنافر

#### (ب) الأبعاد القانونية :

- **الإطار الدستوري :** مازال الزواج المدني في مصر في أضيق الحدود، لاختلافه مع المادة الثانية من الدستور وهو ما أكده "المحامون أصحاب الخبرة".
- **الإطار القانوني :** لا يوجد قانون مصرى يعترف بالزواج المدني ، وعليه فإن حالات الزواج المدني فى مصرتم إبرام عقد زواجها إما بالخارج أو بشكل عرفى غير رسمى. وعند الإحتكام للقضاء للتوثيق أو للإثبات ينظر القاضي في مواصفات الزواج المدني هذا فإن توافرت فيه أحكام العقد الصحيح حكم بصحته، وإن تبين تعارض مع القانون حكم بفساده وان تم بلا شهود حكم بوجوب فسخه، وفى حال فقدان العقد لكل مقومات العقد الصحيح حكم ببطلانه تماماً. فالزواج المدني لا يطبق فى مصر ولا



يعترف به قانونياً إلا في الشهر العقارى فى وزارة العدل على غرار الزواج من أجنبى أو الزواج المختلط ويكون بين مسلم ومسيحية.

▪ **الإطار الحقوى:** إن الحقوق المدنية فى الزواج المدنى للمرأة لا تتناسب مع الضوابط الدينية والتشريعية فى مصر، بل تتعارض صراحة مع الحقوق الذى أقرها الزواج الإسلامى بمباركة الأزهر أو الزواج المسيحى بمباركة الكنيسة.

### (ج) النتائج فى ضوء الدراسات السابقة :

تؤكد الدراسة على أن تشريعات إيجاز الزواج المدنى تهدف إلى إبعاد الدولة والأفراد عن الاحتكام للأديان السماوية (الإسلام والمسيحية) من خلال كسر الحدود والتعدى على الموانع الربانية والتي من بينها زواج المسلمة من مسيحى والتحرر من القيود الدينية بحجة المواطنة والوحدة الوطنية، وهى فى ذلك تتفق مع نتائج دراسة (كبارة، عبد الفتاح، ١٩٩٤). كما تتفق مع نتائج دراسة (الرفاعى، ردينا، ٢٠١٧) فى التأكيد على أن تحقيق الإستقرار الأسرى من أهم مقاصد الزواج، والزواج المدنى، والزواج العرفى، وزواج المثليين، وزواج الأصدقاء هى صوراً غير مشروعة للإختلال فى الأصل أو الوصف ولتناقضهما مع مقاصد عقد الزواج ومآلاته التى من أهمها تحقيق السكن والإستقرار. وأخيراً تتفق النتائج الراهنة مع نتائج دراسة (مريم، بلخيرى-أمباركة، مختارى ٢٠١٧) من حيث أن تداعيات الزواج المدنى مثل تداعيات الزواج المختلط فى الإنحلال لإثارة مشاكل منها الحضانة، والنفقة، والميراث، والجنسية، والنسب فى حال استمرار الزواج أو انحلاله.

### (د) النتائج فى ضوء قضايا نظرية المجال العام :

تفسر نظرية المجال العام تنامى ظاهرة الزواج المدنى على مواقع التواصل الاجتماعى؛ فمما سبق يمكن تطبيق قضايا النظرية واختبار صدقها فى فهم وتفسير اسباب تنامى الظاهرة والوقوف على أبعادها الاجتماعية والتشريعية وكيفية اتخاذها من الأوساط الإلكترونية مساراً طبيعياً لها عوضاً عن الواقع المعاش، ويمكننا مناقشة النتائج وتفسيرها فى ضوء القضايا النظرية كما يلى :

(١)- يساعد تكوين الفضاءات الافتراضية عبر الشبكات الاجتماعية الإلكترونية للمجال العام على فكرة المقارنة بين المجتمع الافتراضى والمجتمع الواقعى (حجازى، ٢٠٠٩ :

٧) . حيث يساهم الحيز الافتراضى حتى وان كان مادياً فى بناء مجال عام بديل يوفر التفاعلية الاجتماعية ورأس مال بشرى وقواعد انتاج معلومات كبيرة لترويج ونشر الإهتمامات والقضايا المشتركة لداعمى الزواج المدنى ، خاصة فى ظل عدم قدرة الأفراد على استخدام الفضاءات التقليدية لطرح قضاياهم ، كما هو الحال بالنسبة لموضوع الدراسة الذى لم يلقى إعترافاً تشريعياً أو شرعياً من خلال المجال التقليدى للواقع المعاش فى المجتمع المصرى ، فإستعاض عنه المهتمون بهذه القضية وأصحاب التجارب والحجج الإقناعية من وجهة نظرهم فى خلق مجال عام فى المجتمع الافتراضى من خلال مجموعات (الفيسبوك)؛ ليجمع أفراد كثر بأجناس ولغات وبيئات وثقافات مختلفة ، جمعتم إهتمامات وقناعات وحجج متشابهة حول ضرورة الإعتراف بالزواج المدنى.

وهذا يتفق مع ما أكدته Zize Papache Rissi حول أن الإنترنت ساعد فى تشكيل المجال العام البديل الذى يضم الأفراد الخارجين عن علاقات القوة والمهمشين، والمقصود بالمهمشين هم الأفراد الذين لم تمكنهم إمتيازاتهم من المشاركة فى المجال العام بشكل تفاعلى ايجابى. ( Rissi, 2002: P.15 )

٢)- اثبتت وسائل الإتصال الحديثة فى حالات عديدة قدرة هائلة على تمكين الخطاب البديل ، وفرض وسائل نشر وتواصل بديلة ، وتقويض العراقيل فى قضية الزواج المدنى وصولاً إلى إعادة ترتيب إهتمامات وقضايا وأولويات الفاعلين كرد فعل عنيف للواقع الاجتماعى ، والتخلص من رقابته والحد من المسموحات والممنوعات (بن زروق ، سوهيلة ، ٢٠١٧ : ١٩١) كعدم الإعتراف قانونياً بالزواج المدنى فى مصر . فبدلاً من الاستسلام والإلتزام بالقوانين ، سعى أصحاب المصالح والحجج الإقناعية الدلالية إلى خلق مجال إفتراضى بديل من خلال مواقع التواصل الاجتماعى يجمع كل من له إهتمامات بالزواج المدنى ولا يستطيع فرضها وتطبيقها فى الواقع.

٣) - إن النظرية فى بنياتها الجديدة تعتمد على محاولة فهم حدود الدور الذى تقوم به وسائل التواصل الاجتماعى فى إتاحة النقاش العام والتفاعل حول القضايا التى لم تلقى مساراتها بشكل طبيعى ، وتسهيل بلورة توافقات من أجل تعزيز المشاركة ودعم كفاءة الفعل الديمقراطى الدلالى (اللبن ، ٢٠١٦ : ١٣) فقد جاءت المواقع الاجتماعية والإنترنت عامة ليشكل عالماً إفتراضياً يفتح الباب للأفراد والجماعات بمختلف أنواعها لتتنسم الحرية غير

المسبوقة وإسماع صوتها للأخرين. (بن زروق ، سوهيلة ، ٢٠١٧ : ١٩٢) وهذا ما شجع أصحاب تجارب الزواج المدني وأصحاب المصالح والمنادين بتطبيقه ، من اتخاذ وسائل التواصل الاجتماعي منصات لهم للنشر والدعاية والترويج والتواصل والتفاعل فيما بينهم كمجموعات تشجع وتتحدى بشرعية الزواج المدني. ومن ثم تحققت قضايا ومنطلقات نظرية المجال العام بشكل رقمي دعم قضية الفعل التواصل، وقضية الإهتمامات المشتركة وقضية الحرية وقبول الآخر ، وأخيراً قضية النقاش الحواري بدلالات وحجج اقناعية ، ساعدت جميعها في خلق مجال عام رقمي عبر وسائل التواصل الاجتماعي .

### (و) التوصيات

(١) مراعاة سن قوانين حديثة تتناسب مع إنتشار الظواهر السلبية عبر المجال الرقمي الذي فرض قدرته على إيجاز ممنوعات الواقع المعاش من خلال وسائل التواصل الاجتماعي كقضايا المثلية ، او الإلحاد ، أو الزواج المدني... الخ، كأن يتم توقيع عقوبة على من ينادى ويجاهر بعكس ما تسمح به القواعد التشريعية التي تهدف إلى مجابهة التهديدات والمخاطر الاجتماعية للزواج المدني؛ لعدم توافقه مع طبيعة المجتمع المصري ، فضلاً عن كونها مخالفة صريحة للدستور في مادته الثانية.

(٢) إتخاذ اجراءات وقائية من قبيل (ندوات وحملات توعية ومبادرات وبرامج حماية) ضد مفردات الغزو الثقافي وقضاياها التي تستهدف الشباب والأسر بحروب الجيل الرابع التي من بينها نشر ثقافة التعدي على القوانين وعدم احترام الضوابط الدينية والتشريعية، تلك التي تفرضها الأنظمة على شعوبها من أجل تحقيق الضبط والإستقرار، مستخدمين في ذلك تزييف الوعي وتشتيت الإدراك وإستهداف تدمير الأسر، ومعها تشويه علاقات النسب وإختلاط مسائل الإرث والجنسية والنسب على الشعوب ، بل وضعها في مواجهات مع الأنظمة سيما المستقرة ومنها مصر .

(٣) تزويد المناهج الدراسية بمستحدثات آليات الحروب وكيفية إستهداف الدول بأفكار لا تتناسب مع طبيعة المجتمعات العربية وموروثاتها الثقافية وهويتها . وحث الأفراد في مراحل عمرية مبكرة بخطورة الإتجاهات الفردية التي لا تتوافق مع الصالح العام لقدرتها على هدم أركان الأسرة المصرية وضياع حقوق الأبناء .

٤) إعطاء أولوية في وسائل الإعلام للتوعية بمخاطر ومهددات البناء الأسرى ، وتوفير مساحة لمناقشة هذه القضايا في الدراما المصرية لتوضيح المهددات على مستوى الفرد (الزوجة - الأبناء ) ، وعلى مستوى الجماعة (الأسرة) وعلى مستوى الدولة (مخالفة النظام والدستور والقوانين) وعلى المستوى المجتمعي (ضرب النسق الاجتماعي وإستهداف أنظمتها وزعزعة الضبط والإستقرار ، وخلق مجال عام بديل عبر الواقع الرقمي يسير عكس إتجاه المجال العام في الواقع المعاش) .

٥) تشجيع البحث العلمي لدراسة قضايا تمثل خطراً واقعياً أو محتملاً والأخذ بمخرجاته في تفسير الظواهر والمشكلات المجتمعية وتفعيل آليات المعالجة التي تمس إستقرار الواقع منها. من قبيل مخاطر ثقافة التواصل عبر النسق العالم - الغزو الفكري وإستهداف حروب الجيل الرابع لفئة الشباب- تجديد الخطاب الديني والحفاظ على ثوابت الدين والهوية الوطنية- المرأة والعولمة الناعمة كمهدد للإستقرار الأسرى- السياسات التشريعية والعالم الرقمي- مخاطر الإمتثال الاجتماعي على بنية وفعل النسق- مهددات الذكاء الاصطناعي على البرمجة العقلية والتوجهات الاجتماعية

### سابعاً: المراجع والمصادر

#### أولاً: العربية

١. الرفاعي، سالم عبد الغني (٢٠١٨): أحكام الأحوال الشخصية للمسلمين في الغرب، أطروحة دكتوراة، دار ابن حزم، (بيروت)، ط١.
٢. الرفاعي، جميلة -القواسمي، أمل (٢٠٠٧): الزواج المدني في فقه الجاليات المسلمة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، (الأردن) مج٥، ع١.
٣. الرفاعي، ردينا ابراهيم حسين (٢٠١٧): صور الزواج المستحدثة وأثرها على الاستقرار الأسري، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، (الأردن)، مج١٣ ، ع١٣٤.
٤. العلاونة، حاتم سليم(٢٠١٢): دور مواقع التواصل الاجتماعي في تحفيز المواطنين على الحراك الجماهيري ، ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي السابع عشر "ثقافة التغيير" ،كلية الآداب ، جامعة فلادلفيا، عمان ، الأردن ، تشيرين الثاني ، (الأردن).

٥. القطاقفة ، محمود(٢٠١١) : علاقة الإعلام الجديد بحرية الرأى والتعبير فى فلسطين الفاييبوك نموذجاً المركز الفلسطينى للتنمية والحريات الاعلامية ،(فلسطين).
٦. اللبان ،محمود درويش ( ٢٠١٦): الإعلام البديل صوت الناس، المركز العربى للبحوث والدراسات .
٧. المادة ١٦ من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان . اعتمد بموجب قرار الجمعية العامة ٢١٧ ألف (د.٣) المؤرخ فى ١٠ كانون الأول الموافق ١٠ ديسمبر ١٩٤٨.
٨. بن زروق،جمال ، سوهيلة،بضياف(٢٠١٧): الشبكات الاجتماعية الإلكترونية تطبيق نظرية المجال العام لهابرماس فى البحوث العربية، جامعة الجلفة ، مجلة أفاق للعلوم،(الجزائر)،٨ع، ٢ج، جوان .
٩. بوشوشة، علاوة(٢٠١٧): الزواج بين العقد العرفى والعقد المبنى وأثره على الأسرة- مقارنة فى ضوء الفقه الإسلامى وقانون الأسرة الجزائرى والتطبيقات القضائية لدى المحكمة العليا "، جامعة الجلفة ، مجلة أفاق للعلوم ، (الجزائر)، ع ٧ .
١٠. جودة ،عبد الوهاب (٢٠١١): التوجهات المنهجية لأطروحات الماجستير فى قسم الاجتماع بجامعة السلطان قابوس، ورقة مقدمة إلى الملتقى العلمى وتفعيل دورها الأمنى.
١١. جیدنز، انتونى (٢٠١١):علم الاجتماع مع مدخلات عربية .(ترجمة) فايزالضباغ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،(لبنان).
١٢. حجازى ، إسلام (٢٠٠٩): الثقافة الافتراضية وتحولات المجال العام السياسى فى مصر، ظاهرة الفاييبوك فى مصر نموذجاً،المركز الدولى للدراسات المستقبلية والاستراتيجية ،(مصر).
١٣. حسن ، على (٢٠١٦): العلاقة بين الاتصال عبر مواقع الشبكات الاجتماعية والمشاركة السياسية للشباب -دراسة تطبيقية على انتخابات رئاسة الجمهورية فى مصر ، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ،(مصر)،مج٤٣، ع ١
١٤. دياب، فوزية(٢٠٠٣): القيم و العادات الاجتماعية. ط ٢، مكتبة الأسرة، القاهرة، (مصر).

- ١٥ . ديدى، إلهام (٢٠١٦): تنازع القوانين فى الزواج المختلط ، تخصص قانون أسرة ،كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادى(الجزائر).
- ١٦ . عبد المولى ، السيد محمد (٢٠١٤): شبكات التواصل الاجتماعى وأثرها على الأمن الفكرى لدى طلبة التعليم الجامعى بالبحرين ، المجلة العربية لضمان جودة التعليم العالى (البحرين)، مج٧، ١٥٤.
- ١٧ . قدار، مرزوقى (٢٠١٢) : اتجاه المشرع الجزائرى نحو العقد المدنى فى الزواج، دراسة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة وهران ، بلقايد (الجزائر).
- ١٨ . كبتارة ، عبد الفتاح(١٩٩٤): الزواج المدنى - دراسة مقارنة ،دار الندوة الجديدة، بيروت، (لبنان).
- ١٩ . كبتارة، عبد الفتاح(٢٠٠٦): الزواج المدنى ومشروع قانون الأحوال الشخصية اللبناى، دار النفائس، بيروت، (لبنان)
- ٢٠ . مرتضى، مصطفى (٢٠١٠): الانعكاسات الاجتماعية لإستخدام تكنولوجيا المعلومات - دراسة ميدانية لتأثير الإنترنت فى الأسرة المصرية ،مجلة بحوث الشرق الأوسط ،مركز بحوث الشرق الأوسط، (مصر)، ع٢٧.
- ٢١ . مريم، بلخیری-أمباركة ، مختارى(٢٠١٧) : الزواج المختلط وأثاره، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة زيان عاشور ، الجلفة،(الجزائر).
- ٢٢ . منصور، أشرف حسن(٢٠٠٢): نظرية هابر ماس فى المجال، مجلة أوراق فلسفية ، دار المنظومة(مصر)، ع٧٤.
- ٢٣ . موسى، عبد الفتاح تركى (٢٠١٦):وعى مستخدمى الإنترنت بالجوانب الايجابية والسلبية الخاصة بها -دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة جنوب الوادى ، حوليات آداب عين شمس ،كلية الآداب،(مصر) ،مج٤٤، ع. يوليو -سبتمبر.
- ٢٤ . وهبة، الزحيلي (٢٠٠٦): فتاوى معاصرة، دار الفكر، دمشق، ط٢.

## ثانياً: الأجنبية

1. "Civil Marriage v. Civil Unions", National Organization for Women, Retrieved,(2020). Available at: <https://now.org/resource/civil-marriage-v-civil-unions/>
2. Carlson, Daniel L. & et al. (2020); "Division of Housework, Communication, and Couples' Relationship Satisfaction". *Socius: Sociological Research for a Dynamic World*, Vol.6, Dec. 2020,. available at: <https://08113p83j-1106-y-https-doi-org.mplbci.ekb.eg/10.1177/2378023120924805>
3. Civil marriage", Cambridge Dictionary, Retrieved(2020). Edited. available at:<https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/civil-marriage>
4. Cole, Brian P. & et al. (2021); "Doing It All For My Baby: Determinants of Multidimensional Paternal Involvement with Infants". *Journal of Family Issues*, Vol.42, Issue.3, Mar. 2021, pp. 599– 625.
5. Dahlberg, Lincoln(2001): *The internet and Democratic:Discourse Exploring the prospects of online deliberative froms extending the public sphere, information communication and society*, vol 4, Issue 4.
6. Danah m. Boyd, Nicole B.Ellison (2010), *Social network sites; Definition, history and scholarship*, *Journal of computer mediated communication*, vol13, issue 1.
7. Denesha, Samaratny (2021); "Gendering The Legal Complex Women in Sri LANKA· S Lgal Profession". *journal of law and society*, volume. 47,Issue. 52, 23 , November.
8. Eller, Klass Hendrik( 2020); " Comparative Genealogies of Society". *Journal: German Law Journal* , Volume. 21 , Issue. 7 , October 2020, Published online by Cambridge University Press: 19 October 2020, p1393-1410, Print publication: October 2020.
9. Federici, Raffaele (2020); "An Uncertain Global Environment. Social Extremity, and Sociology of COVID-19". *Journal of Scientific & Technical Research*, Volume 26, Issue 4
10. Fenwick, Tara (2010); " Actor- Network Theory In Educatin"(ANT), p.13 .available at: (<http://books.google.com.eg/books?id=tSIzkaSbZJ8C&printsec=>

[frontcover&dq=actor+network+theory&hl=ar&ei=eRDcTvGLOImi8gPamPTcDQ&sa=X&oi=book\\_result&ct=result&resnum=4&ved=0CDsQ6AEwAw#v=onepage&q&f=false](https://www.frontcover.com/actor+network+theory&hl=ar&ei=eRDcTvGLOImi8gPamPTcDQ&sa=X&oi=book_result&ct=result&resnum=4&ved=0CDsQ6AEwAw#v=onepage&q&f=false)

11. Gennetian, Lisa A. & et al. (2020); "How Much of Children's Time in Nonparental Care Coincides with Their Parents' Time at Work?". *Socius: Sociological Research for a Dynamic World*, Vol.5, Dec. 2019. (available at: <https://08113p83j-1106-y-https-doi-org.mplbci.ekb.eg/10.1177/2378023119894848> - Search (bing.com))
12. Hendry, Jennife ( 2020); " Socio-Legal Studies in Germany and the UK : Theory and Methods" Naomi Creutzfeldt, Christian Boulanger. *Journal: German Law Journal* , Volume. 21 , Issue. 7, October 2020, Published online by Cambridge University Press.
13. International Marriage & License Requirements By Country", Wedaways, Retrieved 17/12/2020. Available at :<https://www.wedaways.com/international-marriage-license-requirements-by-country/>
14. Machura ,Stefan(2020); " Milestones and Direction :Socio- Legal Studies in Germany and Unted Kingdom". *Journal: German Law Journal* , Volume. 21 , Issue. 7 , October 2020, Published online by Cambridge University Press: 19 October 2020,p.1304-1325, Print publication: October 2020.
15. Mayowa, Ilori Oladapo (2019); "Family Institution and Modernization: A Sociological Perspective". *International Journal of Humanities and Sciences*. Vol.9, No.8, pp.99-105.
16. Rissi , Zize Papache(2002):the virtuale sphere, The internet as apublic sphere,new media and society,vol 4, no1.
17. sally, wheeler( 2020); " socio –legal studies in 2020". *journal of law and society*, volume. 47,issue. 52, 23, november 2020, p. 5209- 5226. Print publication: October 2020.
18. The Advantages and Disadvantages of Civil Marriage in South Africa", Engelbrecht Attorneys, Retrieved 17/12/2020. Edited. available at:<https://e-law.co.za/2020/01/10/the-advantages-and-disadvantages-of-civil-marriage-in-south-africa/>
19. What Is The Difference Between A Sacramental And A Civil Marriage?", The Catholic Leader, 13/4/2016, Retrieved. available



at <https://catholicleader.com.au/life/marriage-matters/what-is-the-difference-between-a-sacramental-and-a-civil-marriage/>

## الهوامش

دورة المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، الدورة الثامنة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة ١٠-١٤/٣/١٤٢٧هـ، الموافق ٨-١٢/٤/٢٠١٦م.

استشرف الأءب للءءولاء السلسلسة فف المءءمع المصرف  
"ءراسة ءلللسفة لروافة أءءءة الفراسءة"

ء. رباب أءمء أءمء مءاهء

مءرس بقسم علم الاءءماع

كلفة الاءاب، ءامعة المنصورة

[rarameg@mans.edu.eg](mailto:rarameg@mans.edu.eg)

doi: 10.21608/jfpsu.2022.136775.1186

## استشراف الأدب للتحويلات السياسية في المجتمع المصري "دراسة تحليلية لرواية أجنحة الفراشة"

### مستخلص

لا شك أن الأدب والسياسة يتسمان بروابط قوية، فنجد أن هناك أعمال أدبية رصدت الواقع الاجتماعي واحتجب عليه، وقد جاء الخطاب الروائي ممهدا لما حدث في ثوره ٢٥ يناير ٢٠١١، حيث عبر عن تضخم شريحه المهمشين بانضمام شرائح من الطبقة الوسطي لها.

بالإضافة إلى إشارته لتآكل الطبقة الوسطي وتسعي الدراسة إلى تحليل وتوصيف دور الأدب وبخاصة الرواية في رصد واستشراف التحويلات السياسية في المجتمع المصري في نهاية فترة الرئيس الراحل مبارك من خلال التحليل السوسيولوجي لرواية "أجنحة الفراشة" للأديب محمد سلماوي، والقائم على ثوابت علمية من خلال الاتجاهات الفكرية لكل من هابر ماس (المجال العام) والالان تورين (الفعل والحركة الاجتماعية) وبالاعتماد على أداة تحليل الخطاب الأدبي، والأسلوب الوصفي والأسلوب التاريخي ودليل المقابلة مع الأديب، وهدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الرواية والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المرتبطة التحويلات السياسية في المجتمع المصري مُمثلة في ثوره ٢٥ يناير.

والوقوف على المجال العام المؤدي للثورة من خلال رواية "أجنحة الفراشة" وكذلك الوقوف على طبيعة الفاعل الاحتجاجي في ثوره ٢٥ يناير كما عكسته الرواية، والمستقبل السياسي بعد الثوره وتداعيتها وقد اتضح من نتائج الدراسة الدور الاستشرافي للأدب وبخاصة الرواية في رسم ملامح المستقبل السياسي في المجتمع المصري وتحديد متغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وهذا ما تجلى في رواية "أجنحة الفراشة" ومن قبلها مسرحية "الجنزير" للكاتب محمد سلماوي.

**الكلمات المفتاحية:** الاستشراف، الأدب، التحويلات السياسية، رواية أجنحة الفراشة،

الأديب محمد سلماوي.

## Foreseeing Literature on Political Transformations in Egyptian Society: An Analytical Study of the *Butterfly Wings* Novel

### Abstract

There is no doubt that literature and politics are characterized by strong ties, so we find that there are literary works that monitored the social reality and obscured it.

In addition to his reference to the erosion of the middle class, the study seeks to analyze and characterize the role of literature, especially the novel, in monitoring and foreseeing political transformations in the Egyptian society at the end of the period of the late President Mubarak through the sociological analysis of the novel "Butterfly Wings" by the writer Muhammad Salmawy, which is based on scientific constants through intellectual trends. For both Haber Maas (Public Domain) and Alan Touraine (Action and Social Movement) and based on the literary discourse analysis tool, the descriptive method, the historical method and the interview guide with the writer, the study aimed to reveal the relationship between the novel and the social, economic and political conditions associated with political transformations in Egyptian society. Represented in the revolution of January 25

Standing on the public sphere leading to the revolution through the novel "Butterfly Wings" as well as the nature of the protesting actor in the January 25 revolution as reflected in the novel, and the political future after the revolution and its repercussions. Determining its social, economic, and political variables, and this is what was evident in the novel "The Wings of a Butterfly" and, before that, the play "Al-Janzeer" by the writer Muhammad Selmay.

**Keywords:** Foresight, literature, political transformations, the novel *Butterfly Wings*, the writer Muhammad Salmawy.

مقدمة

شهد المجتمع المصري خلال الخمسة عشر سنة الماضية جملة من التحولات الاقتصادية والسياسية، حيث شهد ثورتين الأولى في ٢٥ يناير ٢٠١١ والثانية في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ ولم يكن الأدب بعيدا عن ذلك المشهد، فالأدب يعكس العالم الاجتماعي، حيث يدرك الروائي العلاقات بين عناصر هذا العالم، ويجسد علاقات الإنسان وأدواره في مختلف النظم والجماعات (أبو العينين، ١٩٩٥، ١٦٧) ويستوحى الأدب مضمون أعماله من ظروف المجتمع الذي يعيش فيه (راغب، نبيل، ١٣٩)، حيث تعكس الرواية الواقع المجتمعي بشتى جوانبه، وتشكل شكل من أشكال الوعي (Laurensin, Dinna, 27)، وترصد الرواية تجارب الحياة، حيث يعبر عنها الأديب بشكل واقعي مباشر أو مستتر (Forster , Em, 1980, 16) وعلى هذا الأساس فهناك من يعتبر الرواية نوعا من البحث الاجتماعي الكيفي، حيث يستخدم الأديب منهجية الملاحظة بالمشاركة في تحليلاته الأدبية للشرائح الاجتماعية المختلفة (حسن ، عمار، ٢٠٠٧، ٤٥).

وتعد الرواية أكبر الفنون الأدبية عمقا واتساعا، حيث تقوم بتصوير المجتمع والتعبير عن ضمير الإنسان ومصيره واستيعاب التاريخ والتنبؤ باتجاهات المستقبل، ولقد ارتبطت الرواية بالسياسة، ولعبت دورا هاما في التغيير الاجتماعي والسياسي، بنقدها للواقع الاجتماعي والسياسي، وكشفها لبذور التحول السياسي وتقديمها للشخصيات الإيجابية المباشرة بالثورة.

ولا شك أن الأدب والسياسة يتسمان بروابط قوية، فنجد أن هناك أعمالا أدبية رصدت الواقع واحتجت عليه، من هذه الأعمال مسرحية الناس اللي في الثالث لأسامة أنور عكاشة، حيث عالجت مأساة الإنسان المصري الذي سلبت منه حرياته (يس، السيد، ٢٥).

وقد جاء الخطاب الروائي ممهدا لما حدث في ثورة ٢٥ يناير حيث عبر عن تضخم شريحة المهمشين بانضمام شرائح من الطبقة الوسطى لها، بالإضافة إلى إشارته لتآكل الطبقة الوسطى، فنجد العديد من الروائيين عبرت أعمالهم عن الواقع الاجتماعي والسياسي

ورفضهم له، منهم الأديب أحمد خالد توفيق في روايته "يوتوبيا" والأديب "علاء الأسواني" في روايته "عمارة يعقوبيان" (صالح، هويد، ٢٠١١، ٢٤)

ويعتقد يورجين هابرماس أن الأدب المستقل الذي يجمع جوانب الواقعية مع الحداثة لديه القدرة على المساهمة في التنوير النقدي (Boucher, Geoff, 2021, 61).

ويؤكد صبري حافظ أهمية العلاقة بين الأدب والتحولات السياسية متمثلة في ثورة يناير عندما قال "حينما كتب هذا الجيل عن تجربته جاءت كتابته مغايرة كلية لما كتب قبله، ومؤكدة استحالة استمرار الواقع الذي صدرت عنه، مما جعل فيها كثير من التنبؤات التي يمكن تأويلها على أنها استشراف للثورة" (حافظ، صبري، ٢٠١١، ٦٠).

وقد جاءت رواية أجنحة الفراشة كأحد الروايات التي رصدت الواقع الاجتماعي والسياسي قبيل ثورة ٢٥ يناير والتي تعتبر أحد الحركات الاجتماعية التي هدفت إلى التغيير الاجتماعي في كثير من مناحي المجتمع المختلفة، وتسعى الدراسة إلى تحليل وتوصيف دور الأدب وبخاصة الرواية في رصد واستشراف التحولات السياسية في المجتمع المصري في نهاية فترة الرئيس الراحل مبارك من خلال التحليل السوسولوجي لرواية "أجنحة الفراشة" للأديب محمد سلماوى والقائم على ثوابت علمية من خلال الاتجاهات الفكرية لكل من هابر ماس (المجال العام) والآلان تورين (الفعل والحركة الاجتماعية) وبالاعتماد على أداة تحليل الخطاب الأدبي والأسلوب التاريخي و الأسلوب الوصفي ودليل المقابلة مع الأديب.

### إشكالية البحث :

تتنمى هذه الدراسة إلى فرع علم إجتماع الأدب الذي يدرس الرواية بوصفها أحد الأجناس الأدبية المهمة في العصر الحديث ، وقد إرتبط الأدب بصفة عامة والأدب المصري بصفة خاصة بالتحولات التي يمر بها المجتمع سواء كانت تحولات سياسية أو إجتماعية ، ولا شك أن الرواية لها علاقة وثيقة بالمجتمع بوصفها تمتلك خطاباً إجتماعياً تهدف إلى عرضه على القارئ والتأثير عليه.

ترجع أهمية الثورات الاجتماعية إلى نمطها المميز للتغيير الاجتماعي والسياسي، فنجد أن الثورات الاجتماعية تحدث تحولات أساسية سريعة في المجتمع وهيكله الطبقيّة،

ونجد في الثورات الاجتماعية أن التغييرات الأساسية في البنية الاجتماعية والبنية السياسية تحدث معا بطريقة يعزز بعضها البعض وتحدث هذه التغييرات من خلال الصراعات الاجتماعية والسياسية الشديدة التي تلعب فيها الصراعات الطبقية دوراً رئيسياً (sKocpol, 4-5, 36<sup>th</sup> printing, 2008, theda , ويعد الأدب (ممارسة سياسية) بمعنى من المعاني حيث يعكس رؤية تقديمية للواقع (وادي ، طه، ١٩٩٨ ، ٤٠).

حيث تسعى الدراسة إلى رصد واستشراف الأدب لأحد أهم التحولات السياسية وهي ثورة ٢٥ يناير، وتعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ثورة شعبية سليمة انطلقت يوم الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ ليوافق عيد الشرطة احتجاجاً على الأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة، وقد عجل بالثورة غياب التداول السلمي للسلطة ووجود خلل كبير في النظام الحزبي التعددي، وتزوير انتخابات مجلس الشعب ٢٠١٠ لصالح الحزب الحاكم بالإضافة إلى انتقاص الشرطة في تلك الفترة لحريات المواطنين مع طرح ملف التوريث هذا على الجانب السياسي أما على الجانب الاجتماعي فنجد اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء وعجز الدولة عن الوفاء بمهامها تجاه المواطنين، كل ذلك أدى إلى حدوث الثورة معتمدة على الشباب في الموجه الأولى لها والتي لاقت تأييد ودعمًا من مختلف القوى السياسية (هلال، على الدين، ٢٠١٣، ٦٥ - ٦٦)

ويمكن القول أن الثورة تعتبر نموذجاً خاصاً للحركات الاجتماعية (Regime, 262, Hogopian, 1996). أي أن الثورة شكلاً من أشكال الحركات الاجتماعية بل أبرزها على الإطلاق حيث أنها تسعى إلى إحداث تغييرات في المجتمع لكن الثورة قد تكون أعنف هذه الحركات (شحاتة، السيد، ١٩٩٧، ٧٣).

فلم تكن الثورة المصرية مفاجأة لمن تابع الخطاب الروائي المصري في العقد الأخير تحديداً وأن الأدب المصري وعلى رأسه الرواية إن لم يتنبأ بالثورة بصورة حرفية مباشرة ولكنه إحتوى كثير من التنبؤات التي يمكن تأويلها على أنها إستشراف للثورة بإعتبارها أهم التحولات السياسية التي تناولتها هذه الروايات.

المتتبع لعلاقة الأدب بالسياسة يكتشف أن الأدب المصري الذي سبق له أن استشرف الهزيمة قبل وقوع نكستها عام ١٩٧٦ قد واصل استبصاراته الكاشفة عن الواقع بالإضافة إلى اتجاهات المستقبل، ففي السنوات الأخيرة من عقد السبعينات كتب عبد

الحكيم قاسم روايته (المهدى)، والتي سجل فيها تنبأه بزحف التأسلم السياسي على المجتمع المصري وآثاره المدمرة، كما كتب جميل عطية إبراهيم في روايته (النزول إلى البحر) عن نمو مشكلة العشوائيات وتنّباً بازديادها، أما صنع الله إبراهيم فاستشرف تأكل الطبقة الوسطى المصرية في رواية (ذات) (حافظ، صبري، مرجع سابق، ٦٠)

ونجد العديد من الروايات إلى مثلث ثورة يناير بين جيل الشباب فبعضهم قد تنبأ بالثورة وندد بالواقع السابق عليها من أبرز هؤلاء محمود عثمان في روايته (ثورة ٢٠٥٣) وخالد أحمد في روايته السرسرية وريم البسيوني في روايتها (أشياء رائعة وبائعة الفستق)، كما عالجت بعض الروايات قضية التوريث مثل (المسطول) لمحمد طلعت ورواية (قرن الغزال) عادل محمد.

كما ظهرت في العديد من الروايات قضية الاغتراب والهجرة كمقدمات لثورة ٢٥ يناير مثل رواية (سفينة نوح) لخالد الخميسي، (شيكاغو)، لعلاء الأسواني و (العاطل) لناصر عراق.

وبالنسبة لهذه الدراسة فقد تم اختيار رواية أجنحة الفراشة للأديب محمد سلماوي للتعبير عن رصد الرواية للتحوّلات السياسية في المجتمع المصري وكشف مدى قدرتها على استشرف مستقبل العمل السياسي من خلال رصد أوجه المجال العام داخل الرواية وطبيعة الشخصيات الإحتجاجية ومدى تحقيق الفرصة السياسية من خلال ثوره ٢٥ وتداعياتها.

### أهداف الدراسة

يتمثل الهدف الرئيسي في الدراسة إلى رصد واستشراف دور الأدب وخاصة الرواية بالنسبة للتحوّلات السياسية بالمجتمع المصري قبيل ثورة ٢٥ يناير وتداعياتها في اطار العلاقة الجدلية بين السياسة والأدب.

### أما عن الأهداف الفرعية فهي

١) الكشف عن العلاقة بين الرواية والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المرتبطة بالتحوّلات السياسية في المجتمع المصري ممثلة في ثورة ٢٥ يناير .



- ٢) الوقوف على المجال العام الذى أدى إلى التحولات السياسية ممثلة في ثورة يناير بمنظور رواية أجنحة الفراشة ومن خلال نظرية المجال العام لهابرماس.
- ٣) الوقوف على طبيعة الفاعل الاحتجاجي في ثورة يناير كما عكسته الرواية من خلال الفعل والحركة الاجتماعية لآلان تورين.
- ٤) معرفة مدى تحقق الفرصة السياسية المتاحة للثورة في مجال الرواية (أجنحة الفراشة).
- ٥) الكشف عن ملامح المستقبل السياسي كما عكسته الرواية لثورة ٢٥ يناير.
- ٦) إلى أى مدى استطاعت رواية أجنحة الفراشة استشراق ملامح التحولات السياسية ممثلة في ثورة ٢٥ يناير وتداعياتها.

### تساؤلات الدراسة:

- نجد أن التساؤل الرئيسي يدور حول رصد واستشراق الأدب وخاصة الرواية للتحولات السياسية في المجتمع المصري في إطار العلاقة الجدلية بين السياسة والأدب.
- أما عن التساؤلات الفرعية فهي**
- ١) ما هي العلاقة بين الرواية والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المرتبطة بالتحولات السياسية في المجتمع المصري ممثلة في ثورة ٢٥ يناير؟
- ٢) ما هي الأوجه والقنوات التي يتم من خلالها تحقيق المجال العام في رواية أجنحة الفراشة؟
- ٣) ما هي طبيعة الفاعل الإحتجاجي في ثورة يناير كما عكسته الرواية من خلال الفعل والحركة الاجتماعية لآلان تورين؟
- ٤) ما مدى تحقق الفرصة السياسية المتاحة للثورة في مجال الرواية؟
- ٥) ما هي ملامح المستقبل السياسي كما عكسته الرواية لثورة ٢٥ يناير؟
- ٦) هل استطاعت رواية "أجنحة الفراشة" استشراق ملامح التحولات السياسية في المجتمع المصري ممثلة في ثورة ٢٥ يناير وتداعياتها.

## التوجه النظري والمنهجي للدراسة

يتم الاعتماد في هذه الدراسة على المنطلقات الفكرية لكل من يورجين هابرماس وآلان تورين بالإضافة إلى أداة تحليل الخطاب الأدبي، كما سيتم الاعتماد على الأسلوب التاريخي والأسلوب الوصفي ودليل المقابلة مع الأديب.

### أولاً: يورجين هابرماس (المجال العام)

يري هابرماس أن النصوص الأدبية لها دور وظيفي في عملية التنشئة الاجتماعية وتحقيق التواصل الاجتماعي ويؤكد أن المجال العام بدأ بشبكة من المنتديات مثل المقاهي والصالونات الأدبية حيث كانت ساحة لظهور صحافة حرة وأحزاب برلمانية وجمعيات مدنية (Boucher, Goeff, opcit, 85)، ونجد أن التعبئة الاجتماعية المكونة للمجال العام الحديث عكست المساواه والتضامن الذي ظهر مع الثورات الديمقراطية.

ويشمل المجال العام كل الأعمال الطوعية، وما ينتج من مبادرات شعبية وتجسده منظمات المجتمع المدني، ويعد فرصة للتعاون والنقاش العام، ومن ثم المشاركة والديمقراطية. (جلبي، على، ٢٠١٣، ٢٩)

ويعتبر كتاب "التحول البنائي للمجال العام" لهابرماس البداية الحقيقية حيث يؤكد أن المجال العام يقع بين المجتمع المدني والدولة وتجرى فيه المناقشات النقدية المتعلقة بالمصالح العامة. (Habermas, Jurgen, MiT Press, 1999, X1)

ويعد المجال العام منطقة وساطة بين الدولة والأفراد ظهر نتيجة تزايد الاستقطاب الاجتماعي والثقافي، وأصبح الفن والأدب محور النقاش العام ثم تحول من الفن والأدب إلى السياسة ولعب النقاش الأدبي دوراً كبيراً في توليد الموارد الثقافية اللازمة للنقاش السياسي.

ويرى يوهان أهمية الانترنت كاسلوب محدد للاتصال، وأن الانترنت إذا تحول إلى قضايا التنظيم والمؤسسة بشكل مركزي سوف يتحول إلى مساهمة إيجابية في المجال العام (Gossley Nick, Roberts Micheal, 2007, 16). ويرى البعض المجال العام باعتباره كقوه سياسية، وسيلة لحشد الرأي ولتعبئة المشاعر المتعلقة بالمجتمع المدني.

ويؤكد عالم الاتصالات "نيكولاس جارنهام" أن أهم ما يميز المجال العام هو تركيزه على الصلة القوية بين مؤسسات الاتصال الجماهيري، والمؤسسات السياسية الديمقراطية، كما أكد هابرماس على أهمية مؤسسات المجتمع المدني وأهمية وسائل الإعلام في تكوين تفاعلات بين المواطنين أنفسهم (Goode, Luke, 2005, 57, 95)

وتعد وسائل الاتصال الجديدة من صحافة وغيرها من الوسائل الالكترونية وسائل مهمة لتسهيل تبادل المعلومات ولكن بالمعنى الأكبر توفر سياق مؤسسي جديد للعمل السياسي. (Calhoun, Griag, 1999, 302)

ويرى هابرماس أن الحركة الاجتماعية هي العملية التي يتم عبرها انتاج المعايير والقيم والمعاني، ثم يشير إلى أن الأزمة تحدث حينما تقوم السلطة السياسية بفرض هيمنتها وسيطرتها على المجال العام. (ليلة على وبيومي محمد، ٢٠١٣، ١٥٢).

ولا تعتمد الحركات الاجتماعية الجديدة الوسائل السياسية التقليدية الخاصة بالتأثير في الدولة، ولكن تقوم على التعبئة الجماهيرية بقصد تغيير القيم والاتجاهات، وتركز الحركات الاجتماعية الجديدة على قضايا الهوية حيث تمثل مظهراً رئيسياً من مظاهر تشكيل الحركة (فارس، سيد، ٢٠١٧، ١٣٥).

إن مفهوم هابرماس للمجال العام يقدم أساس سليم للتحليل النقدي للتطورات الحالية في كل من وسائل الإعلام والعمل السياسي الضروريين لاعادة بناء أنظمة التواصل والديمقراطية الملائمة للعالم المعاصر. (Calhoun, Caig, opcit, 36)

يمكن القول أن المجال العام يلعب دوراً حاسماً في الكشف عن العالم إلى جانب دوره في حل المشكلات. (Calhoun craig, opcit, 34-36)

ويستخدم المجال العام في هذه الدراسة باعتبار أن الأدب له دور في تحقيق النقاش النقدي بين أفراد المجتمع في القضايا الأدبية والسياسية من خلال التجمعات والقنوات التي يتم من خلالها التواصل والنقاش للوصول إلى الحرية والديمقراطية كاتحادات الطلاب والتجمعات بالجامعات، ومن خلال الميادين والتجمعات في كل المحافظات ومن أهمها ميدان التحرير في هذه الرواية كما ذكر الأديب ، وكذلك منظمات المجتمع المدني التي تعمل بحقوق الإنسان والأهم التواصل من خلال العالم الافتراضي من خلال الانترنت والموبايل.

## ثانياً: آلالان تورين

يري آلالان تورين أن الحركات الاجتماعية لا تتشكل بالعمل السياسي والصدام ولكن بتأثيرها في الرأى العام (تورين، آلالان، ١٩٩٧، ١٢)

ويري تورين أحد أهم منظري الفعل والحركة الاجتماعية أن الصراع بين الحركات الاجتماعية والذي تنتج من خلاله التحويلات الاجتماعية هو بالأساس صراع على التأويل المشترك لدى كل حركة مع الحركة الأخرى، فإذا كان المشاركون في تلك الحركات لا يتشاطرون في ذات القيم التي تحكم رؤيتهم لما حولهم من صراعات أو ما أسماه تورين (بأوتاد الصراع) فإن الصراع عندئذ لا يمكن أن يكون صراعاً اجتماعياً (Nask Kate, 2010, 109)

وتنتج الحركات الاجتماعية من الصراعات الطبقيّة الموجودة في المجتمع والمعاملات السياسية التي تدفع المحتجين لذلك، ونجد أن الحركات الاجتماعية تميل إلى الانتقال من الحاضر إلى المستقبل باسم التحديث وتعرف بأنها مزيج من مبدأ الهوية ومبدأ المعارضة ومبدأ الكلية وأيضاً في سياق أوسع باعتبارها فاعلاً في مجال الفعل التاريخي، ونجد أن الفاعلين الاجتماعيين يتم تعريفهم فقط من خلال موقعهم في التنظيم الاجتماعي، وتحديد موقعهم داخل الطبقات الاجتماعية – (COITMAN, Derek, 1980, 298 – 312)

ونجد أن الحركات الاجتماعية تقف إلى جانب حقوق الأفراد، ففي أي صراع وأي حركة اجتماعية يمكننا سماع نداء للمساواة والحرية والعدالة واحترام الجميع، وهذه الضرورة موجودة في الحركات الاجتماعية وفي الاضطرابات والاحتجاجات والتمردات (Touraine, Alan, 2007, 120.)

ونجد أن سوسيولوجيا الفعل عند "تورين" بمعنى فاعلين متعارضين عبر علاقات سيطرة وصراعات لديهم نفس التوجهات الثقافية والأنشطة التي تنتجها أي سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية، فهو يدعو إلى أن تكون نضاليه بل وثورية لتحرير الفاعل الاجتماعي من تكريس النظام الاجتماعي وقيوده (مجلة آفاق لعلم الاجتماع ، مج ١٠، ٢٤، ديسمبر ٢٠٢٠).

فالحركة الاجتماعية حسب تورين هي الفعل الجماعي الذي من خلاله يناضل الفاعل الطبقي من أجل التوجيه الثقافي للمجتمع أي من أجل التحكم في التوجهات الكبرى للتغيير الاجتماعي.

ولقد أكد آلان تورين على أهمية الفاعلين الاجتماعيين في التأثير على التوجهات العامة للمجتمع، حيث أن ما يقومون به ليس مجرد ردود أفعال تجاه المؤسسات الاجتماعية ولكنهم ينتجونها بناء على توجهاتهم الثقافية، ولذلك لا يمكن الاستمرار في النظام الاجتماعي الذي هو حجر الزاوية ولكن في شكل صراع بين الفاعلين الاجتماعيين من أجل إعادة بناء اجتماعي مبني أساسا على التوجهات الجديدة التي تأتي بها الحركات الاجتماعية المؤثرة وما يميز موقف تورين حولها أنها لا تنحصر في شكلها ودورها النقابي كما كان ذلك في المجتمعات الصناعية إذ تتخذ أشكالا جديدة قادرة على التأثير في الرأي العام وفي التوجهات العامة للمجتمع. (مدراس أحمد، ٢٠١٣، ٢٩٤-٢٩٥)

ويؤكد تورين أن التاريخانية هي قدرة المجتمع على إعادة إنتاج نفسه: أي إنتاج توجهاته الاجتماعية والثقافية من خلال ممارساته وأنشطة ، الشيء الذي يجعله كائن موجود وليس ما يفترض أن يكون عليه من قبل القوى غير الاجتماعية، كما أنه يقوم على النموذج الثقافي الذي يعطي للتاريخانية معنى للممارسات الاجتماعية من خلال توجيه الفعل التاريخي ، فالتاريخانية أشبه بنظام معقد يقوم على الفعل التاريخي وعلى أنظمة المعرفة وأشكال التراكم وعلى النمط الثقافي حتى يتم تسييرها وتوجيهها من قبل قوى تنافسية متصارعة داخل المجتمع ويرى تورين أن جوهر دينامية المجتمع يكمن أساساً في الحركات الاجتماعية باعتبارها ذوات فاعلية، حيث يعتبر بأن موضوع السوسيولوجيا هو دراسة التصرفات الاجتماعية، وفي الدرجة الأولى دراسة التصرفات التي ترتبط مباشرة بالتاريخانية، أي بعلاقات وصراعات الطبقات ، تصرفات تدعوها الحركة الاجتماعية وهو الأمر الذي جعله يراهن كثير على سوسيولوجيا الفعل التي تهتم بدراسة الأفعال والعلاقات والصراعات والانساق الاجتماعية ويرى تورين أنه إذا أردنا أن نختبر ذواتنا كذوات فاعله فإنه يظهر من خلال التزاماتنا ومسؤوليتنا تجاه حق كل فرد في العيش بكرامة والاعتراف له بهذه الكرامة: أي بما يستحيل ابتداعه من دون أن تفقد الحياة كل معناها. تورين، الأعلان

(<https://www.mominoun.com/articles/6275>)

ويعتمد البحث على دراسة الثورة كأحد الحركات الاجتماعية من خلال الفاعلين الاحتجاجيين القائمين بالثورة من خلال العمل الأدبي حيث يتم دراسة هذه النماذج.

### أداة تحليل الخطاب الأدبي

استعانت الباحثة في هذه الدراسة بأداة تحليل الخطاب الروائي، يعني الخطاب Discourse رسالة موجهة تهدف إلى التأثير على السامع أو القارئ بحيث تتشكل في منظومة كلية متآلفه.

ويعد تحليل الخطاب أداة تعمل على تحليل النص بدون فصله عن سياقاته التي أنتج فيها، بل يربط تحليل الخطاب بين النص والواقع الاجتماعي في علاقة جدلية، وسوف تقوم الباحثة بتحليل الرواية المختارة والاستشهاد بفقرات أو جمل منها، وذلك لمحاولة تفسير العلاقة بين الأدب الروائي والمجتمع وعرض كيفية استشراف الرواية للتحويلات السياسية (ممثلة في ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١) في المجتمع المصري كما صورها النص الروائي.

ويشير "جابر عصفور" إلى أنه من الممكن أن تتألف الجمل في خطاب بعينه لتشكل نصاً مفرداً أو تتألف النصوص نفسها في نظام متتابع لتشكل خطاباً أوسع على أكثر من نص مفرد (عصفور ، جابر ، ١٩٨٥ ، ٢٩١) ، ترجع أهمية قراءة الخطاب إلى أنه يمكن من خلالها أن نربط بين النص وبين شروط إنتاجه أي بين النص والسياق الاجتماعي الذي نتج عنه.

ونشير هنا إلى معالجتنا لرواية "أجنحة الفراشة" لسماوي "بوصفها خطاباً سياسياً واجتماعياً سوف تتم في ضوء هذا الارتباط بين (الرواية / الخطاب) ، والسياق الاجتماعي والثقافي والتاريخي الذي نتجت عن هذه الرواية وأن تبيننا لهذا التناول في تحليل الخطاب يساعد في طرح مجموعة من التساؤلات التي تتفق وجوهر دراستنا الراهنة، فهو يتيح لنا التعرف علي بنية النص الدلالية من خلال تحليله الداخلي بشكل جيد وفي اطار مرجعية فهمنا للواقع الاجتماعي الذي نشأ فيه هذا النص، كما أنه يساعدنا في التعرف على التحويلات السياسية التي يطرحها النص، ومن اقترابها من أو ابتعادها عن تحولات الواقع،

والكيفية التي عالج بها النص هذه التحولات والمنظور الذي تتبعه في الوصول إلى هذه المعالجة.

وسوف تعتمد الدراسة على طريقة تحليل الخطاب من خلال أسلوب التحليل الفرضي أو الاستشهادي عن طريق اختيار فقرات من النص موضوع الدراسة وهو "أجنحة الفراشة".

وبالإضافة إلى أداة تحليل الخطاب الأدبي سوف تعتمد الدراسة على الأسلوب التاريخي انطلاقاً من مسلمة وحدة ترابط ظاهرات الطبيعة والمجتمع في المنهج العلمي، والتي تفرض على الباحث بضرورة البحث عن علاقة الظاهرة التي يدرسها بغيرها من الظاهرات لا في الحاضر فقط ولكن في الماضي أيضاً ، فأى دراسة مهما كان الأسلوب المتبع فيها، لا غنى له عن الاستعانة بمعطيات المعرفة التاريخية وخاصة إذا كانت هذه المشكلات خاصة بقضايا التحولات السياسية والاجتماعية.

أما عن الأسلوب الوصفي الذي سوف تعتمد عليه الدراسة فهذا أسلوب يمكن الباحث من التوصل إلى معرفة تفصيلية عن الظاهرة موضوع الدراسة حيث يمكن من خلاله رصد قضايا التحولات السياسية التي مر بها المجتمع المصري والتي تناولتها الرواية المختارة ، وتناول هذه القضايا بالفهم والتحليل.

هذا فضلاً على إجراء مقابلة متعمقة مع الروائي محمد سلماوي من خلال دليل المقابلة تم تصميمه للتعرف على عدد من النقاط المهمة في الوصف التفسيري لعدد من القضايا المرتبطة بإستشراف الأدب للمستقبل والتحولات السياسية للمجتمع المصري .

### مفاهيم الدراسة

#### مفهوم الاستشراف:

الاستشراف من المفيد التفريق بين مصطلحين شديدي التقارب والاختلاط، أما المصطلح الأول فهو مصطلح "استشراف المستقبل" وهو مصطلح ذو دلالة عامة، وهو الذي أقصده في دراستي هنا، وأما المصطلح الآخر فهو يعرف في مجال التخطيط الاستراتيجي والادارة الحديثة بـ "علم استشراف المستقبل"، والذي يحمل دلالة علمية بحتة، ولا علاقة له بموضوع الدراسة.

فأما مصطلح "علم استشراف المستقبل" فهو يعبر عن جهد علمي منظم" يرمي إلى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة، التي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع معين أو مجموعة من المجتمعات، عبر مدة زمنية معينة، وذلك عن طريق التركيز على المتغيرات التي يمكن تغييرها بواسطة القرارات أو التي قد تتغير بفعل أحداث غير مؤكدة (فاروق عبدة، ٢٠٠٣، ١٧).

ويعد هذا المصطلح مصطلح علمي بحت ولا يدخل الاستشراف بهذا المفهوم تحت نطاق هذه الدراسة وأما مصطلح استشراف المستقبل الذي تعنيه الدراسة هنا فهو يعبر عن قدرة - تستند إلى إرهابات ودلائل على توقع ما سيحدث في المستقبل ويكون هذا التوقع قائماً على استقرار جيد للواقع، وقراءة متأنية للتاريخ، والسنن الكونية، وطبائع المجتمعات البشرية، وليس مجرد تخمين، و إن كان في الوقت ذاته لا يحمل دلالة التخطيط والقصد التي يعبر عنها "علم استشراف المستقبل كمصطلح علمي "بحت"، فالروائي الذي يمتلك رؤية عميقة لا يقف عاجزاً داخل اطار رؤيته المحددة للواقع، بل يسعى من خلال استقراءه لذلك الواقع إلى الكشف عن آفاق المستقبل، فالواقع يؤكد ملامح المستقبل باعتبار أن المستقبل مبنى على الماضي ومعطياته المعاصرة (حسين، ٢٠١٠، [manasrah.maktoobblog.com/1615227](http://manasrah.maktoobblog.com/1615227))

التعريف الاجرائي للاستشراف : هو رؤية علمية تحليلية تستهدف صياغة مجموعة من التوقعات المشروطة التي تساهم في رسم ملامح المستقبل وتحديد متغيراته.

### مفهوم الأدب:

يعرف "كرومبي" الأدب في مؤلفه "قواعد النقد الأدبي" بأنه صياغة فنية لتجربة بشرية، يظهر فيها أسلوب الأديب، ومعالجته لموضوع هو أحد التجارب الفنية، ومن المعروف أن هذه التجارب تستمد إما من تجارب الشخص ذاته أو من التاريخ أو من الأساطير أو الخيال، أو واقع المجتمع، ويتضمن الأدب وفقاً لهذا التعريف أمرين : الأول الصورة الفنية، أو الشكل أو القالب الذي ظهر عليه العمل الأدبي، والثاني، المضمون وهو المادة التي يبرزها هذا العمل وبصفة عامة، ويستهدف الأدب عند الواقعيين هدفاً اجتماعياً ، بحيث يعايش الناس في حياتهم ، ويضطرب معهم في مشاكلهم ، ويهتم بالواقع الاجتماعي. (غالب ، محمد، ١٩٨٠، ١٣)



والأدب يعد تجسيد للصراعات الدائرة باستمرار بين أيديولوجيات متشكلة ضمن البنية الثقافية - الاجتماعية وهو في ذلك تجسيد للصراعات على مستويات أخرى ضمن البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية واللغوية، الأدب يكتسب أهميته لا من كونه بنيته ذهنية أو مكونا في البنية العليا بل من كونه أحد المكونات الرئيسية للبنية الكلية للحياة الاجتماعية يتشابك أو يتفاعل مع المكونات الأخرى لهذه البنية: الأقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية واللغوية (أبو ديب، كمال، ١٩٨٥، ٥٧)

### التعريف الاجرائي للأدب

يعرف بأنه جميع الآداب المكتوبة أو المنطوقة المرتبطة بالنواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمجتمع ما وتمثل الشعر، النثر، القصة، الخطاب، المسرحية، المقال، الرواية أي جميع الاجناس الأدبية.

### الرواية

يري طه وادي أن الرواية تجربة أدبية تصور حياة مجموعة من الشخصيات، تتفاعل مجتمعه لتؤلف إطار عالم متخيل، يجب أن يكون قريباً مما يحدث في الواقع الذي يعيش فيه (وادي، طه، ١٩٩٨، ١٩)

ويعرفها فتحي أبو العينين بأنها الفن القصصي، الذي يتجه للواقع ويحترم التجربة الذاتية، ويبعد عن الوهم والخيال المشبع بالخرافات (أبو العينين، فتحي، ١٩٧٦، ٣٢٨) وأما صبري حافظ "فيعتبرها أحد الأنواع التي تعمد النثر لغة لها، وأنها تجربة فنية فريدة، بيدعها كاتب فرد، إلا أنه يتوجه بها من اللحظة الأولى إلى جمهور، وإلى جماعة". (حافظ، صبري، ١٩٨٣، ٧٧)

وتعرف الموسوعة البريطانية الرواية على أنها "نثر قصصي مبتكر في طول كبير وتعتقد مركز، ذلك أنه خيال متوزع في الخبرات الانسانية عادة من خلال حوادث أو أفكار مترابطة تتطلب وجود جماعة من الناس في قصة أو حادثة.. في اطار مجموعة واسعة من النماذج والأنماط" (The New Encyclopedia Britanica, 1985, 810).

وتعرفها الموسوعة الأمريكية علي أنها "الرواية مكتوبة ليست شفهي - نثر قصصي - تخيلي معقد في طول كبير "والروايات تخبر عن الحوادث في اطار سلسلة من التجارب

المألوفة، وقصصها مبتكرة وليست تقليدية أو أسطورية وتعتمد على شخصيات عديدة مستخدمة اللهجة العامية" (The Encyclopedia Americana, 1987, 505) ويعرفها (قاموس روبرت بالشكل التالي، جنس سردي نثري فني، حكاية خيالية، تستمد خيالها من طبيعة تاريخية وتستمد فنيتها من كونها شكلاً، خطاباً يقصد منه التأثير على متلقيه ويقدم شخصيات واقعية) (Dictionnaire les Robert, 1990, 1726) رغم التعريف المختلفة للرواية إلا أنها اتفقت فيما بينها على أن الرواية هي في الأساس جنس أدبي يتخذ من الحياة اليومية مادة لها، وهي أكثر الاجناس تفاعلا مع الواقع والخيال في سياق من الانفتاح الشامل، واتفقت جميعها على العناصر المكونة للرواية وهي الموضوع والحدث والشخصيات والزمان والمكان واللغة.

### أما عن التعريف الأجرائي للرواية

فهي تلك التجربة الأدبية التي صورت تفاعلات الواقع المصري ورصدت التحولات السياسية التي مر بها قبيل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وتداعياتها من خلال أحداث وشخصيات عبرت عن تطورات الواقع المعاش في المجتمع المصري.

### مفهوم التحولات السياسية:

تعرف التحولات السياسية أحيانا كسلوك وأحيانا كأسلوب وحين تعرف كسلوك تعنى: الانتقال من موقع اجتماعي أو سياسي أو ايدولوجي إلى آخر، كالانتقال من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وتغيير الولاء إلى للشخص أو الحزب، وكل ذلك يجري وفق حركية غير مضبوطة مما يفتح المجال لكل الاحتمالات (الجابري، محمد، ٢٠٠٠، ١٩٧).

كما يعني انتقال من وضع غير ديمقراطي إلى وضع ديمقراطي كما ور في تعريفه في معجم العبارات السياسية الحديثة على أنه : رغبة نحو التحول التدريجي إلى الديمقراطية ، وهو حسب صامويل هانتنغن تحول من النظم السياسية غير الديمقراطية إلى نظم أخرى ديمقراطية أما عن التحول السياسي كأسلوب فهو عبارة عن ثورة سياسية بيضاء، وهو مفهوم يطلق لوصف التغيير الجذري في قمة الهرم السياسي والاجتماعي من خلال إحداث تغييرات في مواقع المسؤولية بوسائل سلمية (بلخيرة، محمد، ٢٠٠٤، ٣)

وبالرغم من وجود تعريفات متعددة للتحوّل السياسي يركّز البعض منها على السلوك، والبعض الآخر، يركّز على الأسلوب كان سليماً أم عنيفاً، يمكن القول بأن التحوّل السياسي هو إنتقال نوعي في طبيعة النظام السياسي وآليات عمله، ناجم عن مبادرة تقوم بها جماعات لها مصلحة في التغيير، سواء بلجوتها إلى انقلاب باستعمال القوة "التحوّل العنيف" أو باستعمال الطرق والوسائل السلمية "التحوّل السلمي" ويخضع التحوّل السياسي لتأثيرات تداخل عوامل داخلية وخارجية.

#### ويعرف التحوّل السياسي أيضاً بأنه:

ذلك التحوّل الجوهري في العلاقة بين النخب السياسية والجمهير، وتعبئتها سياسياً لتحقيق الأهداف التي ترسم لها؛ ليصبح هناك نوع من التحدي قبل الجماهير للنخب السياسية من خلال المطالبة للمزيد من المشاركة السياسية والتدخل في عملية صنع القرار، أي يصبح هناك اتجاه ديموقراطي قوى يحدد علاقة الشعوب بالحكومات، كما يشير هذا المفهوم أيضاً إلى التحوّل من نظام إلى آخر، أي تغيير النظام القائم وأسلوب صنع السياسة الذي يتبناه النظام. (ناصر، مي، ٢٠١٤، ٧١٨).

#### المفهوم الاجرائي للتحوّل السياسي:

هو ذلك التغيير الذي يحدث داخل الجهاز السلطوي للدولة، أما بانهايار هذا الجهاز عن طريق ثورة، أو تولى نظام سلطوي آخر عن طريق انتخابات تشريعية ويطلق عليه تحوّل كلي، أو بتغيير بعض الأنظمة والقوانين أو تعديل في بعض مواد الدستور ويطلق عليه تحوّل سياسي جزئي، ويحدث هذا التغيير نتيجة وجود خلل داخل الأنظمة أو وجود ثغرات في القانون ومواد الدستور يجب تعديلها أو وجود تغييرات في أنظمة الدولة الأخرى. أي أن التحوّل السياسي هو انتقال نوعي في طبيعة النظام السياسي وآليات عمله، ناجم عن مبادرة تقوم بها جماعات لها مصلحة في التغيير سواء بلجوتها إلى ثورة (تحوّل عنيف) أو باستعمال الطرق السلمية (التحوّل السلمي) ويخضع التحوّل السياسي لتأثيرات تداخل عوامل داخلية وخارجية.

**الدراسات السابقة :****محاور الدراسات**

أولاً: دراسات تناولت ثورة يناير اجتماعيا واقتصادياً وسياسياً باعتبارها أهم التحولات السياسية في المجتمع المصري والرواية المدروسة.

ثانياً: دراسات تناولت ثورة يناير في المجال الأدبي سواء علم اجتماع الأدب أو النقد الأدبي

**أولاً دراسات تناولت ثورة يناير اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا**

(١) جليبي، على، ٢٠١٣ الاندماج الاجتماعي والمواطنة النشطة (مصر بعد ثورة ٢٥ يناير نموذجاً) المؤتمر السنوي للعلوم الاجتماعية والانسانية ٣٠-٣١ آذار مارس ٢٠١٣.

كشفت الدراسة أنه بلغت المعاناة من الاستبعاد الاجتماعي قبل ثورة ٢٥ يناير ذروتها وإذا انتشرت مظاهر اللامساواة الاجتماعية فيما يخص فرص الحياة أمام الفقراء وتفاوت فرص التعليم والمؤشرات الصحية وبذلك اشتدت أزمة المواطنة مما أدى إلى تناقص مساحة المجال العام في مصر قبل ثورة ٢٥ يناير، أما بعد ثورة يناير فقد تزايدت الممارسات التي هدفت إلى التخلص من قبضة القوى السياسية والإقتصادية على المجال العام في مصر مما أدى بعد ذلك إلى تحرر المجال العام عبر الاعلانات الدستورية وظهور النقابات المستقلة وتزايد أعداد تنظيمات المجتمع المدني خاصة التي تدافع عن حقوق الانسان وانفتح الفضاء الافتراضي أمام أجهزة الدولة ومدونات الشباب، وتنامي التواصل مع العالم على مواقع الشبكات الاجتماعية ولم يعد المجال العام الافتراضي مجالاً مغلقاً، وإنما أخذ يتعامل مع نسق عالمي مفتوح لدعم القدرة على المشاركة في المجال السياسي، وذاعت قيم الحوار والتعاون وترتب على تحرير المجال العام ظهور مجال عام يجمع بين المحلي والقومي والكوني ويتميز بتعدد الهويات وقد اعتمدت الدراسة على المنهج إعادة التحليل وأسلوب البحث التاريخي وطريقة المؤشرات الاجتماعية.

(٢) قاسم، هاشم، ٢٠١٤، الأزمة الاقتصادية وانعكاساتها الاجتماعية على المجتمع المصري (دراسة ميدانية على عينة من مجتمع مدينة المنصورة بعد ثورة ٢٥ يناير)،

أكدت الدراسة أن المجتمع المصري والاقتصاد المصري ٢٠١٤ يمر بأزمة اقتصادية خاصة وهذه الأزمة ترجع إلى العديد من العوامل الداخلية والخارجية فهناك العديد من الشركات والمصانع قد أعلنت إفلاسها وزيادة مديونيتها كما زادت معدلات البطالة بسبب عدم استيعاب سوق العمل لأعداد الخريجين وزيادة معدلات الفقر والجريمة وانخفاض قيمة الجنيه أمام الدولار وارتفاع اسعار السلع والخدمات وتدهور الأجور وهبوط المؤشر العام في البورصات أما ايجابيات هذه الأزمة فهو الدور الوطني لرجال الأعمال المصريين في دعم الاقتصاد وكذلك الشعب بالإضافة إلى الدور الوجدوى للدول العربية واعتمد الباحث على النظرية البنائية الوظيفية وعلى أسلوب دراسة الحالة.

(٣) البهنساوي، أحمد، ٢٠١٥، الثورة المصرية وانعكاساتها على قيم العمل لدى عينة من المعلمين بمحافظة أسيوط:

أوضحت الدراسة أنه مع قيام ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وتسارع الأحداث وتعديل الأجور وغياب القانون جعل الكل يطمح في الاستقلالية والعمل بطريقته الخاصة، وأتاح الفرصة لأداء أنماط مختلفة من الوظائف وبخاصة بعد اختفاء الكبت السياسي والمراجعة، مما جعله ينعكس بدوره على ارتفاع قيمة العائد الاقتصادي لدى المعلمين بشكل عام، ولكن بعد ثلاثة أعوام على الثورة وسوء الأوضاع الاقتصادية وعدم تحقيق المأمول لدى المتعلمين وتردى الخدمات وانتشار الفوضى والعنف بشكل عام والعنف السياسي بشكل خاص مما أدى إلى انحدار عديد من أبعاد قيم العمل مقارنة ببعث الثورة مباشرة ومن جانب آخر فإن انتشار الفوضى قللت من هيبه المعلمين وبخاصة مع تلاميذ المرحلة الثانوية والاعدادية نتيجة لما ينتشر من فكر اعلامي غير حضاري اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج المقارن وأداة الاستبيان.

#### ٤) عبد الحميد، حسام الدين، ٢٠١٥ التحولات الاجتماعية والسياسية في المجتمع المصري في أعقاب ثورة ٢٥ يناير دراسة ميدانية

هدفت الدراسة إلى معرفة التحولات الاجتماعية والسياسية التي طرأت على الشعب المصري بعد ثورة ٢٥ يناير ، فيما يختص بالتحولات الاجتماعية بعد ثورة ٢٥ يناير اتضح أن الثورة أدت إلى تدهور كبير في الإقتصاد المصري وترتب علي إرتفاع الأسعار وتدهور مستوى المعيشة زيادة نسبة البطالة والسرقة وعدم الأمان في الشارع وانعدام الجانب الأخلاقي كما زادت الجريمة وأعمال النصب ، وكذلك زيادة زحف المباني على الأراضي الزراعية وكذلك زيادة المسحوبية والوساطة بين الموظفين وهبوط حركة البيع والشراء لارتفاع الأسعار أما بالنسبة للتحولات السياسية بعد الثورة نجد تدني التوعية الفكرية لدى الشباب بأهمية المشاركة السياسية وأن انتماء المبحوثين للأحزاب جاء بنسبة بسيطة وأن هناك عدد من المبحوثين فضلوا الابتعاد عن السياسية وكانت نسبة المشاركة في الاستفتاء عن الدستور بنسبة ٨٠% ، وذلك لأن المشاركة في الإنتخابات زادت بعد الثورة.

وقد أوضحت نتائج الدراسة أن هناك أفكار تغيرت بعد مجيء الثورة من أهمها فساد المؤسسات الحكومية.

وقد استخدمت هذه الدراسة النظرية الماركسية والمنهج التاريخي والمنهج المقارن وأداة الاستبيان وأسلوب تحليل المضمون ، بالإضافة إلى السجلات الإحصائية.

#### ٥) وهبه، فاطمة، ٢٠١٦، الوعي السياسي والثورة، دراسة سوسولوجية على ثورة ٢٥ يناير

كشفت الدراسة أن الوعي السياسي قبيل الثورة تمثل غالبيته في عودة الحركات السياسية والاجتماعية، وقد أدى الوعي السياسي للأفراد إلى القيام بثورة ٢٥ يناير، وعن زيادة الوعي السياسي بعد الثورة، نتيجة للتغطية الاعلامية الجيدة للأحداث السياسية وتفضيل عينة الدراسة لنظام تعدد الأحزاب وأن لمواقع التواصل الاجتماعي دور كبير في قيام الثورة اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وقد استخدمت أداة الاستبيان.

ويمكن أن نرتب مصادر تشغيل الوعي السياسي بالنسبة لأهميتها إلى الاعلام ويليه شبكة الانترنت، ثم تأتي جماعات الأصدقاء، الأسرة، الجامعة، والمؤتمرات السياسية، والمؤسسات الأدبية والأحزاب السياسية وأخيراً المدرسة وكان الأفراد أكثر إنتماء للأحزاب السياسية الموجودة قبل الثورة عن بعدها.

#### ٦) بديع صبري (٢٠١٧)، ثورة يناير وتداعياتها على الشخصية المصرية

أوضحت الدراسة أن ثمة تحولات طرأت على سمات الشخصية المصرية بالتغيرات التاريخية والبنائية التي تحدث في المجتمع بعد ثورة ٢٥ يناير، ومن ثم فهذه السمات ذات طبيعة متغيرة مثل البنية التي تشكلها، وفي الوقت نفسه تتسم بالاستمرار النسبي، فالجديد من السمات يستمدح في القديم، بحيث أنه لا يحويه ولا هو يخلو به وإنما يتفاعل معه ويعزز نمطا جديدا من الشخصية، وليس هناك ثبات أبدى في أي سمة من سمات الشخصية المصرية، فالثبات نسبي وليس أبدياً ولكن تظل الملامح الأصلية للشخصية المصرية، واعتمدت الدراسة للشخصية على اسهامات، هانز جيرث، رايت ميلز حول العلاقة بين بناء الشخصية والبناء الاجتماعي.

#### ٧) فتح الباب، أحمد، ٢٠١٨، ثورات الربيع العربي وتأثيرها على السلوك الاجتماعي للشخصية المصرية

أوضحت الدراسة أن المجتمع المصري شهد العديد من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بعد ثورتي ٢٥ يناير و ٣٠ يونيو كان لها تأثيرها على الشخصية المصرية فقد تراجعت القيم الأخلاقية وزادت اللامبالاة بالنظم والقوانين، وأصبح المجتمع أكثر عنفا وطغت القيم المادية على القيم الروحية وتفككت الروابط الاجتماعية في مقابل سمات جيدة في الشخصية المصرية من وحدة وطنية وترابط وشجاعة للوصول إلى الأهداف المرجوة، واستخدمت الدراسة النظرية الماركسية المحدثة وأداة الاستبيان على عينة عشوائية من طلاب جامعتي المنصورة وحلوان من مختلف الكليات النظرية والعملية واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي وقد أكدت نتائج الدراسة الآثار الناجمة لثورتي ٢٥ يناير و ٣٠ يونيو على الشخصية المصرية من الآثار الإيجابية إزاحة النظام السابق والمشاركة السياسية والحوار الديمقراطي ومن الآثار السلبية انتشار الفهولة والبطجة والأناية وكسر القوانين واللامبالاة .

٨) نور، منى، ٢٠١٨ الصفوة المثقفة ودورها في عملية التغيير الاجتماعي في مصر قبل وبعد ثورتها ٢٥ يناير ٢٠١١ و ٣٠ يناير ٢٠١٣

اهتمت الدراسة بدور الصفوة المثقفة المصرية في عملية التغيير الاجتماعي في مصر قبيل وبعد ثورة يناير ٢٠١١، و ٣٠ يونيو ٢٠١٣ أي الوظائف والأدوار التي مارسها المثقفون قبيل هذه الثورات ومعوقات القيام بهذه الأدوار ، وقد تم هذا التقييم بعد سبع سنوات من قيام ثورتها ٢٥ يناير و ٣٠ يونيو وقد أوضحت الدراسة إلى اختلاف الأدوار التي مارسها المثقف قبيل الثورة حسب اقتراب هذا المثقف من النظام الحاكم أو ابتعاده بالإضافة إلى الطبيعة المهنية للمثقف ، وأن المثقف لعب دوراً هاماً في بناء مصر الحديثة ، وقد لوحظ أن هناك اقضاء لدور المثقف في قيادة الرأي العام، أما عن المعوقات التي واجهت النخبة المثقفة في أداء دورها فكان أولها قلة التعليم والوعي لدى المتلقي فهو معوق ذاتي كطموح المثقف، بالإضافة إلى معوق مجتمعي يتمثل في كبح الحريات الفكرية بمطاردة الأشخاص الذين لديهم آراء مخالفة ومعارضة ، كما إتضح من نتائج الدراسة تعدد رؤى النخبة المثقفة لمفهوم المثقف وذلك يرجع لتعدد الوظائف التي يختص بها المثقف بالإضافة إلى تعدد رؤيتهم لمفهوم التغيير الاجتماعي ما بين تحقيق العدالة الاجتماعية والتحول الاجتماعي أما عن طبيعة الأدوار التي مارسها المثقف قبل الثورة فنجد أن المثقفين تعاملوا مع الثورة أما بالتأييد أو الحياد وأحياناً الانتهازية استخدمت الدراسة نظرية المجال العام لهابرماس وأسلوب دراسة الحالة.

٩) (زاهر ، إبراهيم ، ٢٠١٩) أنماط العنف الاجتماعي وعلاقتها بالتحويلات الاجتماعية والسياسية بعد ثورة ٢٥ يناير.

اهتمت الدراسة بكافة أنماط العنف في المجتمع المصري بعد ثورة يناير كما لم تغفل العنف السياسي ، ويرجع ذلك أن كليهما نتاج لتحويلات اجتماعية وسياسية وكشفت الدراسة أن أنماط جرائم العنف زادت مدتها بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ منها جرائم القتل خاصة بين الأسرة الواحدة وجرائم السرقة وجرائم الإرهاب ممثلة في الإرهاب ضد الأفراد أو تدمير الممتلكات العامة للمجتمع ، وأنه بعد خمس سنوات من ثورة ٢٥ يناير وثلاث سنوات من ثورة ٣٠ يونيو نجد أن العنف الذي شهدته الساحة المصرية بدأ يتقلص نتيجة للاستقرار الأمني والاستقرار السياسي كما استمر الإرهاب بشكل صريح وقوى بعد أحداث ثورة ٣٠



يونيو ٢٠١٣ واستخدام البحث والمنهج التاريخي والاسلوب المقارن والاسلوب الوصفي التحليلي وأسلوب تحليل المحتوى وقد اعتمدت الدراسة على الاتجاه الميكروسوسيولوجي لعالم الاجتماع رايت ميلز حيث تركز على ثلاثة محاور هي الإنسان والمجتمع والتاريخ . وكانت أداة جمع البيانات هي أداة تحليل المحتوى الكمي لجرائم العنف بالظاهرة موضوع الدراسة وكانت عينة الدراسة ٣٦٥ عدداً من صحيفة الأهرام وذلك بعد خمس سنوات من ثورة يناير وثلاث سنوات من ثورة يونيو .

(١٠) (حجازي، هاني، ٢٠١٨، المحددات الحاكمة للثورة المصرية) : مقارنة نظرية وتحليل سوسيولوجي لثورة ٢٥ يناير .

اهتمت الدراسة بتحليل الثورة كمتغير سوسيولوجي من خلال الأدبيات الأكاديمية في مجال علم الاجتماع ، وتنطلق الدراسة من رؤية أساسية وهي أن ثمة علاقة وطيدة بين إمكان قيام الثورة في مجتمع ما وطبيعة التكوين الاجتماعي لذلك المجتمع، فمن الثابت أن عملية التحول الاجتماعي متعددة الأبعاد، ولها مكونات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية مرتبطة عضويًا ببعضها البعض ، وتحاول الدراسة البحث في تجليات الثورة المصرية عبر سياقات سوسيولوجيا الثورة والتنمية وتعتمد هذه الدراسة على نظرية الحرمان النسبي واتضح من الدراسة أن الثورة لم تسهم في بلورة مشروع مجتمعي قادر على أن يشكل مرجعية فكرية واجتماعية وعدم ملاءمة نماذج التنمية التي سادت لعقود طويلة . واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي مستخدمة التحليل الكيفي لعينة عشوائية من الدراسات حول الثورة المصرية والثورات العربية للتعرف على المضامين والمسلمات التي انطلقت منها .

(١١) (هيكل ، أحمد، ٢٠٢٠ التحديات السياسية والاقتصادية بعد ثورة ٢٥ يناير وتأثيرها على تنمية المجتمع المصري)

قامت هذه الدراسة بتناول التحديات السياسية والاقتصادية التي آثرت على تنمية المجتمع المصري بعد ثورة يناير ومن أبرز التحديات التي شهدتها الوضع السياسي بعد ثورة ٢٥ يناير تمثل في فجوة قيمه بين قيم التغيير والمشاركة التي ينادي بها الشباب، بالإضافة إلى انتشار العنف وجرائم الإرهاب، ومن أبرز التحديات الاقتصادية بعد ثورة يناير عجز الموازنة العامة للدولة بنسبة كبيرة وتدني الخدمات الاجتماعية، وقد اعتمد

الدراسة على نظرية الصراع الاجتماعي وقد اعتمدت الدراسة على أسلوب المسح الاجتماعي وأداة الاستبيان.

### المحور الثاني دراسات تناولت ثورة يناير في المجال الأدبي سواء علم اجتماع الأدب أو النقد الأدبي:

(١) (العشماوي، رضا ٢٠١٤)، ارهاصات ثورة يناير في ٢٠١١ في الرواية المصرية من بداية القرن الواحد والعشرين وحتى قيام الثورة (٢٠٠١ - ٢٠١١).

سعت هذه الدراسة إلى رصد علاقة التأثير والتأثر التي يمكن أن تقوم بين الرواية والواقع، عبر الوقوف على دور الرواية في الارهاص بثورة ٢٥ يناير وقد توصلت الدراسة أن كثير من الروايات قد تتبأ بقيام الثورة وزوال نظام الرئيس مبارك بصور متعدد بعضها قائم على العنف وبعضها سلمي كما اتضح من الدراسة أن جيل الشباب من الروائيين كان أكثر اقتراباً من الواقع، والأكثر صدقاً في التعبير عنه في إنتاجه الروائي كما كان هذا الجيل أكثر إيماناً بالثورة وأشد وضوحاً في التنبؤ بها ووجدنا عدد غير قليل من الأعمال التي تمثل التجربة الأولى لمؤلفها ومن أبرز الروائيين الشبان في التنبؤ بالثورة محمود عثمان في روايته ثورة (٢٠٥٣) وخالد أحمد "السرسرية وأحمد مراد (تراب الماس) ولوحظ ضعف واضح في المشاركة النسائية في روايات التنبؤ بالثورة وذلك لتفضيلهم الكتابة الرومانسية إلا مشاركة ريم بسيوني في روايتها (أشياء رائعة) و(بائعة الفستق) كما كان هناك اجماع واضح في روايات الدراسة على أقسام النظام السياسي الذي قامت ضده الثورة بـ "الاستبداد" وعلى شكلانية الديمقراطية وأنها لم تتعد نطاق الشعارات، كما لوحظ اهتمام بالغ بقضية التوريث في قطاع كبير من روايات الدراسة مثل روايتي قرن الغزال لـ (عادل محمد) وعرفه ينهض من قبره (لـ حسن توفيق).

وقد نالت قضية الاغتراب والهجرة اهتماماً كبيراً في روايات الدراسة التي اتخذتها محور لها مثل رواية سفينة نوح لخالد الخميسي كما عالجتها بعض الروايات بصورة مكثفة مثل شيكاجو والعاطل لناصر عراق.

وقد ظهر في معظم الروايات ربط وثيق بين القهر على المستوى الأسرى والمجتمعي والقهر على المستوى الأمني والسياسي وقد اعتمدت الدراسة على أداة تحليل المضمون وعينه من الروايات التي مهدت وارهصت بثورة ٢٥ يناير.

(٢) (عزب ، ألاحظ، ٢٠١٧)، دور الأفلام الروائية المصرية في التمهيد لثورة ٢٥ يناير "دراسة تطبيقية دور الأفلام الروائية المصرية في التمهيد لثورة ٢٥ يناير دراسة تطبيقية.

كشفت هذه الدراسة أن الأفلام تعد من أدوات الاتصال والمعرفة ووسيلة من الوسائل التثقيفية والتعليمية والتربوية الفعالة التي تهدف إلى الارتقاء بالمجتمع وذلك لقدرتها في تشكيل الرأي العام، وأن السينما استطاعت أن تقوم بشحن وتحريض الجمهور بشكل تراكمي بضرورة التغيير والثورة على الظلم والفساد في المجتمع، وقد جاء رصد تردى الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأمنية في المجتمع في مقدمة الدور الذي قامت به الأفلام الروائية المصرية في التمهيد لقيام ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، ثم جاء رصد انتهاكات النظام السياسي في المرتبة الثانية وهذا يدل على وعي صناع السينما المصرية في فترة ما قبل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بالقدرة على استقراء الواقع ، رصد الأوضاع المتردية التي يعاني منها المجتمع المصري .

استخدمت الدراسة منهج المسح لحصر جميع الأفلام الروائية المصرية في الفترة من ٢٠٠٥ إلى ٢٠١٠ انتاجياً ذلك لاختيار عينة من الأفلام مهدت لقيام ثورة ٢٥ يناير وكذلك تم مسح عينة من الأكاديمين والخبراء في مجال السينما لمعرفة آرائهم في طبيعة الدور الذي قامت به هذه الأفلام في التمهيد لقيام ثورة ٢٥ يناير استخدمت الدراسة أداة "تحليل المضمون لتحليل مضامين الأفلام السينمائية المصرية التي سبقت ثورة ٢٥ يناير .

(٣) (شحات ، اسراء ، ٢٠١٩ ، انعكاس التحولات الاجتماعية في الأدب الروائي المصري)

أوضحت الدراسة مدى تأثير الفئة التي تكتب الأدب بالسياق الاجتماعي المحيط بها وذلك بوصفهم فئة مثقفة فاعلة في المجتمع وأن كل الروايات (عينة الدراسة) قدمت للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع المصري قبيل ثورة يناير، والتي اتسمت بحالة من الانحطاط والتدهور الشديد، عبرت الروايات عن الرسائل التي استخدمها الشباب للهروب من الأوضاع المتدهورة أما من خلال الهجرة غير الشرعية أو الانضمام إلى الجماعات الإسلامية كما صورت الروايات كل صور القمع والغنف ضد المتظاهرين في ثورة يناير في روايتي الخمر ماعدت تسكر أحد وكل هذا الهراء كما قدمت معظم

الروايات عينة الدراسة لأهم أسباب ثورة يناير فصورت دور وسائل التواصل الاجتماعي وخاصة الفيس بوك من خلال روايتي (كل هذ الهراء) و(الخمير ماعادت تسكر أحدا) . استخدمت الدراسة الأسلوب الوصفي والأسلوب التاريخي واستعانت بأداة تحليل الخطاب الروائي .

### أما عن نقاط الاتفاق والاختلاف بين الدراسات السابقة والدراسة الراهنة :

اتفقت الدراسة مع دراسات علم الاجتماع التي تناولت ثورة يناير اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً في تناول الظروف والأحوال التي سبقت إلى الثورة وتطورها بالاعتماد على المنهج التاريخي وكذلك استخدام الأسلوب الوصفي ، خاصة دراسة فتح الباب وعبد الحميد، هيكل وبديع ، واختلفت في أسلوب ومنهج التناول من منظور علم الاجتماع الأدبي ، كذلك إتفقت الدراسة مع العديد من الدراسات على أهمية المجال العام في حدوث الثورة وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي والتجمعات المختلفة كما إتفقت العديد من الدراسات على دور الفاعل الإحتجاجي في الثورة خاصة الطبقة الوسطي ، أما عن الدراسات التي تناولت الثورة في مجال علم اجتماع الأدب والنقد الأدبي ، فقد اتفقت مع دراسة العشماوي في دور الرواية في استشراف المستقبل الاجتماعي والسياسي ، واختلفت في الاطار المنهجي لتناول الدراسة واتفقت مع دراسة شحات في استخدام الأسلوب التاريخي وأداة الخطاب في تحليل الروايات بالإضافة إلى نظرية المجال العام لهايرماس، واختلفت مع هذه الدراسات في الاكتفاء بتحليل رواية واحدة ، وهي أجنحة الفراشة ، فقد اعتمدت هذه الدراسات على عدة روايات لكل منها.

### التحليل الوصفي للرواية

يتم التحليل الوصفي للرواية تبعا للأهداف الموضوعية للدراسة على التوالي تدور رواية "أجنحة الفراشة" حول العديد من الشخصيات التي تبحث عن ذاتها وعن الحقيقة يوازي ذلك البحث عن المجتمع والوطن وتحقيق وجوده من خلال شخصية "ضحى" و شخصيه "الدكتور أشرف" وشخصيه "أيمن".

تبدأ الرواية بشخصية "ضحى" بطلة الرواية وهي في ميدان التحرير تعوقها المظاهرات عن الوصول إلى المطار لتسافر إلى ايطاليا، لكي تعرض أزيائها التي صممتها كما

تقول "بلا هوية مصرية"، وفي أثناء الرحلة تلتقي بالناشط السياسي الدكتور "أشرف الزيني" الذي يغير من أفكارها، ويساعدها في رحلة البحث عن ذاتها موازية لرحلة البحث عن تحقيق وجود الوطن (الأم)، ونجد أن ضحى من خلال الرحلة تتغير حياتها، فتشارك عند العودة في المظاهرات السياسية التي أدت لتحقيق الثورة، وتبحث عن هوية مصرية صحيحة لأزيائها ممثلة في الفراشات المصرية، بل وتسعى للانفصال عن زوجها نائب في الحرب الحاكم في الرواية، والذي لم تجد معه أي أمان أو سعادة وعلى التوازي نجد شخصيته (أيمن الحمزاوي) الذي خرج للبحث عن أمه، كما خرج الثوار عن وطنهم (الأم) ونجد ذلك في الفقرة الآتية

"فكما أن الوطن هو الأم، فإن الأم أيضا هي الوطن، والانسان الذي (لا يعرف) أما لا يعرف له وطنا، هو إنسان بلا أصل "بلا جذور بلا هوية، (سلماوي، ٢٠١٢، ١٦)

### محاور تحليل الرواية تبعاً لأهداف الدراسة وتساؤلاتها

**أولاً الكشف عن العلاقة بين الرواية والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المرتبطة بالتحويلات السياسية في المجتمع المصري ممثلة في ثورة ٢٥ يناير .**

نجح النظام السياسي قبل الثورة في تفريع العملية الديمقراطية من محتواها الحقيقي بالإضافة إلى غياب التداول السلمي للحكم، وجمود النخبة الحاكمة، ووجود خلل في النظام الحزبي التعددي، بالإضافة إلى تزوير نتائج انتخابات مجلس الشعب ٢٠١٠ لصالح الحزب الحاكم، كما تعددت الاتهامات الموجهة لجهاز الشرطة من انتقاص لحقوق المواطنين هذا من الناحية السياسية، أما من الناحية الاجتماعية فنجد اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء وضعف الدولة عن الوفاء بمهامها تجاه المواطنين بالإضافة إلى ظهور طبقة شبابية جديدة تتمتع بتعليم متميز ودراية بفنون التواصل الإلكتروني، والانتماء إلى الشريحة العليا والوسطى من الطبقة الوسطى، ومنفتحة على قيم الخارج من ديمقراطية وحرية وهي الطبقة التي قامت على اكتافها موجه الغضب الأولى في الخامس والعشرين من يناير ولاققت تأييدا من مختلف القوى السياسية (هلال ، على الدين، ٢٠١٣، ٦٥ - ٦٦).

ويؤكد ذلك في الرواية هذه الفقرة "تحدث الدكتور أشرف الزيني في مكبر الصوت الذي يحمله في يده... العالم كله يتابع خروجكم اليوم في هذه المظاهرة التي تتمنى ألا تغيب دلالتها عن الحزب الديكتاتوري، الذي يسيطر على أمور البلاد... شعب مصر العريق يستحق حياة أفضل بكثير من تلك الحياة الصعبة التي فرضها عليه ذلك الحزب الفاسد.. حزب المصالح الشخصية... الحزب الذي يحتمى بدستور وضعه "ترزية القوانين" حتى يحكموا قبضتهم إلى الأبد على مقدرات هذا الوطن" "غير غير الدستور.. قبل مانكشف المستور" انطلقت الهتافات (لسلماوي ، أجنحة الفراشة، ١٣٤).

ونجد أن المتأمل لمجمل التحولات السياسية يجد أنه بالرغم من وجود الأحزاب والانتخابات والدستور، إلا أن الممارسات السياسية الفعلية التي تقوم بها النخبة الحاكمة تعكس ثقافة قديمة موروثية من نظام الحزب الحاكم وتتجه إلى التوريث، الذي ينسف مبادئ الجمهورية ويقوضها، إن قيم الديمقراطية والمشاركة وإقرار مبادئ المواطنة وقيمها، هي ثقافة حديثه لا يدعمها إلا ديمقراطيون حقيقيون (بديع ، ٢٠١٧، ٦)

فقد اعتمد النظام السياسي على أساليب الحزب الوطني الديمقراطي لتزييف الانتخابات، من خلال العمل على تقليص إشراف القضاء على الانتخابات، ورفض الإشراف الدولي عليها (ليلة، على، ٢٠١٣، ٧٩)

وتؤكد الرواية ذلك في الفقرة التالية:

"تضح أمام العالم كله موقف القوى الشعبية من الحزب الحاكم، وتؤكد زيف الانتخابات التي كانت تعطى للحزب في كل انتخابات ما لا يقل عن ٩٠% من الأصوات، وبدأت وكالات الأنباء الأجنبية تكتب عما اسمته أول استفتاء غير مزور تشهده مصر حول شعبية، الحزب الحاكم وحجم القوى الشعبية المعارضة (سلماوي ، أجنحة الفراشة، ٢٧).

وكذلك في حوار ضحى مع دكتور أشرف الزيني في الرواية في الفقرة التالية "أنا أتطلع فقط إلى إرساء بعض المبادئ التي بدونها لا تكون هناك ديمقراطية ولا حكم للشعب قاطعته: مثل ماذا؟ أكمل حديثه "مثل إرساء مبدأ تداول السلطة، مثل حظر تزوير إرادة الناخبين وهي كلها مبادئ أولية في أي نظام سياسي محترم، ....، أنهم يتحدثون ليل نهار عن الإصلاح الاقتصادي ولو أنهم بذلوا بعض الجهد في الإصلاح السياسي لكان حالنا

غير الحال، قولي بريك: هل يعقل أن يظل حزب واحد يحكم البلاد طول العمر" (سهماوي، أجنحة الفراشة، ٢٩)

كما تعتبر سياسة الأجور والأسعار من أهم العوامل المرتبطة بثورة يناير ، فقد كانت المحرك الرئيسي للاحتجاجات، فجاءت إضرابات المعلمين في أكثر من مدينة وأحزاب الأطباء والصيدالة تعبيراً عن الحاجة لوجود علاقات عمل رسمية وثابتة، بالإضافة إلى تآكل الطبقة الوسطى ،... وتهميش الطبقة الوسطى المتعلمة واتجاه المعينين بالشأن العام، خاصة من أبناء الطبقة الوسطى المتعلمة إلى الحركات الاجتماعية التي طالبت بالتغيير الشامل"، وعدم ملائمة المناهج التعليمية لاحتياجات سوق العمل مع ارتفاع نسبة الشباب إلى مجموع السكان مما أدى إلى ارتفاع البطالة بين الشباب (عبد المنعم تغريد ، ٢٠١٦ ، ٢٤٧ - ٢٤٨) ويؤكد ذلك الفقرة التالية في الرواية "قال حسن: أقصد الغلاء والفساد وإهمال الحكومة للناس ومشاكلهم" (سهماوي ، ٩٠)

ونجد الدليل على ذلك في رواية "أجنحة الفراشة من خلال ، شخصية الشاب "عبد الصمد" ممثلاً لمشكلة البطالة استشهدا بالفقرة الآتية "أخذ عبد الصمد يروي له أنه يبحث منذ فترة عن السفر إلى الخارج وأنه تعرف عن طريق الانترنت على سيدة كبيرة في الكويت ستساعده في ذلك، فقد توطت العلاقة بينهما عن طريق الانترنت ووفرت عمل سوريا وسيدفع له خمسة آلاف جنيه" (سهماوي، ٦٨).

بالإضافة إلى تفكك منظومات القيم التي تشكل أخلاقيات المجتمع كما تشكلت أساساً بالاتفاق الاجتماعي الذي يحفظ على المجتمع وحدته وتماسكه ، مما عرض بناء المجتمع لحالة من التفكك والتآكل مما دفع المحتجين إلى الثورة (ليله، على، مرجع سابق، ٦٥).

بالإضافة إلى أن الاختراق الثقافي والاجتماعي للأسرة المصرية قد جعلها عاجزة عن التنشئة وفق منظومات، قيم الثقافة المتعارف عليها بالمجتمع مما سبب التفكك الأسري (ليلة، على، المرجع نفسه، ٦٦).

ونجد في الرواية انهيار القيم متمثلاً في شخصية عبد الصمد حيث عمل بكافتيريا ليلي ليجمع المال اللازم لسفره للخارج، رغم عمله بأن هذا العمل يتعارض مع كل المبادئ الأخلاقية السليمة كما نجد عدم ارتباط أسرة عبد الصمد وأيمن مع باقي الأفراد من الأسرة

حتى الأخوين الشقيقين أيمن وعبد الصمد قد اتجه كل منهما اتجاه معاكسا "أيمن" يبحث عن أمه التي لم يراها ويوازي ذلك اشتراكه في المظاهرات بحثا عن وجود الوطن (الأم) أما عبد الصمد فيبحث عن تحقيق مصالحه الشخصية.

ثانياً الوقوف على المجال العام الذي أدى إلى التحولات السياسية ممثلة في ثورة يناير في العمل الأدبي من منظور الرواية:

قام هابرماس بتحديد المجال العام في بعدين هما البعد الأمبيريقى Empirical Dimension من خلال زعمه أن المجال العام بمنزلة نسق مؤسس مميز عن التفاعل الشفهي والكتابي، أما البعد المعياري Normative Dimension فيشير إلى المجال العام بصفته منتهى Asaforum يجتمع الأفراد من دون وجود قوة رسمية ويجهزون أنفسهم للتوافق مع السلطة العامة لتقرير شرعيتها قبل الرأي العام. (Habermas, 1988, p359) ، أي أن المجال العام يستخدم - بشكل عام للإشارة إلى إتاحة الحوار العلني والنقاش الحر من دون قيود تفرض على أفراد المجتمع، وهو مجال يمكن الأفراد من مناقشة القضايا والمشكلات ذات الاهتمام المشترك فيما بينهم، ويتسع هذا المجال للفرد فرصة التعبير الحر عن آرائه من دون أو إجبار من جانب المجتمع، ويتم فيه مناقشة قضايا المجتمع المختلفة من أجل الوصول إلى مجتمع أكثر حرية وعقلانية. (Ibid, 361)

كما يشير مفهوم المجال العام إلى أنه ميدان عام يلتقي فيه الأفراد الذين لديهم اهتمامات مناقشة القضايا المشتركة بغرض تبادل الآراء المختلفة للوصول إلى موقف مشترك، وغالبا ما يستلزم الأمر توليد ضغط لتحقيق تعبير سياسي أو قانوني، وبهذا يكون المجال العام وسيطاً بين المجال الخاص بالفرد والمجال الخاص بالدولة، ولكن لا بد من أن نشير هنا إلى أن المجال العام لا يعد جزءاً من الدولة أو امتداداً لها، وهكذا يمكن القول إن المجال العام ينبع من المبادرات الطوعية للمواطنين، ولذلك تكون المبادرات مستقلة عن الدولة. (Crossley, Nike, 2005, 227 , 228)

ويتمثل المجال العام في الرواية في الأماكن والتجمعات التي كانت تحدث بها المناقشات وتبادل الآراء والاحتجاجات بالإضافة إلى الفضاء الافتراضي من خلال الانترنت والرسائل والتليفون ويتمثل ذلك في الرواية من خلال الفقرات الآتية:



"توقف المرور تماماً في ميدان التحرير، فأصيب قلب المدينة بالشلل الكامل، كل المخارج من الميدان إلى بقية أحياء القاهرة وسدت كل المداخل إلى الميدان اكتظت فيه السيارات العامة والخاصة، ... كانت قوات الأمن المركزي تقف كالحائط المنيع... كسور برلين القديم... سمعت من بعيد أصوات هتافات المتظاهرين تعلو وتهبط "غير غير الدستور... قبل ماكتشف المستور" ، "التصويت باطل باطل... والشباب عاطل عاطل"

كما نجد المجال في الرواية مرة أخرى (سلماتي، ٧-٨) بين طلاب الجامعة والأستاذة في التفاعل والنقاش بينهم في المدرجات وساحات الجامعة ، ونجد أن من أهم الأسباب الاجتماعية، لبروز هذه الحركات الاحتجاجية خاصة في فئة الشباب هي سطوة أجهزة الأمن على الحياة الجامعية، وتقنين الأنشطة العلمية والبحثية والفكرية للأستاذة والطلاب، وهذا ما دفع إلى أنشطة احتجاجية من أجل المطالبة باستقلال الجامعة، وإطلاق الحرية للأنشطة العلمية والفكرية بالنسبة للأستاذة وحرية النشاط الطلابي سواء الاجتماعي والثقافي والسياسي داخل الجامعة وأن يقوم على أمن الجامعة وحرسها وحدات خاصة خاضعة لرئيس الجامعة. (حسب الله، تغريد، ٢٠١٦، ٢٥٢)

فنجد هذه الفقرة في الرواية تدل على اعتصام الطلاب بالجامعة نتيجة قيام الأمن بجل اتحاد الطلبة في الفقرة الآتية:

"إن زملاءنا في كلية الهندسة يواجهون موقفاً صعباً، فقد قام الأمن بجل اتحاد الطلبة الذي انتخبوه وهم ينظمون اليوم اعتصاماً بالكلية، فلماذا لا تأت معنا لتناصرهم.... وصلاً إلى كلية الهندسة فقابلاً على بابها زملاءهم من المعهد كانت هالة عبد الشهيد صديقة حسن هناك هي الأخرى قالت لهم إن الاعتصام ألغى ولم يسمح للطلبة بدخول المدرج الكبير بالكلية، كان مدخل الكلية يموج بالطلبة الذي كانوا يهتفون ضد حرس الكلية الذي قام باخلاء المدرج ويطالبون بعدم تدخل الأمن في شؤون الطلبة" (سلماتي ، أجنحة الفراشة، ٩٠، ٩١)

ويمثل مفهوم المجتمع المدني "مجموعة من التنظيمات التطوعية المستقلة نسبياً، التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها، أو تحقيق منفعة جماعية للمجتمع ككل، وهي في ذلك ملتزمة بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والإدارة السلمية للتنوع والاختلاف، وقد لعبت هذه المنظمات دوراً مهماً في تدفق المعلومات حول

قضايا حقوق الإنسان، وفي توعية الرأي العام بها، وفي الرقابة على أداء الحكومة بشأنها وقد ازداد دور هذه الجمعيات مع قيامها بالإشراف على الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في عام ٢٠٠٥ وانتخابات المجالس الشعبية المحلية عام ٢٠٠٨ (حسب الله ، تغريد ، ٢٥٢) ، ونستشهد على دور منظمات المجتمع المدني التي تعد متسعا للمجال العام كما ورد في هذه الفقرة بالرواية "دخل دكتور أيمن الزيني كلية الهندسة، وكان زعيما للطلبة فاعتقلته قوات الأمن بالجامعة في عهد السادات، لكنه اجتهد في دراسته وتخرج بامتياز ، مما فتح له طريق التعيين بهيئة التدريس، فظل قريبا من الطلبة في السن التي يتمردون فيها على الواقع ويتطلعون إلى غد أفضل فكان يعمل دائما على ترشيد حركتهم وتوجيهها إلى العمل البناء من خلال الانضمام إلى التنظيمات الشعبية المطالبة بالتغيير بدلاً من تبديد طاقاتهم في الأحزاب عن الدراسة أو الاكتفاء بالخروج في المظاهرات، وهكذا تحول إلى زعيم للطلبة، ثم أحد زعماء المجتمع المدني حين أسس حركة "الأفق الجديد" التي ضمت أعداد كبيرة من المطالبين باصلاح أوضاع البلاد، فكتبت عنها الصحف المحلية والدولية، وسرعان ما نال مكانة مرموقة بين منظمات المجتمع المدني الدولية. (سماوي ، أجنحة الفراشة، ٣٤، ٣٥)

**ونجد في الفقرة التالية في الرواية أهمية منظمات المجتمع المدني كأحد ميادين المجال العام الهامة:**

"تحدث عن احتكار الأحزاب الحاكمة في دول العالم الثالث للحياة السياسية، و كيفية أن المجتمع المدني في مصر يبذل الجهود من أجل التغيير والمطالبة باصلاح الحياة السياسية عن طريق وضع مبدأ تداول السلطة الذي تعتمد عليه الممارسة الديمقراطية، وعن طريق تعديل الدستور الذي وضعه الحزب الحاكم لضمان سيطرته دون غيره على الحياة السياسية في البلاد (سماوي ، أجنحة الفراشة، ١١٣)

وقد بدأت الثورة المصرية حينما تنادي الشعب عبر مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت ك (الفييس بوك، تويتر ويوتيوب) إلى اعلان يوم (٢٥ يناير) يوم غضب للشعب المصري، فخرج آلاف المصريين من مختلف أرجاء مصر في مظاهرات أكدوا على أنها مظاهرات سلمية، ورغم ذلك لم تسلم تلك المظاهرات من اعتراض، رجال الأمن، كما تم قطع كافة الخدمات التليفون المحمول والإنترنت، رغم أن مواقع التواصل

الاجتماعي لم تكن السبب الرئيسي لاندلاع الثورة، بقدر ما كانت حلقة وصل ومحركا هاماً للأحداث. (حجازي، هاني، ٢٠١٨، ٣٣٩) ، وتدلل الفقرة التالية على أن المجال العام الذي يتحقق من خلال مواقع التواصل الاجتماعي لتحقيق التحولات السياسية هو الانترنت والتليفون المحمول كان له دور فعال قبيل وأثناء ثورة ٢٥ يناير .

"كانت وسيلة الاتصال بين مختلف التجمعات الشعبية التي لبت نداء الدكتور الزيني للعصيان المدني هي الانترنت والتليفون المحمول حيث عززت الصحف والقنوات الفضائية عن متابعة التطورات التي بدأت تتلاحق بشكل غير مسبوق، وهكذا بدأ بث الرسائل على التليفونات المحمولة وعبر العناوين الالكترونية والتي كانت تدعو كل من يرفض حزب القهر والاستبداد وحكومته الفاسدة أن يبقى في بيته ولا يذهب إلى عمله حتى تتم الاستجابة للمطالب الشعبية التي طرحتها قوى المعارضة (سلماوي ، ١٧٤).

وقد أصبحت شبكة الانترنت مجال عام بديل (Aternative public sphere) يستطيع من خلاله الأفراد - وبالأخص فئة الشباب باعتبارهم أكثر الفئات استخداماً للانترنت - ابداء الرأي والحوار والمناقشة وتبادل المعلومات حول قضايا المجتمع، وكذلك تنظيم أنفسهم في مجموعات أو حركات اجتماعية من خلال الاستعانة بالآليات التي توفرها شبكة الانترنت، ويمكن القول أن التحولات التكنولوجية قد أثرت في اندلاع ثورات الربيع العربي (عبده، هاني، ٢٠١٥، ٥٤١)

استطاعت شبكة الانترنت، بما تتضمنه من مواقع ومدونات وشبكات اجتماعية ومنتديات أن توفر للحركات الاجتماعية - السياسية فضاء اعلامياً بديلاً سريع الانتشار وقادر على التفاعل مع الآخرين، وهو ما يتيح مزايا السرعة وقلة التكلفة والتواصل مقارنة بوسائل الاتصال التقليدية ويرى البعض أن هذه المواقع تمثل مجتمعا مدنيا افتراضيا خاليا من المعاني والقيم التي تؤثر على المجتمع الواقعي، مما ساعد على زيادة إقبال الشباب على العالم الافتراضي قصور الأطر المؤسسية كالأحزاب ومنظمات المجتمع المدني عن القيام بدورها، وعلى الرغم من أن أغلب الحركات الاجتماعية تستفيد بشبكات التواصل الالكتروني، مما يجيز تسميتها بأنها حركات الالكترونية، إلا أنه من الملاحظ أن تلك الحركات الالكترونية تختلف في مدى ارتباطها بالواقع، فبعضها له امتدادات في الواقع الاجتماعي والآخر ليس له وجود مادي ملموس في الشارع (حسب الله، تغريد، ٢٠١٦،

(٢٥١) ، أى أن الرواية توضح وجود مجال عام ساعد على حدوث الثورة واستكمالها تمثل فى التجمعات المختلفة فى الميادين وخاصة ميدان التحرير ، وفى ساحات الجامعات ومن خلال مواقع التواصل الاجتماعى المختلفة .

### ثالثاً الكشف عن الفاعل الاحتجاجي في الثورة كما عكستها الرواية:

يمثل ظهور الحركات الاحتجاجية الجديدة فى المشهدين السياسى والاجتماعى المصرى تحولاً مهماً فى طبيعة العلاقة بين الدولة والقوى الاجتماعية الباحثة عن التغيير، خاصة أن قوام تلك الحركات الجديدة يرتكز على قاعدة شبابية واسعة، وتصدر طبيعة تلك الحركات فئة اجتماعية جديدة بدأت تحوز اهتماماً، فكانت جماعات النشطاء حيث النشطاء فى حقوق الإنسان، والنشطاء السياسيون فى مجال الدفاع عن الحريات السياسية ومع زيادة مساحات الاستبعاد الاجتماعى والعجز عن تلبية تطلعات شباب الفئات الوسطى، انخرطت قطاعات شبابية عديدة فى إحياء الحيز الاحتجاجى، وذلك "بوصفهم فئة اجتماعية" بمعنى التحول إلى فاعلين اجتماعيين، ولحدوث ذلك الانخراط دلالة مهمة، حيث التحول من فئة عمرية لها مطالبها واحتجاجاتها إلى فاعل احتجاجى لا يمكن تهدنته من خلال تلبية مطلب اجتماعى أو اقتصادى، فهو فاعل يرغب بالمشاركة، وذلك فى الوقت الذى يتحدى فيه أنماط السلطة ويسعى إلى تغيير علاقات القوة القائمة، وبما يعنى أن الشباب باعتباره نواه لفاعل احتجاجى جديد خرج نتيجة لتحول اجتماعى واقتصادى إلى مرحلة فعل ووعى مختلف عن مرحلة المطالب الشبابية المعتادة من حيث التعليم والعمل والسكن إلى فاعل له مواقفه السياسية ، ورفض الاستبداد والتوريث، حتى أنه يمكن القول بأنه تحقق نتيجة لنمو ذلك الحيز ميلاد فئة من شباب النشطاء الذى انتقلوا من العالم الافتراضى إلى الميادين والساحات العامة، فهم صانعو الثورات. (المهر، محمود، ٢٠١٤، ٢)

واتضح أن نشطاء الحركات الاحتجاجية أو الفاعلين الاحتجاجيين كان مفهوماً أفرزته التحولات السياسية والاجتماعية خلال السنوات القليلة الماضية، وهم الذين نجحوا فى تجاوز الآليات النظامية للتغيير من خلال ممارسات سليمة أفرزت تحولات سياسية لا زالت آثارها فاعلة ومسيطر على المشهد المجتمعي وتطوراته. (المصدر نفسه، ٨).

ويتمثل الفاعل الاحتجاجي في الرواية "أجنحة الفراشة في شخصيات "ضحى"، "الدكتور أشرف الزيني"، و"أعين" و "حسن" و "سلوى العليمي" و "الدكتورة مشيرة" و "هالة عبد الشهيد" على اختلاف الطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها، واختلاف الثقافات الموجهة لهم، لكن جميعهم اتفقوا في البحث عن الهوية الصحيحة للوطن وتحقيق وجوده وهو ما يتفق مع خط موازٍ في الرواية لبحث بعض الشخصيات عن ذاتها والحقيقة في حياتها كبحث "أيمن" عن نفسه ووالدته الحقيقية في حياتها كبحث "أيمن" عن ذاتها والحقيقة في زواجها وعملها، وبحث "الدكتورة مشيرة" عن ذاتها وسوف أقوم بتناول هذه الشخصيات الاحتجاجية بالتحليل من خلال الرواية.

**الشخصية الأولى "ضحى"**

كما ورد بالرواية "كان يسيطر عليها شعور بأنها لم تجد نفسها بعد، وأن هناك حياة أخرى مقدره لها غير الحياة التي تعيشها ربما كانت هذه الرحلة هي التي ستكشفها لها (سلماتي، ١٣)

وتنتهي ضحى إلى الطبقة العليا فكانت متزوجة من شخصية سياسية كبيرة يعمل عمه سكرتيراً للحزب الحاكم وكانت من أسرة عريقة ولكنها لم تشعر بذاتها وتغيير اتجاهاتها السياسية إلا عندما تعرفت على الدكتور أشرف الزيني فحدث لها تحولاً سياسياً كبيراً يوازي التحول الذي حدث في عدم تقبلها لحياة زوجية لم تختارها ولم تشعر معها بالسعادة وعدم تقبلها لعدم وجود هوية مصرية لأزيائها حيث تعمل كمصممة أزياء.

**شخصية أيمن**

ينتمي أيمن إلى الطبقة الكادحة حيث يحاول أن يجد لنفسه هوية ويحاول البحث عن أمه الحقيقية ويوازي بحثه عن أمه الحقيقية بحثه عن الوطن، ويعتبر من الفاعلين الاحتجاجيين الأساسيين في الرواية ويدل على ما سبق الفقرة الآتية في الرواية.

"كانت الرحلة شاقة لكن كان عليه أن يقطعها ، لم تكن المسافة طويلة لكنها كانت ستغير مجرى حياته، فيها كان خلاصة من المعاناة التي عاشها سنين، كان أيمن الحمزاوي شاباً في مقتبل العمر، وكان عليه أن يقطع الرحلة كي يعرف الحقيقة، كان عليه أن يذهب إلى طنطا ليعرف من هو، ومن أمه:..... فكما أن الوطن هو الأم فإن الأم

أيضا هي الوطن، والإنسان الذي يعرف له أما لا يعرف له وطنا، وهو إنسان بلا أصل.... بلا جذور... بلا هوية (سلاوي، ١٦)

### شخصية الدكتور أشرف الزيني

يري الدكتور أشرف وهو يعد فاعل احتجاجي رئيس في الثورة بل محرك للمتظاهرين ويؤكد أنه "ليس بالضرورة أن نتفق إن ما ينقصنا في هذا البلد هو ثقافة الاختلاف" (سلاوي، ٣٠)

ويحدثنا سلاوي عن شخصية الدكتور أشرف الزيني في الرواية فيقول "دخل كلية الهندسة، وكان زعيما للطلبة فاعتقلته قوات الأمن بالجامعة في عهد السادات، لكنه اجتهد في دراسته وتخرج بإمتياز، مما فتح له طريق التعيين بهيئة التدريس فظل قريباً من الطلبة في السن التي يتمردون فيها على الواقع ويتطلبون إلى غد أفضل فكان يعمل دائما على ترشيد حركتهم وتوجيهها إلى العمل البناء من خلال الانضمام إلى التنظيمات الشعبية المطالبة بالتغيير بدلاً عن تبديد طاقاتهم في الأحزاب عن الدراسة أو الاكتفاء بالخروج في المظاهرات، وهكذا تحول الدكتور أشرف الزيني المعماري الكبير إلى زعيم للطلبة، ثم أحد أهم زعماء المجتمع المدني حين أسس حركة "الأفق الجديد" (سلاوي ، ٣٤-٣٥)

### شخصية الدكتورة مشيرة

"أما مشيرة فكانت تقول أن الإنسان دائم البحث عن نفسه، قد يجد نفسه في مرحلة متقدمة من حياته، أو قد يجدها في مرحلة متأخرة، المهم ألا يضع الإنسان بأي حياة تصادفه أو تفرض عليه" (سلاوي، ٣٩)

ويعرفنا الأديب "محمد سلاوي " بمشيرة حيث يقول "كانت أستاذة في قسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب، كما كان لها تواجد في الحياة الثقافية والأدبية، حيث كانت تُولف الكتب تشارك في الندوات، وإن كانت في الفترة الأخيرة قد اتجهت إلى السياسية" (سلاوي ، ١٣ ،

وتعد شخصيات الدكتور أشرف الزيني والدكتورة مشيرة من الطبقة المتوسطة

### شخصية سلوي العلمي

هي زميلة أيمن بالمعهد وحببته وعملت بالصحافة حيث يقول الأديب على لسانها "قابلت أمس رئيس قسم المحليات في جريدة الصباح المستقلة، ووافق أن أعمل معهم

بالقطعة لمدة ثلاثة أشهر ، وإذا أثبتت جدارتي فأعمل بمكافأة ثابتة إلى أن يتم تعييني" (سلاوي، ٤٨)

وأصبحت بعد ذلك من الشباب الثوار في ميدان التحرير مع أيمن وحسن وهالة عبد الشهيد شخصيات كل من حسن وهالة عبد الشهيد.

يشير الأديب إلى أن حسن وهالة من زملاء أيمن بالمعهد وهما من الشباب المسيحي الواعي حيث ضمت الثورة كل فئات الشعب في تلاحم وطن.

#### رابعاً: معرفة مدى تحقيق الفرصة السياسية المتاحة للثورة في مجال الرواية

يهتم مفهوم "الفرصة السياسية" برصد البيئة السياسية التي تواجهها الحركات الاجتماعية، والتي يمكن لها وفقاً للظروف، أن تؤثر إيجابياً أو سلبياً على ظهور تلك الحركات وتطورها، ويوسع المفهوم منظور تعبئة الموارد المتمحور أصلاً على أشكال تنظيم الحركات الاجتماعية وينطلق ليدمج البعد السياسي كمستوى تخيلي عند دراسة الظواهر الاحتجاجية، وقد أصبح مفهوم الفرصة السياسية من أهم المفاهيم مركزية في تحليل الحركات الاجتماعية (الشافعي، عمر، ٢٠١٧، ٥٧)

ويرتبط مفهوم الفرصة السياسية بالحركة الاحتجاجية والجدير بالذكر أن السلوك الاحتجاجي يعتبر من أبرز أدوات الحركة الاحتجاجية لاقتناص الفرص السياسية التي تبحث عنها ويزداد امكانيات استخدام هذا المفهوم في الأزمات السياسية والاجتماعية، حيث تساهم الاضطرابات الاجتماعية والسياسية في تمكين حركات الاحتجاج من النجاح في الحصول على تنازلات ملموسة كانت تسعى إلى تحقيقها مسبقاً، ويشير إلى "الفرصة التي تتوافر بشكل مؤقت للمطالبين والموافقين عن اتجاهات وحلول معينة، والساعين إلى جذب الانتباه والمشكلات محددة ترتبط بمصالحهم أو اتجاهاتهم". (A. Camson, William, 281)

وهو الأمر الذي يمكن ملاحظته في ثورات الربيع العربي في مصر وتونس، فنجد أن نشاط الحركات الاحتجاجية نجحوا في تعبئة قطاعات اجتماعية واسعة عبر اقناعهم بهدف التحول والتغيير، ونجد ذلك أيضاً من خلال قدرة نشاط الحركات الاحتجاجية على تطوير هويتهم الجمعية: التضامن - التواصل - الفهم والرؤى المشتركة - والإيمان تقيم وضرورة الحركة رسالتها وكيفية نقل تلك المعاني عبر شبكات التعبئة وأدواتها.

وعن مدى تحقيق الفرص السياسية في الرواية يتضح ذلك في الفقرة التالية:  
 "لا تنسى أن الحركات الشعبوية هي التي أسقطت النظام في بولندا ودولاً أخرى في أوروبا  
 وفي دول العالم الثالث،.... فقد استطاع العمل الدعوي بين الجماهير بواسطة النقابات  
 ومنظمات حقوق الإنسان وغيرها من التجمعات المدنية في إسقاط أنظمة جائرة" (سلاوي،  
 ١٤١)

كما نجد تحقيق الفرصة السياسية في الرواية في الفقرة التالية أيضاً  
 "وجدت الحكومة نفسها أمام خيارين لا ثالث لهما، أما الاستقالة والتخلي عن السلطة لأول  
 مرة منذ عشر السنوات، أو اللجوء إلى الجيش (سلاوي ، ١٧٦)  
 خامساً: الكشف عن ملامح المستقبل السياسي بعد الثورة كما عكسته رواية "أجنحة  
 الفراشة"

نجد أن الرواية قد أوضحت أنها بدأت في ميدان التحرير وتؤكد "Skocpol" أن الثورة  
 تبدأ عندما تحدث فجوة بين مطالب الناس والفرص التي يشعرون بأنهم يستحقون إما يحقق  
 حالة من الحرمان النسبي. (Theda Skocpol, 11)  
 وقد هدفت الثورة إلى توزيع عادل للدخل لتحقيق الحرية الاجتماعية وكان شعارها عيش -  
 حرية - عدالة اجتماعية. (BENIN, Joel, 2016, 136)

وقد اتضحت أهم ملامح المستقبل السياسي في الرواية في الفقرات التالية  
 وما هي إلا ساعات معدودات وأصدرت الحكومة قراراً بحظر التجول لأول مرة ، لكن لم  
 يلتزم أحد، وما هي إلا ساعات حتى نزلت قوات الأمن المركزي إلى شوارع القاهرة،  
 والإسكندرية، والمنصورة، والسويس، وغيرها.... مما زاد من حدة التمرد ، فتزايدت أعداد  
 المتظاهرين في مختلف المدن ثم انتقلت إلى مدن أخرى (سلاوي ، ١٧٦)  
 وفي الفقرة التالية نجد ما يأتي

"كانت المفاجأة التي لم يتوقعها أحد من الوزراء أو حتى رئيس الحكومة، أن وزير الدفاع  
 رفض انزال الجيش وألقى كلمة تاريخية ذكر فيها الحكومة بأن الجيش وجد للدفاع عن  
 أراضي الوطن ضد الغزاه والمحتلين، وليس لضرب المصريين أيا كانت انتماءاتهم أو  
 أفعالهم... ولن استخدم الجيش في أي صراع سياسي" (سلاوي ، ١٧٧)



كما نجد تداعيات الثورة واتضح المستقبل للعمل السياسي في الفقرة التالية أيضا "ووفق حالة الطوارئ التي أعلنت فقد تم حظر إصدار الصحف إلا ما كان يتبع الحكومة، وفرضت الرقابة العسكرية على البرقيات الصادر من مصر، وأوقف إرسال بعض القنوات الفضائية التي تبث إرسالها من القاهرة) وانتقلت المعركة إلى الساحة الالكترونية عبر الانترنت والتليفون المحمول...، وتصاعدت حدة الأزمة مع استمرار حركة العصيان المدني...، وتوقفت الاعمال تماما، وفقدت قوات الأمن سيطرتها... وتفجر غضب الجماهير حتى وصل إلى أبعاد تخريبية... مما أدى إلى استقالة حكومة الحزب الحاكم" (سلماوي، ١٧٨، ١٧٩).

سادسا: مدى قدرة "رواية أجنحة الفراشة" على استشراق ملامح التحولات السياسية ممثلة في ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١)، وتداعياتها

مما لا شك فيه ومن خلال الحوار مع الأديب المتميز محمد سلماوي اتضح أن الرواية تم تسليمها للناس في (سبتمبر ٢٠١٠) أي (خريف ٢٠١٠) وأن رقم إيداع الرواية بالهيئة المصرية العام للكتاب كان (٢٣٥٨١ / ٢٠١٠)

أي عام ٢٠١٠ وتم نشر الطبعة الأولى في يناير ٢٠١١ ونجد أن الرواية قد ذكرت أن ميدان التحرير هو المجال العام الأساسي للثورة ومن بعده ميادين مختلف المحافظات وذلك في الفقرة التالية في الرواية

"توقف المرور تماماً في ميدان التحرير.....، كانت قوات الأمن المركزي تقف كالحائط المنيع... سمعت من بعيد أصوات هتاف المتظاهرين" (سلماوي، ٨)

ونجد تزايد الثورة وانتقالها المحافظات في الفقرة التالية: "لم تكتف الجماهير بالتزام المنازل بل نزلت إلى الشوارع في مظاهرات عمت جميع أنحاء القاهرة، وانتقلت خلال ساعات إلى الاسكندرية، ثم إلى صعيد مصر وعدد من المحافظات، وذلك بعد أن أحس الناس بأنه لا أمل في عدول الحزب عن وسائله البالية في عدم الاستجابة لمطالب الجماهير، وفي التكتيل بأي قوى سياسية معارضة، فانفجر الوضع وبات من الصعوبة بمكان السيطرة عليه" (سلماوي، ١٧٦)

حيث تعد ثورة يناير استمراراً لأنماط الاحتجاج الاجتماعي والسياسي التي سادت العقد الماضي، كان المبادرون في الاحتجاجات التي بدأت في ٢٥ يناير عبارة عن تحالف من جماعات المعارضة والنشطاء، وقد وجد الكثير منهم قضية مشتركة في حركة التضامن مع

فلسطين بعد عام ٢٠٠٠، والاحتجاجات المناهضة لحرب العراق ٢٠٠٣، كما تواجدت مظاهرات من أجل التغيير والاصلاح الدستوري من ٢٠٠٤ - ٢٠٠٦ وكذلك احتجاجات على الحد الأدنى للأجور عام ٢٠٠٨ / واحتجاجات على الحد الأدنى للأجور عام ٢٠٠٨ / واحتجاجات عمال المحلة عام ٢٠٠٨، وغيرها إلى أن حجم وكثافة التعبئة الشعبية في ثورة ٢٥ يناير أجبرت كبار القادة العسكريين على تغيير القيادة من أجل الحفاظ على سلامة الوطن (Alexander, Anne and Bassiouny Mostafa, 2014, 192)

ونجد الفقرات الآتية في الرواية التي تدل على استشراف المستقبل "كانت وسيلة الاتصال بين مختلف التجمعات الشعبية التي لعبت نداء الدكتور الزيني للعصيان المدني هي الانترنت والتليفون المحمول، حيث عجزت الصحف والقنوات الفضائية عن متابعة التطورات التي بدأت تتلاحق بشكل غير مسبوق، وهكذا بدأ بث الرسائل على التليفونات المحمولة وعبر العناوين الالكترونية، والتي كانت تدعو كل من يرفض حزب القهر والاستبداد أن يبقى في بيئته (سلماوي، ١٧٤) وكذلك الفقرات التالية:

"وإزاء ذلك، تحررت الحكومة أخيراً التحرك، موجه عبد الرحمن الصفتي أمين عام الحزب نداء إلى جميع قواعد الحزب بالتصدي للمؤامرة.....، وأصدر وزير الداخلية بياناً قال فيه أنه تم القاء القبض على بعض القيادات الشعبية. (سلماوي، ١٧٥) كما نجد لاستشراف في الرواية في الفقرات التالية:

"لم تكتف الجماهير بالتزام المنازل بل نزلت إلى الشوارع في مظاهرات عمت جميع أنحاء القاهرة، وانتقلت خلال ساعات إلى الاسكندرية، ثم إلى صعيد مصر وعدد من المحافظات....، فانفجر الوضع وبات من الصعوبة بمكان السيطرة عليه" (سلماوي، ١٧٦)

"ووجدت الحكومة نفسها أمام خيارين لا ثالث لهما، إما الاستقالة والتخلي عن السلطة لأول مرة منذ عشرات السنوات، أو اللجوء إلى الجيش، وفي اجتمع عاصف للحكومة طلب أمين عام الحزب عبد الرحمن الصفتي من وزير الدفاع الاستعداد للنزول إلى الشارع خلال ساعات، وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها أحد من الوزراء أو حتى رئيس الحكومة الذي

كان يأتى بأمير أمين عام الحزب، حيث رفض وزير الدفاع إنزال الجيش وألقى كلمة تاريخية ذكر فيها أن الجيش هو للدفاع عن أرض الوطن وليس لضرب المصريين" (سهماوي، ١٧٧).

"أوقف إرسال بعض القنوات الفضائية التي تبث إرسالها من القاهرة، وانتقلت المعركة إلى الساحة الإلكترونية عبر الانترنت والتليفون المحمول" (سهماوي، ١٧٩)

"بدأت قيادات الحزب تشعر أنه لا مفر أمامها، وخشيت انتقام الجماهير فأصدرت بياناً، قالت فيه إنه التزاماتها بالسياسة التي اتبعتها الحزب طوال تاريخه في تلبية رغبات الجماهير، فإن الحزب الحاكم يعلن استقالته حكومته... وخلال ساعات سقطت الحكومة والحزب،..... وتشكل ائتلاف القوى السياسية المصرية، وبدأت تجرى الاستعدادات لانتخابات نزيهة لأول مرة منذ سنوات طويلة (سهماوي، ١٨٠)

ويدلنا توثيق الأحداث التاريخية على ذلك من خلال الفقرات الآتية:

"لا يمكن الحديث عن الحركات الاجتماعية الجديدة دون التطرق لدور الحركات الإلكترونية في التأثير على الشارع، بل وعلى توجهات صانعي القرار في بعض الأحوال والذين لجأوا إلى استخدام الانترنت والعالم الافتراضي لإصدار البيانات أو المواقف، ولعل دور الانترنت لا ينفصل عن دور الحركات الاجتماعية، فقد كانت أولى الصفحات على الانترنت صفحة "شباب ١ أبريل" التي دعت لاضراب يوم ٦ أبريل عام ٢٠٠٨، ثم دعوة الصفحة (البالغ عدد مشركيها عندئذ ٤٥٠ ألف) ليوم الغضب يوم ٢٥ يناير ٢٠١١م. (هلال ، على الدين وآخرون، ٢٠١٣، ٢٦٨)

استطاعت شبكة الأنترنت، بما تتضمنه من مواقع ومدونات وشبكات اجتماعية ومندديات أن توفر للحركات الاجتماعية السياسية فضاء إعلامياً بديلاً سريع الانتشار وقادر على التفاعل مع الآخرين، وهو ما يتيح مزايا السرعة وقلة التكلفة والتواصل مقارنة بوسائل الاتصال التقليدية، ويمكن الإشارة في هذا الصدد لما أصبحت توفره مواقع "فيس بوك" و "يوتيوب" و "تويتر" من امكانيات كبيرة في تحقيق التواصل السريع، ويرى البعض أن هذه المواقع تمثل مجتمعاً مدنياً افتراضياً خالياً من المعاني والقيم الأثرية، وساعد على اقبال الشباب على العالم الافتراضي فصور الأطر المؤسسية كالأحزاب ومنظمات المجتمع المدني عن القيام بدورها. (هلال على الدين، ٢٠١٠، ٤٦٩ - ٤٧٠)

كذلك نجد في الفقرة الآتية كما يذكر دكتور على الدين هلال ما حدث أثناء ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١ أو تداعياتها كآتي:

"أثناء الثورة ذاتها، كان لشباب حركة "٦ أبريل" تواجد حيوي في الشوارع ومختلف ميادين الجمهورية وأهمها ميدان التحرير حتى تنحى الرئيس مبارك،... وبعد أيام قليلة من الثورة "تشكل "مجلس شباب الثورة" ولكن استمرار الاحتجاج في الشارع بعد الثورة لأسباب اقتصادية ومطلبية بالأساس، في إطار ما عرف باسم الاحتجاجات النثوية أدى إلى تراجع دور الحركة فيما بعد خاصة بعد استقلال بعض التيارات الدينية هذه الظاهرة لتحقيق مكاسب سياسية خاصة بها. (هلال ، على الدين، ٢٠١٣، ٢٧٢)

وأما عن قطع وسائل الاتصال أثناء ثورة يناير والدور الوطني الهام للقوات المسلحة في حماية البلاد في فترة من أخطر الفترات التي مرت عليها فيذكر على الدين هلال في كتابه الفقرة التالية:

"ليس أدل على قوة تأثير هذه الوسائل من مؤشرين بالغين في الدلالة، أولهما قيام نظام الرئيس السابق بقطع خدمات الانترنت والهواتف المحمولة عن البلاد في بدايات الثورة، وهو ما دفع الناشطين من مستخدمي الانترنت إلى نقل احتجاجهم من العالم الافتراضي إلى ميدان التحرير، وثانيهما إنشاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة - الذي كان يدير المرحلة الانتقالية - صفحة رسمية للمجلس على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" و كذلك الأحزاب السياسية الفاعلة، والحركات الاجتماعية ، بل وبعض الوزارات المتعاقبة بعد الثورة. (هلال ، على الدين، ٢٠١٣، ٢٧٧)

كما نجد استشراف المستقبل من خلال الدور الوطني لقواتنا المسلحة في ثورتين متتاليتين ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣، فلقد كان الجيش دائما في حماية هذا الوطن منذ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

نتائج الدراسة:

- (١) أن الأدب لم يتبلور من الفراغ بل من وسط الأحداث الاجتماعية القائمة، ونجد أن التفاعل المشترك بين الأدب والمجتمع تفاعل متبادل، إذ أن استجابة الفن للأحداث الاجتماعية، يؤدي إلى تغير في بعض أحداث المجتمع الثقافية موضحاً تأثير الأدب على سلوكيات أفراد المجتمع وذوقهم الفني.
- (٢) إختارت الدراسة الرواية كأحد الأجناس الأدبية وذلك لطبيعة الفئة التي تكتب الأدب بوصفهم فئة مثقفة فاعلة في المجتمع ، حيث لها القدرة بوعيتها على قيادة هذا المجتمع وحيث تتأثر هذه الفئات المثقفة بالواقع والسياق الاجتماعي المحيط بها ، مما يكون له تأثيره في الإبداع الأدبي ، فقد تأثر الأديب سلماوي بالأحداث الاجتماعية والإقتصادية والسياسية التي مهدت لحدوث التحولات السياسية (مثلة في ثورة ٢٥ يناير) وإتجه إلى كتابة رواية أجنحة الفراشة في خريف ٢٠١٠ مستقبلاً أحداث الثورة ومتأثراً بالسياق الاجتماعي المحيط به.
- (٣) كشفت الدراسة أن الأديب كلما كان واسع الثقافة والاطلاع على مختلف الثقافات ومختلف العلوم كالتاريخ والسياسة ومختلف العلوم الانسانية وغيرها يستطيع اختيار الموضوع المرتبط بظروف مجتمعه ومناقشة أحداثه في إطار البناء الاجتماعي من مختلف النواحي الاجتماعية والإقتصادية والسياسية عارضاً نماذج إنسانية معبرة عن الأحداث التي يريد عرضها وتتفق مع الهدف منها ، حيث يرتبط وعي الأديب بكتاباته وكلما إرتقى وعي الأديب كلما كان أكثر قدرة على تحليل الواقع بعمق وموضوعية وقد إتضح من دليل المقابلة مع الأديب محمد سلماوي أنه إنفتح على الآداب العالمية بحكم إجادته للغتين الإنجليزية والفرنسية كما تأثر بعمله الصحفي وهو يؤكد أن الرواية بناء هندسي فكل شخصية وكل حدث مدروس ولا يأخذ أي منها غير المساحة المناسبة المثقفة مع اهداف وطبيعة العمل الأدبي.
- (٤) عرض الأديب من خلال الرواية العديد من الملابس والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي مهدت المناخ الملائم للثورة من خلال زيف

الانتخابات واستبداد الحزب الحاكم وغلاء الأسعار وعدم تحقيق احتياجات المواطنين في حياة كريمة بالإضافة إلى مشكلة البطالة وانهيار القيم ، وقد تمثل ذلك من خلال شخصية عبد الصمد في الرواية ، بالإضافة إلى عدم تداول السلطة وكبت الحريات وعدم تحقيق الإنتماء الكافي للوطن مما يدفع الشباب للبحث عن ذواتهم وتحقيق وجودهم بمختلف الطرق.

(٥) يرى هابرماس أن المجال العام يتشكل من خلال اتاحة ساحات ومنتديات للنقاش في القضايا السياسية تعمل على إعادة تنظيم الآراء المعروضة بشأن القضايا وبلورتها وفق ما تحظى به من إهتمام عام من قبل المشاركين ، وقد استطاع الأديب سلماوي عرض مجال عام في الرواية للتحولات السياسية المتمثلة في ثورة ٢٥ يناير ، مكن المحتجين من تحقيق النقاش في مختلف القضايا وتمثل ذلك المجال العام من خلال الرواية في ميدان التحرير، وجمعيات حقوق الإنسان الخاص بالمجتمع المدني، والجامعات ، وكذلك الواقع الافتراضي ممثلاً في الانترنت وشبكات التليفون المحمول.

(٦) تمكن الأديب من عرض طبيعة الفاعلين المحتجين من مختلف الطبقات العليا والوسطى والدنيا مع تركيزه على الطبقة الوسطى وخاصة شباب الثوار الذين قامت على أكتافهم الموجه الأولى للغضب يلي ذلك مسانده الفئات الوطنية لهم ، وقد إرتبطت الشخصيات الإحتجاجية في رواية ( أجنحة الفراشة) بالتحولات السياسية ( ممثلة في ثورة ٢٥ يناير) حيث إتجهت هذه النماذج إلى البحث عن الوطن الأم "مصر" من خلال رحلة بحثهم عن ذواتهم وتحقيق غد أفضل ، وقد إتضح ذلك من خلال شخصيات "ضحى" التي تبحث عن ذاتها وعن وطنها فأصبحت سياسية وثورية بعد أن كانت زوجة لأحد قيادات الحزب الحاكم ، وشخصية "أيمن" ، الذي يبحث عن والدته التي فقدها وهو صغير ويوازي ذلك بحثه عن الوطن الأم من خلال اشتراكه في جميع التظاهرات بالجامعة وميدان التحرير، وكذلك شخصية الدكتورة "مشيرة" في رحلة بحثها عن ذاتها وعن الوطن ، أما عن الدكتور "أيمن الزينى" فهو يبحث عن الوطن الأم وتحقيق وجوده وتحقيق الحريات والعدالة الإجتماعية للآخرين.

(٧) تمكن الأديب من استشراف معظم أحداث ثورة يناير وتداعياتها حيث أن تاريخ ايداع الرواية كان برقم (٢٣٥٨١/٢٠١٠) وتم تسليمها للناسر (سبتمبر ٢٠١٠) كما ذكر لي الأديب سلماوي من خلال دليل المقابلة، وبرغم ذلك استطاع الأديب استشراف أن الأوضاع التي مرت بها البلاد في أواخر حكم الرئيس مبارك ستفضي إلى ثورة كبير اختار لها ميدان التحرير مكاناً رئيسياً، وأن جميع فئات الشعب خاصة الطبقة الوسطى المتعلمة من الشباب وكذلك المرأة في مختلف الطبقات ستشارك في الثورة وأن العالم الافتراضي سيكون مجالاً هاماً هاماً للناشطين للتواصل مما سيؤدي إلى قطع الاتصالات أثناء الثورة، كما نبه الأديب سلماوي للدور الكبير التاريخي للقوات المسلحة في ثورة ٢٥ يناير وهذا ما أكده من خلال الحوار معه من أن القوات المسلحة كانت دائماً في صف الشعب.

(٨) أوضحت نتائج الدراسة أهمية الجانب النسوي في صياغة ملامح المستقبل ، حيث كشفت الدراسة عن دور المرأة في تحريك الأحداث الاجتماعية والسياسية في المجتمع المصري ، لا سيما مع الطفرة غير المسبوقة في استخدام التكنولوجيا الرقمية الحديثة . وارتفاع معدلات التعليم الذي حظيت به المرأة ، فضلاً عن إنخراطها المباشر في سوق العمل المصري.

(٩) أوضحت الدراسة الدور الاستشرافي للأدب في المساهمة في رسم ملامح المستقبل في المجتمع المصري وتحديد متغيراته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وهذا ما تجلى في رواية أجنحة الفراشة ، ومن قبلها مسرحية الجنزير للكاتب الكبير محمد سلماوي والتي صدرت في العام ١٩٩٥ ، والتي استشرفت سقوط السيطرة الأخوانية على النظام السياسي المصري حيث أكد الأديب من خلال دليل المقابلة ان هذه المسرحية قامت باستشراف أحداث سياسه هامة في المجتمع المصري مثل روايه "أجنحة الفراشه"

(١٠) على مستوى منهجية تحليل الأعمال الأدبية إتضح من خلال التحليل الأدبي للدراسة أهمية التعامل مع النص كوحدة كلية ، وصعوبة التعامل مع النص الأدبي بوصفه بنية مكثفية بذاتها دون التوجه من داخل النص إلى خارجه ،

حيث إتضح لنا أهمية الإلتقاء المستمر والمتواصل بين الداخل والخارج دون التوقف عند أى منهما ، فالتعامل مع النص الأدبي يجب أن يتم فى ضوء الوعي بأنه نتاج لواقع إجتماعي معين يجب الإلمام به وإدراك جوانبه المختلفة ، مما يساعد على التعمق والتحليل الدقيق للنص الأدبي المدروس وهو ما يؤكد أن علم إجتماع الأدب لا يستطيع أن يتعامل مع الأدب بوصفه ظاهرة منعزلة مكتفية بذاتها .

(١١) إتضح من الدراسة أن الرواية من ابرز الأنواع الأدبية القادرة على إعطاء صورة واضحة للتحويلات السياسية فى المجتمع ممثلة فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ، حيث تؤهلها طبيعتها الفنية لأن تكون أجدر الأجناس الأدبية على أداء ذلك الدور بسبب قدرتها على التمدد زمانياً ومكانياً ، وكذلك قدرتها على تجسيد أبعاد الشخصية وتفصيل الأحداث مما يمنحها قدراً من الحيوية والثراء فى معالجتها للقضايا المختلفة ، ونجد أن رواية "أجنحة الفراشة" من خلال التحليل الأدبي السابق لم تتنبأ فقط بأحداث كثيرة فى ثورة ٢٥ يناير ، بل تنبأت بما أعقبها من تداعيات من أحداث فوضى وتكوين إئتلاف حاكم والأهم الدور الوطنى للقوات المسلحة فى الوقوف مع الشعب ومساندة الثورة .

(١٢) أكد الأديب محمد سلماوي أن استشراف الرواية "أجنحة الفراشة" لحدوث التحويلات السياسية ممثلة فى (ثورة ٢٥ يناير) وتداعياتها ، حدث بصورة تلقائية وهو يكتب الرواية ولم يحدث بصورة مقصودة ، فهو كان يرى أن الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية والسياسية الحادثة فى نهاية فترة الرئيس السابق حسني مبارك لابد أن تؤدى إلى إنفجار للأوضاع ، وقد إختار ميدان التحرير مجالاً عاماً للثورة مستشرفاً حدوث الثورة بإعتباره أكبر الميادين المناسبة للثورة .

(١٣) إتضح من دليل المقابلة مع الأديب محمد سلماوي أن إستشرافه لثورة يناير وتداعياتها من تكوين إئتلاف حاكم وظهور الدور الوطنى للجيش المصري ، جاء نتيجة قراءة طبيعية لتكوين الجيش المصري وتاريخه فقد وقف مع أحمد عرابي وقام بثورة ١٩٥٢ ولم يقمع الشعب بل كان فى مساندة الشعب على



مدار الثورات المختلفة ممثلة في ثورة ١٩٥٢ ، وثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ، وثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ .

(١٤) لا يفصل الأديب أو الروائي عن واقع مجتمعه بل أنه يسعى بوصفه أحد عناصر النخبة المثقفة للتعبير عن أوضاع المجتمع والظروف التي يمر بها ، كما أن الأديب يساهم من خلال كتاباته في عملية التنمية الإجتماعية والثقافية لمجتمعه فهو مسئول عن عملية التغير الإجتماعي مسئولية لا تقل عن مسئولية عالم الإجتماع والسياسي وذلك عن طريق متابعته للنواحي السياسية والإقتصادية والثقافية والعمل على وصول نتاج أدبي مستنير للجمهور .

**المراجع:**

- (١) فتحي أبو العينين في: التفسير الاجتماعي للظاهرة الأدبية "التراث وأشكاليات المنهج في عالم الفكر، مج ٢٣، ع ٣، ٤، يناير ١٩٩٥، ص ١٦٧.
- (٢) نبيل راغب، التفسير العلمي للأدب، "تحو نظرية عربية جديدة" دار لونغمان، ١٩٩٧.
- (٣) Diana, Laurenson, The Sociology of literature Sctocken Books, New york.
- (٤) E. M. Forster, Aspects of the novel, university press, London, 1980.
- (٥) عمار على حسن، الجسور الواصلة بين الأدب والسياسية، مجلة المستقبل العربي، ع ٢٠٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ديسمبر، ٢٠٠٧.
- (٦) السيد يس، ليلي عبد الجواد وآخرون، خرائط الاحتجاج الاجتماعي (بحث في مقدمات الثورة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠١٤).
- (٧) هويدا، صالح، الروائيون يرصدون تحولات المجتمع المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١.
- (٨) Geoff, Boucher, habermas and literature "the public sphere and social Imaginary, Bloomsbury publishing Inc, first publishing in the USA America, 2021.
- (٩) صبري، حافظ، استشراف الرواية المصرية للثورة، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، مجلد ٢٢، ع ٨٦، ربيع ٢٠١١.
- (١٠) Theda , Skocpol, states and Social Revolution "A compartive analysis of France, Russia , and China, Harvard University, 36 Printing, 2008.
- (١١) طه وادي، الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٩٦.
- (١٢) على الدين هلال وآخرون، الصراع من أجل نظام سياسي جديد مصر بعد الثورة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٣.
- (١٣) Hogopian, Regimes, movements and Idelogy, Oxford, 1996.
- (١٤) السيد شحاتة، علم الاجتماع والثورة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧.
- (١٥) صبري حافظ، مرجع سابق.

- Geoff, Boucher, Opcit, (١٦
- (١٧) على جلبي، الاندماج الاجتماعي والمواطنة النشطة، (مصر بعد ثورة ٢٥ يناير نموذجاً)، المؤتمر السنوي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ٢٠١٣.
- Jurgen Habermas, The Structural Transformation of the public (١٨ sphere, MIT Press, 1999, PX1.
- Michael Roberts, and Nick Crossley, After Habermas, (New (١٩ Perspectives on the public sphere) Black well publishing , 2007.
- LuKe, Goode, Jurgen Habermas (Democracy and the public (٢٠ sphere, Pluto press, London, First published, 2005
- Criag Calhoun , habermas and the public sphere, The MIT (٢١ Press, Cambridge, Massachusetts, and London, England, 1999.
- (٢٢) على ليلة ومحمد بيومي، علم الاجتماع السياسي وتأملات في قضايا المواطنة والمحركات السياسية، كلية آداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٣.
- (٢٣) سيد فارس، الحركات الاجتماعية الجديدة والصنف حوليات، آداب عين شمس، مج ٤٥ ، سبتمبر ، ٢٠١٧.
- Criag Calhoun, Opcit, (٢٤
- (٢٥) آلان تورين ، نقد الحداثة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧.
- Kate Nash, Contemporary, political sociology, Black well (٢٦ publisher ltd, Uk , 2010.
- Derek, COITMAN, The Self Production of Society, The (٢٧ university of Chicago press, 1980.
- Alain, Touraine, A new paradigm, (for understanding today's (٢٨ world, polity press, London, 2007.
- Iaid, ouarem @ (٢٩ مجلة آفاق لعلم الاجتماع، المجلد ١٠، ع ٢ ديسمبر، ٢٠٢٠، @ univ – bba. Dz.
- (٣٠) أحمد مدراس، مقارنة آلان تورين حول العمل والتنظيمات، مجلة حقائق، العدد ٩، ج ٢.
- (٣١) [https:// www.mominoun.com/articles/6275](https://www.mominoun.com/articles/6275)
- (٣٢) جابر، عصفور، عصر البنيوية: أديث كيروزيل، آفاق عربية، العراق، ١٩٨٥.
- (٣٣) فاروق عبده فليبه وأحمد عبد الفتاح زكي: الدراسات المستقبلية... منظور تربوي، دار المسيرة، عمان، ط١، ٢٠٠٣.

- (٣٤) حسين المناصرة، استشراف المستقبل في الرواية السعودية مقولة في مدونة الناقد على شبكة الانترنت بتاريخ ١٥ مارس ٢٠١٠ عبر الرابط التالي  
Manasrah.maktoobblog.Com/1615227
- (٣٥) محمد كمال غالب، الأدب والمجتمع، غير من دار النشر، ١٩٧٢، ص ١٣.
- (٣٦) كمال أبو ديب، الأدب والايديولوجيا في: مجلة فصول، ج٢، ع٢، سبتمبر ١٩٨٥.
- (٣٧) طه وادي، دراسات في نقد الرواية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.
- (٣٨) فتحي أبو العينين، الأدب والقيم الاجتماعية القروية، رسالة ماجستير غير منشورة، علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٦.
- (٣٩) صبري حافظ، الرواية شكلاً أدبياً ومؤسسة اجتماعية (دراسة نظرية تطبيقية، مجلة فصول، مج٤، ع١، ١٩٨٣، ص ٧٧.
- (٤٠) The new encyclopedia Britannica, Robert. P. Gwinn and others, The University of Chicago, U.S.A. Vol, 24, 1985, p810.
- (٤١) The Encyclopedia, Americana, Printed and Manufactured. In the U.S.A, Vol,20, 1987, p505.
- (٤٢) Dictionnaire les Robert, Avenue Par Mentier, Vol, 1, Paris, 1990, p1726.
- (٤٣) محمد عابد الجابري، أشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠.
- (٤٤) محمد بلخيرة، التحولات السياسية في الاتحاد السوفيتي وآثرها على الدول العربية الوطنية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، رسالة ماجستير، ٢٠٠٦.
- (٤٥) مى ناصر سعيد، متطلبات تفعيل التنشئة السياسية بمرحلة التعليم الأساسي في ضوء التحولات السياسية بمصر بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م، رسالة ماجستير غير منشورة، مجلة كلية التربية، عدد ١٦، جامعة بورسعيد، يونيو، ٢٠١٤.
- (٤٦) على عبد الرازق جليبي، الاندماج الاجتماعي والمواطنة النشطة (مصر بعد ثورة ٢٥ يناير نموذجاً)، المؤتمر السنوي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية، مارس ٢٠١٣.

- (٤٧) هاشم محمد رضا على قاسم، الأزمة الاقتصادية وانعكاساتها الاجتماعية على المجتمع المصري (دراسة ميدانية على عينة من مجتمع مدينة المنصورة بعد ثورة ٢٥ يناير)، رسالة ماجستير، غير منشورة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٤.
- (٤٨) أحمد كمال عبد الوهاب البهنساوي، الثورة المصرية وانعكاساتها على قيم العمل لدى عينة من المعلمين بمحافظة أسيوط، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، ٢٠١٥.
- (٤٩) حسام الدين عوض عبده الحميد، التحولات الاجتماعية والسياسية في المجتمع المصري في أعقاب ثورة ٢٥ يناير (دراسة ميدانية)، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٥.
- (٥٠) فاطمة ناجي محمد مصطفى وهبه، الوعي السياسية واثورة، (دراسة سوسيولوجية على ثورة ٢٥ يناير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٦).
- (٥١) صبري بديع عبد المطلب، ثورة يناير وتداعياتها على الشخصية المصرية (بحث اجتماعي ميداني)، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد ستون ، يناير ٢٠١٧.
- (٥٢) أحمد فتح الباب، ثورات الربيع العربي وتأثيرها على السلوك الاجتماعي للشخصية المصرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٨.
- (٥٣) منى أحمد جابر نور، الصفوة المتقمة ودورها في عملية التغيير الاجتماعي في مصر قبل وبعد ثورتي ٢٥ يناير ٢٠١١ و ٣٠ يونيو ٢٠١٣ (دراسة سوسيولوجية في مدينة القاهرة رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٨).
- (٥٤) زاهر محمد عادل إبراهيم، أنماط العنف الاجتماعي وعلاقتها بالتحولات الاجتماعية والسياسية بعد ثورة ٢٥ يناير ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٩.
- (٥٥) هاني حجازي، المحددات الحاكمة للثورة المصرية: مقارنة نظرية وتحليل سوسيو تموي لثورة يناير، حوليات آداب عين شمس، كلية الآداب، مج ٤٦، ٢٠١٨.

- (٥٦) أحمد هيكل، التحديات السياسية والاقتصادية بعد ثورة ٢٥ يناير وتأثيرها على تنمية المجتمع المصري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٢٠.
- (٥٧) رضا السيد العشماوي، ارهاصات ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ في الرواية المصرية من بداية القرن الواحد والعشرين وحتى قيام الثورة (٢٠٠١ - ٢٠١١) ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٤.
- (٥٨) أُلحاظ عزب، دور الأفلام الروائية المصرية في التمهيد لثورة ٢٥ يناير (دراسة تطبيقية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٧.
- (٥٩) اسراء الشحات، انعكاس التحولات الاجتماعية في أدب الروائي المصري (دراسة سوسيولوجية في الفترة من ٢٠١١ حتى الآن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين سمش، ٢٠١٩.
- (٦٠) محمد سلماوي، أجنحة الفراشة، ٢٠١٢.
- (٦١) على الدين هلال، الصراع من أجل نظام سياسي جديد (مصر بعد الثورة، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ٢٠١٣.
- (٦٢) سلماوي، أجنحة الفراشة
- (٦٣) صيري بديع، مرجع سابق.
- (٦٤) على ليلة ، مرجع سابق.
- (٦٥) سلماوي، الرواية.
- (٦٦) الرواية.
- (٦٧) سلماوي، الرواية.
- (٦٨) تغريد عبد المنعم حسب الله ، العوامل المؤثرة في قيام لحركات الاجتماعية و الاحتجاجية الجديده في مصر كليه التجاره جامعه قناة السويس مجلد ٧ ، ٢٠١٦.
- (٦٩) سلماوي الرويه
- (٧٠) سلماوي الروايه
- (٧١) على ليلة، مرجع سابق.
- (٧٢) على ليلة، المرجع نفسه.

- (٧٣) Jurgern, Habergmas, 1988, op. cit.
- (٧٤) Ibid
- (٧٥) Nicke, Crossley, optic.
- (٧٦) الرواية.
- (٧٧) تغريد عبد المنعم حسب الله، العوامل المؤثرة في قيام الحركات الاجتماعية والاجتماعية الجديدة في مصر، كلية التجارة المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية، مج ٧، ٢٠١٦.
- (٧٨) الرواية.
- (٧٩) الرواية.
- (٨٠) الرواية.
- (٨١) الرواية
- (٨٢) هاني حجازي، المحددات الحاكمة للثورة المصرية: مقربه نظريه وتخلييل سوسيو تنموي لثوره ٢٥ يناير حوليات اداب عين شمس مجلد ٤٦، ٢٠١٨.
- (٨٣) الرواية
- (٨٤) هاني خميس عبده، التحولات التقنية والحركات الاجتماعية خلال الألفية الجديدة: تحليل اجتماعي، المؤتمر العالمي الثاني عشر للندوة العالمية للشباب الاسلامي، مراكش مج ١٢، ٢٠١٥.
- (٨٥) تغريد حسب الله، مرجع سابق.
- (٨٦) محمود صلاح عبد الحفيظ المهر، الحركات الاحتجاجية وصياغة الفرصة في مصر في ضوء التحولات الاقتصادية والاجتماعية، رسالة دكتوراه غير منشورة، ٢٠١٤.
- (٨٧) المصدر نفسه.
- (٨٨) الرواية.
- (٨٩) الرواية.
- (٩٠) الرواية.
- (٩١) الرواية.
- (٩٢) الرواية.

- (٩٣) الرواية.
- (٩٤) الرواية.
- (٩٥) عمر الشافعي، قاموس الحركات الاجتماعية ، دار صفصافه، ٢٠١٧.
- (٩٦) A Camson William, literature and society , ltd , 1979.
- (٩٧) الرواية.
- (٩٨) Theda Skocpol, opcit.
- (٩٩) Joel, Benin, LABOR Movements and popular uprising in Tunisia and Egypt Stanford University press, 2016.
- (١٠٠) الرواية.
- (١٠١) الرواية.
- (١٠٢) الرواية.
- (١٠٣) الرواية.
- (١٠٤) Anne Alexander and Mostafa bassiouny, workes and the Egyptian Revolution, 2ed Books, London, 2014.
- (١٠٥) سلماوي، الرواية.
- (١٠٦) سلماوي، الرواية.
- (١٠٧) الرواية.
- (١٠٨) الرواية.
- (١٠٩) الرواية.
- (١١٠) على الدين هلال وآخرون، ٢٠١٣، مرجع سابق.
- (١١١) على الدين هلال وآخرون، النظام السياسي المصري (بين إرث الماضي وأفاق المستقبل - ١٩٨١ - ٢٠١٠) ، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٠.
- (١١٢) على الدين هلال، ٢٠١٣، مرجع سابق.
- (١١٣) على الدين هلال، ٢٠١٣، مرجع سابق.



انتشار الأدوية المغشوشة وتأثيراتها العكسية  
دراسة ميدانية علي عينة من الصيادلة بمحافظة الإسماعيلية

د. شريف السيد محمد علي

مدرس علم الاجتماع الطبي

كلية الآداب، جامعة السويس

[sherif.alsayed@arts.suezuni.edu.eg](mailto:sherif.alsayed@arts.suezuni.edu.eg)

doi: 10.21608/jfpsu.2022.141565.1192

## انتشار الأدوية المغشوشة وتأثيراتها العكسية دراسة ميدانية علي عينة من الصيادلة بمحافظة الإسماعيلية

### مستخلص

يهدف البحث للتعرف علي حجم أنتشار ترويج الأدوية المغشوشة وتأثيراتها العكسية علي المرضى وما تمثله من مشكلة لها مخاطرها الصحية والاجتماعية، ويعرض البحث أوجه القصور في مجال صناعة الدواء كأحد الدعائم الاجتماعية والاقتصادية لتحقيق الأمان الاجتماعي، فانتشار الأدوية المغشوشة يعتبر كارثة تهدد صحة الأفراد، وباتت ظاهرة تنتشر بين بعض الصيدليات وصفحات التواصل الاجتماعي بأهداف ربحية مدمرة، حتى أنها أصبحت تُباع على الأرصفة وبواسطة تجار الشنطة رغم القوانين التي تجرم أي خلل يتعلق بالصحة، وتشمل تداعيات الأدوية المغشوشة وجود أمراض غير معالجة، والوفاة المبكرة، وفشل العلاج، قد تؤدي إلى مضاعفات تصل للوفاة وفقدان الثقة في نظام الرعاية الصحية، ويتحدد مجتمع البحث (بمنطقة الشهداء) بمحافظة الإسماعيلية، وتم الاعتماد علي العينة (العمدية) من الصيادلة ورواد الصيدليات وحددت حجم العينة المطبق عليهم الاستبيان بـ (١٦٥) مفردة، مستعين بالمسح الاجتماعي بالعينة، واعتمد البحث على أداتين لجمع البيانات (الاستبيان - المقابلة) لجمع البيانات الميدانية، وإجراء المقابلات مع المتخصصين في المجال الطبي والصيدلي والاجتماعي، وتوصلت نتائج البحث أن معظم رواد الصيدليات ليس لديهم الخبرة الكافية لمعرفة الأدوية المغشوشة، ولا يستطيعون التفرقة بين الدواء الأصلي والمغشوش مع التوسع باستخدام التكنولوجيا الحديثة في التزوير، ونجاح المزيفون إتقان عملية الغش للمنتج الدوائي الأصلي وتقليده ببراعة .

**الكلمات المفتاحية:** الغش الدوائي، الأدوية المغشوشة، التأثيرات الدوائية العكسية .

## The Spread of Wangled Drugs and Their Adverse Effects: A Field Study on a Sample of Pharmacists in Ismailia Governorate

### Abstract

The research aims to identify the extent of the spread of the promotion of counterfeit medicines and their adverse effects on patients and the problem it represents with its health and social risks, and the research presents the shortcomings in the field of the pharmaceutical industry as one of the social and economic pillars to achieve social safety, the spread of counterfeit medicines is a disaster that threatens the health of individuals, and it has become a phenomenon that spreads between some pharmacies and social networking pages with destructive profit goals, even they have become sold on sidewalks and by bag dealers despite laws that criminalize any health-related defect, the repercussions of counterfeit medicines include the presence of untreated diseases, death, and premature, failure of treatment, may lead to complications up to death The loss of confidence in the health care system, and the research community is determined (in the martyrs area) in Ismailia governorate, and the sample (mayor) of pharmacists and pharmacy pioneers was relied on, and the sample size of the questionnaire applied to them was determined by (165) single, using the sample Social Survey, and the research relied on two data collection tools (the questionnaire- The results of the research concluded that most of the pharmacy pioneers do not have enough experience to know about counterfeit medicines, and they cannot distinguish between the original and counterfeit medicine with the expansion using modern technology in counterfeiting, and the success of counterfeiters master the cheating process of the original pharmaceutical product and masterfully imitate it.

**Keywords:** Drug fraud, wangled drugs, adverse drug effects .

**المقدمة:**

يشهد المجتمع المصري في الآونة الأخيرة تغيرات جذرية أثرت علي جميع القطاعات، ومنها الصحية، من خلال قيام البعض بتصنيع منتجات طبية غير ملائمة للمعايير والتسويق للأدوية المغشوشة، والتي أصبحت ظاهرة عالمية طال خطرها ملايين المرضى، وأصبح تداولها أمراً مقلق بعد أن ألحقت الأذى الكبير الذي وصل إلى حد موت للكثيرين ممن يستخدمونها، ومما يزيد من خطر هذه الظاهرة أن معظم الأفراد مهما كانت مستوياتهم التعليمية ليسوا قادرين على التمييز بين الدواء المغشوش والأصلي والملاحظة أن استخدام هذه الأدوية يمثل جريمة مركبة فهي من ناحية تمثل جريمة اقتصادية تستنزف اقتصاديات الدولة .

فليس مستغرباً أن تكون التأثيرات العكسية للأدوية شائعة؛ فمعظم هذه التأثيرات تكون خفيفة نسبياً، ويزول الكثير منها عند إيقاف استعمال الدواء أو عند تغيير الجرعة؛ بينما تتناقص شدة بعضها الآخر تدريجياً مع تكيف الجسم مع الدواء ولكن، تكون التأثيرات العكسية الأخرى للأدوية أشدَّ خطورة، وتستمر لفترة زمنية أطول، ويزداد الضرر وحدة المرض ، فموت كثير من الأفراد دون سابق إنذار ليس محض الصدفة، بل يتمثل في التأثيرات الدوائية العكسية المرتبطة بفرط الجرعة واثرها العكسية بعد تعاطي دواء مغشوش، فقد يشعر الفرد الذي يستعمل دواءً مغشوش بانخفاض أو ارتفاع ضغط الدم بشدة، أو الضعف والتعرق والغثيان وخفقان القلب أو حدوث حساسية مفرطة وطفح جلدي، وفقر الدم، ونقص عدد خلايا الدم البيضاء، وتضرر الكلى، وتضرر الأعصاب الذي قد يؤثر في الرؤية أو السمع وهذه التأثيرات العكسية تكون شديدة الخطورة، وكلما كثر تناول الأدوية المغشوشة زاد خطرهما، وتسبب التسمم الدوائي الحاد، فتمثل جريمة قتل متعمد بفعل التركيبات الخاطئة، من أجل هذا فإن هذه الجريمة تمثل تحدياً كبيراً ورئيسياً أمام ما نسميه تحقيق "الأمن الصحي" (المليجي، ٢٠١٧: ٧)

**أولاً: مشكلة البحث:**

يعد توفير الأدوية الآمنة أمراً أساسياً للصحة العامة، فالأدوية المغشوشة تشكل خطراً جدياً على صحة الأفراد، وتهديد حقيقي لمفهوم الصحة العامة، نظراً لتأثيراتها العكسية

علي صحة الأفراد (البياتي، ١٩٩٨: ٨٦)، فالتأثير العكسي للأدوية يصبح سلبياً حال ترك التعامل بها وطرق إيصالها إلى المريض بشكل عشوائي وغير محكم بقواعد قانونية تكفل توفيرها بالكمية الكافية والنوعية الجيدة من حيث صلاحيتها في أداء وظيفتها لعلاج الأمراض أو الوقاية منها أو تخفيف آلامها (الدليمي، ٢٠٠٢: ٥٥) .

وتشير كثير من الدراسات الطبية والاجتماعية حدوث حالات من الموت المفاجئ للأفراد ليس ذلك لعجز الطب عن علاجهم بل لتعرضهم لخدعة بانهم قد تعاطوا علاج لتخفيف اللام المرض واتضح انه مغشوش، وبالتالي يظل المريض مريضاً لأطول فترة ممكنة وما يزيد احتمالات الوفاة السريعة (نعاس، ٢٠١٧: ٢) .

وأكدت (منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢١) أن حجم الأدوية المغشوشة في البلدان المتقدمة يصل إلى (١٪) وفي أفريقيا يصل إلى (٣٠٪) وهي تؤدي لوفاة ما يقرب من ٢٠٠٠ شخص يومياً، وأطلقت العديد من الجهات الرسمية وغير الرسمية تنبيهات حول خطر الأدوية المغشوشة والتي قدرتها بعض الإحصائيات أن إجماليها وصل إلى (٨٥) مليار دولار حول العالم، إلى جانب أن (١٠٪) من المعروض في مصر يصنف تحت نفس المعنى، وهو ما يشير إلى أن هناك ما يشبه المافيا التي تحاول السيطرة على سوق الأدوية (عبدالرحيم، ٢٠١٧)، ما دفع وزارة الصحة لإصدار بيان حذرت فيه من شراء الأدوية عبر صفحات وسائل التواصل الاجتماعي مؤكدة أن أغلبها مغشوش ومجهولة المصدر ومنتهي الصلاحية، وتظهر خطورة المشكلة التي قدرت أن (١٥٪) من حجم مبيعات الأدوية مهربة أو المغشوشة، بما يقارب (٥) مليار جنيه (الجبيل، ٢٠٢٠) .

يوجد في السوق المصري حوالي (١٤٥) شركة تمتلك مصنعا للدواء، و(١١) شركة قطاع أعمال و (٢٢) فرع لشركات دواء أجنبية، و(١٤٠٠) شركة تصنع لدى الغير، وبلغت حجم الاستثمارات في الدواء في سوق الدواء المصري في أبريل (٢٠٢١)، حوالي (٣٠٠) مليار جنيه مصري، ويعد أحد أكبر أسواق الدواء في المنطقة العربية، كما تتوقع "شركة فيتش سولوشنز للأبحاث الدولية" بلوغ مبيعات الدواء في مصر للعام الحالي (٨٢) مليار جنيه و (١١٣) مليار جنيه في ٢٠٢٦ (بيان مجلس الوزراء، ٢٠٢٢)، تقودنا الأرباح الهائلة والسوق غير المنضبطة إلى فجوة يملؤها الغش الدوائي مستغلاً الوضع القائم .

وتحتل المشكلة أهمية علي المستوى العام، لاعتبارها أحد أخطر القضايا التي تواجه القطاع الصحي ويطلق عليها صناع الموت السريع، فالدواء قد أصبح داء، مع وجود تشابك بين قضية مكافحة الأدوية الضارة بالصحة والمعروفة إعلامياً باسم " أدوية تحت السلم " بمكافحة التزييف - باعتبارها قضية ترتبط بالملكية الفكرية والغش التجاري، وانتشار ظاهرة "الأدوية المغشوشة" ويأتي ذلك في ظل استغلال البعض للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها المرضى بعد ارتفاع أسعار الأدوية ونقص بعضها بالأسواق، وحقيقة الأمر إن تجارة "الأدوية المغشوشة" ليست قضية وليدة اللحظة، لذلك حتمت الظروف على الأفراد الاهتمام بموضوع صناعة الأدوية الطبية وتنظيم عمليات استيرادها وحيازتها وبيعها وغير ذلك من صور التعامل بهذه الأدوية لكي لا يكون عرضة لضعاف النفوس من التحكم بأخطر مادة تتعلق بحياة الفرد والمجتمع، وينتج عن إتباع هذا المسار تدهور الصحة العامة، ناهيك عن تأثيراتها العكسية وأضرارها الحتمية علي حياة الأفراد .

وارتكزت المشكلة بالتركيز علي قضية الأضرار التي تلحقها الأدوية المغشوشة نتيجة استعمالها، وإعلان وزارة الصحة المصرية ضبط (٣٦٢٧٠ ألف) قرص منشط مغشوش، وقامت إدارة التفتيش الصيدلي بتحرير (٨١٣) محضراً بوجود أدوية مغشوشة ومنتهية الصلاحية (جريدة اليوم السابع، ٢٠١٧)، كما تم ضبط (١٦٢) منشأة غير مرخصة تقوم بتصنيع الأدوية وأحيل المسؤولين للنيابة (وزارة الصحة المصرية، ٢٠١٩)، وضبط (٣) قضايا أدوية مغشوشة بمحافظة الجيزة والقليوبية ومستحضرات تجميل شملت (١٠٥٤) علبة دواء لنوعيات مختلفة تخص التخسيس والنحافة، إلي جانب (١١٨٧) عبوة أدوية منشطة مغشوشة ومجهولة المصدر (وزارة الصحة المصرية، ٢٠٢٠).

كما كشف (المركز المصري للحق في الدواء: ٢٠٢٠) عن زيادة نسبة الأدوية المغشوشة والمقلدة في مصر لتتراوح ما بين (١٥-٢٠٪) كتجاره مريحة تحقق أكثر من (٦) مليارات جنيها بحسب المنظمات الدولية العاملة في صناعة الدواء، وأضاف المركز أن من بين أسباب تزوير الدواء هو التوجه للتجارة الحرة، وعدم وجود قوانين ملائمة لردع التزوير، كذلك الطلب المستمر على الدواء ولا يعرف المستخدم الفرق بين المزور وغيره،

مما يدفع المرضى للبحث عن الأرخص، كما أن ضعف الرقابة التنظيمية في كثير من البلاد وخصوصاً على قنوات توزيع الدواء وإنكار وجود المشكلة يزيد من تفاقمها، فالحكومات التي لا تعترف بوجود الدواء المزور والشركات التي تتردد في إعلان وجود نسخ مزيفة من منتجاتها يضاعف المشكلة (المركز المصري للحق في الدواء، ٢٠٢٠) .

وعلى مستوى المجتمع المحلي فقد تم ضبط (٢٥٦٨) دواء مُهرب أغلبها أدوية لمرض الضغط والسكر وأدوية القلب، قامت الجهات الرقابية المختصة بمحافظة الإسماعيلية بإغلاق عدد (١٦) صيدلية مخالفة بمنطقة الشهداء بالنصف الثاني من (٢٠٢١)، وأوضح المتحدث الرسمي لوزارة الصحة والسكان بالإسماعيلية أن الحملة استهدفت المرور علي (٦٨) صيدلية بنطاق المحافظة، أسفرت عن ضبط كميات من الأدوية المهربة والمغشوشة وغير مصرح بتداولها (مجاهد، ٢٠٢١) .

ومما أثار أهمية الموضوع انتشار حملات ترويج لبيع أدوية ومكملات غذائية مجهولة المصدر عبر مواقع الإنترنت وهو ما لاقى إقبال من البعض في محاولة للاستفادة من أسعارها المنخفضة، مما أثار (هيئة الرقابة الدولية للأدوية التابعة للأمم المتحدة، ٢٠١٦) والتي تعيد بأن هناك نمواً في الطلب علي الأدوية المغشوشة والأجهزة الرخيصة، ويشير التقرير أن تدفق الأدوية المغشوشة للدول النامية تفوق نسبتها (٥٠٪) من الأدوية الأصلية، وتتركز في أدوية الأمراض المزمنة، وأدوية الكوليسترول، والمنشطات والنحافة والبدانة ومكافحة الشيخوخة والمسكنات ومستحضرات التجميل والمكملات الغذائية والحقن والواقى الذكري وجطات الدم وموانع الحمل للسيدات وعقاقير التخدير وأدوية القلب والحبوب المخدرة والأجهزة طبية مثل أجهزة فحص الحمل وأجهزة قياس السكر والضغط وأدوات عيادات الأسنان، ووفق التقرير فالأدوية المغشوشة " لا تقتل الأوجاع ولكنها تقتل المرضى " .

فالدواء أحد أهم المنتجات التي لا غنى عنها في أي مجتمع، وهو أكثر المنتجات التي تمثل منافع وخطورة على الصحة لما يحدثه من أضرار قد تصل إلى الموت ما لم يراع ضوابط تصنيعه وتداوله، ومع ذلك فلم يبق شيء إلا وطاله يد الجشع والتزيف والغش، فالصيدليات باتت تعج بالأدوية والمستلزمات الطبية ومستحضرات التجميل المغشوشة، ولم يعد الأمر مقتصرًا علي منتجات معينة بل أصبحت السمة الغالبة لمعظم

المنتجات الدوائية، ويعكس ذلك حقيقة وجود فئة تبحث عن الثراء علي حساب المرضى، مع اعتبار تلك المنتجات بضاعة تنتعش بسوق قلة الوعي، وتتفاقم المشكلة في صعوبة كشفها بحكم كونها مصممة بحيث تبدو مطابقة للمنتج الأصلي (باسكال، ٢٠٠٥: ٣٦٥). ومن الواضح أن أكثر من (١٥٪) من الأدوية الأساسية المتداولة في البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل يمكن تصنيفها تحت فئة الأدوية المغشوشة وإن لم تشر إلي أشكال الغش وطريقة (بدر، ٢٠١٨)، وشيوع ارتباط استخدام مصطلح "مافيا" بالدواء، وهو مصطلح لم يشع استخدامه عالمياً غير في تجارة المخدرات والسلاح والدواء وعدم توافر القدر الكافي منه بالفاعلية والجودة المطلوبة إلي إثارة القلاقل المجتمعية (حامد، ٢٠٠٥: ١٩٢).

وأفادت (منظمة الشفافية، ٢٠١٩) أن فساد وتقليد الأدوية والمنتجات الصيدلانية يتسببان بوقوع الضحايا ويشجع لظهور أمراض مقاومة للعقاقير، لذلك بات من الواضح ضرورة الاهتمام بموضوع انتشار الأدوية المغشوشة وخصوصاً مع وجود منتجات تحمل نفس الصفة التجارية لشركات الأدوية الكبرى، وتظهر المشكلة بوضوح في التأثير علي البعد القومي من خلال تقوض تلك الأدوية الثقة في النظام الصحي المصري . ولا يخفى مدى الخطورة التي يمكن ان تلحق بالمجتمع وصحة أفراده في حال ترك مسألة التعامل بهذه الأدوية كجريمة (علي، ١٩٩٣: ٢٦-٢٧)، وعلى أساس ما تقدم ولخطورة موضوع الأدوية المغشوشة على صحة الفرد والمجتمع، ويعتبر القانون المصري حيازتها مخالفة لأحكام القانون من قبيل جرائم تخريب الاقتصاد الوطني (صدقي، ١٧٤: ٢٠٠٩) .

فالدواء لابد ان يكون له خاصية علاج الأمراض أو الوقاية منها، والشفاء لكل عرض يؤثر على سلامة وظائف الجسم سواء كان ذلك المرض نتيجة عوامل خارجية كالتعرض للإصابة أو العدوى، أم نتيجة عوامل داخلية مثل ضعف مناعة الجسد والقيام بدوره للمساعدة في القضاء على مرض معين أو تقلل خطورة آثاره وتحسن حالة المريض (مسعد، ١٦: ٢٠١٢) .

وتشتمل التأثيرات العكسية الشديدة تهديد لحياة الأفراد مثل (فشل الكبد، وعدم انتظام ضربات القلب، وارتفاع ضغط الدم بالجسم بصورة خطيرة)، أو التي تؤدي إلى إعاقة



مستمرة، أو إلى دخول المستشفى، وتلك التي تسبب حدوث تشوهاتٍ خلقية، وتكون هذه التأثيرات شديدة عادةً، فكلما كثر تناول تلك الأدوية زاد خطرهما، ومن الأهمية الإقرار بأن ردود الفعل للتأثيرات الدوائية العكسية من وصف الأدوية المغشوشة تمثل السبب الرئيس للأذى الجسدي، والجدير بالذكر أنّ نحو (٣-٧٪) من حالات دخول مستشفى جامعة قناة السويس هي لعلاج التأثيرات العكسية للأدوية، ويكون نحو (١٠-٢٠٪) من هذه التأثيرات شديداً (تقرير مستشفى جامعة قناة السويس: ٢٠٢١)، لذلك ظهرت نواه فكرة البحث من ملاحظة وجود حالات دخول للمستشفى الجامعي بالإسماعيلية في حالة أعياء تام، وكثير من الحالات الأخرى توفت، وبالاستقصاء علي بعض أهالي تلك الحالات وجد أنهم قد تناولوا دواء معين أدى ألي الوصول لذلك الحالة أو الوفاة، فهل انتشار الأدوية المغشوشة له تأثيرات عكسية علي الفرد والمجتمع؟ وانتشارها يعتبر مشكلة معقدة تنتظر حلولاً عاجلة؟

### ثانياً: أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث لحيوية قطاع الدواء وارتباطه بالحياة الصحية الاجتماعية، في وقت تعددت الأمراض واكتشفت أمراض جديدة، وأصبح العلاج يتطلب نفقات باهظة يعجز عنه الغالبية من محدودي الدخل (العبيد، ١٩٨٩: ١٥٧)، لذلك تتضح الأهمية في الآتي:

### الأهمية النظرية:

- محاولة التوصل لمعارف نظرية لتفسير مشكلة انتشار الأدوية المغشوشة ومخاطرها الاجتماعية وتأثيراتها العكسية .
- محاولة استخلاص مقولات فكرية عن نظرية المنفعة لتفسير مشكلة البحث .
- الأهمية التطبيقية:
- الرغبة في التوصل لوضع إجراءات للتعامل مع أسباب انتشار الأدوية المغشوشة .
- وضع إجراءات من خلالها توفير منتج دوائي فعال آمن .
- تحديد أهم المتطلبات للنهوض بصناعة الأدوية .

**ثالثاً: أهداف البحث:**

يتمثل الهدف العام للبحث في " التعرف علي حجم أنتشار الأدوية المغشوشة وتأثيراتها العكسية علي المرضى وما تمثله من مشكلة صحية اجتماعية " ويمكن طرح الأهداف الفرعية الآتية:

**الهدف الأول:** التعرف علي مدي معرفة الأفراد بالأدوية المغشوشة، وللتحقق من الهدف يحاول البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- لديك القدرة علي التمييز بين الدواء السليم والمغشوش ؟
- هل تعلم ان للدواء المغشوش مخاطر علي كافة المستويات ؟
- الهدف الثاني:** الكشف عن مخاطر تناول الأدوية المغشوشة وتأثيراتها .
- ما الآثار الطبية لتناول الأدوية المغشوشة ؟
- انتشار الأدوية المغشوشة سبب مباشر في فقدان الثقة في جدوي الأدوية السليمة ومقدمي الرعاية والأنظمة الصحية؟

**الهدف الثالث:** تحديد دور الأجهزة الرقابية وحماية المستهلك في مواجهة انتشار الأدوية المغشوشة وتداعيتها علي الأسرة المصرية، وللتحقق من الهدف يحاول البحث الإجابة عن التساؤل الآتي:

- ما دور وزارة الصحة وجهاز حماية المستهلك في الحد من انتشار تلك الأدوية ؟
- كيف أدي الانفلات الأمني الذي عايشناه لزيادة عمليات غش الأدوية ؟
- ما الإجراءات المتخذة لتقليل غش الأدوية وضبط مسار سوق الدواء ؟

**رابعاً: مفاهيم البحث:**

- **الدواء:** هو أي مادة مدرجة في دستور للأدوية ويكون من شان استخدامها تغيير أو استكشاف نظم فسيولوجية أو حالات مرضية لصالح متلقيها (حامد، ٢٠٠٥: ١٩٢)، وأي تركيبة محضرة للعلاج أو الوقاية من المرض أو لتشخيص حالات مرضية، أو تغيير الوظائف الفسيولوجية في الإنسان أو الحيوان (خوجة، ٢٠١٢: ١٣)، ويعرفه (حساسين، ٢٠١٢: ٣) بماده كيميائية لها القدرة علي تعديل أو تغيير

- الوظائف الجسدية الطبيعية للكائن الحي حال امتصاصها ودخولها داخل جسد الكائن الحي .
- **الأدوية المغشوشة:** هي منتجات طبية يجري تشويه هويتها وتكوينها ومصدرها عمداً، ومحاولة التدليس علي المستهلك وتضليله بإخفاء المعلومات الكافية عن السلعة التي يمتلكها المنتج والتي تماثل وتشابه السلع الجيدة من حيث الشكل ولكنها سلع رديئة عديمة الفاعلية (عبيدات، ٢٠٠٨)، وعرفها (بدر، ٢٠١٨) بمنتجات لا تفي بمعايير الجودة .
  - **الغش الدوائي:** مواد يتم تحضيرها باستعمال الغش المتعمد بالنسبة إلى هويته ولا تتطابق مكوناته وطريقة تحضيره المواصفات القياسية، ويصبح الدواء المغشوش غير فعال في علاج الأمراض ويتسبب في إلحاق الضرر بالمريض (WHO:2018) .
  - **التحسس الدوائي:** حدوث ردة فعل غير مرغوب فيها من قبل جهاز المناعة لدى المريض عند تناوله للدواء وذلك لأن الجهاز المناعي اعتبر هذا الدواء جسم غريب ويجب أن يتخلص منه (عبدالصادق، ٢٠٠٨: ٣١) .
  - **العرض الجانبي للدواء:** معاناة الفرد من ألم عند تناوله للدواء (علي، ٢٠٠٧: ٥).
  - **وبائيات الدواء:** هي التطبيق للطرق الوبائية من خلال العلاج الدوائي للأمراض بهدف فهم الأمراض فهماً أفضل (Porta M, 2018) .
  - **التأثيرات الدوائية العكسية:** هي القوي المحركة والفاعلة والمؤثرة بالسلب في المادة الدوائية (رشدي، ٢٠١٣: ٣) .
  - **التعريف الإجرائي للأدوية المغشوشة:**
- منتجات لا توفر التأثير المطلوب، ولها تفاعلات سلبية خطيرة وينجم عنها إلحاق الضرر بالمرضى بسبب المكونات الخاطئة ولا تفي بالعلاج، وتنتج من منتجين غير مسجلين وليس لهم ترخيص ويعتمدوا الخداع للعلامة التجارية والتركيبة الدوائية ولا تخضع لمقاييس الجودة ويتم عرضها تحت نفس الاسم التجاري للمنتج الأصلي .

## خامساً: الاتجاهات النظرية المفسر لمشكلة البحث:

الرؤي نظرية لرواد نظرية المنفعة وعلاقتها بمشكلة البحث:

تطورت فكرة المنفعة مع تطور الفكر الاقتصادي لكارل منغر (١٨٤٦-١٩٢١)، ووليم ستانلي جيفونس (١٨٣٥-١٨٨٢) والفرنسي ماري ليون فالراس (١٨٣٤-١٩١٠) (Paul, 2002)، واستندت أفكارهم إلى أن شدة الحاجة للشيء تَقَل تدريجياً لدى إشباعها (David, 1988)، ولكون المنفعة تمثل القيمة ففي النصف الأول من القرن العشرين رأى أنصار مذهب المنفعة Utilitarianism أن تعظيم المنفعة يُعدّ معياراً معنوياً لتنظيم المجتمع، ورأى جيرمي بنتام (١٧٤٨-١٨٣٢) وجون ستوارت ميل (١٨٠٦-١٨٧٦) أن المجتمع يجب أن يضع تعظيم المنافع الكلية للأفراد هدفاً له (ميل، ترجمة حرار، ٢٠٠٦: ١٢٧)، وتوضح المقولات الفكرية من نظرية المنفعة على أساس:

- أ- تأكيد النظرية أن لكل سلعة منفعة خاصة بها هذه المنفعة تعتبر دافعاً يجعل المستهلك يطلبها دون غيرها في حدود دخله (Peter, 1970).
- ب- تحاول النظرية بيان وتحليل سلوك المستهلك للأدوية وكيفية الوصول إلي وضع توازن.
- ت- تختلف المنفعة باختلاف الوقت حيث أن الدواء لشخص مريض تكون منفعته أكبر من شخص سليم لا يعاني من مرض وهذه المنفعة تتلاشى بمجرد شعور المريض بالشفاء.
- ث- صواب أي فعل من الأفعال يتوقف على النتائج الحسنة والسيئة التي تترتب عليه.
- ج- إن صواب أي عمل يحكم عليه بمقدار ما يسهم في زيادة السعادة للفرد أو في التقليل من شقاءه.
- ح- الألم هو الشيء الوحيد الذي هو شرٌّ في ذاته (الأكويني، ترجمة خوري بولس عواد، ١٨٨٧، ٦٣٦).
- خ- والسعادة تشمل اللذة والتخلص من الألم (بدوي، ١٩٨٢).

فمستقبل الثورة العلمية والتقنية يكشف عن اكتشافات وعقبات لا تنتهي تمس حياة الأفراد وتجعلهم في بؤس وشقاء حيث ترجع معظمها للطابع الاحتكاري لعملية الإنتاج

العلمي علي مستوي العالم إذ تعد صناعة الدواء إحدى أهم الصناعات التي تركز علي استخدام التقنيات عالية المستوي، التي يضخ فيها حجم كبير من الأموال، ولها خصائص عديدة من أهمها باعتبارها صناعة استراتيجية لها تأثير سياسي واقتصادي واجتماعي، ونستنتج وجود حصار من الدول الغنية للدول الفقيرة عن طريق شركات متعددة الجنسيات وتطبيق الاتفاقيات مع الدول الفقيرة التي تنص علي حقوق الملكية الفكرية لتنفيذ الاحتكار بكافة صورة علي الفقراء (بدران، ١٩٩٤: ١٣) .

وكلما زاد التصنيع دون إتباع أساليب السلامة زاد التأثير السلبي علي المجتمع وزاد التلوث في المجتمعات، ولكن مما يزيد الوضع سوءاً في المجتمعات الفقيرة تصدير الدول الصناعية الكبرى لها مصانعها التي تعتمد علي التكنولوجيا القديمة التي تزيد من تلوثها وتزيد من أعبائها الصحية، مما أدى إلي تفاقم سوء الحالة الصحية وعدم رقي الأولويات الصحية في تلك المجتمعات إلي أدنى المستويات العالمية (زهران، ١٩٩٦: ٢٣) .

وتنبثق من عولمة الشركات متعددة الجنسيات منطق الربح التجاري على حساب الصحة، والآلية الاقتصادية الناجمة عن حالات التنافس والاحتكار تجعل من الأدوية سلعة كأي سلعة أخرى، إذ ليس هنا ضمان صحي من شأنه أن يجعلها مجانية للمشتريين على الرغم من التكلفة العالمية فإن هذه المنظومة تلائم الشركات متعددة الجنسيات علي نحو أفضل في أفريقيا التي لا تهتم إلا بالربح (Glass, 2005:1169-1173) .

### ويوضح فكر (الكتامي، ٢٠٢٠ : ١٥٢) من خلال حقوق الملكية الفكرية:

١. أن توفير المنتجات الدوائية للمرضي بأسعار معتدلة في أي دولة يتوقف علي عوامل أهمها موقف قوانين الملكية الفكرية التي تمنح حقوق الاحتكار لتلك المنتجات ومن شأنها إحكام قبضة الشركات الدوائية المبتكرة للأدوية الجديدة والمغالاة في أسعارها .

٢. حقوق الملكية الفكرية للأدوية علي وجه الخصوص ليست مطلقة بل تخضع لتقييدات مما يحد من نفوذ أصحابها بما يساعد علي تحقيق التوازن بين مصالح مالكي حقوق الملكية الفكرية وتوازن المجتمع .

٣. تسعى الشركات المحتكرة للمنتجات الدوائية تعزيز سيطرتها بصفة مستمرة علي المنتجات الدوائية لتحقيق اعلي عائد ربحي من المبيعات لتلك المنتجات دون وضع أي اعتبارات للدول الفقيرة .
  ٤. وجود المحاولات المستمرة من تلك الشركات للخلط بين الأدوية الجنيسة<sup>١</sup> \* والأدوية المغشوشة بشكل خاص في الدول التي يعتمد فيها المرضي بشكل كبير علي تلك النوعية من الأدوية لانخفاض سعرها مقارنة بالأدوية المنتجة من شركات أجنبية .
  ٥. فبرأه الاختراع ووجود نشوء احتكارات من شأنها إحكام قبضة الشركات الدوائية المبتكرة للأدوية الجديدة علي المغالاة وفي أسعارها (شيحة، ٢٠١٦: ٥) .
  - ويشكل الواقع الاجتماعي انطلاقاً من الحق في العلاج الأمن وضوح رؤية (منظمة الصحة العالمية، ١٩٦٤) في:
  ١. يحق لكل فرد التمتع بأعلى مستوي من الصحة يمكن بلوغه ويفضي للعيش بكرامة .
  ٢. لكل فرد الحق في التمتع بمستوي صحي مناسب ومقبول وميسور التكلفة وعلي مستوي عال من الجودة والرعاية في الوقت المناسب، بالرغم من وقوع اكثر من ١٠٠ مليون فرد في دائرة الفقر بسبب الإنفاق علي العلاج وتحقيق الرعاية الصحية المناسبة (منظمة الصحة العالمية، ٢٠١٧) .
  ٣. الحقوق الدوائية لعلاج المرضي تم وضعها في أكثر من ١١٥ دستوراً علي مستوي العالم (الأمم المتحدة، ٢٠١٦: ٧) .
  ٤. لكل فرد الحق في مستوي معيشي يكفي لضمان الصحة له ولأسرته (الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٩٤٨) .
- علماً أن المقصود بأحكام الاحتكار الصيدلي هو قصر التعامل بالأدوية الطبية من حيث بيعها للجُمهور على شخص الصيدلي المتخصص بعلم الصيدلة (عبدالصادق، ٢٠١٩: ٢٠)، وكلمة الاحتكار تحمل الكثير من معاني الظلم والاستبداد والسطو على حقوق الناس وفي القاموس الحكر هو الظلم، وفي أساس البلاغة هو الالتواء

\* الأدوية الجنيسة: هي أدوية تكافئ الأدوية ذات العلامة التجارية، وتمتلك نفس الجرعة والتأثير وآلية الاستعمال، ويكون لديها نفس المعايير الخاصة بالسلامة والجودة، وتمنح التصاريح الخاصة بالتسجيل والتسويق .

والعسر وسوء المعاشرة، واحتكار الطعام حبسه تربصاً لغلائه، والاحتكار من الجرائم الاقتصادية الخطيرة التي تصيب السوق في الجملة فيتضرر منها الناس من غير حصر، وفي الحديث الشريف قال الرسول الكريم (ص) : (( الجالب مرزوق والمحتكر ملعون )) (الكبيسي، ٢٢: ١٩٨٦) .

فالعولمة بالنمط الحالي لا يستفيد منها الكثيرون، وفي بعض الحالات يولد الترابط بمخاطر جديدة فماذا عن الفوارق المزمنة في أبعاد التنمية البشرية في مختلف أنحاء العالم، وعن ارتفاع نسبة الذين يعملون في أعمال وظروف غير مستقرة في بعض المناطق، وعن الصدمات العالمية للامتداد التي لا يمكن توقعها كالأوبئة (غاندي، ٢٠١٤: ١٠٩) .

فأصدرت الحكومات القوانين والتوقيع علي الاتفاقيات الدولية التي تنص علي مبدأ حقوق الملكية الفكرية والتي اعتبرت عائقاً لانتشار الأدوية والمستلزمات الطبية في المجتمعات الفقيرة، وحرمانها من إنتاج الأدوية يجعلها تعتمد علي استيرادها للوفاء بحاجتها، ما يزيد الأمر سوء في عدم حصول الفقراء علي متطلباتهم العلاجية (فورد، ٢٠٠١، ١١٦)، فتحسين الصحة بوصفها مدخلا للإنتاجية، للاحتفاظ بالعدالة لنظام يهتم بعدم إلحاق الضرر بالصحة (Wazaify, 2008: 884) .

فبتناول الفرد دواء مغشوش أثراً سلبي كبير على حياته فهي تحد من قدراته كما تؤثر على صحته، وحيث إنّ الأفكار السلبية موجودة دائماً في حياة الأفراد وهي تعرقل ظهور الإيجابية فيهم (Nattrass,2009:183) .

٢. ووضحت مجموعة رؤي فكرية تدعي أن المجتمع الطبي بشكل عام وشركات الأدوية بشكل خاص، وخاصة الشركات الكبيرة، تعمل لأغراض شريرة وضد الصالح العام، وأنها تخفي علاجات فعالة، أو حتى تسبب وتزيد من تفاقم مجموعة واسعة من الأمراض، ومن بين الاختلافات المحددة في نظرية المؤامرة الادعاء بأن سبل العلاج البديلة الطبيعية للمشاكل الصحية يجري قمعها، والادعاء بأنه جرى اكتشاف علاج لجميع أنواع السرطان ولكنه مخفي عن الأفراد، في كل حالة، ألقى منظرو المؤامرة باللوم على شركات الأدوية في بحثها عن الأرباح (James F, 2018:81-1).

وكتب "روبرت بلاسكويتز" أن أصحاب نظرية المؤامرة يستخدمون مصطلح شركات الأدوية الكبرى باعتباره "اختصاراً لكيانٍ مجردٍ يضم الشركات، والمنظمين، والمنظمات

غير الحكومية، والسياسيين، والأطباء في كثير من الأحيان، ولكل منهم حصته بصفة الأدوية التي تصرف بوصفة طبية، وفقاً لبلاسكويتز، فإن نظرية المؤامرة الكبرى تتمتع بأربع سمات كلاسيكية: (Goldberg, 2019)

١. افتراض أن المؤامرة يرتكبها كادر صغير خبيث .
  ٢. الاعتقاد بأن عامة الناس يجهلون الحقيقة .
  ٣. أن معتنيها يعاملون نقص الأدلة كدليل .
  ٤. الحجج المنشورة تدعم للنظرية الغير عقلانية أو أسوء فهمها .
- فلنظرية المؤامرة مجموعة متنوعة من المظاهر المحددة والمختلفة، لكل منها روايات مختلفة، لكنهم دائماً ما يصورون «شركات الأدوية الكبرى» على أنها سبب الشر (Barajas, 2017) .

وتختلف تعريفات النظرية باختلاف وجهات نظر أصحابها، يمكن القول بأن المؤامرة بها طرفين رئيسين:

- الطرف الأول: المتآمر (وهم الذين يقوموا بغش الأدوية) .
  - الطرف الثاني: المتآمر عليه (وهم المرضى) لإخفاء الحقيقة، وقيام طرف ما معلوم أو غير معلوم بعمل منظم سواءً بوعي أو بدون وعي، سراً أو علناً، بالتخطيط للوصول لهدف، ويتمثل في تحقيق مصلحة ما .
- الرؤى النظرية للعلماء في تفسير مشكلة البحث:

حاول البحث عرض بعض الرؤى النظرية الفكرية للاستفادة منها لتوضيح أن صحة الأفراد بالمجتمع ونقشي الأمراض مع وجود انتشار الأدوية المغشوشة لا يمكن وضعها في الإطار الفيزيقي، ولا يمكن وضع كلمة صحة أفضل للمجتمع في إطار جدلي، ويتبين من العرض السابق:

- الأفكار تتحد في مجملها إلي ترسيخ الحكم التشاركي، أي الجهود التي تتضمن دوراً أكبر للأفراد للمشاركة بفاعلية في عملية التوعية والمراقبة وصنع القرار الصحي بما يخدم أهداف التنمية المستدامة، وتحمله المسؤولية والشراكة من جميع فئات المجتمع لحل المشكلات الصحية وإتباع السلوكيات الرشيدة والداعمة للمحافظة عليها .



- وجود حصار من الدول الغنية للدول الفقيرة من خلال شركات متعددة الجنسيات وتطبيق الاتفاقيات مع الدول الفقيرة والتي تنص علي حقوق الملكية الفكرية لتنفيذ الاحتكار بكافة صورة علي الفقراء، ولذلك أجد لا إنسانية للعولمة في مجال الصحة .

### سادساً: الإجراءات المنهجية المستخدمة في البحث:

- أسلوب البحث: اعتمد البحث علي الأسلوب الكشفي في دراسة انتشار الأدوية المغشوشة وتأثيراتها العكسية وخطرها علي الأفراد بالمجتمع .
- طرق البحث: سيتم الاعتماد علي طريقة المسح الاجتماعي بالعينة كمحاولة لتحديد وإثبات مشكلة البحث للتعرف علي حجم تجارة الأدوية المغشوشة بمدينة الإسماعيلية، ونتائج انتشار تلك الأدوية اجتماعياً، وإعداد قائمة بتساؤلات البحث لأخذ آراء الصيادلة بائعي المنتجات الدوائية بغية معرفة التأثيرات العكسية للأدوية المغشوشة .
- أداة البحث: اعتمد الباحث علي أداتين (الاستبيان - المقابلة) لجمع البيانات الميدانية من أصحاب الصيدليات، وتم إجراء البحث ميدانياً في الفترة من أول يوليو ٢٠٢١ حتى مارس ٢٠٢٢ .
- عينة البحث: تم الاعتماد علي العينة (العمدية) من الصيادلة باعتبارهم الأكثر معرفة ووعي بتأثير كل دواء، وحددت العينة التي طبق عليهم الاستبيان ب (١٦٥) مفردة .
- مجتمع البحث: يشمل جميع (أصحاب الصيدليات) بمنطقة الشهداء بمحافظة {الإسماعيلية}، ويوضح الجدول رقم (١) التقسيم الإداري وبعض خصائص مجتمع البحث .

المجتمع	المركز	التصنيف	عدد سكان	عدد الصيدليات
منشأة الشهداء	تتبع حي ثاني (مركز ومدينة الإسماعيلية)	حضر	٨٣,٤٤٦ ألف	٦٥٥ صيدلية

الجدول من تركيب الباحث، مركز المعلومات بمحافظة الإسماعيلية ديسمبر ٢٠٢٠ .  
حساب صدق الاستبيان بطريقتين هما كما يلي:

١. صدق المحتوى للتحقق من صدق الاستبيان تم عرضه في صورته الأولية علي مجموعة من المحكمين من أساتذة علم الاجتماع والطب والصيدلة، وبلغ عددهم

(٩) محكم وتم حساب نسبة الاتفاق لدي المحكمين على كل عبارة من عبارات الاستبيان، وتراوحت نسبة تكرار اتفاق المحكمين على العبارات ما بين ٧١ - ١٠٠ % .

٢. صدق الاتساق الداخلي للتحقق من صدق الاستبيان تم تطبيق الاستبيان على عينه استطلاعية قوامها (٢٠) مفردة من الصيدلة تتوافر فيها نفس شروط عينة البحث وبعد التطبيق تم حساب الصدق الاتساق الداخلي من خلال معامل ارتباط بيرسون بين عبارات كل محور والدرجة الكلية له، وتم إعداد وتصميم الاستمارة في ضوء التعريف الإجرائي وأهداف البحث، ويوضح الجدول رقم (٢) .

م	حقوق المستهلك للدواء	عدد عبارات الاستبيان
١	الحصول علي المعلومات	٢
٢	سماع رأي المستهلك	٥
٣	التثقيف الدوائي	٣
٤	الأمان	٦
٥	الاختيار السليم	٤
٦	المقاطعة	٢

يكشف الجدول السابق بعض خصائص مجتمع البحث لمنطقة منشأة الشهداء من حيث التصنيف (حضر) وتعداد السكان وعدد الصيدليات الخاصة بناء علي بيانات (مركز المعلومات في ٢٧/٣/٢٠٢١) .

## ثامناً: الخصائص الديموجرافية والاجتماعية والاقتصادية للعينة:

ويوضح جدول رقم (٣) الخصائص العامة لعينة البحث من الصيادلة

المتغير	المعلومة	التكرار	النسبة المئوية %
النوع	ذكر	٩٥	٥٧,٥٧%
	أنثى	٧٠	٤٢,٤٢%
	المجموع	١٦٥	١٠٠%
المستوي التعليمي	جامعي	١٢٢	٧٤,٠%
	فوق الجامعي	٤٣	٢٦,٠%
	المجموع	١٦٥	١٠٠%
الحالة العملية	يعمل	١٦٥	١٠٠%
محل الإقامة	حضر	١٦٥	١٠٠%

تكمن أهمية البحوث العلمية في النتائج التي تخرج بها البحوث من دراستها للواقع الميداني كمحاولة لوصيف واقع الظاهرة وكخطوة لوضع حلول مبنية علي الوصف الصحيح للمشكلة .

ويوضح الجدول السابق مجموعة من الخصائص لحالات البحث وملاحظها العامة، وتشير البيانات الكمية والكيفية بالتركيبات النوعية والعمرية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية ومحل الإقامة لحالات البحث للاتي:

١. تشير البيانات الميدانية من خلال الجدول السابق أن عينة البحث تشمل من حيث النوع ( الذكور بنسبة ٥٧,٥٧%، والإناث بنسبة ٤٢,٤٢% ) ما يؤكد أن العينة تمثل الجنسين، وهو ما يؤدي إلي تنوع الاستجابات والآراء المتعلقة بموضوع البحث.
٢. اتخذ تحليل الجدول كإيضاحاً للاهتمام بمؤشر التعليم حيث مثل الحاصلون علي شهادة التعليم الجامعي نسبة ٧٤,٠%، والمتعلمون للتعليم الفوق الجامعي بنسبة ٢٦,٠% من حجم العينة .

٣. العينة جميعها من ساكني المجتمع الحضري ويعملون في مجال بيع المنتجات الدوائية بكافة أشكالها .

#### جدول رقم (٤) يوضح أسباب أنتشار الأدوية المغشوشة

م	العبارات	الاستجابات		المتوسط المرجح	قوة العبرة	كا <sup>٢</sup>	مستوي الدلالة	الترتيب
		لا	نعم					
١	هل الأدوية السليمة تفي باحتياجات السوق المحلي .	١٤٥	٢٠	٢,٧٨	قوية	٣٩,٤٥	داله	٤
		٨٧,٨	١٢,١					
٢	لديك علم بوجود أدوية مغشوشة بالسوق الدوائي المصري .	٥٥	١١٠	٢,٥١	قوية	١٦,٥٤	داله	٨
		٣٣,٣	٦٦,٦					
٣	لديك القدرة علي معرفة الدواء السليم عن المغشوش .	١٢٠	٤٥	٢,٣٣	متوسطة	٥,٦٣	داله	١٥
		٧٢,٧	٢٧,٢					
٤	نقص بعض الأنواع من الأدوية يعد سبب مباشر لغشها وتقليدها .	١٥٥	١٠	٢,٣١	قوية	١٥,٢٧	داله	١٢
		٩٣,٩	٦,٠					
٥	عدم تفعيل للدور الرقابي للكشف عن الأماكن التي تقوم بغش الأدوية	٩٠	٧٥	٢,٣٩	متوسطة	٦,٧٢	غير داله	١٤
		٥٤,٥	٤٥,٤					
٦	قلة الوعي من الأفراد يعتبر سبب لانتشار الأدوية	٣٠	١٣٥	٢,٣٣	متوسطة	٥,٦٣	غير داله	١٦
		١٨,١	٨١,٨					

								المغشوشة	
٧	داله	٣٥,٦٣	قوية	٢,٨٨	٥٠	١١٥	ك	ضعف المهارة والتكنولوجيا الحديثة وراء انتشار الأدوية المغشوشة .	
					٣٠,٣	٦٩,٦	%		
٨	داله	٢٦,٩	قوية	٢,٦٦	٦٨	٩٧	ك	الزيادة السكانية تعتبر ارض خصبة لسهولة ترويج الأدوية المغشوشة .	
					٤١,٢	٥٨,٧	%		
٩	داله	١٥,٢٧	قوية	٢,٥٤	٧٧	٨٨	ك	عدم وجود خطط فعالة للتطوير لضمان عدم غش المنتج الدوائي .	
					٤٦,٦	٥٣,٣	%		
١٠	داله	٣٦,٥٤	قوية	٢,٨١	٥	١٦٠	ك	الارتفاع المستمر في أسعار الأدوية يعتبر سبب لوجود أدوية مغشوشة .	
					٣,٠	٩٦,٩	%		
١١	داله	١١,٠٩	قوية	٢,٤٢	٤٨	١١٧	ك	زيادة الطلب علي استهلاك الأدوية يعد دافع للغش .	
					٢٩,٠	٧٠,٩	%		
١٢	داله	١٣,٨١	قوية	٢,٤٨	٨٠	٨٥	ك	زيادة الحالات المرضية المتنوعة (أمراض مزمنة - أمراض معدية) .	
					٤٨,٤	٥١,٥	%		
١٣	داله	٤٠,٥٤	قوية	٢,٨٤	١٣٠	٣٥	ك	قلة الاستثمار في قطاع الدواء المحلي .	
					٧٨,٧	٢١,٢	%		

١١	داله	١١,٤٥	قوية	٢,٤٥	٦٤	١٠١	ك	هجرة الخبرات الفنية في مجال الأدوية .	١٤
					٣٨,٧	٦١,٢	%		
٥	داله	١٠,٦٧	قوية	٢,٦٧	٢٢	١٤٣	ك	زيادة الأدوية المهربة بالسوق الدوائي .	١٥
					١٣,٣	٨٦,٦	%		
٩	داله	١٦,٦٧	قوية	٢,٥٢	٤٧	١١٨	ك	الانفلات الأمني سبب مباشر وراء غش الأدوية .	١٦
					٢٨,٤	٧١,٥	%		

يوضح الجدول السابق أوزان ومتوسطات وتكرارات واستجابات عينة البحث لأسباب مشكلة أنتشار الأدوية المغشوشة، وأظهرت البيانات تعدد العبارات القوية والمتوسطة بخصوص العبارة الخاصة بطبيعة المشكلة بانتشار ظاهرة غش الدواء في مصر مما يوجب التعامل معها على أنها ليست جريمة أمنية أو اقتصادية أو اجتماعية فقط ولكنها جريمة بحق الإنسانية فالدواء كمنتج يجب عدم اعتباره منتجا تجاريا فحسب وذلك لأن للدواء مميزات خاصه تجعله مختلفا عن أي منتج .

وعن استجابات أفراد العينة من خلال المقابلات لبعض رواد الصيدليات حول قدرتهم بمعرفة الدواء السليم عن المغشوش أنت النتائج بنسبة ٧٢,٧% يعبرون بعدم قدرتهم علي التمييز بين الدواء السليم والمغشوش، وقد أرجعت نسبة ٩٣,٩% من حجم العينة ان قلة بعض الأنواع من الأدوية يعد سبب مباشر لتقليدها وغشها، واستغلال حالة وجود نقص في عقار معين، مع عدم تفعيل للدور الرقابي للكشف عن الأماكن التي تقوم بغش تلك الأنواع من الأدوية، واستغلال عدم الوعي الكافي من الأفراد لاكتشاف الأدوية المغشوشة، وضعف المهارة والتكنولوجيا الحديثة لتحديد أنواع الأدوية السليمة من المغشوشة ناهيك عن الأدوية التي انتهت فترة صلاحيتها، وقد ارجع نسبة ٥٨,٧% أن الزيادة السكانية تعتبر ارض خصبة لسهولة ترويج الأدوية المغشوشة، والتأكيد من ٥٣,٣% علي عدم وجود خطط فعالة للتطوير لضمان عدم غش المنتج الدوائي، وان ضعف الدخول والارتفاع المستمر في أسعار الأدوية كان دافع من المزيفين لتقديم نفس المنتج بسعر اقل والقول بانه البديل أو تقديم نفس المنتج ولكن بدون المادة الفعالة وأكد ذلك نسبة ٩٦,٩% من

حجم العينة، مع زيادة الطلب علي استهلاك الأدوية كمنتج استراتيجي ٧٠,٩%، وتتفق تلك النتيجة مع مقابلة (مندوب مبيعات لاحدي شركات الأدوية) تنتشر في معظم بلدان العالم نشاطات الترويج الدوائي بكافة أشكاله نظراً لزيادة الاستهلاك، مما يضطر مندوبي المبيعات بشركات الأدوية بزيارة الأطباء وتوزيع المنشورات والعينات المجانية والهدايا الشخصية بالإضافة إلى الإعلانات المنتشرة كالمصقات والنشرات التثقيفية وهذا النوع من الترويج مسموح به قانوناً مادام يستهدف العاملين في القطاع الصحي (الأطباء والصيدلة) وغير موجه للمستهلكين من عامة الأفراد بالمجتمع، ويلتزم بالمعايير الأخلاقية التي تحددها الدولة بقانونها الدوائي ووجود إعلانات دوائية تستهدف المستهلك مباشرة والتي تهدف إلى ترويج أي مستحضر دوائي، سواء كان المستحضر يُصرف بوصفة طبية أو دون وصفة طبية، والإعلانات الدوائية التي تستهدف المستهلك مباشرة تتزايد باستمرار، وأصبحت بديلاً إعلامياً جذاباً للمصانع الدوائية، وذلك بسبب المشاكل التي تواجهها شركات الأدوية من اتساع سوق الدواء وقوة المنافسة، وتدني كفاءة مندوبي مبيعات الأدوية (يحيوي، ٢٠١٨) .

فبالرغم من وجود كم كبير من المنتجات الدوائية في السوق إلا انه توجد فجوة تسويقية ولا يزال يعاني من نقص بعض الأدوية وذلك لعدة أسباب منها انه قد تكون تكلفه تصنيعها غير معروفه ولذلك يعتمد السوق في هذه الحالة علي المستورد والذي غالباً لا يوجد له ثبات معين من حيث السعر والتوفير نتيجة اعتماد توريده لمصر علي سعر الدولار أو ظروف الشحن والتوريد مما يوفر مناخ غير ثابت لهذه الأصناف كما انه يوجد بعض الأصناف لها سعر بيعي للأفراد عالي التكلفة مما يساهم في تقليل حجم السوق لهذا المنتج الدوائي بالرغم من وجود طلب حقيقي عليه ولكن سعره المرتفع يقف عائقاً ولذلك فان المنتج المحلي عادة ما يستحوذ علي جزء كبير من حجم سوق (وزاره التجارة الخارجية، ٢٠٠٦) .

وسجلت واردات السوق المصري من الأدوية والصناعات الطبية نحو ١٠ مليارات جنيه تقريباً في الفترة يناير- نوفمبر ٢٠١٩ بارتفاع ١٢% عن واردات نفس الفترة من عام ٢٠١٨ التي سجلت نحو ٨,٩ مليار جنيه بسبب أزمة الإنتاج المحلي ومعاناة السوق من نقص الكثير من أنواع الأدوية المختلفة (الهيئة العامة للتنمية الصناعية، ٢٠١٢) .

وتركزت واردات مصر من الأدوية خلال هذه الفترة من أسواق الاتحاد الأوروبي بقيمه استيرادييه سجلت نحو ٧,٩ مليار جنيه بينما سجلت واردات من الدول العربية حوالي ٨٠٠ مليون جنيه ومن الواضح أن سوق الأدوية المصري يشهد حالياً بعض الاضطرابات بسبب عدد من المشاكل في مقدمتها ارتفاع تكاليف الإنتاج ومشاكل التسعير الجبري فضلاً عن تراجع الطلب العالمي مما دفع المصانع لتخفيض طاقتها الإنتاجية بشكل عام وهو ما اثر سلباً علي العرض (تقرير المفوضية الأوروبية، ٢٠١٧) .

وأظهرت العبارة الخاصة بالأدوية السليمة بأنها تقي باحتياجات السوق المحلي حيث وصلت النسبة الأعلى للعبارة ٨٧,٨% من حجم العينة بأن الصيدليات تعج بجميع أنواع الأدوية المستوردة والمصنعة محلياً، وأتت تلك النتيجة متوافقة مع نتائج دراسة (جابر، ٢٠٠٣) أن صناعة الدواء تتمتع بوفورات الحجم الكبير وأن للاندماج آثار إيجابية على قدرة الشركة في زيادة كمية الإنتاج وتخفيض التكاليف، وأظهرت نتائج بحث (Besterfeld, 2003:231) دور التحسين المستمر التي تتبعها شركات الأدوية واستخدام الأساليب الأدوات المختلفة لتحقيق التحسين لكافة العمليات والأنشطة المرتبطة وذلك لتقليل العيوب في منتجاتها وتعزيز التنافس بقدراتها ومحاولة الوصول إلى التميز في الأداء .

وتؤكد تلك النتيجة لطبيعة الدواء كمادة ضرورية للحفاظ على صحة الأفراد وتخفيف من معاناتهم ويساهم بالمحافظة على قدراتهم في الإنتاج والتشغيل حيث أن المرض يبعد الأفراد عن العمل، كتأثير عكسي، والدواء يعمل على إعادتهم لحياتهم الطبيعية كتأثير إيجابي (النسور، ٢٠٠٩) .

وأكدت تلك النتيجة الاتفاق مع دور الدولة متمثلة في وزارة الصحة باتباع استراتيجية وتعميمها علي مستوي العام لاستلام الأدوية وتوزيعها علي الصيدليات بالمستشفيات وهي منظومة ( الشراء الموحد )، ما يشير إلي ان تلك الأدوية تحت الرقابة وتكفي الحالات المرضية .

وتكشف العبارة الثانية والتي عبرت عينة البحث عن علمهم بوجود أدوية مغشوشة بالسوق الدوائي المصري (الصيدليات) تؤكد نسبة ٦٦,٦% من حجم العينة بعدم علمهم بهذا الأمر الخطير الذي يشكل تهديد مباشر لهم ولذويهم، وتتفق تلك النتيجة مع (Dina,



(Iskander,2012:16) والتي وضحت قيام فئات تتميز بالجشع والغلظة بغش الدواء في مصر والذي يمثل أقدم الصناعات مع بداية الدولة انتهاج سياسة تحفيز الشركات الوطنية لإنتاج الأدوية وأخذ الترخيص من قبل شركات دولية متعددة الجنسية لإنتاج الأدوية . وأكدت تلك النتيجة أشاره (محمود، ٢٠٠٨: ٢٤) بأن المادتان الثانية والثالثة في القانون المصري لقمع الغش والتدليس رقم (٤٨) لسنة ١٩٤١ المعدل بالقانون رقم (٢٨١) لسنة ١٩٩٤ بأن السوق مفتوحاً أمام نوعين من الأدوية، هي أدوية غالية الثمن والتي تمتلك براءة اختراع، وأدوية تنتج بالغش، مع اعتبار أن قطاع الدواء يواجه العديد من التحديات المتنوعة باعتباره من القطاعات الاستراتيجية .

في حين نسبة ٣٣,٣% من حجم العينة علي علم ومعرفة بوجود منتجات دوائية مغشوشة من خلال الصحف المصرية التي تقوم بدورها في نشر التوعية بخطورة وجود أدوية مغشوشة بالسوق الدوائي المصري، واتفقت تلك النتيجة مع تحذيرات الصحف المصرية بوجود انتشار لبعض أنواع الأدوية المغشوشة عبر شبكة الأنترنت لعلاج أمراض القلب وفيروس سي عبر صفحات مجهولة دون معرفة هوية الموزعين ومكانهم، وتمكنت لجان من التفتيش الصحي والصيدلي بمدينة المنزلة التابعة لمحافظة الدقهلية لضبط مصنع يقوم بتصنيع أدوية لعلاج تلك الأمراض بدون ترخيص ويدار بدون أوراق رسمية، وتم ضبط الآلات والمعدات التي تحمل أسماء تجارية لأنواع أدوية ومراكات مشهورة (جريدة نجوم مصرية، ٢٠١٦)، كما تم ضبط ١٩٠ كرتونة بها بطرمانات فارغة لتعبئة الدواء، وعدد ٦٠٠ زجاجة فارغة وكميات من المواد الدوائية الخام منتهية الصلاحية (بوابة فيتو، ٢٠١٦)، وقام جهاز حماية المستهلك بتحذير المستهلكين للأدوية بوجود أدوية للتخسيس لكونه مسجل كمستحضر غني بالألياف فقط ولا يساعد علي التخسيس، وتم إحالة " شركة فارما كلينك" للنيابة العامة لتعمد تضليل المستهلكين وخداعهم وتقديم معلومات خاطئة، وذلك بعد تلقي العديد من الشكاوي للتضرر من المنتج وعدم تحقيق الفائدة المرجوة منه (جهاز حماية المستهلك، ٢٠١٧) .

فإشارة الجدول السابق للأدوية المغشوشة في السؤال الثاني كان التوضيح لها باعتبارها منتجات مصممة بحيث تبدو مطابقة للمنتج الأصلي، وتتسبب في تفاعل ضار واضح،

وتفشل في علاج المرض، وتحتوي علي مكون خاطئ، وتنتج في ظروف رديئة ينتجها عاملون غير مؤهلين (منظمة الصحة العالمية، ٢٠١٨) .

وقد أكدت نتائج الجدول السابق وجود ممارسات للغش في مجال المنتجات الدوائية وضحت كالتالي:

### ١. ممارسات الغش للأدوية في مجال الترويج:

أصبح الخداع الإعلاني للمستهلك بإعلانات الصحف ومواقع الانترنت وما يكتب بها هو الحقيقة فالعناوين الجذابة يأخذها على محمل الجد دون أن ينخرط بالتفاصيل (المساعد، ١٩٩٧) .

- استخدام ماركات قريبة الشبه بالعلامات الأصلية فيختلط الأمر على المستهلك .
- نقص المعلومات التي تستخدم في التبيين، سواء داخل العبوة أو خارجها على وجه الخصوص .
- تقليل المادة الفعالة بعبوة المنتج مع إبقاء السعر بدلا من رفعه .
- التغيير الوهمي في المنتجات فقد يتم تغيير شكل العبوة .
- وضع تاريخ صلاحية جديد على المنتج الذي انتهت مدة صلاحيته (أبو جمعة، ٢٠٠٢) .

### ٢. البيع الشخصي للأدوية:

- إخفاء معلومات هامة عن المريض بقصد الربح .
- تزويد المريض بمعلومات غير حقيقية عن المنتج الدوائي .
- بيع منتجات تحت ستار جمع بيانات من المستهلكين لإجراء بحث تسويقي (عبيدات، ٢٠٠٨) .

- التخفيضات الوهمية في الأسعار (السعيد، ٢٠٠٨) .

### ٣. الغش في مجال سعر الأدوية:

أصبحت ظاهرة الغش في عالم اليوم تثير الكثير من الجدل والنقاش حول مدى ما تسببه من خسائر للاقتصاد الوطني، وأضرار على المستهلك والمجتمع، فبدأ الغش يشكل مصدر خطورة على حياة الأفراد وبخاصة عندما بدأ يتحرك ناحية الترويج

للأدوية في المجالات الطبية المتخصصة التي تكاد لا تخلو من تضليل وعدم الدقة العلمية التجاري بغية الربح المادي .

١. تحديد سعر العبوة من المنتج بحيث يكون سعر الوحدة في العبوة الأكبر حجماً يساوي بل يزيد عن سعرها في العبوة الأصغر حجماً وينتهي به الأمر إلى عدم التوفير .

٢. تحديد أسعار عالية لبعض المنتجات للدلالة على أنها ذات جودة عالية، والواقع ليست كذلك و يقوم المسوقون الذين يمارسون ذلك باستغلال اعتقاد المستهلكين أنه كلما ارتفع السعر، كلما كانت جودة المنتج أعلى (البيطار، ٢٠٠٩) .

#### يوضح جدول رقم (٥) أشكال الغش الدوائي

المادة الفعالة في الدواء أقل أو أكثر من الجرعة المعتمدة .	الشكل الأول
المادة الفعالة غير موجودة فالمريض يأخذ الدواء ولا يجد نتيجة .	الشكل الثاني
أن يكون الدواء مغشوشاً والعلبة الخارجية صحيحة .	الشكل الثالث
تقليد العلامات التجارية المشهورة.	الشكل الرابع

الجدول من إعداد الباحث .

ويوضح الجدول السابق ظهور أعراض الدواء المغشوش وتأثيره العكسي على شكل طفح جلدي، وفي الحالات الخطيرة قد يصاب المريض بتورم في الوجه واللسان وضيق بالتنفس أو هبوط في ضغط الدم أو إضراب في ضربات القلب ووجود حساسية تجاه الدواء، وألم في المعدة أو القرحة أو ضيق بالتنفس .

مشكلات النظام الدوائي: يصاحب المرض عدة مشكلات ذات آثار علي المريض منها:

#### ١. الأدوية المغشوشة وعلاقتها بالمشكلات الاجتماعية:

ينتج عن الإصابة بالمرض وارتفاع سعر الدواء وعدم الحصول علي الحقوق في ظل الظروف الاقتصادية المتدهورة إلي آثار ونتائج سلبية مع العلاقات الأسرية والعلاقات الخارجية، ويمكن عرض بعض منها كما يأتي:

أ- فقد تنهار بعض الروابط الأسرية نتيجة للمرض فقد يطلب أحد الزوجين الطلاق إذا وجد أنه لا يستطيع الاستمرار في الحياة الزوجية بسبب المرض وخوفاً من انتقال

المرض إليه، أو قد ينتج عن المرض عاهة قد لا يتقبلها الطرف الآخر ويصعب الاستمرار في الحياة الزوجية .

ب- إذا كان المرض ميئوساً من شفاؤه فقد يصعب الاستمرار في الحياة الزوجية . (Josepch, 1991) .

## ٢. الأدوية المغشوشة وعلاقتها بالمشكلات الاقتصادية:

- المرض المفاجئ يؤثر في ميزانية الأسرة، ويزيد أثره في حالة عدم وجود مدخرات.
  - طول فترة العلاج تؤثر سلباً علي ميزانية الأسرة .
  - الحالة الاقتصادية تكون سبباً في عدم تنفيذ خطط العلاج (أيوب، ١٩٨٥ : ١٣١) .
- جدول رقم (٦) يوضح تصنيف منظمة الصحة العالمية (٢٠٢٠) للأدوية المغشوشة

م	التصنيف	الوصف
١	أدوية كاذبة	بدون المكونات الدوائية الفعالة .
٢	أدوية مستنسخة	بمقادير غير كافة من المواد الفعالة .
٣	أدوية فاسدة	منتهية الصلاحية .
٤	أدوية محظورة	ثبتت خطورتها وتم منع تداولها .
٥	أدوية مقلدة	ذات أغلفة مزورة .
٦	أدوية مزورة	تابع على إنها نباتات طبيعية .
٧	أدوية مهربة (منظمة الصحة العالمية، ٢٠٢٠) .	

كما يوضح الجدول الإجابة علي تساؤلات البحث في زيادة الحالات المرضية المتنوعة (أمراض مزمنة - أمراض معدية) ٥١,٥%، فالغش الدوائي مصدر انتشار الأمراض والأوبئة الناتجة عن ممارسات خسيصة في المعاملات التجارية، ويسهم غش الدواء في تخلف المجتمع عن مواكبة ركب التقدم، إذ تشهد المهارات الفردية والكفاءات العلمية والتكنولوجية انحداًراً وتقهراً، وازداد الأمر تعقيد بوجود سوق سوداء لمستلزمات الوقاية من الفيروسات، والتلاعب في المنتجات الطبية مثل أدوية السكر والضغط والقلب والكمادات والمعقمات وإعادة تدوير المخلفات طبية، بواسطة ورش غير مؤهلة طبقاً لمعايير التعقيم أو التصنيع ويطلق عليه (مصانع بير السلم)، والتلاعب في مواصفات تلك المستلزمات

الدوائية، ووجود حالة فوضى يشهدها قطاع المستلزمات الطبية في مصر، نتيجة عرض أدوية ومستلزمات طبية مقلدة في السوق الموازية، فالغش سلوك لا أخلاقي ينم عن شخصية غير سوية، أما عن الاستجابات الخاصة بقلّة الاستثمار في قطاع الدواء المحلي، وتتفق تلك النتيجة مع (Dina,2012: 14-16) بعدم قيام السلطات الرقابية بالدولة بعملية تسعير الدواء وتتركه لقوى السوق العالمي إذ أن القرار يربط سعر الدواء عند تداوله في مصر بأسعار الدواء عالمياً المصري يتحمل نسبة تصل إلى ٦٨% من إجمالي الإنفاق الكلي على الدواء يسدها من ميزانيته الخاصة وأن سعر الدواء في مصر لا يزال مرتفعاً .

ومثلت نسبة ٦١,٢% لهجرة الخبرات الفنية في مجال الأدوية، وزيادة الأدوية المهربة بالسوق الدوائي بنسبة ٨٦,٦%، مع وجود الانفلات الأمني في فترة معينة لوجود انتشار منتجات مزيفة ومقلدة ومغشوشة بالسوق الدوائي المصري مما دفع الجهات الرقابية لتكثيف الحملات علي الصيدليات بغرض الرقابة واكتشاف تلك الأنواع من الأدوية التي تهدد حياة المصريين والأماكن التي تقوم بتصنيعها، وأنت الاستجابات للعبارات بالتنوع فمنها ما كانت استجابته قوية ومنها الضعيفة، لذلك فإن التغاضي عن ظاهرة غش المنتجات الطبية يعتبر أكبر خديعة ترتكب في حق المجتمع، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء" (١)، فما بالنّا أن كان هذا الدواء مغشوش.

ويوضح الدكتور "علي عبدالله" مدير مركز البحوث والدراسات الدوائية والإحصاء، إن الإحصائيات الرسمية في مصر تكشف أن حجم الدواء المغشوش والمهرب يصل إلى ١٥% من حجم الدواء بمصر، واعتبر مشكلة الأدوية المغشوشة قديمة الوجود، ونجح صناع الأدوية المغشوشة في التقليد والخداع ووضع علامات على المنتجات تتضمن ( الخصائص، الوزن، السعر، تاريخ الإنتاج والانتهاج )، ولا يوجد دواء في مأمن من خطر الغش مضيئاً أن الأدوية المغشوشة في منتهى الخطورة على صحة الأفراد ومنها ما يسبب الموت ومنها الأدوية التي تحافظ على (زراعة الكلى) هذه الأدوية تحافظ على الكلى

١- رواة البخاري .

المزروعة وأسعارها عالية ولو كانت مغشوشة ستتسبب في موت المريض بعد أن دفع مبالغ طائلة في العملية وشراء الأدوية، هذا بالإضافة إلى حقن (R H) لو كانت مغشوشة لن تأتي بنتيجة وسيموت الجنين، بالإضافة إلى أدوية السرطان عدد كبير منها مغشوشة لارتفاع أسعارها، وأدوية (الترامادول) أيضا تأتي مهربة ومنها مغشوشة ومعظم الأدوية الجنسية، وطال الغش الدوائي ابتداء من العبوة حتي حبه الدواء .

وكل ذلك برغم التوجيهات التي تتبعها الدولة المصرية متمثلة في الجهات الرقابية لظهور العديد من المخاطر الناتجة عن وجود الادوية المغشوشة بالسوق الدوائي المصري (المليجي، ٢٠١٧: ٢) .

لذلك ووضحت دراسة (حماد، ٢٠٢٠) لأهمية التحول الرقمي في شركات صناعة الأدوية المصرية، وأشارت نتائج دراسة (شعيب، ٢٠٢١) لأهمية دور تفعيل نظم المعلومات الإلكترونية في عملية اتخاذ قرار تصنيع المنتجات الدوائية

وتتفق تلك النتائج مع (أبو جمعة، ٢٠٠٢: ١٥) بقوله أن تقاوم غش المنتجات الدوائية وتقليدها عالميا في ظل تفشي الأمراض، استغل أصحاب المصالح المرضي للتربح عبر بيع مستلزمات طبية مغشوشة وأدوية مقلدة ومزورة، ومن صور الغش القيام بتجميع زجاجات الأدوية المستعملة والفارغة من مخلفات المستشفيات، وإعادة تعبئتها بأدوية مغشوشة وغير صالحة للاستخدام الآدمي، ويضع عليها «الاستيكارات» المقلدة التي قاموا بطباعتها وتصنيع كمادات مقلدة ومستحضرات تعقيم لليدين غير مستوفية لمعايير السلامة وأدوية مضادة للفيروسات غير مرخصة، مما اعتبر الغش والتزييف في مجال الأدوية يشكل عبئاً كبيراً على الدولة، وتأتي المنتجات المغشوشة بأشكال مختلفة، حيث يتم تزوير الأسماء التجارية وتغليفها المعروفة بأسلوب احتيالي ومتعمد، وتحتوي على مكونات غير فاعلة كما يمكن أن تحتوي على مواد كيميائية سامة .

وبالنظر للمستهلك نجد بأنه قد يدفع ٥٠% زيادة عن السعر من أجل الاسم التجاري والمستهلك ينظر أولاً للسعر ثم الجودة ثم الاسم التجاري (حجازي، ٢٠٠٧، ٦)، فعلي المستوى المحلي نجحت الأجهزة الأمنية بضبط مصنع يعيد تصنيع بعض الأدوية والمضادات الحيوية مجهولة المصدر ومنتهية الصلاحية (بدر، ٢٠١٨) .

ولقد أدى التقدم في مختلف مجالات الحياة الحديثة إلى تطور طرق وأساليب علاج الأمراض العضوية (Baber, 2019). حيث انتقلت من الطرق والوسائل التقليدية التي يتبعها الطبيب أو الصيدلي في أداء عمله في العلاج إلى الوسائل الحديثة من أجهزة الإلكترونيات وتقنيات، والتفنن في الغش (Plesner, 2018)

ووضح (الرتيل، ٢٠٠٨) بأن معاناة المستهلك تمتد من أساليب الغش والخداع لفترات طويلة وفي أزمنة مختلفة، والتي كانت تبدو في ظاهرها السعي نحو خدمته وإشباع حاجاته ورغباته، ولكن في حقيقتها كانت تهدف إلى استغلاله وتحقيق أكبر قدر من الأرباح، وقد استفحل هذا الأمر إلى درجة نبهت الكثير من الأفراد والجماعات والهيئات الرسمية منها أو غير الرسمية إلى ما يعانيه المستهلك من استغلال فاحش وغش تسويقي، وما يترتب من أضرار مادية ومعنوية .

ويشير (عبدالله، ٢٠٠١) بأن الخصائص الديموجرافية تؤثر بشكل عام علي درجة إدراك المستهلك للخداع نظراً لوجود انخفاض في درجة إدراك المستهلك للخداع، مع وجود اتفاق في عملية ترتيب أهمية تأثير العمليات المعرفية في درجة إدراك المستهلك .

وأكد (جرار، ٢٠١٣: ٢٦٣) أن الصناعة الدوائية والرعاية الصحية من أهم القطاعات التي تجذب اهتمام دول العالم، ليسقط تأثيرها على الموارد الاقتصادية للمجتمع بل أيضاً بسبب القيمة المضافة العالية التي تخلقها للمجتمع، وتحرص الدول على تقديم أفضل المنتجات الدوائية وتقييم هذا القطاع نظراً لارتباطه بحياة الأفراد والصحة العامة للمجتمع، وأكد (إبراهيم، ٢٠١٣) بأن الصناعة الدوائية من الصناعات الاستراتيجية ذات تأثير مباشر في صحة الإنسان، كما أنها العامل المؤثر في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأصبح الحديث عنها أمر حتمي، وذلك مع تقديرات منظمة الصحة العالمية ٢٠١٣ بوضع نظام لرصد وترصد تلك المنتجات مما أدى للإبلاغ عن ٩٢ منتجاً طبياً مغشوش في مكوناته التي لا يوجد بها أي مادة فعالة أو تحتوي علي مكون فعال خاطئ ذات طابع سام واحتوائها علي مستويات قاتلة من المكون الفعال .

وتطور الطب في عصرنا الحاضر، وتطورت معه أجهزة التشخيص الضخمة باهظة التكاليف، وابتكار الأدوية بمبالغ كبيرة (يوسف، ٢٠١٤: ٣) .

## ويوضح الجدول رقم (٧) طرق التصدي للأدوية المغشوشة

م	الطريقة	طبيعتها
١	غسيل السوق	التمكن من التصرف في الدواء قبل انتهاء مدة الصلاحية وتقبل المرتجع .
٢	تتبع الدواء	لكل دواء منشأة ورقم تشغيل خاص به يجب الاطلاع عليه ففي حال عدم وجوده نصبح أمام دواء غير مسجل لدي وزارة الصحة وهو الدواء المغشوش .
٣	نظام الباركود	نظام "الباركود" على العلب الدوائية لمنع الغش وتعميمه على كافة الشركات المنتجة للدواء والصيدليات (جودة، ٢٠١٧) .

## مما ترتب علي ذلك:

- بيع الأدوية منتهية الصلاحية ووجود مستلزمات طبية غير مطابقة للمواصفات
- الرشوة بين العاملين والأطباء والفنيين وتزوير المعلومات اللازمة لتسجيل الأدوية .
- شراء الشركات العالمية شركات قائمة، والاستحواذ علي السوق المحلي أكثر مما يختص بنقل التكنولوجيا .
- ظهور مشكلة تسعير الدواء واختفاء بعض الأدوية الهامة من الأسواق الدوائي .
- عدم وجود أنظمة لترشيد استخدام الأدوية، والافتقار إلي الوضوح والشفافية .
- وتعود أسبابه إلي عاملين سلبيين (يتمثل في ضعف قدرة الأجهزة الدوائية القائمة في الصناعة والبحوث علي استقرار سياسات واقتصاديات التطور العالمية في صناعة الدواء يرتبط بسوء أنشطة البحث والتطوير الدوائي في مصر (تاج الدين، ٢٠٠٣: ٣٣) .
- وأكد (الدرشليبي، ٢٠١٧: ٥) وجود أوجه قصور بصناعة الأدوية المصرية نظراً لعدم توافر مواد الكيماويات الدوائية والمواد الأولية الخام وارتفاع نسبة المواد الأولية المستوردة للتصنيع بنحو ٨٠% في حين تنتج مصر ٢٠% فقط من الخامات الدوائية الأزمة .



لذلك نشير أن كل الأدوية المغشوشة جودتها سيئة ولكن ليس كل دواء سيء الجودة مزور، والحديث عن الصناعات الدوائية يركز التفكير وبشكل مباشر على تلك المواد الكيميائية أو الطبيعية التي تمتزج مع بعضها لتمنح علاج المشكلة صحية إلي تشكل معاناة (جودة، ٢٠١٧)، وتعد الصناعة الدوائية من أهم الصناعات على المستوى المحلي والعالمى، وهي صناعة تنافسية بدرجة كبيرة وذات مردود عال، وتعتبر ثاني صناعة بعد صناعة الأسلحة والبرمجيات، وقد نالت اهتمام كبير في جميع الدول نظرا لأهمية الدواء وارتباطه المباشر بصحة الفرد، وتسيطر على هذه الصناعة مؤسسات احتكارية عملاقة تمتلك قدرات عالية في مجال البحث والتطوير (مراد، ٢٠١٨)، وبوجود مشكلة انتشار الأدوية دون المستوى تؤثر علي جميع البلدان بما يحتم ضرورة التعاون العالمي لمواجهتها لكونها غير فعالة وضارة وتطيل الأمراض وتسبب التسمم وأشارت (أوزاوا، ٢٠١٨) .

ووضح (عز العرب، ٢٠١٨) أن سبب انتشار الأدوية المغشوشة عدم التزام شركات الأدوية العاملة في مصر بسياسة غسيل السوق، وعدم إعلان الصيداللة عن حاجتهم لبيع الأدوية التي قاربت مدة صلاحيتها علي الانتهاء، وقيام مندوبي المبيعات بترويج تلك الأدوية في المناطق النائية والريفية مع استغلال ضعف الوعي لدي المستهلك .

وحل تلك المشكلة هو وضع معيار عالمي على كل علبه دواء مثل الرقم القومي بالضبط أو شهادة ميلاد ولو كانت مغشوشة سيسهل للصيدلي أو المتعامل مع الدواء أن يكتشفها بسهولة، وهذا الأمر وإن كان مكلفاً للشركات ولكنه ضروري جداً والشركات محتمل تطبقه الفترة المقبلة ولو لم نطبقه سيؤثر على صناعة مصر الدوائية .

ووضح الدكتور "أحمد أبو دومة" المتحدث الرسمي لنقابة الصيداللة، إلى أن ظاهرة غش الدواء ظاهرة عالمية وتعانى منها السوق المصرية وسبب غش الدواء أولها الأدوية المهربة غير المسجلة وغير حاصلة على تراخيص بوزارة الصحة المصرية وهي لا نعرف إذا كان مادتها الفعالة تعمل أم انتهى مفعولها، هذا بالإضافة إلى تفاقم الأدوية منتهية الصلاحية في الصيدليات وعدم سحبها من قبل الشركات المصنعة لها فيقوم شركات بير السلم بشراء هذه الأدوية من الصيدليات ويعيدون تغليف وتعبئة هذه الأدوية وبيعها للمخازن وشركات التوزيع الصغيرة لتوزعها على الصيدليات مرة أخرى، ومن الأسباب أيضا أقبال المرضى على شراء الأدوية من أشخاص مجهولين غير الصيدليات .

وتتفق تلك النتائج مع (البياتي، ١٩٩٨: ٨٤) أن للأدوية الطبية دوراً كبيراً وعلاقة مباشرة في التأثير على صحة كل من الفرد والمجتمع ايجاباً أو سلباً، وتعد حيازة الأدوية المجهزة من مصدر غير معترف به رسمياً من قبل الجهات المعنية من جرائم تخريب الاقتصاد الوطني ومن الجرائم الماسة بالشرف اذا كانت تلك الحيازة بقصد الإتجار، ذلك لأثارها الكبيرة ليس على صحة المستهلك فحسب إنما تمتد لتصيب مقدرات الشعب المادية والمعنوية وتترك أثارها على الصحة العامة للمجتمع .

ويتفق ما تم عرضه مع مقابلة الدكتور " ايمن حلمي عويضة" مدرس الصحة النفسية بكلية التربية جامعة السويس دائماً يسعى الكثير منا للحصول على الطاقة الإيجابية التي تمنحه الحافز والدافع للقيام بكل ما هو مميز، ولتحقق النجاحات، وتتفق تلك النتيجة مع . وعندما كانت إشارة ألي ان ٧١,٥% من حجم العينة بإرجاع وجود غش الأدوية للانفلات الأمني سبب مباشر وراء غش الأدوية وذلك باعتبار الدوا من السلع الإستراتيجية الهامة للأفراد من خلال المساهمة في المحافظة على القدرات في الإنتاج حيث إن غياب الصحة يبعد الفرد المنتج عن العمل (إبراهيم، ٢٠١٤: ٢٣)، وأشارت نتائج بحث (الدرشليبي، ٢٠١٧: ٥) للتراجع في سياسة التقنية باعتبارها جوهر المنتج الدوائي، ووضح (بدر، ٢٠١٨) أن الدول الفقيرة سوق رابحة لتجارة " الأدوية المغشوشة"، وتوصلت نتائج دراسة (عطيتو، ٢٠١٩) بأن صناعة الدواء بمصر تأثرت بالأحداث السياسية والثورات منذ ٢٠١١ - ٢٠١٣ واستمرت الشركات المحلية في إنتاج الأدوية رغم التوترات .

وقامت الدراما المصرية بتسليط الضور علي الأدوية المغشوشة "الدواء فيه سم قاتل" هذه المقولة الشهيرة التي صارت من التراث الشعبي المتداول منذ أن وردت في الفيلم العربي الشهير "حياة أو موت" عام ١٩٥٤ لتجسد واقعا لأدوية الموت التي يتم تداولها في الأسواق ولعل المشهد الشهير حين يتعرض رجل للإصابة بأزمة قلبية فيرسل ابنته للحصول على الدواء ويكتشف الصيدلي تسببه بالخطأ في تركيب الدواء ليصبح "سم قاتل" فيحاول بمساعدة الشرطة البحث عن الرجل وإنقاذه قبل تناول الدواء - هذا المشهد مع فارق التشبيه - يعكس حال ما يحدث في قطاع الدواء بمصر باعتراف وزارة الصحة التي

أصدرت قبل أيام تقريراً تحذر فيه من تداول أدوية ومستحضرات تجميل بعضها يصيب بالعمى والبعض الآخر يسبب أمراضاً خطيرة .

وتتفق تلك النتائج مع نتائج مقابلة "محمد غنيم" (صيدلي) أن ظاهرة غش الدواء تتعلق بصحة الأفراد ويوضح أن الغش الصناعي والتجاري وصل للدواء وأدوية مغشوشة يطلقون عليها أدوية «بير السلم» وتصنع بأماكن لا تخضع للرقابة من الدولة، ويتم تعبئتها في عبوات شبيهة بالماركات والعلامات المسجلة لشركات أدوية معروفة، وتوزع على الصيدليات خاصة في المناطق الشعبية والريفية، ويأخذ المريض الدواء دون أي مظهر للشفاء، وتتدهور حالته الصحية وتصل للوفاة .

وأكدت مقابلة "أحمد خشانة" (صيدلي) علي الاعتراف بخطر غش الدواء، وعادة يتم التصنيع بمصانع بير السلم، موضح أن الدواء المغشوش موجود، ومن الصعب كشفه أو معرفته حتى الصيدلي، ولكن الإدارة المركزية بوزارة الصحة، هي الجهة المختصة عن متابعة الأدوية الموجودة في السوق، سواء في الصيدليات عن طريق أخذ عينات عشوائية من المنتجات المعروضة، وتحليلها لمعرفة إذا كانت مطابقة للمواصفات أم لا .

وعمليات التفتيش من الجهات الرقابية على الأدوية، تتم بشكل عشوائي، ولا يتم معرفة الدواء المغشوش إلا في حالة وجود بلاغ من قبل إحدى الشركات المصنعة على دواء معين وتحذير من خطورته على الصحة، وقتها تقوم الوزارة بتفتيش الصيدليات والتأكد من رقم التشغيل الموجود على الدواء لمعرفة مدى سلامته ومطابقته للمواصفات .

وتلعب الشركات الكبرى دوراً للكشف عن الأدوية المتعمد غشها، حيث تقوم بتبليغ الإدارة المركزية بوجود دواء مقلد لدوائها الأصلي، والذي تكتشفه نتيجة اختلاف رقم التسجيل الموجود على العبوة، بعدها يتم سحب المنتج المغشوش من الصيدليات، وكشف عن نوعين من الغش:

**الأول:** يكون عادةً سببه عيوب بالصناعة .

**الثاني:** غش المادة الفعالة والاستعانة بمادة تغير طعم وشكل الدواء .

وفيما يخص الأدوية الأكثر عرضة للغش ومن السهل التلاعب في المواد الفعالة المكونة، أنها تكون الأكثر شهرة والأعلى سعراً والتي عادةً يكون عليها سحب كبير، مثل أدوية مرض السرطان والمنشطات الجنسية وأدوية المسكنات مثل الترامادول، ومنتجات

أخرى مثل الفلوموكس وهيومن جلوبين، حيث يتم تسويق هذه المنتجات المغشوشة، ثم تباع في الأسواق والصيدليات.

لفت جابر إلى أن أخف ضرر يمكن أن تسببه هذه الأدوية هو عدم شفاء المريض من مرضه بسبب عدم تعاطيه الدواء المشخص لعلاج حالته، وأحياناً ممكن يصل الأمر إلى الوفاة ومشكلات في أعضاء حيوية مثل الكبد والكلية.

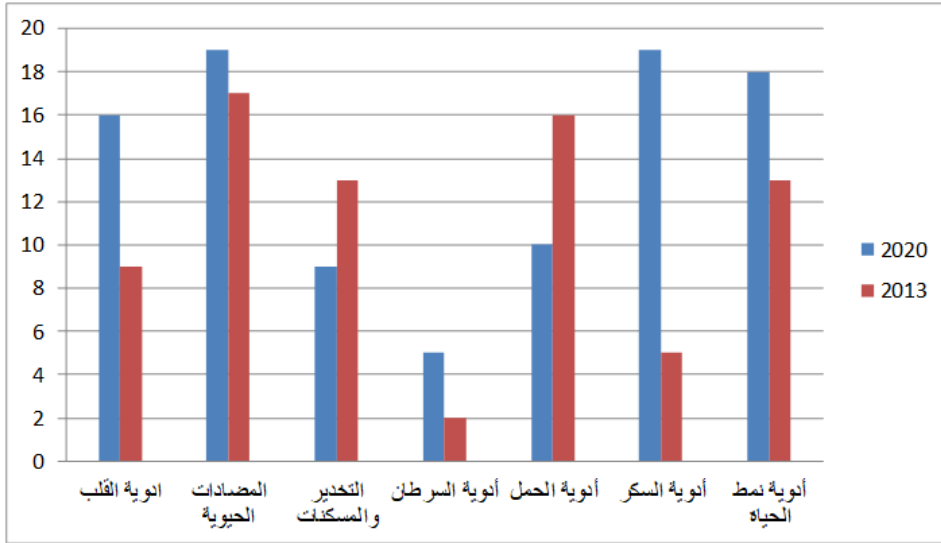
وقالت "ريهام على" «صيدلانية»، إننا نتعرض طيلة الوقت للكثير من الإغراءات وعروض الأدوية الرخيصة التي تعرض بأقل من نصف الثمن في أوقات كثيرة وهناك صيادلة يقبلون التجارة فيه دون أخلاق أو ضمير، والبحث عن الثراء السريع .

فخصائص صناعة الدواء سلعة لا يمكن لمن يحتاجها أن يستغني عنها - تعتمد على البحث العلمي العميق والمتواصل (عبدالمجيد، ٢٠٠٥: ١٩) .

وتشتمل عملية إدراك المستهلك للمعلومات علي أربعة مراحل هي التعرض- الانتباه- التعلم والفهم - الحفظ في الذاكرة، كما يعتمد إدراك المستهلك علي عمليتين أساسيتين هما: الإدراك الاختياري - تنظيم إدراك المستهلك، كما تعتبر البيئة المحيطة والاتصالات التسويقية والعوامل الملموسة من العوامل المحفزة التي تؤثر علي إدراك المستهلك لخصائص المنتجات التي يتعرض لها وفقاً لثلاثة أبعاد لقدرات المستهلك الإدراكية: الفرق في القيمة المدركة من جانب العميل وخصائص ومستوي التكيف وحساسية الانتباه (عبدالحاميد، ٢٠١٢)، ويشير (أبولنجا، ٢٠١٢) بالإدراك إلي تلك العملية التي يقوم بمقتضاها الفرد باختيار وتنظيم وتفسير المعلومات التي أستقبلها من البيئة المحيطة به، ويعرفها بعملية تلقي وتنظيم واستيعاب وتأويل المعلومات ومغريات السعر عن طريق الحواس الخمسة، ويرتبط الإدراك بالخبرات السابقة حيث انه عادة ما يتلقى المعلومات الواردة إليه عن السلع والخدمات والمنشآت ثم يقارنها بمخزون المعلومات والانطباعات والقيم المتوافرة في ذاكرته ليقبل أو يرفض .

## الشكل رقم (١)

يوضح أهم أنواع الأدوية المغشوشة في مصر خلال الفترة من ٢٠١٣-٢٠٢٠



الشكل بناء علي تقرير وزارة الصحة عن الأدوية المغشوشة التي تم ضبطها في تلك الفترة من ٢٠١٣-٢٠٢٠ .

- المقصود بأدوية نمط الحياة: منتجات تستخدم للتجميل، وعلاج اختلال الانتصاب، وكمال الأجسام .

يوضح الشكل التوضيحي السابق بعض أهم المنتجات الطبية المغشوشة والمتدنية النوعية وعياً بعوامل الخطر المحتملة في حالة بيع تلك الأدوية المغشوشة واستهلاكها علي حياة الأفراد، وتنبثق الجهود الرامية إلى تقدير نسبة الأدوية التي يتعاطاها المرضى والتي لا تفي بمعايير الاستعادة منها، والرامية لتتبع إنتاج المنتجات المغشوشة والتجارة فيها، لإنقاذ حياة المرضى من تأثر منتج ملوث يسفر عن حالات وفاة والعمل علي إصدار التحذيرات لاكتشاف تلك الأدوية المغشوشة .

وتمتد معاناة المستهلك من أساليب الغش والخداع لفترات طويلة وفي أزمنة مختلفة، وهذا من خلال السلع والخدمات المقدمة له، والتي كانت تبدو في ظاهرها السعي نحو

خدماته وإشباع حاجاته ورغباته، ولكن في حقيقتها كانت تهدف إلى استغلاله وتحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح؛ وقد استفحل هذا الأمر إلى درجة نبهت الكثير من الأفراد والجماعات والهيئات الرسمية منها أو غير الرسمية إلى ما يعانیه المستهلك من استغلال فاحش وغش تسويقي كبير، وما يترتب على ذلك من أضرار مادية ومعنوية؛ كما دفع ذلك المهتمين بالتسويق إلى لعب دور هام في هذا الشأن بما قدموه من توجيهات وتوصيات تكفل حماية المستهلك في تعامله مع منتجي وموزعي السلع والخدمات .

ويوضح الجدول رقم (٨) القواعد التي يجب اتباعها عند شراء الأدوية

م	القاعدة	التوصيف
١	المكان	عدم شراء الأدوية من مواقع على الإنترنت أو أسواق إلكترونية .
٢	السعر	مقارنة السعر فإذا كان أقل فمن المرجح أن يكون المنتج مغشوش .
٣	الوعود	حذارٍ من الصيدليات التي تطلق وعوداً مغرية بوجود دواء يشفي جميع الأمراض .
٤	الوصفات الطبية	لا تشتروا سوى الأدوية التي وصفها لكم الطبيب .
٥	الخصوصية	عدم تزويد المواقع الإلكترونية المروجة للمنتجات الدوائية بأي معلومات مالية .

ويوضح الجدول السابق أن الأسعار المعقولة محدداً رئيسياً للنفاد إلى الأدوية وخاصة في الدول التي يتسم قطاع الصحة فيها بالضعف (ونيس، ٢٠١٩: ٤٦-٦٩)، مع وجود الأدوية الجنيسة وانتشار الأدوية المغشوشة، ونتيجة لذلك يلاحظ أن صناعة الدواء في مصر تعاني حالياً من تأخر نسبي واضح، وقد يرجع ذلك لوجود العديد من المشكلات سواء داخلية أو خارجية، والاقتصار على التطور الأفقي - بمعنى زيادة عدد المصانع دون الانتباه إلى التطور الرأسي الذي يساعد على تطوير المنتجات والعمليات الإنتاجية وقدرات البحث، والذي يؤدي بدوره إلى تعظيم القدرات التنافسية، بالإضافة لوجود مشكلات تسعير الدواء وتسجيله في وزارة الصحة، مما ترتب عليه تضارب في أسعار بعض أصناف

الأدوية، وأسهم في ارتفاع أسعار أصناف عديدة من الأدوية بطريقة عشوائية (أبو السعود، ٢٠٠٥: ٤) .

ووضح الطبيب "عبدالرحمن البعلي" أخصائي الجراحة بمستشفى جامعة قناة السويس أن لتحديد أنواع الاستخدامات الخاطئة للأدوية المغشوشة يلزم ان يتحدد:

١. مدة وكمية تناول الأدوية المغشوشة والتعود عليها .
٢. طبيعة الأدوية المغشوشة وتأثيرها السلبي علي الجهاز العصبي والطبيعة النفسية.
٣. تعاطي الأدوية للحصول علي الإحساس بالتأثير الإيجابي .
٤. حدوث تأثير سلبي علي الجسد علي المدى البعيد .
٥. عدم كفاية البحوث المتعلقة بمقادير وكيفية تناول الأدوية وتأثيرها العكسي .

#### جدول رقم (٩) يوضح مسار حق المستهلك للسلعة الدوائية

الضمان للمنتج الدوائي .	حقوق المستهلك للسلعة الدوائية
الحصول علي المعلومات والتثقيف .	
الحصول علي الاحتياجات الأساسية .	
العيش في بيئة صحية .	
الأمان .	
الاختيار .	
المقاطعة .	

الجدول من إعداد الباحث

ووصف الدكتور "حاتم البدوي" سكرتير الشعبة العامة للصيديات باتحاد الغرف التجارية، فكرة القضاء على ظاهرة الأدوية المغشوشة نهائياً بالمستحيلة، إنها تشبه تجارة العملة المزورة والمخدرات، ولكن يمكن الحد منها، وأن نقص الأدوية المستوردة غير المصنعة في مصر، أحد أهم الحالات التي تؤدي إلى صناعة أدوية مغشوشة، ولذلك فالإطار العام الذي يعيش فيه الأفراد يجب ان تتوافر فيه متطلبات الراحة والأمان (عبدالرحمن، ٢٠١١: ١)

وارتباط مصطلح "مافيا" بالدواء"، وهو مصطلح لم يشع استخدامه عالمياً غير في المخدرات والسلاح والدواء، حيث لكل منهما استخدامات بغضبة معادية للإنسانية، فإن

ارتباطه بالدواء قد يكون أمراً غريباً يبعث على التساؤل (القبلاوي، ٢٠١٠: ١٥)، فارتباط الدواء باحتياجات التنمية للرعاية الصحية، والاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتحقيق الاستقرار الاجتماعي، فانكشاف ممارسات سلبية في البيئة الدوائية بالمغلاة بشأن البحوث الدوائية، والمغلاة لعشرات أمثال الحقيقة، وبلغت هذه السلبيات حد إنتاج عبوات من لا يحتوي على المادة الفعالة (اقطيش، ٢٠٠٩).

وأكدت (ورقة بحث للمركز المصري للحق في الدواء، ٢٠٢٠)، أن تزيف الأدوية ظاهرة منتشرة في جميع البلدان، وتمثل ١٠٪ من تجارة الأدوية على الصعيد العالمي، وتتسم تلك المنتجات بالقدرة الفائقة على الخداع، إلى الاعتقاد بأنهم يتعاطون أدوية لها القدرة على شفائهم، مع أنها قد تزيد من مرضهم أو تودي بحياتهم، ووضح "مدير المركز المصري للحق في الدواء: ٢٠٢٠) أن المرء يهلك إذا ما تعاطى دواءً مزيفاً .  
ويوضح جدول رقم (١٠) المشكلات التي تواجه الصناعة الدوائية في مصر

م	المشكلات
١	النمو المتزايد للسكان وتغير طبيعة الأمراض .
٢	وجود الأمراض المعدية والمزمنة .
٣	ارتفاع تكلفة التقنيات الطبية والتشخيصية .
٤	تدهور معايير التقييم حيث تركز على حجم تغطية احتياجات السوق المحلي .
٥	هدر إمكانيات البحث والتطوير الدوائي في المؤسسات الطبية .
٦	دخول الشركات العالمية للسيطرة على السوق المحلي وشراء شركات قائمة وليس نقل للتكنولوجيا .
٧	نقص المعلومات عن بعض أسواق التصدير (بدرالدين، ٢٠٠١) .



## جدول رقم ( ١١ ) يوضح بعض المخاطر الاجتماعية لانتشار الأدوية المغشوشة

م	العبارات	الاستجابات		المتوسط المرجح	قوة العبرة	كا <sup>٢</sup>	مستوي الدلالة	الترتيب
		لا	نعم					
١	عدم الشعور بالأمان الاجتماعي في ظل وجود أدوية مغشوشة بسوق الدواء	١٥١	١٤	٢,٧٢	قوية	٢٦,٧٢	داله	٤
		٩١,٥ %	٨,٤					
٢	عدم وجود الاستقرار الاجتماعي .	١٥٦	٩	٢,٤٩	قوية	١٢,١٨	داله	١٠
		٩٤,٥ %	٥,٤					
٣	زيادة الحالات المرضية والعلاج دون جدوي ووجود ضحايا نتيجة تناول دواء مغشوش .	١١٧	٤٨	٢,٢٧	قوية	٢,٣٦	داله	١٤
		٧٠,٩ %	٢٩,٠					
٤	زيادة حالات الأنجاب وزيادة السكان	١٣٣	٣٢	٢,٨١	قوية	٢٧,٧٠	داله	٣
		٨٠,٦ %	١٩,٣					
٥	ارتفاع تكلفة التشخيص والعلاج علي المريض وأسرته مما يشكل عبء .	١٦٠	٥	٢,٩٢	قوية	٢٧,٦٠	داله	١
		٩٦,٩ %	٣,٠					
٦	تدهور معايير	١٥٠	١٥	٢,٦١	قوية	٢٢,٧٣	داله	٧

					٩٠,٩	٩,٠	%	تقييم الأطباء .	
٧	غير داله	٢,٣٦	متوسطة	٢,٢١	٦٨	٩٧	ك	هدر إمكانيات البحث والتطوير الدوائي في شركات الأدوية المحلية.	
					٤١,٢	٥٨,٧	%		
٨	داله	٢٩,٦٣	قوية	١,٧٥	٩٤	٧١	ك	نقص المعلومات عن مدي فاعلية الأدوية المصنعة محلياً .	
					٥٦,٩	٤٣,٠	%		
٩	داله	٢٠,١٨	قوية	٢,٦٣	٦	١٥٩	ك	فقد الثقة من الأفراد في فاعلية الدواء المصري .	
					٣,٦	٩٦,٣	%		
١٠	داله	٢٤,١٨	قوية	٢,٦٩	٤	١٦١	ك	ارتفاع أسعار الأدوية المستوردة مما يشكل عبء علي الأسرة .	
					٢,٤	٩٧,٥	%		
١١	داله	٢٢,٥٤	قوية	٢,٦١	٢٨	١٣٧	ك	تدهور الحالة الصحية للمرضي وعدم القدرة علي التشخيص للحالة المرضية بشكل سليم .	
					١٦,٩	٨٣,٠	%		
١٢	داله	٦,٧٢	قوية	٢,٣٣	٧٨	٨٧	ك	الضغط علي ميزانية الأسر المصرية لاستقطاع مبالغ كبيرة للعلاج .	
					٤٧,٢	٥٢,٧	%		
١٣	غير داله	٥,٠٩	متوسطة	٢,٢٤	٧٤	٩١	ك	التراجع عن تشجيع البحث	
					٤٤,٨	٥٥,١	%		

							زيادة الإنفاق في تطوير الصناعات الدوائية .	
٢	داله	٣٦,٩١	قوية	٢,٨٢	٣	١٦٢	ك	١٤
					١,٨	٩٨,١		زيادة الكوارث الصحية بالمجتمع .
١١	داله	١١,٤٥	قوية	٢,٤٥	٥٥	١١٠	ك	١٥
					٣٣,٣	٦٦,٦	%	عدم قدرة الدولة علي مواجهة تنفيذ خططها التنموية في المجال الصحي
٨	داله	١٤,٢٧	قوية	٢,٥٤	٥٠	١١٥	ك	١٦
					٣٠,٣	٦٩,٦	%	ارتفاع حالات الإصابات بالأمراض المعدية .
٩	داله	١٢,١٨	قوية	٢,٤٨	٨٢	٨٣	ك	١٧
					٤٩,٦	٥٠,٣	%	عدم القدرة علي علاج مرضي الأمراض المزمنة .

ويوضح الجدول السابق أوزان ومتوسطات وتكرارات واستجابات عينة البحث للمخاطر الاجتماعية المنبثقة عن انتشار الأدوية المغشوشة، وهل يوجد تأثير من تلك الأدوية علي الأفراد، وأظهرت البيانات تعدد العبارات القوية والمتوسطة وأظهرت العبارة الخاصة بعدم الشعور بالأمان الاجتماعي في ظل وجود أدوية مغشوشة بسوق الدواء المصري نسبة ٩١,٥% من حجم العينة لا يشعرون بأمان في ظل ما يهدد حياتهم، مما اعتبر ذلك مبرر قوي لوجود حالة من عدم وجود الاستقرار الاجتماعي والتي مثلت نسبة استجابات الباحثين ٩٤,٥% ، ويتفق ذلك مع رؤية الدكتور "هاني سليمان" خبير في شركات الأدوية، يعمل في إحدى أكبر شركات الأدوية في العالم، أن ما يحدث في سوق

الدواء العالمية يعد جريمة مرتبة من جميع جوانبها، فالدواء المغشوش لا يختلف شكله عن الدواء الصالح للاستخدام، ومن الصعب على عامة الناس بل الأطباء أنفسهم أن يكتشفوا التزييف في الدواء المعلب، ولا يختلف في ذلك الأمر إن كان الدواء صنع وأعد في دولة عربية أو أجنبية، فالدواء معلب بطريقة حديثة يصعب على أحد اكتشاف تزييفه، مؤكداً أن الدواء المغشوش سرعان ما يتم اكتشافه نتيجة الآثار الجانبية التي يحدثها عند المريض الذي يتناوله، وتتفاوت تلك الآثار بنسب مختلفة، حسب حالة كل مريض، مؤكداً أن بعض الأدوية قد يصل تأثيرها إلى حد الوفاة ويكون السبب مجهولاً، ولا يستطيع الأطباء اكتشافه إلا بعد تكرار حالة أو أكثر قد تأثرت بهذا الدواء وبأعراض مختلفة .

وأشار إلى أنه من المفارقة بمكان أن تختفى الأدلة التي يمكن أن تدين هذه الشركات عندما يتناول المرضى في أنحاء العالم هذه الأدوية، الأمر الذي تسارع الشركات إلى إنزال نوع جديد لنفس المرض، وتنتهي الجولة تلو الجولة، محققة ربحاً وثناءً سريعاً وفاحشاً لتجار الموت دون أن يعلم أحد ودون أن يتحرك أحد .

واتفق ذلك مع (ملياني، ٢٠١٦: ١٣١) أن المعطيات توضح الحاجة لأن يحيا الفرد بصحته أطول فترة دون مرض لكي يسهم في عمليات التقدم وأحداث دفع لعملية الإنتاج، وتوضح (ملياني، ٢٠١٦: ١٤١) بأن من بين كل (١٠ أفراد) يوجد (٤) منهم يستهلكون نوعاً معين من الدواء يومياً، وقد بينت أن استهلاك الدواء له أثر بالغ علي ميزانية الأسرة، مع وجود أدوية كثيرة عدم أخذها يؤثر علي الطبيعة الجسدية كأدوية الجهاز الهضمي، القلب، السكر، والضغط، وأدوية منع الحمل، والجهاز العصبي، إضافة إلي أدوية الفيروسات الكبدية والسرطان والعظام والأدوية الصدرية .

واستطاعت الشركات المصرية لصناعه الأدوية لسنوات طويلة في أن تحقق الأمان الصحي مع اعتبار أن الدواء المصري كان الأرخص مالياً وإقليمياً ولكن منذ منتصف السبعينيات بدأت مصر تفقد ريادتها ويرجع الخبراء ذلك لأسباب منها:

- قيام الشركات بإتباع نهج استيراد الموارد الفعالة من الخارج .
- معاناة تلك الشركات من سوء الإدارة وتوقف تطويرها .
- وجود منافسة بين شركات القطاع الخاص بسبب تكرار المستحضرات وتشابه خطوط الإنتاج .

- تواجه الصناعات الدوائية تحدي بسبب عمليات الدمج بين الشركات العالمية لخلق كيانات عملاقة يمثل وضعاً احتكارياً .
- ضعف القدرات التسويقية وعدم القدرة علي تصريف المنتجات . (أبو الفتوح، ٢٠٠٦: ٥٦)

مع التأكيد علي وجود زيادة الحالات المرضية والعلاج دون جدوي ووجود ضحايا نتيجة تناول دواء لا توجد له أي فائدة ومثلت نسبة الاستجابة ٧٠,٩%، مع الإشارة لمؤشر خطير عند السيدات الذين يعتمدون علي أدوية تحديد النسل الذين يؤكدوا أن منهم قد حمل بالرغم من التداوم علي أخذ حبايه منع الحمل قبل ممارسة العلاقة وكانت النتيجة وجود طفل وحدوث انجاب، وذلك ما تؤكدته العبارة الخاصة بزيادة حالات الأنجاب وزيادة السكان والتي مثلت نسبة الاستجابة ٨٠,٦% من حجم العينة، مع ارتفاع تكلفة التشخيص والعلاج الذي يتم تكراره علي المريض والذي يشكل عبء مالي علي كاهل الاسرة ومثل ذلك العبارة ٩٦,٩% من حجم العينة، واعتبر ذلك مبرر لعدم القدرة علي تقييم الأطباء والتي مثلت نسبة الاستجابة ٩٠,٩% بعدم مقدرة المريض تقييم العلاج وطبيعة المرض الذي يعاني منه، مع هدر إمكانيات البحث والتطوير الدوائي في شركات الأدوية المحلية والمتمثل بنسبة ٥٨,٧%، وادي انتشار الدواء المغشوش لنقص المعلومات عن مدي فاعلية الأدوية المصنعة محلياً ٤٣,٠%، وفقد الثقة من الأفراد في فاعلية الدواء المصري ٩٦,٣%، وارتفاع أسعار الأدوية المستوردة مما يشكل عبء علي الأسرة ٩٧,٥%، وتدهور الحالة الصحية للمرضي وعدم القدرة علي التشخيص للحالة المرضية بشكل سليم ٨٣,٠% ( فالهدف من تناول الأدوية أحداث تأثير إيجابي في مساعدة المرضي على الشفاء من الأمراض أو الوقاية منها، بالرغم من ذلك فالدواء يعد سلاحاً ذا حدين، فلو تم استخدامه بشكل صحيح كان علاجاً، ويمكن أن تؤدي الأدوية إلى علل صحية عدة، تسبب تدمير الصحة على المدى البعيد، والتي تعرف بالأعراض الجانبية للدواء، ومن الصعب معرفة ما إذا كان ذلك العرض الجانبي ناتجاً عن الدواء نفسه أو نتيجة لمضاعفات المرض .

وتتفق تلك النتائج مع (Nebeker JR, 2004:21) بأن هدف الأدوية مساعدة الأفراد على الشفاء من الأمراض أو الوقاية منها، وبالرغم من ذلك فالدواء يعد سلاحاً ذا

حدين، فلو تم استخدامه بشكل صحيح كان علاجاً ناجعاً، وإلا صار سماً قاتلاً ويمكن أن تؤدي الأدوية في بعض الحالات إلى مشكلات وعلل صحية عدة، تسبب تدمير الصحة على المدى البعيد، والتي تعرف بالأعراض العكسية أو الآثار الجانبية للدواء ( Aronson JK, 2002:147)، وتعد الآثار العكسية للأدوية غير مرغوبة، وتحدث عند تناول دواء مغشوش، إلا أن شدتها تختلف من فرد لآخر، وذلك وفقاً لعوامل تشمل الوزن والسن والجنس ونوعية الغذاء والحالة المرضية، والتركيب الجيني للمريض ( DeVane CL, 2002:5)، وبعض الأعراض العكسية التي غالباً تحدث نتيجة استعمال الأدوية المغشوشة ويلاحظها الأطباء ومقدمو الرعاية الصحية، وتشمل: الغثيان والقيء والإسهال، والتهيج الجلدي، احمرار بالجلد، نزيف، قابلية الجلد للجروح بسهولة، إعياء وتقيد شديد، إمساك، صعوبة في التنفس، دوخة وفقد السيطرة، واضطرابات الجهاز الهضمي - نقص الشهية والشعور بالنفخة، الحساسية، تغير في نتائج التحاليل المخبرية، نبضات القلب غير المنتظمة، الصداع، التعب، أوجاع عضلية مجهولة السبب أو غامضة، التوعك (شعور عام بالمرض أو بالانزعاج)، تغيرات في أنماط النوم، وحدوث الطفح الجلدي، والاضطرابات البصرية، الرعاش العضلي، وصعوبة التبول (تأثير شائع للكثير من الأدوية عند كبار السن من الرجال)، أي تغير محسوس في المزاج أو الوظيفة الذهنية، وبعض التغيرات في مكونات الدم، مثل انخفاض مؤقت وعكوس في عدد الكريات البيض أو في المستويات الدموية لبعض المواد، وإمكانية حدوث التأثيرات الجانبية المميتة للأدوية (Benet LZ, 2002:71)، ووصف (Holvey, 2010:432) في مطلع القرن العشرين الدواء المثالي بأنه "رصاصه سحرية" حيث يستهدف مثل هذا الدواء موقع المرض بشكل دقيق دون أن يضر بالأنسجة السليمة .

ويمكن إرجاع تلك المشكلة لعدد من الأسباب منها:

- عدم إدراك القائمين بالتسويق لمفهوم الغش و ما يمكن أن يترتب عليه من أضرار لتحقيق الكسب السريع .
- ضعف وعدم فاعلية الدور الذي تقوم به جمعيات حماية المستهلك .
- سلبية المستهلكين في الإبلاغ عن ما وقعوا فيه أو لاحظوه من غش .

- عدم وعي المستهلكين بممارسات الغش وعدم قدرتهم على اكتشافه (الخطيب، ٢٠١٠).

### جدول رقم (١٢) يوضح أسباب انتشار الأدوية المغشوشة

ممارسات الغش التجاري	الخصائص الديموجرافية
الغش في مكونات وخصائص السلعة	الدخل
التلاعب بالأسعار	مكان الإقامة
الإعلان المضلل و الكاذب	المستوي التعليمي
سؤ الظروف التخزينية للسلع (جابر، ٢٠٠٣)	العمر
	الجنس
	الحالة الاجتماعية

واتفقت تلك النتائج مع نتائج مقابلة الأستاذ الدكتور "عادل حسن" أستاذ الباطنة والكبد ومدير عام المستشفيات الجامعية بجامعة قناة السويس وعرض تساؤلات البحث كانت رؤيته العلمية عن الدواء السليم (غير المغشوش) يستهدف موقع المرض بالجسم بشكلٍ دقيق ويعتبر أماناً دون أن يضرّ بالأعضاء السليمة، وتحدث التفاعلات العكسية أو الآثار الضارة للدواء عندما يتخطى العلاج التأثير المرجو منه ويسبب مشكلة قد تكون هذه التفاعلات خفيفة أو خطيرة أو مميتة، ووضح إن تلك التفاعلات العكسية تختلف من مريض لآخر وتعتمد بشكل كبير على الصحة العامة للمريض والحالة المرضية والعمر والوزن والجنس .

والعديد من الأدوية تظهر تفاعلات عكسية غير متوقعة كما تختلف هذه التفاعلات من شخص لآخر والكثير من هذه التفاعلات يتم التعرف عليها ورصدها ويتم ملاحظة جميع التفاعلات العكسية خاصة النادر منها بعد طرح الأدوية في الصيدليات واستخدامها من قبل عدد كبير من الأفراد تبدأ التفاعلات العكسية المجهولة بالظهور وتتسبب بأعراض خطيرة .

ويأتي اهتمام الاجتماعيين بالتفاعلات العكسية للدواء لاعتداد تلك التفاعلات إحدى الأسباب الشائعة لتوقف المرضى عن اتباع تعليمات الطبيب، وعدم إكمال العلاج، مما قد يؤدي إلى المزيد من المشاكل الصحية، والإبلاغ عن تلك التفاعلات العكسية غير المعروفة يدعم وجود قاعدة معلومات بين المرضى والمختصين في الرعاية الصحية، وهذا له أهمية كبرى للمساعدة في التأكد من الاستخدام الآمن للأدوية، فالمريض هو نفسه يكون جزءاً من الفريق الطبي الذي يتولى رعاية نفسه، ومن المهم أن يحرص على تناول الأدوية السليمة ويهتم بمعرفة دوائه ويتخذ الحيطة والحذر عند تناول أي دواء .

ويوضح الجدول السابق الضغط علي ميزانية الأسر المصرية لاستقطاع مبالغ كبيرة للعلاج والتي مثلت بنسبة ٥٢,٧% من حجم العينة، أما عن حدوث تراجع عن تشجيع البحث وزيادة الإنفاق في تطوير الصناعات الدوائية ٥٥,١%، زيادة الكوارث الصحية بالمجتمع ٩٨,١% ، وعدم قدرة الدولة علي مواجهة تنفيذ خططها التنموية في المجال الصحي ٦٦,٦%، وقد اختلفت تلك النتيجة مع نتائج دراسة (شليبي، ٢٠٠٤) إلى التعرض لصناعة الدواء في مصر في ظل اتفاقية TRIPS حيث طبيعة الصناعة والمحددات الخاصة بتطورها وتأثير المتغيرات العالمية على هذه الصناعة، وأوصت بضرورة بناء القدرات المؤسسية والبشرية القادرة على تصميم السياسات وضرورة تمسك الدول النامية بحقوقها من القرصنة على معارفها ومنتجاتها، وتقنين تشاركها في ملكية البراءات مع الدول المتقدمة، وكما أظهرت نتائج (حامد، ٢٠٠٥: ١٨١) ارتباط الدواء باحتياجات تنموية مباشرة، من أبرزها الاحتياجات البشرية (من خلال مكانة الدواء في الرعاية الصحية)، فضلاً عن احتياجات اجتماعية سياسية (من منظور الدور الرئيسي لتلبية الحاجات في صنع الاستقرار الاجتماعي) .

لذلك يعتبر النظام الصحي المسئول عن إدارة منظومة الدواء مما يتضح حجم العبء على كاهل الدولة، والمريض، فإتاحة الدواء من الضروريات كي تقي المرضى وذويهم من تقلبات أسعارها (Ministry of Health: 2010,2) .



## جدول رقم (١٣) يوضح مميزات الدواء كمنتج متداول بالسوق الدوائي

م	مميزات الاستهلاك للدواء
١	مادة مؤثرة على حياة الأفراد فاذا اختفت فمن الصعب تبديلها .
٢	الدواء لا يمكن إنتاجه إلا من قبل مختصين وفي مصانع وظروف خاصة .
٣	يخضع الدواء للغش كأى منتج آخر وغشة يؤدي بحياة الأفراد ويقتلهم بدلا من أن يشفيهم .
٤	غش الأدوية ظاهرة عالمية وليست في مصر فقط .

ونظراً لارتفاع أسعار الأدوية وأهميتها الحيوية بالنسبة للفرد تسعى الدولة والمتمثلة في وزارة الصحة والهيئات الرقابية بصورة مستمرة علي تحسين الخدمات الطبية المقدمة وتحقيق ضبط لسوق الدواء في ظل تنامي الاحتكار للأدوية من الشركات العالمية (البيطار، ٢٠٠٩)، مما ظهر معه وجود منتجات طبية مزيفة ومجهولة المصدر بنفس الشكل للمنتج الأصلي واعتبر دافع لإصدار القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٧٦ بشأن تنظيم التعامل في أدوية الهيئة العامة للتأمين الصحي .

فجرمت كل القوانين والتشريعات الغش بجميع صورته وأشكاله، ليس ذلك فحسب وإنما بلغ هذا الفعل في بعض القوانين إلى درجة الإجماع التي يعاقب عليها القانون بصورة مباشرة إن ثبت الجرم، وعادة ما توجد العقوبات في هذا الموضوع في قانون العقوبات، ويقدم واقع القانون رقم ٢٨١ لسنة ١٩٩٤ بشأن قمع التدليس والغش في المواد العقابية التي توقع على مرتكبي جرائم غش المستلزمات الصحية والعقاقير الطبية، فنص القانون علي الآتي:

يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تتجاوز ٥ سنوات وبغرامة لا تقل عن ١٠ آلاف جنيه ولا تتجاوز ٣٠ ألف جنيه أو ما يعادل قيمة السلعة موضوع الجريمة أيهما أكبر لكل من:

١. كل من غش أو شروع في الغش شيئاً من العقاقير أو الأدوية معداً للبيع وكذلك كل من طرح أو عرض للبيع أو باع شيئاً من هذه العقاقير أو الأدوية أو منتجات مغشوشة كانت أو فاسدة أو انتهى تاريخ صلاحيتها مع علمه بذلك .

٢. كل من صنع أو طرح أو عرض للبيع أو باع مواد أو عبوات أو أغلفة مما يستعمل في غش العقاقير أو النباتات الطبية على وجه ينفي جواز استعمالها استعمالاً مشروعاً أو يقصد الغش .

لذلك أقر مجلس النواب "عبد العال، ٢٠١٩" في نهاية دور الانعقاد الرابع من الفصل التشريعي الأول، قبل انتهاءه مشروع قانون بإنشاء هيئة الدواء المصرية، والهيئة المصرية للشراء الموحد والإمداد والتموين الطبي، كأحد أبرز التشريعات الحيوية في مجال الدواء والتي من شأنها تطوير المنظومة الصحية وتوفير الدواء بشكل منتظم ومواجهة الممارسات الاحتكارية في القطاع وتنمية الصناعات الطبية، بالإضافة إلى مواجهة ظاهرة الأدوية المغشوشة (يونس أيت ياسين) .

#### جدول رقم (١٤) يوضح أهداف وسياسات القانون الدوائي

أهداف السياسات الدوائية	أهداف القانون الدوائي
ضمان توفير وجوده وأمان جميع الأدوية المتداولة لكل فئات المجتمع .	١ تطوير وتنمية الصناعات الدوائية .
تحديث قائمه الأدوية الأساسية طبقاً للاحتياجات المتغيرة للمجتمع المصري .	٢ توفير الدواء بشكل منتظم وبأسعار مقبولة .
ترويج الاستخدام الرشيد للدواء بمعرفة متخصصين بالمجالات الطبية .	٣ الابتعاد عن الاحتكار .
تطويع جميع الأنشطة المتصلة بتداول الدواء لقانون حماية البيئة المصري .	٤ تحقيق الرقابة على قطاع الدواء .
	٥ يدعم تصنيع الدواء محلياً ويضع مصر بخريطة التصدير .
	٦ مواجهة ظاهرة الأدوية المغشوشة والمهربة .

الجدول من إعداد الباحث بناء علي أهداف السياسة الدوائية تحقيقاً للقانون الدوائي، ويوضح الجدول التالي أهداف القانون الدوائي والحق في الصحة (الإنجابية والجنسية والوفاء بمتطلبات الأطفال ومكافحة الأمراض وتوفير الأدوية الأساسية)، (مجلس حقوق الإنسان، ٢٠١٣) .

## جدول رقم (١٥) يوضح أساليب التحسين المستمر التي تتبعها شركات الأدوية

م	الأسلوب	وصفة
١	التخطيط	يبدأ بتحديد الحاجات لتطوير خصائص المنتج، وصولاً للجودة .
٢	الرقابة	تتدرج للتأكد من أن عمليات الإنتاج تسيير وفق ما هو مخطط من خلال عملية الرقابة وتقييم أداء العمل ومقارنة الأداء الفعلي مع الأهداف المخططة .
٣	التحسين	اعتماد المقارنة المرجعية المستمرة تتضمن تحسين مستويات الأداء الحالية والانتقال إلى مستويات أداء تفوق العمليات الحالية (عبيدات، ١٩٩٩: ٣٧٧) .

فمجموعة الأساليب السابق ذكرها تستخدمها الشركات في عمليات التحسين المستمر، وذلك لتحسين في منتجاتها، وحل المشكلات الطريقة العلمية ( فيلد، ٢٠٠٣: ٥٠) .

نظراً لما يتمتع به الدواء من خصوصيات واضحة وارتباطها بالمصالح الإنسانية المباشرة على مستويات مختلفة (الفرد - الجماعة - المجتمع) فيزغت الحاجة لتطبيق سياسات قومية تنظيم الأداء الدوائي على المستويات الوطنية، وترشيد التعاملات الدوائية عبر الدول فلقد بدأت الاهتمامات الملحوظة بالتطور دولياً من خلال إصدار منظمة الصحة العالمية لنموذج قائمة الأدوية الأساسية خلال اعتبار إتاحة الأدوية الأساسية كأحد العناصر الرئيسية في الرعاية الصحية الأساسية (إبراهيم، ٢٠١٤: ٢٥) .

وبدأت صناعه وإنتاج الأدوية بالدول الكبرى بغرض علاج الأمراض، وبزيادة السكان واحتياج الدول الفقيرة والنامية إلى هذه الصناعة مع انتشار الأمراض المختلفة وبعد التقدم التكنولوجي كان لازماً لهذه الدول استغلال العمل على حل مشكله الاحتكار لهذه الصناعة، وبدأت الدول بالسعي إلى فتح فروع للشركات الكبرى والمتخصصة في المجال لكسب العاملين في هذه الفروع للخبرة واقتحام المجال والبدء في العمل لوجود بدائل لإنتاج الدواء ومنتجات بديلة (Josepch,1991:12) .

يوضح جدول رقم (١٦) أساليب مواجهة مشكلة أنتشار الأدوية المغشوشة من وجهة نظر الصيدالة

م	العبارات الخاصة بأساليب مواجهة مشكلة البحث	
	ك	%
١	٤٦	٢٧,٨٧%
٢	١٥	٩,٠٩%
٣	١١	٦,٦٦%
٤	٦	٣,٦٣%
٥	١٨	١٠,٩٠%
٦	١٣	٧,٨٧%
٧	٢١	١٢,٧٢%
٨	٣٥	٢١,٢٣%
تتسب النتائج إلي		١٦٥
		١٠٠%

يوضح الجدول السابق أساليب مواجهة مشكلة أنتشار الأدوية المغشوشة، وتشير البيانات الميدانية لتنوع وجهات النظر حول طرق مواجهة انتشار الأدوية المغشوشة بكل صورها وتأتي النسبة الأكبر من حجم العينة للاهتمام بتطوير التكنولوجيا بما يتفق مع متغيرات العصر للكشف عن الأدوية المغشوشة لتصل ٢٧,٨٧% من حجم العينة، وذلك اتفق مع نتائج (WHO, 2006) لضرورة اتخاذ إجراءات ملموسة وسريعة لمكافحة الأدوية المزيفة التي بدأت تأخذ أبعاداً وبائية، مع الالتزام بإيجاد الحلول الإبداعية، سعياً إلى التعجل بمكافحة الأدوية المغشوشة، ووضح نتائج دراسة (Marron, 2006) أن التطوير في الصناعة الدوائية من القضايا التي تتعلق بكلفة الإنفاق على البحث والتطوير في صناعة واكتشاف دواء جديد، وأبرزت الدراسة دور الأرباح المتوقعة في قرارات الشركات الخاصة بالاستثمار للتطوير وأوصت بضرورة تشجيع البحث والتطوير وزيادة الإنفاق في تطوير الصناعات الدوائية، واتفقت مقابلة الدكتور "محمد غنيم" صيدلي، إن غش الأدوية

له مصادر عديدة ومتنوعة، منها الغش في المصدر، أي في المصنع أو تقليد الماركة التجارية الأصلية التي تنتجها الشركة الأم، وأبرز هذه الشركات المزيفة توجد في الصين حيث تقوم بإنتاج أدوية تطابق الأدوية الأصلية في الشكل فقط من حيث التغليف والتعليب ولكنها تختلف في التركيب وتصدرها على أنها الأدوية الأصلية، مضيف أن الغش يصل إلى المادة الفعالة للتركيب الدوائية فقد تكون تلك المكونات غير فعالة ولا تضر ولكنها لا تتفع وتوجد بتركيزات غير دقيقة وتعد أقل من المنصوص عليها، الأمر الذي يؤدي إلى نتائج خطيرة قد تصل إلى الوفاة .

وأكدت ذلك نتائج (حماد، ٢٠٢٠: ٤٦٥-٤٨٦) حيث تعاني المنظمات الدوائية عدم استخدام التقنيات الرقمية داخلها، ونقص الخبرات والكوادر الوظيفية المتخصصة التي تساعد في تطويرها وتحولها إلى شكل رقمي وتقني، مما ينعكس سلباً على خدماتها ومنتجاتها خاصة مع توجه مصر نحو عصر التميز الرقمي، بهدف إرضاء العملاء وتحقيق المساهمة والفاعلية في المجتمع المعرفي .

ويبين أن للغش أوجها عديدة، منها إعادة تصنيع الأدوية المنتهية الصلاحية بوضعها مرة أخرى في عبوات جديدة وختمها بتواريخ حديثة مع استبدال المادة الفعالة بأخرى غير فعالة مثل النشا والسكر مع وضع تركيزات مخالفة للمنصوص عليها في دستور الأدوية، وذلك لإنتاج أكثر وبتكلفة أقل مع وضع ملصقات عليها تخالف المحتويات الأصلية، منوها بأنه توجد دلائل وقائع على ذلك حدثت في عدد من الدول تسببت في وفاة أعداد كبيرة من مواطني تلك الدول، وكان أبرز أساليب الغش تلقى لقاحا مغشوشا، أو أدوية بيطرية على أنها عقاقير بشرية وعقاقير أخرى معدة للحقن أعطيت عن طريق الفم، وتوضح المقابلة مع الصيدلي قوله «يأتيني مندوب ليسألني بمنتهى الجاحه» عن الأدوية المنتهية الصلاحية أو التالفة، علما بأنه لا يحق له ذلك، فهذه الأدوية يجب أن تعدم، لكن أمثال هذا المندوب، يقومون بإعادة تشغيل هذه الأدوية مرة أخرى إما عن طريق طباعة علب جديدة وتاريخ صلاحية جديد، أو تقليد شكل العبوة وقطعا هذه الأدوية، ربما لا يكتشفها الصيدلي، خاصة أنه يتعامل مع عدد من المندوبين منذ فترة .

مما يحتم ذلك ضرورة التحول الرقمي للحصول علي المزاي، لمواجهة انتشار الأدوية المغشوشة، وهناك اتفاق بين الباحثين علي أهمية التحول الرقمي في المنظمات وتأثيره

علي بعض المتغيرات التنظيمية مثل إعادة الهيكلة التنظيمية (Plesner, 2018) والهياكل الرسمية وغير الرسمية (Bonanomi, 2019)، ويدل ان التحول الرقمي يعد موضوعا هاما نظرا لتأثيره الإيجابي وما يتبعه من تأثير علي الأداء والمناخ العام في المنظمة (Bienhaus, 2018) .

ومثلت نسبة ٩,٠٩% لوضع خطط للوفاء بمتطلبات السوق المحلي من الأدوية المنتجة محلياً حتي لا يقع أفراد المجتمع المصري تحت رحمة الأدوية المستوردة واحتكار المنتج الدوائي، مع وجود الرغبة في إعادة تأهيل مصانع الأدوية المصرية لتحقيق الاكتفاء الدوائي، واعتبرت (سعد، ٢٠١٢: ٢٧٧) من خلال بحثها أن صناعة الدواء بند استراتيجي لا تستغني عنه أي دولة نظراً لتأثيرها علي التنمية وازدهار الاقتصاد ومساهمتها في معدلات المنافسة وجذب الاستثمارات وتقليل الاستيراد في ظل سياسة الاحتكار، وقدمت دراسة (الجل، ٢٠١٢: ٣٠٤) تحليل لطبيعة الأدوية باعتبارها مادة كيميائية لها القدرة علي تعديل وتغيير طبيعة وظائف الجسد، كما وضح (عبده، ٢٠١٤) شركات صناعة الأدوية والأجهزة الطبية في مصر تعتقد لوجود حاضنات أعمال تقوم برعاية المبدعين والمبتكرين والتعرف على مدى وجود أثر معنوي لتطبيق التوجهات الحديثة على تمكين عمالة المعرفة في الشركات المصرية لصناعة الأدوية والأجهزة الطبية، ورأي (عطيان، ٢٠١٤: ٢٦٧) بالإشارة لما تواجه المنظمات في العصر الحالي من التحديات التي فرضتها العولمة والتطورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة وزيادة حدة المنافسة العالمية والتغير المستمر في سلوك المستهلكين، ويأتي ذلك مع تطور صناعة الدواء في مصر منذ إنشائها ١٩٣٩ مع اعتبار هذه الصناعة إحدى ركائز التنمية لهذا فمن الضروري الاهتمام والارتقاء بها إلى مستوى المنافسة وجذب الاستثمارات وتقليل الاستيراد.

ومثلت نسبة ٦,٦٦% من حجم العينة، و ١٠,٩٠% لأهمية لتشجيع الدولة علي إقامة مشروعات دوائية، أما من أهم بنود القضاء علي انتشار الأدوية المغشوشة أتي رأي ٢١,٢٣% من حجم العينة لوضع خريطة لتوعية الأفراد بكيفية الكشف عن الأدوية المغشوشة الموجودة بالصيدليات المنتشرة بالريف والحضر، واتفق ذلك مع ورقة عمل (السعيد، ٢٠٠٨) بمفهوم حماية المستهلك كأخلاقيات التسويق والمسؤولية الاجتماعية حيث تناولت معظم الدراسات الجانب الأخلاقي لتناول الأبعاد التسويقية للمسؤولية

الاجتماعية حيث ركزت علي المسؤولية تجاه حماية المستهلك المتمثلة في سياسات (التبيين- التسعير- التوزيع- التعبئة والتغليف- النقل والتخزين- الإعلان- الضمان) بالإضافة (عدم التحايل بالأسعار- عدم احتكار المنتجات)، ووضح (النور، ٢٠٠٩) لضرورة التعرف على أثر عوامل تعزيز التنافسية على الأداء التنافسي لشركات الأدوية، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بين السياسات التسويقية التي تتبناها شركات الأدوية والأداء التنافسي، وسياسات الإنتاج المتبعة ومفهوم الجودة الشاملة والأداء التنافسي، وتظهر نتائج (Castellan, 2010) هدفها في إظهار دور البحث العلمي للصناعة الدوائية في الاقتصاد الأمريكي، وحجم بلايين الدولارات التي تتفق لدعم البحث العلمي واكتشاف أدوية جديدة، وبينت أهمية الاستثمار في البحث والتطوير، وأوضحت الدراسة بالرغم من الصعوبات التي تواجه الصناعة الدوائية لوحظ تقدم في اختراع أدوية جديدة للسرطان ومرض القلب والإيدز، وتوصلت نتائج (كردي، ٢٠١١) بأن سعر المنتج من أكثر عناصر المزيج التسويقي التي يمارس فيها الخداع .

ويعد ضعف الرقابة أيضا أحد التحديات التي يواجهها قطاع الدواء، حيث وصل حجم مبيعات الأدوية المهربة والمغشوشة في مصر إلى مرحلة تمثل خطورة على حجم تجارة الدواء حيث في مصر، بنحو ١٥% ( Central Agency for Public Mobilization and Statistics [CAPMAS], 2015) من حجم تجارة الدواء. كما أن معظم الأدوية المغشوشة والمهربة يتم بيعها عن طريق العيادات الطبية أو مواقع التواصل الاجتماعي وأحيانا في بعض الصيدليات نظراً لضعف الرقابة عليها .

وحذرت مقابلة الدكتورة "أيمان شمس" صيدلانية، من الاعتماد على الأدوية التي تروج عبر شبكة الإنترنت وتقدم للمستهلكين، مشيرة إلى أن معظم هذه الأدوية مغشوشة ولا تخضع لأي رقابة من الجهات المختصة ولا يوجد عليها رقابة في بلد المنشأ الذي صنع فيه وروجت من خلال شبكات الإنترنت .

وأشارت الدكتورة "سامية على" طبيبة أمراض باطنية، إن الأدوية المغشوشة قد تحتوي على مواد غير طبية مثل الإسمنت الأبيض وغيرها من المواد غير الفعالة التي أعيد استخدامها في أدوية، منتهية الصلاحية، ويمكن أن تسبب العديد من المضاعفات وذلك في حدوث بعض التقرحات في الجهاز الهضمي كالمريء والمعدة، فتسبب آلاما في

الصدر والبطن، كما أنها قد تؤثر سلباً على الأمعاء، مسببة اضطرابات فيها، كالإسهال أو الإمساك .

ويفيد استعراض التراث البحثي والأفكار النظرية وربطها بمشكلة البحث لتسليط الضوء على المشكلة البحثية في ظل انضمام العديد من الدول النامية للمنظمة العالمية للتجارة ترتب عليه التزام الدول النامية باتفاقية احتكار الدواء، ونتيجة لذلك التزمت الدول المصنعة بتوفير الحماية الدوائية للمنتجات الدوائية والمحافظة على الحقوق الاحتكارية، وبذلك قطعت الاتفاقية باب قرصنة الدواء أمام الدول النامية (حول، ٢٠١٥)، مع إشارة دراسة (بويترة، ٢٠١٧) لإبراز أثر حقوق الملكية الفكرية على تنافسية الصناعة الجزائرية للأدوية الجنسية في ظل بيئة متسمة بالعلومة وانفتاح الأسواق. والتعرف على التوجهات العالمية لصناعة الأدوية الجنسية بالبحث في براءات الاختراع في مجال الصناعة الدوائية ضمن اتفاقية الملكية الفكرية .

وكشفت نتائج (المدني، ١٩٩٤) بتحديد مدى إدراك الأفراد لقواعد الحماية من ممارسات غش الأدوية وتقديم منتج دوائي مشابهة بأسعار أقل وبجودة أدني، وتأكيد نتائج (إدريس، ٢٠١٥: ٩-٣٢) لإبراز أثر سقوط براءات الاختراع للأدوية الأصلية على توجهات السوق العالمي للدواء في ظل بيئة تنافسية متسمة بالعلومة وانفتاح الأسواق، ويتم ذلك بالتعرف على براءات الاختراع في مجال الصناعة الدوائية .

وبالرغم من ذلك فقد أقر الدستور المصري العديد من المواد التي نصت علي الحق في الصحة من الاهتمام بالابتكار للأدوية الجديدة والمرتبطة بالرعاية الصحية وخاصة التي وضعت في المادة ١٨ (دستور جمهورية مصر العربية، ٢٠١٤) .

ومن الأهمية الإقرار بأن التأثيرات العكسية من تناول الأدوية المغشوشة تمثل السبب الرئيسي للأذى الذي يفضي إلى تأثير الدواء، ويحدد التصنيف العام للتفاعلات الدوائية الضارة في مجموعتين:

١- ردود الفعل المتوقعة تتمثل في الآثار الضارة فكلما زادت الجرعات زادت الآثار العكسية الضارة لهذه الأدوية، وبخاصة لدى الأفراد الذين يعانون من حساسية مناعية،



٢- وعن الآثار العكسية للأدوية المغشوشة الغير المتوقعة تتمثل في عدم قدرة بعض الأفراد علي التحمل وحدثت تفاعلات فرط الحساسية هذه ردود فعل غير طبيعية ناتجة عن آلية مناعية .

ويتفق الأستاذ الدكتور "خالد عطوة" مع النتائج السابقة بأن العلاج الوهمي ويقصد به الفرق بين الجرعة الفعالة والجرعة السامة، الجرعات التي تكون أقل من الجرعة الفعالة لا يكون لديها أي فعالية أما الجرعات التي تكون فوق المجال تسبب تأثيرات جانبية خطيرة ، كلما تقلص المجال كلما زادت ضرورة الانتباه في وصف وتناول الدواء مع مراقبة مستمرة لتركيز الدواء في الدم .

وتوصلت دراسة (واصف، ٢٠١١) بأن شركات الدواء الخاصة ومتعددة الجنسيات في مصر تواجه مشكلات خاصة بالعمليات الإنتاجية الأمر الذي يستدعي دراسة الأساليب المستحدثة في الإدارة للاستفادة منها لمواكبة الشركات التي نجحت والقيام بعمليات التحسين المستمر، وأكدت نتائج دراسة (حسن، ٢٠٠٠) لإبراز أهمية الشراكة والتحالفات الاستراتيجية في للعمل على مجابهة الشركات العملاقة المحتكرة للصناعات الدوائية .

وقد نشرت مجلة الجمعية الطبية الأمريكية (JAMA.2018)، دراسة ارتكزت على تحليل نتائج ٢٦٥ دراسة علمية سابقة أجراها فريق بحثي من جامعة نورث كارولينا، توصلت إلى أن أكثر من ١٣ في المئة من الأدوية الأساسية المتداولة في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، يمكن تصنيفها تحت فئة "الأدوية المغشوشة"، ولا يكاد يمر شهر إلا وتظهر قضايا فساد تتعلق بالأدوية المغشوشة في كثير من البلدان العربية والأفريقية، أقربها كان في مصر بعد أيام قليلة من نشر الدراسة والحل في وضع قائمة للأدوية الأساسية، بعد دراسة الوضع الصحي في البلاد وتحديد الاحتياجات (Egyptian Center for Economic Studies, 2020) ويُفترض أن تكون الأدوية الأساسية متوفرة وبجودة مضمونة وبأسعار يمكن للأفراد بالمجتمع تحملها .

ومما تقدم في مجال الغش للدوية وتأثيراتها العكسية الصحية والاجتماعية والاقتصادية يوضح الأستاذ الدكتور "عاطف محمد شحاتة" أستاذ علم الاجتماع الطبي - كلية الآداب - جامعة الزقازيق موضوع غش الأدوية الأصلية، عرف جدالا واسع النطاق على المستوى الوطني، والذي عرف انعكاسات واسعة على حياة الأفراد بصفة عامة وحياة

المريض بصفة خاصة، وفي ضوء قلة الدراسات التي تناولته من جهة ومن جهة أخرى تقديم بعض الحلول التي يجري استخدامها من طرف الدولة لمحاربة الظاهرة للحفاظ على الصحة العامة، كما يشهد عالمنا المعاصر أصناف متنوعة من المنتجات المختلفة التي تلبي حاجة الأفراد المتنوعة فبعضها كالمالي وآخر ضروري كالدواء، ووجود تنافس متنامي بين المنتجين لإغراق الأسواق بمنتجاتهم المغشوشة طمعا في الربح الوفير، مما يؤدي لمضاعفة ضررهم بدل شفائهم، لذا فلا يمكن إطلاق العنان لأشخاص متداولي الأدوية المغشوشة وتجاهل الأضرار التي قد تتجم عن نشاطهم خاصة بعد ازدياد المخاطر التي تهدد حياة المريض بصفة خاصة .

واعتبر "شحاتة" غش الأدوية سلوك لا أخلاقي ينم عن شخصية غير سوية، تتصف بالخوف، والعجز، والسلبية، وما يحدث من غش وخداع وتزوير وتقليد للأدوية أعمال مرفوضة اجتماعيا، لمتعمدي ترويج تلك المنتجات المغشوشة ترسيخ الفساد بالمجتمع .

وتوضح مقابلة الأستاذ الدكتور "وحيد هيصم" أستاذ المناعة بكلية الطب جامعة قناة السويس، تتمثل التأثيرات الدوائية العكسية المرتبطة بالجرعة الدوائية المغشوشة في حدوث تأثيرات للدواء فقد يشعر المريض الذي يستعمل دواء مغشوش أو مقلد لخفض ضغط الدم بالدوخة أو بخفة الرأس إذا كان الدواء يُخفِّض ضغط الدم بشدة، ما قد يشكو المصاب بدء السكري من الضعف والتعرق والغثيان وخفقان القلب إذا أنقص الأنسولين، و إذا كان الفرد يعاني من حساسية غير طبيعية للدواء، أو إذا استعمل دواءً آخر يبطئ عملية استقلاب الدواء الأول، وبذلك يزيد من مستواه في الدم وتكون الآثار العكسية المرتبطة بالجرعة خطيرة عادةً، ولكنها شائعة نسبياً.

وليست ردات الفعل التحسسية للدواء المغشوش مرتبطة بالجرعة، ولكنها تتطلب التعرض المسبق للدواء، لتحدث ردات الفعل التحسسية عندما يُطوّر الجهاز المناعي في الجسم ردة فعل غير مناسبة على الدواء المغشوش ويجري الأطباء في بعض الأحيان اختبارات جلدية تساعد على التنبؤ بحدوث ردات فعل تحسسية للدواء .

وتتجم التأثيرات الجانبية للأدوية الصّارة طفح الجلدي، واليرقان، وفقر الدم، ونقص عدد خلايا الدم البيضاء، وتضرر الكلى، وتضرر الأعصاب الذي قد يؤثر في الرؤية أو

السمع وتميل هذه التأثيرات العكسية إلى أن تكون شديدة الخطورة، مثل تهيج المعدة والنزف غالباً عند المرضى الذين يستعملون .

ويؤكد الدكتور "خالد عطوة" استشاري أمراض النساء والولادة بكلية الطب جامعة قناة السويس، حق المريض في معرفة كل الأمور المتعلقة بالدواء الذي سيتناوله، وتقع المسؤولية على الطبيب المعالج والصيدلي لتعريف المريض بدواعي استعمال الدواء ومكوناته والمضاعفات التي قد يتسبب بها، بموجب البروتوكولات العالمية المتعلقة بحقوق وواجبات المرضى، التي تعتبر أهم بكثير من ترجمة النشرة المرفقة مع الدواء إلى اللغة العربية .

ويشير الدكتور "احمد عبدالحى" أخصائي الجراحة العامة بمستشفى الإسماعيلية العام لعدد من سلبيات تناول الأدوية المغشوشة، عدم قدرة المريض علي قراءة النشرة الداخلية لطبيعة الدواء التي تعوق على فهم مضمونها وتتضمن وجود بعض الأجزاء غير المفهومة لشريحة كبيرة من المرضى ما يجعل المريض يهمل قراءة النشرة الداخلية للدواء، فضلاً عن احتوائها على معلومات صعبة الفهم للمريض تهم الطبيب بشكل أكبر كتركيزات الأدوية وتداخلاتها .

### ثامناً: أهم النتائج:

نتائج البحث الراهن ما هي إلا عرض للوضع الراهن من خلال تسليط الضوء علي ظاهرة مميتة منتشرة بالمجتمع المصري دون وعي بخطورة أمرها من المرضى وذويهم وتنتهي حياة الأفراد بالموت، مع اعتبار مصر واحدة من الدول التي تواجه تحدي انتشار الأدوية المغشوشة .

### أولاً: نتائج تتعلق بخصائص العينة:

١ . كشفت النتائج أن ٥٧ % من المترددين علي الصيدليات من الذكور مقابل ٤٢,٤٢ % للإناث .

٢ . ٧٨ % من المترددين علي الصيدليات من الحالة الاجتماعية (متزوج - ة) .

٣ . بين البحث ان نسبة المتعلمين للتعليم الجامعي هي السمة السائدة للصيدالة .

٤. وضح البحث أن ٨٠,٦٠% لمتريدي الصيدليات من بين من يعملون من خلال المقابلات .
٥. ووضحت نتائج المقابلات للمرضي سواد الدخول المنخفضة .
- ثانياً: نتائج تتعلق بمعرفة المستهلك للأدوية المغشوشة:
١. أكدت ٩٣% من حجم العينة علي مشكلة أسعار الأدوية واعتبارها مرتفعة للغاية .
  ٢. أشارت ١٠٠% من عينة البحث أن الدواء سلعة مهمة لا يمكن لمن يحتاجها الاستغناء عنها .
  ٣. أظهرت النتائج ٧٤% من مقابلات المرضي قد تعرضوا للغش عند شراؤهم للدواء خاصة فيما يتعلق بسعره مقارنة به في صيدلية أخرى .
  ٤. بينت نتائج ٨٩% من عينة البحث وجود أدوية في الصيدليات قاربت صلاحيتها علي الانتهاء .
  ٥. أشار ٨٣% من الصيادلة على عدم ثبات أسعار الأدوية .
  ٦. تري نسبة ١٠٠% من عينة البحث عدم وجود برامج للتوعية بالمنتجات الأصلية .
  ٧. كشف البحث الميداني أن ٨٦% من المرضي ليس لديهم الخبرة والوعي الكافي لمعرفة الأدوية المغشوشة .
  ٨. تبين أن ٥٦% من المرضي وذويهم هدفهم الأول الشفاء دون النظر لطبيعة ومصدر العلاج .
  ٩. أكدت ٧٦% أن الأدوية المنتجة محلياً غير كافية لتغطية احتياجات المرضي ويتم الاستيراد .
  ١٠. وضحت ٧٦% من العينة التأكيد علي عدم قدره الفرد العادي التفرقة بين الأدوية المغشوشة والأصلية .
  ١١. يؤكد ٦٩% من حجم العينة أن الأدوية المغشوشة مشكلة ليست جديدة تفاقمت مع التقدم التكنولوجي وسهولة التقليد .
  ١٢. كشفت ٦١% من العينة بأن الدواء المصري فعال .
  ١٣. أكدت النتائج الميدانية ٣٣,٣% من حجم العينة ليس لديهم علم بوجود أدوية مغشوشة .

١٤. يتضح أن ٨٩% من المرضى وذويهم يبحثون عن العلاج والمستلزمات الطبية الأرخص .
١٥. بين البحث ٩١% بأن شركات الأدوية لا تقدم معلومات بتوعية المستهلكين للمنتجات الطبية .
١٦. أكدت النتائج ٥٥% من حجم العينة لا يدركون مدي خطورة تناول دواء مغشوش .
١٧. أكدت النتائج أن ٤٥% من حجم العينة لديهم دراية تامة بعدم فاعلية الأدوية المغشوشة .
١٨. ٩٥% من حجم العينة يؤكدون علي وجود جميع البيانات علي المنتج الطبي الذي يتم شراؤه .
- ثالثاً: نتائج تتعلق بدور الأجهزة الرقابية لحماية المرضى من تداول الأدوية المغشوشة:**
١. كشف البحث الميداني بأن ٧٧% من حجم العينة لديهم وعي بحقهم كمستهلكين .
٢. كشفت مقابلة رئيس جهاز حماية المستهلك أن انتشار الأدوية المغشوشة يرجع لقيام المزورون بشراء الماكينات التي خرجت من الخدمة في مصانع الدواء ويقومون بإعادة إنتاج الأدوية وتعبئتها وتوزيعها .
٣. أكدت نسبة ٩٨% من عينة البحث بأن الانفلات الأمني الذي عايشناه زاد عمليات التهريب للأدوية .
٤. ٦٧% من حجم العينة أشاروا لضعف أداء الجهات الرقابة للكشف عن الأدوية المزيفة والمتمثلة في:
- أ- عدم وجود أجهزة للكشف عن الأدوية المغشوشة بالصيدليات مع زيادة الأسعار .
- ب- انتشار الأدوية ومستحضرات التجميل المغشوشة بالصيدليات .
٥. أكدت ٨٣,٢% بأنه لا يوجد دواء في مأمّن من خطر الغش وتتركز الأدوية المغشوشة علي أدوية الأمراض المزمنة، وأدوية الضعف الجنسي، والنحافة، والبدانة، ومكافحة الشيخوخة، والمسكنات، والمواد المخدرة، والمعقمات .
٦. ٧٣,٢% من حجم العينة وضحو بوجود نقص في المنتجات الأدوية التي يتم استيرادها .
٧. أكدت ٤١,٨% بوجود أكثر من بديل للدواء الواحد .

**تاسعاً: أهم استخلاصات النتائج:**

١. الأدوية المغشوشة قد تحتوي على جرعات سامة تسبب الوفاة .
٢. يناول الأدوية المغشوشة يؤدي لتفاقم المرض ومقاومة الأدوية.
٣. الأدوية المغشوشة تشجع على مقاومة الأدوية ، وتهدد صحة السكان اليوم وفي المستقبل.

**عاشراً: توصيات البحث:**

١. الفحص الجيد للغلاف لمعرفة طبيعة المنتج، التحقق من تواريخ الصلاحية ووضع نصائح استرشادية لمستهلك الأدوية .
٢. ضرورة التزام الشركات المنتجة للأدوية بسياسة غسل السوق الدوائي .
٣. وضع تشريع يضاعف عقوبة الإتجار في الأدوية المغشوشة .
٤. ضرورة أن تتخذ الجهات الرقابية نهج تعقب الدواء .
٥. شراء الدواء من المصادر المعتمدة .
٦. يجب على الأفراد الذين تحدث عندهم تأثيرات عكسية شديدة أن يُوقفوا استعمال الدواء .
٧. البعد عن المنتجات الرخيصة إلي حد يثير الشكوك .
٨. إغلاق صفحات مروجة لمنتجات دوائية مجهولة غير مرخصة .
٩. مقارنة المنتج الدوائي الموجود بسعره الأصلي .
١٠. حوسبة إجراءات فحص جميع المنتجات الدوائية .
١١. زيادة الإنفاق علي تغليف المنتج الدوائي ليكون أكثر تعقيدا ويصعب تقليدها .

**رؤية استشرافية للموضوعات ذات الصلة بموضوع البحث:**

يوصف البحث إصدار ولادة جديدة للحديث عن التأثيرات العكسية للأدوية المغشوشة، بمعنى هو نتاج الرغبة في القيام بعمل حالة من التوعية الصحية المجتمعية بوجود أدوية مغشوشة، وتنفيذ النظم اللازمة للكشف عن أي منتجات طبية مغشوشة موجودة ووضع معيار عالمي على كل علبة دواء مثل الرقم القومي بالضبط أو شهادة ميلاد ولو

كانت مغشوشة سيسهل للصيدلي أو المتعامل مع الدواء أن يكتشفها، ويستطيع مستهلك الدواء حماية نفسه من الأدوية المغشوشة عن طريق شراء الأدوية من الصيدليات المرخصة من الدولة فقط، والتمعن في الدواء لملاحظة التغير في الغلاف، قد يكون مفتوحاً، أو تغيراً في مظهره أو طعمه أو ظهور أعراض جانبية غير متوقعة عند تناوله، كما أنه عليه مراجعة طبيبه الذي عالجه أو الصيدلي الذي يشتري الدواء منه، لذلك يمكن وضع رؤية:

- وضع قواعد توعية بطبيعة تناول كل دواء متداول بالصيدليات وطريقة استخدامه .
- التركيز بشكل حصري على انتشار أنواع مختلفة من الأدوية المنتشرة الأكثر تقليداً وغشاً بالصيدليات .
- رصد التفاعلات العكسية للأدوية لتقييم النفع والضرر وتعظيم المنفعة من الأدوية المتداولة .
- التعرّض المحتمل والفعلي لوجود آثار عكسية جانبية في حالة تناول الأدوية المغشوشة .
- الحاجة للكتابة حول الأدوية المغشوشة كوسيلة لنشر ثقافة الوعي الصحي لضمان السلامة .
- استحداث منصة إلكترونية جديدة للإبلاغ عن الآثار العكسية للأدوية .

## المراجع

## المراجع العربية:

١. الكبيسي, احمد عبيد (١٩٨٦)، دور الشريعة الإسلامية في الوقاية من الجرائم الاقتصادية, بحث منشور في مجلة القانون المقارن, مجلة دورية تصدرها جمعية القانون المقارن العراقية, العدد ١٨ .
٢. أبوالنجا, محمد عبد العظيم (٢٠١٢)، مبادئ سلوك المستهلك, الطبعة الأولى, الدار الجامعية, الإسكندرية .
٣. المساعد, زكي خليل (١٩٩٧)، التسويق في المفهوم الشامل, دار زهران للنشر والتوزيع, عمان- الأردن .
٤. أيوب, فوزية رمضان (١٩٨٥)، دراسات في علم الاجتماع الطبي, مكتبة نهضة الشرق, القاهرة .
٥. البياتي, بصائر علي محمد (١٩٩٨)، جريمة الغش التجاري في السلع (دراسة مقارنة), رسالة ماجستير, كلية القانون, جامعة بغداد .
٦. المليجي, شيماء مصطفى (٢٠١٧)، الأدوية المغشوشة, أخطبوط الجرائم, دار جامعة نايف للنشر, العدد: ٤-٥ .
٧. عبد الحميد, طلعت أسعد وآخرون (٢٠١٢), سلوك المستهلك المفاهيم المعاصرة والتطبيقات, الطبعة الثالثة, مكتبة الشقري .
٨. العبيد, يعقوب فهد (١٩٨٩)، التنمية التكنولوجية, مفهومها ومتطلباتها, الدار الدولية للنشر والتوزيع, الكويت .
٩. إدريس, عبدالفتاح محمود (٢٠١٥)، المنشطات الجنسية من منظور الفقه الإسلامي, مجلة البحوث الإسلامية, العدد ١, ع ١, القاهرة.
١٠. المدني, عادل محمد (١٩٩٤)، مقارنة بين استخدام العلاج السلوكي والعلاج الدوائي في عينة مصرية من مرضى الضعف الجنسي عند الرجال, رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية, مج ٤ , ع ١, القاهرة .



١١. إبراهيم، علا بهجت (٢٠١٤)، الصناعات الدوائية وتفعيل دورها في الاقتصاد الوطني، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعه تشرين، كليه الاقتصاد، سوريا .
١٢. الجبل، حسين سباعي عطية حسانين (٢٠١٢)، أثر إعادة هيكلة قطاع الدواء المصري علي الكفاءة الاقتصادية لشركات الأدوية " دراسة مقارنة " (مصر - الهند - صربيا)، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس .
١٣. الخطيب، رؤي (٢٠١٠)، الخداع التسويقي في الوطن العربي، جامعة دمشق .
١٤. البيطار، جيهان كمال (٢٠٠٩)، الممارسات الإعلانية وعلاقتها بمفهوم حماية المستهلك ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة .
١٥. النصور، عبد الحكيم (٢٠٠٩)، دراسة الأداء التنافسي لشركة صناعة الأدوية الأردنية في ظل الانفتاح الاقتصادي، رسالة دكتوراه، كليه الاقتصاد، جامعه تشرين .
١٦. اقطيش، نعيم عبد اللطيف (٢٠٠٩)، تحليل وقياس الكفاءة التسويقية في قطاع الصناعات الدوائية الفلسطينية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعه القدس، معهد الإدارة و الاقتصاد .
١٧. الدليمي، بلال صالح محمد (٢٠٠٢)، جريمة الغش الصناعي، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بغداد .
١٨. الرطيل، سعيد عوض (٢٠٠٨)، حقوق المستهلك ومستوى حمايتها في السوق اليمنية، ورقة عمل في ندوة بعنوان حماية المستهلك والغش التجاري، شرم الشيخ - القاهرة .
١٩. أبو جمعة، نعيم حافظ (٢٠٠٢)، "الخداع التسويقي"، ملتقى التسويق في الوطن العربي، الشارقة، أكتوبر .
٢٠. الجمعية العامة للأمم المتحدة (١٩٤٨)، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ٢١٧، باريس .
٢١. الأمم المتحدة (٢٠١٦)، تشجيع الابتكار والحصول علي التقنيات الصحية: تقرير اللجنة رفيعة المستوى التابعة للأمين العام للأمم المتحدة المعنية بالحصول علي الأدوية .
٢٢. السعيد، جمال (٢٠٠٨)، المفهوم العام للغش ودراسة واقعية لنماذج عن تغير أسعار السلع، ورقة عمل في ندوة حماية المستهلك والغش التجاري، شرم الشيخ - القاهرة .

٢٣. أوزاوا، ساشيكو (٢٠١٨)، انتشار الأدوية دون المستوى والمزورة، كلية الصيدلة، جامعة نورث كارولينا، الولايات المتحدة الأمريكية .
٢٤. الكتامي، منه الله مرسي حسين (٢٠٢٠)، الحق في النفاذ إلي الأدوية الأساسية والتسويق الإلكتروني للمنتجات الدوائية المغشوشة، المجلة العلمية للملكية الفكرية وإدارة الابتكار، العدد الثالث، المعهد القومي للملكية الفكرية، جامعة حلوان .
٢٥. أبو الفتوح، نصر (٢٠٠٦)، حماية حقوق الملكية الفكرية في مجال صناعة الدواء، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة المنصورة، القاهرة .
٢٦. القبلاوي، محمود عبد ربه (٢٠١٠)، محمد المسؤولية الجنائية للصيدلي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية .
٢٧. الدرشليبي، أحمد سعيد أحمد (٢٠١٧)، دور السياسة الضريبية في تطوير صناعة الدواء في مصر، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، العدد الأول - المجلد الرابع والخمسون، جامعة الإسكندرية .
٢٨. أفلاطون، (١٩٧٠)، الجمهورية، ترجمة: فؤاد زكريا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة .
٢٩. المركز المصري للحق في الدواء (٢٠١٩)، وزارة الصحة المصرية، القاهرة .
٣٠. بدران، إبراهيم جميل (١٩٩٤)، التكنولوجيا الجديدة والمستحدثة في مجال الصحة والدواء، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، القاهرة، ص ١٣ .
٣١. باسكال، جيار (٢٠٠٥)، تغذية الغد، ترجمة: إيمان محمود جمال الدين، المشروع القومي للترجمة، ما الإنساني، العدد ٧١٦ الجزء الأول - الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة .
٣٢. بيان المركز الإعلامي (٢٠٢٢)، مجلس الوزراء، القاهرة .
٣٣. بوبترة، طارق (٢٠١٧)، براءة اختراع الأدوية في ظل اتفاقية التريبس، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ٤٨، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر .
٣٤. بدر، حازم (٢٠١٨)، الدول الفقيرة سوق رابحة لتجارة " الأدوية المغشوشة" ، مجلة الجمعية الطبية الأمريكية .

٣٥. حجازي، مناف عارف (٢٠٠٧)، دليل جودة الرعاية الصحية، شعبة التفتيش والجودة، الأردن .
٣٦. زهران، جمال علي (١٩٩٦)، النظام الدولي والإقليمي بين الاستمرارية والتغير، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة .
٣٧. حامد، محمد رؤف (٢٠٠٥) الدواء في مصر - الأوضاع والمستقبلات بالملف الحالة الصحة، كلية الطب قناة السويس .
٣٨. عبدالرحيم علي (٢٠١٧)، البوابة نيوز، القاهرة .
٣٩. لحول، سامية (٢٠١٥)، أثر سقوط براءات الاختراع للأدوية الأصلية على توجهات السوق العالمي للدواء، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، العدد ٣، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر .
٤٠. واصف، هناء عادل (٢٠١١)، قياس اثر تطبيق منهجية ستة سيجما على العمليات الإنتاجية: بالتطبيق على شركات إنتاج الأدوية الخاصة و متعددة الجنسية بمصر، المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة، العدد ٤، كلية التجارة، جامعة عين شمس، القاهرة .
٤١. حسن، عبدالحميد غزي (٢٠٠٠)، الفياجرا والعجز الجنسي، المجلة الثقافية، الطبعة ٥٠، الجامعة الأردنية، الأردن .
٤٢. زهران، جمال علي (١٩٩٦)، النظام الدولي والإقليمي بين الاستمرارية والتغير، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ٢٣-١٩ .
٤٣. فورد، براين جي (٢٠٠١)، الصراع من أجل الحياة، ترجمة أحمد فوزي عبد الحميد، المشروع القومي للترجمة، المجلس العلي للثقافة، القاهرة.
٤٤. جابر، أمين (٢٠٠٣)، دراسة تأثير الاندماج على تنافسية الصناعات الدوائية الأردنية، رسالة ماجستير، جامعه الأردن .
٤٥. جودة، وماء خالد (٢٠١٧)، تأثير قوانين الملكية الفكرية الصناعية على الصناعات الدوائية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين .
٤٦. منظمة الصحة العالمية (٢٠١٨)، نظام المنظمة العالمي لترصد المنتجات الطبية المتدنية النوعية والمغشوشة ورصدها، ملخص تنفيذي، جنيف .
٤٧. منظمة الصحة العالمية (١٩٤٦)، دستور منظمة الصحة العالمية، جنيف .

٤٨. منظمة الصحة العالمية (٢٠١٧)، الحق في الصحة، صحائف الوقائع .
٤٩. منظمة الصحة العالمية (٢٠١٨)، نظام المنظمة العالمي لترصد المنتجات الطبية المتدنية النوعية والمغشوشة ورصدها، منظمة الصحة العالمية، سويسرا .
٥٠. حساسين، حسين سباعي (٢٠١٢)، أثر إعادة هيكله قطاع الدواء المصرية علي الكفاءة الاقتصادية لشركات الدواء " دراسة مقارنه " مصر . الهند . صربيا، رسالة ماجستير، جامعه عين شمس .
٥١. ميل، جون ستيوارت، النفعية (١٨٦٣م)، ترجمة سعاد شاهرلي حرار (٢٠٠٦)، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ISBN 978-9953-82-534-2.
٥٢. بدر الدين، محمد عبده (٢٠٠١)، إنتاج الأدوية واستهلاكها في مصر - دراسة في الجغرافيا الاقتصادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية .
٥٣. ونيس، هبة (٢٠١٩)، اثر صنع السياسات في قطاع الصحة علي الحصول علي الدواء : ورقة سياسات الصحة، مؤتمر السياسات العامة والعدالة الاجتماعية في مصر، ط ١، دار المرايا للإنتاج الثقافي، القاهرة .
٥٤. شيحة، ليلي (٢٠١٦)، أثر الالتزام بحماية براءات الاختراع علي صناعة الأدوية والحصول عليها : دراسة مقارنة بين الاردن والجزائر، أطروحة دكتوراه، قسم الاقتصاد الدولي، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، جامعة باتنة، الجزائر .
٥٥. عبدالله، أحمد عبد الوهاب حسن (٢٠٠١)، مفهوم ومحددات إدراك المستهلك للخداع الإعلاني وأثره علي قراراته الشرائية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التجارة، فرع بني سويف، جامعة القاهرة .
٥٦. جرار، ذياب (٢٠١٣)، العلاقة بين مقومات التميز بالأداء ونتائجه في قطاع الصناعات الدوائية الفلسطيني، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاقتصادية والإدارية، المجلد ٢١، العدد الثاني .
٥٧. سعد، فاطمة مصطفى محمد (٢٠١٢)، صناعة الدواء في مصر، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة .
٥٨. مراد، محبوب (٢٠١٨)، واقع الصناعة الدوائية الجزائرية في ظل المنافسة العالمية، مجله الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، مجلد ٧، العدد ٦، الجزائر .

٥٩. عطيانى، مراد سليم (٢٠١٤)، عبد الناصر إبراهيم نور، أثرات المرجعية (Benchmarking) التحسين في المستمر لجودة المنتجات والعمليات، المجلة الأردنية في الإدارة الأعمال، العدد ٢ .
٦٠. مجلة جامعة الجزيرة الخاصة (٢٠١٩)، الفصل السابع ، نظرية سلوك المستهلك .
٦١. عبيدات، محمد (٢٠٠٨)، حقوق المستهلك وظاهرة الغش التجاري، ورقة عمل في ندوة بعنوان حماية المستهلك والغش التجاري، شرم الشيخ - القاهرة .
٦٢. عبده، هاني محمد السعيد (٢٠١٤)، شركات صناعة الأدوية وحضانات الأعمال، قسم إدارة الأعمال، كلية التجارة، جامعة قناة السويس .
٦٣. حماد، محمد محمد محمود (٢٠٢٠)، دور التحول الرقمي في تطوير أداء العاملين دراسة ميدانية علي الشركة المصرية لتجارة الأدوية، المجلة العلمية للدراسات والبحوث المالية والإدارية، العدد الثاني، المجلد السابع .
٦٤. دستور جمهورية مصر العربية (٢٠١٤)، الجريدة الرسمية، العدد ٣ مكرر، القاهرة .
٦٥. مجلس حقوق الإنسان (٢٠١٣)، التعليق العام رقم ١٤ المعتمد من لجنة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، الدورة الثانية والعشرين، الأمم المتحدة .
٦٦. مكتبة حقوق الإنسان (٢٠٠٠)، الحق في التمتع بأعلى مستوى من الصحة يمكن بلوغه " المادة ١٢"، جامعة منيسوتا .
٦٧. عطيتو، سلوي حجازي (٢٠١٩)، اقتصاديات صناعة الدواء، العدد الأول، القاهرة .
٦٨. كردي، أحمد السيد طه (٢٠١١)، حماية المستهلك من مخاطر التجارة الإلكترونية، مذكرات غير منشورة، كلية التجارة، جامعة بنها .
٦٩. منظمة الصحة العالمية (٢٠٠٦)، الوباء المسكوت عنه إيجاد حلول عالمية لخطر صحي متنام، جنيف .
٧٠. غاندي، المهاتما (٢٠١٤)، الفارق بين ما نفع وما يسعنا أن نفعل كفيل بحل معظم مشاكل العالم، تقرير التنمية البشرية، البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، الولايات المتحدة الأمريكية .

٧١. شعيب، حنين (٢٠٢١)، أثر تفعيل نظم المعلومات الإدارية والإلكترونية علي تحسين أداء العاملين في ظل الأوبئة والأزمات، دراسة تطبيقية، المجلة العربية للإدارة، العدد ١٢ .
٧٢. تقرير المفوضية الأوروبية (٢٠١٢)، عن قائمة الصناعات المعتمدة علي البحث والتقير والتي تضم ١٤٠٠ شركة بالاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة واليابان (الاتحاد الأوروبي: ٢٠١٢) .
٧٣. تقرير منظمة الشفافية الدولية (٢٠١٩)، الفساد وتقليد الأدوية والمنتجات الصيدلانية، لندن .
٧٤. هيئة الرقابة الدولية للأدوية (٢٠١٦)، الأمم المتحدة، فيينا .
٧٥. حماد، محمد محمد (٢٠٢٠)، دور التحول الرقمي في تطوير أداء العاملين دراسة ميدانية على الشركة المصرية لتجارة الأدوية، المقالة ٢٣، المجلد ٧، العدد ٢، كلية العلوم المالية وإدارية، جامعة فاروس، الإسكندرية .
٧٦. خوجة، توفيق بن أحمد (٢٠١٢)، لائحة تسجيل شركات الأدوية ومنتجاتها، اللجنة الخليجية المركزية للتسجيل الدوائي، ص ١٣ .
٧٧. ملياني، نادية (٢٠١٦)، اتجاهات استهلاك الدواء في المجتمع الجزائري : دراسة ميدانية بولاية عنابة، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور بالجلفة، العدد ٢٢، الجزائر .
٧٨. عبدالصاوق، محمد سامي (٢٠٠٨)، مسؤولية منتج الدواء عن مضار منتجاته المعيبة (دراسة مقارنة)، بحث منشور في مجلة القانون والاقتصاد للبحوث العدد ٨٠، جامعة القاهرة .
٧٩. علي، قاسم إسماعيل (٢٠٠٧)، المسؤولية المدنية الناشئة عن بيع الأدوية الطبية (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، قدمت إلى مجلس كلية القانون - الجامعة المستنصرية، العراق .
٨٠. عبدالمجيد، رضا عبدالحليم (٢٠٠٥)، المسؤولية القانونية عن انتاج وتداول الأدوية والمستحضرات الصيدلانية، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة .
٨١. عز العرب، محمد (٢٠١٨)، جرس إنذار، المركز المصري للحق في الدواء، القاهرة .

٨٢. نعاس، خاضر (٢٠١٧)، تقليد الأدوية الأصلية وأثره علي حفظ الصحة العامة، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، الجلفة، جامعة زيان عاشور .
٨٣. مجاهد، محمد أحمد (٢٠١٩)، الحملات التفتيشية علي الصيدليات، المكتب الإعلامي، مديرية الصحة، الإسماعيلية .
٨٤. تاج الدين، عوض (٢٠٠٣)، السياسات الدوائية في مصر: الأوضاع - الإشكاليات - المستقبلات، منتدى السياسات العامة، مركز دراسات واستشارات الإدارة العامة، جامعة القاهرة، العدد ١٦ "أبريل"، ص ٣٣ .
٨٥. وزاره التجارة الخارجية والصناعة (٢٠٠٦)، قطاع بحوث التسويق والدراسات السلعية والمعلومات دراسة عن: الصناعات الدوائية المصرية ومتغيرات البيئة الدولية في ظل تطبيق اتفاقيه حماية حقوق الملكية الفكرية، القاهرة .
٨٦. مجلة الجمعية الأمريكية JAMA, 2018 .
٨٧. جريدة نجوم مصر (٢٠١٦)، ضبط مصنع أدوية فيروس سي مغشوشة ومسرطنة، تقرير صحفي، ٢٤/١٢/٢٠١٦ .
٨٨. بوابة فيتو (٢٠١٦)، المتاجرون بأكباد المصريين "مصانع بير السلم"، تقرير صحفي، ٢٢/١٢/٢٠١٦ .
٨٩. جريدة الوطن (٢٠١٦)، ضبط وإحضار نجل وكيل لجة الإسكان بالبرلمان في قضية الأدوية المغشوشة، تقرير صحفي، ٢٤/١٢/٢٠١٦ .
٩٠. جريدة اليوم السابع (٢٠١٧)، الصحة: ضبط ٣٦٢٧٠ الف قرص منشط جنسياً، تقرير صحفي ١٨/١٢/٢٠١٧ .
٩١. جريدة اليوم السابع (٢٠١٩)، رباعي تسويق الدواء المغشوش في قضية الصيدلي، تقرير صحفي ٢٢/١/٢٠١٩ .
٩٢. جريدة المال (٢٠١٩)، دواء السوشيال ميديا " سم قاتل": بيان اعلامي، وزارة الصحة المصرية، ٢٢/٤/٢٠١٩ .
٩٣. جهاز حماية المستهلك (٢٠١٧)، ٨ بلاغات للنيابة العامة ضد منتج أبلكس، بيان إعلامي، ١٢/٨/٢٠١٧ .

٩٤. صدقي، أنور محمد ( ٢٠٠٩)، المسؤولية الجزائية عن الجرائم الاقتصادية (دراسة تحليلية تأصيلية مقارنة)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.
٩٥. تقرير المركز المصري للحق في الدواء (٢٠٢٠)، وزارة الصحة، القاهرة .
٩٦. محمود محمد (٢٠٠٨)، الحماية الجنائية للمستهلك في القوانين الخاصة (دراسة مقارنة)، المكتبة العصرية، القاهرة .
٩٧. مسعد، محمد محمد القطب (٢٠١٢)، المسؤولية المدنية الناشئة عن أضرار الدواء، (مشكلاتها وخصوصية أحكامها)، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة المنصورة .
٩٨. علي، عاص إبراهيم (١٩٩٣)، جريمة التخريب الاقتصادي، أطروحة دكتوراه، كلية القانون، جامعة بغداد .
٩٩. عبدالصاوق، محمد سامي (٢٠٢٠)، مسؤولية منتج الدواء عن مضار منتجاته المعيبة (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، القاهرة .
١٠٠. يحيوي، حسنية (٢٠١٨)، البيوتكنولوجيا والصناعة الصيدلانية العربية: حالة الإمارات العربية المتحدة والمغرب والجزائر، مجلة البشائر الاقتصادية، مج٤، ع١، جامعة طاهري محمد، بشار - كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، الجزائر .
١٠١. بدوي، أحمد زكي (١٩٨٢)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.
١٠٢. توما، الأكويني، الخلاصة اللاهوتية (١٢٦٥-١٢٧٤)، ترجمة خوري بولس عواد (١٨٨٧م)، المطبعة الأدبية، الطبعة الأولى، بيروت.

### المراجع الأجنبية:

- 1- Amerson, Katherine (2007), Direct-to-consumer pharmaceutical advertising in men's and women's magazines, unpublished master's thesis, Texas Tech University: Texas, USA. (Unpublished Thesis) .
- 2- Barajas, Joshua (2016), "How many people does it take to keep a conspiracy alive?". PBS NEWSHOUR. Public Broadcasting Service (PBS) .



- 3- Bonanomi, M. M., Hall, D. M., Staub-French, S., Tucker, A., & Talamo, C. M. L. (2019). "The impact of digital transformation on formal and informal organizational structures of large architecture and engineering firms", *Engineering, Construction and Architectural Management* .
- 4- Bienhaus, F. & Haddud, A. (2018). "Procurement 4.0: factors influencing the digitisation of procurement and supply chains", *Business Process Management Journal*, 24, 4.
- 5- Besterfeild, M. (2003), *Total Quality Management*, Translated by Rashid Hammali ,Scientific Publishing and printing presses, King Saud University, Riyady .
- 6- Castellan, j (2010), *pharmaceutical Research and Manufacturers of America* .
- 7- Josepch, Dimasi (1991), A et al "Cost of Innovation in the pharmaceutical Industry", *Journal of Health Economics* .
- 8- Ministry of Health and Population (2010), *National health accounts 2009-2010*, Egypt .
- 9- Iskander, Dina (2012) *TRIPS and access to medicines in Egypt*. Unpublished paper.
- 10-Glass, Jennifer, Lanctôt, Krista, Herrmann, Nathan, Sproule, Beth and Busto, Usoa (2005), *Sedative hypnotics in older people with insomnia: meta-analysis of risks and benefits*, *BMJ*, (331).
- 11-Wazaify, Mayyada, Al-Bsoul, Abla, Abu-Garbieh, Eman, Tahaine, Linda (2008), *Societal perspectives on the role of community pharmacists and over-the-counter drugs in Jordan*, *Pharm World Sci*, (30): 884-891 .
- 12-Plesner, U., Justesen, L., & Glerup, C. (2018).” *The transformation of work in digitized public sector organizations*”. *Journal of Organizational Change Management*, 31(5) .
- 13-Nebeker JR, Barach P, Samore MH (2004), "Clarifying adverse drug events: a clinician's guide to terminology, documentation, and reporting". *Ann. Intern. Med.*
- 14-Aronson JK (2002), *Drug therapy*. In: Haslett C, Chilvers ER, Boon NA, Colledge NR, Hunter JAA, eds. *Davidson's principles and practice of medicine 19th ed*. Edinburgh: Elsevier Science.

- 15-DeVane CL (2002). "Clinical significance of drug binding, protein binding, and binding displacement drug interactions". Psychopharmacology bulletin.
- 16-Benet LZ, Hoener BA (2002), "Changes in plasma protein binding have little clinical relevance". Clin. Pharmacol. Ther. 71 (3): 115
- 17-Holvey, C; Connolly, A.; Taylor, D. (August 2010). "Psychiatric side effects of non-psychiatric drugs". British journal of hospital medicine (London, England : 2005 .
- 18-Baber, William. (2019).” Effectuation logic in digital business model transformation”. Journal of Small Business and Enterprise Development, 26, 7.
- 19-Plesner, U., Justesen, L., & Glerup, C. (2018).” The transformation of work in digitized public sector organizations”. Journal of Organizational Change Management, 31.
- 20-Natras, N.; Kalichman, S. (2009), Denying AIDS: conspiracy theories, pseudoscience, and human tragedy. Springer.ISBN 9780387794754.
- 21-Porta M, editor. Greenland S, Hernán M, dos Santos Silva I, Last JM, associate editors (2014). "A dictionary of epidemiology", 6th. edition. New York: Oxford University Press. [1] ". Archived from the original on 31 .
- 22-James F. Broderick; Miller, Darren W. (2008). "Chapter 16: The JFK Assassination". Web of Conspiracy: A Guide to Conspiracy Theory Sites on the Internet. Medford, New Jersey: Information Today, Inc./CyberAge Books.
- 23-Goldberg, Robert Alan (2001). Enemies Within: The Culture of Conspiracy in Modern America. Yale University Press. ISBN 0-300-09000-5.
- 24-Anand, Paul. Foundations of Rational Choice Under Risk Oxford, Oxford University Press. 1993 reprinted 1995, 2002
- 25-Kreps, David M. Notes on the Theory of Choice. Boulder, CO. Westview Press. 1988 .
- 26-Fishburn, Peter C. Utility Theory for Decision Making. Huntington, NY. Robert E. Krieger Publishing Co. 1970. ISBN 978-0471260608 .

الحركة الكشفية الليبية وأهداف التنمية المستدامة  
"دراسة حالة مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات"

د. محمد شحاتة عبدالنبي واصل  
أستاذ علم الاجتماع المشارك  
جامعة طبرق، ليبيا

doi: 10.21608/jfpsu.2022.142304.1193

## الحركة الكشفية الليبية وأهداف التنمية المستدامة "دراسة حالة مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات"

### مستخلص

تهدف الدراسة الراهنة إلى محاولة التعرف على واقع دور مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتنتمي إلى الدراسات الوصفية، وقد اعتمد فيها الباحث على منهج دراسة الحالة، وقام باستخدام دليل دراسة الحالة والمقابلات غير المقننة والملاحظة المشاركة كأدوات لجمع البيانات. وجاءت أبرز نتائج الدراسة متمثلة في: حرص المفوضية في أنشطتها على تحقيق أهداف التنمية المستدامة، حيث يتم تغطية الجانب الاجتماعي (الأهداف: الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس عشر)، ويتم تغطية الجانب الاقتصادي (الأهداف: الثاني والخامس والثامن والتاسع والثاني عشر والسابع عشر)، كما يتم تغطية الجانب البيئي (الأهداف: السادس والسابع والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر). وأن أهم المعوقات التي تعوق المفوضية في دعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة عدم توفر التمويل المالي الكافي لتنفيذ البرامج والأنشطة نقص التمويل أهم المعوقات التي تعوق المفوضية عن تحقيق أهدافها، وأن أهم مقترحات تفعيل دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة يتمثل في توفير التمويل المالي والكافي.

**الكلمات المفتاحية:** الحركة الكشفية ، أهداف التنمية المستدامة، كشافة، معوقات،

مرشدات.

## Libyan Scouting Movement and the goals of Sustainable Development: A Case Study of the Tobruk Commission for Scouts and Guides

### Abstract

The current study aims to try to identify the reality of the role of the Tobruk Commission for Scouts and Guides in achieving the sustainable development goals, and it belongs to descriptive studies, in which the researcher relied on the case study approach, and used the case study guide, unstructured interviews and participatory observation as tools for data collection. The most prominent results of the study were represented in: the Commission's keenness in its activities to achieve the goals of sustainable development, where the social aspect is covered (goals: first, second, third, fourth, fifth and sixteenth), and the economic aspect is covered (objectives: second, fifth, eighth, ninth, twelfth and seventeenth). The environmental aspect is also covered (goals: sixth, seventh, eleventh, twelfth, thirteenth, fourteenth and fifteenth). And that the most important obstacles that hinder the Commission in supporting the achievement of the sustainable development goals are the lack of sufficient financial funding to implement programs and activities. The lack of funding is the most important obstacle that hinders the Commission from achieving its goals, and that the most important proposals to activate the role of the scouting movement in achieving sustainable development goals is to provide adequate and financial funding.

**Keywords:** Scouting Movement, Sustainable Development Goals, scouting, obstacles, guides.

## مقدمة

في ٢٥ سبتمبر عام ٢٠١٥م، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠م، للتنمية على المستوى الدولي لما بعد ٢٠١٥م وحتى عام ٢٠٣٠م، وتتضمن الخطة ١٧ هدفاً للتنمية المستدامة و١٦٩ غاية مرتبطة بها، ويتم مراقبتها من خلال ٢٣٢ مؤشراً (١).

وتعتبر خطة التنمية المستدامة ٢٠٣٠م عن تحول جذري في مفهوم التنمية بمعناه التقليدي؛ حيث جمعت الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والسياسية والثقافية في سياق متكامل وشامل وأسست له مبادئ راسخة واستندت إلى مرجعيات تلتزم بحقوق الإنسان والاحترام التام للقانون الدولي لتحقيق الأهداف التنموية بشكل مستدام على نحو لا يستثنى أحد (٢).

وتُعزز أطر العمل التنموية لما بعد ٢٠١٥م، التي تؤكد على الشراكات الجديدة والمشاركة المحلية، العمل التطوعي والطرق المنهجية القائمة على الأشخاص لتحقيق التنمية (٣).

وفقاً للتقديرات، يتطوع ما يقارب من مليار شخص بهدف تعزيز أهداف التنمية المستدامة في العديد من المجالات مثل: تقديم الرعاية الطبية، واتخاذ الإجراءات التي تخدم القضايا المناخية، وتقديم المساعدة الفنية، ورصد إعادة الإعمار بعد الكوارث (٤).

وتعترف خطة التنمية المستدامة عام ٢٠٣٠م بشكل حاسم بالدور الرئيسي الذي يقوم به جيل الشباب لضمان إنجازها، من خلال النص على أن "الشباب، إنانا وذكورا، هم عوامل التغيير الحاسمة، فإنهم سيجدون في الأهداف الجديدة مجالاً يوجهون من خلاله قدراتهم اللامتناهية في إطار سعيهم الدؤوب إلى إيجاد عالم أفضل" (٥). منذ تأسيس اللورد الإنجليزي بادن باول للحركة الكشفية في بداية القرن العشرين (٦)؛ تستهدف الحركة المساهمة في تنمية الشباب من خلال الاستفادة الكاملة من قدراتهم البدنية والعقلية والعاطفية والاجتماعية والروحية كأفراد وكمواطنين مسئولين وكأعضاء في مجتمعاتهم المحلية والوطنية والعالمية (٧)، لذلك تتمتع الحركة الكشفية بالقدرة على تمكين الشباب من المشاركة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتخلق بينهم آليات تضامنية، وتعتبر

الكشافة من أجل أهداف التنمية المستدامة أكبر نشاط منسق في العالم للشباب يشارك فيه ٥٠ مليون شاب في مليوني نشاط محلي يتعلق بالأهداف السبعة عشر ويقدم ثلاثة مليارات ساعة إضافية من خدمة المجتمع من أجل أهداف التنمية المستدامة (٨).

### أولاً: أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة الراهنة فيما يلي:

#### الأهمية المعرفية

- أهمية موضوع الدراسة ذاته، وهو الحركة الكشفية وأهداف التنمية المستدامة، وحاجة المجتمع الليبي إلى تنشيطها وزيادة فاعليتها، لتحقيق أهداف التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠.

- هناك ندرة في الدراسات التي تناولت الحركة الكشفية وأهداف التنمية المستدامة في ليبيا، على حد علم الباحث تعد المحاولة البحثية الأولى التي تتناول دور الحركة الكشفية الليبية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

- مواكبة الدراسة الاهتمام المتنامي على كافة الأصعدة العالمية والقومية والمحلية عن دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

#### الأهمية التطبيقية

تمثلت الأهمية التطبيقية للدراسة في: ربما توجه نتائج وتوصيات هذه الدراسة نظر الجهات المختصة ذات العلاقة بالحركة الكشفية، وكذلك المجتمع بمختلف فئاته وقطاعاته إلى المعوقات التي تواجه الحركة الكشفية، ما قد يساعد على رسم استراتيجية ترنو إلى إزالة هذه المعوقات أو العمل على التخفيف من حدتها لدعم وتفعيل الدور المأمول للحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة للمجتمع الليبي.

### ثانياً: مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

تعد الحركة الكشفية الليبية بمفوضياتها الـ ٢٥ مفوضية، والمنسبين لها البالغ عددهم ٢١٠٠٠ عضواً في العام الكشفي ٢٠٢٠م-٢٠٢١م (٩)؛ بمثابة المحرك لدعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة، لما لها من قوة وفاعلية داخل المجتمع الليبي في الوقت

الراهن؛ حيث تعد أكثر قطاعات العمل التطوعي انضباطاً ومؤسسية وشفافية، ويتجسد فيها إنجازات الشباب الذين سيقودون عملية التغيير والتنمية في مجتمعهم من أجل عالم أفضل، ولكونها أكثر قدرة وفاعلية على الوصول إلى أفقر الفقراء والمهمشين، فضلاً عن اتساع نشاطها ومجال عملها في خدمة وتنمية المجتمع دون انتظار عائد مادي أو تحقيق مصلحة شخصية؛ وتمارس دورها المنوط بها في بناء القدرات البشرية، وحماية البيئة وتقديم الخدمات التعليمية والثقافية والصحية والعون للمتضررين من النزاعات، وتنفيذ حملات توعوية للوقاية من جائحة كورونا (كوفيد ١٩)، وغير ذلك. الأمر الذي دفع الباحث إلى محاولة الكشف عن دور الحركة الكشفية الليبية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في تساؤل رئيس: ما واقع دور مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة؟ ويتفرع من هذا التساؤل الرئيس، تساؤلات فرعية هي:

- ما تاريخ الحركة الكشفية في ليبيا؟
- ما أهم ملامح الهيكل التنظيمي والمؤسسي لمفوضية طبرق للكشافة والمرشدات؟
- ما طبيعة البرامج والأنشطة التنموية التي تقدمها مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات لتحقيق أهداف التنمية المستدامة؟
- ما أهم معوقات تحقيق مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات لأهداف التنمية المستدامة؟
- ما رؤية قادة/ قائدات مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات لزيادة فاعلية دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة؟

### ثالثاً: أهداف الدراسة

- تهدف هذه الدراسة بوجه عام إلى محاولة تحديد أهم أدوار مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وفي ضوء هذا الهدف العام تحاول الدراسة تحقيق أهداف فرعية هي:
- التعرف على التطور التاريخي للحركة الكشفية في ليبيا.
  - التعرف على أهم ملامح البناء التنظيمي والمؤسسي لمفوضية طبرق للكشافة والمرشدات.



- تحديد أهم برامج و أنشطة مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.
- التعرف على أهم المعوقات التي تواجه مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.
- الكشف عن رؤية قادة / قائدات مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات لزيادة فاعلية دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

#### رابعاً: مفاهيم وقضايا الدراسة

##### ١- مفهوم الحركة الكشفية

عرف "بادن باول" الحركة الكشفية بأنها: مدرسة تعد الإنسان إلى الحياة العامة النشيطة عن طريق الاعتماد على الطبيعة، و رفع قيمة الفرد بتنمية أخلاقه وصحته وإمكانياته العلمية، وغرس الروح الوطنية فيه لكي يسخر هذه الكفاءات لخدمة الناس الآخرين (١٠).

وتعرفها "اللجنة الكشفية العالمية" بأنها: حركة تربوية للشباب ذات طابع تطوعي غير سياسي، وهي متاحة للجميع دون تفرقة في الجنس (ذكر أو أنثى) أو الأصل أو العرق أو العقيدة، وذلك وفقاً للهدف والمبادئ التي ابتكرها مؤسس الحركة (١١).

كما تعرف بأنها: حركة تربوية في جوهرها، تساعد وتساند كل المؤسسات الاجتماعية لأداء واجبها على أكمل وجه، ابتداء من الأسرة وانتهاء بالدولة (١٢).

ويعرف القانون رقم (١٢) لسنة ١٩٧٥م بشأن تنظيم الحركة العامة للكشافة والمرشدات في ليبيا الحركة الكشفية بأنها: هيئة تربوية اجتماعية أهلية ذات نفع عام تحمل اسم (الحركة العامة للكشافة والمرشدات) (١٣).

**التعريف الإجرائي للحركة الكشفية في إطار الدراسة الراهنة:** أنها حركة تطوعية غير سياسية ولا ربحية، مفتوحة للجميع دون تمييز في الأصل أو في الجنس أو العقيدة، تهدف إلى تربية وتنمية قدرات المنخرطين فيها ليكونوا مواطنين صالحين قادرين على المشاركة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة لمجتمعهم، وذلك من خلال تنفيذ برامج وأنشطة كشفية متنوعة، بإشراف قادة مدربين، و تعتمد في تمويلها على مواردها الذاتية أو دعم من الدولة

أو تبرعات من أفراد المجتمع، وتمارس أنشطتها في إطار ما تصدره الدولة من تشريعات تنظم عمل الحركة الكشفية.

## ٢- مفهوم التنمية المستدامة

يعد مفهوم التنمية Development من أكثر المفاهيم التي شاعت في كتابات العلوم الاجتماعية، وقد ظهر أولاً في الأدبيات الاقتصادية ثم الاجتماعية، ومع عقد الستينيات من القرن المنصرم استخدم في الأدبيات السياسية والإدارية حتى تبنته هيئة الأمم المتحدة لتنضوي تحته كل الخطط والسياسات والبرامج والموازنات الموجهة إلي إحداث التغيير والإصلاح (١٤).

كان مفهوم التنمية يستخدم من قبل مدارس اقتصادية - اجتماعية مختلفة، بصفته مفهوماً بديلاً من مفهوم النمو. ويتميز مفهوم التنمية بطبيعة المركب، كونه لا يقتصر على البعد الاقتصادي - كما هي حال مفهوم النمو بشكل عام، كما أن التنمية كان ينظر إليها بصفتها عملية تحول مجتمعية تجمع بين الاقتصاد والاجتماع والتغير السياسي والمؤسسي في معظم المدارس السائدة، بماهي عملية متكاملة وضرورية للخروج من حالة التخلف التي تسود دول المستعمرات السابقة بشكل خاص (١٥).

ولما كان البشر هم وسيلة التنمية وغايتها، فإن التنمية الحقيقية هي " التنمية البشرية"، ومنذ صدور تقرير التنمية البشرية في عام ١٩٩٠ عرف التنمية البشرية بأنها عملية توسيع نطاق الخيارات أمام الناس. وأهم هذه الخيارات هي العيش حياة طويلة في صحة جيدة، والتعلم، والتمتع بمستوى معيشي لائق (١٦).

ويمكن تعريف التنمية بشكل عام بأنها عملية شاملة ومستمرة تعنى بتطوير جوانب الحياة الاقتصادية

والسياسية والاجتماعية والثقافية والأيدولوجية، وتحدث تغيرات كمية وكيفية وتحولات هيكلية تستهدف الارتقاء بمستوى المعيشة لكل أفراد المجتمع والتحسين المستمر لنوعية الحياة من خلال الاستخدام الأمثل للموارد والإمكانيات المتاحة (١٧).

وقد بزغ في الخطاب العالمي خلال السبعينيات من القرن العشرين مفهوم ومدخل جديد للتنمية اصطلح على تسميته التنمية المستدامة Sustainable Development، وهو آخر صيحاتها الآن، و صار مفهوماً عاماً، تطلب الوثائق

الدولية، وآخرها جدول أعمال التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، من جميع الدول أن تتبناه وأن تعمل على تحقيق أهدافه السبعة عشر (١٨).

وطرح مفهوم التنمية المستدامة لأول مرة في ملتقى الاتحاد الدولي للحفاظ على البيئة حيث تناول هذا الملتقى قضايا عدة كان من أبرزها الحفاظ على العمليات الإيكولوجية، والاستخدام الدائم والمتجدد للموارد، والحفاظ على التنوع الوراثي (١٩).

حاولت "ليلاي" تعقب المعاني السيميوطيقية للمفهوم - التاريخ النظري - الذي يعود في الأصل إلى إدارة الغابات ومصايد الأسماك، وعرفت الاستدامة بأنها شكل من أشكال التغيير المجتمعي بجانب الأهداف الترموية التقليدية، وتضم ثلاث معان، استمرارية شيء ما، الحفاظ على الأساس الإيكولوجي للحياة الإنسانية، والبناء والقيم الاجتماعية المرغوبة (٢٠).

منذ صدور تقرير "مستقبلنا المشترك"، والذي أعدته اللجنة العالمية للبيئة والتنمية عام ١٩٨٧م عُرفت التنمية المستدامة بأنها: التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية احتياجاتها (٢١). ويعتبر التعريف السابق بمثابة تعريفاً معيارياً للتنمية المستدامة نتيجة لشيوع استخدامه واقتباسه في المراجع المهمة بهذا الموضوع وقد أدى استخدام هذا التعريف بالكثيرين إلى اعتبار التنمية المستدامة، هي التي تبدي تركيزاً ضخماً على الإنصاف بين الأجيال (٢٢).

والتنمية المستدامة والمتواصلة، هو نموذج التنمية الذي يستطيع من خلاله أفراد المجتمع تنمية أنفسهم ومؤسساتهم بالطريقة التي تجعلهم قادرين على تعبئة مواردهم لإحداث تحسن مستمر لنوعية الحياة التي يعيشونها بمختلف جوانبها، أي هي تنمية اجتماعية اقتصادية سياسية ثقافية بيئية تعتمد على عوامل اجتماعية مؤسسية (٢٣).

كما أن تأمين التمويل لتحقيق التنمية المستدامة يعتمد على تطوير المنظومة الاقتصادية لتساهم في زيادة القدرات الوطنية والتوزيع العادل والتحول نحو الاقتصاد المنتج بدل الاقتصاد المستهلك، وإقامة شراكة فعالة بين مختلف الأطراف من حكومات ومصارف ومؤسسات لتمويل، القطاع الخاص، المجتمع المدني، والمجتمع الدولي (٢٤).

هذا وقد تعددت المداخل والتصورات والمنظورات في تناول المفهوم إلى مدخل بيئي وآخر اقتصادي وثالث اجتماعي، تشكل في مجموعها الإطار النظري للتنمية

المستدامة، بحيث يركز المدخل البيئي على الموارد الطبيعية ويسعى من أجل الإبقاء على عناصر الحياة الأساسية كما يحافظ على التنوع الحيوي للكائنات والمخلوقات على الكرة الأرضية، أما المدخل الاقتصادي فإنه يتوجه نحو تلك الحاجات والتمتطلبات المادية للإنسان عبر شبكة معقدة من الإنتاج والاستهلاك، أما المدخل الاجتماعي فإنه يهدف إلى الإبقاء على التنوع الحضاري والثقافي وتحقيق العدل الاجتماعي من خلال المشاركة الفعالة في الحياة العامة (٢٥).

وتشير رؤية خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠، إلى أن الديمقراطية والحكم الرشيد وسيادة القانون وتوافر بيئة مواتية على الصعيدين الوطني والدولي أمورًا أساسية لتحقيق التنمية المستدامة، بما في ذلك النمو الاقتصادي المطرد والشامل، والتنمية الاجتماعية، وحماية البيئة، والقضاء على الفقر والجوع (٢٦).

**التعريف الإجرائي للتنمية المستدامة في إطار الدراسة الراهنة:** هي البرامج والأنشطة الكشفية التي تقوم بها مفوضية طبوق للكشافة والمرشدات لتحقيق أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر، القضاء على الفقر، والجوع، وصولاً إلى الصحة الجيدة، والتعليم الجيد، والمساواة بين الجنسين، وغير ذلك، بما يتوافق مع احتياجات المجتمع وإمكاناته دون الإضرار بالبيئة وضمان مصالح وموارد الأجيال المقبلة.

### ٣- ماهية الحركة الكشفية

نشأت الحركة الكشفية منذ أقدم العصور، وكانت حياة العرب منذ فجر التاريخ كما يرى بعضهم حياة كشفية في أغلبها؛ كالاتماد على النفس في الحياة، وحياة الخلاء (٢٧)، في عام ١٩٠٧م، أسس "بادن باول" الحركة الكشفية كوسيلة لتدريب الفتى على الصبر وقوة الاحتمال والثقة بنفسه، وتكوين شخصيته وتنشئته تنشئة وطنية واجتماعية تبعث في نفسه الاعتزاز بقومته وتزوده بالمثل العليا التي ينبغي أن تتوفر في المواطن المستنير، وفي الوقت ذاته تغرس فيه محبة الناس جميعاً وتهيئه للعمل والسلام والإخاء العالمي (٢٨)، وسرعان ما انتشرت الحركة الكشفية في العديد من دول العالم، في عام ١٩٠٨م، ظهرت فرق الكشافة الأولى في كندا وأستراليا ونيوزلندا، وتوالت الدول الأخرى في الانضمام للحركة الكشفية (٢٩)، وفي عام ١٩٠٩م انطلقت حركة المرشدات (٣٠)، وفي عام ١٩٢٠م، عقد أول مهرجان عالمي للكشافة، وقد انتشرت

الكشافة بعد ذلك في جميع أنحاء العالم بين الحربين العالميتين فيما عدا الدول الشيوعية حيث حُظر نشاطها (٣١)، وقد عرفت البلاد العربية الحركة الكشفية عام ١٩١٢م في لبنان وفلسطين ثم سوريا ١٩١٣م ودخلت مصر عام ١٩١٤م، ثم باقي الدول العربية (٣٢)، والحركة الكشفية حركة عالمية، يبلغ عدد أعضائها ٢٥٠ مليون عضوًا تقريبًا في ٢٠٠ دولة من مختلف أنحاء العالم (٣٣).

### وتتمثل مبادئ الحركة الكشفية فيما يلي:

- الواجب نحو الله والذي يتطلب الالتزام والتمسك بمبادئ الدين والعمل بإرشاداته.
- الواجب نحو الآخرين: بحيث يكون الولاء للوطن مع تعزيز السلام والصدقة والتفاهم والعمل والمشاركة في خدمة المجتمع وتنميته مع الاعتراف بحقوق الآخرين واحترامها.
- الواجب نحو الذات، حيث يرتبط الإنسان بتحمل مسؤولية نفسه في تنمية قدراته ليكون قادرًا على نفع الآخرين والقيام بالأعمال التطوعية (٣٤).

### وقد نص دستور المنظمة الكشفية العالمية على عشرة بنود تمثل قانون

الكشافين في أنحاء العالم وهي: شرف الكشاف موثوق فيه، والكشاف مخلص، وواجب الكشاف أن يكون نافعاً وأن يساعد الآخرين، والكشاف صديق للجميع وأخ لكل كشاف آخر، والكشاف دمث الخلق (مؤدب)، والكشاف صديق ورفيق للحيوان، والكشاف مطيع لأوامر والديه وقائد الطليعة وقائد الكشافة دون مناقشة، والكشاف يبتسم عند مواجهة كل الصعاب، والكشاف مقتصد، والكشاف طاهر الفكر والقول والعمل (٣٥).

### وثمة خصائص أساسية تتميز بها الحركة الكشفية يمكن عرضها على النحو التالي:

- حركة تربية: فكلمة (حركة) تعني مجموعة من الأنشطة المنظمة تؤدي إلى تحقيق هدف معين، وكلمة (تربية) تعني أنها نشاط تربوي منظم غير رسمي موجه أساساً للجميع.

- تطوعية: تؤكد حقيقة انضمام الأفراد إليها بإرادتهم الشخصية وتقبلهم لمبادئ الحركة بمحض إرادتهم.

- غير سياسية: تعني أنها لا تتدخل في الصراعات السياسية أو الحزبية وإنما غير متحيزة لأي حزب أو تنظيم سياسي، إلا أنها لا تتعزل عن السياسة فالكشافة تهدف بالمقام الأول إلى تنمية المسؤولية الوطنية ولا يتأتى ذلك دون وعي بالواقع السياسي للدولة.

- موجهة للفتية والشباب دون تمييز ومفتوحة للجميع: أي من حق كل فتى وشاب الانضمام للحركة الكشفية (٣٦).
- حركة قومية: لأنها ترمى بواسطة مبادئها وتدريباتها إلى إعداد مواطنين أصحاء العقول نافعين لبلادهم.
- دولية: لأنها لا تعترف بأي نوع من الموانع الأهلية التي تقف في سبيل إخاء الكشافين وصدقتهم.
- عالمية: لأنها توجب الإخاء العالمي بين جميع كشافي الدول المختلفة على تنوع أجناسهم وطبقاتهم وعقائدهم (٣٧).
- وتقسم المراحل الكشفية إلى عدة مراحل هي: مرحلة الأشبال (٧-١١ سنة) و شعار هذه المرحلة أبذل جهدي، ومرحلة الفتيان (١٢-١٤ سنة) وشعار هذه المرحلة كن مستعداً، ومرحلة الكشاف المتقدم (١٥-١٧ سنة) وشعار هذه المرحلة أفق واسع، ومرحلة الجواله (١٨-٢٤ سنة) وشعار هذه المرحلة تنمية المجتمع (٣٨)، ومرحلة القيادة وهي عندما ينتهي الفرد من مرحلة الجواله إلى أعلي، ومرحلة الرواد (٤٠ سنة فأكثر) (٣٩)، وأخيراً تم اعتماد مرحلة ما قبل الأشبال (مرحلة البراعم من ٤ - ٧ سنوات) عن طريق المؤتمرات الكشفية العالمية (٤٠)، على الرغم من الأهمية المتعاضمة لمرحلة البراعم، إلا أنها غير معتمدة في الحركة الكشفية الليبية.

#### ٤- أهداف التنمية المستدامة

في عام ٢٠٠٠م، تعهد رؤساء الدول والحكومات بمجموعة أهداف إنمائية للألفية، وتركز الأهداف الإنمائية الثمانية للألفية، إلى جانب الغايات المرتبطة بها، على الفقر والجوع ووفيات الأمهات والأطفال والأمراض المعدية والتعليم وعدم المساواة بين الجنسين والأضرار البيئية والشراكة العالمية من أجل التنمية (٤١)، وقد حققت الكثير من الدول تقدماً كبيراً تجاه تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية، ولكن لم يتم تحقيق الكثير من الأهداف، وكانت هناك حاجة لبذل مجهودات إضافية للوصول بالتنمية لما بعد ٢٠١٥م (٤٢)، وفي سبتمبر عام ٢٠١٥م، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠م، وتتضمن الخطة ١٧ هدفاً للتنمية المستدامة و ١٦٩ غاية مرتبطة بها-كما سبقت الإشارة- وبحلول نهاية عام ٢٠٢٠ م، كان الموعد النهائي ل ٢١

غاية من الغايات ال ١٦٩ المحددة لأهداف التنمية المستدامة (٤٣)، ويصادف العام ٢٠٢٢م، السنة السابعة من البدء في تنفيذها، وتسعى أهداف التنمية المستدامة، إلى مواصلة مسيرة الأهداف الإنمائية للألفية والتي انتهت في عام ٢٠١٥م، وإنجاز ما لم يتحقق منها (٤٤)، وهي ذات طبيعة عالمية وتنطبق بصورة شاملة على جميع البلدان مع أخذ الواقع الوطني ومستويات التنمية في الاعتبار (٤٥)، ومتكاملة وغير قابلة للتجزئة، والعنصر الموحد بين أهداف التنمية المستدامة والغايات المتصلة بها هو الالتزام بالقضاء على الفقر (٤٦)، كما تسعى إلى إعمال حقوق الإنسان للجميع (٤٧)، وبحسب اليونسكو يندرج التعليم في صميم أهداف التنمية المستدامة، ومن ثم ينبغي أن يكون جزءاً من الاستراتيجيات الرامية إلى بلوغ كل هدف من هذه الأهداف (٤٨).

كما تُعتبر أهداف التنمية المستدامة، بلا ريب، إطاراً وخارطة طريق للسعادة وجودة الحياة على الصعيد العالمي، وتكشف الأبحاث في مجال السياسات أنّ أهداف التنمية المستدامة تُسهم في السعادة والعكس صحيح (٤٩)، وعلى الرغم من أنّ أهداف التنمية المستدامة ليست ملزمة قانونياً فإن من المتوقع أن تأخذ الحكومات زمام ملكيتها وتضع أطر وطنية لتحقيقها، ولذا؛ فالدول هي التي تتحمل المسؤولية عن متابعة التقدم المحرز واستعراضه (٥٠).

وبحسب تقرير مؤشرات ولوحات متابعة أهداف التنمية المستدامة للمنطقة العربية لعام ٢٠١٩م، لا تحرز المنطقة العربية درجة عالية من حيث تحقيق أهداف التنمية المستدامة، فقد حصلت على ٥٨ درجة من أصل ١٠٠ (٥١)، ووفقاً للتقرير العربي للتنمية المستدامة ٢٠٢٠م، لن تصل المنطقة إلى مقاصد أهداف التنمية المستدامة بحلول عام ٢٠٣٠م، وهي لا تزال متأخرة عن مناطق أخرى في العالم (٥٢).

**ويمكن تحديد أهداف التنمية المستدامة فيما يلي:**

- الهدف ١- القضاء على الفقر بجميع أشكاله في كل مكان.
- الهدف ٢- القضاء على الجوع وتوفير الأمن الغذائي والتغذية المحسنة وتعزيز الزراعة المستدامة.
- الهدف ٣- ضمان تمتع الجميع بأنماط عيش صحية وبالرفاهية في جميع الأعمار.

- الهدف ٤- ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعليم مدى الحياة للجميع.
- الهدف ٥- تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين جميع النساء والفتيات.
- الهدف ٦- ضمان توافر المياه وخدمات الصرف الصحي للجميع وإدارتها إدارة مستدامة.
- الهدف ٧- ضمان حصول الجميع بتكلفة ميسورة على خدمات الطاقة الحديثة الموثوقة والمستدامة.
- الهدف ٨- تعزيز النمو الاقتصادي المطرد والشامل للجميع والمستدام، والعمالة الكاملة والمنتجة، وتوفير العمل اللائق للجميع.
- الهدف ٩- إقامة بنى تحتية قادرة على الصمود وتحفيز التصنيع الشامل للجميع، وتشجيع الابتكار
- الهدف ١٠- الحد من انعدام المساواة داخل البلدان وفيما بينها.
- الهدف ١١- جعل المدن والمستوطنات البشرية شاملة للجميع وآمنة وقادرة على الصمود ومستدامة.
- الهدف ١٢- ضمان وجود أنماط استهلاك وإنتاج مستدامة.
- الهدف ١٣- اتخاذ إجراءات عاجلة للتصدي لتغير المناخ وآثاره.
- الهدف ١٤- حفظ المحيطات والبحار والموارد البحرية واستخدامها على نحو مستدام لتحقيق التنمية المستدامة.
- الهدف ١٥- حماية النظم الإيكولوجية البرية وترميمها وتعزيز استخدامها على نحو مستدام، وإدارة الغابات على نحو مستدام ومكافحة التصحر، ووقف تدهور الأراضي وعكس مساره، ووقف فقدان التنوع البيولوجي.
- الهدف ١٦- التشجيع على إقامة مجتمعات مسالمة لا يهمل فيها أحد من أجل التنمية المستدامة، وإتاحة إمكانية وصول الجميع إلى العدالة، وبناء مؤسسات فعالة وخاضعة للمساءلة وشاملة للجميع على جميع المستويات.
- الهدف ١٧- تعزيز وسائل التنفيذ والشراكة العالمية من أجل تحقيق التنمية المستدامة (٥٣).
- وتتماشى أهداف التنمية المستدامة مع رسالة الكشفية بشكل تام في المساعدة في بناء عالم أفضل يكون فيه الأفراد قادرين على تحقيق أنفسهم كأفراد ويلعبون دورًا بناءً في



بناء المجتمع، علاوة على ذلك تهدف رؤية الكشفية ٢٠٢٣م إلى تطوير الحركة الكشفية باعتبارها حركة الشباب التربوية الرائدة لتمكين ١٠٠ مليون شاب بحلول ٢٠٢٣م ليكونوا مواطنين فاعلين يحدثون تغييرات ايجابية في مجتمعاتهم وفي العالم (٥٤).

#### ٥- الحركة الكشفية وأهداف التنمية المستدامة

دعا المنتدى الكشفي العالمي الثالث عشر للشباب الذي انعقد في اندريجان عام ٢٠١٧م إلى حث جميع الكشافين في العالم على تولي أهداف التنمية المستدامة وبدء الإجراءات للوصول إلى هذه الأهداف بحلول ٢٠٣٠م (٥٥). والحركة الكشفية باعتبارها من أهم منظمات الشباب الرائدة في العالم في التعليم غير الرسمي والتي تهدف إلى إعداد الشباب ليكونوا مواطنين مسؤولين، يمكنها أن تقوم بدور أساسي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة ولاسيما البيئية لاهتمامها المستمر بهذا المجال ولأنها تعتمد على الانطلاق في الخلاء لتطبيق مناهجها التربوية، فهي حركة نابعة من الطبيعة ومن أهم مبادئها الحفاظ على الطبيعة (٥٦).

إجمالاً، تعتبر الحركة الكشفية من أبرز الحركات الشبابية العالمية التي ركزت على تحقيق أهداف التنمية المستدامة عبر المنظمة الكشفية العالمية، والمنظمة الإرشادية العالمية والصدقة العالمية. حيث توفر المنظمة الكشفية العالمية والأقاليم الكشفية والمنظمات الوطنية باقة من البرامج التي يمكن استثمارها في إطار السعي لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، ومن هذه البرامج رسل السلام، كشافو العالم، الحوار من أجل السلام (٥٧)، قبيلة الأرض، إطار عالم أفضل، ومن أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، قامت الجمعية العالمية للمرشحات وفتيات الكشافة بتطوير إطار عمل أهداف التنمية المستدامة تشمل خمسة مجالات أساسية للجمعية العالمية، وترمى هذه المجالات الأساسية الخمسة إلى ضمان: أن تتمتع كل فتاة بصحة جيدة وأن تكون متفوقة ومزدهرة، وسلامة وأمان كل فتاة وأن تحظى بالاحترام والتقدير، وأن تستطيع كل فتاة تطوير مهاراتها وأن تجد فرص متاحة أمامها، وأن كل فتاة يمكنها أن تنعم بحياتها وأن تنتمي إلى عالم صالح للعيش، وأن تتاح الفرصة لكل فتاة أن ترفع صوتها بمطالبها وأن يكون رأيها مسموعاً (٥٨).

وفي ضوء أهداف مجالات المنهج الكشفي العربي المطور لمرحلة الجواله يتضح أن الحركة الكشفية يجب أن تقوم بعدة أدوار لتحقيق أهداف التنمية المستدامة وهي:

**الجانب الروحي:** تعميق مفهوم الإيمان، واكتساب القيم الدينية والأخلاقية واحترام حرية الاعتقاد، بما يحقق الأمان والاستقرار والطمأنينة للنفس.

**الجانب العقلي:** تنمية قدرات التفكير العلمي والتفكير الناقد، من خلال التطبيقات العلمية، والاستفادة من التكنولوجيا المتقدمة، وتفهم القضايا العالمية والبيئية والاقتصادية والمواطنة، والمساهمة في حلها، مع تنمية المهارات الأدبية والفنية.

**الجانب الصحي والبدني:** إدراك التغيرات الفسيولوجية التي تحدث للجسم في فترات النمو المختلفة، مع توفير مقومات الصحة والسلامة الجسمية والنفسية، واكتساب القدرات الحركية والرياضية لتنمية عناصر اللياقة البدنية، بما يعود على الفرد والجماعة بالنفع.

**الجانب الاجتماعي:** التعرف على تاريخ وثقافة ونظم المجتمعات المحلية والعربية والعالمية، بما يحقق التفهم والمساهمة في حل المشكلات والقضايا المعاصرة، وإدارة الأزمات وتنمية روح الولاء والانتماء، والأخوة العربية، والصداقة العالمية.

**الجانب الكشفي:** التعرف على جميع التقاليد والمهارات والفنون الكشفية بما يتيح ممارسة الأنشطة الفردية والجماعية في الجوانب الأربعة الأخرى، بالطريقة الكشفية السليمة، ومؤدياً لواجباته طبقاً للمبادئ الكشفية، لتحقيق الهدف التربوي للحركة الكشفية (٥٩).

## ٦- الحركة الكشفية في ليبيا

الحركة الكشفية تمتد في التاريخ الليبي منذ منتصف القرن العشرين، ففي بداية شهر فبراير عام ١٩٥٤م أسس المرحوم القائد "على خليفة الزائدي" أول فرقة كشفية في طرابلس، والتي شاركت في المخيم الكشفي العربي الأول في الزيداني بسوريا في صيف ذلك العام (٦٠)، ولم يدرك الناس للوهلة الأولى ما تسعى الحركة الكشفية لتحقيقه من أهداف تربوية قومية، بل حسبوا أنها للزينة والاستعراض، وكانت أول بادرة خير لفت أنظار المواطنين لهذه الحركة؛ تنظيم أسبوع البر (٦١)، ولأول مرة تتشكل فرقة للمرشدات عام ١٩٥٨م في وطن كان فيه خروج المرأة للعمل الاجتماعي من العيب (٦٢)، وبعد ذلك توالى تشكيل الفرق الكشفية وتنامت الحركة الكشفية في معظم قرى ومدن ليبيا، وساهمت الكشافة في: حملات التشجير وحملات التنظيف التي شملت

الشوارع والغابات والحدائق العامة والشواطئ، وجمع التبرعات ليس على الصعيد المحلي وإنما تعدته إلى الصعيد العربي حيث جمعت التبرعات للشعب الفلسطيني والجزائري (٦٣)، وفي عام ١٩٦١م صدر قانون تنظيم الحركة الكشفية الليبية، وأقام المكتب الكشفي العالمي أول دورة لتدريب القادة في ليبيا، كما أقيم مخيم العمل التطوعي الكشفي الأول الذي قام خلاله الكشافون بإعداد الملاعب الرياضية وتنظيف الطرق وردم البرك وشاركت المرشدات لأول مرة في هذا العمل الحيوي (٦٤)، وفي عام ١٩٦٣م أقيم المخيم الوطني الأول الذي ضم قرابة ألف كشاف من جميع أرجاء ليبيا، كما ساهم الكشافون مساهمة فعالة في مساعدة متضرري كارثة زلزال المرج وفي إسعاف الجرحى وتوزيع المؤن، كما جمع الكشافون آلاف الجنيهاً بمناسبة أسبوع البر ثم قاموا بتوزيعها على الفقراء والمحتاجين (٦٥)، وفي عام ١٩٦٦م تم الاعتراف دولياً بحركة المرشدات الليبيات، والبدء في إنشاء بيت المرشدات، وبيت الكشاف بطرابلس، وعقب أحداث يونيو عام ١٩٦٧م سافرت بعثة كشفية ليبية إلى سوريا والأردن لتعمل هناك في بناء المخيمات وإيواء الأسر النازحة (٦٦). ونظر النظام السابق (١٩٦٩-٢٠١١م) بنوع من الشك والريبة للحركة الكشفية واعتبرها حركة استعمارية (٦٧)، كما واجهت الحركة الكشفية عديد المعوقات في تحقيق أهدافها تمثلت في: معوقات مالية، ومعوقات إدارية ومعوقات بشرية، ومعوقات مادية (٦٨).

### خامساً: نماذج من الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة الراهنة منها:

الكشافة للتنمية المستدامة، هدفت هذه الدراسة (٦٩)، بعنوان: (Lönegren, Lovisa, 2011)دراسة

إلى المساهمة في البحث حول الشباب والتعليم البيئي من خلال استكشاف الاتجاهات البيئية للكشافين في مركز كاندير ستينج الكشفي الدولي بسويسرا. تم جمع البيانات في الدراسة من طريق المقابلة،

حيث تمت مقابلة (٥٧) مفردة ، موظفين (٢٢)، وموظفين سابقين (٥)، وكشافين (٣٠)، من جنسيات مختلفة. وقد أسفرت نتائج الدراسة عن وجود اعتقاد قوي لدى الكشافة بأن

الاتصال بالطبيعة يولد احترامها، فضلاً عن الالتزام البيئي في نهاية المطاف، وثمة حاجة ماسة إلى التنمية المستدامة. وتختلف هذه الدراسة عن دراستي في دراستها لاتجاهات الكشافين نحو البيئة.

وأجرى (أسامة العجمي، ٢٠١٦ م) (٧٠)، دراسة عن: الدور البيئي للحركة الكشفية، والتي هدفت إلى التعرف على ماهية الحركة الكشفية وطبيعة دورها، وكذلك الأنشطة والبرامج التي تقوم بها تجاه البيئة وكيفية المحافظة عليها في المجتمع الليبي، استخدمت الدراسة الاستبيان كأداة لجمع البيانات من خلال عينة عشوائية بلغ حجمها (٣٠٧) مبحوثاً، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها: أن الحركة الكشفية تسهم في خدمة وتنمية المجتمع من خلال المشاركة في العديد من المشروعات البيئية والأعمال التنموية بالمجتمع كحملات التشجير وحملات النظافة والاحتفال بالأيام والمناسبات الوطنية والبيئية، وتأثير الأنشطة البيئية التي تنفذها الحركة الكشفية على تنمية الوعي البيئي لدى الكشفيين حيث وصلت نسبة الاستفادة من تلك الأنشطة إلى (٧٠ %) ، ومن ثم فإن توعيتهم بأهمية البيئة يُعد عاملاً هاماً من عوامل حماية البيئة. وتختلف هذه الدراسة عن دراستي في تركيزها على دراسة الدور البيئي للحركة الكشفية، وكذلك في استخدامها للاستبيان كأداة لجمع البيانات.

وجاءت دراسة (فواز الغامدي، ٢٠١٩م) (٧١)، عن: دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، للتعرف على مدى إسهام الحركة الكشفية في المملكة العربية السعودية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة وغاياتها. اعتمدت الدراسة على تحليل مضمون التقارير السنوية لجمعية الكشافة العربية السعودية، ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة أن عدد البرامج التي نفذتها جمعية الكشافة العربية السعودية خلال الأعوام ( ١٤٣٧ هـ، ١٤٣٨ هـ، ١٤٣٩ هـ) بلغت ٢٢٦ برنامج والتي تحقق أهداف وغايات التنمية المستدامة الصادرة عن الأمم المتحدة، وأن البرامج الكشفية قد تركزت في اثني عشر هدفاً من أهداف التنمية المستدامة بما نسبته ٧٠ %، وهي الأهداف ذات الأرقام (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٩، ١١، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧)، وهذا يدل على أن برامج جمعية الكشافة العربية السعودية تساهم وبدرجة عالية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة. وتتفق هذه الدراسة مع دراستي في محاولة التعرف على دور الحركة الكشفية

في تحقيق أهداف التنمية المستدامة. وتختلف هذه الدراسة عن دراستي في استخدامها لطريقة تحليل المضمون وكذلك في اختلاف طبيعة المجتمع الذي يطبق فيه الدراسة. كما قدما (أيمن مظهر، محمد أبوراس، ٢٠١٩م) (٧٢)، دراسة حول: دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة. هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بالتنمية المستدامة، والتعرف على أهدافها، وكذلك توضيح اسهام الحركة الكشفية الفلسطينية بمحافظة نابلس في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بالإضافة إلى التعرف على الفرق بين الكشفيّ و الغير الكشفيّ في معرفة أهداف التنمية المستدامة. اعتمدت الدراسة على المقابلات الشخصية لجمع البيانات من عينة عشوائية قوامها ١٠٠ مبحوثا (٥٠ مفردة من غير منتسبي الحركة الكشفية ، و ٥٠ مفردة من منتسبي الحركة الكشفية). وقد توصلت الدراسة في نتائجها إلى أن منتسبي الحركة الكشفية في محافظة نابلس لديهم وعيا أكثر من غيرهم من غير منتسبي الحركة الكشفية بمفهوم التنمية المستدامة ويعرفون أهدافها، وأن الحركة الكشفية تساهم بشكل كبير في تحقيق أهداف التنمية المستدامة. وتتفق هذه الدراسة مع دراستي في محاولة التعرف على دور الحركة الكشفية في تحقيق التنمية المستدامة، ولكنها تختلف في مجال التطبيق.

بعد عرض نماذج من الدراسات السابقة، نجد أنها اختلفت في إجراءاتها المنهجية وكذلك اختلفت الطرق والأدوات المستخدمة. كما أنها أكدت على أهمية دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة. إن اطلاع الباحث علي نماذج من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة الراهنة، قد أفاد الدراسة في أكثر من جانب إلي الحد الذي يمكن القول أن هذه الدراسات و غيرها، يمكن اعتبارها الركائز الأساسية التي انطلقت من خلالها تساؤلات الدراسة الراهنة، كما ساهمت في بلورة العديد من المفاهيم التي تناولتها الدراسة، و توجيه الباحث لتحديد الإجراءات المنهجية للدراسة.

### سادسا: التوجه النظري للدراسة

نظرًا لأن الحركة الكشفية تنظيمات تطوعية تهدف إلى ضمن ما تهدف إلى خدمة وتنمية المجتمع، وعلي اعتبار أنها انساق اجتماعية مفتوحة ترتبط بعلاقات مع المجتمع. لذلك فقد تمت الاستعانة بالمدخل البنائي الوظيفي كموجه نظري لهذه للدراسة،

حيث يعد من وجهة نظر الباحث أكثر ملاءمة في تفسير واقع المجتمع الليبي، ويعد المدخل البنائي الوظيفي أحد المداخل النظرية الأساسية في علم الاجتماع، وترجع الجذور الفكرية لهذا المدخل إلى ظهور فكرة النسق العضوي في بداية القرن التاسع عشر (٧٣).  
وينهض هذا المدخل على فكرة أن الوقائع والأحداث الاجتماعية يمكن تفسيرها على الوجه الأفضل على أساس الوظائف التي تؤديها، أي الدور الذي تؤديه من أجل تحقيق استمرار المجتمع واستدامته (٧٤).

ويعتمد المدخل الوظيفي على عدة مسلمات رئيسية:

- المجتمع نسق يتضمن فيه الكل عدد من الأجزاء المتداخلة، هذا الكل يأتي قبل الأجزاء، أي أنه لا يمكن فهم أي جزء بمعزل عن الأجزاء الأخرى.

- العلاقة بين الأجزاء والكل علاقة وظيفية، أي أن تداخل الأجزاء هو تداخل وظيفي فثمة تساند متبادل بين الأجزاء، وهذا التساند والانسجام المتبادل يساهم في الحفاظ على الكل. ولقد أشار بارسونز إلى الانسجام والتساند بين العناصر المكونة للنسق الاجتماعي عندما تحدث عن ضرورة التساند بين الأبنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية (٧٥).

وبناءً على هذا المدخل البنائي الوظيفي، يمكن النظر إلى الحركة الكشفية على أنها أنساق اجتماعية فرعية مفتوحة تدخل في إطار نسق اجتماعي عام وهو المجتمع الليبي، وأن نجاح هذه الحركة في أداء وظائفها يؤدي إلى نجاح النسق الأكبر والأشمل في أداء وظيفته العامة، كما يمكن النظر إلى المعوقات التي تواجه الحركة الكشفية على اعتبار أنها تمثل المعوقات الوظيفية (٧٦)، أو تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها، والتي تحد من تكيف النسق أو توافقه - بحسب ميرتون - (٧٧)، ما يؤدي إلى عدم دعم البناء الاجتماعي للحركة الكشفية وبالتالي عدم تحقيق هذه الحركة لدورها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر.

## سابعاً: المعالجة المنهجية للدراسة

### ١- نوع الدراسة

تتنمي هذه الدراسة من حيث النوع إلى الدراسات الوصفية التحليلية والتي تتضمن دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع (٧٨).

وتسعى الدراسة الراهنة إلى وصف وتحليل طبيعة الأنشطة التي تقوم بها مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات في دعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة ، وغير ذلك من القضايا التي تتناولها الدراسة

### ٢- المنهج

اعتمد الباحث على منهج دراسة الحالة، تمثل دراسة الحالة التقاءً منهجياً بين المؤرخ والباحث في علم الاجتماع وهي خطوة مبدئية لصوغ الأنماط والوصول إلى التعميمات، وتستند دراسة الحالة إلى منطق أساسه الاحتفاظ بالطابع المترابط المتكامل لأي من الظواهر أو الموضوعات التي يتناولها الباحث أي النظر إلى أية وحدة اجتماعية على أنها كل سواء كانت هذه الوحدة جماعة أو نظاماً اجتماعياً أو مجتمعاً أو ثقافة وهذا الكل وهو وحدة دراسة الحالة (٧٩)، وسوف تكون وحدة دراسة الحالة في هذه الدراسة مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات.

### ٣- أدوات جمع البيانات

اعتمدت الدراسة على الأدوات الآتية لجمع البيانات الميدانية:

#### أ- دليل دراسة الحالة

تم تطبيق دليل دراسة الحالة على المفوض العام لمفوضية طبرق للكشافة والمرشدات "القائد عبد السلام احقيق"، وله جليل الشكر والتقدير. وقد احتوى الدليل على المحاور الآتية: البيانات الأساسية، الهيكل التنظيمي والمؤسسي للمفوضية، دور المفوضية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، أهم معوقات تحقيق الحركة الكشفية لأهداف التنمية المستدامة، أهم مقترحات تفعيل دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

**ب- المقابلات غير المقننة**

يقصد بالمقابلات غير المقننة: تلك المقابلات التي تركز على مجال واسع للنقاش، وتمكن المبحوث من التحدث عن موضوع البحث بطريقته الخاصة (٨٠)، وقد قام الباحث بإجراء هذه المقابلات مع بعض القادة/ القائدات، ولهم جزيل الشكر والتقدير وهم (المرحوم القائد القدوة عبد العليم مختار، وعبد الله الرياني، وعبد الوكيل بوزيد، وونيس الجدايمي، وحمد الشلوي، ومحمد يوسف المنفي، وناصر هاشم، وعبد الرؤف الحداد، وفريحة سلطان، وعبد الله إبراهيم، والسنوسي علي، وجمال العوامي، وعمران فرج، وخليفة مكرز، وجمعة هامن، فوزية الحاسي، وإقبال عبد العاطي، وعبد العزيز مفتاح، وعلي المنصوري، ومحمد عبد القادر).

**ج- الملاحظة المشاركة**

**الملاحظة المشاركة هي:** طريقة لجمع البيانات يكتسب فيها الباحث (القائم بالملاحظة) معرفة وثيقة وعميقة بجماعة الأفراد الذين يكونون المبحوثين الذين تتناولهم الدراسة، وذلك في داخل المكان الطبيعي لهذه الجماعة (٨١)، وذلك من خلال حضور الباحث ومشاركته في بعض الأنشطة التي تقوم بها المفوضية، وقد يسر له ذلك؛ كونه قائد كشفي بالمفوضية محل الدراسة.

**٤- مجالات الدراسة**

**المجال الجغرافي:** تم تطبيق الدراسة الميدانية على مفوضية طبرق للكشافة والمرشدات بمدينة طبرق.

**المجال البشري:** تحدد المجال البشري لهذه الدراسة في: المفوض العام للمفوضية، وبعض القادة/ القائدات.

**المجال الزمني:** تم جمع البيانات في الفترة من بداية شهر فبراير عام ٢٠٢٠م وحتى نهاية شهر فبراير عام ٢٠٢١م.



## ثامنا: نتائج الدراسة الميدانية

## أولاً: نتائج دراسة الحالة مع المفوض العام للمفوضية

## ١- الهيكل التنظيمي والمؤسسي للمفوضية

تأسست المفوضية في عام ١٩٦٢م، كفوج كشفي- يتبع مفوضية درنة- ثم تحولت إلى مفوضية منذ عام ١٩٩٨م، ويقع مقر المفوضية في حي وسط المدينة بشوارع الكشاف. والمقر حالياً غير مستغل نظراً لعدم ملاءمته. وتتخذ المفوضية عدة مقرات لمراحلها الكشفية في بعض مدارس مدينة طبرق، ويتوفر للمفوضية عدد ٢ حاسوب وطابعة، و صفحة على شبكات التواصل الاجتماعي (الفيس بوك)، وبلغ عدد أعضاء المفوضية من القادة/ القائدات ٧٤ عضواً (٥٤ قائد، و ٢٠ قائدة)، أما المنتسبين / المنتسبات للمفوضية فقد بلغ إجمالي عددهم ٢٠٣ منتسب/ منتسبة (الأشبال ٣١/الزهرة ٢٤، الفتيان ٦٠/ الفتيات ٢٨، المتقدم ٤٠/ المرشدات لا يوجد، الجواله ٢٠/ الدليلات لا يوجد)، وذلك خلال العام الكشفي ٢٠١٩م/٢٠٢٠م. ولا يوجد بالمفوضية موظفون / موظفات بأجر.

والقادة / القائدات وأعضاء المكتب التنفيذي لهيئة المفوضية من مستويات تعليمية مختلفة، ومنهم من حصل على درجتي الماجستير، والدكتوراه، وهذا يعني أن ثمة ادراكاً ووعياً بينهم بقضايا المجتمع وهمومه، ومن ثم يدركون التبعات التي يفرضها وضعهم التعليمي والثقافي من تحمل مسؤولية دعم المفوضية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة. ومما يلاحظ تسرب بعض القادة/ القائدات والمنتسبين/ والمنتسبات، وهو ما قد يرتبط بمشكلة العمل التطوعي في المجتمع الليبي ووقوعه تحت وطأة الأزمة الاقتصادية والسياسية والأمنية التي يمر بها في المرحلة الراهنة، وغياب ثقافة التطوع، وتدني وعي أعضاء المجتمع بأهمية العمل التطوعي ودوره في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وأزمة جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد ١٩)، وغير ذلك.

وتدار المفوضية من خلال "المكتب التنفيذي" الذي يتكون من ١٤ عضواً ( ١٣ قائد وقائدة واحدة)، هذا وقد تم اختيار المفوض الحالي عن طريق التوافق، وهذه هي الدورة الأولى له بدأت منذ عام ٢٠١٨م، ويحق له الترشح لدورة ثانية، ولا يحق له الترشح لدورة

ثالثة، إلا بمضي دورة انتخابية كاملة، ومدة الدورة الانتخابية أربع سنوات من تاريخ الانتخاب، وهذا مؤشر جيد على تداول المواقع القيادية داخل المفوضية، ويتولى المفوض العام رئاسة اجتماع هيئة المفوضية، وفي حال غيابه تتولى المفوضة المساعدة رئاسة الاجتماع نيابة عنه، وتجتمع هيئة المفوضية عاديًا مرة كل شهرين على الأقل، كما يتم اتخاذ القرار بشأن أي موضوع من طريق الاحتكام للنظام الأساسي والتوافق، ما يدل على ديموقراطية الإدارة. وللمفوضية مؤتمر يتكون من أعضاء هيئة المفوضية، وقادة وقائدات فرق الكشافة والمرشدات، وكل من شغل مهمة مفوض عام أو مفوض مساعد لشؤون المرشدات، ويختص مؤتمر المفوضية وفقا للمادة "٥٠" من النظام الأساسي بعدد الاختصاصات منها: المصادقة على جدول أعمال مؤتمر المفوضية، والمشاركة في رسم السياسة العامة للحركة، واقتراح اللوائح والنظم اللازمة لتسيير نشاط الكشافة والمرشدات، ومتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر العام والقيادة العامة والمكتب التنفيذي ومؤتمر المفوضية، اعتماد خطط وبرامج الأنشطة بالمفوضية، و اعتماد مشروع الميزانية والحسابات الختامية للمفوضية، ويجتمع مؤتمر المفوضية مرة واحدة في السنة، كان آخرها بتاريخ ١٥/١٠/٢٠٢٠م، وخلال هذا الاجتماع جرى تقييما لأنشطة وبرامج المراحل المختلفة بالمفوضية ومدى تحقيق أهداف التنمية المستدامة في ظل أزمة جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد ١٩)، وتوقف جل الأنشطة الكشفية امتثالًا لقرار الحركة العامة للكشافة والمرشدات خلال العام الكشفي المنصرم، وقد شارك الباحث بالحضور.

وفي ضوء المسلمات الرئيسية للنظرية البنائية الوظيفية يمكن القول: أن النسق الاجتماعي للمفوضية يتشكل من ثلاثة أنساق فرعية هي: المكتب التنفيذي لهيئة المفوضية، ومؤتمر المفوضية، والمراحل الكشفية. وثمة تساند واعتماد متبادل بين الأنساق الفرعية داخل المفوضية على نحو يساعد المفوضية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة في حدود مواردها المتاحة.

ومما يلاحظ اكتفاء المفوضية بالتقييم الداخلي، وتتعدد مصادر للتمويل بالنسبة للمفوضية و تتمثل في: التمويل الذاتي (الاشتراكات السنوية وهي منخفضة القيمة - ويُلاحظ تسديد منتسبي المفوضية لاشتراكاتهم السنوية، ما يعد مؤشرًا جيدًا على الانتماء -، عائد إيجار محلات)، ثم الهبات والتبرعات من المجتمع المحلي -على محدوديتها-.

حسبما أكد المفوض المالي للمفوضية، أن ميزانية المفوضية للعام الكشفي ٢٠١٩م-٢٠٢٠م، تقدر بحوالي ٢٧٣٠ دينار ليبي، وأن المفوضية تعاني من مشكلات تتعلق بالتمويل. وتلتزم المفوضية بمبدأ الشفافية والمحاسبية في الصرف من خلال تقارير المفوض المالي، وهو ما تأكد منه الباحث.

## ٢- أهم أنشطة المفوضية لدعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة

بعد التعرف على أهم ملامح الهيكل التنظيمي والمؤسسي للمفوضية أتناول أهم أنشطتها لدعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة وفقاً لقدرتها وذلك على النحو التالي:

### الهدف ١: القضاء على الفقر

عندما جرى الاتفاق على أهداف التنمية المستدامة في سبتمبر ٢٠١٥م، كما سبقت الإشارة؛ جرى اعتماد تعبير مالي للفقر بصفته المؤشر الأول لقياس التقدم، وفق خط الفقر الدولي الذي حدده البنك الدولي بمبلغ ١,٢٥ دولار في اليوم (٨٢)، ومنذ أكتوبر ٢٠١٥م، تم تعيين خط الفقر على ١,٩٠ دولار في اليوم، لكي يحل محل خط الفقر الذي يبلغ ١,٢٥ دولار في اليوم والذي تم قياسه عام ٢٠٠٥م (٨٣).

يمثل الفقر أهم التحديات التي تواجه مسيرة تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وبحسب تقرير أهداف التنمية المستدامة لعام ٢٠٢١م، من المتوقع أن يصل معدل الفقر العالمي إلى ٧% في عام ٢٠٣٠م أي أن العالم لن يحقق الغاية المتمثلة في القضاء على الفقر (٨٤)، والفقراء في المجتمع الليبي، هم الذين يعانون من نقص الدخل، والذين لا يستطيعون تأمين الدخل اللازم لإشباع الاحتياجات، والذين لا يستطيعون توفير الاحتياجات الأساسية للعيش اللائق، والذين تتدني بعض الخصائص المعيشية لديهم كالسكن أو التعليم أو الصحة أو العمل، والذين يشعرون بالدونية والإحباط (٨٥). ويشير البنك الأفريقي إلى أن تقديرات الفقر في ليبيا مرتفعة، حيث إن حوالي ثلث الليبيين يعيشون تحت خط الفقر الوطني (٨٦)، والمفارقة أن ليبيا دولة غنية بالنفط والغاز، وكأنها تجسد المثل الشعبي "تحب تفهم اتدوخ. وبحسب "المنصف وناس" أن الفقر محسوب ومفتعل؛ وهو تعبير في غالب الظن عن سلوك سياسي متوتر من جهة وعن حرص على توجيه رسائل ومضامين بعينها إلى الشعب الليبي من جهة أخرى (٨٧). ثمة ضرورة لتبني سياسات تدفع مؤسسات الدولة والمجتمع المدني للعمل لصالح الفقراء وأن تصبح صديقة

للفقراء، وتسمح بالمساءلة وضمان سيادة القانون وتهتم بتطوير الإدارة والتنظيم وبناء قدرات إدارية وتنظيمية للحد من الفساد والتغلب على غيرها من عقبات على طريق التأثير على تحقيق أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر (٨٨).

والواقع أن الحركة الكشفية يمكن أن تكون آلية فاعلة للتخفيف على الفقراء وتمكينهم من إشباع بعض حاجاتهم الأساسية في المجتمع الليبي، ولعل أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف الأول من أهداف التنمية المستدامة تتمثل فيما يلي:

- جمع تبرعات للمتضررين من السيول في مدينة غات (٢٠١٩م)، ومدينة ترهونة (٢٠٢٠م).

- المشاركة في حملة توزيع المساعدات على النازحين من مدينة مرزق بالتعاون مع الهيئة الليبية للمساعدات الإنسانية.

- توزيع المساعدات الإنسانية الممنوحة من اليونيسف: (مواد غذائية، معدات نظافة شخصية، بدل مواليد وغير ذلك) عام ٢٠١٩م.

- المساهمة في جمع الملابس المستعملة وإعادة توزيعها على الفقراء والمحتاجين والنازحين، بالتعاون مع جمعية الميدان للأعمال الخيرية.

- تعبئة وتوزيع مواد غذائية لإغاثة الأسر المحتاجة والنازحة بالمدينة، بالمشاركة مع الهلال الأحمر الليبي وبإشراف لجنة الأزمة بلدية طبرق، وذلك خلال الفترة: من ١٥ إلى ٢٠ أبريل ٢٠٢٠م، وقد شارك الباحث في هذه الحملة.

- توزيع السلال الغذائية الرمضانية (٥٠٠٠ سلة) على المحتاجين والفقراء والنازحين بالمشاركة مع منظمة سلام الخيرية.

- حملة إفطار صائم (نشاط سنوي).

تتفق هذه النتيجة مع جوهر التنمية المستدامة والذي يتمثل في تحرير الأفراد من الفقر بجميع مظاهره وتعزيز قدراتهم وحمايتهم من مخاطر الوقوع فيه (٨٩).

كما تتفق هذه النتيجة مع نظرية التنمية المستدامة، التي طورها العالم الأمريكي جون رولس الذي اشتهر بنظريته حول العدالة وإمكانية تحقيقها، حيث تبنت النظرية قضية إعادة توزيع الدخل لتحقيق الرفاهية فنظرت بعين الاعتبار إلى كافة الخطط المعنية بالتنمية المستدامة في أغلب مراحل تطورها، ودعت المجتمعات إلى السعي للقضاء على

الفقر المدقع، وتحقيق درجة عالية من الحراك الاجتماعي، بما في ذلك فرص الحياة، وتعزيز الثقة الاجتماعية والدعم المتبادل والقيم الأخلاقية والتماسك، والتي يطلق عليها مصطلح الإدماج الاجتماعي(٩٠).

### الهدف ٢: القضاء التام على الجوع

يمثل سوء التغذية تحديًا عالميًا يؤثر في جميع البلدان بأشكاله المختلفة، من نقص التغذية والوزن

المفرط والسمنة إلى نقص المغذيات الدقيقة أو مزيج منها (٩١)، ومن المرجح أن يزداد الوضع سوءًا بسبب التباطؤ الاقتصادي والتعطلات الناجمة عن ركود تسببت به أزمة جائحة كورونا (كوفيد١٩)(٩٢)،

وبحسب الإسكوا يعاني ٢٠ % من السكان في ليبيا تقريبًا من انعدام الأمن الغذائي(٩٣)، ووفقًا لما جاء في تقرير مؤشرات ولوحات متابعة أهداف التنمية المستدامة للمنطقة العربية لعام، ٢٠١٩، يمثل الهدف ٢ تحديًا كبيرًا في ليبيا(٩٤).

وتتمثل أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف الثاني من أهداف التنمية المستدامة فيما يلي:

- تعبئة وتوزيع مواد غذائية لإغاثة الأسر المحتاجة والنازحة بالمدينة، بالشراكة مع الهلال الأحمر الليبي فرع طبرق(٢٠١٩م).

- توزيع السلال الغذائية الرمضانية(نشاط سنوي).

- حملة إفطار صائم خلال شهر رمضان المبارك (نشاط سنوي).

-توزيع وجبات للقائمين على تنفيذ حظر التجوال للوقاية من وباء كورونا بالشراكة مع جامعة طبرق.

- التبرع بتقديم وجبة إفطار صباحي لمرضى الكلى بمركز طبرق الطبي(الزهراء والفتيات).

- توزيع لحوم الأضاحي.

### الهدف ٣: الصحة الجيدة والرفاه

يتناول الهدف ٣ جميع الأولويات الرئيسية في مجال الصحة ويدعو إلى تحسين الصحة الإيجابية وصحة الأم والطفل؛ وإنهاء الأمراض المعدية؛ والحدّ من الأمراض غير

المعدية وغيرها من المخاطر الصحية؛ وضمان حصول الجميع على أدوية ولقاحات آمنة وفعالة وجيدة وبأسعار معقولة، فضلاً عن توفير التغطية الصحية لهم (٩٥)، وفي المنطقة العربية بشكل خاص، تحوّل ما يفترض أنه عقد من العمل الدؤوب من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة إلى عقد من العمل العاجل من أجل إنقاذ الأرواح وإصلاح سُبل العيش (٩٦). وتقدر إحدى الدراسات أن ٣٠,١% من السكان في ليبيا لا يحصلون على الرعاية الصحية الأساسية (٩٧).

وقد تجسدت أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف الثالث من أهداف التنمية المستدامة فيما يلي:

- جمع الأدوية من الصيدليات و المتبرعين لمركز طبوق الطبي لمرضى السرطان.
- القيام بحملات تنظيف وفرز للأدوية غير الصالحة في المركز الوطني للأمراض السارية.
- تنمية الوعي الصحي من خلال القيام بحملات توعية للمتريدين على العيادات الطبية، وكذلك الاحتفال باليوم العالمي لمكافحة التدخين، وباليوم العالمي لمكافحة المخدرات، وغير ذلك، و توزيع مطويات للتوعية بمخاطر التدخين والإدمان في الميادين المدارس.
- دورة في الإسعافات الأولية.
- دورة علاج طبيعي في مركز طبوق الطبي.
- الاشتراك مع المركز الوطني لمكافحة الأمراض السارية في محاضرة عن جائحة كورونا (كوفيد ١٩).
- تدشين صفحة على الفيس بوك "بايدينا منخلوش يجينا" للتوعية بجائحة كورونا.
- الاشتراك مع جهاز الحرس البلدي في توزيع كامات وقفازات وإرشادات صحية على مخابز المدينة.
- القيام بحملة إعلامية حول جائحة كورونا من خلال برنامج إذاعي كشمي أسبوعي براديو دار السلام (في ذلك قضينا) تقدمة القائدة فريحة سلطان المفوضة المساعدة بالمفوضية.
- تنظم حملات تعقيم للوقاية من جائحة فيروس كورونا (مساجد، مدارس، مراكز ووحداث صحية، مصارف، محطات وقود، وغير ذلك).
- العمل كأصدقاء للمرضي.

**الهدف ٤ : التعليم الجيد**

- تمحورت أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة فيما يلي:
- الاشتراك مع اليونيسف في توزيع حقائب مدرسية.
  - صيانة وتركيب الأثاث المدرسي لبعض مدارس المدينة.
  - متابعة مستوى التحصيل العلمي لمنتسبي الحركة الكشفية.
  - محاضرة تثقيفية للتعريف بالحركة الكشفية و دور المفوضية محل الدراسة في خدمة وتنمية المجتمع، بالتعاون مع قسم الإدارة والتخطيط التربوي في كلية التربية جامعة طبرق (٢٠١٨م).
  - تنظيم ورشة عمل حول التنمية المستدامة وأهدافها ال ١٧، استضافتها مفوضية الجبل الأخضر.
  - تنظيم دورات تنمية بشرية للقادة/ القائدات، و كشافة/ مرشدات (حاسوب، صيانة، تدريب مدرسين، وغير ذلك)، بالتعاون مع مركز الرواد للتدريب، وجمعية فتاة ليبيا الحرة، ومنظمة الشراكة المجتمعية.
  - تنظيم الورشة البيئية الافتراضية حول برنامج البيئة الكشفي العالمي، وأهداف التنمية المستدامة (٢٣ يونيو ٢٠٢٠م) للقائد خليفة مكرام مفوض التخطيط والأفواج بالمفوضية المنسق الوطني لإطار عالم أفضل، بمشاركة الباحث، وبمشاركة ١٥ مفوضية داخل ليبيا.
  - تنظيم جلسة تدريبية افتراضية عن الحماية من الأذى للقائد ناصر هاشم مفوض تنمية القيادات بالمفوضية ورئيس لجنة الحماية من الأذى بالقيادة العامة.
  - حصول بعض القادة على عديد الدورات منها: الحماية من الأذى، وأهداف التنمية المستدامة، قبيلة الأرض، التخطيط والاستراتيجية، أساسيات إدارة المخاطر للمستشارين، وذلك عبر موقع المنظمة الكشفية العالمية على شبكة الانترنت (٢٠٢٠م).
  - دورات تدريبية للقادة والقائدات وعرفاء الطلائع، كان آخرها الدورة الفنية لقيادة الفرق الكشفية والإرشادية في طبرق (٨-١١ فبراير ٢٠٢١م)، باستضافة منظمة الشراكة المجتمعية بطبرق.

- الاشتراك مع مكتب التدريب بجامعة طبرق في دورة تدريبية للأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين في واحة الجغبوب (١٣-١٥ فبراير ٢٠٢١م)، نظمها فوج الجغبوب للكشافة والمرشدات بالتعاون مع مراقبة التربية والتعليم ومكتب التدريب وتطوير التعليم بالجغبوب، شارك فيها الباحث.

وتتفق هذه النتيجة مع الغاية ٧ من غايات الهدف الرابع والمتمثلة في ضمان أن يكتسب جميع المتعلمين المعارف والمهارات اللازمة لدعم التنمية المستدامة (٩٨).

#### الهدف ٥ : المساواة بين الجنسين

بحسب التقرير العالمي للفجوة بين الجنسين يتم قياس الفجوة بين الجنسين في أربعة مجالات رئيسية هي: التحصيل التعليمي، والصحة والبقاء على قيد الحياة، والفرص الاقتصادية، والتمكين السياسي (٩٩)، ويبين التقرير العربي لفجوة النوع الاجتماعي ٢٠٢٠م، أن المنطقة العربية تواجه تحديات كبيرة

في سبيل تحقيق الهدف ٥: المساواة بين الجنسين وتمكين النساء والفتيات (١٠٠).

على الرغم من توقيع ليبيا اتفاقيات دولية أساسية تلزم الحكومة بتعزيز المساواة بين الجنسين، ليس بخاف أن المرأة الليبية؛ مازالت تعاني تمييزاً تشريعياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً ينتقص من حقوقها (١٠١)، وقد يعزى ذلك للتقاليد الأبوية المتأصلة والثقافة القبلية والأعراف الاجتماعية المحافظة (١٠٢)، كما أن الحرب الأهلية، وما صاحبها من تصاعد نفوذ الإسلاميين المحافظين، أدى إلى نتيجة غير مقصودة، هي الهجوم على حقوق المرأة الليبية وحيزها العام، فباتت هذه الحقوق اليوم تحت الحصار (١٠٣).

وقد تجسدت أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف الخامس من أهداف التنمية المستدامة فيما يلي:

- المشاركة المتكافئة للكشافة والمرشدات في العمل الميداني، والدورات التدريبية على اختلافها.

- مشاركة الفتيات في العروض الكشفية.

- مشاركة القائدات في صنع القرار في النشاط الكشفي.



- تنفيذ حملة لنشر الوعي بحقوق المساواة بين الجنسين .
- تنظيم محاضرة عن مخاطر الزواج المبكر (٢٠١٨م).
- تنظيم ندوة حول العنف ضد المرأة بمدرسة الخنساء للتعليم الأساسي (٢٠٢٠م).
- تنمية القيادة لدى الفتيات.
- الاحتفال بيوم الأخوة الكشفية العربي.

#### الهدف ٦: المياه النظيفة والنظافة الصحية

تتمثل أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف السادس من أهداف التنمية المستدامة في:

- تنمية الوعي بمشكلات المياه وتكوين الاتجاهات والممارسات الايجابية لدى المنتسبين للحركة الكشفية حيال ترشيد استهلاك المياه.
- حملات توعية مجتمعية بكيفية ترشيد استهلاك المياه وحماية الموارد المائية من الاستنزاف والتلوث.

- الاحتفال باليوم العالمي للمياه ٢٢ مارس (نشاط سنوي)، ولأول مرة الكترونيا في عام ٢٠٢٠م بسبب جائحة كورونا (كوفيد ١٩).
- المساهمة في معالجة تسرب المياه العمومية.

#### الهدف ٧: طاقة نظيفة وبأسعار معقولة

تتجسد أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف السابع من أهداف التنمية المستدامة في القيام بحملات توعية حول ترشيد استهلاك الطاقة (كشافة من أجل الطاقة).

#### الهدف ٨: العمل اللائق ونمو الاقتصاد

تتجسد أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف الثامن من أهداف التنمية المستدامة في:

- تنظيم ورشة عمل حول المشروعات الصغيرة وريادة الأعمال.
- تنظيم دورات لتعلم الحياكة والتطريز، والأشغال اليدوية، وصناعة الحلوى وغير ذلك، بالتعاون مع جمعية فناة ليبيا الحرة.
- تدوير النفايات البلاستيكية (مغاطي زجاجات المياه).

**الهدف: ٩: الصناعة والابتكار والهياكل الأساسية**

تتمحور أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف التاسع من أهداف التنمية المستدامة في:

- البث المباشر للمناسبات الكشفية عبر شبكات التواصل الاجتماعي
- المشاركة في المخيم الافتراضي الكشفي العالمي.
- محاضرة حول التوجيه المهني لطلاب المدارس، بالتعاون مع جمعية فتاة ليبيا الحرة.

**الهدف ١٠: الحد من أوجه عدم المساواة**

مما يلاحظ غياب أنشطة المفوضية عن دعم تحقيق الهدف العاشر من أهداف التنمية المستدامة، وقد يعزى ذلك إلى أن الحد من عدم المساواة يقع في الأساس على عاتق الدولة.

**الهدف ١١: مدن ومجتمعات محلية مستدامة**

يمكن تحديد نماذج لبعض أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف الحادي عشر من أهداف التنمية المستدامة على النحو التالي:

- القيام بحملات النظافة العامة.
- حملات تشجير.
- المساهمة في تركيب العلامات الإرشادية المرورية.
- تنظيم احتفالية باليوم العالمي للتطوع (نشاط سنوي).
- الاحتفال بأيام البيئة، و منذ انتشار جائحة كورونا يتم الاحتفال بها إلكترونياً.

**الهدف ١٢: الاستهلاك والإنتاج المسؤولين**

تتجسد أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف الثاني عشر من أهداف التنمية المستدامة فيما يلي:

- محاضرة حول الاستهلاك وحماية المستهلك، بالمشاركة مع الحرس البلدي.
- التوعية والتثقيف للحد من النفايات والتقليل منها، وتخفيض نصيب الفرد من النفايات الغذائية.

**الهدف ١٣: العمل المناخي**

تتمحور أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق هذا الهدف في: تزويد الكشافين بالمعرفة من أجل العمل المناخي، والتوعية بتغير المناخ والتصدي له.

**الهدف ١٤: الحياة تحت المياه**

تتمثل أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف الرابع عشر من أهداف التنمية المستدامة فيما يلي:

- تنظيم برامج لتنظيف الشواطئ (مصيف العودة- الليدو -نادي الغوص) بالاشتراك مع الشركة العامة للنظافة وجمعية الهلال الأحمر وشركة المدار الجديد للاتصالات.
- توزيع مطويات وأكياس قمامة على المصطافين للحفاظ على نظافة الشواطئ، و البيئة البحرية.
- توقيع اتفاقية مع منظمة صون الحياة البرية والمائية بدرنة لتدريب القادة على حماية البيئة.

**الهدف ١٥: الحياة في البر**

تتمحور أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف الخامس عشر من أهداف التنمية المستدامة فيما يلي:

- تنفيذ أول مشروع لقبيلة الأرض على مستوى ليبيا(تحدي البلاستيك) ٢٠٢٠م.
- مخيمات كشفية، ورحلات المغامرة واستكشاف البيئة (الجغبوب -عكرمة - بالخائر - المرصص).
- إعادة تشجير الغابة الكشفية.

- حملة توعية تحت شعار "عيدنا جميل مع سلوك بيئي نظيف" خلال عيد الأضحى المبارك عام ٢٠٢٠م، بهدف الحفاظ على البيئة من التلوث بجلود الأضاحي.

وتتفق هذه النتيجة مع جوهر الحركة الكشفية والمتمثل في أن البيئة هدف الحركة الكشفية منذ نشأتها حيث نشأت ونمت وترعرعت في أحضان الطبيعة، وهي تربي المنخرطين في عضويتها على احترام البيئة وحمايتها من خلال قانون ووعده الكشاف، الذي يجعل من الكشاف جزءًا فعالاً في الطبيعة يستمتع بمباهجها ويحافظ عليها، ولكي تستطيع الحركة الكشفية التوفيق بين طبيعة أنشطتها المعتمدة تمامًا على حياة الخلاء وبين حماية هذه

البيئة من التدهور، فإنها وضعت برامج وأنشطة للتدريب على نشر الوعي البيئي والحد من المشكلات البيئية، حيث تعتمد على بناء الأخلاق البيئية لدى منتسبيها وتزويدهم بالمعارف والمعلومات والأساليب لنقل هذه الأخلاق لهم وللمجتمع المحيط (١٠٤).

#### الهدف ١٦: السلام والعدالة والمؤسسات القوية

يتمثل دور المفوضية في دعم تحقيق الهدف السادس عشر من أهداف التنمية المستدامة في:

- تنظيم محاضرة تثقيفية عن السلم الاجتماعي بكلية الحقوق جامعة طبرق (٢٠١٩م).
- دورة تدريبية عن السلم الاجتماعي بمدرسة الأمل بالاشتراك مع منظمة الشراكة المجتمعية.
- برنامج رسل السلام.

#### الهدف ١٧: عقد الشراكات لتحقيق الأهداف

تعرف أمانى قنديل الشراكة باعتبارها علاقة تكامل بين إمكانيات وقدرات طرفين أو أكثر، حيث يبرز التوافق والاتفاق حول تحقيق أهداف محددة، وهي علاقة تحكمها المساواة بين الأطراف، واحترام كل طرف لقدرات الطرف الأخر، وتحقيق المنفعة العامة أو الصالح العام (١٠٥).

من أجل دعم تحقيق الهدف ١٧ حرصت المفوضية على بناء الشراكة بينها وبين مؤسسات المجتمع المدني والحكومة، ويمكن تحديد نماذج لبعض أهم أنشطة المفوضية في دعم تحقيق الهدف السابع عشر من أهداف التنمية المستدامة على النحو التالي:

- المشاركة في المخيمات الكشفية الدولية منها: الجزائر ٢٠١٨م، المخيم الكشفي العالمي بأمريكا عام ٢٠١٩م.

- شراكة مع بعض مفوضيات وأفواج الحركة الكشفية الأخرى؛ لتنفيذ دورات تدريبية وتبادل خبرات (مفوضية الجبل الأخضر، مفوضية درنة، وفوج شحات).

- الشراكة مع جهات حكومية منها: المجلس البلدي، وجامعة طبرق، المركز الطبي، و المركز الثقافي، شركة المدار للاتصالات، الشركة العامة للنظافة.

- الشراكة مع منظمات المجتمع المدني في مدينة طبرق: (الهلال الأحمر الليبي، جمعية فتاة ليبيا الحرة، منظمة الشراكة المجتمعية، منظمة سلام الخيرية، منظمة بواذر)، وذلك

بهدف تنفيذ أنشطة توعوية وعلمية وإعارة مقر: ( منظمة الشراكة المجتمعية - جمعية فتاة ليبيا الحرة)، للمفوضية لتقوم فيه بنشاطها، فضلا عن العمل الميداني لدعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

من خلال العرض السالف لجوانب من أهم الأنشطة التي تقوم بها المفوضية محل الدراسة في دعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر، يتضح جلياً أن أنشطة المفوضية تعددت وتنوعت وحاولت تغطية نطاقاً واسعاً في أهداف التنمية المستدامة، حيث يتم تغطية الجانب الاجتماعي: (الأهداف: الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس عشر)، ويتم تغطية الجانب الاقتصادي (الأهداف: الثاني والخامس والثامن والتاسع والثاني عشر والسابع عشر)، كما يتم تغطية الجانب البيئي (الأهداف: السادس والسابع والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر).

وهنا مهم الإشارة إلى أن المفوضية تحرص إلى حد ما بتوثيق أنشطتها إلكترونياً من خلال موقع المنظمة الكشفية العالمية. وقد حاولت المفوضية من خلال ما ذكره الباحث سابقاً لأنشطتها، توظيف رأس مالها البشري، وبناء قدرتها، فضلا عن تطبيق مفهوم الشراكة في تنفيذ الأنشطة لتوظيف طاقات المجتمع المحلي للمساهمة في دعمها لتحقيق أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر، الأمر الذي يشير إلى نجاح المفوضية ومؤشر على فعاليتها، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج عديد الدراسات منها: دراسة أسامة العجمي التي أوضحت أن الحركة الكشفية الليبية تسهم في خدمة وتنمية المجتمع من خلال المشاركة في العديد من المشروعات البيئية والأعمال التنموية بالمجتمع كحملات التشجير وحملات النظافة والاحتفال بالأيام والمناسبات الوطنية والبيئية (١٠٦)، ودراسة فواز الغامدي التي أوضحت أن جمعية الكشافة العربية السعودية تساهم وبدرجة عالية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، مع بقية المنظمات والقطاعات الأخرى داخل المملكة العربية السعودية، وأنه يعول على جمعية الكشافة دور كبير في ذلك (١٠٧)، ودراسة عز الدين نوح التي أوضحت أن الكشافة السودانية تعتبر من أفضل المنظمات التنموية مساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة (١٠٨).

وفي ضوء المدخل البنائي الوظيفي الذي تبناه الباحث كموجه نظري لهذه الدراسة يمكن النظر إلى المفوضية بأنها نسقا فرعيا وظيفيا، تعمل على مساعدة المجتمع على

مواجهة احتياجاته الوظيفية التي تكفل له التكامل والتساند لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

### ٣- المعوقات التي تواجه المفوضية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة

بحسب التقرير الاستعراضي الطوعي الأول لليبيا ٢٠٢٠م حول أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠م، هناك العديد من المعوقات والتحديات التي تواجه ليبيا في تحقيق أهداف التنمية المستدامة من أهمها: جائحة كورونا (كوفيد١٩)، وتحديات الاستقرار السياسي وهشاشة الوضع الأمني، وكذلك الهجرة غير الشرعية، وازدياد أعداد النازحين والمهجرين بالإضافة إلى طبيعة الاقتصاد الليبي من حيث أنه اقتصاد ريعي يعتمد على النفط والغاز وفي حال توقف إمدادات هذه الثروة تتوقف الموارد المالية اللازمة لبرامج التنمية المستدامة، والافتقار والشح في المعلومات والبيانات والمؤشرات المطلوبة للقياس والتقييم، وضعف الأداء والتنسيق المؤسسي، و إعادة الإعمار، وعدم وجود قطاع خاص منظم وقوي (١٠٩).

على الرغم من جسامة المعوقات والتحديات التي تواجه التنمية المستدامة في ليبيا، إلا أنه يمكن لها أن تواجه هذه المعوقات والتحديات من خلال تبنيها نموذج الدولة التنموية بمعني الدولة هي التي تحدد الرؤية الاستراتيجية للتنمية، وتقودها (١١٠)، الملتزمة بالحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، غير أن الانتقال من الاقتصاد السياسي القائم على الربيع إلى نموذج الدولة التنموية يتطلب تبني آليات المساءلة السياسية والاجتماعية والإدارية التي تعزز التنمية الاستيعابية في كلا المجالين السياسي والاقتصادي (١١١).

إن الدولة ضرورة في ليبيا؛ لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، فلم يعد مقبولا في القرن الواحد والعشرين اللجوء إلى القبيلة لحل مشاكل اجتماعية وسياسية يومية وتكليفها بإنجاز التنمية المحلية. ولكن الأكثر ضرورة هي ثقافة الدولة التي تبني الاقتناع بشرعية المؤسسات، ولا يتوجب التعامل مع الدولة على أنها غنيمة حرب، أو على أنها فريسة سياسية واقتصادية (١١٢).

وعلى الرغم من أهمية دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، إلا أن تحقيق أهداف التنمية المستدامة يجب أن يظل واجبا أساسيا للدولة، كما لا تتحقق

أهداف التنمية المستدامة إلا من خلال الشراكة بين الدولة والقطاع الخاص والمجتمع المدني والمشاركة الشعبية.

وهناك عديد المعوقات التي تواجه المفوضية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة منها: عدم توفر التمويل المالي الكافي لتنفيذ البرامج والأنشطة، وعدم توفر مقر ملائم فضلاً عن تعرضه للهدم ومحاولة الاستيلاء عليه، وتسرب بعض القادة والقائادات والمنتسبين للمفوضية، والفجوة بين الأجيال الكشفية، وعدم وجود مكتبة كشفية، والتنافس بين المراحل الكشفية في تنفيذ الأنشطة، ما يستلزم ذلك العمل على إحلال قيمة التعاون بدلاً من التنافس، وضعف الحوافز المعنوية وعدم وجود حوافز مادية، وتنفيذ الأنشطة الكشفية غير مناسب لأوقات فراغ المنتسبين، وأزمة المواصلات، وضعف ثقافة التطوع، و تدني وعي أعضاء المجتمع بأهمية الحركة الكشفية ودورها في المجتمع، وغياب الدعم المجتمعي، وعدم سماح الآباء بمشاركة الأبناء وخاصة الإناث، و قصور وسائل الإعلام في الاهتمام بإبراز أنشطة المفوضية،

والأوضاع الأمنية والسياسية والاقتصادية السائدة، وتعليق الأنشطة الكشفية بسبب أزمة جائحة كورونا المستجد (كوفيد ١٩). في ضوء المدخل البنائي الوظيفي الذي تبناه الباحث كموجه نظري لهذه الدراسة يمكن النظر إلى المعوقات سالفة الذكر التي تواجه المفوضية على أنها النتائج الضارة التي تؤدي إلى الخلل الوظيفي الذي يعيق أو يقلل من الدور الوظيفي للمفوضية في دعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر.

#### ٤- مقترحات تفعيل دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة

من أهم المقترحات التي طرحها المفوض العام للمفوضية لتفعيل دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة بشكل عام: توفير التمويل الكافي وإيجاد مشاريع استثمارية مدره للدخل، و العمل الجاد على تأسيس مبان ملائمه للمفوضيات، وتنمية العضوية، وتوفير حوافز مادية رمزية، وتوفير وسيلة مواصلات، وتوعية المواطنين بقيمة العمل التطوعي ودور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة من خلال وسائل الإعلام، وإجراء الزيارات الميدانية للمدارس والمعاهد والجامعات بهدف ربط المفوضيات بالفتية والشباب، والاتصال الفعال بين المفوضيات والجهات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني.

## ثانيا: نتائج المقابلات غير المقننة

## ١- مفهوم التنمية المستدامة وأهدافها

من واقع المقابلات غير المقننة مع بعض القادة /القائدات بالمفوضية محل الدراسة، اتضح للباحث وعيهم بمفهوم التنمية المستدامة، ويعكس ذلك تعريفات بعضهم، حيث هي من وجهة نظر أحدهم " الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية والحفاظ عليها لتلبية احتياجاتنا وكذلك الأجيال القادمة"، كما عرفها آخر بأنها "استخدام الموارد المتاحة لنا حاليا بشكل مناسب ومتوازن بحيث لا يتم استنزافها حتى تتوفر للأجيال القادمة ما توفر للجيل الحالي"، ويرى أحد القادة التنمية المستدامة تعني ضرورة مواجهة مخاطر التدهور البيئي الذي يجب إيقافه والحد منه مع عدم التخلي عن الرغبة والحاجة للتنمية الاقتصادية وكذلك المساواة والعدل الاجتماعي بحيث يكون هناك توافق بين التنمية الاقتصادية والمحافظة على البيئة مع مراعاة حقوق الأجيال القادمة في الموارد الطبيعية"، والتنمية المستدامة في رأي إحدى القائدات تعني " تنمية اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية لا تدمر البيئة وتعمل لصالح الأجيال المقبلة".

كما أن ثمة إدراكًا ووعيًا عامًا بينهم بأهداف التنمية المستدامة السبعة عشر، وربما يعزى ذلك إلى توفر القدر الكافي من المستوي التعليمي والثقافي لديهم، وحرصهم على حضور الدورات التدريبية والمحاضرات وورشات العمل، وقد أكد جميع من قابلتهم من القادة / القائدات على أهمية دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة للمجتمع الليبي في ضوء الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة، لأن الحركة الكشفية غير منعزلة عن قضايا المجتمع ومشكلاته، والمشاركة في خدمة وتنمية المجتمع هي إحدى المبادئ الأساسية للحركة الكشفية.

## ٢- المعوقات التي تواجه المفوضية في تحقيق أهدافها

ثمة العديد من المعوقات التي تواجه المفوضية محل الدراسة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة من وجهة نظر القادة/القائدات منها: نقص التمويل الكافي، عدم توفر مقر ملائم، عدم توفر الامكانيات اللوجستية والمعدات الكشفية، عدم التفرغ للعمل الكشفي، ضعف التنسيق والتعاون والعمل بروح الفريق، وتسرب القادة والكشافين، الشللية، الصورة الاجتماعية السلبية عن الحركة الكشفية، وغياب ثقافة التطوع، وعدم إدراك المؤسسات



العامة لمفهوم وأهداف التنمية المستدامة، وغياب التنسيق بين شركاء التنمية، وعدم التغطية الإعلامية الكافية عن المفوضية وأنشطتها، وأزمة جائحة كورونا المستجد (كوفيد ١٩).

### ٣- مقترحات القادة/ القائدات لتفعيل دور المفوضية في المستقبل لتحقيق أهداف التنمية المستدامة

تمثلت أهم المقترحات التي طرحها القادة/ والقائدات لتفعيل دور المفوضية في المستقبل لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في: تطوير مصادر للتمويل الذاتي، والعمل الجاد لتوفير مقر ملائم، والعمل على وضع خريطة طريق أو خطة عمل ملموسة ووسائل تنفيذ لتحقيق أهداف التنمية المستدامة لجميع المراحل الكشفية، والاهتمام بتدريب وتأهيل القادة/القائدات، والتقدير المناسب لجهود القادة والمنتسبين للعمل الكشفي(خطابات الشكر، شهادات التقدير) وتقديم حوافز مادية رمزية، تنمية العضوية، توفير وسيلة مواصلات، وعقد ندوات ومؤتمرات كشفية بصفة دورية بخصوص كل ما يتعلق بالحركة الكشفية ودورها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، والعمل على تجسير الفجوة بين الأجيال الكشفية، غرس روح العمل الجماعي بين قادة المراحل الكشفية، و إقامة دورات لخلق كوادر إعلامية كشفية.

وتكشف المقترحات السابقة عن تمتع القادة/ القائدات بوعي ناضج ووضوح الرؤية بالحلوق الواقعية لتفعيل دور المفوضية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

### تاسعا: أهم النتائج العامة للدراسة

#### أولا: نتائج دراسة الحالة

- المفوضية إحدى مفوضيات الحركة العامة للكشافة والمرشدات بليبيا والبالغ عددها ٢٥ مفوضية، تأسست منذ ما يقرب من ٦ عقود من الزمان، ويتبع للمفوضية فوج الجغوب للكشافة والمرشدات.

- يتشكل الهيكل التنظيمي للمفوضية من المكتب التنفيذي، ومؤتمر المفوضية، وينتظم المكتب التنفيذي في عقد اجتماعاته، باستثناء العام الكشفي ٢٠١٩م-٢٠٢٠م بسبب أزمة جائحة كورونا (كوفيد ١٩)، كما ينتظم مؤتمر المفوضية في عقد اجتماعه السنوي، وكان

آخر اجتماع له في ١٥ أكتوبر ٢٠٢٠م، وتم اختيار المفوض العام للمفوضية والمفوضة المساعدة لشؤون المرشدات بالتشاور والتوافق، ويتم حل الاختلافات داخل المفوضية بالتشاور والتوافق والاحتكام للنظام الأساسي للحركة العامة للكشافة والمرشدات، وتتوافر الشفافية والمحاسبية في إدارة المفوضية.

- تهتم المفوضية بالدورات التدريبية للقادة والمنتسبين لها بشكل دوري، وكانت آخر دورة تدريبية خلال شهر فبراير عام ٢٠٢١م.

- تعتمد المفوضية في تمويلها على مصادرها الذاتية ولا يكفي التمويل لتسيير الأنشطة الأساسية التي تقوم بها، وتجري المفوضية تقييماً لأنشطتها وبرامجها من خلال مؤتمرها السنوي.

- كشفت نتائج الدراسة الميدانية عن حرص المفوضية في أنشطتها على تحقيق أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر وقد تعددت وتنوعت و حاولت تغطية نطاقاً واسعاً في أهداف التنمية المستدامة، حيث يتم تغطية الجانب الاجتماعي (الأهداف: الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس عشر)، ويتم تغطية الجانب الاقتصادي (الأهداف: الثاني والخامس والثامن والتاسع والثاني عشر والسابع عشر)، كما يتم تغطية الجانب البيئي (الأهداف: السادس والسابع والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر).

- ثمة عدة معوقات تواجه المفوضية في قيامها بدورها بالمستوى الملائم لتحقيق أهداف التنمية المستدامة منها: عدم توفر التمويل المالي والكافي لتنفيذ البرامج والأنشطة، وعدم توفر مقر ملائم، وتسرب بعض القادة والقائدات والمنتسبين للمفوضية، والفجوة بين الأجيال الكشفية، و ضعف الحوافز المعنوية وعدم وجود حوافز مادية، وتدني وعي أعضاء المجتمع بأهمية الحركة الكشفية ودورها في المجتمع، وقصور وسائل الإعلام في الاهتمام بإبراز أنشطة المفوضية، والأوضاع الأمنية والسياسية والاقتصادية السائدة، وتعليق الأنشطة الكشفية بسبب أزمة جائحة كورونا (كوفيد ١٩).

- تتمثل مقترحات تفعيل دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة في: التمويل الكافي، ومقر ملائم، وتوفير وسيلة مواصلات، وتنمية العضوية، وإيجاد مشاريع

استثمارية مدرة للدخل، وحواجز مادية رمزية، والاتصال الفعال بين المفوضية والجهات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني، والإعلام الكشفي.

### ثانياً: نتائج تطبيق المقابلات غير المقننة

- كشفت نتائج المقابلات غير المقننة مع القادة / القائدات، عن ادراكهم ووعيهم بمفهوم التنمية المستدامة وأهدافها السبعة عشر، ويحرصون من خلال أنشطة فرقهم الكشفية على اختلاف مراحلها دعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة وذلك في ضوء الإمكانيات المتاحة لديهم.

- كشفت نتائج المقابلات المقننة عن مدى التنوع في رؤية من قابلتهم من القادة/القائدات لأهم المعوقات التي تحد من فاعلية دور المفوضية محل الدراسة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة وهي: نقص التمويل الكافي، وعدم توفر مقر ملائم، وعدم توفر الامكانيات اللوجستية والمعدات الكشفية، وعدم التفرغ للعمل الكشفي، وضعف التنسيق والتعاون والعمل بروح الفريق، وتسرب القادة والكشافين، والشللية، والصورة الاجتماعية السلبية عن الحركة الكشفية، وغياب ثقافة التطوع، وعدم إدراك المؤسسات العامة لمفهوم وأهداف التنمية المستدامة، وغياب التنسيق بين شركاء التنمية، وعدم التغطية الإعلامية الكافية عن المفوضية وأنشطتها، وأزمة جائحة كورونا (كوفيد ١٩).

- خلصت الدراسة إلى ثمة مقترحات لتفعيل دور المفوضية في المستقبل لتحقيق أهداف التنمية المستدامة تتمثل في: تطوير مصادر للتمويل الذاتي، والعمل الجاد لتوفير مقر ملائم، وتنمية العضوية، والتقدير المناسب لجهود القادة والمنتسبين للعمل الكشفي(خطابات الشكر، شهادات التقدير)، وتقديم حوافز مادية رمزية، والاهتمام بتدريب وتأهيل القادة/القائدات، وعقد ندوات ومؤتمرات كشفية بصفة دورية بخصوص كل ما يتعلق بالحركة الكشفية ودورها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتوفير وسيلة مواصلات، وإقامة دورات لخلق كوادر إعلامية كشفية، والعمل على تجسير الفجوة بين الأجيال الكشفية، وغرس روح العمل الجماعي بين قادة المراحل الكشفية، والعمل على وضع خريطة طريق أو خطة عمل ملموسة لوسائل تحقيق أهداف التنمية المستدامة لجميع المراحل الكشفية.

## توصيات الدراسة

- في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة يمكن صياغة بعض التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في تفعيل دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة وهي على النحو التالي:
- ربط أنشطة خدمة وتنمية المجتمع بأهداف التنمية المستدامة.
  - إنشاء لجنة متابعة لرصد التقدم المحرز في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتقييم أداء الفرق وقادتها.
  - زيادة عدد المؤهلين لقيادة المراحل الكشفية لتنفيذ الأنشطة المرتبطة بتحقيق أهداف التنمية المستدامة.
  - ضرورة توفير حوافز مادية ومعنوية للمنتسبين للحركة الكشفية من خلال الجهات الحكومية والقطاع الخاص لزيادة أنشطتها في دعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وكذلك مساعدة المتميزين منهم على توظيفهم وتوليهم بعض المناصب في الهيئات الحكومية، نظرا لتوافر سمات القيادة لديهم.
  - بناء شراكة فاعلة مع المؤسسات الحكومية و القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني فيما يخص دعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة.
  - توثيق كل أنشطة المفوضيات.
  - توفير مقار ملائمة للمفوضيات والتوسع في إنشاء الجمعيات الكشفية وخاصة في المناطق النائية، وبذلك يمكن مساهمة أكبر عدد ممكن من المواطنين في الانتساب للحركة الكشفية، بالإضافة إلى تشجيع الإناث على الانضمام إلى عضوية الحركة الكشفية.
  - زيادة التفاعل والتعاون بين الحركة الكشفية والمجتمع المحلي.

## الهوامش والمراجع

- ١- معهد التخطيط القومي، نحو منهجية لقياس المؤشرات وتصور متكامل لنمذجة السيناريوهات البديلة لتحقيق أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة ٢٠٣٠- حالة مصر، سلسلة قضايا التخطيط والتنمية، رقم (٣٠٧)، أغسطس ٢٠١٩م، ص ٣،
- ٢- الإسكوا، دور المجتمع المدني في المنطقة العربية في تنفيذ خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠م، بيروت، ٢٠١٦م، ص IV ، عن :  
E/ESCWA/SDD/2016/TECHNICAL PAPER1  
<https://www.unescw.org>
- ٣- برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، تقرير حالة التطوع في العالم لعام ٢٠١٨ الرابط الذي يجمعنا التطوع وقدرة المجتمعات المحلية على الصمود، ٢٠١٨م، ص ١٨، عن:  
<https://www.un-ilibrary.org>.
- ٤- تقرير تجميحي حول خطة عمل إدماج العمل التطوعي في خطة عام ٢٠٣٠م في منطقة لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، ٢٠١٩م، ص ٣-٤، عن:  
<https://www.unv.org>.
- ٥- تحويل عالمنا: خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠، الجمعية العامة للأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠١٥م، ص ١٦، عن: <https://www.unctad.org>.
- ٦- Sustainable Development A study for -Lonegren, lovisa, Scouting of some young people's environmental views with in the Scout Movement, Master thesis, Lund University, Sweden, 2011, p.25. from: <https://www.lumes.lu.se>.
- ٧- المنظمة الكشفية العربية، الدليل العام للمناهج الكشفية العربية المطورة، نسخة تجريبية، القاهرة، يوليو ٢٠١١م، ص ٨.
- ٨- خليل رحمه على حسن، دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بحث مقدم إلى: المؤتمر الكشفي العربي ال ٢٩، الذي نظمه الإقليم الكشفي العربي و المنظمة الكشفية العربية، شرم الشيخ، مصر، ٦- ١٢ سبتمبر ٢٠١٩ ، ص ١١، عن:  
<https://www.arabscoutconference.org>
- ٩- مقابلة شخصية مع القائد خليفة مكرز، بتاريخ ٧ يناير ٢٠٢١م، بمدينة طبرق.

١٠- أميرة زروال، الكشافة الإسلامية الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية ١٩٣٠-١٩٥٤، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة ٨ ماي ١٩٥٤، قالمه، الجزائر، ٢٠١٧، ص ١٥، عن:

<https://www.dspace.univ-adrar.edu.dz>.

١١- اللجنة الكشفية العالمية، مراجعة الطريقة الكشفية، المؤتمر الكشفي العالمي (٤١)، الوثيقة (٨)، انريجان، ٢٠١٧م، ص ١١،

١٢- مليكة كريكرة، التربية الكشفية والتنشئة الاجتماعية للطفل، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٧م-٢٠٠٨م، ص ١٥، عن:

<https://www.bu.umc.edu.dz>.

١٣- الحركة العامة للكشافة والمرشدات، القانون رقم ١٢ لسنة ١٩٧٥ بشأن تنظيم الحركة العامة للكشافة والمرشدات طرابلس، د-ت، ص ٧.

١٤- محمد واصل، الجمعيات الأهلية والتنمية في المجتمع الليبي دراسة ميدانية لعينة من قيادات بعض الجمعيات الأهلية في مدينة طبرق، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد التاسع، يناير ٢٠١٢، ص ١٢٨،

١٥- مرفت رشماوي، خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠، شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية، بيروت، ٢٠١٨م، ص ١٤، عن:

<https://www.2030monitor.annd.org>

١٦- محمد واصل، مرجع سابق، ص ١٢٩-١٣٠،

١٧- عبد الحليم شاهين، التطور التاريخي لنظريات النمو والتنمية في الفكر الاقتصادي، سلسلة دراسات تنموية، العدد ٧٣، ٢٠٢١، ص ١.

١٨- إبراهيم العيسوي، مراجعات الكتب، تدريس التنمية المستدامة التحديات الأخلاقية والسياسية، عمران، العدد ٣١، المجلد ٨، شتاء ٢٠٢٠م، ص ١٨٠،

١٩- هاني خميس أحمد عبده، ثقافة رأس المال الاجتماعي والتنمية المستدامة: " دراسة سوسيولوجية للأسس النظرية والتجارب العملية"، ورقة بحثية مقدمة إلي: المؤتمر الدولي الثامن عشر بعنوان: ثقافة التنمية، الذي نظمتها كلية الآداب والفنون بجامعة فيلادلفيا، الأردن، خلال الفترة (٤-٦ نوفمبر، ٢٠١٣)، ص ١،

- ٢٠- أحمد محمد عبد الغني، الجمعيات الأهلية والتنمية المستدامة دراسة استكشافية في قرية مصرية، مجلة كلية الآداب والإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة القاهرة، المجلد (٧٨)، العدد (٣)، إبريل ٢٠١٨م، ص ١٦٧-١٦٨
- ٢١ - JACOBUS A. DU PISANI, Sustainable development - historical roots of the concept, Environmental Sciences, June 2006, p. 83, from: <https://www.semanticscholar.org>.
- ٢٢- علي عبد الرازق جلبي، علم الاجتماع والتنمية المستدامة المقومات والمؤشرات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٣، ص ٢٤
- ٢٣- على ليلة، دور المنظمات الأهلية في مكافحة الفقر، الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٨٨
- ٢٤- رباب عاطف محمود عبد المنعم، دور بنوك القرية في تعزيز مؤشرات التنمية المستدامة "دراسة ميدانية لأحد بنوك القرية بمحافظة بني سويف"، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد الثامن والعشرون (الجزء الأول)، ٢٠٢٢، ص ٢٣٣
- ٢٥- علي عبد الرازق جلبي، مرجع سابق، ص ٢٨-٢٩
- ٢٦- تحويل عالما: خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠، مرجع سابق، ص ٥
- ٢٧- محمد شكري التلاوي، التربية الكشفية وتنمية الشخصية، الاتحاد العام للكشاف المسلم، الأمانة العامة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢٧
- ٢٨- إيناس سعيد، الحركة الكشفية في مرحلة البراعم وتطبيقاتها التربوية" تصور مقترح"، مجلة الطفولة والتنمية، العدد (٢٣)، صيف ٢٠١٥م، ص ٢٢
- ٢٩- محمود إبراهيم محمد أبو الخير، استراتيجية مقترحة لتطوير التربية الكشفية الإرشادية لمرحلة التعليم الأساسي لمدن القناة، رسالة دكتوراه، كلية التربية الرياضية للبنين والبنات، جامعة بور سعيد، ٢٠١٣م، ص ١٩
- ٣٠- الجمعية العالمية للمرشدات وفتيات الكشافة، كونوا أنتم التغيير الإيجابي، ٢٠١٨ م، ص ٣، عن:

<https://www.duz92c79aoni3.cloudfront.net>.

٣١- منصور نزال الزبون، ماهر مفلح زيادات، درجة امتلاك معلمي الكشافة في مديرية تربية قسبة المفرق لمبادئ الحركة الكشفية والإرشادية، دراسات العلوم التربوية، المجلد ٤٣، العدد ١، ٢٠١٦م، ص ٢٨٢، عن:

<https://www.journals.ju.edu.jo>.

٣٢- محمد شكري التلاوي، مرجع سابق، ص ٣٢-٣٣

٣٣- أسامة جمعة على العجمي، الدور البيئي للحركة الكشفية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة سبها، المجلد (١٥)، العدد (١)، ٢٠١٦م، ص ١٥٢، عن:

<https://www.sebhaau.edu.ly>.

٣٤- محمد شعيبات، يوسف حرفوش، واقع الحركة الكشفية الإرشادية في المدارس الحكومية في محافظة "رام الله والبيرة" من وجهة نظر المديرين والقادة الكشفيين ومقترحات تطويرها، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد (٢٩)،

العدد (٢)، ٢٠١٥م، ص ٣٣٣، عن: <https://www.dspace.alquds.edu>.

٣٥- دستور المنظمة العالمية للحركة الكشفية، أغسطس ٢٠١٧م،

ص ٤، عن: <https://www.scout.org>.

٣٦- رائد الطائي، وآخرون، فلسفة وتاريخ التربية الكشفية ودورها في التنمية الشاملة للنشء والمجتمع، مجلة علوم التربية الرياضية، المجلد (١٠)، العدد (١)، ٢٠١٧م،

ص ١٢٤، عن: <https://www.iasj.net>.

٣٧- إيناس سعيد، مرجع سابق، ص ٣٥

٣٨- الدليل العام للمناهج الكشفية العربية المطورة، نسخة تجريبية- يوليو ٢٠١١م، الإقليم الكشفي العربي والمنظمة الكشفية العربية، الأمانة العامة، القاهرة، ٢٠١١م.

٣٩- منصور نزال الزبون، ماهر مفلح زيادات، مرجع سابق، ص ٢٨٢

٤٠- إيناس سعيد، مرجع سابق، ص ٢٣

٤١- مرفت رشماوي، مرجع سابق، ص ٢١.

٤٢- الإنتوساي والأمم المتحدة، رقابة مدى الاستعداد لتنفيذ أهداف التنمية المستدامة دليل

إرشادي للأجهزة العليا الرقابية، ٢٠١٦م، ص ١٠، عن: <https://www.audit.gov.ly>.



- ٤٣- للمزيد من التفصيل يرجى النظر إلى : تقرير أهداف التنمية المستدامة ٢٠٢٠م، الأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠٢٠م، ص ٦٠-٦١، عن: <https://www.unstats.un.org>
- ٤٤- الأمم المتحدة، تحويل عالماً: خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠، مرجع سابق، ص ١
- ٤٥- مايكل بامبيرغر، وآخرون، تقييم أهداف التنمية المستدامة من خلال منظور " دون استثناء أحد" عن طريق التقييمات المراعية لاعتبارات النوع الاجتماعي والتي تركز على الإنصاف، هيئة الأمم المتحدة للمرأة، نيويورك، ٢٠١٦م، ص ١١-١٢، عن: <https://www.evalpartners.org>.
- ٤٦- الإسكوا، رصد أهداف التنمية المستدامة في الدول العربية المتأثرة بالنزاعات تحليل البيانات الجزئية في المسوح الأسرية، بيروت، ٢٠١٨م، ص ٤، عن: <https://www.unescw.org>. E/ESCWA/ECRI/2017/3
- ٤٧- المعهد الدنمركي لحقوق الإنسان، حقوق الإنسان وخطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠ الدروس المستفادة والخطوات التالية، ٢٠١٨م، ص ٥، عن: <https://www.human rights.dk>.
- ٤٨- اليونسكو، عرض تفصيلي الهدف ٤ للتنمية المستدامة التعليم ٢٠٣٠ دليل، ٢٠١٧م، ص ٣٠، عن: <https://www.rcepunesco.ae>
- ٤٩- المجلس العالمي للسعادة وجودة الحياة، التقرير العالمي لسياسات السعادة وجودة الحياة ٢٠١٩م، شبكة حلول التنمية، نيويورك، ٢٠١٩م، ص ٨-٩، عن: <https://www.hw.gov.ae>
- ٥٠- حسين الطلافه، عمر ملاعب، من الأهداف التنموية للألفية إلى خطة التنمية المستدامة ٢٠٣٠: التقييم والمستجدات، جسر التنمية، العدد ١٣٨، ٢٠١٧م، ص ١٣
- ٥١- تقرير مؤشرات ولوحات متابعة أهداف التنمية المستدامة للمنطقة العربية لعام ٢٠١٩م، مركز التميز التابع لأهداف التنمية المستدامة في المنطقة العربية/ أكاديمية الإمارات الدبلوماسية وشبكة الأمم المتحدة لحلول التنمية المستدامة، أبوظبي، نيويورك، ٢٠١٩م، ص ٤، عن: <https://www.53amazonaws.com>.
- ٥٢- الإسكوا، التقرير العربي للتنمية المستدامة ٢٠٢٠م، بيروت، ٢٠٢٠م، ص ١٠، عن: <https://www.digitallibrary.un.org>.

- ٥٣- الأمم المتحدة، تحويل عالمانا: خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠م، مرجع سابق، ص١٨-١٩
- ٥٤- خليل رحمه على حسن، دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بحث مقدم إلى : المؤتمر الكشفي العربي ال٢٩: الكشفية وأهداف التنمية المستدامة، مرجع سابق، ص١٠
- ٥٥- المنتدى الكشفي العربي الرابع للشباب، الإقليم الكشفي العربي- المنظمة الكشفية العربية، جمهورية مصر العربية، شرم الشيخ، ١-٦ سبتمبر ٢٠١٩م. ص٣٦، عن: <https://www.scout conference.org>.
- ٥٦- إيمان مصطفى محمد كفاقي، دور الحركة الكشفية في التنمية المستدامة للبيئة في بعض الدول الأجنبية وإمكانية الاستفادة منها في مجتمعاتنا العربية، بحث مقدم إلى: المؤتمر العالمي الكشفي وحماية البيئة، الرياض، السعودية، ٧-٨/٦/١٤٤٠هـ-١٢-١٣/٢/٢٠١٩م، ص ٧٤٠، عن: <https://www.backend.world scout foundation.org>.
- ٥٧- فوزي الزراعي، دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بحث مقدم إلى: المؤتمر الكشفي العربي ال٢٩: الكشفية وأهداف التنمية المستدامة، مرجع سابق، ص٢٤-٢٥.
- ٥٨- الجمعية العالمية للمرشدات وفتيات الكشافة ، مرجع سابق، ص٥
- ٥٩- الدليل التربوي لقادة الجواله، ٢٠١١م، الإقليم الكشفي العربي، المنظمة الكشفية العربية، القاهرة، ٢٠١١م، ص٢٨-٢٩، عن: <https://www.scout.org>
- ٦٠- محمد سعيد القشاط، على خليفة الزائدي قائد ورسالة، دار السراج للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، مارس ٢٠٠٤م، ص٢٥
- ٦١- العيد العشرون للحركة الكشفية بالجمهورية العربية الليبية ١٩٥٤م-١٩٧٤م، الحركة العامة للكشافة والمرشدات، طرابلس، ص٧
- ٦٢- محمد سعيد القشاط، مرجع سابق، ص٢٦
- ٦٣- أسامة جمعة على العجمي، الدور البيئي للحركة الكشفية، مرجع سابق، ص١٥٣.

- ٦٤- العيد العشرون للحركة الكشفية بالجمهورية العربية الليبية ١٩٥٤م-١٩٧٤م، مرجع سابق، ص ١٤-١٥.
- ٦٥- المرجع السابق، ص ١٧.
- ٦٦- جيل ورسالة، العدد الحادي عشر، السنة الثامنة، ١٩٧٤م، ص ١٦-١٧.
- ٦٧- مقابلة شخصية مع المرحوم القائد القدوة عبد العليم مختار الشاعري، بتاريخ ٢٩ أكتوبر عام ٢٠٢٠م، بواحة الجغبوب.
- ٦٨- للمزيد حول هذه المعوقات ينظر: أسامة جمعة علي العجمي، دور الحركات الاجتماعية في التوعية البيئية دراسة لحالة الحركة الكشفية بالمجتمع الليبي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١١م، ص ٢٢٣-٢٢٦.
- ٦٩- Lönegren, Lovisa, op .cit.
- ٧٠- أسامة جمعة علي العجمي، الدور البيئي للحركة الكشفية، مرجع سابق.
- ٧١- فواز بن علي الغامدي، دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بحث مقدم إلى : المؤتمر الكشفي العربي ال ٢٩: الكشفية وأهداف التنمية المستدامة، شرم الشيخ، جمهورية مصر العربية، ٦-١٢ سبتمبر ٢٠١٩م.
- ٧٢- أيمن مظهر، محمد أبوراس، دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بحث مقدم إلى : المؤتمر الكشفي العربي ال ٢٩: الكشفية وأهداف التنمية المستدامة، شرم الشيخ، جمهورية مصر العربية، ٦-١٢ سبتمبر ٢٠١٩م.
- ٧٣- طلعت إبراهيم لطفي، معوقات العمل التطوعي في دولة الإمارات العربية المتحدة دراسة ميدانية لعينة من القائمين بالعمل التطوعي في بعض الجمعيات التطوعية بدولة الإمارات العربية المتحدة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد ٢٠، عدد ١، إبريل ٢٠٠٤، ص ٢٧٤.
- ٧٤- قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، ترجمة: مصطفى خلف عبد الجواد، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤١٧.
- ٧٥- إحسان حفزي، علم اجتماع التنمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ٥٧-٥٨.

- ٧٦- طلعت إبراهيم لطفي، معوقات العمل التطوعي في دولة الإمارات العربية المتحدة دراسة ميدانية لعينة من القائمين بالعمل التطوعي في بعض الجمعيات التطوعية بدولة الإمارات العربية المتحدة، مرجع سابق، ص ٢٧٦.
- ٧٧- على ليلة، البنائية الوظيفية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا المفاهيم والقضايا، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص ٣٥٧.
- ٧٨- غريب سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص ٤٣.
- ٧٩- عبد الباسط عبد المعطي، البحث الاجتماعي في محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ٢، ١٩٩٥م، ص ٣٧٢.
- ٨٠- ماتيوز، بوب، وروس، ليز، الدليل العملي لمنهج البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص ٤٥٥.
- ٨١- المرجع السابق، ص ٨٦٥.
- ٨٢- مرفت ريشماوي، مرجع سابق، ص ٦٢.
- ٨٣- معهد التخطيط القومي، نحو منهجية لقياس المؤشرات وتصور متكامل لنمذجة السيناريوهات البديلة لتحقيق أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة ٢٠٣٠- حالة مصر، مرجع سابق، ص ١٩.
- ٨٤- تقرير أهداف التنمية المستدامة ٢٠٢١م، الأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠٢١م، ص ٨.
- ٨٥- على محمد الزباني، الفقر والفقراء واللامساواة: رؤية لمفهوم الفقر والفقراء، مجلة كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار، جامعة المرقب، ليبيا، العدد ١، ٢٠١٦م، ص ١٧٨.
- ٨٦- عبد الله حامد الحاسي، دراسة تمهيدية عن الاقتصاد في ليبيا الواقع والتحديات والآفاق الجزء الأول من دراسة أولية لمشروع الحوار الاجتماعي والاقتصادي الليبي، الاسكوا، بيروت، ٢٠٢٠م، ص ١٧، عن: <https://www.manarlibya.com>.
- ٨٧- المنصف وناس، ليبيا التي رأيت ليبيا التي أرى محنة بلد، الدار المتوسطية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص ٤٥.
- ٨٨- على عبد الرزاق جليبي، مرجع سابق، ص 300.

- ٨٩- علم الدين بانقا، تطور مفاهيم الفقر وتوزيع الدخل خلال الفترة (١٩٦٠-٢٠١٧)، سلسلة جسر التنمية، العدد المائة والرابع والأربعون، ٢٠١٨، ص ٦.
- ٩٠- رباب عاطف محمود عبد المنعم، مرجع سابق، ٢٣٨-٢٤١،
- ٩١- اللجنة الدائمة للتغذية التابعة للأمم المتحدة، الأنماط الغذائية المستدامة لشعوب وكوكب بصحة جيدة، نيويورك، أغسطس ٢٠١٧م، ص ٤، عن:  
<https://www.unscn.org>.
- ٩٢- تقرير أهداف التنمية المستدامة ٢٠٢٠م، مرجع سابق، ص ٢٦،
- ٩٣- الاسكوا، تقرير الحوكمة في المنطقة العربية، العدد الثالث، التنمية المؤسسية في سياقات ما بعد النزاع نحو مجتمعات سلمية وإدماجية ومؤسسات خاضعة للمسائلة، بيروت، ٢٠١٩م، ص ٣، عن:  
<https://www.unescow.org>. E/ESCWA/ECRI/2017/4.
- ٩٤- تقرير مؤشرات أهداف التنمية المستدامة ٢٠١٩م، الأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠١٩م، ص ١٦، عن:  
<https://www.unstats.un.org>.
- ٩٥- تقرير أهداف التنمية المستدامة ٢٠١٧م، الأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠١٧م، ص ٤، عن:  
<https://www.unstats.un.org>.
- ٩٦- حسين الطلافحة، فيصل المناور، تداعيات أزمة كوفيد -١٩ على تحقيق أهداف التنمية المستدامة: حالة الدول العربية، مجلة التنمية والسياسات الاقتصادية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثالث، ٢٠٢٠م، ص ٤٠.
- ٩٧- الاسكوا، تقرير الحوكمة في البلدان العربية، العدد ٢، الحوكمة والتحويلات المؤسسية في البلدان العربية التي تشهد نزاعات، بيروت، ٢٠١٦م، ص ١١، عن:  
<https://www.unescwa.org>. E/ESCWA/ECRI/2016/
- ٩٨- اليونيسكو، مرجع سابق، ص ١٤،
- ٩٩- المرأة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة في المنطقة العربية: دراسة استرشادية ملخص تنفيذي، منظمة المرأة العربية، القاهرة، د-ت، ص ٧، عن:  
<https://www.arab.womenorg.org>.

- ١٠٠- الإسكوا، التقرير العربي لفجوة النوع الاجتماعي ٢٠٢٠ المساواة بين الجنسين وأهداف التنمية المستدامة، بيروت، ٢٠١٩، ص١٩، عن: [https://www.unescow.org.E/ESCWA/SD/2019/4](https://www.unescow.org/E/ESCWA/SD/2019/4)
- ١٠١- أم العز على الفارسي، المرأة الليبية ونسج الهوية دراسة في أثر التحولات التاريخية على تكوين الهوية، ٢٠١٨م ص٤٣، عن: <https://www.daamdtb.org>.
- ١٠٢- الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان، العالم العربي: أي ربيع للنساء؟، مارس ٢٠١٢م، ص٢٩، عن: <https://www.fidh.org>.
- ١٠٣- على عبد اللطيف حميدة، دراسة تمهيدية عن المجتمع في ليبيا: الواقع والتحديات والآفاق، الجزء الثاني من دراسة أولية لمشروع الحوار الاجتماعي والاقتصادي الليبي، الإسكوا، بيروت، ٢٠٢٠م، ص٢٥، عن: <https://www.unescwa.org.ESCWA/clb.GCP/2020/TP.2>
- ١٠٤- أسامة جمعة علي العجمي، الدور البيئي للحركة الكشفية، مرجع سابق، ص١٥٤
- ١٠٥- أماني قنديل، مؤسسات المجتمع المدني قياس الفاعلية ودراسة حالات، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، ٢٠٠٤، ص١١٣
- ١٠٦- أسامة جمعة علي العجمي، الدور البيئي للحركة الكشفية، مرجع سابق، ص١٦٣
- ١٠٧- فواز بن علي الغامدي، دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بحث مقدم إلى : المؤتمر الكشفي العربي ال٢٩: الكشفية وأهداف التنمية المستدامة، مرجع سابق، ص٤٦.
- ١٠٨- عز الدين حسن محمد نوح، دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بحث مقدم إلى : المؤتمر الكشفي العربي ال٢٩: الكشفية وأهداف التنمية المستدامة، مرجع سابق، ص٧٢
- ١٠٩- التقرير الاستعراضي الطوعي الأول ليبيا ٢٠٢٠م حول أهداف التنمية المستدامة ٢٠٢٠م، المقدم للمنتدى السياسي رفيع المستوى، يوليو ٢٠٢٠م، ص ٢٠-٢١، عن: [https://www.arabsdg.unescwa.org.26753libya\\_v020part1.pdf](https://www.arabsdg.unescwa.org.26753libya_v020part1.pdf).

- ١١٠- السيد يسين، دور المجتمع المدني في الدولة التنموية، في: يسري العزباوي، (محرر)، التحول في بنية المجتمع المدني بعد الثورات المصرية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ٢٣٨.
- ١١١- تقرير تحديات التنمية في الدول العربية ٢٠١١ نحو دولة تنموية في المنطقة العربية، ٢٠١١م، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٣٤٢، عن: <https://www.arabstates.undp.org>.
- ١١٢- المنصف وناس، مرجع سابق، ص ١٩٧-١٩٨.

ثانيًا: تخصص علم النفس





إسهام إدارة الرعاية الذاتية، والضيق الانفعالي وفعالية الذات، في التنبؤ  
بجودة الحياة الصحية لدى مرضى السكري

د. حسن عبدالسلام حسن العشري

قسم علم النفس

كلية الآداب، جامعة السويس

[hassan\\_alashry76@yahoo.com](mailto:hassan_alashry76@yahoo.com)

doi: 10.21608/jfpsu.2022.135711.1185

## إسهام إدارة الرعاية الذاتية، والضيق الانفعالي وفعالية الذات، في التنبؤ بجودة الحياة الصحية لدى مرضى السكري

### مستخلص

هدفت الدراسة الحالية إلى إيضاح دور كل من إدارة الرعاية الذاتية، والضيق الانفعالي وفعالية الذات في التنبؤ بجودة الحياة المرتبطة بالصحة. على عينة قوامها (٣٢٣) مشاركاً من مرضى السكري من النوع الثاني،. تراوحت أعمار العينة ما بين ٢٣ : ٧٠ عاماً بمتوسط عمري بلغ (٥٢,٦) عام وانحراف معياري قدره (١١,٣) طبق عليهم مقاييس - الإدارة الذاتية لمرضى السكري (DSM) ، - قائمة الضيق الانفعالي لمرضى السكري (DDS) - مقياس فعالية الذات في إدارة مرض السكري ، - مقياس جودة الحياة لمرضى السكري (QOLID) .

أشارت النتائج إلى وجود علاقة إيجابية بين جودة الحياة وكل من متغيرات الإدارة الذاتية لمرضى السكر والكفاءة الذاتية، بينما كانت العلاقة سلبية مع الضيق الانفعالي، كذلك لم تتوصل الدراسة إلى وجود فروق بين الجنسين في المتغيرات باستثناء اثنين من الدرجات الفرعية على مقياسي الإدارة الذاتية، الكفاءة الذاتية. وأخيراً استطاعت متغيرات الإدارة الذاتية، الضيق الانفعالي، فعالية الذات أن تتنبأ بجودة الحياة الصحية بنسب إسهام بلغت ٣٢% ، ٢٩% ، ١٧% على التوالي من التباين الكلي.

**الكلمات المفتاحية :** إدارة الرعاية الذاتية ، الضيق الانفعالي وفعالية الذات، جودة الحياة المرتبطة بالصحة ، مرض السكري من النوع الثاني.

## The Contribution of Self-care management, Emotional Distress and Self-Efficacy to Predicting the Quality of life for Diabetic Patientss

Dr. Hassan A. Elashry  
Dep. Of Psychology  
Faculty of Arts, Suez University

### Abstract

The current study aimed to clarify the role of self-care management, Diabetes Distress and self-efficacy in predicting health-related quality of life, on a sample of (323) participants with type 2 diabetes,. Thir ages ranged between( 23: 70) years, with (M 48.6, SD 11.3). They were applied to -Diabetes Self-Management Questionnaire (, (DSMQ) - Diabetes Distress Scale (DDS) - The Diabetes management self-efficacy scale - Quality of Life Instrument for Indian Diabetes Patients (QOLID).

The results indicated a positive relationship between quality of life and each of the self-management variables for diabetics, self-efficacy, while the relationship was negative with Distress Scale, and the study also did not find differences between male and femal in the variables, except for two sub-degrees on the two scales of self-care management, self-efficacy. Finally, the variables of self-care management, Diabetes Distress, and self-efficacy were able to predict the quality of healthy life with contribution rates of 32%, 29%, and 17%, respectively, of the total variance.

**Keywords:** Self-care management, Diabetes Distress, Self-Efficacy, type 2 Diabetes.

مقدمة

يُعد مرض السكري أحد أكثر الأمراض انتشاراً، وبحكم تعريفه ، فهو "مرض مزمن ناجم عن نقص وراثي أو مكتسب في إنتاج الأنسولين من البنكرياس، أو بسبب عدم فعالية الأنسولين المنتج" (WHO, 2018). ووفقاً لتقدير أطلس السكري<sup>١</sup> الذي ينشره الاتحاد الدولي للسكري<sup>٢</sup> ، أن حوالي (٤١٥) مليون شخص حول العالم مصاب بمرض السكري في عام ٢٠١٥، هذا بالإضافة إلى أنه من المتوقع أن يرتفع هذا العدد إلى نحو (٦٤٢) مليوناً بحلول عام ٢٠٤٠ (Nguyen, Nguyen, & Nguyen, 2018).

ومن ثم، يعد مرض السكري أحد أكبر المشكلات الصحية الخطيرة في القرن الحادي والعشرين، من حيث تأثيراته السلبية على نمط الحياة، الامر المرتبط بانخفاض النشاط البدني وزيادة السمنة. و قد اشارت نتائج دراسة حديثة ان معدل الوفيات المعدل حسب العمر لمرض السكري (DM) هو ٢٢,٦٢ لكل مائة ألف شخص، كما يحتل المرتبة ٩٨ في العالم (Gebremedhin, Workicho, Angaw, 2019).

ويبرر الباحث الحالي قيامه بالدراسة الحالية إلى شعوره بضرورة الاهتمام بهذا المرض وتداعياته على المستوى النفسي والاجتماعي لاسيما في ظل ما تقوم به الدولة المصرية من المبادرات الرئاسية التي تهدف إلى تسليط الضوء على ما تسمى بالأمراض غير السارية التي تشمل الاربعة أمراض الرئيسية (الامراض القلبية والوعائية- السرطانات- الامراض التنفسية المزمنة- السكري ) . وتشير تقارير منظمة الصحة العالمية إلى أنه يموت كل عام أكثر من ١,٧ مليون شخص في منطقة إقليم شرق المتوسط بسبب الأمراض الرئيسية الأربعة وحدها (WHO,2018) .

وقد أكدت العديد من الدراسات ارتباط داء السكري بمشاكل نفسية واجتماعية عديدة فضلا عن المشكلات الجسدية مثل جودة الحياة<sup>٣</sup> وانخفاض متوسط العمر المتوقع، والمضاعفات الوعائية الدقيقة، وزيادة خطر مضاعفات الأوعية الدموية الكلية (أمراض القلب والسكتة الدماغية وأمراض الأوعية الدموية الطرفية) بالإضافة إلى الآثار السلبية

1 Diabetes Atlas

2 International Diabetes Federation (IDF)

3 Quality of life

الخطيرة على رفاهية المريض وحياته الاجتماعية ، إذا تُركت دون معالجة (Kalra, Jena, & Gebremedhin, Workicho, Angaw, 2019) ؛ (Kalra, Jena, & Yeravdekar, 2018).

ونظرا لخطورة هذا المرض وتأثيره على مختلف أوجه الصحة نفسياً وجسدياً واجتماعياً -كما سبق الإشارة- فإن الأمر يتطلب قيام الفرد بانتهاج أنماط سلوكية غير تقليدية لم يسبق له اتباعها، بهدف السيطرة والتعايش مع هذا المرض، ومن هذه السلوكيات ما اصطلح عليه إدارة الرعاية الذاتية<sup>1</sup>، حيث أن معالجة هذه الجوانب النفسية والاجتماعية بما في ذلك العوامل المعرفية والعاطفية والسلوكية والاجتماعية في التدخلات العلاجية من شأنه أن يساعد في التغلب على الحواجز النفسية المرتبطة بالالتزام والرعاية الذاتية لمرض السكري (Kalra, Jena, & Yeravdekar, 2018).

وفيما يتعلق بجودة الحياة المتعلقة بالصحة لدى المرضى فقد اكتسبت المزيد من الإهتمام من قبل الباحثين كمقياس لنتائج العلاجات والتدخلات المتعددة للمرضى الذين يعانون من الأمراض المزمنة، فكثير من العاملين في المجال الصحي على مستوى العالم لا يزالون يركزون فقط على العلاج، ولا يدركون التأثير الاجتماعي والاقتصادي لمرض السكري، ويكتفون بتجميع القدر اليسير فقط من المعلومات عن ملف المريض الشخصي فيما يتعلق بجودة الحياة الصحية له، ولاشك أن هذا القصور في الفهم يلعب دوراً محورياً كعائق أمام استراتيجيات التدخل ذات التأثير الفعال في تحجيم مرض السكري من النوع الثاني (Chew , Mohd-Sidik & Shariff-Ghazali, 2015).

لذا فقد أشارت جمعية السكري الأمريكية إلى أن مراقبة جودة الحياة المتعلقة بالصحة تعد مقياساً رئيسياً للإدارة الفعالة والنتائج الإيجابية للتعامل مع مرض السكري من النوع الثاني. وتوصي جمعية السكري الأمريكية أيضاً مقدمي الخدمات بمراقبة عبء العلاج وظروف حياة المرضى اقتصادياً واجتماعياً عند وصف العلاجات. ورغم ذلك ، فإن مستويات السكر في الدم لا يتم ضبطها للمريض بشكل جيد، حيث لا تزال جودة الحياة المتعلقة بالصحة غير مدروسة بشكل جيد. من المعروف أن مرض السكري يتسبب في

<sup>1</sup> Self-Care Management

ضعف تنظيم مستوى الجلوكوز في الدم ، لكن تأثير المرض على العلاقات الاجتماعية و العوامل النفسية لم يتم دراسته بشكل كاف (Muze, Hailu, Woldemichael, & Fekecha, 2017)

ويرى الباحث الحالي أنه من الأهمية بمكان أن نحاول أن نصل إلى فهم عوامل الرعاية الذاتية لإدارة مرض السكري، وإلى أي مدى يؤثر هذا المرض المزمن على متغير جودة الحياة المتعلقة بالصحة لدى المرضى. ويسعى البحث الحالي إلى دراسة العلاقات بين جودة الحياة الصحية ، و بعض المتغيرات النفسية الأخرى (إدارة الرعاية الذاتية ، والضيق الانفعالي وفعالية الذات ) بين المرضى الذين يعانون من مرض السكري من النوع الثاني.

### مشكلة البحث

في سياق إدراك الباحث لمشكلة الدراسة الحالية ما توضحه الدراسات المختلفة من أن نسب انتشار مرض السكري كما يبق الإشارة قد بلغت حوالي (٤١٥) مليون شخص حول العالم ومتوقع أن يصل العدد الى نحو (٦٤٢) مليوناً، تتبلور مشكلة الدراسة الحالية ، هذا فضلا عن أن العديد من الدراسات التي تناولت الآثار النفسية لهذا المرض مازالت لا تتناسب مع حجم انتشاره السابق الإشارة اليه، فضلا عن إشارة الاتحاد الدولي للسكري إلى اعتبار مصر من أكثر دول العالم من حيث انتشار مرض السكري من النوع الثاني وتضاعف انتشاره ثلاث مرات تقريباً خلال العقدين الماضيين (Waly and Hamed, 2018) ومن دواعي اجراء البحث الحالي للدراسة الحالية أيضا ما أظهرته البحوث السابقة من أن الاهتمام بجودة الحياة المرتبطة بالصحة بين مرضى السكري أقل بكثير من تلك التي اعلن عنها بين غير مرضى السكري (Daniele et al,2013, Oguntibeju et .al., 2012 )

نظرا لكل هذه النقاط تتضح مشكلة البحث، وبالتالي يمكن صياغة مشكلة البحث الحالي في السؤال الرئيسي التالي :

- ما الدور التنبؤي لكل من إدارة الرعاية الذاتية ، والضيق الانفعالي وفعالية الذات بجودة الحياة الصحية لدى مرضى السكري؟ ومن خلال هذا التساؤل يتولد أسئلة فرعية سيحاول الباحث الحالي الاجابة عليها هذه الاسئلة هي :
- ١- ما طبيعة العلاقة بين جودة الحياة الصحية وكل من إدارة الرعاية الذاتية ، والضيق الانفعالي وفعالية الذات لدى مرضى السكري؟
  - ٢- ما مدى تباين درجات جودة الحياة الصحية بتباين درجات وكل من إدارة الرعاية الذاتية ، والضيق الانفعالي وفعالية الذات لدى مرضى السكري ؟
  - ٣ - هل توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الذكور والاناث من مرضى السكري في المتغيرات المستخدمة في الدراسة لدى مرضى السكري ؟

### أهداف البحث :

- يهدف البحث الحالي إلى تحقيق الاهداف التالية:
- ١- تقديم صورة أوضح لبعض المتغيرات النفسية المتعلقة بمرضى السكري وكيفية التعايش معه.
  - ٢- تقديم عدد من الادوات النفسية القياسية المعدة بشكل علمي لقياس هذه المتغيرات .
  - ٣- تهدف نتائج البحث الحالي إلى ابضاح الطرق المثلى التي يمكن أن تنتهج في البحوث المستقبلية لاعداد برامج للارشاد بأساليب التعامل مع هذا المرض .

### أهمية البحث

- تتلخص أهمية الدراسة الحالية في النقاط التالية :
- ١- القاء الضوء على مرض السكري وبعض المتغيرات النفسية التي قد ترتبط من بعلاقة في ضوء الاصابة بالسكري.
  - ٢ - محاولة ابضاح امكانية التنبؤ بجودة الحياة لدى مرضى السكري من خلال المتغيرات المستخدمة.
  - ٣- تحديد العوامل المساهمه في مساندة مرضى السكري للتعايش بشكل أمن مع هذا المرض.



٤- ومن الناحية التطبيقية قد تفيد هذه الدراسة في اعداد برامج ارشادية تساعد مرضى السكري وذويهم في التعايش بشكل آمن مع هذا المرض.

### مصطلحات البحث

#### إدارة الرعاية الذاتية<sup>١</sup>

تُعرف الرعاية الذاتية في مرض السكري على أنها عملية تطويرية لتنمية المعرفة أو الوعي الذاتي من خلال تعلم سلوكيات تساعد في التعايش بشكل آمن مع الطبيعة المعقدة لمرض السكري وتتضمن مهارات مراقبة وتوجيهه وتقييم وتعزيز الذات، فضلاً عن إدارة الوقت والانفعالات (Shrivastava, Shrivastava, & Ramasamy, 2013, 1) وتُعرف الباحث اجرائياً بالسلوكيات اليومية التي يقوم بها مريض السكري ( المتمثلة في التحكم الغذائي للمرضى والالتزام بالأدوية ومراقبة نسبة الجلوكوز في الدم والنشاط البدني و التواصل مع الطبيب) من أجل الوصول نسبة مثالية من سكر الدم وتقليل أو تأخير مضاعفات مرض السكري في المستقبل. و تقاس بالدرجة التي يحصل عليها مريض السكري في البحث الحالي على المقياس المعد لذلك.

#### الضيق الانفعالي<sup>٢</sup>

الضيق الانفعالي بمرض السكري يعني مجموعة من الاستجابات الانفعالية وردود الفعل للحياة مع مرض السكري ، وخاصة تلك المتعلقة بنظام العلاج ومتطلبات الرعاية الذاتية (Strandberg, Graue, Wentzel-Larsen, Peyrot, & Rokne, 2014, 175)

ويعرفه الباحث اجرائياً بأنه مجموعة من المشاعر المتمثلة في الضيق الانفعالي<sup>٣</sup> (EB) ، الضيق من النظام الغذائي<sup>٤</sup> (RD) ، الضيق الشخصي<sup>٥</sup> (ID) ، الضيق من الطبيب<sup>٦</sup> (PD)، و ذلك بسبب متطلبات الإدارة الذاتية من خلال الالتزام بالنظام الغذائي

<sup>1</sup> Self-Care Management

<sup>2</sup> Emotional Distress

<sup>3</sup> Emotional Burden subscale

<sup>4</sup> Regimen-related Distress subscale

<sup>5</sup> Interpersonal Distress subscale

<sup>6</sup> Physician-related Distress subscale

وممارسة الرياضة والصفات الطبية. و يقاس بالدرجة التي يحصل عليها مريض السكري في البحث الحالي على المقياس المعد لذلك.

### فعالية الذات<sup>1</sup>

فعالية الذات تعني اعتقاد الأفراد في قدراتهم على القيام بممارسة ناجحة (Dehghan,et al., 2017,2) كما تعرف بأنها "معتقدات الناس حول قدراتهم على إنتاج مستويات محددة من الأداء تمارس التأثير على الأحداث التي تؤثر على حياتهم". (Beckerle, & Lavin, 2013, 175).

و تعرف اجرائيا بانها معتقدات مريض السكري من النوع الثاني حول قدرته على ضبط مستويات التغذية المحددة ، التغذية العامة ، نسبة الجلوكوز في الدم ، النشاط البدني ومراقبة الوزن ، المراقبة الطبية و تقاس بالدرجة التي يحصل عليها مريض السكري في البحث الحالي على المقياس المعد لذلك.

### جودة الحياة لمرضى السكري<sup>2</sup>

تُعرف جودة الحياة لمرضى السكري على أنها مفهوم متعدد الأبعاد واسع يتعلق بتصور الفرد الشخصي للجوانب الإيجابية والسلبية للحياة ، بما في ذلك رفاههم البدني والنفسي والاجتماعي، ويشير الرفاه البدني عموماً إلى القدرة على أداء المهام الشخصية بشكل مستقل. (Camacho et al., 2002).

ويمكن أن تُعرف اجرائيا بتصور المرء لتأثير الصحة البدنية على دورك في الحياة، التحمل البدني، الصحة العامة، الرضا عن العلاج، أعراض الإجهاد، الامور المالية، الصحة النفسية / العقلية، والرضا عن النظام الغذائي. و تقاس بالدرجة التي يحصل عليها مريض السكري في البحث الحالي على المقياس المعد لذلك.

1 Self-Efficacy

2 Quality of Life for Diabetes Patients

## الإطار النظري

سيقوم الباحث باستعراض متغيرات البحث على النحو التالي:

(أ) جودة الحياة<sup>١</sup>

مفهوم جودة الحياة مفهوم نسبي ، فامتلاك المال والسلطة بالنسبة للبعض هو مؤشر لجودة الحياة ، بينما الصحة والذرية الصالحة وراحة البال والسعادة والتوافق النفسي بالنسبة للبعض الآخر هي أهم من امتلاك المال والسلطة كمؤشر بجودة الحياة(العشري، ٢٠١٩) .

ويشير "شالوك" schalock (2000) أن ثمة ثمانية أبعاد متنوعة لمفهوم جودة الحياة، والتي يمكن أن تختلف في أهميتها وفقا لتوجه الباحث في مفهوم جودة الحياة وأهداف دراسته. ومن ضمن هذه الأبعاد جودة المعيشة الجسمية : وتشمل (الحالة الصحية ، التغذية ، الاستجمام ، النشاط الحركي ) .

فجودة الحياة تعني قدرة الأفراد على التحكم بحياتهم وإدارتها بما يتناسب مع طبيعتهم النفسية والشخصية (العشري، ٢٠١٩) كما يمكن تعريفها "تصور الفرد لوضعه في الحياة في سياق نظم الثقافة والقيم التي يعيش فيها وفيما يتعلق بأهدافه وتوقعاته ومعاييرها واهتماماته". (Gebremedhin, Workicho, & Angaw, 2019).

أما جودة الحياة المرتبطة بالصحة<sup>٢</sup> التي تعتبر مجالات الصحة البدنية والنفسية والاجتماعية ، تتأثر بتجارب الشخص ومعتقداته وتوقعاته وتصوراتها (WHO, 2018).

و تشير إلى الدوافع النفسية والاجتماعية والبدنية للصحة التي تتأثر بتجارب الشخص ومعتقداته وتوقعاته وتصوراتها ؛ لذلك يجب أن يسعى مقدمو الرعاية الصحية إلى فهم الآثار الجسدية و الانفعالية والاجتماعية للأمراض المزمنة على المريض مثل مرض السكري(Camacho et al., 2002). من أجل تحسين الوظائف اليومية و جودة الحياة المرتبطة بالصحة ، الأمر الذي يمكن القائمين على الرعاية الصحية من دمج المعرفة المتعددة حول المريض في استراتيجيات علاج الأمراض المزمنة التي قد تؤدي إلى تحسن

1 Quality of Life

2 Health-Related Quality of Life

الصحة عصفة عامة، وبالتالي التقليل من الزيارات للأطباء أو الذهاب إلى المستشفيات والبقاء فيها، وتقليل تكاليف الرعاية الصحية (Genovese , Tedeschi, 2013) .

وقد أفاد بعض الباحثين في الآونة الأخيرة أن مرض السكري له عددا من التأثيرات السلبية على جودة الحياة المرتبطة بالصحة ( Reba, Argaw, Walle & Gutema, 2018)، حيث أصبحت جودة الحياة المرتبطة بالصحة قضية مثيرة للاهتمام والبحث (Raghuvansh, Pawan and Roopkamal, 2018). ومن ثم فإن وجود مقياس لقياس جودة الحياة المرتبطة بالصحة سوف يساعد بشكل فعال اختصاصيي الرعاية الصحية في مراقبة تعليمات وإرشادات العلاج وتحسين جودة الحياة المرتبطة بالصحة لدى مرضى السكري، كما يمكن أن يؤدي ذلك أيضًا إلى توجيه التدخلات المختلفة التي من شأنها تحسين وضعهم وتجنب عواقب أكثر خطورة (Gebremedhin Workicho & Angaw, 2019). وعلى الرغم من إشارة الباحثين إلى أن مرض السكري يرتبط بشكل سلبي بجودة الحياة لدى المرضى، على الرغم من ذلك، يمكن لهؤلاء المرضى تجربة حياة أفضل مع التحكم السليم في سكر الدم ( Tol, Sharifirad, Eslami, Shojaeizadeh, Alhani, & Tehrani, 2015). وجد "أبابيو" وآخرون (Ababio,et al., 2017) أن جودة الحياة الإجمالية في وسط إفريقيا وتحديدا غانا ونيجيريا كانت منخفضة نسبيًا، ففي غانا كان هناك ارتباط كبير بين الدرجات العالية في مقياس جودة الحياة وهو الالتزام الدوائي وحالة التوظيف. وبين المرضى في نيجيريا ، كانت حالة التوظيف وتمكين مرض السكري منبئين هامين بجودة الحياة لدى المرضى الذين يعانون من مرض السكري. كما لوحظ وجود علاقة إيجابية و دالة بين الرعاية الذاتية و جودة الحياة المرتبطة بالصحة (Elnaz, Ali and Fariba, 2016).

### (ب) إدارة الرعاية الذاتية<sup>1</sup>

تعتبر الإدارة الذاتية واحدة من المفاهيم التي تندرج تحت مصطلح ادارة الذات<sup>2</sup>، والذي تم تناوله من قبل العديد من الكتابات سواء على المستوى الاجنبي أو العربي كما جاء في (APA, 2007) ، ( Barlow, et al., 2002; Xue & Mezo & Short, )

1 Self-Care Management

2 Self- Management

(2012; Lee, et al., 2016) جابر، كفاي، ١٩٨٨؛ عبد الغفار، ٢٠٠٣؛ الزبيدي، ٢٠٠٧؛ حنفي، ٢٠١٣؛ عبدالعزيز، ٢٠١٥) وفي ضوء تحليل هذه التعريفات سواء أجنبية أو عربية يمكن تعريف هذا المفهوم على أنه مجموعة المهارات والاستراتيجيات التي يستخدمها الفرد في المواقف المختلفة بهدف التحكم الذاتي في سلوكه وتوجيهه لتحقيق أهدافه، وتتضمن مهارات مراقبة وتوجيه وتقييم وتعزيز الذات، فضلاً عن إدارة الوقت والانفعالات".

و خرج من هذا المفهوم مصطلح ادارة الرعاية الذاتية ليعنى بالرعاية الصحية للفرد ويعد من أهم العوامل في علاج مرض السكري من النوع الثاني (Bazzazian, 2017) ، حيث تشير إدارة الرعاية الذاتية للمرضى إلى مدى جدية المريض في نيته اتباع خطة غذائية لمرض السكري ونظام الأدوية الموصوف ، تتوافق مع توصيات أطبائه أو أخصائيي الرعاية الصحية (Mosleh, Jarrar, Zyoud & Morisky, 2017) كما أنها استراتيجية تساعد الأفراد في اتخاذ القرار والرصد الذاتي للمعايير الصحية من خلال إنشاء أنماط سلوكية صحية من أجل تعزيز المعرفة الذاتية والسلوكيات الصحية (Zuraida, Irwan, & Sjattar, 2022). وتعد الإدارة الذاتية لمرض السكري خطوة جيدة على المسار الصحيح من أجل تحقيق حياة صحية وفعالة للمريض (Kalra, Jena & Yeravdekar, 2018).

ولعل ما أشارت اليه الدراسات السابقة من وجود علاقة ايجابية بين سلوك الرعاية الذاتية وانخفاض في قيم HbA1c (يشير إلى أن نسبة الجلوكوز والهيموجلوبين مرتبطة معاً) (Manjula & Premkumar, 2015) وهذا يعد من العوامل التي تؤكد الارتباط بين كلا المتغيرين (الرعاية الذاتية و السكري)

اشار الجهني، كندال و سيندر؛ ليو وتان واخرون (Al Johani, Kendall, & Snider, 2015؛ Liu, Tai, Hung, Hsieh and Wang, 2010) إلى أن معظم المشاركين أفادوا بأنهم تناولوا الأدوية على النحو المنصوص عليه من قبل أطبائهم وأخصائيي الرعاية الصحية ، ومع ذلك ، فإن الكثير منهم لم يفعلوا ذلك بما يتوافق مع ممارسات الإدارة الذاتية الأخرى. ارتبط سلوك الرعاية الذاتية مع الرضا بالنظام العلاجي .

(ج) فعالية الذات<sup>1</sup>

ظهر مفهوم فعالية الذات مع نظرية التعلم الاجتماعي لألبرت باندورا "Bandura" الذي أكد على مبدأ الحتمية التبادلية في التعلم الاجتماعي، حيث شدد على العلاقات المتبادلة بين العوامل السلوكية والبيئية والعوامل المؤثرة في سلوكيات الفرد (Bandura, 1977). وقد عرفها بأنها قدرة الفرد على أداء السلوكيات التي تحقق له نتائج إيجابية ومرغوبة في موقف ما، كذلك القدرة على التحكم في الضغوط الحياتية التي يتعرض لها الفرد وتؤثر على سلوكه، وإصدار توقعات الفرد عن ذاته وعن كيفية أدائه للأنشطة وللمهام التي يقوم بها، بالإضافة إلى القدرة على التنبؤ النشاط وبالجهد والمثابرة اللازمة لتحقيق العمل المراد القيام به (Bandura, O'leary, Taylor, Gauthier, & Gossard, D, 1987) ، وقد أشار أيضا إلى أن أنه إذا كانت فعالية الشخص الذاتية مرتفعة فإن ذلك يظهر دافعية مرتفعة وسلوكيات ايجابية داعمة لإنجاز واجباته، بينما إذا كانت فعالية الذات منخفضة فإن هذا سيظهر في شكل يتجنب الفرد لأداء مهماته ومسؤولياته (Bandura, 2007). وتعد فعالية الذات أحد بعدين لتقدير الذات الاول تقييم الشخص لكفاءته، والثاني تقيمه لنموه الاخلاقي(جبر، ٢٠١٧)

ولفعالية الذات عددا من المظاهر هي :

- أ. الثقة بالنفس وبالقدرات
- ب. المثابرة الذهنية والفكرية.
- ج. القدرة على تكوين علاقات مع الآخرين. د. القدرة على تحمل المسؤولية.
- هـ. القدرة على التعامل مع المواقف الجديدة (المشيخي، ٢٠٠٩؛ الشراوي، محمد، قنصوة، ٢٠١٧) .

وفيما يتعلق بفعالية الذات لمرض السكري على أنها معتقدات حول قدرة الفرد على امتلاك مهارات الرعاية الذاتية لمرض السكري (Bazzazian, 2017). والمرضى ذوو فعالية الذات العالية ينجحون في الإدارة الذاتية لأمراضهم المزمنة بالإضافة إلى ذلك يجد مقدمو الرعاية الصحية فعالية الذات أو الاعتقاد بأن الشخص قادر على إدارة صحته بنفسه ، هدفا مهما في سعيهم للتعامل مع الأمراض المزمنة أو معالجتها (Messina,

1 Self-Efficacy

(Rucci, Sturt, Mancini, & Fantini, 2018). كما يمكن أن تؤدي فعالية الذات المدركة إلى سلوكيات الإدارة الذاتية بين مرضى السكري (Azita and Rahim, 2014). علاوة على ذلك، فإن فعالية الذات تستطيع أن تتنبأ لمرض السكري بالالتزام بالأدوية وأثبتت الدراسات أنها مرتبطة بمتغيرات نفسية اجتماعية أخرى مثل الاتجاهات والعلاقة المدركة مع مقدمي الرعاية الصحية والدعم الاجتماعي المدرك وجودة الحياة (Celano, Beale, Moore, Wexler & Huffman, 2013). وأشارت (Bazzazian, 2017) عن وجود ارتباطات إيجابية دالة بين فعالية الذات وشبكات الدعم الاجتماعي والرعاية الذاتية، ووجود الحياة المرتبطة بالصحة، حيث أكدت أن هناك توافق لنموذج المسار النهائي بشكل جيد وأظهرت أن مسارات الرعاية الذاتية المباشرة والدعم الاجتماعي غير المباشر كان لها التأثيرات ملموسة على جودة الحياة المرتبطة بالصحة. كما وجدت ديغان وآخرون (Dehghan et al., 2017) علاقة سلبية بين العمر وفعالية الذات العامة وفعالية الذات لمرض السكري بينما كان هناك ارتباط إيجابي بين فعالية الذات العامة وفعالية الذات لمرض السكري.

#### (د) الضيق الانفعالي<sup>١</sup>

يُقصد بالضيق الانفعالي مستوى للاحساس بالقلق والاكتئاب (Kessler, 1997) ويعتبر من أعراض الاكتئاب منتشرة في مرض السكري من النوع الثاني (Nouwen et al., 2010). ويشير الضيق الانفعالي المرتبط بمرض السكري إلى ردود فعل نفسية سلبية خاصة بتشخيص مرض السكري، والمضاعفات المحتملة أو الفعلية، يمكن أن تؤدي لمشكلة في العلاقات بين الأشخاص، والعلاقات بين المريض ومقدم الرعاية، (Gonzalez, Fisher, & Polonsky, 2011). يشير باور وآخرون (Pouwer et al., 2005) إلى أن مرضى السكري يعانون من مستويات عالية من الضيق الانفعالي الخاص بمرض السكري. حيث أن القلق بشأن المستقبل وإمكانية حدوث مضاعفات خطيرة مترتبة على الإصابة بالسكري هي من بين المشاكل الانفعالية الهامة التي يعاني منها

مرضى السكري من النوع الثاني. كما أنهم يشعرون بالذنب أو القلق عندما لا ينجحون في إدارة مرض السكري (François, 2009).

وقد أشار "سترنبرج" إلى امكانية أن يكون للضيق الانفعالي دوراً في كفاءة الإدارة الذاتية المطلوبة للمرض، مما يؤدي إلى تقليل قدرات الأشخاص على إدارة أنشطة الرعاية الذاتية اللازمة لتحقيق السيطرة على نسبة السكر في الدم (Strandberg et al., 2014). فقد وجد Nagpal, Kumar, Kakar, & Bhartia, (2010) أن الضيق الانفعالي مرتبط سلباً بجودة الحياة. كان الضيق الانفعالي أهم عامل تفسيري لجودة الحياة ، حيث كان يمثل ٢٨,٧ ٪ - ٥٣,٨ ٪ من إجمالي التباين.

وبالنسبة لبعض الأفراد ، قد يؤثر الضيق الانفعالي المرتفع بسبب الأمراض على الإدارة الذاتية والالتزام بالأدوية ، وهذا له أثارا لاحقة على التحكم في نسبة السكر في الدم. بينما بالنسبة للأشخاص الآخرين ، يمكن أن يؤدي ضعف التحكم إلى الضيق ، مما قد يؤثر على إدارة المرض (Chew, Vos, Metzendorf, Scholten, & Rutten, 2017).

ولعل هذه العلاقات المتشابكة بين متغيرات البحث الحالي كانت دافعا قويا للباحث الحالي لاجراء الجراسة الحالية لتحقيق الهدف منها والمتمثل في ايضاح المتغيرات المنبئة بجودة الحياة لدى عينة من مرضى السكري.



### الدراسات السابقة :

وباستعراض الباحث الحالي - وفي حدود علمه- لما سبق من بحوث ودراسات فقد وجد أنه معظم الدراسات التي أجرت حول متغيرات البحث الحالي تدور حول محورين أساسيين من حيث أهداف هذه الدراسات هما :

محور يضم دراسات تهدف الى رصد العلاقات سواء بين متغيرات البحث ، أو غيرها من المتغيرات.

محور يضم الدراسات هدفت الى تحقيق مستوى أعلى من مجرد رصد العلاقات، حيث هدفت الى رصد مدى امكانية التنبؤ، والتفاعلات والمتغيرات الوسيطة أو المعدلة في العلاقة بين المتغيرات .

أولاً : محور دراسات تهدف الى رصد العلاقات سواء بين متغيرات البحث ، أو غيرها من المتغيرات.

ثم قام "ستروش" وآخرون (Storch,et al., 2006) بدراسة هدفت لبحث العلاقة بين المكايمة وإدارة الذات وضبط عملية التمثيل الغذائي لدى عينة من المراهقين مرضى السكر، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة دالة سالبة بين المكايمة وإدارة الذات ، فضلا عن توسط الاعراض الاكتئابية لهذه العلاقة .

وجاءت دراسة "ساركر"، "فيشر" و"شيلنجر" (Sarkar, Fisher, & Schillinger, 2006) لتبحث متغيرين من الدراسة الحالية وهما ادارة الذات وفعالية الذات لدى عينة من الامريكيين مرضى السكر من النوع الثاني منخفضي الدخل (ن=٤٠٨) مشاركاً، وتمخضت الدراسة عن عدة نتائج مفادها وجود علاقة ارتباطية موجبة ودالة بين إدارة الذات وفعالية الذات.

ولم ترتبط ادارة الذات مع متغيرات العمر، وفترة الاصابة بالمرض، وعدد سنوات التعليم وفقا ما أكدته دراسة والسون، روثمان وتشيرنجتو (Wallston, Rothman, & Cherrington, 2007) التي طبقت مقياس الادارة الذاتية على عينة من مرضى السكر قوامها ٣٩٨ مريضاً منهم ٣٤١ من مرضى النوع الثاني.

وهدف دراسة "زيو"، "وي" و"بان ليو" (Xu, Pan, & Liu 2010) لبحث مستوى الرعاية الذاتية وعلاقتها ببعض المتغيرات الديمجرافية والخصائص المرتبطة

بالسكر، فعلى عينة قوامها (٢٠١١) مريض سكر من النوع الثاني من الصينيين المقيمين في أمريكا، أسفرت عن نتائج مفادها وجود ارتباط موجب بين إدارة الذات ومستوى التعليم، فضلا عن أن اصحاب فترة المرض الطويل كانوا يعتمدون على العلاج أكثر من الرعاية الذاتية كما لم تتضح فروقا بين الجنسين في متغيرات البحث.

كما أجرى "جرايو" وآخرون (Graue, et., al, 2012) دراسة بهدف إلى التحقق من خصائص مقياس مشكلات السكري على عينة تألفت من (٢٩٢) مريضا نيرويجيا يعانون من السكري من النوعين الاول والثاني تراوحت اعمارهم بين ١٨ - ٦٩ عام بنسبة ٥٨% من الذكور، وتم اخضاع استجابات المرضى إلى التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي، وقد أسفرت النتائج عن تأكيد التحليل العاملي على وجود أربعة عوامل للاداء المستخدمة، كما اشارت النتائج إلى وجود علاقة سلبية بين جودة الحياة المرتبطة بالصحة من جهة والقلق والاكتئاب من جهة أخرى.

وقد قام "جاو"، وآخرون (Guo, Whittemore, Jeon, Grey, Zhou, He, & Luo 2015) بدراسة على عينة من الشباب الصيني بلغت (١٣٦) مشاركا بهدف بحث ادارة الذات و الاعراض الاكتئابية وضبط عملية التمثيل الغذائي والرضا عن نوعية الحياة في دراسة طولية تتبعية لمدة تراوحت من ٦ : ١٢ شهرا. وأسفرت النتائج عن انخفاض ادارة الذات مع مرور الوقت تبين وجود علاقة ارتباط ايجابية بين إدارة الذات وضبط التمثيل الغذائي، وسلبية بين الأعراض الاكتئابية والرضا عن الحياة، كما أكدت الدراسة أن ادارة الذات وخفض الاعراض الاكتئابية تساعد وبشكل دال في قدرة الفرد على التوافق مع مرض السكري.

ثم قام "كويستينرجيتر" وآخرون Koetsenruijter, et, al., بدراسة هدفت إلى استيضاح العالقة بين المساندة الاجتماعية والادارة الذاتية ، وذلك على عينة قوامها (١٦٩٢) مشاركاً ممن تزيد أعمارهم عن ١٨ عاما مصابين بالنوع الثاني من السكري، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج مفادها وجود علاقة ايجابية بين المساندة الاجتماعية بأنواعها (المعرفية، الانفعالية) بالادارة الذاتية

وقد هدفت دراسة موز و آخرون Muze, Hailu, Woldemichael, & Fekecha, (2017) إلى بيان العلاقة بين جودة الحياة والعوامل المرتبطة بها لدى مرضى

السكري ممن يحرصون على متابعة حالتهم في عيادات السكري في مستشفى جامعة "جيمما" التخصصي ، جيمما ، جنوب غرب إثيوبيا. أجريت الدراسة على عينة قوامها (٣٥٦) مشاركًا. أشارت النتائج إلى وجود أعلى النسب المئوية (٥٧٪) لجودة الحياة ذات الصلة بالصحة في الصحة العامة تليها الدور البدني (٣٦٪) ، حيث وجد ان ٨٨٪ من المشاركين لديهم درجات مرتفعة في متغير جودة حياة، كذلك لم تكن هناك فروقا بين الذكور والاناث في جودة الحياة باستثناء جودة الحياة البدنية.

دراسة (شاهين ، ٢٠١٧ ) والتي هدفت إلى اختبار فاعلية برنامج لتنمية إدارة الذات في تحسين السلوك الصحي لدى المراهقين من مرضى السكر، وأجريت على عينة قوامها (٨) مراهقين من مرضى السكر أخضعوا لبرنامج قائم على تنمية ادارة الذات وتوصلت الدراسة إلى انتهاج العينة أنماط السلوك الصحي عقب اتباع خطوات البرنامج . كما هدفت دراسة جيبريمدهين وأنجاو & Gebremedhin, Workicho, (2019). إلى التعرف على جودة الحياة المرتبطة بالصحة والعوامل المرتبطة بها بين المرضى البالغين المصابين بالسكري من النوع الثاني. أجريت الدراسة على عينة قوامها ٢٦٧ مريضاً من مرضى السكري. تم تطبيق مقياس جودة الحياة . أشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية دالة و سلبية بين العمر ، ومدة المرض ومستوى السكر في الدم الصيام عكسياً مع جميع مجالات جودة الحياة المرتبطة بالصحة . كما ارتبط مؤشر كتلة الجسم عكسياً مع جميع مجالات جودة الحياة المرتبطة بالصحة باستثناء مع مجال الصحة البدنية.

وقد وجد "مانجولا" و "بريكماركم" (Manjula & Premkumar, 2015) وجود علاقة إيجابية بين فعالية الذات وسلوك الرعاية الذاتية. ووجدوا أيضاً زيادة في فعالية الذات وسلوك الرعاية الذاتية كما يرتبط بانخفاض في قيم نسبة الجلوكوز والهيموجلوبين معاً. وقد لوحظ أن كلا من نسبة الجلوكوز والهيموجلوبين وكذا فعالية الذات ارتبطت بشكل دال مع العمر.

كما أجريت دراسة "زوردا"، "ايروان"، "سلجتار" (Zuraida, Irwan, & Sjattar, 2022) بهدف التعرف على أثر تعليم إدارة الرعاية الذاتية على الصحة، حيث كانت تعنى بمرضى القلب، وافترضت أن ادارة الرعاية الذاتية والتوجيه لصحي يمكنه أن يؤثر

إيجاباً في صحة مرضى القلب لدى عينة من مرضى القلب مستشفى كلية طب جامعة حسن الدين ماساكار باندونيسيا بلغت (٤٦) مشاركاً بواقع (٢٣) مجموعة تجريبية ، (٢٣) كمجموعة ضابطة وأسفرت النتائج إلى أن إدارة الرعاية الذاتية تلعب دوراً هاماً في تحسين مختلف الجوانب النفسية لدى مرضى القلب.

وأجرى "زانج"، "لي"، "شينج". (Zhang, Li, & Sheng, 2022) دراسة هدفت إلى التحقق من ترجمة مقياس ضغوط مرضى السكري على عينة من الصينيين قوامها (٤٠٠) مريضاً بالسكري من النوع الثاني، وتوصلت الدراسة إلى دقة الاداة المستخدمة فضلاً عن ايضاح نسب انتشار معاناة مرضى السكري التي بلغت ٣٣,٣ % من العينة عانوا من الضغوط النفسية المصاحبة للسكري .

**ثانياً : محور الدراسات الهادفة الى رصد امكانية التنبؤ، التفاعلات والمتغيرات الوسيطة والمعدلة .**

تعد دراسة "لو"، كيلي، "هايو"، "سامبريل" Law, Kelly, Huey, & (Summerbell, 2002) من الدراسات المبكرة في تناول مفهوم ادارة الذات لدى مرضى السكر، حيث هدفت إلى بحث العلاقة بين المعتقدات حول المرض، وإدارة الذات، والرعاية النفسية، وضبط مستوى السكر في الدم وذلك لدى عينة بلغت (٣٠) مراهقاً بانجلترا. وتوصلت الدراسة إلى نتائج مفادها أن سلوكيات ادارة الذات لا ترتبط بالمعتقدات حول المرض، كما اتضح أن كلا المتغيرين استطاعا أن يينا بالرعاية النفسية.

وهدف دراسة "ناجيال"، "كامر"، "كاكر"، "باهرتيا" (Nagpal, Kumar, Kakar, & Bhartia, 2010) إلى استكشاف العلاقات بين المتغيرات بما في ذلك العوامل الديموغرافية ، وخصائص المرض ، والضيق الانفعالي ، وتصور التمكين ، وسلوك الرعاية الذاتية وجودة الحياة ، وكذلك تحديد العوامل التفسيرية الهامة لجودة الحياة لدى المرضى الذين يعانون من مرض السكري من النوع الثاني. استخدمت هذه الدراسة تصميمًا عبر قطاعي وصفيًا و ارتباطيًا. واجريت الدراسة على عينة قوامها (٢٢٠) مريضاً هندياً تم تشخيص مرض السكري من النوع الثاني لديهم في فترة العشر سنوات السابقة. اشارت النتائج إلى وجود علاقة سلبية ذات دلالة بين الضيق الانفعالي وجودة

الحياة ، كذلك وجود علاقة ايجابية دالة بين تصور التمكين سلوك الرعاية الذاتية من جهة والرضا عن الحياة من جهة اخرى ؛ فضلا أن الضيق الانفعالي كان أهم عامل تفسيري للتنبؤ بجودة الحياة ، حيث يفسر ٢٨,٧ ٪ - ٥٣,٨ ٪ من التباين الكلي.

وفيما يتعلق بإدارة الذات وفعالية الذات فقد قام "تومبثون" (Thompson, 2010) ببحث العلاقة بين الوعي الصحي وكل من فعالية الذات وإدارة الذات، ومحاولة معرفة ما اذا كانت فعالية الذات يمكن أن تتوسط العلاقة بين الوعي الصحي وإدارة الذات. وأسفرت النتائج عن وجود ارتباط دال موجب بين ادارة وفعالية الذات، ولم تستطيع فعالية الذات أن تتوسط العلاقة بين الوعي الصحي وإدارة الذات.

وقد أشارت دراسة "أوزلاندر"، "ستيرزنج"، "وزايا" و"وايت" (Auslander, Sterzing, Zayas & White, 2010) إلى أن مصادر الدعم لارتفاع الادارة الذاتية لدى العينة التي بلغت (١٠) مراهقين من مرضى السكري كان دور الأم كأهم مصدر داعم لإدارة الذات ، وكذا فعالية الذات.

ثم قام "هاغيز" (Hughes, 2011) بدراسة هدفت إلى ايضاح دور المعالجة الانفعالية (الفهم- الاعتراف - قبول المشاعر) كمتغير وسيط في العلاقة بين الادارة الذاتية (تنظيم الافكار والمشاعر والسلوك) ، ضبط مستوى السكر في الدم لدى عينة قوامها (١٣٧) مشاركا من مرضى السكر متوسط أعمارهم ١٣,٤ عاما. وأسفرت النتائج عن يوسط المعالجة الانفعالية بشكل دال للعلاقة بين الادارة الذاتية و ضبط مستوى السكر في الدم، ولم تتضح فروقا بين الذكور والاناث في الرعاية الذاتية.

ثم أجرى "أكينز" (Aikens, 2012) دراسة هدفت إلى مقارنة اعراض الاكتئاب و الضيق أو الاسى المرتبط بالسكري كمنبئات طولية بالالتزام بالدواء ، سلوك الرعاية الذاتية ، والسيطرة على نسبة السكر في الدم في مرض السكري من النوع الثاني. تم دراسة مرضى الرعاية الأولية المصابين بداء السكري من النوع الثاني الذين عانوا من اعراض الاكتئاب و الضيق الانفعالي المرتبط بالسكري ن (٢٥٣) مشاركا. تم استخدام تحليل الانحدار. وقد اشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية دالة بين اعراض الاكتئاب و سلوك التغذية المستقبلي و النشاط البدني ، و اختبار الجلوكوز. و على العكس ، تنبأ الضيق أو الاسى المرتبط بالسكري بالسيطرة على نسبة السكر في الدم و الالتزام بالدواء.

وينفس الهدف التنبؤي السابق قام "كرام"، "تبيور" (Cramm, & Nieboer, 2012) بدراسة لبحث امكانية ادارة الذات على التنبؤ بالصحة البدنية والعراض الاكتئابية لدى عينة من مرضى بعض الامراض المزمنة كالقلب، الاوعية الدموية، السكر؛ حيث بلغت عينة مرضي السكر (٤١٢) مشاركاً. وتوصلت الدراسة إلى أن ادارة الذات تستطيع أن تتبياً وبشكل دال بالصحة البدنية والعراض الاكتئابية لدى المجموعات الثلاث.

وفي دراسة "جاسر" وآخرون (Jaser, et. al, 2012) التي عنيت بالبحث عن العلاقة بين ادارة الذات وكل من التوافق ونوعية الحياة والاستجابة للضغوط وضبط مستوى السكر بالدم، وذلك على عينة قوامها (٣٢٧) مشاركا مرضى بالسكري ومنذ ما لا يقل عن ستة أشهر . أسفرت النتيجة عن الادارة الذاتية تستطيع أن تتوسط العلاقة بين الضغوط وأساليب مواجهتها من جهة ، ونوعية الحياة وضبط السكر في الدم من ناحية أخرى.

كذلك قامت "الخوالدة"، "الحسن"، "فرويلشر" (Al-Khawaldeh, Al-Hassan, Froelicher, 2012) بدراسة هدفت إلى تقييم العلاقات بين الفعالية الذاتية لإدارة مرض السكري وسلوكيات الإدارة الذاتية لمرض السكري والتحكم في نسبة السكر في الدم. وذلك على عينة قوامها (٢٢٣) مشاركا من مرضى النوع الثاني من السكر الاردنيين وتوصلت إلى أن فعالية الذات وادارة الذات يستطيعان التنبؤ وبشكل دال بمستوى السكر في الدم، كما أن الافراد ذوي الفعالية الذاتية المرتفعة لديهم ادارة ذاتية ايضا مرتفعة لسلوك نظامهم الغذائي، الرياضي، ودورية فحص نسبة السكر في الدم، والموظبة على تناول الاوية.

في حين هدفت دراسة "سترنبرج"، "جراو"، "ويتزل"، "بيروت"، "روكني" (Strandberg, Graue, Wentzel-Larsen, Peyrot, & Rokne, 2014) إلى دراسة علاقات الضيق الانفعالي الخاص بالسكري ، والاكتئاب ، والقلق وعلى عينة قوامها ٣١٩ من البالغين النرويجيين المصابين بداء السكري من النوع الاول. تم استخدام تحليل الانحدار لدراسة العلاقات بين الاضطرابات الانفعالية الخاصة بمرض السكري والقلق والاكتئاب والرفاه العام مع الهيموجلوبين ا١. تم اختبار العلاقة بين الضيق الانفعالي الخاصة بداء السكري و الهيموغلوبين الغليكوزيلاتي. اشارت النتائج إلى وجود علاقة بين

الضيق الانفعالي الخاص بمرض السكري والتحكم في نسبة السكر في الدم. ولكن لم توجد علاقة بين الاكتئاب ، والقلق ، والتحكم في نسبة السكر في الدم .

وجاءت دراسة دراسة ديغان وآخرون (Dehghan et al.,2017) بهدف إلى تقييم فعالية الذات العامة في إدارة مرض السكري وايضاح العلاقات الارتباطية مع مراقبة نسبة السكر في الدم لدى الأفراد المصابين بالسكري ، المترددين على عيادة السكري بشمال ايران. اجريت هذه الدراسة على (٢٥١) مريضا من مرضى السكري من النوع الثانى. اشارت النتائج إلى وجود علاقة سالبة بين العمر وفعالية الذات العامة في إدارة مرض السكري، بينما كان هناك ارتباط إيجابي بين فعالية الذات العامة و فعالية الذات في إدارة مرض السكري. وفيما يتعلق بتحليل الانحدار أن مدة المرض كانت المتغير الوحيد الذي له تأثير كبير في التحكم في نسبة السكر في الدم .

#### التعليق على الدراسات السابقة وأوجه الاستفادة :

من خلال استعراض الباحث للدراسات السابقة يمكن أن تتلخص في النقاط التالية :

- ١ - أكدت جميع الدراسات السابقة على أهمية المتغيرات المستخدمة في الدراسة الحالية للمساهمة في اندماج مريض السكري في المجتمع المحيط بشكل طبيعي.
- ٢- أهمية متغير الإدارة الذاتية لمريض السكر، حيث يرتبط ايجابيا بمعدلات جودة الحياة وفعالية الذات والرفاهية النفسية.
- ٣- تستطيع متغير فعالية الذات والإدارة الذاتية أن تلعب دور المتغير الوسيط بين المتغيرات المتعلقة بضبط السكر، وكذا جودة الحياة.
- ٤- وجود ارتباط دال بين مؤشرات الصحة البدنية والإدارة الذاتية وفعالية الذات، وسلي مع الضيق الانفعالي .

٥- على الرغم من وجود متغير الجنس في العينات المستخدمة في الدراسات السابقة، فقد لاحظ الباحث الحالي -وفي حدود علمه- أنه لم يتطرق أحد إلى ايجاد الفروق بين الذكور والاناث في المتغيرات المستخدمة في الدراسة الحالية.

#### فروض البحث

- ١- توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين جودة الحياة الصحية وكل من إدارة الرعاية الذاتية ، والضيق الانفعالي وفعالية الذات لدى مرضى السكري.

- ٢- تتباين درجات جودة الحياة الصحية بتباين درجات كل من: إدارة الرعاية الذاتية ، والضيق الانفعالي وفعالية الذات لدى مرضى السكري.
- ٣ - توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الذكور والاناث من مرضى السكري في المتغيرات المستخدمة في الدراسة لدى مرضى السكري.
- ٤- يسهم كل من إدارة الرعاية الذاتية ، والضيق الانفعالي وفعالية الذات في التنبؤ بجودة الحياة الصحية لدى مرضى السكري .

### المنهج والاجراءات

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الارتباطي المقارن. ويُعني هذا المنهج بتوضيح العلاقة بين متغيرين أو أكثر، وفي حالة اثبات هذه العلاقة سواء ايجاباً أو سلباً ، ويهتم ببيان حجم ونوع العلاقات بين المتغيرات، ويمكن لهذا المنهج أن يعنى بدراسات التنبؤ (صفوت ، ٢٠١٧). كما اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المقارن للكشف عن الفروق الذكور والاناث في متغيرات الدراسة وايضاح التباينات بين المتغيرات المختلفة..

### عينة البحث :

تكونت عينة الدراسة الحالية من (٣٢٣) مشاركاً من مرضى السكري من النوع الثاني، تم الحصول عليهم من خلال قسم الطب الباطني بمستشفى جامعة طنطا، عدد من العيادات الخاصة بالأمراض الباطنية وعلاج السكر بمحافظة الغربية، بعد الاتفاق مع الطبيب المُعالج واعلامه بأهداف وطبيعة البحث الحالي. تراوحت أعمار العينة ما بين ٢٣ : ٧٠ عاما بمتوسط عمري بلغ (٥٢,٦) عام وانحراف معياري قدره (١١,٣) . والجدول التالي يوضح الخصائص الديمجرافية لعينة الدراسة :

جدول (١) الخصائص الديمجرافية لعينة الدراسة

الجنس		مكان الإقامة			المستوى التعليمي			الحالة الاجتماعية	
ذكور	اناث	ريف	حضر	منخفض	متوسط	عال	أعزب	متزوج	أرمل
١٦٧	١٥٦	١٤٣	١٨٠	٢٩	١٢٧	١٦٧	٩٢	١٥٦	٤٢
									٣٣



## أدوات الدراسة :

اشتملت الادوات المستخدمة في الدراسة الحالية على ما يلي :

١- اسببيان الإدارة الذاتية لمرضى السكري<sup>١</sup> ترجمة الباحث الحالي

اعد هذه الاستبيان "سكيميت" و اخرون (Schmitt, Gahr, Hermanns, Kulzer, Huber, & Haak, 2013) بغرض تقييم الإدارة الذاتية لمرضى السكري، وهي عبارة عن استبانة تتكون من ١٦ مفردة ، يتم الاجابة عليها وفق مقياس ليكرت من ٤ خيارات تغطي خمسة جوانب مختلفة من الإدارة الذاتية لمرضى السكري. تشير الدرجات العليا إلى المزيد من سلوك الإدارة الذاتية المرغوب فيه. تعكس مقاييس التحكم الغذائي للمرضى والالتزام بالأدوية ومراقبة نسبة الجلوكوز في الدم والنشاط البدني و التواصل مع الطبيب.

٢- مقياس الضيق الانفعالي من مرض السكري<sup>٢</sup> ترجمة الباحث الحالي

اعد هذا المقياس "بلونيسكي"<sup>٣</sup> و أخرون (Polonsky, et.al., 2005) بغرض تقييم الضيق والكدر الناتج مرض السكري، وهو عبارة عن مقياس يتكون من ١٧ مفردة ، يتبع مقياس Likert من ٦ نقاط تقيس تجارب الضيق الانفعالي بين مرضى السكري. يستجيب المرضى لكل مفردة ب ١ (لا يوجد ضيق) إلى ٦ (ضيق شديد). يحتوي هذا المقياس على أربع مقاييس فرعية: الضيق الانفعالي<sup>٤</sup> (EB) ، ضيق النظام الغذائي<sup>٥</sup> (RD) ، الضيق الشخصي<sup>٦</sup> (ID) ، الضيق المتعلق بالطبيب<sup>٧</sup> (PD).

٣- مقياس فعالية الذات في ادارة مرض السكري<sup>٨</sup> ترجمة الباحث الحالي

اعد هذه المقياس "نوروزي" و"تامسامبي" (Noroozi, & Tahmasebi, 2014) بغرض تقدير مدى ثقة مرضى السكري في قدرتهم على إدارة نسبة السكر في الدم والنظام الغذائي ومستوى التمارين. وهو عبارة عن مقياس يتكون من ٢٠ مفردة ، يتبع مقياس Likert من

<sup>1</sup> Diabetes Self-Management Questionnaire (DSMQ)

<sup>2</sup> Diabetes Distress Scale (DDS)

<sup>3</sup> Emotional burden subscale

<sup>4</sup> Regimen-related distress subscale

<sup>5</sup> Interpersonal distress subscale

<sup>6</sup> Physician-related distress subscale

<sup>7</sup> The diabetes management self-efficacy scale

٥ نقاط . تشير الدرجات العالية إلى فعالية ذات عالية في أداء أنشطة فعالية الذات لإدارة مرض السكري. في هذا البحث.

#### ٤- مقياس جودة الحياة لمرضى السكري<sup>١</sup> ترجمة الباحث الحالي

اعد هذه المقياس "جيتندر"، "سونا" و"ابهاشك" (Jitender, Sonia, & Abhishek, 2010) بغرض تقدير جودة الحياة لمرضى السكري. وهو عبارة عن مقياس يتكون من ٣٤ مفردة ، تغطي (٨) جوانب مختلفة من جودة الحياة لمرضى السكري: تأثير الصحة البدنية على دورك في الحياة، التحمل البدني، الصحة العامة، الرضا عن العلاج، أعراض الإجهاد، الأمور المالية، الصحة النفسية / العقلية، والرضا عن النظام الغذائي. تم حساب الدرجة لكل عامل عن طريق جمع درجات المفردات (عدد العوامل) للحصول على الدرجة الكلية.

#### إجراءات ترجمة المقاييس المستخدمة

قام الباحث الحالي بترجمة المقاييس المستخدمة في الدراسة الحالية، ثم طلب من أحد أساتذة قسم اللغة الإنجليزية أن يقوم بترجمة ذات المقاييس وتمت المقارنة بين الترجمتين، للوصول إلى دقة المعنى، وأعقب ذلك طلب ترجمة لزميل آخر يقسم اللغة الانجليزية ليقوم بالترجمة العكسية من النسخة العربية إلى أصلها الانجليزية فكانت شبه متطابقة. ثم تم عرض الأدوات على مجموعة من أساتذة علم النفس في أكثر من جامعة مصرية للتحقق من صدق الأدوات كما سيذكر لاحقاً.

#### الأساليب الإحصائية المستخدمة:

يستخدم الباحث الحالي الأساليب الإحصائية التالية للتحقق من فروض البحث: معاملات ارتباط بيرسون، تحليل التباين الأحادي، معادلات الفروق بين المتوسطات T.test ، وتحليل الانحدار .

1 Quality of Life Instrument for Indian Diabetes Patients (QOLID),

## التحقق من الصلاحية القياسية للأدوات :

## أولاً : الثبات

وللتأكد من مدى ثبات الأدوات المستخدمة في الدراسة الحالية استخدمت الباحث الحالي طريقتين لهذا الغرض هما أ. حساب معامل ألفا كرنباخ. ب. مؤشرات ثبات القسمة النصفية كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول (٢) معاملات ثبات ألفا، جتمان للأدوات المستخدمة ن = ٢٠٠

المقياس	البنود	معامل ثبات ألفا	ثبات التجزئة النصفية
استبيان الإذابة الذاتية	الدرجة الكلية	٠,٠٨٩	٠,٨٧ : ٠,٩٣
	التحكم الغذائي للمرضى	٤	٠,٨٨ : ٠,٧٩
	الالتزام بالأدوية	٣	٠,٨٣ : ٠,٨٩
	مراقبة نسبة الجلوكوز في الدم	٣	٠,٨٤ : ٠,٧٦
	النشاط البدني	٣	٠,٨١ : ٠,٧٥
	التواصل مع الطبيب	٣	٠,٧٤ : ٠,٨٣
مرض الضيق الانفعالي السكري	الدرجة الكلية	٠,٩١	٠,٩٥ : ٠,٨٨
	الضيق الانفعالي	٥	٠,٨٦ : ٠,٧٣
	أسى النظام الغذائي	٤	٠,٨٩ : ٠,٨١
	الاسى الشخصي	٤	٠,٨٢ : ٠,٧٨
	سى الطبيب	٤	٠,٩٢ : ٠,٨٣
مرض السكري في إدارة فعالية الذات في إدارة	الدرجة الكلية	٠,٧٨	٠,٩٥ : ٠,٨٨
	التغذية المحددة	٥	٠,٨٤ : ٠,٧٥
	التغذية العامة	٥	٠,٨٠ : ٠,٨٩
	ضبط نسبة الجلوكوز في الدم	٤	٠,٨٦ : ٠,٧٧
	النشاط البدني ومراقبة الوزن	٥	٠,٨٩ : ٠,٧١
	المراقبة الطبية	٦	٠,٩٤ : ٠,٨٢
مقياس جودة الحياة لمرضى السكري	الدرجة الكلية	٠,٧٩	٠,٩٢ : ٠,٨٦
	تأثير الصحة البدنية على دورك في الحياة	٦	٠,٨٤ : ٠,٧٦
	التحمل البدني	٦	٠,٨٣ : ٠,٧٤
	الصحة العامة	٣	٠,٨٠ : ٠,٧٢
	الرضا عن العلاج	٤	٠,٩١ : ٠,٨٣
	أعراض الإجهاد	٣	٠,٩٣ : ٠,٧٨
	الأموال المالية	٤	٠,٩٤ : ٠,٨٨
	الصحة النفسية / العقلية	٥	٠,٨٣ : ٠,٧٦
	الرضا عن النظام الغذائي	٣	٠,٩٠ : ٠,٨١

ويتضح من بيانات الجدول السابق أن معاملات الثبات الخاصة بالادوات المستخدمة في الدراسة الحالية معاملات مرتفعة سواء على مستوى الدرجات الفرعية أو الدرجات الكلية للمقاييس وبالتالي يمكن الوثوق بها .

### ثانياً الصدق

اعتمد الباحث الحالي على أكثر من طريقة للتحقق من صدق الادوات المستخدمة. **أولها** : صدق المحكمين والتي تشير إلى استخدام مجموعة من الخبراء والمتخصصين للحكم على جودة الاختبار ومدى تمثيل بنوده وأبعاده للمحتوى، وقد استعان الباحث بعدد من أساتذة علم النفس في جامعات مصرية وليبية، لهذا الغرض وقد أخذت تعليقات جميعهم موضع الاهتمام والتعديل، **وثانيها**: صدق المحك التلازمي. وكذلك الاتساق الداخلي للتأكد من ملائمة الاداة وخصائصها السيكومترية صدق الاتساق الداخلي لكل من الادوات المستخدمة وذلك على النحو التالي:

#### أولاً: الصدق الظاهري:

قام الباحث بعرض الادوات على السادة المحكمين<sup>1</sup> وتقريغ تعليقات وتعديلات الجميع والاعتماد على نسب الاتفاق بينهم على صدق العبارات المستخدمة في الادوات الاربعة الذي يتراوح بين (٨٠ : ١٠٠ %) سواء من حيث الصياغة والترجمة أو من حيث المفردات أو المعنى المرجو قياسه من الاداة.

#### ثانياً: حساب صدق المحك التلازمي:

وقد لجأ الباحث الحالي لهذه الطريقة في حساب الصدق باعتبارها أحد أهم طرائق حساب صدق الادوات بصفة عامة والادوات النفسية على وجه الخصوص، ويعتمد صدق المحك أو الصدق التجريبي على حجم علاقة درجات الاختبار بالاداء الفعلي على محك خارجي، ويقصد بالمحك الخارجي اختبار آخر جيد تستخدم فيه السمة موضع الاهتمام(مراد وسليمان، ٢٠١٢، ٢٧٣).

<sup>1</sup> السادة المحكمين لهم خالص الشكر من الباحث على جهودهم الحثيثة : أ.د/ احمد اسماعيل اداب طنطا - أ.د . محمد منصور جامعة طنطا - أ.د ايمن القاضي جامعة طنطا- أ.د/ سحر القطاوي تربية السويس- أ.د. أحمد زيدان تربية السويس - أ.د عمر النعاس اداب مصراته ليبيا - أ.د حسين الاطرش اداب مصراته ليبيا- أ.د حسن الشهبوي تربية مصراته ليبيا د. محمد عيد جلال اداب السويس - د/ نجلاء عبد النبي اداب السويس - د/ سماح عرفة اداب السويس - د. خالد نبهان البنا دكتوراه في علم النفس.

**أ: الصدق المحك التلازمي للإدارة الذاتية** وقد استجابت عينة التقنين على بنود الاداة الحالية بالاضافة إلى الاستجابة على بنود مقياس مهارات الإدارة الذاتية (منصور، عبد المنعم، ريان ، ٢٠١٥) وبحساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات العينة على المقياسين أسفرت النتيجة عن معامل ارتباط دال موجب بقيمة ( $r=0.69$  ,  $P 0.01$ ) وهذه النتيجة تؤكد صدق الاداة المستخدمة، .

**ب. الصدق المحك التلازمي لمقياس الضيق الانفعالي:** وقد حيث استجابت عينة التقنين على بنود الاداة الحالية بالاضافة إلى الاستجابة على بنود مقياس و مقياس ضغوط الحياة ( غانم ، ٢٠٠٧) وبحساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات العينة على المقياسين أسفرت النتيجة عن معامل ارتباط دال موجب بقيمة ( $r=0.72$  ,  $P 0.01$ ) وهذه النتيجة تؤكد صدق الاداة المستخدمة

**ج: الصدق المحك التلازمي لمقياس فعالية الذات :** وقد حيث استجابت عينة التقنين على بنود الاداة الحالية بالاضافة إلى الاستجابة على بنود المقياس و مقياس فاعلية الذات (محمود، ٢٠١٣) وبحساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات العينة على المقياسين أسفرت النتيجة عن معامل ارتباط دال موجب بقيمة ( $r=0.68$  ,  $P 0.01$ ) وهذه النتيجة تؤكد صدق الاداة المستخدمة.

**د: الصدق المحك التلازمي لمقياس جودة الحياة الصحية:** وقد حيث استجابت عينة التقنين على بنود الاداة الحالية بالاضافة إلى الاستجابة على بنود مقياس و مقياس جودة الحياة ( العشري، ٢٠١٩) وبحساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات العينة على المقياسين أسفرت النتيجة عن معامل ارتباط دال موجب بقيمة ( $r=0.67$  ,  $P 0.01$ ) وهذه النتيجة تؤكد صدق الاداة المستخدمة .

**ثالثاً: التأكد من الاتساق الداخلي للأدوات المستخدمة**

أ. الاتساق الداخلي لمقياس الإدارة الذاتية:

**جدول (٣) ارتباط درجة البند بالدرجة الكلية لاستبيان الإدارة الذاتية**

البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية
١	**٠,٦٠٢	٥	**٠,٧٧٧	٩	**٠,٥٦٧	١٣	**٠,٦١٩
٢	*٠,٧٠١	٦	*٠,٦١٧	١٠	*٠,٦٣٥	١٤	*٠,٦٠٢
٣	**٠,٦٧٦	٧	**٠,٦٧٥	١١	**٠,٥٨٨	١٥	**٠,٧٠١
٤	**٠,٦٦١	٨	**٠,٦٨٨	١٢	**٠,٦٢٩	١٦	**٠,٦٧٦

مستوى الدلالة \* \* دال عند ٠,٠١ \* دال عند ٠,٠٥

ويتضح من نتائج الجدول (٣) السابق ارتباط درجات كل بند بالدرجة الكلية وبصورة دالة مما يعني سلامة البناء الداخلي للأداة، ولا يمكن الاعتماد على هذه الطريقة فحسب كمؤشر للصدق، لذا فقد لجأ الباحث إلى طريقة صدق المحك التلازمي السابق ذكرها. ولكن على أي حال فإن هاتان الطريقتان تؤكدان إمكانية الثقة القياسية في الأداة المستخدمة .

ب. الاتساق الداخلي لمقياس الضيق الانفعالي من مرض السكري<sup>١</sup>**جدول (٤) ارتباط درجة البند بالدرجة الكلية لمقياس الضيق الانفعالي**

البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية
١	**٠,٦٦٥	٥	*٠,٥٦١	٩	**٠,٦٢٩	١٣	*٠,٦٣٣
٢	**٠,٧٨١	٦	**٠,٥٦٧	١٠	*٠,٦١٩	١٤	**٠,٦٥٤
٣	*٠,٦٨٧	٧	*٠,٦٣٥	١١	*٠,٦٠٨	١٥	**٠,٧٢٧
٤	*٠,٦٧٨	٨	**٠,٥٨٨	١٢	**٠,٦٦٧	١٦	*٦٢٤
						١٧	**٧٨٠

مستوى الدلالة \* \* دال عند ٠,٠١ \* دال عند ٠,٠٥

ويتضح من نتائج الجدول (٤) السابق ارتباط درجات كل بند بالدرجة الكلية وبصورة دالة مما يعني سلامة البناء الداخلي للأداة.

## ج. الاتساق الداخلي لمقياس فعالية الذات :

جدول (٥) ارتباط درجة البند بالدرجة الكلية لمقياس فعالية الذات

الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند
**٠,٧٢٧	١٦	*٠,٦١٦	١١	**٠,٦٥٠	٦	**٠,٦٤٠	١
*٠,٧٨٠	١٧	*٠,٥٧٣	١٢	**٠,٦٢٠	٧	**٠,٦٨٠	٢
**٠,٦٦٧	١٨	**٠,٦٥٢	١٣	*٠,٦٧٤	٨	*٠,٥٨٢	٣
*٠,٦٧٩	١٩	*٠,٧١٧	١٤	**٠,٦٧٩	٩	**٠,٦٦٣	٤
**٠,٦٠٨	٢٠	**٠,٦٧٤	١٥	**٠,٦٤٦	١٠	**٠,٦٢٧	٥

مستوى الدلالة \*\* دال عند ٠,٠١ \* دال عند ٠,٠٥

ويتضح من نتائج الجدول (٥) السابق ارتباط درجات كل بند بالدرجة الكلية وبصورة دالة مما يعني سلامة البناء الداخلي للأداة.

د. الاتساق الداخلي لمقياس جودة الحياة لمرضى السكري :

جدول (٦) ارتباط درجة البند بالدرجة الكلية لمقياس جودة الحياة

الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند	الارتباط بالدرجة الكلية	البند
**٠,٦٤٠	٢٨	*٠,٦٢٠	١٩	*٠,٥٨٠	١٠	*٠,٦٨٥	١
**٠,٦٨٠	٢٩	*٠,٥٨٠	٢٠	**٠,٦١٢	١١	**٠,٦٣٥	٢
*٠,٦٨١	٣٠	**٠,٦٧٩	٢١	**٠,٥٢٧	١٢	*٠,٦٢٣	٣
**٠,٦٥٤	٣١	*٠,٦٥٨	٢٢	*٠,٤٢٠	١٣	**٠,٥٨١	٤
**٠,٦٥١	٣٢	**٠,٦١٦	٢٣	**٠,٦١٢	١٤	**٠,٧٢٧	٥
*٠,٥٤٥	٣٣	*٠,٦٨٥	٢٤	*٠,٥٨٨	١٥	*٠,٦٢٤	٦
*٠,٤٩٧	٣٤	**٠,٦٥٤	٢٥	**٠,٦٥٣	١٦	*٠,٧٨٠	٧
		**٠,٧٢٥	٢٦	*٠,٦٢٨	١٧	*٠,٦٤٠	٨
		**٠,٥٩١	٢٧	*٠,٦٢٤	١٨	**٠,٦٨٠	٩

مستوى الدلالة \*\* دال عند ٠,٠١ \* دال عند ٠,٠٥

ويتضح من نتائج الجدول (٦) السابق ارتباط درجات كل بند بالدرجة الكلية وبصورة دالة مما يعني صدق البناء الداخلي للأداة.

وبناءً على ماسبق فإنه قد تم حساب الخصائص السيكومترية لمختلف الأدوات المستخدمة في الدراسة الحالية بأكثر من طريقة، سواء الثبات أو الصدق، وقد كانت المؤشرات كلها مطمئنة في الاعتماد عليها جميعاً.

## النتائج

**الفرض الأول:** توجد علاقة ارتباطية بين جودة الحياة الصحية وكل من إدارة الرعاية الذاتية، والضيق الانفعالي وفعالية الذات .

جدول (٧) معاملات الارتباط بين جودة الحياة الصحية وكل من إدارة الرعاية الذاتية،

والضيق الانفعالي وفعالية الذات

م	المتغيرات	جودة الحياة الصحية	مستوى الدلالة
١	الإدارة الذاتية	٠,٥٧٢	٠,٠٠١
٢	الضيق الانفعالي	- ٠,٥٤٤	٠,٠١
٣	فعالية الذات	٠,٤٢٦	٠,٠٠١

ويتضح من بيانات هذا الجدول (٧) عدد من النتائج مفادها :

١- فيما يتعلق بالعلاقة بين جودة الحياة وكل من إدارة الرعاية الذاتية فقد ظهر ارتباط دال موجب بين كلا المتغيرين .

٢- أما عن العلاقة بين جودة الحياة والضيق الانفعالي فقد أسفرت التحليلات الاحصائية عن علاقة دالة ولكنها سالبة، بمعنى أن الزيادة في جودة الحياة يؤدي إلى نقص في الضيق الانفعالي.

٣- وأخيراً فقد ارتبطت جودة الحياة بعلاقة دالة عند مستوى ٠,٠١ ايجابياً بفعالية الذات وهذه العلاقة تعني أن جودة الحياة يزامنها فعالية للذات وكفاءة لها.

**الفرض الثاني :** تتباين درجات جودة الحياة الصحية بتباين درجات وكل من إدارة الرعاية الذاتية، والضيق الانفعالي وفعالية الذات .

وللتحقق من هذا الفرض قام الباحث بإجراء تحليل التباين الأحادي للكشف عن الفروق بين درجات جودة الحياة الصحية بتباين درجات كل من إدارة الرعاية الذاتية، والضيق الانفعالي وفعالية الذات .



## جدول (٨) تحليل التباين الأحادي

الدالة	ف	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	المتغيرات	جودة الحياة الصحية
٠,٠١	١٨,٢٨٦	١٣٥٧,٨	٢	٢٧١٥,٦	إدارة الرعاية الذاتية	١
٠,٠١	٢٤,٨٢	١٧٢٥,٨٥	٢	٣٤٥١,٧	الضيق الانفعالي	٢
٠,٠١	٣١,٤٢	١٨٨١,٣٥	٢	٣٧٦٢,٧	فعالية الذات	٣

ويتضح من خلال الجدول السابق (٨) التأثير الدال والواضح لجميع المتغيرات (إدارة الرعاية الذاتية، والضيق الانفعالي وفعالية الذات) بشكل مستقل على جودة الحياة الصحية.

والنتيجة في إجمالها تشير إلى أن الفروق دالة إحصائياً بين المجموعات الثلاثة (١) التي تم تقسيمها (المنخفضون، المتوسطون، المرتفعون) في جميع المتغيرات المستقلة المستخدمة في الدراسة " إدارة الرعاية الذاتية، والضيق الانفعالي وفعالية الذات". ولمعرفة اتجاه الفروق بين مجموعات الدراسة الناتجة من التفاعل بين المجموعات الثلاثة تم استخدام المقارنة البعدية Post Hoc "اختبار شيفيه" والجدول التالي يوضح ذلك .

(١) تم تقسيم العينة وفقاً للمتغيرات المستخدمة في الدراسة الحالية إلى مجموعات ثلاثة على حسب الدرجة الكلية النحو التالي: ١- إدارة الرعاية الذاتية تم التقسيم إلى أ. المجموعة الأولى ذوي الدرجات المنخفضة وتمثل الثلث الأدنى (أقل من أو يساوي ٢١ درجة)، ب. المجموعة الثانية ذوي الدرجات المتوسطة وتمثل الثلث الأوسط (من ٢٢ : ٤٢ درجة)، ج. المجموعة لثالثة أصحاب الدرجات المرتفعة (من ٤٣ : ٦٤). ٢- الضيق الانفعالي تم التقسيم إلى أ. المجموعة الأولى ذوي الدرجات المنخفضة وتمثل الثلث الأدنى (أقل من أو يساوي ٣٤ درجة)، ب. المجموعة الثانية ذوي الدرجات المتوسطة وتمثل الثلث الأوسط (من ٣٥ : ٦٨ درجة)، ج. المجموعة لثالثة أصحاب الدرجات المرتفعة (من ٦٩ : ١٠٢). ٣- فعالية الذات تم التقسيم إلى أ. المجموعة الأولى ذوي الدرجات المنخفضة وتمثل الثلث الأدنى (أقل من أو يساوي ٣٣ درجة)، ب. المجموعة الثانية ذوي الدرجات المتوسطة وتمثل الثلث الأوسط (من ٣٤ : ٦٦ درجة)، ج. المجموعة الثالثة أصحاب الدرجات المرتفعة (من ٦٧ : ١٠٠ درجة).

## جدول (٩) دلالة الفروق بين كل مجموعتين من المجموعات المتغيرات المستقلة

المتغير	مجموعات المقارنة	العدد (ن)	متوسط الفروق (٢/١)	متوسط الفروق (٣/١)	متوسط الفروق (٣/٢)
إدارة الرعاية الذاتية	١- منخفض	٨٦	٣,١٤ (٠,٠٠١)	٧,٨٢ (٠,٠٠١)	٢,٤٢ (٠,٠٠٣)
	٢- متوسط	١٤٢			
	٣- مرتفع	٩٥			
الضيق الانفعالي	١- منخفض	١٢٦	٤,٥٦ (٠,٠٠١)	١٢,٧٨ (٠,٠٠١)	٦,٤٥ (٠,٠٠١)
	٢- متوسط	٨٧			
	٣- مرتفع	١١٠			
فعالية الذات	١- منخفض	٧٨	٣,٧٢ (٠,٠٠١)	٨,٧٦ (٠,٠٠١)	٧,٤٨ (٠,٠٠٣)
	٢- متوسط	١٢٣			
	٣- مرتفع	١٢٢			

ويتضح من بيانات الجدول السابق (٩) أن الافراد أصحاب الدرجات المرتفعة في ادارة الرعاية الذاتية ، فعالية الذات هم الأكثر شعورا بجودة الحياة المتعلقة بالصحة، في حين ظهر أن الافراد ذوي الدرجات المرتفعة في الضيق الانفعالي أقل شعورا بجودة الحياة الصحية، ولعل هذه النتيجة تعد مؤشرا يوحى بالتماثل بين المتغيرات المستقلة الايجابية (الرعاية الذاتية، فعالية الذات) حيث أن ارتفاع الدرجة عليهما كان له دورا هاما في ارتفاع درجة المشاركين في الشعور بجودة الحياة الصحية، في حين أن ارتفاع الضيق الانفعالي (باعتباره متغيرا سلبيا)، أدى إلى انخفاض درجة جودة الحياة الصحية .

**الفرض الثالث :** توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الذكور والاناث من مرضى السكري في المتغيرات المستخدمة في الدراسة .

وللتحقق من صحة هذا الفرض قام الباحث الحالي باستخدام أسلوب مقارنة متوسطات درجات الذكور والاناث باستخدام اختبار "ت" لدلالة الفروق بين عينتين مستقلتين حيث ن ١ لا تساوي ن ٢ ، والجدول التالي يوضح هذه النتائج :

جدول (١٠) الفروق بين أفراد العينة (ذكور وإناث) على متغير ادارة الرعاية الذاتية ودرجاتها الفرعية

المقياس	المتغير	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
التحكم الغذائي للمرضى	ذكور	١٦٧	١٠,٧٢	١,٤١	٠,٣٥	غير دالة
	إناث	١٥٦	١١,١٣	١,٩٢		
الالتزام بالأدوية	ذكور	١٦٧	٨,٧٦	١,٤٣	٠,٩٨	غيردالة
	إناث	١٥٦	٩,٣٥	٢,١٣		
مراقبة نسبة الجلوكوز في الدم	ذكور	١٦٧	٩,٨١	١,٤٢	٠,٨٥	غيردالة
	إناث	١٥٦	١٠,٦٤	١,٦١		
النشاط البدني	ذكور	١٦٧	١١,٩٢	١,٦٥	٣,١	دالة ٠,٠١
	إناث	١٥٦	٦,١٣	١,٣٤		
التواصل مع الطبيب	ذكور	١٦٧	٩,١١	٢,١٢	٠,٨١	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٠,٩٤	١,٨٦		
الدرجة الكلية	ذكور	١٦٧	٥٠,٧٠	١٤,٤٦	٠,٠٥	غير دالة
	إناث	١٥٦	٤٨,١٩	١٣,٤٥		

وبالنظر في النتائج الواردة في الجدول السابق (١٠) يتضح أنه بمقارنة المتوسطات لمجموعتي الذكور والإناث فلم تكن هناك فروق ذات دلالة احصائية بين المجموعتين سواء في الدرجات الفرعية للمقياس أو الدرجة الكلية عليه، باستثناء درجة النشاط البدني حيث بلغت قيمة "ت" ٣,١ لتكون دالة عند مستوى دلالة ٠,٠١.

جدول (١١) الفروق بين أفراد العينة (ذكور وإناث) على الضيق الانفعالي ودرجاتها الفرعية

المقياس	المتغير	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
الضيق الانفعالي	ذكور	١٦٧	١٧,٥١	٣,٤٦	٠,٠٣	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٧,٩٢	٤,٢١		
ضيق النظام الغذائي	ذكور	١٦٧	١٥,٨١	٢,٤٥	٠,٠٤	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٥,٣١	٣,٨٩		
الضيق الشخصي	ذكور	١٦٧	٢٠,١١	٦,٤٤	٠,١٧	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٧,٥٢	٣,٢١		
الضيق من الطبيب	ذكور	١٦٧	١٧,٢١	٤,١	٠,٢٠	غير دالة
	إناث	١٥٦	٢١,٤٢	٧,١		
الدرجة الكلية	ذكور	١٦٧	٧٠,٦٧	١٢,٩٥	٠,٢٩	غير دالة
	إناث	١٥٦	٧٢,١٧	١٥,٥٧		

وبالنظر في النتائج الواردة في الجدول السابق (١١) يتضح أنه بمقارنة المتوسطات لمجموعي الذكور والإناث فلم تكن هناك فروق ذات دلالة احصائية بين المجموعتين سواء في الدرجات الفرعية للمقياس أو الدرجة الكلية عليه، الامر الذي يشير إلى عدم وجود فروق احصائية ذات دلالة بين الذكور والإناث المصابين بالسكري من النوع الثاني على متغير الضيق الانفعالي.

جدول (١٢) الفروق بين أفراد العينة (ذكور وإناث) على الكفاءة الذاتية ودرجاتها الفرعية

المقياس	المتغير	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
التغذية المحددة	ذكور	١٦٧	١٦,٤١	١,٦	٠,٥٣	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٦,٨٢	٢,١		
التغذية العامة	ذكور	١٦٧	١٥,١٣	١,٦٦	٠,٠٢	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٦,٢١	٣,٤٤		
ضبط نسبة الجلوكوز في الدم	ذكور	١٦٧	١٤,٩٢	٢,١٥	٠,٠٦	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٦,٥٣	٢,٦٣		
النشاط البدني ومراقبة الوزن	ذكور	١٦٧	١٨,٣٣	١,٩١	٢,٦	دالة ٠,٠١
	إناث	١٥٦	١٤,١٢	١,٦٢		
المراقبة الطبية	ذكور	١٦٧	١٦,٤١	١,٨٨	٠,٢٣	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٧,١٤	١,٧٢		
الدرجة الكلية	ذكور	١٦٧	٨١,٣٣	١٢,٦٢	٠,٨٢	غير دالة
	إناث	١٥٦	٧٩,٤	١٢,٤٣		

وبالنظر في النتائج الواردة في الجدول السابق (١٢) يتضح أنه بمقارنة المتوسطات لمجموعتي الذكور والإناث فلم تكن هناك فروق ذات دلالة احصائية بين المجموعتين سواء في الدرجات الفرعية للمقياس أو الدرجة الكلية عليه، باستثناء درجة النشاط البدني حيث بلغت قيمة "ت" ٢,٦ لتكون دالة عند مستوى دلالة ٠,٠١. الأمر الذي يشير إلى التوافق مع النتيجة السابقة في جدول (٩) الخاص بغرض نتائج متغير ادارة الرعاية الذاتية حيث اتضح ايضا وجود فروق دالة بين الذكور والإناث لصالح الذكور في الدرجة الفرعية للنشاط البدني.

جدول (١٣) الفروق بين أفراد العينة (ذكور وإناث) على جودة الحياة الصحية ودرجاتها الفرعية

المقياس	المتغير	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى الدلالة
تأثير الصحة البدنية على دورك في الحياة	ذكور	١٦٧	٢١,٥٣	٣,١١	٠,٢١	غير دالة
	إناث	١٥٦	٢٢,١٩	٢,٥١		
التحمل البدني	ذكور	١٦٧	٢٤,٦٠	٣,٤١	١,١٢	غير دالة
	إناث	١٥٦	٢٠,٢١	٣,٤٥		
الصحة العامة	ذكور	١٦٧	١٤,٦٥	٢,٢٦	٠,٥٦	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٣,٧٨	٢,٨١		
الرضا عن العلاج	ذكور	١٦٧	١٦,١٢	٢,٥٥	٠,٩١	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٥,٩٨	٣,١١		
أعراض الإجهاد	ذكور	١٦٧	١٠,٥٣	١,٢٥	٢,٤	دالة ٠,٠٥
	إناث	١٥٦	١٤,٢١	١,٤٥		
الأمور المالية	ذكور	١٦٧	٩,٣٢	٢,٦٥	٠,٠٨٩	غير دالة
	إناث	١٥٦	١١,٤٥	٢,١٤		
الصحة النفسية / العقلية	ذكور	١٦٧	١٦,٤٩	١,٩٤	٠,١١	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٥,٥٧	٢,٥٦		
الرضا عن النظام الغذائي	ذكور	١٦٧	١٩,٤٥	٢,٨٦	٠,٠٧	غير دالة
	إناث	١٥٦	٢٠,٦٥	٣,١١		
الدرجة الكلية	ذكور	١٦٧	١٣٢,٦٩	١٠,٥٨	٠,٠٣	غير دالة
	إناث	١٥٦	١٣٤,٠٩	١١,٤٨		

وبالنظر في النتائج الواردة في الجدول السابق (١٣) يتضح أنه بمقارنة المتوسطات لمجموعتي الذكور والإناث فلم تكن هناك فروق ذات دلالة احصائية بين المجموعتين سواء في الدرجات الفرعية للمقياس أو الدرجة الكلية عليه، باستثناء درجة أعراض الإجهاد حيث بلغت قيمة "ت" ٢,٤ لتكون دالة عند مستوى دلالة لتكون هناك فروق دالة بين المجموعتين لصالح الإناث ٠,٠١. في الدرجة الفرعية الخاصة بأعراض الإجهاد في جودة الحياة الصحية .

الفرض الرابع : يسهم كل من إدارة الرعاية الذاتية ، والضيق الانفعالي وفعالية الذات في التنبؤ بجودة الحياة الصحية لدى مرضى السكري .

جدول (١٤) تحليل الانحدار المتعدد المتغيرات المستقلة (المنبئة) ادارة الرعاية الذاتية، الضيق الانفعالي، الكفاءة الذاتية والمتغيرالتابع جودة الحياة المرتبطة بالصحة

المتغير المستقل (المنبئة)	المتغير التابع	الارتباط	مربع الارتباط	قيمة المعامل B	ت	الدلالة	نسبة الاسهام
ادارة الرعاية الذاتية	الضيق الانفعالي	جودة الحياة	٠,٥٧	٠,٣٢	٧,٨٩	٠,٠٠	٣٢%
			- ٠,٥٤	٠,٢٩	٤,٣٦	٠,٠٠	٢٩%
			٠,٤٢	٠,١٧	٦,٨٧	٠,٠٠	١٧%
	الثابت	١٦,٨١					

ويتضح من بياننا الجدول السابق (١٤) أن المتغيرات المستقلة ادارة الرعاية الذاتية، الضيق الانفعالي، الكفاءة الذاتية قادرة على التنبؤ بمتغير جودة الحياة الصحية (المتغير التابع) بمستويات دلالة مرتفعة، حيث يظهر أن ادارة الرعاية الذاتية كانت أكثر المتغيرات قدرة على تفسير جودة الحياة الصحية بنسبة ٣٢% من التباين، ونسبة ٢٩% كان نصيب متغير الضيق الانفعالي، فيما كانت الكفاءة الذاتية تفسر ١٧% من التباين، وقد استطاعت المتغيرات جميعا أن تفسر ٥٢% من التباين في درجة جودة الحياة الصحية. وقد اتضح أن الزيادة في درجة كل من ادارة الرعاية الذاتية والكفاءة الذاتية تؤدي إلى ارتفاع درجة جودة الحياة الصحية، بينما الزيادة في درجة الضيق الانفعالي تؤدي إلى انخفاض درجة جودة الحياة.

وبناء على النتائج السابقة يمكن صياغة المعادلة التنبؤية التالية :

جودة الحياة الصحية = ١٦,٨١ + (٠,٧٦) ادارة الرعاية الصحية + (-٠,٣٢) الضيق الانفعالي + (٠,٥٦) الكفاءة الذاتية .

## مناقشة النتائج :

ولتفسير الباحث الحالي لنتائج الدراسة الحالية سيبدأ بتوضيح قدر الاتساق بين ما توصلت اليه النتائج وما سبق صياغته من فروض في هذا الشأن، وكذا مدى الاتفاق أو الاختلاف بين النتائج الحالية وما سبق وأن صاغته الدراسات السابقة من نتائج، ثم نحاول وضع تفسيرات لهذه النتائج.

وفي هذا الإطار فقد قام الباحث الحالي بصياغة أربعة فروض أساسية قامت عليها هذه الدراسة، أول هذه الفروض كان يحاول أن يوضح العلاقة بين جودة الحياة الصحية وكل من إدارة الرعاية الذاتية، والضيق الانفعالي وفعالية الذات. وقد أشارت النتائج المستخلصة إلى ارتباط كل جودة الحياة الصحية وكل من إدارة الرعاية الذاتية وفعالية الذات بعلاقة ذات دلالة احصائية ايجابية، بينما كانت العلاقة بين جودة الحياة والضيق الانفعالي سلبية، الأمر الذي يعني أن الارتفاع في درجة الفرد على متغيري إدارة الرعاية الذاتية وفعالية الذات يؤدي إلى ارتفاع في درجته على جودة الحياة، بينما ارتفاع درجة الضيق الانفعالي يؤدي إلى انخفاض درجة الفرد على متغير جودة الحياة.

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت اليه دراسة (Sarkar, Fisher, & Schillinger, 2006؛ Nagpal, Kumar, Kakar, & Bhartia, 2010)، وفيما يتعلق بما توصلت اليه الدراسة الحالية من الارتباط السلبي بين الادارة الذاتية والضيق الانفعالي أكدت دراسة (Graue, et., al, 2012؛ Strandberg, et.,al, 2014)، هذه النتيجة المتمثلة في العلاقة السلبية. كذلك نتائج دراسة (Guo, Jaser, et. al, 2012؛ Thompson, et., al, 2015؛ Dehghan et al.,2017)، وقد ركزت دراسة (Thompson, 2010) على استيضاح العلاقة بين فعالية وادارة الذات وأكدت على وجود علاقة ايجابية بين المتغيرين.

وبعد استعراض الدراسات السابقة التي تتفق أو تختلف مع النتيجة الحالية يتضح أن هناك شبه اجماع بين نتائج البحوث السابقة على وجود علاقة وثيقة بين متغيرات البحث الحالي- هذا أولاً- كما أن اتجاه العلاقة أيضا تتطابق مع ما توصل اليه السابقون؛ حيث كانت العلاقة ايجابية بين جودة الحياة وكلا من الادارة الذاتية وكفاءة الذات، وسلبية



مع الضيق الانفعالي، وهذا ما أكدته الدراسة الحالية. ويرى الباحث الحالي أن هذه النتيجة تتفق تماما مع الأطر النظرية التي تتعلق بالمتغيرات المستخدمة في الدراسة؛ حيث ترتبط متغيرات البحث في سياق كونها متغيرات ذات صبغة اجتماعية والتفاعل فيما بينها يؤثر وبشكل قوي على كافة صور التفاعل الاجتماعي للفرد، لما يشكله مرض السكري من عائق لاسيما في خط سير العلاقات الاجتماعية للفرد سواء على المستوى الأسري أو المهني أو غير ذلك. ولعل متغيرات الدراسة الحالية كمتغير كفاءة الذات الذي خرج من نظرية التعلم الاجتماعي لـ (Bandura, 1977)، والادارة الذاتية والتي تعني جدية المريض في نيته اتباع خطة غذائية لمرض السكري ونظام الأدوية الموصوف ، تتوافق مع توصيات أطبائه أو أخصائيي الرعاية الصحية (Mosleh, Jarrar, Zyoud & Morisky, 2017). فيرى الباحث الحالي أن مكوناتها المتمثلة في اتباع خطة غذائية، تعامل مع الاطباء، انتظام في تناول الادوية ... الخ كل هذه الانشطة المكونة لمفهوم الرعاية يمثل نشاطا اجتماعيا للفرد مع محيطه سواء الاسري أو المهني. لذلك فان هذه المتغيرات بمكوناتها المذكورة وتأثيراتها على الفرد، نظريا لا بد أن ترتبط بجودة الحياة، ويعد البحث الحالي أحد المحاولات لتحقيق التطبيق لهذه العلاقة النظرية.

ومن ثم فان النتيجة الأولى التي أسفرت عنها الدراسة الراهنة والمتمثلة في وجود علاقة ذات دلالة احصائية بين جودة الحياة والادارة الذاتية والكفاءة الذاتية ايجابية من جهة ، وسلبية مع متغير الضيق الانفعالي؛ تعد نتيجة مطمئنة.

وفيما يتعلق بالنتيجة الثانية والمتمثلة في استيضاح مدى وجود تأثير دال لمتغيرات الادارة الذاتية، الكفاءة الذاتية، الضيق الانفعالي على جودة الحياة المرتبطة بالصحة فقد أكدت أن الافراد أصحاب الدرجات المرتفعة في ادارة الرعاية الذاتية ، فعالية الذات هم الأكثر شعورا بجودة الحياة المتعلقة بالصحة، في حين ظهر أن الافراد ذوي الدرجات المرتفعة في الضيق الانفعالي أقل شعورا بجودة الحياة الصحية، ولعل هذه النتيجة تعد مؤشرا يوحى بالتماثل بين المتغيرات المستقلة الايجابية (الرعاية الذاتية، فعالية الذات) حيث أن ارتفاع الدرجة عليهما كان له دورا هاما في ارتفاع درجة المشاركين في الشعور بجودة الحياة الصحية، في حين أن ارتفاع الضيق الانفعالي (باعتباره متغيرا سلبيا)، أدى إلى انخفاض درجة جودة الحياة الصحية. ويرى الباحث الحالي أن هذه النتيجة منطقية وتتفق مع العديد

من الدراسات السابقة (Thompson, 2010؛ Hughes, 2011؛ Jaser, et. al, 2012) التي أكدت جميعها على ذات النتيجة السابقة.

وبشأن النتيجة الثالثة والتي حاول فيها الباحث الحالي ايضاح ما اذا كان هناك فروقا بين الذكور والاناث على المتغيرات المستخدمة في الدراسة، فقد افترض الباحث هذا الفرض، ولكن أسفرت النتائج عن رفض جُل النتائج المستخرجة منه، حيث لم يظهر أي فروق ذات دلالة في متغير الادارة الذاتية سواء المقاييس الفرعية أو الدرجة الكلية باستثناء النشاط البدني حيث كان الذكور أعلى فيه مقارنة بالاناث، وهذه النتيجة تكاد تتوافق تماما مع نتيجة الفروق بين الجنسين في متغير الكفاءة الذاتية، حيث لم تتضح فروق في أي من الدرجة الكلية أو الدرجات الفرعية باستثناء درجة النشاط البدني ومراقبة الوزن مما يشير إلى قدر كبير من الاتساق بين النتائج. ونفس الحالي في الضيق الانفعالي فلم يكن هناك فروقا دالة بين الجنسين فيه. وهذه النتيجة تتفق مع ما أسفرت عنه دراسات Xu, Pan, & Muze, Hailu, Woldemichael, & Fekecha, (2010؛ Hughes, 2011؛ Liu 2010) التي اتفقت مع التبعة الحالية، ويرى الباحث الحالي أن هذه النتيجة أقرب للمنطقية حيث أن مرض السكري عند اصابته للفرد فلن يكون للجنس تأثير في مدى اهتمام أو عناية الفرد بذاته أو كفاءته في ذلك، كما أن درجة الفرد بجودة الحياة الصحية لن تتأثر بكونه ذكرا أم أنثى، اللهم باستثناء في جانب النشاط البدني الذي تفوق الذكور فيه على الاناث، وهذه النتيج تعد أيضا غاية في المنطقية لما يتكتم به الرجل في مجتمعنا المصري والعربي من فرص أكثر للحركة والنشاط البدني سواء من خلال ممارسة الرياضة بشكل منظم حتى الحركة في العمل وغير ذلك مما يزيد من نشاطه البدني، لذا فقد ظهر هذا الفرق .

وفيما يتعلق بالنتيجة الرابعة للدراسة الراهنة والتعلقة بالقدرة التنبؤية للمتغيرات المستقلة "الادارة الذاتية، الضيق الانفعالي، الكفاءة الذاتية" فقد أوضحت تفاوتها في القدرة التنبؤية لهذه المتغيرات بالمتغير التابع "جودة الحياة الصحية" حيث فسر متغير ادارة الرعاية الذاتية نسبة ٣٢% من التباين، واستطاع متغير الضيق الانفعالي أن يفسر نسبة ٢٩%، كان نصيب متغير الكفاءة الذاتية في تفسير التباين بنسبة ١٧% منه. وتتفق هذه مع ما جاء في دراسات (Law, Kelly, Huey, & Summerbell, 2002) التي أكدت

قدرة ادارة الذات على التنبؤ بالرفاهية النفسية،فيما أكدت دراسة (Nagpal, Kumar, Kakar, & Bhartia, 2010) الضيق الانفعالي كان أهم عامل تفسيري للتنبؤ بجودة الحياة حيث فسر نسبة ٢٨,٧ % من التباين الكلي تعد هذه النتيجة مطابقة لما توصلت اليه الدراسة الحالية، وكذلك دراسة "Aikens, 2012" أكدت نفس النتيجة المتمثلة في تنبؤ الضيق الانفعالي بجودة الحياة، كذلك دراسة (Al-Khawaldeh, Al-Hassan, & Froelicher, 2012) وهذه النتائج تؤكد لنا عدم خلو جودة الحياة من بعض العوامل النفسية سواء ايجابية نحو ادارة الذات والكفاءة الذاتية، أو سلبية مثل الضيق الانفعالي من التنبؤ بالمتغير المستقل. ويرى الباحث الحالي أن هذه النتيجة تعتبر منطقية، فبالنظر إلى التعريفات النظرية للمتغيرات الحالية سواء المستقلة أو التابع، والتي سبق سردها في مقدمة هذا البحث تؤكد امكانية قدرة هذه المتغيرات على التنبؤ بجودة الحياة الصحية، وتعد الدراسة الحالية محاولة جادة لترجمة هذه الارهاصات النظرية إلى نتائج مدعمة بأسس علمية على منهج ثابت محدد. كما أن دراسة إدارة الرعاية الذاتية ، والضيق الانفعالي وفعالية الذات من أجل معرفة مساهمتهم النسبية في جودة الحياة المتعلقة بالصحة باعنا على التفاؤل بأن مرض السكري لن يكون له تأثير سلبي على حياتهم.

### قائمة المراجع

- جابر، عبد الحميد جابر؛ كفاي، علاء الدين (١٩٨٨). معجم علم النفس والطب النفسي الجزء الأول. القاهرة: دار النهضة العربية.
- جبر، جبر محمد (٢٠١٧). علم النفس الايجابي. العبير للطباعة والنشر والتوزيع.
- الزبيدي، زهير أحمد (٢٠٠٧). إدارة الذات، نحو تطوير الشخصية. عمان: دار كنوز المعرفة العلمية .
- شاهين، هيام صابر (٢٠١٧). فاعلية برنامج قائم على إدارة الذات في تحسين السلوك الصحي لدى المراهقين مرضى السكر. مجلة دراسات عربية في علم النفس. مج ١٦، ع ٣ . ٤٥٥ - ٥٠٦ .
- الشرقاوي، نسرین؛ محمد، رشاد و قنصوة، فاتن (٢٠١٧). فعالية الذات وعلاقتها بالتفكير الانتحاري لدى عينة من مرضى النوع الاول من مرض السكري والأصحاء.

- المجلة المصرية لعلم النفس الإكلينيكي والإرشادي. مج ٥ ، ع ٣ ، ٤٨٧ - ٥١٦ .
- صفوت، عبد الحميد (٢٠١٧). *محاضرات في مناهج البحث المتقدم*. علاء للطباعة والتوزيع.
- عبد الخالق، أحمد محمد (١٩٩٦). *الابعاد الأساسية للشخصية*. دار المعرفة الجامعية.
- عبد العزيز، سمر عبد البديع (٢٠١٥). *تمتية إدارة الذات لتحسين الفاعلية الأكاديمية* وهرمون الدوبامين لدى عينة من طلاب الجامعة. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية البنات - جامعة عين شمس .
- عبد الغفار، أنور فتحي (٢٠٠٣). *الذكاء الوجداني وإدارة الذات وعلاقتها بالتعلم الموجه ذاتياً لدى طلاب الدراسات العليا كلية التربية*. مجلة كلية التربية بالمنصورة، ٥٣ (٢) ١٦٧-١٣٤ .
- العشري، حسن عبد السلام (٢٠١٩). *الذكاء الوجداني وعلاقته بجودة الحياة لدى المعلمين بمدينة مصراتة الليبية*. مجلة دراسات عربية في علم النفس، ١٨ (العدد الثالث)، ٥٥٥-٥١٤ .
- غانم، محمد حسن (٢٠٠٧). *الاضطرابات السيكوسوماتية وعلاقتها بالضغوط والصلابة النفسية وبعض متغيرات الشخصية لدى مرضى السكر من النوع الثاني*. مجلة دراسات عربية في علم النفس، ٦ ، ٢ . ٣٧ - ١١٣ .
- محمود، هويدة (٢٠١٣). *مقياس فعالية الذات كراس التعليمات*. مكتبة الانجلو المصرية.
- محمود، هويدة حنفي (٢٠١٣). *مقياس إدارة الذات (كراسة التعليمات)*. القاهرة: الأنجلو المصرية .
- مراد، صلاح وسليمان (٢٠١٢). *الاختبارات والمقاييس في العلوم النفسية والتربوية خطوات اعدادها وخصائصها*. ط١. دار الكتاب الحديث.
- المشيخي، غالب (٢٠٠٩). *قلق المستقبل وعلاقته بكل من فعالية الذات ومستوى الطموح لدى عينة من طلاب جامعة الطائف*. رسالة دكتوراه (غير منشورة). كلية التربية. جامعة أم القرى.

- منصور، طلعت ؛ عبد المنعم، محمد ؛ ريان، ايمان محمد (٢٠١٥). الخصائص السيكومترية لمقياس مهارة الذات لدى عينة من الشباب الجامعي. مجلة الارشاد النفسي. جامعة عين شمس. ٢، ٤٢ . ١٢٣٥ - ١٢٦١ .
- Ababio, G. K., Bosomprah, S., Olumide, A., Aperkor, N., Aimakhu, C., Oteng-Yeboah, A., ... & Ogedegbe, G. (2017). Predictors of quality of life in patients with diabetes mellitus in two tertiary health institutions in Ghana and Nigeria. *Nigerian Postgraduate Medical Journal*, 24(1), 48.
- Aikens, J. E. (2012). Prospective associations between emotional distress and poor outcomes in type 2 diabetes. *Diabetes care*, 35(12), 2472-2478.
- Al Johani, K. A., Kendall, G. E., & Snider, P. D. (2015). Self-management practices among type 2 diabetes patients attending primary health-care centers in Medina, Saudi Arabia. *EMHJ-Eastern Mediterranean Health Journal*, 21(9), 621-628.
- Al-Khawaldeh, O. A., Al-Hassan, M. A., & Froelicher, E. S. (2012). Self-efficacy, self-management, and glycemic control in adults with type 2 diabetes mellitus. *Journal of Diabetes and its Complications*, 26(1), 10-16.
- Auslander, W. F., Sterzing, P. R., Zayas, L. E., & White, N. H. (2010). Psychosocial resources and barriers to self-management in african american adolescents with type 2 diabetes. *The Diabetes Educator*, 36(4), 613-622.
- Bandura, A. (1977). Self-efficacy: toward a unifying theory of behavioral change. *Psychological review*, 84(2), 191.
- Bandura, A. (2007). Much ado over a faulty conception of perceived self-efficacy grounded in faulty experimentation. *Journal of Social and clinical Psychology*, 26(6), 641-658.
- Bandura, A., O'leary, A., Taylor, C. B., Gauthier, J., & Gossard, D. (1987). Perceived self-efficacy and pain control: opioid and nonopioid mechanisms. *Journal of personality and social psychology*, 53(3), 563.
- Bazzazian, S. (2017). Biopsychosocial Path Model of Self-Management and Quality of Life in Patients with type 2

- Diabetes. *Journal of Bioinformatics and Diabetes*, 1(3), 35-44.
- Beckerle, C. M., & Lavin, M. A. (2013). Association of self-efficacy and self-care with glycemic control in diabetes. *Diabetes Spectrum*, 26(3), 172-178.
- Camacho, F., Anderson, R. T., Bell, R. A., Goff, D. C., Duren-Winfield, V., Doss, D. D., & Balkrishnan, R. (2002). Investigating correlates of health related quality of life in a low-income sample of patients with diabetes. *Quality of Life Research*, 11(8), 783-796.
- Celano, C. M., Beale, E. E., Moore, S. V., Wexler, D. J., & Huffman, J. C. (2013). Positive psychological characteristics in diabetes: a review. *Current diabetes reports*, 13(6), 917-929.
- Chew, B. H., Mohd-Sidik, S., & Shariff-Ghazali, S. (2015). Negative effects of diabetes-related distress on health-related quality of life: an evaluation among the adult patients with type 2 diabetes mellitus in three primary healthcare clinics in Malaysia. *Health and quality of life outcomes*, 13(1), 1-16.
- Chew, B. H., Vos, R. C., Metzendorf, M. I., Scholten, R. J., & Rutten, G. E. (2017). Psychological interventions for diabetes-related distress in adults with type 2 diabetes mellitus. *Cochrane Database of Systematic Reviews*, (9).
- Cramm, J. M., & Nieboer, A. P. (2012). Self-management abilities, physical health and depressive symptoms among patients with cardiovascular diseases, chronic obstructive pulmonary disease, and diabetes. *Patient education and counseling*, 87(3), 411-415.
- Daniele, T. M. D. C., Bruin, V. M. S. D., Oliveira, D. S. N. D., Pompeu, C. M. R., & Forti, A. C. (2013). Associations among physical activity, comorbidities, depressive symptoms and health-related quality of life in type 2 diabetes. *Arquivos Brasileiros de Endocrinologia & Metabologia*, 57, 44-50.
- Dehghan, H., Charkazi, A., Kouchaki, G. M., Zadeh, B. P., Dehghan, B. A., Matlabi, M., ... & Mehr, B. R. (2017). General self-efficacy and diabetes management self-efficacy

- of diabetic patients referred to diabetes clinic of Aq Qala, North of Iran. *Journal of Diabetes & Metabolic Disorders*, 16(1), 1-5.
- Elkady, A. A. M. (2019). Self-Care management, emotional distress and self-efficacy: relationships with health-related quality of life among patients with type 2 diabetes. *Psycho-Educational Research Reviews*, 73-84.
- Gebremedhin, T., Workicho, A., & Angaw, D. A. (2019). Health-related quality of life and its associated factors among adult patients with type II diabetes attending Mizan Tepi University Teaching Hospital, Southwest Ethiopia. *BMJ Open Diabetes Research and Care*, 7(1), e000577.
- Genovese, S., & Tedeschi, D. (2013). Effects of vildagliptin/metformin therapy on patient-reported outcomes: work productivity, patient satisfaction, and resource utilization. *Advances in therapy*, 30(2), 152-164.
- Gonzalez, J. S., Fisher, L., & Polonsky, W. H. (2011). Depression in diabetes: have we been missing something important?. *Diabetes care*, 34(1), 236-239.
- Graue, M., Haugstvedt, A., Wentzel-Larsen, T., Iversen, M. M., Karlsen, B., & Rokne, B. (2012). Diabetes-related emotional distress in adults: reliability and validity of the Norwegian versions of the Problem Areas in Diabetes Scale (PAID) and the Diabetes Distress Scale (DDS). *International journal of nursing studies*, 49(2), 174-182.
- Guo, J., Whittemore, R., Jeon, S., Grey, M., Zhou, Z. G., He, G. P., & Luo, Z. Q. (2015). Diabetes self-management, depressive symptoms, metabolic control and satisfaction with quality of life over time in Chinese youth with type 1 diabetes. *Journal of Clinical Nursing*, 24(9-10), 1258-1268.
- Hughes, A. E. (2011). *Regulatory benefits of emotional processing and self-control in adolescents with type 1 diabetes*. The University of Utah.
- Jaser, S. S., Faulkner, M. S., Whittemore, R., Jeon, S., Murphy, K., Delamater, A., & Grey, M. (2012). Coping, self-management, and adaptation in adolescents with type 1 diabetes. *Annals of behavioral Medicine*, 43(3), 311-319.

- Jitender, N., Sonia, K., & Abhishek, B. (2010). Quality of Life Instrument for Indian Diabetes Patients (QOLID): A Validation and Reliability Study in Middle and Higher Income Groups. *JAPI*, 58, 295-304.
- Kalra, S., Jena, B. N., & Yeravdekar, R. (2018). Emotional and psychological needs of people with diabetes. *Indian journal of endocrinology and metabolism*, 22(5), 696.
- Kessler, R. C. (1997). The effects of stressful life events on depression. *Annual review of psychology*, 48(1), 191-214.
- Koetsenruijter, J., van Eikelenboom, N., van Lieshout, J., Vassilev, I., Lionis, C., Todorova, E., ... & Wensing, M. (2016). Social support and self-management capabilities in diabetes patients: An international observational study. *Patient education and counseling*, 99(4), 638-643.
- Law, G. U., Kelly, T. P., Huey, D., & Summerbell, C. (2002). Self-management and well-being in adolescents with diabetes mellitus:: Do illness representations play a regulatory role?. *Journal of adolescent health*, 31(4), 381-385.
- Manjula, G. B., & Premkumar, J. (2015). Self Efficacy and Self Care Behaviour among Patients with Type 2 Diabetes Mellitus—A Cross Sectional Survey. *International Journal of Science and Research*, 4(12), 2047-2051.
- Messina, R., Rucci, P., Sturt, J., Mancini, T., & Fantini, M. P. (2018). Assessing self-efficacy in type 2 diabetes management: validation of the Italian version of the Diabetes Management Self-Efficacy Scale (IT-DMSES). *Health and quality of life outcomes*, 16(1), 1-9.
- Mosleh, R. S. A., Jarrar, Y. B., Zyoud, S. E., & Morisky, D. E. (2017). Factors related to diabetes self-care management behaviors among patients with type II diabetes in Palestine. *J Appl Pharm Sci*, 7(12), 102-109.
- Muze, M., Hailu, E., Woldemichael, K., & Fekecha, B. (2017). Health related quality of life and its associated factors among diabetic patients attending diabetes clinic in Jimma university teaching hospital, Ethiopia, 2014. *J Diabetes Metab*, 8(751), 2.



- Nagpal, J., Kumar, A., Kakar, S., & Bhartia, A. (2010). The development of Quality of Life Instrument for Indian Diabetes patients (QOLID): a validation and reliability study in middle and higher income groups. *The Journal of the Association of Physicians of India*, 58, 295-304.
- Nguyen, T. Q., Vo, T. Q., Nguyen, G. H., & Nguyen, T. D. (2018). Assessment of Health-Related Quality of Life in Patients with Type II Diabetes Mellitus: A Population-Based Study at a Tertiary Hospital. *Journal of Clinical And Diagnostic Research*, 12(6), 44-51.
- Noroozi, A., & Tahmasebi, R. (2014). The diabetes management self-efficacy scale: translation and psychometric evaluation of the Iranian version. *Nursing Practice Today*, 1(1), 9-16.
- Nouwen, A., Winkley, K., Twisk, J., Lloyd, C. E., Peyrot, M., Ismail, K., & Pouwer, F. (2010). Type 2 diabetes mellitus as a risk factor for the onset of depression: a systematic review and meta-analysis. *Diabetologia*, 53(12), 2480-2486.
- Oguntibeju, O. O., Odunaiya, N. A., Oladipo, B., & Truter, E. J. (2012). Health behaviour and quality of life of patients with type 2 diabetes attending selected hospitals in south western Nigeria. *West Indian medical journal*.
- Polonsky, W. H., Fisher, L., Earles, J., Dudl, R. J., Lees, J., Mullan, J., & Jackson, R. A. (2005). Assessing psychosocial distress in diabetes: development of the diabetes distress scale. *Diabetes care*, 28(3), 626-631.
- Pouwer, F. (2009). Should we screen for emotional distress in type 2 diabetes mellitus?. *Nature Reviews Endocrinology*, 5(12), 665-671.
- Pouwer, F., Skinner, T. C., Pibernik-Okanovic, M., Beekman, A. T., Cradock, S., Szabo, S., ... & Snoek, F. J. (2005). Serious diabetes-specific emotional problems and depression in a Croatian–Dutch–English Survey from the European Depression in Diabetes [EDID] Research Consortium. *Diabetes research and clinical practice*, 70(2), 166-173.
- Raghuvansh K, Pawan K and Roopkamal J(2018). Health-related quality of life and factors affecting it in type-2 diabetic

- nephropathy patients: a cross sectional observational study. *International Journal of Research in Medical Sciences* ;4(5):1511-1517
- Reba, K., Argaw, Z., Walle, B., & Gutema, H. (2018). Health-related quality of life of patients with diagnosed type 2 diabetes in Felege Hiwot Referral Hospital, North West Ethiopia: a cross-sectional study. *BMC research notes*, 11(1), 1-6.
- Sarkar, U., Fisher, L., & Schillinger, D. (2006). Is self-efficacy associated with diabetes self-management across race/ethnicity and health literacy?. *Diabetes care*, 29(4), 823-829.
- Schalock. R. (2000). Three decades of quality of life . *Focus on autism & other developmental disabilities* , 15 (2) , 116 - 127 .
- Schmitt, A., Gahr, A., Hermanns, N., Kulzer, B., Huber, J., & Haak, T. (2013). The Diabetes Self-Management Questionnaire (DSMQ): development and evaluation of an instrument to assess diabetes self-care activities associated with glycaemic control. *Health and quality of life outcomes*, 11(1), 1-14.
- Shrivastava, S. R., Shrivastava, P. S., & Ramasamy, J. (2013). Role of self-care in management of diabetes mellitus. *Journal of diabetes & Metabolic disorders*, 12(1), 1-5.
- Storch, E. A., Heidgerken, A. D., Geffken, G. R., Lewin, A. B., Ohleyer, V., Freddo, M., & Silverstein, J. H. (2006). Bullying, regimen self-management, and metabolic control in youth with type I diabetes. *The Journal of pediatrics*, 148(6), 784-787.
- Strandberg, R. B., Graue, M., Wentzel-Larsen, T., Peyrot, M., & Rokne, B. (2014). Relationships of diabetes-specific emotional distress, depression, anxiety, and overall well-being with HbA1c in adult persons with type 1 diabetes. *Journal of psychosomatic research*, 77(3), 174-179.
- Thompson, A. (2010). The relationship among health literacy, self-efficacy, and self-management of individuals with diabetes (*Doctoral dissertation*). Texas Women's University.

- Tol, A., Sharifirad, G., Eslami, A., Shojaeizadeh, D., Alhani, F., & Tehrani, M. M. (2015). Analysis of some predictive factors of quality of life among type 2 diabetic patients. *Journal of education and health promotion, 4*.
- Wallston, K. A., Rothman, R. L., & Cherrington, A. (2007). Psychometric properties of the perceived diabetes self-management scale (PDSMS). *Journal of behavioral medicine, 30*(5), 395-401.
- Waly, E. H., & Hamed, M. S. (2018). Hypertension and dyslipidemia among type ii diabetic patients and related risk factors and complications. *Egypt. J. Community Med, 36*, 31-43.
- Xu, Y., Pan, W., & Liu, H. (2010). Self-management practices of Chinese Americans with type 2 diabetes. *Nursing & health sciences, 12*(2), 228-234.
- Zhang, Y. Y., Li, W., & Sheng, Y. (2022). The Chinese version of the revised Diabetes Distress Scale for adults with type 2 diabetes: Translation and validation study. *International Journal of Nursing Sciences, 9*(2), 243-251.
- Zuraida, E., Irwan, A. M., & Sjattar, E. L. (2022). Self-Care Management Education Through Health Coaching for Heart Failure Patients. *The Journal for Nurse Practitioners, 18*(2), 172-178.

فاعلية برنامج تدريبي مقترح لخفض الانسحاب الاجتماعي  
لدى عينة من الأطفال التوحديين

شيماء طارق علي عامر

باحثة دكتوراة بقسم علم النفس

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

د/أمينة عبدالله بدوي

قسم علم النفس

كلية الآداب، جامعة بنها

أ.د/ أحمد عبد الهادي أبو زيد

أستاذ علم النفس

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

doi: 10.21608/jfpsu.2022.142623.1195

## فاعلية برنامج تدريبي مقترح لخفض الانسحاب الاجتماعي لدى عينة من الأطفال التوحديين

### مستخلص

هدف البحث إلى بناء برنامج تدريبي لخفض الانسحاب الاجتماعي لدى أطفال التوحد ، والتعرف على فاعلية البرنامج واستمرار أثره خلال فترة المتابعة بعد مرور شهر من تطبيقه ، وقد تكونت عينة الدراسة من (٨) أطفال مقسمين إلى (٤) ذكور و (٤) إناث، وفي سبيل تحقيق ذلك استعملت الباحثة مقياس الانسحاب الاجتماعي (إعداد الباحثة )، برنامج لخفض الانسحاب الاجتماعي (إعداد الباحثة ) ، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوي (0.01) بين متوسطي رتب درجات أطفال المجموعة التجريبية في القياس القبلي والبعدي علي مقياس الانسحاب الاجتماعي لصالح القياس البعدي ، كما أثبتت الدراسة أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي رتب درجات أطفال المجموعة التجريبية في القياس البعدي والتتبعي على مقياس الانسحاب الاجتماعي ، مما يدل علي استمرار فاعلية البرنامج بعد مرور شهر من تطبيقه.

**الكلمات المفتاحية :** برنامج، الانسحاب الاجتماعي، أطفال ذوي التوحد .

## The Effectiveness of a Proposed Training Program to Reduce Social Withdrawal in a Sample of Autistic Children

### Abstract

The research aims to build a training program to reduce social withdrawal among autistic children, and to identify the effectiveness of the program and the continuation of its impact during the one-month follow-up period after its application. The study sample consisted of (8) children, (4) males and (4) females, and to achieve this, the researcher used the social withdrawal scale (set up by the researcher), and a program to reduce social withdrawal (set up by the researcher). The study results show the presence of statistically significant differences at level (0.01) among the average ranks of the children in the experimental group in the measurements of approach and withdrawal, in favor of the measurement of withdrawal. The study also proved that there are no statistically significant differences between the mean scores of the children in the experimental group in the measurements of withdrawal and tracking on the social withdrawal scale, which indicates the effectiveness of the program being continuous after a month of its application.

**Keywords :** Program, social withdrawal, autistic children.

## مقدمة البحث :

يعتبر الاهتمام بالأطفال في أي مجتمع اهتمامًا بمستقبل هذا المجتمع بأسره؛ لهذا اهتم العالم اهتمامًا كبيرًا بالأطفال ذوي احتياجات الخاصة.

يعتبر التوحد من أصعب الاضطرابات التي تؤثر علي الفرد نفسه ، والأسرة التي يعيش فيها ، فهو يتميز بالغرابة والغموض ويحتاج إلي متابعة بصفه مستمرة من الوالدين (السيد ، إبراهيم ، ٢٠١٩ : ٧) ويرى (Brooke ; Katherine, 2011,5) أن اضطراب التوحد يصيب بعجز في التواصل وضعف المرونة في التفكير وسلوكيات نمطية متكررة تؤثر على تعلم ونمو الطفل في المدرسة، ويضيف (Colombo, Reeve, 2017, 413) أن الاضطراب خلال مرحلة النمو المبكر، ويستمر تأثيره خلال مراحل العمر المختلفة.

ويؤكد (الزريقات ، ٢٠٢٠ ، ٥٨) علي أهمية التدخل المبكر في توفير فرصة لدعم النمو الصحي ، وتحقيق فوائد أكثر خلال دائرة الحياة ، ويضيف (عبد القادر ٢٠٠٩ ، ٢٠) أنها من الوسائل المهمة في تحقيق توافق الفرد مع نفسه ومع البيئة المحيطة به. لذا فهناك حاجة ماسة لظهور برامج تؤكد علي أهمية استخدام فنيات تساعد الفرد لكي يعرف نفسه ويفهم ذاته، ولكي يحقق أهداف تكفل له تحقيق ذاته وتحقيق التوافق الشخصي والتربوي في المجتمع الذي يعيش فيه ويندمج داخله (Jack, 2009,241)، (أحمد ٢٠٠٣ ، ٨).

الانسحاب يسبب عجزًا حقيقيًا للأطفال التوحديين يحد من إمكانية تطورهم الفكري ونموهم العقلي ، وذلك بسبب انزوائهم ، وضعف القدرة علي اكتساب المهارات المطلوبة والعجز في المهارات الاجتماعية الضرورية في الاحتفاظ بعلاقات الصداقة (الرواجفة ، ٢٠٠٤ ، ٧) ، كما ينطوي علي سلوكيات كالقلق والشعور بالنقص والكسل والخمول والخوف من التعامل مع الأشخاص الآخرين ( علي ، ٢٠١٢ ، ١٧٦) ، حيث نجد أن الأطفال المنسحبون يعجزون عن المشاركة في الأنشطة الجماعية ، حيث أنسبب فشلهم يرجع إلي افتقار المهارات في التعامل والاتصال مع الآخرين سواء أكان في اللعب أو الحديث (القاسم ، ٢٠٠٠ ، ١٦٢)

وبناءً على ذلك فإن هذا البحث سوف يحاول خفض الانسحاب الاجتماعي لدى الأطفال التوحديين ، مستفيداً من الإطار النظري والبرامج التدريبية والإرشادية والعلاجية المتعلقة بمتغيرات البحث.

و بناءً على ما سبق يمكن أن تصاغ المشكلة الحالية في السؤال الرئيس التالي:

ما فاعلية البرنامج التدريبي في خفض الانسحاب الاجتماعي لدى الأطفال ذوي التوحد ؟  
ويندرج من هذا السؤال الرئيسي عدة أسئلة فرعية و هي :

- ١- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات عينة البحث بين القياسين القبلي والبعدي في خفض الانسحاب الاجتماعي عند الأطفال التوحديين ؟
- ٢- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات عينة البحث بين القياسين القبلي والتتبعي في خفض الانسحاب الاجتماعي عند الأطفال التوحديين ؟

#### أهداف البحث:

- ١- تحديد أهم سلوكيات الانسحاب الاجتماعي التي ينبغي العمل على خفضها لدى الأطفال التوحديين ضمن الفئة العمرية (٤ - ٨) سنوات .
- ٢- خفض سلوكيات الانسحاب الاجتماعي لدى الأطفال عينة البحث وذلك من خلال تدريبهم على البرنامج ، والتحقق من مدى فاعليته بعد تطبيقه مباشرة (القياس البعدي) .

#### أهمية البحث :

##### أولاً : الأهمية النظرية -

- ١- خصوصية الفئة المستهدفة وهي فئة الأطفال التوحديين ، وحيوية مشكلة البحث وطبيعة العينة حيث يمثل الانسحاب الاجتماعي من أهم صعوبات الطفل التوحد مع المحيطين به والتي تنعكس بدورها السلبي على معظم جوانب الأداء للطفل التوحد.
- ٢- تسهم نتائج هذا البحث في إتاحة أساس لدراسات تجريبية لاحقة تضيف أساليب متنوعة للتخفيف من معاناة هذه الفئة من الأطفال ذوي التوحد.



**ثانيًا: الأهمية التطبيقية:-**

- ١- إعداد مقياس للسلوك الانسحابي لأطفال التوحد يتناسب مع خصائص شخصيتهم لتشخيصهم للوقوف علي مشكلاتهم التي يعانون منها وتقديم العلاج المناسب.
- ٢- التقدم من خلال نتائج البحث بالتوصيات والمقترحات اللازمة لتوجيه الوالدين والمعلمين والمختصين في وضع البرامج والخدمات النفسية التي تساعد في توجيه وإرشاد الأطفال المتعلمين من خلال خفض السلوك الانسحابي لديهم.

**مصطلحات البحث النظرية و الإجرائية:**

**البرنامج التدريبي :** تعرفه الدراسة بأنه هو مجموعة من الأنشطة الموجهة لأطفال التوحد ، والتي تتم بشكل مرتب ومخطط ، يتناسب مع هدف الدراسة وهو خفض السلوك الانسحابي لدي الأطفال ذوي التوحد ومساعدتهم علي الاندماج في المجتمع بشكل أفضل وزيادة تواصلهم وانتباههم وتفاعلهم مع أقرانهم بشكل سليم .

**التوحد :** تعرف الباحثة التوحد بأنه قصور واضح في القدرة علي التفاعل الاجتماعي ، مصحوب بقصور في مهارات التواصل اللفظي وغير اللفظي ووجود سلوكيات نمطية ، ونمط متكرر للاهتمامات والأنشطة ، ولديهم قصور واضح في مهارات اللعب والتخيل ، والتوحد وفقًا لمقياس الدراسة هي الدرجة التي تتراوح ما بين (٩٠-١١٠) درجة .

**الانسحاب الاجتماعي :** مجموعة من الاستجابات السلوكية التي تتضمن البعد عن الآخرين ، عدم القدرة علي التفاعل الاجتماعي مع من يحيطون به، وعدم القدرة علي إقامة حوار مع الآخرين والافتقار إلي أساليب التواصل الاجتماعي واللفظي وغير اللفظي مما يؤدي إلي الهروب من الوجود معهم والانسحاب وعدم التفاعل أو الاندماج مع الآخرين.

## الإطار النظري للدراسة :

### المحور الأول :

#### أولاً: تعريفات التوحد:

\*يشير دليل التشخيص الإحصائي الخامس للاضطرابات العقلية DSM-5 والصادرة عن رابطة الطب النفسي الأمريكي (American Psychiatric Association, 2013) الذاتية " أنه اضطراب نمائي عصبي ، يتضمن خصائص أساسية وهي الضعف المستمر في التفاعل الاجتماعي في سياقات متعددة وكذلك العجز في التواصل ، هذه الأعراض تظهر في فترات النمو المبكرة ، وتسبب باعتلال هام في المجالات الاجتماعية والمهنية والنمائية الأخرى"

\* ويعرف ( سالم ، ٢٠١٨، ٢٨٣) الذاتية بأنها أحد اضطرابات النمو الارتقائية الشاملة والتي تنتج من اضطرابات في الجهاز العصبي المركزي ، وما ينتج عنه من تلف في الدماغ (خلل وظيفي في المخ ) الذي يؤدي إلي قصور في التواصل عامة وقصور في التفاعل الاجتماعي وعدم القدرة علي التخيل وكذلك قصور في نمو الإدراك الحسي واللغة والتي عادة ما توجد خلال السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل .

\* وتعرف (أبو طالب ، ٢٠٢١ ، ٩) التوحد بأنه اضطراب نمائي ينتج عنه قصور في التواصل والتفاعل الاجتماعي وسلوكيات نمطية متكررة ، وتم تقسيم التوحد إلي ثلاث مستويات (بسيط - متوسط - شديد ) ويتم تدريبهم علي طرق التواصل البديلة من أجل التواصل بالبيئة المحيطة بهم

#### ثانياً : الخصائص الاجتماعية للأطفال التوحد

وتري (الجلبي ، ٢٠٠٥ ، ٥٥ ) أن القصور في السلوك الاجتماعي للأطفال التوحد يمكن حصره في ثلاث مجالات وهي :

#### أ - التجنب الاجتماعي : Socially Avoidant

حيث يبعد أطفال التوحد عن كل أشكال التفاعل الاجتماعي فيقوم هؤلاء الأطفال بالتجنب والهروب من الأشخاص الذين يودون التفاعل معهم

**ب - اللامبالاة الاجتماعية: Socially indifferent**

أطفال التوحد يتم وصفهم بأنهم غير مبالين، لا يبحثون عن التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، لا يشعرون بالسعادة مع وجودهم مع الأشخاص الآخرين.

**ج - الإرباك الاجتماعي : Socially awkward**

يعجز أطفال التوحد من صعوبة في الحصول علي الأصدقاء، ولعل من أهم أسباب الفشل في استمرار علاقاتهم مع الآخرين هي الافتقار إلي التفاعل الاجتماعي. وتؤكد دراسة (Ganzalea, 1997) أن الأطفال التوحديين في حاجة ماسة للبرامج العلاجية، فهم يعانون من حدة بعض الاضطرابات السلوكية ، فهم لم يفضلوا صوت الأم بل أنهم كانوا يفضلون إما الضوضاء الناتجة عن أصوات مركبة ، أو الانسحاب من المواقف الاجتماعية .

**البرامج التربوية للتوحد :**

يوجد الكثير من البرامج التربوية المستخدمة والتي يمكن الاعتماد عليها في التدخل والتأهيل وعلاج الطفل التوحدي وقد ظهرت العديد من البرامج التربوية الموجهة إلي الأطفال التوحديين ومن ضمن البرامج العالمية والتي أثبتت فعاليتها ومنها :

\* برنامج تيتش (TEACCH)

\* برنامج اللوفاس (LOVAAS)

\* برنامج بيكس (PECS)

\* برنامج صن رايز (SON-RISE-PROGRAM)

**ثانيًا : الانسحاب الاجتماعي :****أولًا : تعريفات الانسحاب الاجتماعي :**

ويعرف (العدل ، ٢٠١٣ ، ١١٥ ) الانسحاب الاجتماعي بأنه شعور الفرد بالرغبة في البعد عن الاتصال بالآخرين ، والبعد عن المشاركة في أي نشاط اجتماعي ، وعدم التفاعل مع الآخرين وذلك خشية نبذ أو رفض المجتمع له مع تجاهله متعمدًا لما يحدث من أحداث ومواقف تستحوذ علي اهتمام الآخرين.

ويعرفه (شعيب ومحمد ، ٢٠١٤ ، ٣٩١) بأنه شكل متطرف من الاضطراب في العلاقات مع الآخرين و بعد ذلك تبدأ بالانفصال عنهم في أغلب الأوقات لأسباب ليست ضمن سيطرة الفرد، ثم يأخذ الشخص بالانسحاب بشكل متعمد أكثر فأكثر. يُعرف (علي، ٢٠١٧ ، ٢٥٣)، (عمارة، ٢٠١٧ ، ٨٧٤) : بكونه سلوك انعزالي يظهر بصورة لا توافقية، وتشير إلي الانغلاق علي الذات والانعزالية والقصور في إقامة العلاقات الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين، وتجنب المشاركة في المواقف الاجتماعية .

### مظاهر السلوك الانسحابي لدي الأطفال :

١- الانطواء: الشخص الخجول يكون مصدر طاقته هو عالمه الداخلي ، فهو عادة ما يشعر بالراحة عندما يعمل بهدوء بعيد عن الآخرين اللذين يسببون له أي نوع من التهديد الموجه لعالمه الداخلي (شحاته ، النجار ، ٢٠٠٣ ، ٦٤) ويتصف بأنه خجول وحساس ويفضل العزلة ويلجأ إلي الهرب من الآخرين ومن التجمعات (أبو النصر، ٢٠٠٥ ، ٦٦)، بالإضافة إلي صعوبات في الكلام عند التحدث مع الآخرين ، وصعوبة في الانسجام مع الآخرين ، ويشترك كل من الانطواء والانسحاب في كثير من المظاهر، مثل التمرکز حول الذات وانشغاله بمشاعره الخاصة بدلاً من تفاعله مع الآخرين ( الأمازي، ٢٠١٢ ، ٤٢)

٢- الخجل: وهو درجة كبيرة من الارتباك والخوف ويشعر بها الطفل حين يلتقي بأشخاص من خارج محيطه (بكار، ٢٠١٠ ، ١١٥). ويتسم الشخص الخجول بأنه أكثر قلقاً وتوتراً وأقل لباقة وثقة في التداخل والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين، كما أنه يميل أيضاً إلي العزلة والانشغال بالذات وتأمل ما بها من نقص ، والرغبة في الصمت عند وجوده في جماعة ( محمد، ٢٠٠٢ ، ١٨) فالسلوك الانسحابي يسعى الفرد إلي تجنب الآخرين بشكل متعمد ، أما الشكل الخجول يميل إلي التقييم السلبي للمواقف الاجتماعية ذاتها ، حيث نجد أن الخجل يؤدي إلي السلوك الانسحابي . (العدل ، ٢٠١٣ ، ١٢)

٣- العزلة الاجتماعية: وهي إحدى الأشكال المتطرفة في العلاقات بين الأطفال حيث يفتقر هؤلاء الأطفال القدرة علي التعلم الاجتماعي ( العربي، ٢٠١٥ ، ٢١٧). كما

يميل مستوى النشاط لدي بعض الأطفال المنسحبين إلي الانخفاض وخاصةً في الحالات الانسحابية الإكتئابية (السوليم، ٢٠١٠، ٣٥)

#### ٤- الوحدة النفسية :

والتي تنشأ من إحساس الفرد ببعده عن الآخرين نتيجة موقف مما يترتب عليه عزلة وانسحاب ، وقلة الأصدقاء، مما يترتب عليه حرمان الفرد من أهلية الانخراط في علاقات مثمرة ومشبعة مع أي من الأشخاص الوسط الذي يعيش فيه ويمارس دوره في الحياه (سالم ، ٢٠١٢ ، ٦٥) ، وإحساس الفرد بعدم التقبل من المحيطين به ، وانفقاد الحب والمساندة من جانبهم ، الأمر الذي يؤدي الي الرغبة في العزلة ، والانطواء وقطع العلاقات مع الآخرين (تفاحة ، ٢٠٠٥ ، ٦)

ويري (زهران ، ٢٠٠٠) أن من أهم الطرق الوقائية من السلوك الأنسحابي ما يأتي :

- توجيه الوالدين بخصوص عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال .
- فهم طاقات الفرد ومساعدته علي تنمية قدراته الاجتماعية والسلوكية .
- إمداد الطفل بعدد متنوع من الخبرات وأوجه النشاط البناء حيث يستطيع الفرد أن يحقق بعض النجاح مع تجنب الفشل .

#### الدراسات السابقة :-

##### دراسة الشرقي (٢٠١٤)

**هدف الدراسة :** بناء أداة تشخيص السلوك الإنسحابي للأطفال التوحديين ، تشخيص الأطفال ذوي السلوك الإنسحابي عند الأطفال التوحديين ، تطبيق البرنامج الإرشادي لخفض السلوك الإنسحابي عند الأطفال التوحديين ، التعرف علي فاعلية البرنامج الإرشادي في خفض السلوك الإنسحابي عند الأطفال التوحديين .

**عينة الدراسة :** تكون مجتمع البحث من الأطفال المتواجدين في معهد رامي والبالغ عددهم (٦) أطفال ، وفي معهد الرحمن (١٠) أطفال ، وبلغت عينة البحث (٦) من الأطفال ذوي السلوك الإنسحابي والذي تم تشخيصهم بأعمار من (٤-٦) سنوات .

**أدوات الدراسة :** أداة تشخيص السلوك الإنسحابي للأطفال التوحديين ، البرنامج الإرشادي لخفض السلوك الإنسحابي للأطفال التوحديين ، الكاميرا الرقمية (Digital) استخدمتها

الباحثة كوسيلة متطورة لملاحظة بعض السلوكيات ومدى تطورها قبل وبعد تطبيق البرنامج .

**نتائج الدراسة:** والتي توصلت الي أنه توجد فروق ذات دلالة لإحصائية في خفض السلوك الإنسحابي بعد تطبيق البرنامج الإرشادي بين الاختبارين القبلي والبعدي الأول لصالح البعد الأول ، توجد فروق ذات دلالة إحصائية في خفض السلوك الإنسحابي للأطفال التوحديين بين الاختبارين البعدي الأول والبعدي الثاني لصالح البعد الثاني ، توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاختبارين البعدي الثاني والبعدي النهائي لصالح البعد النهائي .

صابر(٢٠١٥)

**هدف الدراسة :** التحقق من فاعلية برنامج إرشادي تدريبي في خفض السلوك الانسحابي وتنمية بعض المهارات الاجتماعية لدى عينة من الأطفال الذاتويين.

**المنهج المستخدم :** المنهج شبه التجريبي.

**عينة الدراسة :** تكونت عينة الدراسة من ٢٠ طفل وطفلة من الأطفال الذاتويين الملتحقين بجمعية بيتي لذوى الاحتياجات الخاصة بمحافظة القاهرة ممن تتراوح أعمارهم الزمنية ما بين (٣- ٧) سنوات ونسبة ذكائهم لا تقل عن ٧٠ درجة، والذين يعانون من سلوك انسحابي وقصور في المهارات الاجتماعية.

**أدوات الدراسة :** تكونت من مقياس المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة (إعداد عبدالعزيز الشخص، ٢٠٠٦)، مقياس السلوك الانسحابي ومقياس تقدير المهارات الاجتماعية والبرنامج الإرشادي التدريبي (إعداد الباحثة).

**نتائج الدراسة :** توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أطفال المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس المهارات الاجتماعية والسلوك الانسحابي قبل وبعد تطبيق البرنامج لصالح أطفال المجموعة التجريبية، كما أشارت النتائج إلى استمرارية اثر البرنامج في تحسين المهارات التي اكتسبها أطفال المجموعة التجريبية بعد فترة المتابعة.

دراسة أحمد (٢٠١٦)

**هدف الدراسة :** التحقق من فاعلية البرنامج التدريبي لخفض بعض اضطرابات النطق وأثره في خفض السلوك الإنسحابي لدى أطفال ذوى الإعاقة الفكرية الخفيفة .

عينة الدراسة: (١٢) طفل من ذوي الإعاقة الفكرية تراوحت أعمارهم ما بين (٦-٩) سنوات .

أدوات الدراسة : مقياس ستانفورد بينيه للذكاء ( الصورة الرابعة ) ، مقياس اضطرابات النطق المصور بالكمبيوتر لأطفال ذوي الإعاقة الفكرية ( من إعداد الباحثة ) ، مقياس السلوك الإنسحابي (إعداد الباحثة ) ، برنامج تدريبي لخفض اضطرابات النطق لدى الأطفال ذوي الإعاقة الخفيفة ( إعداد الباحثة )

نتائج الدراسة : توجد فروق دلالة إحصائية بين متوسطي رتب درجات القياس القبلي والبعدي في اضطرابات النطق وأبعاده لدى أفراد المجموعة التجريبية ، وجود فروق ذات دلالة إحصائية في القياس البعدي في اضطرابات النطق وأبعاده في كل من القياس البعدي بعد انتهاء البرنامج مباشرة والقياس التتبعي ، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي رتب درجات القياس البعدي في السلوك الإنسحابي وأبعاده لدى كلا من المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة ، لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي رتب درجات المجموعة التجريبية في السلوك الإنسحابي وأبعاده في كل من القياس البعدي بعد انتهاء البرنامج مباشرة والقياس التتبعي .

ومن العرض السابق يتضح تعدد التدخلات العلاجية المقدمة للأطفال ذوي السلوك الانسحابي لخفض حدة أعراض هذه المشكلة السلوكية من خجل وخوف وانسحاب وانطواء إلي غير ذلك من أعراض، مما دعا الحاجة إلي تقديم التدخل الإرشادي لفئة الأطفال عينة البحث الحالي من ذوي الانسحاب الاجتماعي .

### فروض البحث:

في ضوء الإطار النظري وما أسفرت عنه الدراسات السابقة من نتائج تمت صياغة فروض البحث كالتالي:

- ١- توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات الرتب لدرجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي علي مقياس الانسحاب الاجتماعي لصالح القياس البعدي.

٢- لا توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات الرتب لدرجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي ( بعد شهر من انتهاء التطبيق ) علي مقياس الانسحاب الاجتماعي .

### إجراءات الدراسة الميدانية :

١- **المنهج** : استخدمت الباحثة المنهج شبه التجريبي ذو المجموعة التجريبية الواحدة ذات القياس القبلي والبعدي ، والذي يناسب طبيعة العينة نظرا ، لصعوبة الحصول علي مجموعتين متجانستين (عينة ضابطة وعينة تجريبية ) من أطفال التوحد ، وفي هذا التصميم يتم استخدام المجموعة الواحدة ، ويجري عليهم قياس قبلي ، ثم يتم إدخال المتغير المستقل (البرنامج ) ، ثم بعد ذلك يتم إجراء قياس بعدي لنفس المجموعة

٢- **العينة** : تكونت عينة الدراسة من ٨ أطفال من ذوي اضطراب التوحد اختيروا بطريقة قصدية من مستشفى دميرة للصحة النفسية والأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة حيث توفرت فيهم شروط التصميم التجريبي للمجموعة الواحدة ، وتم التحقق أيضاً من تجانس العمر الزمني والذكاء وذلك من خلال الاستعانة بمستندات المستشفى .

٣- **أدوات الدراسة** : من أجل تحقيق أهداف البحث ، استخدمت الباحثة الأدوات التالية لقياس متغير الدراسة :

#### أ- مقياس الانسحاب الاجتماعي من إعداد الباحثة :

وذلك بهدف اختبار مدي فاعلية البرنامج المقترح ، وذلك لقياس التغير الذي طرأ علي عينة البحث التجريبية في خفض السلوك الأنسحابي قبل وبعد تطبيق البرنامج ، حيث قامت الباحثة بالاطلاع علي البحوث والدراسات العربية والأجنبية المرتبطة بالانسحاب الاجتماعي، دراسة سمعان وأبو فخر (٢٠١٠)، ودراسة دهيس (٢٠١٦) دراسة أحمد (٢٠١٦) ، ودراسة صابر (٢٠١٦) ، والاطلاع علي المقاييس الخاصة بالانسحاب الاجتماعي كمقياس السلوك الانسحابي للأطفال، إعداد/ عادل عبد الله محمد (٢٠٠٣)



، مقياس السلوك الانسحابي لأطفال الروضة، إعداد/ سيد صبحي و آخرون (٢٠١٨) ، حيث شمل المقياس في صورته النهائية علي (٤٠) عبارة .

### صدق وثبات الأداة :

#### صدق الاتساق الداخلي لعبارات المقياس :

للتأكد من صدق المقياس المستخدم تم اجراءه علي عينة استطلاعية قوامها ٢٥ طفل وطفلة من أطفال التوحد من خارج المجتمع البحث الأساسية بمتوسط حسابي (٧,٩) ، وانحراف معياري (١٠,٨) ، وأسفرت نتائج التحليل الإحصائي علي استبعاد فقرات التي لا ترتبط بالمقياس .

#### الصدق البنائي :

لحساب الصدق البنائي قامت الباحثة بحساب التجانس الداخلي للمقياس ، وذلك من خلال حساب معاملات الارتباط لدرجة العبارات بالأبعاد وبالدرجة الكلية للمقياس، ويمكن تلخيص ما تم التوصل إليه من نتائج كما هو موضح بالجدول (١) :

جدول (١): يوضح قيم معاملات الارتباط بن درجة كل مفردة والدرجة الكلية للبعد في

#### مقياس الانسحاب الاجتماعي

م	معامل الارتباط	م	معامل الارتباط	م	معامل الارتباط	م	معامل الارتباط	م	معامل الارتباط
1	0.49	9	0.59	17	0.48	25	0.70	33	0.62
2	0.69	10	0.62	18	0.60	26	0.82	34	0.87
3	0.60	11	0.66	19	0.53	27	0.83	35	0.89
4	0.62	12	0.57	20	0.44	28	0.74	36	0.91
5	0.72	13	0.45	21	0.54	29	0.67	37	0.94
6	0.60	14	0.61	22	0.39	30	0.62	38	0.76
7	0.66	15	0.77	23	0.52	31	0.86	39	0.78
8	0.82	16	0.67	24	0.44	32	0.44	40	0.84

ويتبين من خلال الجدول السابق أن جميع معاملات الارتباط بين درجة كل مفردة والدرجة الكلية دالة عند مستوي دلالة إحصائية إحصائياً (0.01) ، مما يدل علي أن مؤشرات الصدق عالية ، مما يجعلها مقبولة علمياً .

وكذلك حسبت معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية لكل بعد، والدرجة الكلية للمقياس ككل، وجاءت النتائج كما بالجدول التالي:

جدول رقم (٢) يوضح قيم معاملات الارتباط بين درجة البعد والدرجة الكلية في مقياس الانسحاب الاجتماعي

أبعاد المقياس	معامل الارتباط	الدلالة
الدرجة	0.95	0.01

\* دالة عند مستوي (0.01)

و مما سبق يتضح أن مؤشرات التجانس الداخلي لمقياس الانسحاب الاجتماعي عالية، مما يجعلها مقبولة علمياً.

#### ثانياً: الثبات

تم حساب ثبات كل بعد من أبعاد المقياس بالحزمة الإحصائية (SPSS 23) ، حيث بلغت قيمة معامل ألفا كرونباخ (0.973) ، وهي قيمة عالية جداً ، تدل علي ثبات المقياس ويصلح لتطبيقه علي العينة الأساسية الرئيسية.

#### البرنامج التدريبي المقترح لخفض الانسحاب الاجتماعي . (إعداد / الباحثة )

تم عرض البرنامج بصورته الأولية علي مجموعة من الأساتذة من أساتذة علم النفس ، وذلك بهدف تحديد مدي ملائمة البرنامج لأطفال التوحد من حيث مضمون ، والنشاطات المعدة ، والفئة العمرية ، وبناء علي الملاحظات التي قدمها الأساتذة المحكمين تم إعداد المقياس بالصورة النهائية .

#### أهمية البرنامج :

- ١- تتضح أهمية البرنامج في خفض السلوك الأنسحابي لدي الأطفال التوحديين
  - ٢- تظهر الأهمية من خلال طبيعة الفئة المستهدفة وهم الأطفال التوحديين ذوي السلوك الأنسحابي ، من حيث تسليط الضوء عليهم لتقديم الرعاية والعناية لهم .
- الأهداف العامة للبرنامج : يهدف البرنامج إلي معرفة فعالية برنامج إرشادي في خفض الانسحاب الاجتماعي لدي الأطفال التوحديين .

**الأهداف الإجرائية:** أن يتمكن الطفل من التعاون مع الآخرين - يتفاعل مع أقرانه - يتذكر كل ما تم تعلمه في الجلسات السابقة من سلوكيات إيجابية - يتجنب الخوف من المحيطين به - يربط ما تم تعلمه بالواقع الذي يعيشه .

**مكونات البرنامج:** تكون البرنامج من عدد من الجلسات اشتملت علي فنيات متنوعة قائمة علي تنمية الوعي بالذات لدي أطفال التوحد، وقد روعي في البرنامج أن يتناسب مع خصائص أطفال التوحد ، وحاجاتهم ، وقدراتهم ، وان تكون مشوقة وممتعة ومثيرة للأطفال ، وأن يكون هناك تدرج في تقديمها من السهل للصعب ومن البسيط للمركب ، وأن تكون مناسبة لمستوي الطفل.

### الحدود الإجرائية للبرنامج:

#### ١- الحدود البشرية:

تم تطبيق جلسات البرنامج علي أطفال المجموعة التجريبية وعددها (٨) أطفال منهم (٤) ذكور و(٤) إناث من (٥-٨) سنوات

#### ٢- الحدود المكانية:

قامت الباحثة بتطبيق البرنامج في مستشفى دميره للطب النفسي وأطفال ذوي الاحتياجات.

#### ٣- الحدود الزمنية:

يتكون البرنامج الحالي علي (٢٤) جلسة يتم تدريب الأطفال التوحديين ذوي السلوك الانسحابي وذلك من أجل للتخفيف من حدة السلوك الانسحابي لديهم، ومدة كل جلسة يتراوح ما بين (٤٥-٦٠) دقيقة، وذلك علي مدي (٨ أسابيع) بواقع ثلاث جلسات أسبوعياً ، وقد تم التطبيق بداية من ٢/٥ / ٢٠٢١ م وحتى ٢/٧ / ٢٠٢١ م، كما تم إجراء القياس التتبعي ، وتم إجراءه بعد شهر من تطبيق البرنامج.

### الاستراتيجيات المستخدمة في البرنامج :

**التعزيز :** إثابة الطفل علي السلوك الجيد سواء بكلمة طيبة أو ابتسامة أو منحه هدية مناسبة ، مما يعزز هذا السلوك ويدعمه ويدفعه إلي التكرار اذا تكرر الموقف (الفسفوس ، ٢٠١١، ٤٠)

**النمذجة :** إتاحة نموذج سلوكي مباشر للطفل ، بهدف توصيل المعلومات حول النموذج السلوكي بهدف أحداث تغير في سلوكه (الشناوي ، السيد ، ١٩٩٨) ، وهناك عدة أنواع من

النماذج وهي النمذجة المباشرة أو الصحيحة والنمذجة الضعيفة أو الرمزية ، وكذلك النمذجة من خلال المشاركة (بدر ، ٢٠١٦ ، ٥٠ )

فنية لعب الأدوار : والتي تعتبر من الفنيات ذات الأثر الإيجابي بالنسبة للأطفال بشكل عام وللأطفال التوحد بشكل خاص ، حيث يترك للطفل حرية اتخاذ أي دور سواء كان لشخصية واقعية كطفل في مدرسة ، أو خيالية كالأب أو الأم (بطرس ، ٢٠١٠ ، ٢٦١ )  
التسلسل : تحليل المهارة إلى عدد من الحلقات على أساس مستوى صعوبة المهارة المستهدفة ويفضل في حالة الخطأ تقديم الاستجابات المتسلسلة إلى نقطة البداية ، واستخدام أسلوب الحث مع التسلسل يساعد على تحقيق الاستجابة المطلوبة. (الشامي، ٢٠٠٤ ، ٢٣٢:٢٣٠).

الواجبات المنزلية : وهي المهارات التي يتم التكليف بتنفيذها في المنزل أو الحياة اليومية عموماً وذلك بعد أن يكون تدرّب عليها (شند ، ٢٠٠٨ ، ٢٣٣ )

#### تقييم البرنامج:

المرحلة الأولى: قبل تطبيق البرنامج وذلك من خلال القياس القبلي، وذلك بتحديد درجة الانسحاب الاجتماعي لدي المجموعة التجريبية.

المرحلة الثانية : أثناء جلسات البرنامج لملاحظة التغير الذي طرأ على السلوك عقب كل نشاط

المرحلة الثالثة : التقييم الأخير وذلك من خلال تطبيق المقياس مرة أخرى (القياس البعدي ) ومقارنة بالمقياس القبلي للتأكد من حدوث تحسن ، كما سيتم تقييم مدى استمرار فعالية البرنامج وذلك من خلال القياس التبعي بعد انتهاء البرنامج بشهر .

#### الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث

استخدمت الباحثة برنامج حزم التحليل الإحصائي للعلوم الاجتماعية 21 . ver . SPSS Statistics IBM حيث تم استخدام الأساليب التالية:

١- معادلة بيرسون لحساب الصدق "صدق الاتساق الداخلي" لأدوات الدراسة.

٢- معادلة ألفا كرونباخ لحساب ثبات أدوات الدراسة.

٣- التجزئة النصفية لحساب ثبات أدوات الدراسة.

- ٤- اختبار ويلكوكسن Wilcoxon لتعرف دلالة الفروق بين التطبيق القبلي والتطبيق البعدي للمجموعات المرتبطة، وكذلك بحث دلالة الفروق بدلالة كل من قيمة  $W$  ، وقيمة  $Z$  للأطفال الذاتويين .
- ٥- معادلة ( $r$ ) لحساب حجم تأثير المعالجة التجريبية لأدوات الدراسة.

### نتائج الدراسة وتفسيرها:

اختبار صحة الفرض الأول : توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الرتب لدرجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي علي مقياس الانسحاب الاجتماعي لصالح القياس البعدي.

ولاختبار صحة هذا الفرض ، استخدمت الباحثة معادلة رتب إشارات المجموعات المتزاوجة (المترابطة ) ويلكوكسون The Wilcoxon Matched Pairs Signed Rank Equation ، كأحد الأساليب اللابارامترية ، وذلك للتعرف علي دلالة الفروق بين متوسط رتب درجات كل من التطبيقين (القبلي والبعدي) وذلك من خلال تطبيق مقياس الانسحاب الاجتماعي للمجموعة التجريبية (الأطفال التوحديين ) ، والجدول (٣) الآتي يوضح تلك النتائج :

المقياس	نوع القياس	الرتب	العدد	متوسط الرتب	مجموع الرتب $W_{obs}$	قيمة ( $Z$ )	مستوي الدلالة
الانسحاب الاجتماعي	قبلي / بعدي	الموجبة	٠	٠	٠	٢,٥٢٧ *	دالة
		السالبة	٨	٤,٥٠	٣٦,٠٠		
		المتعادلة	٠	٠	٠		

(\*) دال

يتبين من الجدول السابق وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي رتب درجات التطبيقين (القبلي والبعدي ) للمجموعة التجريبية (الأطفال التوحديين ) في مهارات المقياس ، والدرجة الكلية للمقياس ، حيث جاءت جميع قيم "  $Z$  " أقل من القيمة الجدولية حيث "  $Z$  " عند مستوي ( $p = 0,01$ ) ، ودرجات الحرية ( $7$ ) - ( $8$ ) ، مما يعني حدوث انخفاض في مقياس الانسحاب الاجتماعي لدي أطفال التوحد ؛ مما يدل علي فعالية البرنامج في خفض مستوي الانسحاب الاجتماعي لدي الأطفال التوحديين .

وفي ضوء تلك النتيجة ، يمكن قبول الفرض الأول من فروض البحث وهو :  
علي أنه " توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوي (٠,٠١) بين متوسطي رتب درجات الأطفال التوحديين في التطبيقين (القبلي والبعدي ) لمقياس الانسحاب الاجتماعي  
." .

**فعالية المعالجة التجريبية في خفض مستوى الانسحاب الاجتماعي لدي الأطفال التوحديين (حجم تأثير البرنامج المستخدم ) :**  
لتحديد فعالية المعالجة التجريبية (البرنامج المستخدم ) في خفض مستوى الانسحاب الاجتماعي قامت الباحثة باستخدام معادلة (r) وذلك بهدف تحديد حجم تأثير المعالجة في تنمية كل مهارة من المهارات المتضمنة بقائمة تقدير مهارات التواصل غير اللفظي ، وكذلك الدرجة الكلية اعتمادًا علي قيمة (Z) ، المحسوبة عند تحديد دلالة الفروق بين التطبيقين (القبلي والبعدي ) للمجموعة التجريبية (الأطفال التوحديين )  
والجدول الاتي يوضح ذلك :

**جدول (٤): (قيم r) وحجم الأثر لابعاد مقياس الانسحاب الاجتماعي ، والدرجة الكلية لأفراد المجموعة التجريبية**

المقياس	قيمة (Z)	r	حجم التأثير
الانسحاب الاجتماعي	٢,٥٢٧	٠,٦٣	كبير

حيث يتبين تبعًا لمحكات حجم الأثر من خلال الجدول السابق أن قيم (r) بلغت قيمتها (٠,٦٣) لمقياس الانسحاب الاجتماعي ، مما يعني أن المعالجة التجريبية (البرنامج المستخدم ) تسهم في التباين الحادث في مستوى الانسحاب الاجتماعي بنسبة ٦٣% مما يدل علي فعالية المعالجة التجريبية (البرنامج المستخدم ) في خفض مستوى الانسحاب الاجتماعي لدي أفراد المجموعة التجريبية.

**الفرض الثاني:**

**مقارنة نتائج التطبيق البعدي بالتبعي للمجموعة التجريبية في مقياس الانسحاب الاجتماعي لدي الأطفال التوحديين :**  
**ولاختبار الفرض الثاني الذي ينص علي الآتي:**

" توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي رتب درجات الأطفال التوحيديين في التطبيقين (القبلي والبعدي) مقياس الانسحاب الاجتماعي لدى الأطفال التوحيديين "

ولاختبار صحة هذا الفرض ، استخدمت الباحثة معادلة رتب إشارات المجموعات المتزاوجة (المترابطة) ويلكوكسون The Wilcoxon Matched Pairs Signed Rank Equation ، كأحد الأساليب اللابارامترية ، وذلك للتعرف علي دلالة الفروق بين متوسط رتب درجات كل من التطبيقين (البعدي والتتبعي) للمجموعة التجريبية (الأطفال التوحيديين) ، والجدول الآتي يوضح تلك النتائج "

جدول (٥) : قيم "Z" ودلالة الفروق بين متوسطي رتب درجات كل من التطبيقين (البعدي والتتبعي) للمجموعة التجريبية (أطفال التوحد) في مقياس الانسحاب الاجتماعي

مستوي الدلالة	قيمة (Z)	مجموع الرتب $W_{obs}$	متوسط الرتب	العدد	الرتب	نوع القياس	
غير دالة	-٠,٩١	٢٣,٠٠	٣,٤٠	٦	الموجبة	بعدي / تتبعي	الانسحاب الاجتماعي
		٠	٠	٠	السالبة		
		٠	٠	٢	المتعادلة		

يتبين من الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي رتب درجات التطبيقين (البعدي والتتبعي) للمجموعة التجريبية (الأطفال التوحيديين) في مقياس الانسحاب الاجتماعي ، والدرجة الكلية للمقياس ، مما يعني عدم وجود اختلاف في القياسين البعدي والتتبعي ؛ مما يدل استمرار الثبات النسبي في نتائج القياسين البعدي والتتبعي علي مقياس الانسحاب الاجتماعي بعد مرور شهر من انتهاء تطبيق البرنامج .

#### تفسير نتائج الفرض الأول:

تبين من خلال نتائج الدراسة الحالية الي فاعلية برنامج في خفض مستوى الانسحاب الاجتماعي لدى الأطفال التوحيديين ، حيث يتضح من الجدول السابق أن قيمة (Z) كانت دالة عند مستوي (0.01)، حيث بدأ الطفل يقلل من مرات انسحابه ، كما بدأ يتعاون مع زملائه باللعب ، ويتعرف علي فريقه ويميزه عن الفريق المنافس الآخر ، وبدأ الطفل يمشي مع المجموعة وهو شيء كان نادر الحدوث ، حيث كانوا دائما يفضلون الوحدة والانسحاب

وعدم المشاركة في الأنشطة الجماعية ، كما لوحظ أيضًا علامات الحماس والفرحة علي وجه الطفل ؛ مما يؤكد علي فاعلية برنامج الدراسة الحالية ، حيث قل السلوك الانسحابي ، وهذا ما أكدته الأم أيضًا أن الطفل بدأ في المنزل بالجلوس بجانب أقرانه والاندماج وعدم البعد عنهم ، كما في دراسة بخش (٢٠٠١) ، كما انتفت أيضًا نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة (عبد المنعم ، ٢٠٠٥) والتي أكدت علي حدوث تحسن واضح في مهارات التواصل لدي المجموعة التجريبية ولكن مع اختلاف القدرات الفردية لكل طفل عن الآخر ، ولكن دون المجموعة التجريبية

كما أن فعالية برنامج الدراسة الحالية ينبع من اتباعه الفنيات والممارسات التي تؤكد مراعاة سمات الأطفال ذوي اضطراب التوحد ، خاصة استراتيجيات التواصل والذي كان له دور كبير في تعليم الطفل سلوكيات اجتماعية فعالة ، فقد ساعدت الفنيات السلوكية المستخدمة كالتعزيز ولعب الدور دورا مهم في ملاحظة النموذج وتقليده ، حيث يصبحون أكثر وعيًا بأسلوب تفاعلهم مع الآخرين ، ويتفق ذلك مع دراسة (إبراهيم ، ٢٠٠٣)

#### مناقشه نتائج الفرض الثاني :

وترجع الباحثة ذلك لأن البرنامج التدريبي ركز علي التنوع في الأنشطة المقدمة للأطفال التوحد ، والتي تعمل أيضًا علي الترابط بين التعلم والممارسة ، وتخفيف السلوك الانسحابي ودمجهم مع أقرانهم ، والاهتمام أيضًا بتعزيزهم من أجل دفعهم علي الاستمرار علي البرنامج وأداء ما يطلب منهم ، وأيضًا الي حرص الباحثة علي إقامة علاقة اجتماعية حميمة بين الباحثة من ناحية وبين الأطفال التوحديين بعضهم البعض من ناحية آخري ، وهو ما أدى إلي عدم حدوث تراجع وانتكاسة للأطفال التوحديين عينة الدراسة

#### توصيات الدراسة:

- ١- ضرورة مراعاة قدرات الأطفال ، ومعرفة خصائصه ومعززاته بشكل مسبق عند وضع أي خطة تنمية لمهارات الطفل التوحيدي
- ٢- التقييم المستمر لأداء الطفل لمعرفة نقاط القوة و نقاط الضعف وذلك للتمكن من إجراء التعديلات اللازمة للبرامج.



٣- ضرورة تفعيل دور الكوادر المتخصصة لتقديم البرامج التأهيلية المناسبة ، والتي تعمل ضمن اطار فريق متعدد الاختصاصات (العلاج التربوي، العلاج السلوكي، علاج الوظيفي، العلاج النفسي الحركي، بالإضافة الي التربية الفنية والموسيقية)

### البحوث المقترحة:

١- فاعلية بعض البرامج في التخفيف من حدة السلوك الأنسحابي وذوي الاحتياجات الخاصة .

٢- فعالية البرامج الإرشادية والفنيات العلاجية في تعديل سلوكيات الأطفال العاديين وذوي احتياجات الخاصة.

### المراجع :

- أبو النصر، مدحت (٢٠٠٥). الإعاقة النفسية المفهوم والأنواع وبرامج الرعاية. القاهرة، مجموعة النيل العربية.
- أبو طالب، هبه محمد السيد (٢٠٢١). فاعلية برنامج PECS بنظام الأندرويد لتنمية مهارات التواصل للأطفال الذاتويين
- أحمد ، مها صبري (٢٠١٦) : فعالية برنامج تدريبي في خفض اضطرابات النطق وأثره علي السلوك الإنسحابي لدي الأطفال ذوي الإعاقة الفكرية الخفيفة ، مجلة التربية الخاصة ، العدد (١٥) ، ص ٢٧٧-٣٤٥ .
- أحمد، سهير كامل (٢٠٠٣). التوجيه والإرشاد النفسي للصغار. الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب.
- الأمازي، ولاء كرم محمد (٢٠١٢). فعالية الإرشاد المعرفي السلوكي في خفض الشعور بالانسحاب الاجتماعي وأثره في زيادة الثقة بالنفس لدي الأطفال ذوي العسر القرائي. رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الزقازيق.
- بكار، عبد الكريم (٢٠١٠). مشكلات الأطفال " تشخيص و علاج لأهم عشر مشكلات ". القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة.

- تقاحة، جمال محمد (٢٠٠٥) الشعور بالوحدة النفسية والمساندة الاجتماعية من الآباء والأقران لدي الأطفال العميان ، مجلة كلية التربية ، جامعة المنصورة ، ع ٥٨ ، ج ٢
- الجلي، سوسن شاكر (٢٠٠٥) : التوحد الطفولي أسبابه خصائصه تشخيصه علاجه ، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع- دمشق
- الرواجفة ، عبدالله علي (٢٠٠٤) أثر برنامج إرشادي في تحقيق الشعور بالعزلة الاجتماعية لدي الصف الأول من المرحلة الثانوية في المملكة الأردنية ، أطروحة دكتوراه كلية التربية ، ابن الهيثم ، جامعة بغداد
- الزريقات، إبراهيم (٢٠٢٠) . التدخلات الفعالة مع اضطراب طيف التوحد (الممارسات العلاجية المسندة إلي البحث العلمي) . ط ١ . عمان : دار الفكر
- زهران ، حامد عبد السلام (٢٠٠٠) : علم النفس الاجتماعي ، القاهرة : عالم الكتب
- سالم ، مشيرة حسنين (٢٠١٢) : أثر برنامج للتعلم النشط في خفض السلوك الانسحابي لدى المعاقين عقليًا القابلات للتعلم ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، معهد الدراسات التربوية ، جامعة القاهرة .
- سالم، كمال (٢٠١٨). مدخل إلي التربية الخاصة ، الإمارات : دار الكتاب الجامعي .
- سوسن، شاكر مجيد (٢٠١٠). التوحد (أسبابه - خصائصه - تشخيصه - علاجه) ، دبيينو للطباعة والنشر والتوزيع ، الأردن ، ط ٢ .
- السويلم، صالح سالم (٢٠١٠). فاعلية برنامج إرشادي لخفض السلوك الانسحابي لدي الأطفال القابلين للتعلم من المعاقين عقلياً. رسالة دكتوراه، معهد الدراسات التربوية، جامعة عين شمس.
- الشامي، وفاء علي (٢٠٠٤): علاج التوحد الطرق التربوية والنفسية والطبية، ط ١، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، السعودية.
- الشرقي ، أريج محمد عبد الرسول (٢٠١٤) : السلوك الانسحابي عند الأطفال التوحديين بعمر الروضة (دراسة تشخيصية) ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، مجلة البحوث التربوية والنفسية ، العدد الواحد والثلاثون.
- شعيب، علي محمود ومحمد، عبد الله علي (٢٠١٤). قضايا معاصرة في صعوبات التعلم " النظرية و التطبيق " . القاهرة، دار جوانا للنشر و التوزيع.

- الشناوي ،محمد محروس ؛ عبدالرحمن ،محمد السيد (١٩٩٨). التخلف العقلي : الأسباب ، التشخيص ، البرنامج ، القاهرة : دار قباء
- شند، سميرة محمد (٢٠٠٨). فاعلية برنامج إرشادي انتقائي تكاملي في تنمية مكونات الإيجابية لدي عينة من المراهقين، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، ج ٢، العدد ٣٢
- صابر ، أماني أحمد (٢٠١٥) : فاعلية برنامج إرشادي تدريبي في خفض السلوك الإنسحابي وتنمية بعض المهارات الاجتماعية لدى عينة من الأطفال الذاتيين ، مجلة دراسات الطفولة . مج ١٨، ع ٦٦، يناير - مارس ٢٠١٥
- عبد القادر، أشرف أحمد (٢٠٠٩). الإرشاد النفسي لذوي الاحتياجات الخاصة. القاهرة، مكتبة الزهراء
- العدل، عادل محمد (٢٠١٣): صعوبات التعلم وأثر التدخل المبكر والدمج التربوي لذوي الاحتياجات الخاصة، القاهرة: دار الكتاب الحديث.
- العربي، حميدة السيد (٢٠١٥). مقدمة في صعوبات التعلم. القاهرة، دار الفكر العربي.
- علي، إبراهيم علي السيد (٢٠١٢). فاعلية برنامج للعلاج الواقعي في خفض السلوك الإنسحابي لدي عينة من المراهقين المكفوفين. مجلة القراءة والمعرفة، ١٣٠، ١٧٤-٢٠٤.
- عمارة، ماجد ( ٢٠٠٥). إعاقة التوحد بين التشخيص والتشخيص الفارق، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- عماره، وليد وهدان حميد (٢٠١٧). فاعلية برنامج إرشادي في خفض السلوك الانسحابي لدي الأطفال ذوي صعوبات التعلم. مجلة كلية التربية، جامعة بورسعيد، ٢١، يناير، ٨٦٨ - ٩٠٢.
- الفسفوس ، عدنان أحمد (٢٠١١). المرجع البسيط في أساليب تعديل السلوك ، ط ١ ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
- القاسم، جمال متقال (٢٠٠٠). الاضطرابات السلوكية ، ط ١ ، عمان : دار الصفاء للنشر والتوزيع .

- مللمءء ءنلن بنء أسعد (٢٠٠٢). الللل وعلقءه بكل من الشعور باللولءة النفلسله وأسلبلل المعاملة الوالءله لءل علنة من طالبال المرءلة المءوسءة بللكة المكرمة. رسالة ماجسءلر؁ كلله اللربله؁ ءامعة أم القرل.
- American Psychiatric Association (2013). Diagnostic and statistical Manuel of mental disorders (DSM-5). Washington, DC: Author.
- Brooke, I., Katherine, M. (2011). Examination of correlations different imitative functions on young children with autism spectrum disorders. *Journal Research In Autism Spectrum Disorder*, 5 (3) , pp 1078-1085.
- Colombo-Dougovito AM, Reeve RE (2017). Exploring the Interaction of Motor and Social Skills with Autism Severity Using the SFARI Dataset. *Percept Mot Skills*, 124(2):413-424
- Gillson (2000). Autism and social behavior Bethesda M. D, Autism Society of America.
- Ganzalea L. (1997). Social skills training to increase social interactions between children with autism and their typical peer. *Journal Focuson Autism And Other Developmental Disabilities*, Vol . (1) , pp. 2-14 , (12) .
- Jack, D (2009). Investingation of the effects of aviolence prevention program in reducing kindergarten- Ayed children's Seif – reported Aggressive Behavior. Pennsy ivania V.S: PDAT.

ثالثاً: تخصص الفلسفة



الحضور والغياب في التجربة الروحية عند "سيمون فايل"  
قراءة في مفهوم المفارقة

د. جوزفين رزق الله

مدرس بقسم الفلسفة

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

[joe.gouda13@gmail.com](mailto:joe.gouda13@gmail.com)

doi: 10.21608/jfpsu.2022.157497.1227

## الحضور والغياب في التجربة الروحية عند "سيمون فايل" (\*)

### قراءة في مفهوم المفارقة (\*\*).

#### مستخلص

يناقش هذا البحث التجربة الروحية للفيلسوفة الفرنسية "سيمون فايل" (١٩٠٩\_١٩٤٣)، كيف ارتبطت بفكرة المعاناة، والتي قدمت لها تحليلاً ميتافيزيقياً، من خلال رؤية صوفية عميقة، تظهر فيها ثقافتها الدينية، وتأثرها الشديد بالكتاب المقدس، كما يظهر فيها أيضاً تأثرها بالفلسفة الأفلاطونية، وأيضاً تشابهه فيها مع بعض الفلاسفة الوجوديين أمثال "كيركجور" و"نيتشه"، و"كامي"، كما أضافت "فايل" في تحليلها لمفهوم المعاناة مفهوماً جديداً هو مفهوم "الضيق Affliction"، الذي ربطت بينه وبين الحب الإلهي، ووصفته بأنه "جوهر المسيحية" من جانب، و"غز الحياة الإنسانية" من جانب آخر، واعتبرته صورة لجدل المحبة بين الوجود الإلهي والوجود الإنساني، وفي إطار هذا التحليل تناولت "فايل" العلاقة بين الضيق والألم الجسدي، وناقشت أحوال الوجود الإنساني في حالة الضيق. وأكدت على أن الضيق لا بد من النظر إليه باعتباره بعداً للمحبة الإلهية، كما ظهر مفهوم الضيق عند "فايل" باعتباره مفارقة جمعت بين مجموعة من المتناقضات مثل الجمع بين المعقول واللامعقول، الحرية والضرورة، الألم والفرح، الاتصال والانفصال، وأخيراً غياب وحضور الوجود الإلهي.

**الكلمات المفتاحية:** سيمون فايل، مفارقة، معاناة، الضيق، وجودية.

(\*) سيمون فايل Simone Weil (١٩٠٩\_١٩٤٣): تُكتب في بعض المراجع "سيمون ويل" على سبيل المثال جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ط٣، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦، روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلاسفة، ج٢، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٢، وتُكتب في بعض المراجع "سيمون فايل" مثل سيمون فايل: التجذر: تمهيد لإعلان الواجبات تجاه الكائن الإنساني، ترجمة: محمد علي عبد الجليل، دار معابر، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٩، وفضلنا هنا استخدام "سيمون فايل" لكي تطابق مع نطق الاسم.

(\*\*) المفارقة Paradox: لغوياً هي كلمة ذات أصول يونانية، تتألف من مقطعين الأول PARA وتعني المخالف أو الضد، والثاني DOXA أي الرأي فيكون معني هذه الكلمة "ما يصاد الرأي الشائع"، أما في اللغة العربية فشاع استخدام هذا اللفظ للدلالة على الآراء المخالفة للمعتقدات المألوفة، أما اصطلاحاً فهي " فكرة تحتوي علي فكرتين متضادتين أو مقترحين متناقضين متساويين في أهمية توصيل وتوضيح كل ما هو ذو صلة بهذه الفكرة أو يحرك الفكر تجاه الحقيقة أكثر من تحليل تلك الحقيقة إلى مجموعة من العوامل التي تحشدنا كل فكرة في ذاتها"، و ترتبط المفارقة بالوجود الإنساني باعتباره أمراً طبيعياً وفطرياً داخله، وبالتالي إذا كان الجمع بين المتضادات يعد تناقضاً في مجال المنطق إلا أن التجربة في المجال الإنساني أكدت على أن هذا التناقض هو طابع الوجود الإنساني.

>> انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مادة: " مفارقة"، (ج) ٢ دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص ٤٠٢، مراد وهبة: المعجم الفلسفي، مادة" مفارقة"، دار قباء للطبع والنشر، طه، القاهرة، ص: ٦١٢.

Saate, H. A.:The Pertinence Of The Paradox, Humanities Press, New York,1968, P: 1.



## Presence and Absence in the Spiritual Experience of "Simon Weil" A Reading in the Concept of Paradox

### Abstract

This paper discusses the **spiritual experience** of the French philosopher **Simone Weil** (1909-1943), and how it is related to the idea of **suffering** of which she presented a metaphysical analysis through a deep mystical vision, showing her religious culture, her deep knowledge of the Bible, and her study of platonic philosophy. Her vision was also similar to existential philosophers like Kierkegaard, Nietzsche and Heidegger. In her analysis of the idea of suffering, Weil added a new concept, **affliction** that she linked to divine love, and described it as "the essence of Christianity", and "The great enigma of human life". She considered affliction a kind of dialectic of love between God and man. In this regard, she also discussed the relationship between affliction and physical pain, and the conditions of human being in a state of affliction. According to Weil, the concept of affliction was a **paradox** that combined a set of contradictions such as the reasonable and the unreasonable, freedom and necessity, pain and joy, connection and separation, and eventually the absence and presence of the divine.

**Keywords:** Simone Weil, paradox, suffering, affliction, existentialism.

## المقدمة:

"اللغز الكبير للحياة الإنسانية ليست المعاناة، بل الضيق"<sup>(١)</sup> (\*)

"إن كتاب أيوب، من أوله إلى آخره صورة حقيقة فيما يخص الضيق، وكل ما

يحيد عن هذا المثال يشوبه نوعاً من الزيف"<sup>(٢)</sup>

في وسط أجواء الحرب والعنف التي شهدتها بداية القرن العشرين ظهرت "سيمون

فايل "Simone Weil" (١٩٠٩\_١٩٤٣) الفيلسوفة الفرنسية الأصل<sup>(١)</sup> (\*\*)، أو كما تُلقب

(١) سيمون فايل: مختارات ترجمة: محمد علي عبد الجليل، دار معابر، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٩، ص ١٢٠.

(\*) The great enigma of human life is not suffering but affliction.

Wiel, S: "Waiting For God, Art." "The Love of god and Affliction", Trans.by: Emma Crawford, Perennial Library, New York, 1973, P:66,67.

في كتاب "المختارات" لسيمون فايل الذي قام بترجمته محمد علي عبد الجليل يستخدم كلمة البلاء في عنوان للمقالة "الخبرة مع الله... حب الله والبلاء" كمعنى للكلمة الفرنسية: "Le Malheur"، ويذكر في الحاشية أن هذه الكلمة تعني: الاختيار أو الامتحان أو الشقاء أو المحنة التي تحتوي على منحة، وفي موضع المقال الموسوم "الخبرة مع الله.. أفكار أخيرة" في الكتاب نفسه يترجم الكلمة نفسها "بالمصيبة"، وفي مقدمة الكتاب يستخدمها بمعنى "الشقاء"، ولكن بالبحث عن أصل الكلمة نجد أن كلمة "Le Malheur" الفرنسية ترجع في أصولها إلى "malus" اللاتينية، وهي صفة تحمل معنى الأمر السيء، ومعناها في اللغة الفرنسية يعني الحزن أو اليأس أو التعاسة، وبالرجوع إلى المصدر باللغة الإنجليزية نجد أنه يترجمها "Affliction" ويذكر في الحاشية أن هذه الكلمة هي أقرب ما يكون إلى المعنى الفرنسي بالإنجليزية "لأنها تحمل في داخلها معنى الحتمية والعذاب المفروض على الإنسان، أما ترجمة المصطلح إلى كلمة البلاء أو الابتلاء في اللغة العربية فيظهر تأثر المترجم بالقرآن الكريم وبالفكر الإسلامي، فكثيراً ما يشير القرآن إلى أن الله يبئلي عباده، فعلى سبيل المثال (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (البقرة، الآية ١٢٤)، (فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ خَلِيمٍ ﴿١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا آتَمُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴿٢﴾ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿٤﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٧﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٣﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١٤﴾ [الصفوات، الآية ١١٣]، ولكن كلمة "البلاء" يندر استخدامها في ترجمات الكتاب المقدس والكتابات المسيحية، ويستخدم بدلها كلمة الامتحان أو التجربة أو الضيق، فنرى في سفر التكوين في الحديث عن إبراهيم عليه السلام يقول "وَحَدَّثَ بَعْدَ هَذِهِ الْأُمُورِ أَنَّ اللَّهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!»، فَقَالَ: «هَاتِنَا». فَقَالَ: «خُذْ ابْنَكَ وَجَدِكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَأَذْهَبْ إِلَىٰ أَرْضِ الْمَرِيَا، وَأَصْنَعْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَىٰ أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ» (تكوين ١٠: ٢٢)، ولما كانت الكاتبة تتناول الفكرة من منظور مسيحي، وقد اختارت سفر أيوب ليكون مثلاً تطبق عليه، فنجد أن الكلمة Affliction تترادف في العربية "كلمة الاختيار أو الضيق" «وأيضاً يُقَوِّدُكَ مِنْ وَجْهِ الضَّيْقِ إِلَىٰ رَحْبٍ لَا حَصْرَ فِيهِ، وَيَمْلَأُ مُوَدَّةً مَا يَنْدَبُكَ ذَهْنًا» (أيوب/ ١٦: ٣٦)، والباحثة تفضل استخدام لفظ الضيق أو التجربة كمصطلح يمتاشى مع العقيدة المسيحية، وذلك لأن المعنى نفسه نجده في أكثر من موضع في الكتاب المقدس، فعلى سبيل المثال: في سفر الزمير يقول "وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلْجَأً لِلْمُنْسَجِقِ. مَلْجَأً فِي أَرْمِنَةِ الضَّيْقِ." (مزمور/ ٩: ٩)، في العهد الجديد في رسالة بولس الرسول لأهل رومية يقول: "وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَحِرُ أَيْضًا فِي الضَّيْقَاتِ، غَالِمِينَ أَنَّ الضَّيْقَ يُنْشِئُ صَبْرًا" (رومية/ ٥: ٣)، " وفي رسالة يعقوب "حسبوه كل فرح يا اخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة... ("٢: ١٠)، وفي نفس الرسالة نجد " طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة لأنه اذا تزكى ينال اكليل الحياة الذي وعده به الرب للذين يحبونه...رسالة يعقوب ١: ١٢. (الباحثة)

(٢) سيمون فايل: مختارات، الخبرة مع الله. حب الله والبلاء، ص ١٢٠.



ونحن من خلال هذه الدراسة سنحاول الاقتراب من هذا المفهوم، ونري كيف تناولت "فايل" هذه الفكرة، وما هي ملامح وسمات الضيق أو التجربة عندها، وكيف مثلت هذه الفكرة شكلاً من أشكال المفارقة.

### إشكالية الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح طبيعة التجربة الروحية عند "سيمون فايل" ورؤيتها لمفهوم المعاناة والضيق وارتباطهما بالوجود الإنساني، وذلك من خلال طرح تساؤلاً رئيساً هو "ما طبيعة العلاقة بين مفهومي الحضور والغياب في التجربة الروحية عند "سيمون فايل" في ضوء مفهوم المفارقة؟ ووصولاً إلى هذا الهدف نحاول الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- أولاً: ما العلاقة بين المعاناة والوجود الإنساني عند "سيمون فايل"؟
- ثانياً: ما الفرق بين الضيق والمعاناة عند "فايل"؟
- ثالثاً: ما ملامح المفارقة في فكرة الضيق عند "فايل"؟

### الدراسات السابقة:

تُعتبر شخصية الفيلسوفة الفرنسية "سيمون فايل" من الشخصيات التي لم تتل الاهتمام في الدراسات العربية، ولذا فهناك ندرة في الدراسات العربية لهذه الشخصية اللهم بعض الدراسات والمقالات والتي ركزت على الجانب السياسي والاجتماعي في فكرها، ومن أمثلة هذه الدراسات\_ مرتبة زمنياً\_ نذكر على سبيل المثال:

١. رشيد العلوي: في كتابه الموسوم "الفلسفة بصيغة مؤنثة" يتحدث عن "سيمون فايل"، ويركز على دورها الاجتماعي والسياسي في الوقوف بجانب العمال ومساندتهم، وفي لمحة صغيرة يقارن بين فكر "سيمون فايل" والفيلسوفة الألمانية "حنه أرنت" (١٩٠٦ - ١٩٧٥) في تفسيرهما للشر في هذا العالم.<sup>(١)</sup>

(١) رشيد العلوي: الفلسفة بصيغة مؤنثة، مؤسسة هنداوي، للطبع والنشر، ٢٠١٧، ص ١٧-٢٠.

٢. سعيد ناشد: في أحد فصول كتابه "الطمأنينة الفلسفية" تناول فكر "فايل" خاصة قضية العمل، وكيف قدمت تصوراً جديداً تربط فيه العمل بالمعتقدات الدينية والروحية كوسيلة لتشجيع الشباب علي العمل باعتباره وسيلة لبناء الحضارة الجديدة<sup>(١)</sup>.

٣. محمد جلوب الفرحان: في دراسته المنشورة في مجلة "أوراق فلسفية جديدة" بعنوان: "سيمون فايل": الفيلسوفة الفرنسية النسائية في القرن العشرين"، يقدم دراسة ببيوجرافية يحاول فيها تقديم شخصية "فايل"، وأهم المؤثرات الفكرية التي تأثرت بها، كما يعطي لمحات عن مؤلفاتها وأهم أفكارها الفلسفية.<sup>(٢)</sup>

ومن الملاحظ أن هذه الدراسات قد تناولت شخصية "فايل" باعتبارها نموذج لفيلسوفة نسائية، كما ركزت على اهتماماتها الاجتماعية والسياسة، وأغفلت التجربة الدينية لها والتي كان لها أثراً واضحاً في كتاباتها.

أما الدراسات الأجنبية فقد ظهر فيها الاهتمام بفكر "فايل" عامة سواء كان فكرها الفلسفي أو الاجتماعي والسياسي، ومؤخراً أيضاً ظهر الاهتمام بها باعتبارها مثلاً للفكر النسائي المناهض للاستغلال الاجتماعي والاقتصادي، ولكن من أبرز الدراسات التي اقتربت من موضوع هذه الدراسة نذكر على سبيل المثال:

١. دراسة "وليم روبرت": وتتناول هذه الدراسة الجانب الصوفي عند "سيمون فايل"، و رؤيتها وتصورها لفكرة المعاناة والضيق، ولكنها تركز على العلاقة بين هذا الاتجاه الصوفي والفكر السياسي عن "فايل".<sup>(٣)</sup>

٢. دراسة "رانييليو هيرميديا": تركز هذه الدراسة على توضيح المسار الفكري الذي يربط أفكار "فايل" ببعضها، وهو محاولة ربط كل ما هو

(١) سعيد ناشد: الطمأنينة الفلسفية، دار التنوير، الجزائر، ٢٠١٩، ص ٤٦ - ٥٠.

(٢) محمد جلوب الفرحان: سيمون فايل الفيلسوفة الفرنسية النسائية في القرن العشرين/ مجلة أوراق فلسفية الجديدة، مارس ٢٠١٩.

<https://philospaper.wordpress.com/>

(3)Robert,W.: Crossing: Simone Weil, Mystics, Politics, UMI Microform, ProQuest,2006.

إنساني بالوجود الإلهي، فترى أن جميع الاهتمامات الإنسانية دائماً تقع في سياق علاقتنا بالله، حتى تلك الممارسات التي لا يظهر فيها الجانب الديني سواء كانت اجتماعية أو سياسية فهي تساهم في نمو الفرد روحياً وتهيئته لإدراك المحبة الإلهية<sup>(١)</sup>.

٣. دراسة "إليسا التولا": وقد قدمت في هذه الدراسة تحليلاً لفكرة المعاناة، وأثر ثقافة المجتمع في رؤية الإنسان للمعاناة، وفي ذلك الإطار قدمت تحليل لثلاث مقاربات لفكرة المعاناة عند ثلاث فلاسفة هم "نيتشه"، "إيمانويل ليفيناس" (١٩٠٦-١٩٩٥)، و"سيمون فايل"<sup>(٢)</sup>.

٤. دراسة "كريستوفر توماس": وتربط هذه الدراسة بين مفهوم الضيق عند "فايل"، ومفهوم آخر لديها وهو الانتباه أو الاهتمام "Attention"، بكل الفئات التي تعاني اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، وعلاقة هذان المفهومين بمفهوم العدالة.<sup>(٣)</sup>

وبالرغم من أن هذه الدراسات قد ألقّت الضوء على فكرة الضيق "Affliction" عند "فايل"، وبالرغم من الاستعانة بهذه الدراسات في دراستنا هذه، إلا إننا من خلال هذه الدراسة نحاول التركيز على تجربة الضيق كتجربة ذاتية وجودية، مع محاولة البحث عن أشكال المفارقة فيها.

### منهج الدراسة

قامت الباحثة باستخدام أكثر من منهج أثناء الدراسة، فقد استخدمت المنهج التحليلي النقدي في قراءة وتحليل المصادر الخاصة "بسيمون فايل"، هذا بالإضافة إلى المنهج المقارن في مقارنة آراء "فايل" بالفلاسفة الذين تتشابه معهم، وخاصة الفلاسفة الوجوديين مثل: "كبركجور"، "نيتشه"، "سارتر"، "كامي".

(1)Hermida, J. Ranilo B. Simone Weil: A Sense of God, Logos: A Journal of Catholic Thought and Culture, 2006, 9.1: 127-144.

(2)Aaltola, E.:Philosophical Narratives of Suffering : Nietzsche, Levinas, Weil and Their Cultural Roots., suomen Antropologi, volume 43 issue 3 autumn 2018,P:22.

(3) Thomas, C.: Simone Weil: The Ethics of Affliction and the Aesthetics of Attention. International Journal of Philosophical Studies, 28(2) (2020), P:145-167.

وتجدر الإشارة إلى أن صعوبة هذه الدراسة تتمثل في ندرة المصادر والمراجع العربية الخاصة "بسيمون فايل"، مما استلزم وقتاً وجهداً في الترجمة والبحث عن أصول المصطلحات ومعانيها.

وفي النهاية نسأل الله التوفيق.

**أولاً: الوجود الإنساني بين المعاناة والضيق:**

" الإنسان مولود للمشقة كما أن الجوارح لارتفاع الجناح"<sup>(١)</sup>

عجيب أن الإنسان يعرف جيداً أن المعاناة والمشقة سمة أساسية متزامنة مع وجوده، وتأتي هذه المعرفة من إحساسه الدائم بالضعف والعجز؛ فإحساس الإنسان بأنه كائن محدود ومُلَقَى به دائماً في مواجهة قوى خارجة عن إرادته، سواء كانت هذه القوى متمثلة في ظواهر العالم الطبيعي، أم في داخله وداخل نفسه ذاتها، فإن مواجهة الإنسان لهذه القوى ومحاولاته الدائمة للتصدي لها والتغلب عليها هي التي تجعله عرضة للشعور بالألم، وتسمح بتسلل فكرة المعاناة إلى روحه<sup>(٢)</sup>.

إن فكرة المعاناة في حد ذاتها تبدو فكرة شديدة التعقيد، ويرجع ذلك إلى تعدد أبعادها؛ فهي أكثر من كونها مجرد حالة فيزيائية بحتة، بل يمكن أن ننظر إليها باعتبارها تجربة ذاتية تختلف من فرد إلى آخر، وهي ناتجة عن شعور الإنسان بأن شيئاً ما يهدد وجوده، سواء كان ذلك الوجود جسدياً أم نفسياً أو اجتماعياً، ولكن على الرغم من اختلاف مجالاتها، إلا أنها تتشابه في تأثيرها، فهي غالباً ما ترتبط بالألم الجسدي في أحد جوانبها، وما يصاحبه من ظواهر متعددة كاليأس، والحزن، والخوف، ويُلاحظ أنه سواء كانت فترة المعاناة طويلة أم قصيرة فهي دون شك تصبح مؤثرة في أفكارنا، وتحدد من توجهاتنا نحو المستقبل، وكأنها تتقل كاهلنا بلا انقطاع.<sup>(٣)</sup>

ولكن المشكلة الكبرى تظهر في تعامل الإنسان معها، وتفسيراته المختلفة لها، فالسؤال البيديهي الذي يطرحه: لماذا أعاني؟ وماذا لو كانت الحياة خالية من المتاعب والمشقات، فيعيش الإنسان في سعادة دائمة؟

(١) الكتاب المقدس: سفر أيوب (٧:٥).

(2) Aaltola, E.: Philosophical Narratives of Suffering: Nietzsche, Levinas, Weil and Their Cultural Roots, P:22.

(3) Hyvärinen, A.: Painful intelligence: What I can tell us about human suffering, University of Helsinki, Version 1, 2022, P:16,17 & Aaltola, E.: Philosophical Narratives of Suffering, P:23.



إن محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات كانت مسار اهتمام الفكر الإنساني على مر العصور؛ نراها في الكتابات البوذية<sup>(\*)</sup>، وتحاول الروايقية أن تبحث فيها من أجل تحقيق سعادة الإنسان<sup>(\*\*)</sup>، ويجتهد الفلاسفة المؤمنون في تفسيرها تفسيراً دينياً يوفقون من خلاله بين حرية الإنسان والعناية الإلهية<sup>(\*\*\*)</sup>،

(\*) ترى البوذية أن المعاناة هي أمر أساسي في الحياة الإنسانية، ويمكن أن تتلخص رؤية البوذية في معالجتها لفكرة المعاناة فيما يسمى بالأربع حقائق النبيلة وهي أولاً: إن الحياة معاناة، ثانياً: المعاناة سببها الشهوة، ثالثاً: المعاناة من الممكن أن تنتهي، ورابعاً يوجد طريق يقود إلى نهاية المعاناة وهو اتباع الطريق الوسط ذي الثماني شعب: سلامة الرأي، سلامة النية، وسلامة القول، وسلامة الفعل، وسلامة العيش، وسلامة الجهد، وسلامة الوعي، وسلامة التركيز. وتشير المعاناة عند البوذية إلى معانٍ متعددة مثل الميلاد والمرض، والشيوخوخة والموت، وإذا كانت تلك الأمور تتضمن ألماً بدنياً، فإن المشكلة الكبرى هي تكرار تلك الحالات وفقاً لنظرية الألم والميلاد المتكرر. وهناك بجانب ذلك النوع من المعاناة نوع من المعاناة يمكن أن يطلق عليها المعاناة الخفية، والتي يمكن أن نطلق عليها معاناة وجودية تتمثل في ذلك النوع من خيبة الأمل، والإحباط، والتحرر من الوهم الذي نراه عندما لا تسير الحياة وفق توقعاتنا أو كما نرغب.

>> انظر جون كولر: الفكر الشرقي القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، يوليو، ١٩٩٩، العدد رقم ١٩٩، ص ١٧٩، ١٨٠، ١٨٨ & داميان كيون: البوذية مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: صافية مختار، مؤسسة هنداوي للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٦٤، ٦٥ <<

(\*\*) كانت الكيفية التي يحقق بها الإنسان السعادة هي أحد اهتمامات المدرسة الروايقية، ولذلك حاولت الروايقية تأويل الأمور التي تبدو سيئة وقسمتها إلى قسمين: الشرور الباطنية: كالأسف والندم والحزن والجهل، والشرور الخارجية كالفقر والعبودية والمرض والبؤس والإهانة، وقد عالج الروايقون هذه المشكلة فقالوا: إن سعادة الإنسان لا تخضع للظروف التي تحيط به، وإنما تتوقف على حالة النفس وسلطان الإرادة عليها فليست كل الأشياء الخارجية هي التي تؤثر في وجودنا الباطني، وإنما استعدادنا النفسي هو المؤثر الذي يجعلنا نحيا في هذه الظروف ونصدر عنها أحكاماً تقويمية أي نصفها بالقبح أو الحسن، بالخير أو الشر، وبالتالي فإن هذه الأحكام التي نطلقها على ظروفنا الاجتماعية هي التي تجعلنا نشعر فيها بالسعادة أو الشقاء بالراحة أو التعب؛ فإذا كان للإرادة سلطان على أحكامنا، وكانت السعادة منوطة بهذه الأحكام، فالسعادة هي أمر يستطيع كل فرد الوصول إليه عندما يتحرر من أوامير الأحكام، إذن فالذي يصيب الناس ويؤثر في حياتهم ليست هي الأشياء نفسها بل آراؤهم عن الأشياء، وبالتالي يمكننا القول أن تأويلنا وأحكامنا على الأحوال هو الذي يشعروننا بالمعاناة وليس الأشياء في ذاتها. إذن فنحن من يصنع صورة المعاناة من خلال انفعالاتنا، ونشعر بالسعادة حين نتحكم في هذه الانفعالات.

>> انظر: عثمان أمين: الروايقية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٤٥، ص ١٦١-١٦٣ <<

(\*\*\*) يعتبر تفسير المعاناة بالنسبة للفلاسفة المؤمنين أمراً معقداً، فهي من جانب تُظهر العلاقة بين الوجود الإلهي والعالم فيما يعرف بنظرية العناية الإلهية، ويتبع ذلك البحث في مفهوم الشر، وإذا ما الله خلق ذلك الشر أو قادر على نهايته، وأشهر مثال لهذا الفكر هو القديس "أوغسطين"، "سبينوزا" و"ليبنز"، وكذلك أيضاً تُظهر العلاقة بين الوجود الإنساني والوجود الإلهي، وهل ما يبل بالإنسان من معاناة أو مصاعب هي نتيجة لخطايا ارتكبها أو آتاه يعاقبه الله عليها، أو ما يعرف باسم نظرية العدالة الإلهية "Theodicy"، أم أنها وسيلة من خلالها يقيه الله كقول داود النبي في المزمور "الرب يمتحن الصديق" (مزمور ١١: ٥)، وأيضاً تطرح صرخات الإنسان التي تتعالى أثناء المعاناة "أين أنت يا إلهي لم تحجب وجهك عني، ولماذا تخفتني في أزمنة الضيق" (مزمور ١٠: ١) كل التساؤلات عن مدى حضور وغياب الله أوقات الضيق والمعاناة والغرض منها.

Anthony, E.o.: problem of Suffering: The Philosophical Perspective, International Journal of Religion and Theology, vol.4, No.1, Dec.2015, P:27-30.

Bradshaw, A., & Fitchett, G.: "God, why did this happen to me?" Three perspectives on theodicy. Journal of Pastoral Care & Counseling, Vol. 57(2), 2003, 179-189.

بينما يراها الفلاسفة غير المؤمنين دليل على عدم وجود الله من جانب، وتحدي للإنسان وفرصة لتحقيق ذاته وإثبات وجوده في هذا العالم من جانب آخر (\*).

واللافت للنظر هنا أنه مع اختلاف وجهات النظر التي ناقشت المعاناة بكل صورها، فإنها تركز على ثلاثة أمور أساسية:

١. البحث عن السبب: فمعظم المعاناة ناتجة عن أمرين، الأول الإخفاق وعدم القدرة على الوصول إلى أمر ما، والثاني هو الشعور بالتهديد (\*\*)، وبناء على ذلك يمكننا القول إن السبب في المعاناة هو ذلك الجدل القائم بين قدراتنا وتوقعاتنا.

(\* ) يرفض الفلاسفة غير المؤمنين الجانب الغائي في تفسير المعاناة أو البحث عن سبب لها، خاصة إذا كان هذا السبب يرتبط بالتفسيرات الدينية مثل أن هذا الأمر يحدث باعتباره نوعاً من أنواع العقاب، وينادون بأن الاعتقاد بوجود سبب أو غرض في أحداث الحياة العادية ليس ضرورياً، فهناك من أرجعها إلى طفولة العقل البشري مثلما تحدث "فرويد" من قبل، ورفض "هيوم" لفكرة السببية التي اعتبرها شكلاً من أشكال التعود، كما ظهر هذا الأمر بوضوح مع ظهور التيارات العدمية ودعواتها إلى الافتقار في المعنى والقيمة والغاية، كما ظهرت في كتابات "نيتشه" عندما شخص داء عصره بأنه المحاولة الدائمة عن البحث عن إجابة للسؤال "لماذا" في محاولة منه لتجاوز تراث المقولات القديمة مثل القصد والوحدة والغاية والحقيقة، من أجل إعطاء الفرصة للإنسان لإبداع قيم جديدة، ولذلك حاول نيتشه توضيح أن الإنسان لا يستطيع تحمل التفكير في فكرة أن الوجود بأفراحه وأحزانه لا يعني شيئاً. وأن وجود المعاناة في حد ذاته ليس سبب الكرب واليأس للبشر، ولكن تقبله لفكرة عدم وجود لهذه المعاناة فيقول في كتابه "جينولوجيا الأخلاق: "إن الإنسان أشجع الحيوانات وأكثرهم اعتياداً على المعاناة، لا ينبذ المعاناة في حد ذاتها؛ إنه يرغب في ذلك، بل إنه يبحث عنها بشرط أن يظهر لها معنى، هدفاً من المعاناة. إنه عدم المعنى من المعاناة، وليس المعاناة نفسها، كانت اللعنة الملقاة على البشرية. ومن جانب آخر يدعو "نيتشه" كل إنسان أن يكون بطلاً من خلال مواجهته وتحديه الدائم للمخاطر وتقبله للمعاناة فيقول في كتابه الحكمة المرحلة: "ما الذي يجعل منك بطلاً؟ إن تحقق أبلغ معاناة، وأقصى أمل لك في الوقت نفسه"

<< -Banerjee, K., & Bloom, P. Why did this happen to me? Religious believers' and non-believers' teleological reasoning about life events. Cognition, vol.133 (1), 2014, 277.

-Powell, E.: Suffering in the Work of Feodor Dostoevsky, Albert Camus & Milan Kundera, University of Western Sydney, 2007, P:13-15.

- Michelman, S.: "Historical Dictionary of Existentialism", Art: "Nihilism", The Scarecrow Press, Inc, 2008.P: 247.

- Nietzsche, F, On the Genealogy of Morals, trans. by: W. Kaufmann & R.J. Hollingdale, Vintage Books Edition, New York, 1989, P:162.

-Nietzsche, F.: The Gay Science, Trans. by : Josephine Knockoff, Cambridge University Press, 2001.P:152.>>

(\*\*) مثلما تحدث "شوبنهاور في مقالة كتبها بعنوان "معاناة العالم" يقول: إننا كالحملان في حقل، تلهو فيه تحت أعين الجزار الذي ينظر إلينا لينتقي واحداً بين الحين والآخر. إن هذه هي الحال، ففي أيامنا الحلو، نكون على غير وعي بهول وشر المصير الذي ينتظرنا حاضراً - المرض، والفقر، والتشوه، وفقدان البصر أو العقل. كلها صور لمعاناة طفيفة، أما المعاناة الكبرى فهي في ذلك الزمان الذي يحيط بنا أبداً، ولا يدعنا نأخذ نفساً واحداً، بل يطاردنا بلا كلل، كمرآب متعسف يحمل سوطاً معه. وإذا توقف في لحظة ما، فلن يكون ذلك إلا عندما تُساق إلى البؤس والممل".

<<Schopenhauer, A.: The Essays of Arthur Schopenhauer; Studies in Pessimism:" On the Sufferings of the World", Trans. By: T. Bailey Saunders, cosimo classics, New York,2007, p: 6.>>

٢. كيف يمكن التقليل من المعاناة؟ وما الوسائل التي تحقق ذلك؟ فعلى سبيل المثال إذا كانت المعاناة جسدية أو نتيجة لألم أو مرض ما؛ فسيحاول الطبيب الوصول إلى العلاج المناسب لها، وإذا كانت على المستوى الاجتماعي فسيبحث عالم الاجتماع عن الوسائل التي تحاول التقليل من هذه المعاناة، وهكذا على المستوى النفسي، وحتى من النظرة الفلسفية سنجد أن الفلاسفة في دراستهم للمعاناة وبعد تحديدهم للأسباب، يقترحون الكيفية التي يمكن من خلالها أن نجتاز هذه المعاناة من أجل تحقيق السعادة.

٣. الثواب أو الجزاء الذي يعقَّب تحمل الإنسان لهذه المعاناة، وفي الغالب يكون الجزاء هو الهدف الذي يريد الإنسان الوصول إليه، وربما كانت الحياة الخالية من المشقات والنعيم الأبدي في العالم الآخر هي الجزاء الأكثر ارتباطاً بالمعاناة، أو ما يعرف بفكرة "اليوتوبيا" بصفة عامة سواء كانت يوتوبيا دينية أم اجتماعية(\*) .

(\*) اليوتوبيا: utopia الكلمة في أصولها اللغوية اللاتينية تعنى "لا مكان" أو "ليس في أي مكان"، وهي تشير إلى ذلك العالم المثالي أو الفردوس الأرضي، الحلم الذي راود الفكر الإنساني منذ بدايته؛ ففي مقابل العالم الذي يمتلئ بالمصاعب والمشقات، هناك على الجانب الآخر من الوجود تلك اليوتوبيا، وبالرغم من أن أول من استخدم هذا المصطلح هو الإنجليزي "توماس مور" (١٤٧٨-١٥٣٥) ليصور به مدينته الخيالية ذات النظم المثالية التي تضمن لأفرادها كل أسباب الخير والسعادة، إلا أن إرهابات الفكرة نجدها عند "أفلاطون" في جمهوريته، وتصوره عن المدينة الفاضلة، وفي "مدينة الله" عند "أوغسطين"، و"آراء أهل المدينة الفاضلة" عند الفارابي، بل يمكن القول إن أفكار "كارل ماركس" عن المجتمع الشيوعي ما هي إلا يوتوبيا يتحقق فيها العدالة والمساواة الاجتماعية، كل هذه التصورات ما هي إلا محاولات للهروب من المعاناة الإنسانية.

وفي اتجاه مضاد ظهر عند فلاسفة الفكر الوجودي اللاديني مفهوم "التضليل" في إشارة إلى الاتجاهات الفلسفية والدينية التي تحاول أن تخدع الإنسان بأن الحياة في هذا العالم لا تستحق ان تعاش لأنها مليئة بالمعاناة والألم والشقاء، والأفضل من ذلك توجيه الأنظار إلى ذلك العالم الآخر المزعم الذي تتحقق فيه للإنسان السعادة الدائمة، فعلى سبيل المثال : عبر "نيتشه" عن ذلك الأمر في انتقاده لرجال الدين المسيحي علي وجه الخصوص لأنهم قاموا بتضليل الإنسان عندما ساعدوه في اختلاق عالم آخر مثالي، وانتقصوا من قيمة العالم الأرضي، مما جعله يركز أمله في العالم الآخر بدلاً من أن يسعى إلى تحقيقه في الزمان والمكان. أما "البيير كامى" فكان يرى أن الاعتقاد بوجود حياة أخرى غير التي نحياها من أكثر الأوهام التي سيطرت على العقل البشري، وهي تجعل الإنسان لا يهتم بحياته الحاضرة بل وربما يفضل الموت رغبة في التخلص من ذلك الشقاء الأرضي بحثاً عن السعادة في حياة أخرى تفوق هذه الحياة، ولكن "كامى" يرى أنه ليست هناك سعادة فائقة ولا أبدية خارج مُنحنى الأيام، بل إن الخطيئة الكبرى عند "كامى" ليست هي لباس من الحياة، بل هي الأمل في حياة أخرى، والهروب من عظمة هذه الحياة الدنيا.

انظر:

- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مادة" الطوبأوية"، ج٢، ص ٢٤ & توماس مور: يوتوبيا، ترجمة: انجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٣، ١٤.

وهنا يأتي تميز "سيمون فايل" في معالجتها لفكرة المعاناة فهي لم تر في المعاناة أمراً مقلماً أو مهدداً للحياة، فهي على المستوى الشخصي عاشت طوال حياتها تبحث عنها وتهوى الحياة التي يشوبها الخطر والمعاناة، فكان البقاء على هامش الخطر أو بعيداً عن المعاناة هو الأمر الذي يجلب لها الألم الحقيقي، وقد عبرت عن ذلك الأمر في إحدى رسائلها قائلة: "إذا كانت المعاناة أمراً مزعج للجميع بل يصل إلي حد الإبادة، ولكنها الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها إحياء نفسي وتحريها"<sup>(١)</sup>(\*) .

لقد نظرت "فايل" إلى المعاناة باعتبارها سمة لازمة ومميزة للوجود الإنساني، توجهه نحو فهم أكثر وضوحاً لذاته، تكشف له عن حقيقته، ويكتشف الإنسان من خلالها أنه جزء لا يتجزأ من هذا الوجود، يخضع لقوانينه وضروراته، ويتعلم من خلالها كيف يتواضع وينكر ذاته حتى يستطيع أن يصل إلى حقيقة هذا الوجود الذي تختزله "فايل" في كلمة واحدة هي "المحبة"<sup>(٢)</sup>، وعندما تتحدث "فايل" هنا عن المحبة فهي لا تقصد بها صفة من صفات الوجود الإلهي، بل تقصد الوجود الإلهي نفسه، إذ تقول أن الله في جوهره محبة حتى أن الوجدانية

- فريدريش نيتشه: العلم الجدل، ترجمة: سعاد حرب، دار المنتخب العربي، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٧٣ & فريدريش نيتشه: عدو المسيح، ترجمة: جورج ميخائيل ديب، دار الحوار، الطبعة الثانية، دت، ص ١٠٧.
- ألبير كامي: أسطورة سيزيف، ترجمة: أنيس زكي حسن، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٧، ١٦. & ألبير كامي: أعراس، ترجمة: جورج طرابيشي، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٧٠، ص ٤٤، ٤٦.

(1)Pétremont, S.: Simone Weil : a life, Trans.By: Raymond Rsenthal, Pantheon Books, New York :1976,P:482.

(\*) يظهر في هذا الجزء التشابه الكبير بين "سيمون فايل" واحساسها الدائم بأن الخطر والمعاناة هي الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها إظهار قدرات الإنسان، وبين فكر "نيتشه" كما ظهر في كتابه الحكمة المرحمة حين تحدث عن الرجال الممهدون أي الذين يمهدون الطريق للحياة الجديدة بعدما قاموا بتحطيم كل المعتقدات والأفكار القديمة التي تقف عائقاً أمام تحد قدرة الإنسان على الإبداع، هؤلاء الرجال هم من يتحلون بالشجاعة والإقدام ولديهم الرغبة في تجاوز كل العوائق، ولذلك يقول لهم حكمته ونصيحته لهم فيقول: " كي تجني من الحياة أسمي ما فيها عش في خطر believe me! the secret for harvesting from existence the greatest "fruitfulness and the greatest enjoyment is: to live dangerously!

<< Pétremont, S.: Simone Weil : a life,P:482& Nietzsche, F. :The Gay Science," Preparatory human beings",P:160.>>

(2)Aaltola, E. :Philosophical Narratives of Suffering :Nietzsche , Levinas, Weil and Their Cultural Roots. .P:30.

التي هي تعريفه بأحد المعاني ليست سوى مجرد نتيجة لهذه المحبة<sup>(١)</sup> (\*). وتري "فايل" أنه بداخل كل منا بذرة لذلك الحب الإلهي، بذرة متناهية الصغر وملقاة في النفس، تنمو بهدوء وتنتظر أن تثمر<sup>(٢)</sup>، إنها بداخل كل إنسان فكل فضائل النفس وملكاتهما ما هي سوى تلك المحبة، فعلى سبيل المثال فضيلة الإحسان هي ممارسة لمملكة المحبة، وفضيلة الإيمان هي تعلق جميع ملكات النفس بمملكة المحبة، وفضيلة الرجاء هي توجه النفس نحو تحولٍ تصبح بعده النفس بكليتها محبة<sup>(\*\*)</sup> ولا شيء غير المحبة، ولكي ترتبط جميع الملكات الأخرى بمملكة المحبة لا بد لكل واحدة منها أن تجد في ملكة المحبة خيرها الخاص، وخاصةً ملكة العقل التي هي أعلى ملكة بعد المحبة.

ولكن طبيعة العقل تجعله لا يُدركُ تلك المحبة إلا بالاختبار، وذلك الاختبار لن يتم إلا في لحظات المعاناة عامة، والضيق خاصة وبشكل أوضح، وربما تكمن الصعوبة في أن العقل لا يجد سبباً عقلانياً في قبول هذه العلاقة، فهذا الارتباط بين العقل "الإنسان"، والمحبة "الوجود الإلهي" شيء خارق للطبيعة، لا يتم إلا عندما يصمت ذلك العقل ليدع المحبة تغزو النفس، وقتها سيجد ذلك

(١) سيمون فايل: مختارات، "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٤.

(\*). إن مفهوم المحبة عند "فايل" باعتبارها جوهر الوجود الإلهي في المسيحية يقترّب من مفهوم الحب بمعني "الأغابي" في الفكر اليوناني، فقد جرت العادة على استخدام هذه الكلمة للإشارة إلى الحب الروحي، وقد نالت هذه الكلمة انتشاراً واسعاً خاصة مع امتزاج المسيحية بالفكر اليوناني، وهي تعبر عن العلاقة بين الله المحب والإنسان، ويتميز حب الأغابي بفكرة "البذل" والتضحية والإيثار والتعقل والاستقرار، والاعتراف بالآخر، والتسليم بضرورة قيام العلاقة على أساس من التبادل الشخصي، ويأتي ذلك المفهوم في المسيحية متأثراً بفكرتي التجسد والفداء، وهاتان الفكرتان مصدرهما حب الله للإنسان ورغبته في إقامة المصالحة بين المتناهي واللامتناهي، فالله يحب الإنسان، ويريد منه أن يصل إليه، وهذا لن يكون إلا عن طريق الحب، فالله هو الحب أو المحبة، ومحبة الله ليست سوى كرمه، وهو من امتلأه يفيض بشكل غامر، ويحب نفسه، سواء في نفسه أو في كل أعماله ومخلوقاته، فالله هو علة الحب بمقدار ما يولد في الحب ذاته، ويحدثه في الموجودات الأخرى كصورة مشابهة لنفسه.

>> انظر: إثنين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح، مكتبة مدبولي، ط٣، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٣٤٤. & زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، دار مصر للطباعة، ط٣، القاهرة، ١٩٨٤، ص: ١٥٠-١٥٣ <<

(٢) سيمون فايل: مختارات، "الخبرة مع الله. رسالة إلى جو بوسكيه"، ص ٧٠.

The virtue of charity is the exercise of the faculty of supernatural love. The virtue of faith is the subordination of all the soul's faculties to the faculty of supernatural love. The virtue of hope is an orientation of the soul towards a transformation after which it will be wholly and exclusively love.

<< Weil, S: Letter to a priest, Trans.by: A.F.Wills, Putnam, New York, 1954, P:58.>>

العقل نفسه محاطاً بنور أكثر مما مضى، وبقدرة أكبر على فهم الأشياء والحقائق الخاصة به. إن لحظات الصمت هذه هي المنوطة بتدريب العقل، ومن خلالها يكون في وسعه إدراك الحقائق، ولكنه يدركها بعد أن يمر صامتاً عبر اللامعقول the unintelligible<sup>(\*)</sup>(١).

فكيف يتم ذلك؟ وكيف تتكشف هذه الحقيقة؟ ذلك ما سيتضح من خلال فهم طبيعة المعاناة أولاً، ثم مفهوم الضيق.

### ثانياً: سمات المعاناة عند "فايل"

#### ١. المعاناة هي السمة الخاصة بالوجود الإنساني وحده<sup>(\*\*)</sup>(٢): ربما تبدو العبارة

غريبة، ولكن "فايل" ترى أن المعاناة والشعور بالألم يمكن اعتبارهما أمراً إنسانياً يتفرد به الوجود الإنساني.

فلنتوقف هنا لشرح ذلك الأمر: نتخيل شخصاً فقيراً يشرح لآخر غني ما الشعور بالحرمان، هل يشعر به أو يحس بمعاناته؟ بالطبع لا. إن "فايل" ترى في هذه الحالة تمييزاً للفقير بامتلاكه ذلك الشعور، في حين أن ذلك الغني قد يتوفر لديه من المشاعر ما لا يمكن حصره، ولكن يبقى أن هناك شعوراً لم يعرفه. وبالقياس نفسه ترى "فايل" أن المعاناة هي ذلك الشعور الإنساني الذي يخص الإنسان يتميز وحده دون سائر المخلوقات فقط، حتي علي الوجود الإلهي ذاته.

(١) سيمون فايل: مختارات، "رسالة إلى رجل دين"، ص ٩٨، ٩٩. (\*) اللامعقول the unintelligible: تشير هذه الكلمة في المعجم الفلسفي إلى ما لا نستطيع إدراكه أو تفسيره بأسباب مقبولة في العقل، وهذا المعنى عند "فايل" يشير إلى مفهوم المحبة والإيمان في المسيحية، وهنا نرى التقارب الواضح بين رؤيتها للامعقول ورؤية "كيركجور" للإيمان المسيحي؛ فالمسيحية عند "كيركجور" تعتمد علي الإيمان الذي يتضمن صلب الفكر "crucifixion of the intellect" في محاولة بطولية لفهم ما هو مستحيل منطقياً. فجوهر المسيحية عند "كيركجور" هو الإيمان بالمفارقة، أي ذلك "التناقض المتحقق في العالم الخارجي، وهو تناقض أمام العقل فقط ينظر إليه في دهشة دون أن يتمكن من قبوله أو التسليم به لأنه ليس موضوع "فهم" بل هو موضوع إيمان".

>> انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي: مادة "اللامعقول"، ج(٢)، ص ٢٧٥ & إمام عبد الفتاح: كيركجور رائد الوجودية، (ج ٢)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦. ص ٣٩٨.

Evans, C. S.: "Kierkegaard on Faith and the Self", Baylor University Press, Texas, USA, 2006, P:14>>

(\*\*):Suffering: superiority of man over God.

(2) Weil, S: Gravity and Grace," Affliction", P:81

إن ذلك الأمر يبدو معضلة، فكيف يمكن أن يتصف الوجود الإلهي كلي القدرة بالنقص، لا بد من وجود مخرج لهذه المعضلة(\*).

إنها "فكرة التجسد The Incarnation" (\*\*). لقد كان التجسد ضرورياً حتى يتلاشى ذلك التفوق الإنساني، فلو لم يكن التجسد لكان الإنسان الذي يتألم ويموت أفضل من الله بمعنى ما (١) (\*\*\*) .

لقد أراد الله من خلال التجسد أن يشارك الإنسان في كل مشاعره، حتى في مشاعر الألم، كأن "فايل" تريد أن تقول ما قاله بولس الرسول في رسالته للعبرانيين: "لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يُقدّر أن يُعين المُجربين" (١).

(\*) المعضلة Aporia: انها الصعوبة المنطقية التي لا يمكن الخروج منها. وهذا الأمر ينطبق على السؤال المطروح عن كيفية التوفيق بين كون الوجود الإلهي وهو الكلي القدرة يشوبه النقص، تلك المعضلة التي تري "فايل" ان المخرج الوحيد لها هو "عقيدة التجسد".

>> انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مادة: المعضلة"، (ج) ٢، ص ٣٩٤ <<

(\*\*) "عقيدة التجسد The Incarnation" في المسيحية: التجسد هو العقيدة الجوهرية في المسيحية، وفحواها أن اقنوم الكلمة وهو احد الأقانيم الثلاثة (الأب والابن والروح القدس) تجسد ليحمل عن الإنسان حكم الموت (عظيم هو سر التقوي الله ظهر في الجسد) (١ تي ٣: ١٦)، أما عن السبب في التجسد فيشرحه القديس أثناسيوس (البابا) في كتابه تجسد الكلمة فيقول: الله صالح بل هو بالأحرى مصدر الصلاح ولذلك خلق كل الأشياء من العدم، ثم خلق الإنسان متميزاً عن كل الخليقة غير العاقلة؛ ليتسلط عليها ويستخدمها لخدمته، فهو الكائن العاقل ولأن المخلوق على صورة الله ومثاله، ولكن عندما أخطأ الإنسان فقد ماثلة صورة الله، وفقد كل الامتيازات الممنوحة له، فصار خاطئاً، مائثاً، فاسداً، لم يكن ممكناً أن يُقضى على فساد البشرية ولأن الله كلي العدل فلا بد أن ينفذ حكم الموت \_ ولكن ذلك يعني انتقاص من محبة الله ورحمته، وانتصار للشيطان ومقصده في تشويه خليفة الله، فكان لا بد أن يكون هناك من يموت نيابة عن الجميع ويموته يحي الجميع، ويصلح فساد الطبيعة الإنسانية، ولهذا اتخذ اقنوم الكلمة لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى إنه عندما يتحد هذا الجسد بالكلمة الذي هو فوق الجميع، يصبح جديراً ليس فقط أن يموت نيابة عن الجميع، بل ويبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به. ومن ذلك الحين فصاعداً يُمنع الفساد من أن يسرى في جميع البشر بنعمة القيامة من الأموات. لذلك قدم للموت ذلك الجسد الذي اتخذه لنفسه كتقدمة مقدسة وذبيحة خالية من كل عيب. وببذله لهذا الجسد كتقدمة مناسبة، فإنه رفع الموت فوراً عن جميع نظرائه البشر. ولأن كلمة الله هو فوق الجميع فقد كان لائقاً أن يقدم هيكله الخاص وأداته البشرية فدية عن حياة الجميع موفياً دين الجميع بموته، وهكذا تم (في جسد المسيح) فعلا متناقضان في نفس الوقت: أولهما موت الجميع قد تم في جسد الرب (على الصليب). والثاني: هو أن الموت والفساد، قد أبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به. فلقد كان الموت حتمياً، وكان لا بد أن يتم الموت نيابة عن الجميع؛ لكي يوفى الدين (أي الموت) المستحق على الجميع."

>> انظر: القديس أثناسيوس: تجسد الكلمة، ترجمة القس داود مرقص، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٣٩٤، ٤٠٠، ٦٨، ٧٠ <<

(1) Weil, S: Gravity and Grace, "introduction", P: xxviii

(\*\*\*) يمكن أن نجد تشابهاً بين هذه الفكرة وما كتبه سارتر في مسرحية "الشیطان والإله الطيب" التي تدور في ألمانيا أيام حرب الفلاحين، بطل المسرحية هو "جوتز" الأمير الألماني والقائد العسكري الذي يتحدى الله بارتكابه الشر إلى أقصى حد؛ فيسفك الدماء ويثير الرعب والفرع وينشر الدمار، ولما قيل له أن الشر أمر شائع، وأن الخير وقف على الله، قرر أن يتحدى الله بأن يصنع الخير ولكن خيره أدى إلى هلاك الذين معه، لقد أراد أن يحقق لهم فردوس على الأرض، ولكنه حين يفشل في محاولته يعلن صراحة إحاده ويعلن إنكاره لله من أجل أن يفسح مكاناً للإنسان، ولم يكن هذا الإلحاد سوى صورة أخيرة لرفضه لله الذي تحدها في بداية القصة.

>> انظر: جان بول سارتر: الشيطان والإله الطيب، ترجمة غياث حجار، دار الاتحاد، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٢. & كوستي بندلي: إله الإلحاد المعاصر، منشورات النور، بيروت ١٩٦٨، ص ١٢٧ <<

لقد اتخذت فكرة "التجسد" عند "كيركجور" سمة "المفارقة المطلقة The absolute Paradox"، وموضوع هذه المفارقة هو "دخول الأبدية في الزمان"، فعند لحظة معينة في التاريخ يظهر الله في شكل كائن بشري متواضع، ولكن في الحقيقة هذا الكائن المتواضع هو الله في شخص "يسوع المسيح"، الذي يمثل "الإنسان \_ الإله"، وهذا هو موضوع الإيمان الذي يتجاوز العقل والفهم البشري<sup>(٢)</sup>،

وهنا نرى أن التجسد عند "فايل" يأخذ طابع المفارقة واللامعقول، ولكن من جهة أخرى، فهو عندها يمثل تلك اللحظة التي يشعر ويشارك فيها اللامحدود في ألم ومعاناة خليقته، إنها صورة المحبة الفائقة والكاملة التي ستتجلى بعد ذلك على الصليب.

## ٢. المعاناة والنظرة للجسد

امتلاً الفكر الفلسفي بمقاربات مختلفة للجسد في علاقته مع الروح، نراها بداية من البوذية والديانات السرية عند اليونانية، وامتداد أثرها في الفيثاغورية وحتى أفلاطون، فظهرت التشبيهات التي ترى في الجسد ذلك السجن الذي تُسجن فيه النفس ويمنعها من الانطلاق؛ ولذلك يجب أن نقوم بترويضه وإذلاله حتى ترتقي النفس وتكتشف لها حقيقة الوجود، وقد وصل هذا الأمر إلى ذروته مع الغنوصية التي رأت في الجسم الجانب الدنس والخطئ في الإنسان.

بل إن هذه الصورة امتدت لدى بعض الفلاسفة المسيحيين، الأمر الذي جعل الفكرة السائدة عن المسيحية أنها تزدرى الجسد، وهذا ما أشار إليه "نيتشه" بوضوح، فقد أخذ "نيتشه" على المسيحية أنها تحتقر الجسد، وتتظر إليه كعدو، وتزعم أن المرء قد يمتلك "روحاً طيبةً" في جسد مسخ ومعتل ويبدو كجثة<sup>(٣)</sup>، ونظر إلى المعاناة باعتبارها الأداة التي تغرس في الإنسان سلسلة من الإحساسات بالذنب، التي تترجم بعد ذلك باعتبارها خطايا لا بد من التكفير عنها،

(١) الكتاب المقدس: رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين (٢: ١٨).

(2) Walsh, S: Kierkegaard Thinking Christianly In An Existential Mode, Oxford University Press Inc., New York, 2009. P:154.

(٣) فريدريش نيتشه: إرادة القوة ، ترجمة: محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١١، ص ٩١.



وتتحول حياة الإنسان إلى معاناة دائمة نتيجة شعوره الدائم بأنه آثم أو مذنب، وبالتالي لن يكون المخرج من هذا الأمر سوى "التوبة" و"الخلاص" و"الغفران"<sup>(١)</sup>.

أما "فايل" فتخالف هذه الآراء وتتنظر إلى الجسد ومعاناته من زاوية أخرى تحت شعار أطلقت عليه "كرامة المعاناة dignity of suffering"؛ فترى أولاً أن للجسد أهمية قصوى، فهو العنصر الضروري في الإنسان، وكل الغرائز البيولوجية كالجوع والعطش والرغبة الجنسية وغيرها أمور أساسية لا يمكن للإنسان الاستغناء عنها طالما أنها تظل في مجال الحياة البيولوجية، ولكن بمجرد خروج هذه الغرائز والدوافع من مجال الضرورة البيولوجية، فإن هذه الرغبات الجسدية تبدأ في التعارض مع الوظائف الأخلاقية للجسد، ويبدأ الصراع بين ما هو كائن، وما يريده الإنسان، وما ينبغي أن يكون<sup>(٢)</sup>.

لقد اتبعت الفلاسفة السابقة فكرة القمع لذلك الجسد حتى تسمو الروح، ولكن "فايل" تتجه اتجاهاً آخر يعتمد على تصور جديد لمفهوم الضرورة؛ إذ ترى أن الضرورة هي ذلك "الغطاء أو الحجاب الذي يخفي الوجود الإلهي وراءه"<sup>(٣)</sup>، وترى "فايل" أن لهذه الضرورة جانبين، الجانب الأول: هو "الممارسة"، وهذا الجانب يمكن أن يكون في الأمور التي يقبلها الإنسان وتتوافق مع إرادته، أما الجانب الآخر هو "التحمل"، وغالباً ما يكون في الأمور التي تتعارض مع رغبات الإنسان<sup>(٤)</sup>، وبالتالي فمن أراد أن يصل إلى ذلك الوجود المحتجب لا بد أن يكشف ذلك الغطاء، وهذا لن يتم من إلا من خلال مفهوم جديد أيضاً وهو "مفهوم الطاعة obedience".

فالطاعة عند "فايل" هي جوهر المادة، وبما أن الجسد يمثل الجانب المادي في الإنسان، فلا بد أن يخضع لهذا المبدأ، وبهذا سيكون الإنسان كمخلوق عاقل وحر أمام خيارين: إما أن يرفض هذه الطاعة، ووقتها سيظل

(١) فريدريش نيتشه: إرادة القوة، ص ٧٦.

(2)Veto, M: The religious metaphysics of Simone Weil, Trans.by: Joan Dargan, State University of New York Press,1994,P:71.

(\*)Necessity is God's veil.

(3) Weil, S: Gravity and Grace," The distance between the necessary and the good ",P:104.

(4) Weil, S: Gravity and Grace," Necessity and Obedience ",P:43.

أيضاً في حالة من الخضوع لتلك الضرورة العمياء التي يتشابه بها مع باقي الكائنات، أو أنه بإرادته يرغب ويخضع لهذه الضرورة، وقتها يبدأ الإنسان في أن ينظر إلى ذلك الوجود بنظرة مختلفة، يميز فيها تلك الضرورة الآلية في كل ما هو موجود ووفي ما كل ما يحدث، ويتذوق في هذه الضرورة الجمال اللانهائي للطاعة<sup>(١)</sup>.

إن الطاعة عند "فايل" هي الفضيلة العليا التي يجب أن يتحلى بها الإنسان<sup>(٢)</sup>، ولا تظهر هذه الفضيلة بالطبع في الجوانب التي توافق هواه أو ورغباته، ولكنها تظهر بوضوح في أوقات المعاناة عامة، والمعاناة والألم الجسدي بصفة خاصة؛ لذلك ترى "فايل" أن الجسد الذي يتعرض للمعاناة لا بد أن يحصل على كرامة أكبر؛ لأنه بذلك يشارك في طاعة الكون لله التي عندما نشعرها بكل كينونتتنا نستطيع وقتها أن نكشف هذا الغطاء ونرى الله<sup>(٣)</sup>.

إذن من خلال ما سبق يمكننا القول إن مفهوم الطاعة عند "فايل" يمثل شكلاً من أشكال المفارقة، إذ تظهر فيها حرية الإرادة الإنسانية التي تريد وترغب وترفض، ولكنها من جهة أخرى تطيع وتخضع لذلك القانون الإلهي.

### ٣. المعاناة والتعلم

ترى "فايل" إنه من الممكن أن يكون هناك تقارب بين المعاناة والتعلم؛ فالتعلم الحقيقي هو الذي يترك أثراً في نفس المتعلم، بل ويحدث أيضاً نوعاً من التغيير والتحول، وهذا التحول في كثير من الأحيان يصاحبه نوع من الألم<sup>(٤)</sup>. وتضرب "فايل" مثلاً لذلك الشخص الذي يتعلم حرفة أو مهنة فتقول: "عندما يُجرح متعلم مبتدئ في مهنة أو يشكو من التعب، يقول الفلاحون هذا القول الجميل "إنها المهنة تشق طريقها داخل الجسد"، وكذلك نحن فعندما نعاني من ألم ما يمكن أن نقول لأنفسنا إن الكون ونظام العالم وجماله وطاعة

(١) سيمون فايل: مختارات، "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٥، ١٢٦.

(2) Weil, S: Gravity and Grace, "Necessity and Obedience", P:43.

(3) Veto, M: The religious metaphysics of Simone Weil, P:72.

(4) Weil, S: Gravity and Grace, "Affliction", P:83.

الخلق لله هي التي تشق طريقها في أجسادنا، فكيف عندئذ لا نبارك المحبة التي أرسلت لنا هذه الهبة مقدمين لها أسمى آيات العرفان؟<sup>(١)</sup>

وهكذا ترى "فايل" أنه يمكن اعتبار المعاناة وسيلة تربية إلهية\_ وهذا الأمر تختلف فيه المعاناة عن الضيق\_، فالألم الذي نشعر به في المعاناة هو الأداة التي يمكن من خلالها أن نستشعر محبة الله في هذا الكون، فكما أن العامل بالتدريب يغير علاقته مع الأداة من أجل استخدامها بشكل أفضل للحصول على منتج أفضل، هكذا المعاناة والألم يمكن من خلالهما إحداث تحول في حياة الفرد وتوجيه نظره إلى الوجود الإلهي.<sup>(٢)</sup>

#### ٤. قبول المعاناة لذاتها :

ترى "فايل" أننا يجب ألا أن نقبل المعاناة من أجل فائدة أو هدف، ولكن يجب علينا قبولها لذاتها بكل ما فيها من شعور بالمرارة؛ لأنه من خلالها تتجلى مدى قوتك، وعمق محبتك، وقد عبّرت عن هذا الأمر بقولها: "علينا أن نقبل المعاناة ليس بقدر ما تجلب معها من تعويضات ولكن نقبلها في ذاتها.... فإذا ظننت أن الله أرسل لي المعاناة بإرادته من أجل خير لي، فذلك يجعلني أعتقد أنني شيئاً، وذلك يفقد المعاناة الاستخدام الرئيسي لها، وهو كونها تعلمني أنني لست شيئاً؛ ولذلك يجب أن نتجنب تلك الأفكار، الضروري فقط أن تحب الله خلال المعاناة."<sup>(٣)</sup>\*

وتؤكد "فايل" أننا لا بد أن نعرف أن هذا العالم بكل ما فيه من معاناة هو الواقع الوحيد المتاح لنا، وإذا لم نحبه بكل ما فيه من رعب فسينتهي بنا الأمر إلى ما أسمته

(١) سيمون فايل: مختارات، "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٧.

(3) Weil, S: Gravity and Grace, "Affliction", P:80.& "He Whom We Must Love is Absent", P:111.

(\* إن فكرة قبول المعاناة لذاتها يُظهر الرؤية النسكية العميقة لدى "فايل" والتي تجعلها تقترب مع الأدب الرهباني في الكنيسة الكاثوليكية، فعلى سبيل المثال نرى ذلك في كتابات الأب "توماس الكمبزي" (١٣٨٠-١٤٧١) في كتابه "الافتداء بالمسيح" حين يقول: "أما الذين يحبون يسوع لأجل يسوع، لا لأجل تعزيتهم الذاتية، فأنهم يباركونه في كل ضيفاتهم وكره قلوبهم كما في أعظم التعزيات، ولو شاء أن لا يعطيهم التعزية أبدا فهم مع ذلك يسبحونه دائماً ويتغنون شكره".

<<انظر توماس الكمبزي: الافتداء بالمسيح، ترجمة الرابطة الكهنوتية، منشورات الآداب الشرقية،

بيروت، ١٩٤٤، ص ١١٢ >>

"حب الوهم والخيال loving the imaginary" والغرق داخل أحلامنا وخداعنا لذاتنا، والوعود التي لا من ورائها بالمكافأة والعزاء في المستقبل، كل هذه الأحوال ما هي إلا محاولات تقوم بها النفس للمراوغة والهروب من الهدف الرئيس للمعاناة وهو إنكار الذات.<sup>(١)</sup>(\*)

ولكن ومن جانب آخر توضح "فايل" أنه يجب على الفرد ألا ينظر إلى المعاناة أو الألم باعتبارها منحه من الله موجهة إلى الإنسان من أجل مصلحته، أو الاعتقاد بأن معاناة الإنسان هي علامة على تفوقه الروحي؛ لأن هذا الإحساس يعطي من إحساس الفرد بأهمية الذات<sup>(٢)</sup>. كما ترى "فايل" أن هناك نوعاً من الغبطة الزائفة التي ينبغي أن نتوخى منها الحذر وهي كلمات العزاء الصادرة من الآخرين عند المعاناة، فهذه الكرامة التي نحصل عليها من الناس كقيلة أيضاً أن تفسد هدف المعاناة، وتشعر الإنسان بذاته بينما يسعى هو إلى إنكار تلك الذات.<sup>(٣)</sup>(\*\*)

(1) Weil, S: Waiting For God, Introduction, P:37.

(\*) في المصدر الخاص بـ "سيمون فايل" نراها تستخدم كلمة "the void" ، "empty ourselves"، والترجمة الحرفية للكلمتين هما "الفراغ" و"الإخلاء"، ولكن المعنى الحقيقي لهما هو ما يظهر في الآية التي تستخدمها "فايل" كمثال تريد تطبيقه في كل فكرها سواء في مناقشتها لفكرة المعاناة، وبعد ذلك في مفهوم الضيق، وهي: "فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا، الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ، لِكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، أَخْذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ، وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كِإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّالِبِ." رسالة فليبي (٢، ٥-٨)، والمعنى المقصود من إخلاء الذات هنا هو إخفاء كل كرامة ومجد للالوهية في الصورة البشرية، فإن كان المسيح قد أخلى ذاته فكيف نخلي نحن ذواتنا، إذا كان وهو الإله أخذ شكل العبد، فالعبد عندما يخلي ذاته فأى شيء سيكون وإلى أين يصل؟ إنه في اللحظة التي يشعر فيها الإنسان بأنه فارغ (أي لا شيء) ولم = =بعد فيه شيء ليخليه يكون حينئذ قد وصل إلى كل الملء، وهذا المعنى نراه عند "فايل" حين تقول: "الفراغ هو الملء الأسمى The void is the supreme fullness" وهذه المرحلة لا يدركها الإنسان، لأنه حينما يكون قد أخل نفسه تمامًا، سيملاً الله هذا الفراغ.

Weil, S: Gravity and Grace, "Dwtachment", p13,14,&"to Desire without an object", P:23.  
-البابا شنودة: تأملات في الميلاد، مطبعة الأنبا رويس، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٣٦.

(2)Yoda, K: Simone Weil on Attention and Education, Columbia University, Published by: Pro Quest ,2014. P:152

(3) Weil, S: Gravity and Grace, "Affliction", p:81.

(\*\*) يتشابه مفهوم إنكار الذات عند "فايل" كوسيلة لإدراك المحبة الإلهية مع "كيركجور" الذي رأى أيضاً أن الله هو المحبة ذاتها، ومن خلال إنكار الذات فقط يستطيع الإنسان أن يتشبث بالإله ويصل إلى عمق هذه المحبة، ويرى "كيركجور" أن إنكار الذات له صورتان: صورة خارجية وفيها يتنازل الإنسان عن أنانيته وشعوره بأنه قادر على فعل شيء ما، ويقبل أن يتحول إلى أداة في يد الله، والصورة الثانية والأهم هي ما أطلق عليه "نزاهة التضحية"، ويشير فيها الخطأ الفادح الذي قد يرتكبه الإنسان، ففي اللحظة التي يشعر فيها أنه لا شيء أمام الله يبدأ بمقارنة نفسه مع الناس فيشعر بذاته وتميزه، ويقع في شرك الوهم.  
>> انظر كيركجور: أعمال المحبة نصوص من التراث الوجودي، ترجمة: فؤاد كامل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٤١، ٤٣، ٤٤.

إن "فايل" تدعو الإنسان إلى أن يبتعد عن كل المعتقدات التي من شأنها أن تعوق ذلك الهدف فتقول: "عندما يُخلي الإنسان ذاته من كل رغبة، ويلتمس الخير المطلق فقط، يأتي الله ليملأ هذا الخلاء... يجب أن نترك جانباً كل المعتقدات التي تملأ ذلك الخلاء وتحلي المرارة الإيمان بالخلود، الإيمان بفائدة الخطية، حتى فكرة الترتيب الإلهي للأحداث... باختصار أي نوع من أنواع العزاء حتى التي يوفرها الدين.. لا بد أن نحب الله بدون عزاء".<sup>(1)</sup>

### ٥. المعاناة مصدر هام للمعرفة:

ترى "فايل" أن المعاناة يمكن أن تعتبر مصدراً من مصادر المعرفة، إن الإنسان بطبعه يميل إلى المعرفة التي تأتي من خلال اللذة، ولكن هذه المعرفة في الكثير من الأحوال تكون معرفة رديئة، وتضرب "فايل" مثالين لتوضيح هذه الفكرة، المثال الأول من الميثولوجيا اليونانية في قصة "أوليسوس" والهوريات<sup>(\*)</sup>، والمثال الثاني الحية التي قدمت المعرفة لأدم وحواء وبعدها سقطوا وطردها من الجنة.

لقد خدعت الحية حواء، وجعلتها تسقط وقدمت لها من خلال اللذة المعرفة التي تؤدي بها إلى الموت، أما "أوليسوس" فلم يستجب لغناء الحوريات بالرغم من جمالها الأخاذ؛ لأنه أدرك أنه إذا مال لها حكم عليه بالموت، حتى وإن اضطر إلى أن يقيد نفسه ليمنعها من الانقياد وراء الأصوات العذبة.

(1) Weil, S: Gravity and Grace," Dwtachment", p13,14.

(\*) أوليسوس: هو ملك إيثاكا، ترك بلده كي يكون من قادة حرب طروادة، وصاحب فكرة الحصان الذي بواسطته انهزم الطرواديين. بعد فوزهم بالحرب فقد صديقاً عزيزاً فاخذ يلعن الإلهه فغضب منه إله البحر بوسايدن فعاقبه بأن يتوه في البحر ٢٠ سنة لاقى فيها أهوالاً كثيرة. وهو بطل ملحمة الأوديسة، لهوميروس. أما الحوريات فوفقاً للأسطورة يونانية هن مخلوقات أسطورية من الإناث، أو إناث الطيور وتطلق ما يشبه بصفارات الإنذار، ومن خلال غنائها وموسيقاها الساحرة، تغري البحارة وتدمرهم. لقد كانوا في الأصل حوريات محاطة بالإلهة الشابة بيرسيفوني، وعندما اختطف الحاكم عشيقته لتكون زوجته في العالم السفلي هاديس، قامت والدتها الغاضبة إلهة الخصوبة ديميتر، وأعطت العذارى الجميلات مظهرًا يشبه الطيور من أجل العثور على بيرسيفوني، وعندما لم يساعدن الناس، انتقلوا في يأس إلى جزيرة مهجورة وبدأوا في الانتقام من الجنس البشري بأكمله من خلال إطلاق صفارات الإنذار للبحارة بالغناء الصوتي الحلو واستدراجهم إلى المنحدرات الساحلية وقتلتهم على الشاطئ، وقد قابل "أوليسوس" الحوريات في رحلة عودته، ولكنه أدرك خطرهم وطلب من البحارة تقيده في السفينة لكي لا ينجذ إليهم ويلقي بحتفه كمن سبقوه.

>> انظر: باري بي باول: هوميروس، ترجمة: محمد حامد درويش، مؤسسة هنداوي، المملكة

المتحدة، ٢٠١٩، ص ٢٠٣، ٢٣٠ <<

ترى "فايل" أنه من خلال هذين المثالين نتعلم أن المعرفة التي نحصل عليها من خلال اللذة والمتعة نفقد فيها أروحنا، ولكن على العكس من ذلك المعرفة الممتزجة بالمعاناة تتجلي فيها الحقيقة<sup>(١)</sup>.

### ٦. المعاناة والفرح

ترى "فايل" أن الإنسان بالفطرة يبتعد عن المعاناة ويبحث عن اللذة؛ ولهذا السبب يكون الفرح صورة للخير، والألم والمعاناة هي صورة الشر، ومن هنا جاءت صورة الفردوس والجحيم، ولكن في الحقيقية "الفرح والألم رفيقان لا ينفصلان pleasure and pain are inseparable companions"، وهما عطيتان ثمينتان، وينبغي تذوقهما بالكامل، فبالفرح يسرى جمال العالم في نفوسنا وبالألم يشق طريقه في أجسادنا<sup>(٢)</sup>.

فإذا كنت تريد أن تصل إلى محبة كاملة لله، لا بد أن يكون الفرح والمعاناة لهما التأثير نفسه، فما هي تقول: "تتسم المحبة الإلهية بالبقاء بمقدار ما يكون للفرح والمعاناة الدرجة نفسها من العرفان والامتنان والرضى"<sup>(\*)</sup>(٣).

وبالرغم من كل هذه السمات والفوائد التي تراها "فايل" للمعاناة تحذر من أمر خطير تلخصه في هذه العبارة إذ تقول: "يجب ألا نسعى للهروب من المعاناة ولكن يجب ألا تفسدنا هذه المعاناة."<sup>(\*\*)</sup>(٤)

يتضح من ذلك أن المعاناة عن "فايل" تتصف بالمفارقة paradox، فهي تُظهر لنا مدى الانفصال والاختلاف بين الطبيعة الإنسانية وكل ما عداها، وفي الوقت نفسه توضح ذلك الانسجام بين هذه الطبيعة وخضوعها لقوانين الضرورة الطبيعية، ولكن الخطورة تظهر هنا في اللحظة القصوى التي يملك فيها الألم وجودنا كله، عندئذ نتوقف عن التفكير في ذلك العلو الذي تحققه المفارقة، ونستغرق في الشعور بالألم والعذاب، وتتحول المعاناة إلى حالة دائمة يمكن أن

(1) Weil, S: Gravity and Grace, "Affliction", P:83.

(٢) سيمون فايل: مختارات، "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٦.

"love of god is pure when joy and suffering inspire an equal degree of gratitude" (\*)

(3) Weil, S.: An Anthology, Edited and Introduced by: Sian Miles, Penguin Books, Penguin Classics 2005, P:290.

(\*\*)"We should seek neither to escape suffering nor to suffer less, but to remain untainted by suffering".

(4) Weil, S: Gravity and Grace, "Affliction", P:83.

تحطم الفرد، وإذا وصل الإنسان إلى تلك المرحلة تفقد المعاناة أحد قطبيها، وتفقد صفتها كمفارقة.<sup>(1)</sup>(\*)

إذن يمكننا هنا القول أن المعاناة عند "فايل" تمثل حالة من الجدل أو الديالكتيك بين الحرية والضرورة، حرية الإنسان ورغباته الجسدية والبيولوجية خاصة، والضرورة التي يفرضها عليه الجانب المادي فيه المتمثل في جسده، وما يرتبط به من خضوع لقوانين الطبيعة الآلية، ذلك الخضوع الذي تعطيه فايل بعد ذلك صفة الطاعة لخالق هذا الوجود، وبالتالي يكون خضوع الجسد للألم في هذه الحالة ما هو إلا حالة من حالات الطاعة التي يمكن من خلالها تحرير الجسد من شهواته من أجل الخضوع الكامل لله.

### ثالثاً: الضيق أو التجربة عند "فايل"

"إذا لم يكن هناك ضيق قد نطن إننا في الفردوس"<sup>(2)</sup>

إذا كانت المعاناة عند "فايل" مرحلة يظهر فيها محاولة اتجاه الذات نحو الله، فهي تنتقل بنا إلى مستوى أعلى في تجربتها الروحية من خلال مفهوم جديد هو مفهوم "الضيق Affliction"؛ وفيه تربط "فايل" هذا المفهوم بالعلاقة مع الله؛ فهي كما يتضح من عنوان المقال "الخبرة مع الله... حب الله والضيق" إنها تتناول العلاقة بين الحب الإلهي والاختبارات أو المحن التي يمر بها الإنسان، وربما جاء هذا الربط للترقية في البداية بين نوعين من الضيق، أو يمكن اعتبارهما مرحلتين مختلفتين في تطور "فايل" الفكري:

المرحلة الأولى التي تمثل الفترة الأولى في حياة "فايل" الاجتماعية والفكرية، وتتحدث فيها عن مفهوم الضيق لكن على المستوى السياسي والاجتماعي، تلك الحالة التي حاولت من خلالها وصف وتفسير أحوال العمال

(1)Veto,M: The religious metaphysics of Simone Weil, Trans.by: Joan Dargan, State University of New York Press,1994,P:70.

(\*) يمكن هنا أن نقول أن استخدام فايل للألم والمعاناة ليس استخداماً مازوشياً يستلذ بالألم لذاته، أنها تؤكد كما ذكرنا سابقاً أنه مجرد أداة أو وسيلة يدرك به الإنسان أنه جزء من هذا الكون من جانب وينظر من خلالها المحبة الإلهية من جانب آخر.

Yoda, K: Simone Weil on Attention and Education,P:156.

(2) Weil, S: Gravity and Grace, " Affliction", P: 80.

في فرنسا في النصف الأول من القرن العشرين في الفترة بين (١٩٣٤-١٩٣٦) في ظل الظروف السياسية والاقتصادية التي كانت تمر بها فرنسا في هذا الوقت أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى.

وتؤكد "فايل" أنها لكي تعرف حقيقة هذا الوضع كان لا بد أن تخوض هذه التجربة بنفسها، إذ تؤكد أنه لا يمكن لأحد أن يقدم تفسيراً واضحاً أو شرحاً لهذه الحالة سوى من مر بها فعلياً، إنها حالة لا يمكن وصفها من الخارج، وبالفعل انخرطت وسط الطبقة العاملة في المصانع تعمل معهم كواحدة منهم، وتشعر بما يعانون كي تتمكن من تفسير حالة الكآبة الشديدة التي تراها على وجوه العمال.<sup>(١)</sup>

لقد كتبت "فايل" عن هذه الحالة مقالة بعنوان: "العمل في المصنع Factory Work" فكتبت تقول: "تلك الوجوه التي يعلوها القلق، تبدو مكتئبة في الصباح، يظهر عليها التعب والرغبة في البكاء العميق، بكاء روحي أكثر منه جسدي.... حالة من الكراهية والاشمئزاز تلقي ظلالها على أي علاقة بين العمال، وتقضي على أي صداقة محتملة."<sup>(٢)</sup>

وتبدأ "فايل" في تحليل هذه الحالة فتري إنها نتيجة للظروف القمعية للعمل في المصنع، والظروف المعيشية التي أجبرت العمال على العمل لكسب قوتهم اليومي، بدأت تتخلل في نفوس العمال بعض المشاعر، إنهم يمرون بحالة يشعرون فيها بنوع من الإذلال الذي لا يُحتمل ولا مفر منه، وهذه الحالة الأكثر عرضة لها هم العمال غير المهرة، والعاملات من النساء على وجه الخصوص؛ لما يشعرون به من تهديد مستمر، فالعمل الرتيب والإداريون الذين يتصفون بالخسة، وضجيج الآلات الذي يصم الأذان حوّل العمال إلى عبيد، ووقعوا تحت

(1) Athanasiadis, N.: The Experience of Affliction and the Possibility of love in the Life and Thought of Simone Weil, McGill University, Montreal, UMI, 2001, P:48.

(2) Wiel, S: Factory Work, politics, Edit by: Dwight Macdonald, Vol. 3, No.11 (Whole No. 34) Decmber, 1946, P:373.



وطأة الإرهاق الجسدي الذي قادهم إلى أقوى إغراء يمكن أن تتطوي عليه هذه الحياة، وهو عدم القدرة على التفكير بعد الآن<sup>(١)</sup>.

إن حالة الإرهاق والتعب الجسدي تُحوّل هؤلاء العمال إلى حالة تشبه حالة العبيد، حالة من البؤس تسلب المرء كرامته وإنسانيته، ولذلك تسمي "فايل" حالة العمال في المصنع "بالعبودية"<sup>(\*)</sup>؛ حيث يكون ذلك العامل أشبه بإنسان أعزل تحت رحمة قوة لا تتناسب مع قوته ولا يمكنه فعل شيء حيالها، إنهم يتعرضون لما أسمته "خطر السحق"<sup>(٢)</sup>، وقد عبّرت عن تلك الحالة قائلة: "وأنت في المصنع تشعر وكأن هناك من يردد في أذنك في كل لحظة وباستمرار، مع استبعاد كل قدرة للرد: "هنا أنت لا شيء... أنت ببساطة شيء لا بلا قيمة... أنت هنا لتطيع فقط... وتقبل كل شيء... وتغلق فمك" ويصبح هذا التكرار أمراً لا يقاوم<sup>(٣)</sup>، حتى فكرة التمرد والثورة على هذه الأوضاع أصبحت غير واردة، فتسأل نفسك في تعجب على أي الأوضاع ستتمرد؟ أنت وحدك في عمك لا يمكن حتى أن تفكر في هذه الثورة، إن هذا التفكير ذاته سيؤثر فيك، ويجعلك تعمل وأنت في حالة ذهنية متوترة، والنتيجة عمل سيئ، وبالتالي ستتضور جوعاً"<sup>(٤)</sup>.

إذن فحال العامل في المصنع لا تختلف كثيراً عن حال العبد في العصور القديمة، تلك الحال التي يتنازل فيها الفرد عن حريته من أجل أن يبقى على قيد الحياة، وهنا يتنازل العامل عن إنسانيته في مقابل الحصول على قوت يومه، كلٌّ منهما ليس لديه الحق في امتلاك ذاته وتحديد مصيره، كل منهما

(1)Zaretsky, R.:The Subversive Simone Weil: A Life in Five Ideas University of Chicago Press. 2021:P14: ,

(\*) تربط "فايل" بين الضيق والعبودية بشكل عام سواء كان ذلك الضيق على المستوى الاجتماعي، أو كما سيظهر في التجربة الروحية، وسوف يتم تناول هذه الفكرة بتوسع في الجزء الخاص بالضيق في الحياة الروحية (الباحثة).

(2)Athanasiadis, N.: The Experience of Affliction and the Possibility of love in the Life and Thought of Simone Weil, McGill University, Montreal,UMI,2001,P:48.

(3)Wiel , S: Factory Work, politics,P:370.

(4)Wiel , S: Formative Writings., Art. "Factory Journal", Trans.by: Dorothy Tuck McFarland, The University of Massachusetts Press,1987,P:171.

خاضع لقوة أعلى منه، سواء كانت تلك القوة حربية عسكرية سابقاً، أم اقتصادية حالياً. (١)

إن تجربة "فايل" في العمل داخل المصنع تمثل نقطة تحول في حياتها، وتعتبر أول اتصال لها مع مفهوم الضيق، لقد كان جانب التدهور والانحطاط الاجتماعي هو العامل المؤثر في هذه المرحلة، وكانت على قناعة بأنه يجب أن نزيل الضيق من الحياة الاجتماعية بقدر المستطاع، من خلال التصدي لكل أشكال القهر والإذلال الممنهج للطبقة العاملة، وتوفير الاحترام الواجب لكل نفس إنسانية. (٢)

لقد كان هدفها واضحاً كما أوردته في مقدمة دفاتر يومياتها كعامله في المصنع، إذ كتبت تقول: "الأمر الهام ليس أن يعرف الإنسان ما يصنعه، وإنما كيف يمكنه استخدامه وأن يتأمل في ما طرأ من تغيرات علي الطبيعة من جراء هذا الاستخدام يجب أن يكون الفعل موضوعاً لتأمل الإنسان." (٣)

وهنا تبدأ المرحلة الثانية في حياة "فايل"، المرحلة التي تعقب معرفتها بالمسيحية<sup>(\*)</sup>، فحتى تلك النقطة لم يكن لمفهوم الضيق أي صبغة روحانية، ولكن آثار العمل في المصنع بدأت تظهر على جسدها النحيل، الأمر الذي جعلها تلجأ إلى إحدى القرى البعيدة لتتال قسطاً من الراحة ظاهرياً، فعلي الرغم من مرضها

(1)Horowitz. M, New Dictionary of the History of Ideas, Art.: "Slavery", Thomson Gale, Farmington Hills, U.S.A, 2005,P:2213,2214.

(2)Wiel, S: Formative Writings., Art. "Factory Journal", P:153.154.

(3) Ibid ,P: 155.

(\*) كانت معرفة "فايل" بالمسيحية أقرب ما تكون إلى الإلهام أو المعرفة الحدسية دون تدخل من أي إنسان، فقد كانت تقول دائماً إنني لم أطلب الله أبداً في أي لحظة من لحظات حياتي، حتى إن الله لم يكن له مكان في أفكاري، حتى إنها كانت على اعتقاد أن المسيحية هي في المقام الأول ديانة للعبيد "Christianity is pre-eminently the religion of slaves"، ولكن لحظة الكشف أو الإيمان جاءت لها في عام ١٩٣٨ حين كانت تقضي إحدى الإجازات في قرية صغيرة بجوار كنيسة رومانية صغيرة، وتزامنت هذه الزيارة مع أسبوع الآلام منذ أحد الزعف وحتى عيد القيامة، وقتها كانت تعاني من الصداق: وكتبت بنفسها عن هذه التجربة تقول: "كنت أعاني من صداق الانفصال، كل صوت يؤلمني كأنه ضربات على رأسي ولكن بجهد بالغ وتركيز عالٍ تمكنت من الارتفاع فوق هذا الجسد البائس لأتركه يعاني من تلقاء نفسه، حتى إيجاد فرحة نقية وكاملة في الجمال الذي لا يمكن تصويره في كلمات الترانيم.... مكنتني هذه التجربة على سبيل المثال من فهم أفضل لإمكانية الحب الإلهي في غمار تجربة الضيق.... خلال هذه الترانيم و التلاوات...." جاء المسيح بنفسه وأحاطني برعايته Christ himself came down and took possession of me."

إلا أنها طلبت العمل مع فتيات المزرعة أيضاً، وهناك بدأت حياتها تتغير، ونرى ذلك في رسالتها إلى الأب "بيرين" (\*) مرشدها الروحي تشرح له فيها الظروف التي عرفت من خلالها المسيحية فتقول: "حتى ذلك الحين \_أي قبل معرفتها بالمسيحية\_ لم يكن لدي أي خبرة عن مفهوم الضيق، إلا إذا اعتبرت أن تجربتي الخاصة قد تبدو نوعاً من الضيق الجزئي سواء علي الجانب الاجتماعي او بالجانب البيولوجي". (١)

وهنا تبدأ بتغيير وجهة نظرها، وتحاول أن تتناول مفهوم الضيق من منظور إيماني عميق، تقدم فيه مفهوم الضيق أو التجربة بصورة جديدة باعتبارها سمة مميزة للمحبة الإلهية، بل إنها تعتبره جوهر المسيحية، وترى أن صورة الضيق الحقيقية قد ظهرت بوضوح في تاريخنا الإنساني في حالتين: الأولى هي تجربة "أيوب"، والحالة الثانية هي المشهد المأسوي للمسيح على الصليب (\*\*)، وما سوى ذلك لا يدخل تحت مفهوم الضيق. (١)

(\*) "الأب بيرين Father Joseph-Marie Perrin (1905-2002) : هو كاهن كاثوليكي دومينيكي ومناضل في المقاومة الفرنسية. تعرفت عليه سيمون فايل عام ١٩٤١، ويعتبر الصديق الأقرب خاصة في فترة حياتها الأخيرة، وكتبت له العديد من الرسائل ناقشت فيها الكثير من الموضوعات الخاصة بالإيمان المسيحي، وملامح تجربتها الصوفية الأخيرة. وله العديد من المؤلفات المسيحية أشهرها "Mary, Mother of Christ and Christians"، كما كتب مع "جوستاف ثيبون Gustave Thibon" (١٩٠٣-٢٠٠١) صديق "سيمون فايل" الثاني -الذي عاشت في مزرعته وعملت فيها فترة\_ كتاباً عنها بعنوان "Simone Weil as we knew her".

J.M.Perrin , G.Thibon; Simone Weil as we knew her, Trans.by: Emma Craufurd , Routledge , London and New York, 2003, P: vii.

(1) Wiel,S: Waiting For God,P:66,67.

(\*\*) اختارت "سيمون فايل" شخصيتي أيوب والمسيح كحالتين تظهر فيهما تجربة الضيق بصورتها الكاملة، إذ ترى ان الشخصيتين يتشابهان في مجموعة من النقاط أهمها: البراءة وانقاء والكمال النسبي \_؛ فأيوب كما يُذكر عنه في الرواية الدينية اليهودية والمسيحية " كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب. وكان هذا الرجل كاملاً ومستقيماً، يتقي الله ويحيد عن الشر"، (سفر أيوب ١: ١)، وبالمثل نرى شخصية السيد المسيح، فهو وفقاً للعقيدة المسيحية " هو أقنوم الكلمة المتجسد" وبالتالي فهو كلي الكمال وبلا خطيئة "مَنْ مِنْكُمْ يُبْكِنِّي عَلَى خَطِيئَةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ، فَلِمَاذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بي؟" (يو ٨: ٤٦)، بل ترى "فايل" أيضاً في تحليلاتها أن شخصية أيوب كانت بمثابة رمزاً للمسيح، فكما تألم أيوب بلا سبب، هكذا تألم المسيح ومات بلا سبب (جرم أو إثم) سوي من أجل محبته للبشرية.

ومن جانب آخر نجد في اختيار "سيمون فايل" لشخصية أيوب باعتبارها النموذج الأمثل لفكرة الضيق تقارباً مع الفيلسوف "مارتن بوبر" الذي نراه أيضاً يهتم بدراسة شخصية أيوب في كتابه "The Prophetic Faith" الصادر في عام ١٩٤٩، ولكن قصة أيوب بالنسبة لبوبر لم تكن مجرد تجربة ذاتية لفرد، بل يتخذ "بوبر" من أيوب رمزاً للأمة اليهودية كلها خاصة أثناء الاضطهاد الذين عانوا منه أثناء الحرب العالمية الثانية، فقد كتب "بوبر" "خلف أنا" [أيوب] هذا، هناك أنا إسرائيل".

والملاحظ هنا أن "فايل" و"بوبر" يشتركان في كونهما من أصول يهودية، وعاشا ما عاناه اليهود من اضطهاد أثناء الحرب العالمية الثانية، وبالتالي فقد يكون اختيار "فايل" لشخصية أيوب وتجربته تجمع بين تحليل تجربة إيمانية وذاتية عميقة، وأيضاً قد يكون له رؤية سياسية خاصة وأن "فايل" بالرغم من أنها في كتاباتها كانت ترفض فكرة تمييز اليهود وأيدولوجيتهم وفكرتهم السائدة بأنهم "شعب الله المختار" وقد عبرت ذلك في أكثر من

وهنا نقف لنتساءل كيف رأيت "فايل" مفهوم الضيق؟ وما أهم سماته؟

### ١. ماهية الضيق

ربما تكون الخطوة الأولى في توضيح أي فكرة هو توضيح ماهيتها ومعناها والغرض منها، وفي محاولة لتطبيق هذا الأمر على فكرة الضيق عند "فايل" نتوجه لها بالسؤال "ما المقصود بتجربة الضيق؟" ولكن إجابة السؤال قد تكون صادمة؛ لأن الإجابة التي ترددها فايل هي: "الضيق قبل كل شيء هو أمر مجهول الهوية لا يمكن تفسيره أو معرفة سببه." (٢\*)

وفي محاولة منها لتوضيحه تفرّق "فايل" بين الضيق والمعاناة والألم الجسدي فنقول: بالرغم من أن الألم الجسدي لا ينفصل عن الضيق إلا أن هناك فرقاً كبيراً بين الضيق وبين المعاناة وجميع الأحزان أو الصدمات التي يمر بها الإنسان في حياته، حتى إن هؤلاء الأفراد الذين تم تعذيبهم وطردهم من بلادهم وحُكم عليهم بالبؤس والشقاء لا يُعد شقائهم ضيقاً، حتى الشهداء الذين عذبوا وضحو بأرواحهم من أجل المسيح ذاته، لا يدخلون عند "فايل" في نطاق الضيق أو التجربة؛ لأن أهمهم هذه تمثل نوعاً من أنواع المعاناة، ولكنها لا تمثل ضيقاً (٣).

وتفسر "فايل" ذلك بأن كل الأمثلة التي طرحتها بما فيهم الشهداء يُعون جيداً السبب الذي لأجله يتحملون كل هذه الآلام، سواء أكانت هذه الآلام التي

---

موضع في مؤلفاتها نذكر منها علي سبيل المثال ما قالتها في كتابها التجذر: "ليس هناك من أمة مقدسة... هناك أمة في سالف الزمان ظنت نفسها مقدسة فبانت بالفشل الذريع"، وبالرغم من ذلك لم تمنع نفسها من مساندة اليهود ضحايا النازية.

انظر: >> سيمون فايل: المختارات: "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٠ & سيمون فايل: التجذر ترجمة: محمد علي عبد الجليل، دار معابر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠١٠، ص ١٢٦.

Buber, M. The prophetic faith. Princeton University Press, U.S.A. 2015, P:235

(١) سيمون فايل: المختارات: "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٠.

المختارات: "الخبرة & Wiel, S: Waiting For God, The Love of God and Affliction, P:125. مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٢

(\*) تبعاً لرواية الكتاب المقدس في قصة أيوب يظهر هذا الأمر بوضوح، فنرى الحوار بين الله والشيطان ويظهر فيه أن ما أصاب أيوب أصابه بلا سبب، ولكن كي يختبر الله تحمله فيقول: "فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتُ قَلْبَكَ عَلَى عَيْدِي أَيُّوب؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَجِدُّهُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الْآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ، وَقَدْ هَبَّجْتَنِي عَلَيْهِ لِأَنِّي لَعَنَةُ بِلَا سَبَبٍ» أيوب (٣:٢)

(٣) المختارات: "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٠، ١٢٣.

يُلاقونها ثمناً لفكرة أو مبدأ أو عقيدة، ولكنهم على وعي وإدراك بالسبب، قد تتحول معانئهم إلى ضيق فقط عندما يتوغل الألم أو الخوف في النفس إلى درجة ينسون فيها سبب اضهادهم<sup>(١)</sup>.

إن الضيق عند "فايل" هو التجربة التي تكشف ما أسمته هشاشة الوجود الإنساني سواء على المستوى الجسدي أو النفسي أو الاجتماعي، تظهر آثاره في ذلك الجسد الهش المتألم، والنفس المعرضة إلى أقصى درجات الكآبة، والانحطاط الاجتماعي الذي يلغي كل صورة من صور الاحترام، والضيق لا يكون ضيقاً إلا عندما تتحقق فيه تلك الجوانب الثلاث.<sup>(٢)</sup>(\*)

ولكن الأمر يزداد غموضاً، وهو كذلك بالفعل فما هي "فايل" تقول عن الضيق أنه: "اللغز الكبير للحياة الإنسانية"<sup>(٣)</sup>، وفي موضع آخر تقول إنه: "أعجوبة التقنية الإلهية"<sup>(٤)</sup>. فماذا كانت تقصد من هذه العبارات؟

إن مفتاح حل هذا اللغز عند "فايل" يعود بنا مرة أخرى إلى مفهوم "المحبة"، وقد سبق وأن أشرنا أن المحبة عند "فايل" ليست مجرد صفة، ولكنها تعني بها الوجود الإلهي ذاته، والسؤال الآن ما علاقة المحبة باعتبارها الوجود الإلهي بفكرة الضيق؟

إن إجابة هذا السؤال تتضح من خلال رؤية "فايل" لشكل وطبيعة العلاقة بين الوجود الإلهي والوجود الطبيعي والوجود الإنساني، فتبدأ أولاً في توضيح طبيعة الوجود الإلهي فتقول: "الله محبة، وهذه المحبة هي التثليث، وبالمحبة تمت عملية الخلق"<sup>(٥)</sup>، وفعل الخلق ذاته هو فعل المحبة ذاتها وهو فعلٌ دائم، لقد

المختارات: "الخبرة" & Wiel, S: Waiting For God, The Love of God and Affliction,P:125. (1)  
مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٣

(٢) سيمون فايل: المختارات: "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٩  
(\*) إذا أردنا تطبيق ذلك على شخصية أيوب فنرى ان تجربة أيوب الحقيقية لا تبدأ بعد أن فقد أمواله وبنيه، ولكنها تبدأ بعد ظهور المرض والألم الجسدي عليه، وطبقاً للرواية في الكتاب المقدس عندما يقف الشيطان في محضر الله ويرى أن الاختبار الحقيقي لأيوب لن يتم إلا بعد ما يصاب بالألام في جسده، وهنا يتحد الألم الجسدي مع الألم النفسي والانحطاط الاجتماعي، وينتقل أيوب من بيته ويسكن أطراف المدينة وحيداً وشريداً ومعزولاً. (سفر أيوب الاصحاح الأول والثاني)

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(٥) سيمون فايل: المختارات: "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٢، ١٢٣.

خلق الله هذا الكون\_الذي تشكل جزءاً صغيراً منه\_والذي هو ذاته بصورة ما تجلٍ للمحبة الإلهية، ومن جانب آخر يمثل صورة من صور التخلي من جانب الله نتيجة لحبه ورغبته في العطاء. (١)

إذن فذلك الوجود الطبيعي بما فيه الوجود الإنساني هو جزء من الوجود الإلهي، تحجبه عنا فقط وتشعرنا بغيابه كثافة المادة والزمان والمكان اللذان يضعان بعداً لا نهائياً على حد تعبير "فايل" بين الله والله (٢) (\*)، ولكن في الوجود الطبيعي وعلى الرغم من هذا الانفصال والبعد الظاهر يظل خاضعاً للوجود الإلهي من خلال فعل الضرورة التي رأت "فايل" إنها شكل من أشكال العناية الإلهية، والتي أعطتها "فايل" صفة الطاعة، فما كان يبدو ضرورة يصبح طاعة وتصبح المادة منفصلة كلياً، وبالتالي تظهر المادة كصورة كاملة للخضوع للإرادة الإلهية. (٣)

ولكن يبقى ذلك المخلوق العجيب: الإنسان الذي يجمع في ذاته بين كونه مادة لا بد أن تخضع لقوانين الضرورة من جانب، وبين كونه يحمل قبساً من الوجود الإلهي المتمثل في ذلك الإحساس الذي أعطته "فايل" مفهوم "اللاهوت الزائف An imaginary divinity" أو القداسة الوهمية التي بموجبها يستطيع الإنسان أن يقول: "أنا أقدر... أنا أستطيع... أنا أرغب"، والذي يمكن أن نختزله في مفهوم "الأنا" أو "الذات الإنسانية" (٤)، وتلك الذات وبهذه الألوهية الزائفة حدث العصيان، وحولت البشرية وجهتها عن الله إلى أبعد ما يكون، فأصبح انفصالنا عن الوجود الإلهي انفصلاً مزدوجاً تفرضه علينا كثافة المادة من جانب، وذاتنا من جانب آخر.

(1) Weil, S: Gravity and Grace, "Decreation", P:32.

(٢) سيمون فايل: المختارات: "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٩ (\*). يمكن القول أن "فايل" هنا تقترب من الرؤية الطولية التي يتميز به الفكر الصوفي بوجه عام والتي ترى أن الوجود الإلهي حال وموجود في كل الوجود الطبيعي، وهي الفكرة التي نراها بوضوح مثلاً عن الحلاج، وأيضاً عند اسبنوزا الذي رأى الله محايداً للطبيعة.

(٣) سيمون فايل: المختارات: "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٢٤.

(4) Weil, S: Gravity and Grace, "Decreation", P:32.

وفي غمار هذا الانفصال اللانهائي، نعتقد أن الوجود الإلهي أصبح غائباً بكليته، ونظل نبحث عنه، وعن الكيفية التي يمكن من خلالها الوصول إليه مرة أخرى، وندرك أننا لا نستطيع القيام بخطوة واحدة للوصول إليه، فيجتاز الحب الإلهي لا نهائية المكان والزمان ويأتي من الله إلينا<sup>(١)</sup>، يأتي إلينا من خلال الصليب الذي تجتمع فيه كل المتناقضات: الوجود الإلهي والوجود الإنساني، المادة والروح، المحدود واللامحدود، الإرادة الحرة والخضوع، القوة والضعف، الذنب والبراءة، الغياب والحضور.

إن "فايل" ترى في الصليب، وفي صورة المسيح على الصليب الصورة الكاملة للضيق، إنه أعجوبة التقنية الإلهية كما أطلقت عليها؛ لأنها الآلية البسيطة والبارعة التي أدخلت في نفس المخلوق المحدود هذه اللامحدودية في القوة العمياء الباردة<sup>(٢)</sup>، أي أنها تقصد أنها الطريقة التي تُدخل في نفس المخلوق المحدود المحبة الإلهية اللامحدودة، فيجتمع عندئذ المحبة بصفتها الوجود الإلهي والضرورة التي تمثل طبيعة الوجود الطبيعي. وتفسيراً لهذه الفكرة تقول "فايل": "الله محبة والطبيعة ضرورة، ولكن هذه الضرورة هي مرآة المحبة بالطاعة، كذلك الله فرح، والخلق ضيق، ولكنه ضيق متألئى بنور الفرح، فالضيق ينطوي على حقيقية وضعنا"<sup>(٣)</sup>.

يمكننا القول أن الصليب هو رحلة الحب الإلهي الهابطة إلى الوجود الطبيعي والإنساني، ولكي يقوم الوجود الإنساني بالرحلة في الإتجاه المعاكس لا بد أن يجتاز تجربة الضيق ذاتها التي اجتازها المسيح (الإنسان \_ الإله)، ولكن الرحلة في الاتجاه المعاكس ليست بالأمر السهل ولن تتم إلا بفضل بذرة الحب الإلهي التي أودعت فينا<sup>(٤)</sup>، تلك التي من خلالها يستطيع الإنسان أن يشارك

(١) المرجع نفسه، ص ١٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٧.

(٣) سيمون فايل: المختارات: "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٣٦.

(\*) من الملاحظ في استخدام "سيمون فايل" لمصطلحات مثل رحلة الوجود الإلهي الهابطة، والرحلة المعاكسة التأثير الشديد بأفلاطون وجدله الصاعد والهابط، ويظهر أيضاً في توحيدها بين الوجود الإلهي مفهوم الخير والضرورة باعتبارها طبيعة المادة، وجدير بالذكر أن "سيمون فايل" حاولت الربط بين المسيحية وبين الفكر اليوناني بأكمله خاصة عند أفلاطون والرواقية وظهر ذلك في أحد مؤلفاتها وكانت بعنوان: البحث عن المسيحية في الفكر اليوناني القديم Intimations of Christianity among the Ancient Greeks، وهذا ليس الموضوع الوحيد الذي

المسيح في صليبه<sup>(١)</sup>، وهذه المشاركة تعني ان تقبل الحرب في جسدك ، الحرب بمعناها الفيثاغوري بوصفها وحدة الأضداد<sup>(٢)</sup>، وذلك يعني أنك بإرادتك واختيارك قررت قبول ما فرض عليك رغماً عنك، قررت أن تخضع للضرورة العمياء الموجودة فيك، قررت ان تخلي ذاتك، وتتنازل عن ذلك اللاهوت الزائف، بل وتتنازل عن كينونتك لتصبح موجوداً.

إن هذا التنازل يتطلب أيضاً أن تمر في حزن وألم يعادل ذلك الذي يمكن أن يحدث في الواقع بفقدان جميع الكائنات المحببة وكل الممتلكات، بما في ذلك ملكاتنا وإنجازاتنا، وقدراتنا الشخصية، وآرائنا ومعتقداتنا فيما يتعلق بما هو جيد.... يجب ألا نضع هذه الأشياء في أنفسنا بل نخسرها مثل أيوب... يجب أن نحتمل هذا الألم ولا ينبغي توجيهه نحو أي نوع من أنواع الأمل<sup>(٣)</sup>. إنه باختصار أن تحيا وكأنك ميت<sup>(٤)</sup>، فهو كما عبرت عنه "فايل" حين قالت: إن الضيق هو شكل من أشكال انتزاع الحياة من جذورها " Affliction is an uprooting of life شيء يعادل الموت بصورة مخففة<sup>(٥)</sup>.

فهل يوجد من يستطيع على حد "فايل" أن يلبي نداء المسيح لأحبائه أن يحملون الصليب ويتبعونه<sup>(٥)</sup> (\*\*)، هل يوجد من يستطيع أن يحل هذا اللغز، ويتحمل في ذاته تلك الصورة من اجتماع المتناقضات.

يظهر فيه ذلك التأثير بل ان القارئ لمؤلفاتها سيجد في بعض الأحيان تشابهاً كبيراً بأفلاطون، بل وتأويلاً للفكر أفلاطون لتري فيه قواعد الإيمان المسيحي. (الباحثة)

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٢) سيمون فايل: مختارات، "الخبرة مع الله. رسالة إلى جو بوسكيه"، ص ٧٠.

(3) Weil, S: Gravity and Grace, "Decreation", P:36.

(\* تشابه فكرة "فايل" عن الضيق باعتباره شكل من أشكال الحياة في صورة تشبه الموت، بما قاله أفلاطون حين عرف فعل التفلسف بأنه "التفلسف هو تعلم الموت"، وقد اشارت "فايل" نفسها إلي هذا التشابه، ومن جانب آخر نجد ان هذه الفكرة ذاتها نراها عند "كيركجور" في تعريفه للذات الإنسانية حينما وصفها بانها روح، وفي تعريفه للروح قال: "الروح هي أن تعيش وكأنك ميت. ميت عن هذا العالم (dead to Spirit is : to live as though dead the world، ويؤكد "كيركجور" ايضاً على صعوبة هذا الشكل من الحياة، فهي نمطاً لا يألوه غالبية الناس، فهم يرن أن هذه الطريقة في الحياة أسوء من الموت ذاته.

>> سيمون فايل: المختارات: "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٣٢.

Kierkegaard, S. : The Journal of Kierkegaard, Trans. by: Alexander Dru, Harper Torch Book, First edition, 1959,P:245 >>

(4) Wiel, S: Waiting For God, The Love of God and Affliction,P:117.

(٥) سيمون فايل: المختارات: "الخبرة مع الله. حب الله والبلاء"، ص ١٣٠..



## ٢. الضيق وعلامة العبودية:

لقد أوضحت "فايل" كما رأينا أن الضيق هو شيء مجهول الهوية ولا يمكن تعريفه بشكل محدد، ولذلك فهي تحاول أن تعطينا بعض السمات المميزة لتلك الحالة، ومن أهم هذه السمات الربط بين الضيق وفكرة العبودية، فنقول إن الضيق هو ذلك الشعور الذي يستولي على النفس ويطلع عليها سمته الخاصة، هذه السمة تشبه سمة العبودية الرومانية<sup>(\*)</sup>، فكما كانوا يقولون: إن الإنسان يفقد نصف روحه عندما يصبح عبداً هكذا يكون شعور الفرد الذي يتعرض للضيق أو التجربة؛ فالضيق يحرم كل من يصيبهم من شخصيتهم ويجعل منهم أشياء<sup>(١)</sup>.

إذن فالضيق بالمعنى الحقيقي لا بد أن يطبع الإنسان بهذه السمة، ولكن عندما اختارت "فايل" صفة العبودية للضيق الاجتماعي حاولت أن تظهر فيه صفة الإجماع أو ما يطلق عليه العمل القسري والتحكم في حياة الأفراد من أجل

(\*\*) وجه السيد المسيح نداؤه إلى الجموع قائلاً: " وَقَالَ لِلْجَمِيعِ: إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتَّبِعْنِي، فَإِنْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكْهَا، وَمَنْ يُهْلِكْ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي فَهَذَا يُخَلِّصُهَا، لِأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَعَ الْعَالَمُ كُلُّهُ، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ أَوْ خَسِرَهَا؟ (لو ٩، ٢٣)، والدعوة نفسها نجدها في انجيل مرقس: "وَدَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي.» (مر ٨: ٣٤)، ولم يكن السيد المسيح يقصد هنا حمل الصليب بالمعنى الحرفي، ولكن كان يقصد أن يقول: أن من أراد أن يتبعني، عليه أن يقبل فكرة حمل الصليب، ويقبل الألم من اضطهاد وترك أهل وأصدقاء وأمور أخرى، وهذا لا يستطيعه أحد ما لم ينكر ذاته، ويتضع في حب حقيقي أمام سيده الذي جاز الألم أولاً، وهنا يكون المعنى الفعلي لحمل الصليب هو التنازل عن لذات العالم لأن النفس وخلصها أعلى من كل العالم. وهو نفس المعنى الذي تريد "فايل" أن تصل إليه.

>> انظر: تادرس يعقوب ملطي: تفسير انجيل لوقا ومرقس،-[https://st-takla.org/pub\\_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/03-Enjil-Loka/Tafseer-Angil-Luca\\_01-Chapter-09.html](https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/03-Enjil-Loka/Tafseer-Angil-Luca_01-Chapter-09.html)

(\*) تفرق "فايل" بين العبودية بشكل عام والعبودية الرومانية بوجه خاص؛ إذ كانت ترى أن فكرة العبودية بمعناها الحقيقي لم تظهر سوى في الدولة الرومانية فقط، فالدولة الرمانية - على حد تعبير هادولة إمبريالية استعمارية، كان هدفها دائماً التوسع على حساب من حولها، ولذا فهي دولة قائمة على القوة العسكرية، وبالتالي فهي دائماً في حالة الحرب أو الاستعداد للحرب، الأمر الذي يلزم عنه ضرورة وجود طبقة من العبيد تقوم بالأعمال الخاصة بالمدنية، كما أن ثقافة الحرب الدائمة جعلت هناك نوع من أنواع الغلظة والقسوة في التعامل مع العبيد. ظهر ذلك في أنواع العقوبات التي كانت تطبق عليهم، فكان العبد يعتبر ملكاً خاصاً لسيده ليس له أي رأي أو أي حق من الحقوق حتى إن لسيده = الحق في قتله دون أن يشعر بالذنب، وكانت من أهم العقوبات التي تطبق في روما القديمة على العبيد والمجرمين والمحترقين هي عقوبة التشويه أو ما يعرف بالوصمة، وهي عبارة عن إحداث تشويه في جسد الشخص مثل الوشم أو طبع علامات غير قابلة للزوال في الجسد لتدل على الجريمة التي قام بها، وكان الغرض منها ليس مجرد الإيلام الجسدي فقط ولكن الألم النفس، والشعور بالخزي، والعار والانحطاط المجتمعي.

Weil, S: lectures on Philosophy, Trans.By: Hugh Price, Cambridge University Press 1978, P: 142.

وأيضاً: رجب سلامة عمران: العقوبات البدنية في روما حتى نهاية العصر الإمبراطوري، مجلة وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، عدد(٧)، ٢٠٠٧، ص ٥٦، ٥٥، ٥٤.

(١) سيمون فايل: مختارات، الخبرة مع الله والبلاء، ص ١١٩.

الحصول على قوت يومهم، فقد أصبح الأفراد عبيداً للآلات، وكانت تبذل قصارى جهدها لتخليصهم من تلك العبودية، ولكن لماذا تقرر "فايل" فكرة العبودية بالضيق الروحي وفي علاقتها بالله؟

لقد كتبت تصف نفسها بعد معرفتها بالمسيحية: "هناك تلقيت إلى الأبد علامة العبد، مثل العلامة التجارية للحديد الملتهب الذي وضعه الرومان على جباه عبيدهم الأكثر احتقاراً... منذ ذلك الحين كنت أعتبر نفسي دائماً في رتبة العبد"<sup>(١)</sup>.

بالرغم من أنها لم تذكر بوضوح سبباً رئيساً لهذا الاقتران، لكن يمكن لنا أن نستنتج أسباب الربط بين العبودية والضيق على المستوى الروحي، ويمكن حصرها في النقاط الآتية:

- (أ) تتميز العبودية بصفة القسر والإجبار؛ فلا يوجد إنسان ارتضى أن يكون عبداً بإرادته، كذلك ليس هناك فرد اختار أن يوضع تحت وطأة الضيق بإرادته، وهذا ما توضحه "فايل" فهي تقول: "إن الضيق في جوهره هو ما يقع علينا رغم أنفنا"، وليس لنا القدرة على اختياره أو الهروب منه.<sup>(٢)</sup>
- (ب) فكرة الخضوع والتخصيص: إذا كانت "فايل" استخدمت فكرة العلامة على الجبهة بوصفها علامة العبودية التي تحمل نوعاً من الخزي، إلا أن فكرة السمة كانت تستخدم في التقليد اليهودي والمسيحي<sup>(\*)</sup> بهدف

(1) Wiel, S: Waiting For God, "Spiritual Autobiography", P:66,67.

(٢) سيمون فايل: مختارات، الخبرة مع الله والبلاء، ص ١٢٩.

(\*) يحمل الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ملامح عن مفهوم الختم أو السمة أو "TAW" التي توضع على الجبهة، ولكن استخدام الكتاب المقدس لها لم يكن بغرض الإزدراء، ولكن بغرض التخصيص والتميز، فنرى على سبيل المثال: في سفر حزقيال "وقال له الرب اعبر في وسط المدينة في وسط اورشليم وسم سمة على جباه الرجال الذين يننون ويتعهدون على كل الرجاسات المصنوعة في وسطها" (حز ٩: ٤)، وفي العهد الجديد نرى استخدام كلمة الختم أو العلامة تحمل معنى التخصيص أيضاً، فعلى سبيل المثال نرى في رسالة بولس الرسول إلى كورنثوس يقول: "ولكن الذي يُبَتِّئنا معكم في المسيح، وقد مسحنا، هو الله الذي ختمنا أيضاً، وأعطى عربون الروح في قلوبنا." (١كو ٢: ١٠)، وأيضاً في سفر الرؤيا فيتكلم عن تلك السمة للتمييز بين المؤمنين والغير مؤمنين فيقول "رأيت ملاكاً آخر طالعاً من مشرق الشمس معه ختم الله الحي، فنادى بصوت عظيم إلى الملائكة الأربعة، الذين أعطوا أن يضربوا الأرض والبحر، قائلًا: «لا تضربوا الأرض ولا البحر ولا الأشجار، حتى نختم عبيد الهنا على جباههم» (رؤيا ٧: ٣) وكلمة عبيد هنا لا تعني العبودية "slavery" ولكن تعني العبادة أي الذين يعبدون الله.

التخصيص أي أن هذا الشخص أصبح ملكاً لسيده، فيكون القصد من فكرة العبودية هنا توضيح أن هذا الشخص أصبح بكنيته ملكاً لله.

(ج) العبد لا يعلم ما يعمل سيده<sup>(١)</sup>: ليس للعبد الحق في أن يسأل سيده لماذا تفعل هذا الأمر، وهكذا من يقع في الضيق أو التجربة لا يعلم لأي سبب وقع في هذه التجربة؛ فسؤال المُجرب "لماذا" لا يستوجب أي جواب، ولذلك يظل حائراً ويطلب معرفة السبب وهذا الأمر يعتبر سبباً آخر في صعوبة مفهوم الضيق إذ إنه كما ذكرنا سابقاً مجهول الهوية وبلا سبب مفهوم. وتُفسر "فايل" ذلك الأمر فتقول: "نحن في هذا العالم نعيش في الضرورة لا في الغائية؛ لأنه إذا كانت هناك غائية في هذا العالم فلن يكون العالم الآخر مكاناً للخير، فكلما طلبنا الغائية من العالم رفضها، ولكن لكي نعرف أنه يرفضها لا بد من طلبها"<sup>(٢)</sup>، وربما ترى "فايل" أيضاً أن عدم خضوع الضيق لقانون الغائية هو لأنه لا يدخل في نطاق العقل لأنه يمثل درجة من درجات الإيمان، ولذلك لا يمكن أن يخضع لقانون الغائية.

(د) في العبودية تنتهي شخصية الإنسان وذاته، وهكذا في الضيق أيضاً: لقد سبقت "فايل" وأشارت إلى أن الهدف الرئيس للمعاناة كان في وصول الإنسان إلى مرحلة إنكار الذات، ولكن إنكار الذات ليست المرحلة العليا أو النهائية في الطريق الروحي، كما أن المعاناة يكون فيها الإنسان واعياً ومدركاً لما يفعله ويضحي به من أجل الوصول إلى هذه المرحلة، ولكن ها هو ذلك الإنسان بعد الجهاد والمعاناة قد وصل لمرحلة الكمال<sup>(٣)</sup> وقد دمرت النعمة "الأنا" تماماً، فيقع في تلك الدرجة

(١) إنجيل يوحنا (١٥:١٥)

(٢) سيمون فايل: مختارات، الخبرة مع الله والبلاء، ص ١٣٧، ١٣٨.

(\*) بالتطبيق على شخصية أيوب نجد أن الكتاب المقدس يذكر أن أيوب كان كاملاً "كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب وكان هذا الرجل كاملاً ومستقيماً" (أيوب ١: ١)، وأن الله نفسه شهد على كماله هذا " فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب؟ لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم ويحيد عن الشر" (أيوب ١: ٦)، ولكن حسب الفكر المسيحي ربما وصل أيوب إلى خطية يسمونها بالبر الذاتي؛ أي شعوره أنه وصل إلى درجة من الكمال لم يصل إليها أحد، وهذا الأمر يشكل خطورة، وذلك يتشابه مع فكرة نزاهة التضحية عند "كيركجور" كما سبق وأوضحنا.

من الضيق أو التجربة التي تتوافق مع فناء ذاته، فتقول "فايل": "نحن لا نملك شيئاً في هذا العالم... باستثناء القدرة على قول "أنا"، وهذا ما علينا أن نعطيه لله، بعبارة أخرى نهلكه\_الأنا\_، ولا يوجد على الإطلاق أي عمل يمكن أن نفعله بحرية سوى تدمير هذه "الأنا"، ولا يوجد شيء في العالم يمكن أن يسلبنا القدرة على قول "أنا" سوى الضيق الشديد"<sup>(\*\*)(١)</sup>، إننا فإذا كانت المعاناة هدفها إنكار الذات؛ فإن الضيق هو الذي يدمر هذه الذات تماماً، يخفيها تماماً إنها لم تعد موجودة وتركت المكان لله.

إن المرحلة الأخيرة والأعلى في حياة القداسة عند "فايل" هي تلك اللحظة التي تسميها "لحظة اليأس المطلق" التي يصبح فيها المرء "عبداً كاملاً، عارياً ومتروكاً ومُسمراً على الصليب، فيصبح العبد هنا مثل سيده أو على الأقل بجانب سيده"<sup>(٢)</sup>، فإذا كان المسيح قد أخلى نفسه من لا هوته، أخذاً شكل العبد، فيجب علينا أن نخلي ذاتنا ونجرد أنفسنا من أوهام هذا العالم المادي.<sup>(٣)</sup>

ولكن قد يتبادر إلى الذهن أن "سيمون فايل" في محاولتها للربط بين الضيق والعبودية أغفلت طبيعة العلاقة بين الإنسان والإله في المسيحية التي أكدت على كونها صورة من صور المحبة، وتعارضت مع قول المسيح ذاته في حوارهِ مع تلاميذه: "لم أعد أدعوكم عبيد بل أحبباء"<sup>(٤)</sup>، وعلاقة الأبوة كما ظهر في الصلاة الربانية "أبانا الذي... التي كتبت "فايل" عنها مقالة رائعة قالت فيها: "هو أبونا. لا يوجد فينا شيء حقيقي لا يأتي منه. نحن له. يحبنا لأنه يحب نفسه."<sup>(٥)</sup>

(\*\*) Nothing in the world can rob us of the power to say 'I'. Nothing except extreme affliction.

(1)Weil, S: Gravity and Grace, "The self", P: 26.

(2) Wiel, S: Waiting For God, Introduction, p: 38.

(3)Weil, S: Gravity and Grace, "Detachment", P:12.

(٤) إنجيل يوحنا ١٥: ١٥

(5)Wiel, S: Waiting For God,"concerning The our Father",p:216

ولكن "فايل" تجيب عن هذا الأمر وتقول: لا بد أن نفرق بين مستويين في العلاقة بين الإنسان والله، المستوى الأول هو جانب التأمل: وفيه تكون العلاقة الصحيحة مع الله هي المحبة، ولكن على المستوى الواقعي هي علاقة عبودية ويجب علينا الحفاظ على هذا التميز فيجب علينا أن نصبح عبيداً أثناء تأملنا في ذلك الحب<sup>(\*)</sup>(١)

### ٣. الضيق والشعور بالزمن

"إننا ندفع ثمن الأبدية من قسوة الزمن الذي يمزق الروح"<sup>(٢)</sup>

عبءٌ جديد يضعه الضيق أو التجربة على عاتق المُجرب ألا وهو عبء الشعور بالزمن؛ فالمُجرب عند "فايل" يدخل في صراع عنيف مع الزمن حتى إنها عبرت عن هذا الأمر بقولها: "إن الشعور بالزمن يمزقنا! في شهر؟ في عام؟ كيف سنظل نعاني؟ إن كل ثانية وقت الضيق تجعل كائناً ما في العالم أقرب إلى شيء لا يستطيع تحمله، كائناً لا يستطيع التفكير لا في الماضي ولا في المستقبل، وبالتالي يتم اختزاله إلى حالة المادة."<sup>(٣)</sup>

ففي الضيق يختفي تصور الماضي، بل ويشعر الإنسان أن ماضيه قد سُلب منه، فما اعتاد أن يفعله أو ما كان يمتلكه، كل ذلك أصبح في لحظة وكأنه لم يكن<sup>(٤)</sup>، أما المستقبل فيمثل مفارقة في حد ذاته؛ إذ إنك في اللحظة التي تواصل فيها التفكير وتتمنى في داخلك أن يأتي وتنتهي تلك التجربة، يملكك الشعور بأن المستقبل لن يأتي أبداً، وأن هذه التجربة لن تنتهي، وتبدأ في التفكير في هذا الأمر على أنه مستحيل وضروري، وقتها يتوقف التوجه الطبيعي للفكر باتجاه المستقبل.<sup>(٥)</sup>

إن توقع المستقبل أمراً ضرورياً لا يمكن أن يتوقف داخل الذات الإنسانية، فكل لحظة حاضرة تحمل في داخلها المستقبل، ففي كل لحظة حاضرة

(\*): "We must act as becomes a slave while contemplating with love."

(1) Weil, S: Gravity and Grace, " Necessity and Obedience ", P: 50.

(2) Ibid, " Affliction ", P83.

(3) Ibid ,P: 82.

(4) Ibid, " Renunciation of time" P: ١٩.

(5) Ibid, " Affliction ", P: 82.

يتحقق فيها ما نتمناه أو حتى لم يتحقق، يحدث انتقال ضروري إلى اللحظة التالية التي تمثل المستقبل، ويظل التعلق بما هو آتٍ أمراً لا يمكن أن يتوقف؛ فالمستقبل لا يتوقف إذن عن كونه كذلك مستقبلاً<sup>(١)</sup>.

وهنا تكمن الصعوبة؛ فذلك الشعور ليس بالأمر البسيط، أن تستطيع أن توقف بداخلك كل رغبة أو تمني للمستقبل فذلك أمراً لا يحتمل، لأنه ببساطة أمراً يعادل الموت. لقد شبهت "فايل" الزمن بالكهف الذي نسكن فيه والخروج من ذلك الكهف هو الانفصال عن هذا العالم<sup>(\*)</sup> من أجل أن ترتبط بالمحبة اللانهائية. إن "فايل" تؤكد أن تلك العلاقة بين الضيق والزمن هي علاقة ضرورية؛ فالماضي والمستقبل يعيقان التأثير النافع للضيق؛ وذلك هو السبب في أن التخلي عن الماضي والمستقبل هو أحد خطوات إنكار الذات سعياً للاتصال باللامحدود (المحبة اللانهائية)<sup>(٢)</sup>.

#### ٤. كل بريء في الضيق ملعون

##### "للمبتلى هوان في أفكار المطمئن"<sup>(٣)</sup>

ترى "فايل" سمة أخرى للتجربة أو الضيق، ولكن هذه السمة خاصة بنظرة الآخرين لمن يقع في التجربة، ألا وهي الإحساس بالهوان أو الازدراء، فترى أن التجربة أو الضيق يُصاحبها دائماً شعور بالنفور والاشمئزاز الذي يلتصق بالإنسان في لحظات الضيق، ذلك الإحساس بالذنب أو الدنس الذي يُفترض

(1) Ibid, "Renunciation of time", P:20.

(\*) فكرة الكهف هي فكرة أفلاطونية صميمة، فكما كان يرى أفلاطون أن الجسد هو الكهف الذي تسجن فيه الروح ويعوق انطلاقها إلى عالم المثل، ترى "فايل" أن الزمان هو الكهف الذي يعوق الذات عن اتصالها بالأبدى، والزمان هنا يقصد به تطلعات الذات ورغباتها، وهنا نرى جانب آخر لتأثر "فايل" بأفلاطون، ومن جانب آخر نرى أصداء هذه الفكرة أيضاً عند "كيركجور" خاصة في مناقشته لملامح وسمات المرحلة الدينية، فيرى "كيركجور" أن الشخصية الدينية، هي الشخصية الساعية والمجاهدة للاتصال باللامتناهي، ولا يحدث هذا الاتصال إلا من خلال تمسك الإنسان بما هو أبدي، ونسيانه كل ما هو دنيوي فيما يسمى "محاولة الذات الموت عن العالم" وفي هذه المحاولات تتجرد الذات عن العالم، وعن الزمان، ولا يصبح لها علاقة إلا بالأبدية. ولذلك فالإنسان الديني لا يحيا في الزمان، لأنه مات عن هذا العالم، وقيل عالم فوق الزمان.

>> عبد الرحمن بدوي: "دراسات في الفلسفة الوجودية" ط٣، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص٤٩.

Moor, C. E.: "Provocations, Spiritual Writings of Kierkegaard", The Bruderhof Foundation. Inc. USA, 2002., P: XXIII

(2) Ibid, "Renunciation of time", P:19.

(٣) سفر أيوب (١٢:٥) وربما تكون هذه الآية هي الوحيدة في سفر أيوب التي تعبر عن الضيق بلفظ البلاء.

منطقياً أنه نتيجة لما اقترفه الإنسان من خطايا، أو ما ارتكب من آثام، حتى أن "فايل" ترى أن هذا الشعور موجود لدى كل البشر - باستثناء الذين يملأ المسيح كل نفوسهم - يزدرون المُجرب بدرجة ما، حتى وإن كانوا لا يعون ذلك<sup>(١)</sup>، بل إنها ترى أن الرأفة بمن هم في حالة الضيق تكون أمراً مستحيلاً، وعندما تحدث تكون أمراً أكثر دهشة من معجزة المشي على الماء أو شفاء الأمراض أو حتى إقامة ميت<sup>(٢)</sup>.

لقد كانت الفكرة والاعتقاد السائد في الديانات السماوية عامة والفكر اليهودي خاصة أن كل تجربة أو مرض أو شقاء هو نتيجة لخطيئة أو إثم ارتكبه الشخص<sup>(\*)</sup>، ولذلك يُنظر دائماً إلى الشخص المُجرب بنظرة الخاطئ الذي يعاقبه الله على هذا الخطأ، وقد ظهر هذا الأمر بوضوح في سفر أيوب الذي تستخدمه "فايل" كنموذج للتجربة أو الضيق فيقول "أيوب" في حوار مع أصدقائه الذين يعتقدون أن ما أصابه نتيجة إثم أو خطيئة عظيمة اقترفها فيقول: "مُعزون متعبون كلكم..... حتى متى تعذبون نفسي وتسحقونني بالكلام؟"<sup>(٣)</sup>.

(١) سيمون فايل: مختارات، الخبرة مع الله والبلاء، ص ١٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(\*) يمكن أن ندلل على هذا الأمر من الكتاب المقدس، ففي حوار السيد المسيح مع تلاميذه في معجزة شفاء الأعمى، سأله التلاميذ سؤال مباشر، أهذا أخطأ أم أبواه حتى يولد أعمى، وكان هذا الحال هو نتيجة لخطيئة أو أثم اقترفه الشخص أو أبواه، ولكن السيد المسيح يغير هذه الفكرة فيقول: "لا هذا أخطأ ولا أبواه ولكن لكي تظهر إرادة الله فيه" (يوحنا ٩ : ٣، ٢)، ذلك الأمر ان دل على شئ فهو يغير ذلك الارتباط بين كون الألم نتيجة للخطيئة، وكأنه يريد ان يقول لا بد ان تتغير نظرتكم، فلا يصح أن نقول على كل متألم أنه متألم نتيجة لخطيئته، فالمؤمنون لم ينالوا وعداً بالألأ يحل بهم ضيق أو ألم غيرهم من سائر البشر، إنما بالعكس يتعرضون لضيق أكثر. لكن ما يعزيهم هو إدراكهم لخطة الله في كل شيء، وتمتعهم بالنعمة الإلهية التي لهم فيها كل الكفاية.

والمعني نفسه نراه في مفهوم البلاء في الإسلام؛ بأعتبره امتحان من الحق لعبده، أو امتحان أجساد الأحبه بأنواع من المشقات والأمراض والألام، وكلما كان البلاء أكثر قوة علي العبد، فإنه يكون أكثر قرباً للحق، لأن البلاء لباس الأولياء، ومهد الأصفياء، وبظهر البلاء علي ثلاث أنواع بلاء عام: للتأديب، وبلاء الخاص للتهذيب، وبلاء الأخص للتقريب وهذا ما حدث مع أيوب أيضاً فنجد قوله تعالى يشهد له قائلًا: (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) [ص: ٤٤]، وأيضاً قوله تعالى (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (٨٣) فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين(٨٤)) [الأنبياء ٨٣- ٨٤].

>> انظر: تادرس يعقوب ملطي: تفسير انجيل لوقا، [https://st-takla.org/pub\\_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/04-Enjeel-Youhanna/Tafseer-Engeel-Yohanna\\_01-Chapter-09.html#3](https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/04-Enjeel-Youhanna/Tafseer-Engeel-Yohanna_01-Chapter-09.html#3)

رفيق العجم : موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مادة "البلاء"، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، بيروت

١٩٩٩، ص ١٥٤ <<

(٣) أيوب (١٦: ٢)، (١٩: ٢)

ما أصعب هذا الشعور على أي نفس! فلا يكفي ما تشعر به من آلام جسدية ونفسية ولكن ربما في هذه اللحظات يكون الألم الناتج عن تلك النظرة أصعب بكثير، ليس ذلك فحسب، بل إن الأمر يزداد صعوبة حين يشعر المُجرب في لحظة من اللحظات أن هذه النظرة صحيحة، وهنا ينقلب هذا الازدراء، وذلك النفور وتلك الكراهية لدى المُجرب وتدخل إلى مركز النفس وتجعله يبحث في نفسه عن ذلك الإثم الذي اقترفه، بل يمكن أن يصل به الأمر إلى حد اليأس الذي ينعكس بدوره على نظره للكون كله، و"يسمها" على حد تعبير "فايل"<sup>(١)</sup>.  
 إن المُجرب عند "فايل" يُحرّم من كل علاقة إنسانية، وليس لديه سوى نوعين من العلاقات الممكنة مع البشر:

النوع الأول: علاقة يظهر فيها المُجرب كشيء، وتكون علاقته مع من حوله نوع من العلاقة الميكانيكية، أي مثل قطرتي ماء متجاورتين لا تدري أحدهما عن الأخرى أي شيء ولا تشعر بها ولا بالسيف الذي يجتاز في نفسها.

النوع الثاني: هو المحبة الفائقة، فعندما يرى شخصاً ما شخصاً آخر يمر بتجربة الضيق يحاول على حد تعبير "فايل" أن ينقل إليه كينونته، بمعنى أن يحمل ضيقه، ولو للحظة واحدة، وأن يأخذ بإرادته وطوعاً ما يفرض على النفس بالإكراه وما يتعارض مع الإرادة، وهذا الأمر مستحيل.

وترى "فايل" أن هذا الأمر لا يستطيع أحداً فعله! وحده المسيح فعل ذلك، ولذلك حتى الأفراد النادرون الذين ترى "فايل" أنهم قادرون على هذه المهمة، وذلك لأن المسيح نفسه يملأ كل حياتهم، عندما يقدمون هذه المحبة لا ينقلون كينونتهم هم للمُجرب، ولكن ينقلون له المسيح نفسه.<sup>(٢)</sup>

إن "أيوب" نفسه وصل إلى هذه اللحظة التي جعلته يصرخ منادياً ببراءته محاولاً أن يلتمس الحكم من الله، ولكن هل سيسمع الله هذه الصرخة، ويبرئه وينتقله من هذا الضيق!؟

(١) سيمون فايل: مختارات، الخبرة مع الله والبلاء، ص ١٢٠.  
 (٢) سيمون فايل: مختارات، الخبرة مع الله والبلاء، ص ١٣٤، ١٣٣.



### ٥. الضيق والشعور بغياب الله

"هأنذا أذهب شرقاً فليس هو هناك، وغرباً فلا أشعر به، وشمالاً حيث عمله فلا أنظره يتعطف الجنوب فلا أراه"<sup>(١)</sup>.

إذا اجتمع الألم الجسدي مع الألم النفسي وألقى اليأس بظلاله على النفس؛ فتحاول البحث عن مخرج، وتتنظر إلى السماء حيث الإله المُحب، فتبحث عنه، ولكنها لا تجده، هنا يدخل إلى أعماق النفس نوع من الرعب والخوف، وتصرخ كما صرخ المسيح على الصليب: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟".

تشرح "فايل" سمة جديدة من سمات الضيق أو التجربة فتقول: إذا كان المُجرب يشعر بالازدراء نتيجة نظرة الآخرين له، فيحاول أن يلتصق بحكم البراءة من الله، إلا أنه في تلك اللحظات يشعر الإنسان بغياب الله، وتعبر عن ذلك الوضع بعبارة أكثر قسوة فتقول: "إن غياب الله في هذا الوقت يكون أكثر من غياب كائن ميت، كغياب الضوء من زنزانة يلفها الظلام"، وقتها يتخلل داخل النفس شعور بالخوف، شعور بأنه ليس هناك شيء يمكن أن يكون موضوعاً للحب.<sup>(٢)</sup>

إن خطورة هذا الشعور عند "فايل" يتمثل في حالة اليأس التي قد يصل إليها المُجرب، والتي إذا استمر فيها يفقد الضيق أحد أهم أبعاده، يفقد كونه صورة للمحبة الإلهية؛ لأنه إذا توقفت النفس عن الحب في هذه الظلمات فإنها ستسقط \_حتي وهي في الحياة الدنيا \_ في شيء يعادل الجحيم، وهنا سيصبح غياب الله نهائياً.

وهنا يظهر مفهوم "جديد" عند "فايل" هو بمثابة الدعامة التي تجعل الفرد ثابتاً في محبته، دون ان تحركه أي صدمة من الخارج، وهو مفهوم "الصبر أو الإحتمال" أو "الإيبوميني en hypnomene"<sup>(\*)</sup>، إن هذا الثبات أو التحمل هو بفضل بذرة الحب الإلهي الملقاة والموجودة بداخل النفس.<sup>(١)</sup>

(١) سفر أيوب (٢٣: ٨)

(٢) سيمون فايل: مختارات، الخبرة مع الله والبلاء، ص ١٢١.

(\*) الإيبوميني en hypnomene: هي كلمة يونانية "ύπομονή" الأصل، تعني حرفياً: الصبر أو الإحتمال، والمقصود بها أن يظل الإنسان ثابتاً تحت ما يسبب له الألم، ويتوافق هذا المعنى مع ما جاء في الكتاب المقدس، "ولكن

إن "فايل" تؤكد دائماً على أنه لا يمكن النظر إلى الضيق إلا باعتباره بُعداً، تجربة مستمرة للنفس، إذ ينبغي أن تستمر النفس في المحبة دون غاية، أو تريد على الأقل أن تُحب، وحتى لو بقدر ضئيل، وقتها فقط يظهر الله بذاته يوماً، وينكشف لها جمال الوجود، كما هو الحال عند "أيوب" الذي حينما انتهت تجربته صرخ قائلاً: "بسمع الأذن سمعت عنك أما الآن فقد رأتك عيناى" (٢).

### الخاتمة

والآن يمكننا حصر النتائج المترتبة على التساؤلات الرئيسية في البحث والتي طرحناها في المقدمة سعياً للإجابة عن التساؤل المحوري " ما طبيعة العلاقة بين الحضور والغياب في التجربة الروحية عند فايل في ضوء مفهوم المفارقة؟"

أولاً: النتائج المترتبة على العلاقة بين المعاناة والوجود الإنساني عند "سيمون فايل":

- ترى "فايل" أن هناك ارتباطاً بين المعاناة والوجود الإنساني، فهي ترى أن المعاناة أمر إنساني يتفرد به الوجود الإنساني حتى عن الوجود الإلهي، ونتيجة لذلك كان التجسد أمراً ضرورياً حتى يتلاشى ذلك التميز.
- تساعد المعاناة الإنسان في كشف حقيقة ذاته باعتباره جزءاً لا يتجزأ من هذا الوجود، يخضع لقوانينه وضروراته، ويتعلم من خلالها كيف يتواضع وينكر ذاته؛ فالهدف الأسمى للمعاناة عند

الذي يصبر إلى المنتهى فهذا بخلص. (متى ١٣: ٢٤)، "ها نحن نطوب الصابرين. قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب. لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف." (رسالة يعقوب ٥: ١١)، بل نفتخر أيضاً في الصيقات، عالمين أن الصيق ينشئ صنيراً، والصبر تركيبة، والتركيبة رجاء، والرجاء لأخزي، لأن محبة الله قد انشكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (رو ٥: ٤). والمعنى نفسه أيضاً نجده في القرآن الكريم عما يتحدث عن أيوب ويصفه بالصبر إننا وجدناه صابراً يعم العبد فإنه أواب (ص - ٤٤)، والصبر هنا وفقاً لموسوعة المصطلحات الصوفية: مقام من مقامات الدين ومنزل السالكين، ويكون الصبر على ثلاث مقامات أولها: ترك الشهوة وهي درجة التائبين، وثانيها: الرضا باقدر، وهذه درجة الذاهدين، وثالثهما المحبة: لما صنع به مولاة وهذه درجة الصديقين.

(١) سيمون فايل: مختارات، رسالة إلي جو بوسكيه، ص ٧٠.  
<< انظر: رفيق العجم: موسوعة مطلقات التصوف الإسلامي، مادة "الصبر"، ص ٢٥٥، ٢٦٦ >>  
(٢) سفر أيوب (٥: ٤٢)

"فايل" هو أن يتعلم الإنسان أنه "لا شيء"، وذلك كخطوة للوصول إلى مرحلة "إنكار الذات"، أو "إخلاء الذات"، لتكون متأهبة بعد ذلك للتواصل مع الله.

▪ ترفض "فايل" فكرة البطولة في المعاناة، أو ارتباطها بأي نوع من أنواع التميز، أو النظر إليها باعتبارها منحة إلهية أو هبة للمختارين أو الصالحين، كما ترفض فكرة انتظار أي ثواب من جراء المعاناة، لأن مثل هذه الأمور هي أوهام زائفة تساعد الإنسان على الشعور بذاته، ما يتنافى مع الهدف الرئيس للمعاناة.

### ثانياً: النتائج المترتبة على المقارنة بين تجربة الضيق والمعاناة عند "فايل"

بالرغم من التشابه في ملامح المعاناة والضيق عند "فايل"، إلا أنها ترى إنهما مفهومان متميزان عن بعضهما، قد يمثلان مرحلتين متتابعتين تمر بهم الذات في تواصلها مع بالله، ولكنهما مختلفتان، ويمكن تليخيص أوجه الشبه والاختلاف بين الضيق والمعاناة في النقاط الآتية:

١. **من حيث الماهية:** في الوقت الذي ترى فيه "فايل" المعاناة باعتبارها سمة مميزة ولازمة للوجود الإنساني تتمثل في شعوره ووعيه بالألم الناتج من صراع رغباته بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، ترى "فايل" في الضيق سمة وصورة للمحبة الإلهية التي تأخذ صورة جدلية "فمثلما أخلى الله ذاته"<sup>(١)</sup> ليظهر محبته للإنسان هكذا لا بد أن يتخلى الإنسان ذاته ليظهر حبه لله.

٢. **من حيث السبب والغاية:** ترجع "فايل" المعاناة في الأساس إلى أنانية الإنسان وتطلعاته ورغباته، أما غايتها فهي أحداث تحول في حياة الفرد وتوجيه نظره إلى الوجود الإلهي من خلال محاولة

(١) " فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيُّضًا، الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ، لِكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، أَخَذًا صُورَةَ عَبْدٍ، وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كِإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيبِ." رسالة فليبي (٢، ٥-٨)

ما أسمته تدمير "الأنثا" أي الوصول إلى حالة إنكار أو إخلاء الذات، ولذلك اعتبرت "فايل" المعاناة وسيلة تربوية، أما الضيق فتكمن صعوبته في عدم قدرتنا على الوصول إلى سبب، لأنه مجهول الهوية، لا يقع فيه سوى من وصل إلى مرحلة الكمال، وقد دمرت النعمة "الأنثا" لديه تماماً، وغايته المشاركة في صليب المسيح.

٣. **ثالثاً: من حيث علاقتهما بالألم الجسدي:** بالرغم من أن الضيق والمعاناة يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالألم الجسدي إلا أن الهدف النهائي مختلف، فالألم الجسدي في المعاناة ناتج عن كون الجسد الذي يمثل الجانب المادي في الإنسان لا بد أن يخضع للضرورة بقدر ما هو مغاير لها، أما الألم الجسدي في الضيق هو الذي ينبه الفكر إلى وجود الإنسان في هذه التجربة، لأنه لما كان الضيق أمراً مفروضاً وليس اختيارياً ولما كان الفكر في طبيعته لا يمكن أن يكون مُكرهاً على شيء، فقد يرفض الفكر الضيق، ويعلله بالأكاذيب والأوهام ويتحول إلى مجرد حالة شعورية أو نفسية، بينما لا بد في حالة الضيق أن يجتمع الألم الجسدي والألم النفسي والتدهور الاجتماعي.

### **ثالثاً: صور المفارقة في فكرة الضيق عند "فايل":**

في سياق مناقشة "فايل" لفكرة الضيق نجد أنها احتوت على مجموعة من المفارقات يمكن أن نجملها في النقاط الآتية:

- **١- الضيق يجمع بين الممكن والمستحيل (المعقول واللامعقول):** إذ ترى "فايل" أن معرفة الضيق عقلياً مستحيلة، إذ يعجز الفكر عن قبوله، ولا ينبه الفكر له سوى الألم الجسدي، إلا أنها في الوقت نفسه ممكنة فقط من خلال النعمة، فاجتيازه يتطلب أن يكون الإنسان قد وصل إلى مرحلة إخلاء وإنكار كامل للذات حتى يملأها الوجود الإلهي، وهنا تتضح هذه

الحالة باعتبارها شكل من أشكال المحبة، ولكن وهذه المرحلة لا يصل إليها الإنسان إلا من خلال النعمة الفائقة.

■ **٢- الضيق يجمع بين الحرية والضرورة**، وتظهر هذه الصورة في أكثر من جانب منها حرية الفكر الذي لا يمكنه أبداً أن يكون مكرهاً على شيء، وضرورة الوجود المادي التي نخضع لها، وتظهر في شعور الفرد بالألم الجسدي والنفسي والاجتماعي، ومن جانب آخر إذا كان "الصليب" هو جوهر الضيق، وفي الصليب نرى مثال المسيح الذي بإرادته وحرسته تنازل وأخلى ذاته من أجل محبته للإنسان، كذلك لا بد أن يتنازل الإنسان بإرادته ليقبل ما هو مرغم عليه من أجل محبته لله، وفي ذلك منتهي الحرية.

■ **٣- الضيق يُظهر الضرورة ذاتها باعتبارها مفارقة**؛ إذ هي تشبه عملة ذات وجهين: الأول وجه السيطرة المتجه نحونا، والآخر وجه الخضوع المتجه نحو الله، فنكون نحن عبيد للضرورة من جانب، وفي الوقت ذاته أبناء ربها، عندما لا تفعل ما نريد، وعندما تجبرنا على تكبد ما لا نريد، يهب لنا الحب المرور عبرها لرؤية وجه الطاعة التي تُظهره نحو الله.<sup>(١)</sup>

■ **٤- الضيق هو نقطة التقاء بين تناهي الإنسان ولا تناهي الوجود الإلهي**، ولذلك أطلقت عليه "فايل" أعجوبة التقنية الإلهية؛ لأنه ببساطة الآلية التي من خلالها تُدخل في نفس المخلوق المتناهي المحبة الإلهية اللامتناهية فيجتمع عندئذ المحبة بوصفها الوجود الإلهي مع الضرورة بوصفها تمثل جوهر الوجود الطبيعي.

■ **٥- الضيق يجمع بين الضعف والقوة في حدودهما القصوي** فحالة الضيق كما ظهر في حالي أيوب والمسيح. تكشف ظاهرياً عما أسمته هشاشة الوجود الإنساني، إذ يظهر الإنسان في أقصى درجة من درجات الألم الجسدي والنفسي والازدراء النفسي والتدهور الاجتماعي، بل إن كلمات

(١) سيمون فايل: مختارات، الخبرة مع الله. حب الله والبلاء، ص ١٣٠، ١٣١.

المحيطين بما تحمله من إدانة واتهام تكون مؤلمة بشكل أكبر حتى من الألم الجسدي، ولكن مظهر الضعف يخفي وراءه قوة الذات التي تخلصت من كل أنانية ورغبة، وقطعت كل علاقة لها بالمحدود رغبةً في اتصالها فقط باللامحدود.

■ ٦- الضيق يجمع بين غياب وحضور الوجود الإلهي، ربما تكون هذه الصورة هي الأكثر وضوحاً عن "فايل"، فهي ترى أن الإنسان في أوقات الضيق يشعر بغياب الوجود الإلهي، وهذا الأمر ظهر بوضوح في المثاليين الذين طرحتهما "فايل" وهما شخصية أيوب والسيد المسيح على الصليب، ولكنه في الحقيقية حاضراً، أولاً حاضراً في الوجود المادي من خلال القوانين الضرورية والتي تعطيها "فايل" مفهوم الطاعة، وموجود في بذرة الحب الإلهي الموجودة داخل الإنسان والتي تمكنه من رؤية الضيق على أنه بُعد من أبعاد المحبة الإلهية.

وأخيراً: يمكننا الآن أن نجمل أهم النتائج التي توصلنا إليها في الإجابة عن السؤال الرئيس: عن طبيعة العلاقة بين الحضور والغياب في التجربة الروحية عند فايل في ضوء مفهوم المفارقة، فوجدنا أن الصورة الرئيسة لها ظهرت عند "فايل" في حضور وغياب الوجود الإلهي في تجربة الضيق وكيف يكون حاضراً بالرغم من شعور المجرى بغيابه، ولكن من جانب آخر كانت مفارقة الحضور الغياب نفسها متضمنة في صور المفارقة التي عرضناها آنفاً؛ فتجربة الضيق يمكن أن نرى فيها حضور للمعقول أي الإيمان وغياب للمعقول (أي العقل ومبرراته)، وأيضاً حضور للحرية في (حرية الفكر)، وغياب للضرورة التي تتحول في لحظة إلي طاعة وخضوع، كما تظهر أيضاً في حضور القوة التي يتحلى بها الإنسان والتي يتمكن من خلالها أن يتنازل عن أنانيته وغياب للضعف الذي وان بدا ظاهراً في المظهر الجسدي إلا ان الروح تكون وصلت إلي أقصى درجات قوتها حين تتصل باللامتناهي.

### التوصيات:

- في نهاية هذه الدراسة يمكن لنا أن نذكر بعض التوصيات منها:
- ١- التفرقة التي أقامتها "فايل" في تحليلها لفكرة المعاناة وفكرة الضيق، ومحاولة ربط الضيق بالمحبة الإلهية عندها، قد يساعدنا في تغير نظرتنا لكثير من الأحداث في حياتنا، والتي تمتلئ بالأحداث المأساوية التي لا يمكن تفسيرها عقلياً.
  - ٢- بالرغم من أن هذا البحث ركز على التجربة الروحية عند "فايل"، إلا أن فلسفتها الاجتماعية والسياسية لاتزال حقلاً بكرّاً وخصباً للدراسة.
  - ٣- كشفت هذه الدراسة عن تأثير الفكر الوجودي خاصة عند "كيركجور"، و"نيتشه"، وظهوره بوضوح في فلسفة "فايل" الدينية\_ بالرغم من انها لم تفصح عن ذلك صراحة\_ " وهذا يدل على تأثير الفكر الوجودي على فلاسفة هذه المرحلة الزمنية، مما يفتح باباً لدراسة ذلك التأثير على فلاسفة هذه الفترة الزمنية.

### قائمة المصادر والمراجع

#### أولاً: المصادر الأجنبية

##### أ. المصادر الأجنبية الخاصة بسيمون فايل:

1. **Weil, S:** Factory Work, politics, Edit by: Dwight Macdonald, Vol. 3, No.11 (Whole No. 34) Decmber, 1946.
2. \_\_\_\_\_: Letter to a priest, Trans.by: A.F.Wills, Putnam, New York,1954.
3. \_\_\_\_\_: Waiting For God, Trans.by: Emma Crawford, Perennial Library, NewYork,1973.
4. \_\_\_\_\_:lectures on Philosophy, Trans.By: Hugh Price,Cambridge University Press 1978.
5. \_\_\_\_\_: Gravity and Grace, Trans. By: Emma Crawford, First published, Routledge press ,London,2002.

6. \_\_\_\_\_ : An Anthology, Edited and Introduced by: Sian Miles, Penguin Books, Penguin Classics 2005.

#### ب. المصادر الأجنبية العامة

7. Buber, M. The prophetic faith, Princeton University Press, U.S.A. 2015.
8. Kierkegaard, S. : The Journal of Kierkegaard, Trans. by: Alexander Dru, Harper Torch Book, First edition, 1959.
9. Nietzsche, F.: On the Genealogy of Morals, trans. by: W.Kaufmann & R.J.Hollingdale ,Vintage Books Edition, New York,1989.
10. \_\_\_\_\_: The Gay Science, Trans. by: Josephine Knockoff, Cambridge University Press, 2001.
11. Schopenhauer, A.: The Essays of Arthur Schopenhauer; Studies in Pessimism, On the Sufferings of the World, Trans. By: T.Bailey Saunders, cosimo classics, New York, 2007.

#### ثانياً: المراجع الأجنبية

12. Aaltola, E.: Philosophical Narratives of Suffering: Nietzsche, Levinas, Weil and Their Cultural Roots., suomen Antropologi, volume 43 issue 3 autumn 2018.
13. Anthony, E.o.: problem of suffering :The Philosophical Perspective, International Journal of Religion and Theology, vol.4, No.1, Dec.2015.
14. Athansiadis, N.: The Experience of Affliction and the Possibility of love in the Life and Thought of Simone Weil, McGill University, Montreal, UMI, 2001.
15. Banerjee, K., & Bloom, P. Why did this happen to me? Religious believers' and non-believers' teleological reasoning about life events. Cognition, vol.133(1), 2014.
16. Bradshaw, A., & Fitchett, G.: "God, why did this happen to me?" Three perspectives on theodicy. Journal of Pastoral Care & Counseling, Vol. 57(2), 2003.
17. Evans, C. S.: "Kierkegaard on Faith and the Self", Baylor University Press , Texas, USA ,2006.



18. Hermida, J. Ranilo B. Simone Weil: A Sense of God, Logos: A Journal of Catholic Thought and Culture, 9.1,2006.
19. Hyvärinen, A.: Painful intelligence :What AI can tell us about human suffering?, University of Helsinki, Version 1,2022.
20. Moor, C. E.: "Provocations, Spiritual Writings of Kierkegaard", The Bruderhof Foundation. Inc. USA, 2002 .
21. Pétrement, S.: Simone Weil: a life, Trans.by: Raymond Rsenthal, Pantheon Books, New York :1976.
22. Rosch,R.: Émigré Scholars and the Genesis of International Relations, Art:" Simone Weil: An Introduction", by: Helen M. Kinchella, Palgrave Macmillan, First published, UK, 2014.
23. Saatte, H. A.:The Pertinence Of The Paradox, Humanities Press, New York,1968.
24. Thomas, C.: Simone Weil: The Ethics of Affliction and the Aesthetics of Attention. International Journal of Philosophical Studies, 28(2), 2020.
25. Veto,M: The religious metaphysics of Simone Weil, Trans.by: Joan Dargan, State University of New York Press,1994.
26. Yoda, K: Simone Weil on Attention and Education, Columbia University, Published by: ProQuest , 2014.
27. Walsh,S: Kierkegaard Thinking Christianly In An Existential Mode, Oxford University Press Inc., New York, 2009.

### ثالثاً: موسوعات وقواميس فلسفية

28. Edwards, P: " The Encyclopedia of Philosophy " Macmillan , Vol(9) , Second Edition, New York ,1996.
29. Michelman , S.: Historical Dictionary of Existentialism, The Scarecrow Press, Inc, 2008.

رابعاً: المصادر المترجمة إلى العربيةأ. المصادر المترجمة إلى العربية الخاصة بسيمون فايل

٣٠. سيمون فايل: مختارات ترجمة: محمد علي عبد الجليل ، دار معابر ، الطبعة الأولى ، دمشق، ٢٠٠٩.

٣١. سيمون فايل: التجذر، ترجمة : محمد علي عبد الجليل، دار معابر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠١٠.

ب. المصادر العامة المترجمة إلى العربية:

٣٢. ألبير كامبي: أعراس، ترجمة: جورج طرابيشي، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٧٠.

٣٣. —: أسطورة سيزيف، ترجمة: أنيس زكي حسن، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٨٣.

٣٤. القديس أثناسيوس: تجسد الكلمة، ترجمة: رجمة القس داود مرقص، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٨٧.

٣٥. توماس الكمبيني: الاقتداء بالمسيح، ترجمة الرابطة الكهنوتية، منشورات الآداب الشرقية، بيروت، ١٩٤٤، ص ١١٢.

٣٦. توماس مور: يوتوبيا، ترجمة: إنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٣، ١٤.

٣٧. سورين كيركجور: أعمال المحبة نصوص من التراث الوجودي، ترجمة: فؤاد كامل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.

٣٨. جان بول سارتر: الشيطان والإله الطيب، ترجمة غياث حجار، دار الاتحاد، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٢.

٣٩. فريديش نيتشه: العلم الجذل، ترجمة: سعاد حرب، دار المنتخب العربي، بيروت، ٢٠٠١.

٤٠. —: عدو المسيح، ترجمة: جورج ميخائيل ديب، دار الحوار، الطبعة الثانية، د.ت.

٤١. \_\_\_\_\_: إرادة القوة، ترجمة: محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١١.

### خامساً: المراجع العربية :

٤٢. إيتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح، مكتبة مدبولي، ط٣، القاهرة، ١٩٩٦.
٤٣. البابا شنودة الثالث: تأملات في الميلاد، مطبعة الأنبا رويس، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٠.
٤٤. إمام عبد الفتاح: كيركجور رائد الوجودية، (ج٢)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦.
٤٥. باري بي باول: هوميروس، ترجمة: محمد حامد درويش، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٩.
٤٦. جون كولر: الفكر الشرقي القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، يوليو ١٩٩٠، العدد رقم ١٩٩.
٤٧. داميان كيون: البوذية مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: صافية مختا، مؤسسة هنداوي للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠١٦.
٤٨. رجب سلامة عمران: العقوبات البدنية في روما حتى نهاية العصر الإمبراطوري، مجلة وقائع تاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، عدد (٧)، ٢٠٠٧.
٤٩. رشيد العلوي: الفلسفة بصيغة مؤنثة، مؤسسة هنداوي، للطبع والنشر، ٢٠١٧.
٥٠. زكريا إبراهيم: مشكلة الحب، دار مصر للطباعة، ط٣، القاهرة، ١٩٨٤.
٥١. عثمان أمين: الرواقية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٤٥.
٥٢. كوستي بندلي: إله الإلحاد المعاصر منشورات النور، بيروت ١٩٦٨.

**سادساً: المعاجم والموسوعات الفلسفية العربية:**

٥٣. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج(٢)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
٥٤. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ط٣، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦.
٥٥. رفيق العجم : موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، باب "البلاء"، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٩.
٥٦. روني ايلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة، (ج٢)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢.
٥٧. مراد وهبه: المعجم الفلسفي، دار قباء للطبع والنشر، ط ٥، القاهرة، ٢٠٠٧.

**سابعاً: المواقع الإلكترونية:**

٥٨. تادرس يعقوب ملطي: تفسير انجيل لوقا ويوحنا  
[https://st-takla.org/P-1\\_.html](https://st-takla.org/P-1_.html)
٥٩. محمد جلوب الفرحان: سيمون فايل الفيلسوفة الفرنسية النسائية في القرن العشرين/ مجلة أوراق فلسفية الجديدة، مارس ٢٠١٩.  
<https://philospaper.wordpress.com>

## النزعة الوجودية في فكر التوحيدي

د. ريهام أبوالمعاطي

مدرس بقسم الفلسفة

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

[rehammaaty@gmail.com](mailto:rehammaaty@gmail.com)

doi: 10.21608/jfpsu.2022.156872.1225

## النزعة الوجودية في فكر التوحيدي

### مستخلص

إذا قيل أن القرن الرابع الهجري يعد قرن نضج المعارف الإسلامية فإن التوحيدي خير من يمثله ، وفي ضوء دراسة فكر التوحيدي من خلال كتاباته المختلفة وجدت آثاراً للمذهب الوجودي في فكره، وهذا ما سوف أوضحه من خلال دراستي، فالوجودية تبدأ من الأنا وتنتهي بالبحث في الوجود الأصلي والبعيد عن الوجود الزائف، واهتم التوحيدي بالوجود الإنساني ومشاعره وتجاربه وتطلعاته، وقدم مشكلة الإنسان على ما سواها من المشكلات، بحيث يمكن القول أن فلسفته ذات اتجاه إنساني ينبع من فكر الإنسان .

ومن خلال دراسة التوحيدي سوف أحاول اكتشاف المواقف التي تعرض لها وعرض آرائه في أهم الموضوعات السائدة عند جميع الفلاسفة الوجوديين هي مثل القلق ، اليأس ، الاغتراب، وهي موضوعات لم تناقشها الفلسفة التقليدية بإسهاب.

**الكلمات المفتاحية:** النزعة الوجودية، التوحيدي، الوجوديين، اتجاه إنساني،

المعارف الإسلامية.

## Existentialism in al-Tawhīdī's Thought

### Abstract

If it is said that the fourth century AH is considered the century of maturity of Islamic knowledge, then al-Tawhīdī is the best representative of it. In the light of studying al-Tawhīdī's thought through his various writings, I found traces of the existential doctrine in his thought, and this is what I will explain through my study. In essence, existentialism begins with the ego and ends with the search for original existence and distance from false existence. al-Tawhīdī was concerned with human existence, his feelings, experiences and aspirations, and he gave priority to the human problem over other problems. Accordingly, it can be said that his philosophy has a human direction that stems from human thought.

Through the study of al-Tawhīdī, I will try to discover the situations that he was exposed to and present his views on the most important topics prevalent among all existential philosophers, such as anxiety, despair, and alienation. These topics were not discussed in traditional philosophy at length.

**Keywords:** Existentialism, al-Tawhīdī, existentialists, humanism, Islamic knowledge.

## تمهيد:

إذا قيل أن القرن الرابع الهجري يعد قرن نضج المعارف الإسلامية؛ فإن التوحيدي(\*) خير من يمثله، لقد تنوعت مصادر ثقافته، والسبب في ذلك أنه تتلمذ على يد شيوخ من مذاهب مختلفة، وكان من أهم المجالس التي أثرت في ثقافته مجلس أبي سليمان السجستاني. فقد كان من أعضائه يحيى بن عدي \_ تلميذ الفارابي \_ ويظهر أثره على التوحيدي واضحاً في كتاب المقابسات، ومن أعضاء المجلس أبو سليمان عالم المنطق الذي فرضت عليه ظروف مرضه \_ البرص \_ أن يكون منزله وجهة أهل العلوم القديمة، وكانت علاقة التوحيدي به وثيقة؛ فقد كان جاره ولصيقه ومجاوره، كما أنه قد عرف نتاج سابقه في النقد والبلاغة وغيرهم من الفنون وتناوله إما بالإعجاب أو بالهجوم، "وكان متفنناً في جميع العلوم، من النحو واللغة والشعر والأدب والكلام"، كما أنه سافر إلى العديد من البلدان؛ لذا لا أغالي إذا قلت أن معرفته بعلم عصره كانت معرفة متخصص.

وفي ضوء دراسة فكر التوحيدي من خلال كتاباته المختلفة وجدث آثاراً للمذهب الوجودي في فكره، وهذا ما سوف أوضحه من خلال دراستي، فالوجودية تبدأ من الأنا وتنتهي بالبحث في الوجود الأصلي والبعد عن الوجود الزائف، واهتم التوحيدي بالوجود الإنساني ومشاعره وتجاريه وتطلعاته، وقدم مشكلة الإنسان على ما سواها من المشكلات، بحيث يمكن القول أن فلسفته ذات اتجاه إنساني ينبع من فكر الإنسان.

وهذا يتضح في العديد من مؤلفاته ولكن سوف أركز على (الصدقة والصدق)، (الهوامل والشوامل)، (الإمتاع والمؤانسة)، (المقابسات)، وأخيراً (الإشارات الإلهية) حيث إنها من أفضل الآثار المعبرة. وفي ثانياً هذه المؤلفات تعبير عن مشاعره ابتداءً من حرمانه واحتياجه إلى الصديق وتطلعه إلى مكانة عند الوزراء، وإلى الحصول على متع الدنيا والحرص على أن ينال منها كل ما يستطيع وتساؤلاته المعرفية المستمرة، ثم التوجه

\* اختلف القدماء في تاريخ ميلاد التوحيدي ما بين عام (٣١٠ هـ ٩٢٢م) وعام (٣٢٠ هـ ٩٣٢ م) اختلفوا في الموطن الذي نشأ فيه، فقيل شيرازي، وقيل واسطس، وقيل نيسابوري، وقيل بغدادي، بل لقد اختلفوا حتى في تاريخ وفاته ما بين عام (٤٠٠ هـ ١٠٠٩ م) وعام (٤١٤ هـ ١٠٢٣ م) محمد عمارة: أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٧ م.



إلى الله بعد شعوره باليأس والفشل والعجز والتوق العاطفي والغربة وهو ما عبر عنه في تساؤله "أين البال الرخي، والفؤاد الذكي، واللسان الحليف والصديق المساعد.....". وفي النهاية كفَّ عن التساؤل وراح ينظر في نفسه ويشرح حاله ويواجه نفسه وأدرك أنه كما قال: "حالي فسيئة كيفما قلبتها لأن الدنيا لم تواتني لأكون من الخانعين فيها، والآخرة لم تغلب علي فأكون من العاملين لها"<sup>(١)</sup>، فكان كتاب (الإشارات الإلهية) وكأنه يوميات مرید يسجل محاولاته المستمرة في ترويض نفسه ومجاهدتها، فقد حفل الكتاب بالأدعية الصوفية والزهد والمناجاة والدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي، وأظن أن اغترابه هو السبب الأساسي لهذا الكتاب أولاً، ولاتجاهه إلى التصوف ثانياً، فقد أصبح غير قادر على التصدي ومواجهة مجتمعه بما فيه من فساد فتوجه إلى الله الذي وجد في كنفه إشباع لحاجته الروحية.

### منهج الدراسة

لقد استخدمت في هذه الدراسة أكثر من منهج ، فاستخدمت المنهج التاريخي وذلك للتعرف على ظروف عصره السياسي والتي كان لها أكبر الأثر في تكوين افكاره ومواقفه الوجودية المختلفة ، والمنهج التحليلي وذلك لتحليل آرائه وافكاره في مؤلفاته ، كما استخدمت المنهج المقارن وذلك لمقارنه افكاره بافكار فلاسفة العصر الحديث الوجوديين امثال كيركجور ، جون ديوي ، تيليش ، كفكا وغيرهم للوصول الى مدى تشابه افكارهم.

### الدراسات السابقة

لقد تعددت الدراسات حول ابو حيان التوحيدي التي تناولت حياته ومؤلفاته بالتحليل والدراسة والنقد ، ولكن القليل منها القى الضوء على وجوديه التوحيدي مثل د/ بركات محمد مراد (ابو حيان التوحيدي مغترباً )، د/ عثمان سليمان موافى (أبو حيان التوحيدي ناقد اجتماعي ) ، د/ حميد رضا (ابو حيان التوحيدي بين النزعة العقلية والاتجاه الصوفي) ، د / ماهر شفيق فريد (التوحيدي كاتب الخبرة الوجودية ) ، د/ سليمان تركي

١ أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، حقق وقدم له د/ عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٠م، ج١، ص ١٨.

سليمان ( مظاهر الاغتراب في ادب التوحيدي ) ، د/ادوار الخراط ( كتاب الغربية وابو حيان التوحيدي )

### تساؤلات الدراسة

في هذا البحث سأحاول ايضاح إلى أي مدى ترددت أصداء المذهب الوجودي في فلسفة وفكر التوحيدي وذلك ما سأحاول تلمسه من خلال عرض مفهومه عن الآخر وإلى أي مدى كان للآخر في حياه التوحيدي أكبر الأثر في تشكيل مواقفه الوجودية المختلفة، بالإضافة إلى عرض مفهوم الاغتراب ومعرفة كيفية نجاته منه ومدى اتفائه أو اختلافه مع الفلاسفه الوجوديين.

### يتألف هذا البحث من أربعة مباحث وخاتمة:

**المبحث الأول:** النزعة الوجودية عند أبي حيان التوحيدي والتي تتضح من خلال مناقشة أمور يهتم بها الفلاسفة الوجوديين أكثر من غيرهم موضوعات تتعلق بالمشاعر الإنسانية والعواطف مثل القلق، الانتحار، اليأس.

**المبحث الثاني:** الآخر، وفي ضوء ذلك سوف أوضح رأيه في الآخر سواء أكان ممثل في الأسرة، أو الصديق، أو المرأة، أو الجمهور والعامّة، أو السلطة ومدى قرب آرائه في هذه النقاط من بعض فلاسفة الوجودية.

**المبحث الثالث:** اغتراب التوحيدي الوجودي.

**المبحث الرابع:** أهم معالم التصوف عند التوحيدي، وأهم رسائله في التصوف وعلاقته بالاغتراب.

## المبحث الأول: النزعة الوجودية عند أبي حيان التوحدي

بالنظر إلى أبي حيان التوحدي يمكن أن يُعد فيلسوفًا وجوديًا رغم أن فلسفة كيركجورد أول صورة كاملة لها، فالوجودية أحدث المذاهب الفلسفية وفي الوقت نفسه هي من أقدمها؛ لأن العصب الرئيسي للوجودية هو أنها فلسفة تحيا الوجود وليس مجرد تفكير في الوجود. والأولى يجدها صاحبها في تجاربه الحية، وما يعانیه في صراعه مع الوجود في العالم \_ هذا ما ينطبق على فيلسوفنا \_، أما الثانية فنظر مجرد إلى الحياه من خارجها وإلى الوجود في موضوعه<sup>(١)</sup>.

والوجودية تقوم بالبحث في مسألة الوجود الإنساني وعلاقته بالوجود الخارجي وموقفه من هذا الوجود، تتحو نحو تركيز الانتباه على بعض الموضوعات دون غيرها..... وهذه الموضوعات تختلف عن الموضوعات التي تشغل بال الفيلسوف عادةً، فعلى حين مثلاً أن مشكلات المنطق ونظرية المعرفة تبدو ضخمة في المدارس الفكرية الأقدم من الوجودية، فإن الفيلسوف الوجودي يميل إلى إهمال هذه المشكلات في شيء من الاستخفاف، والموضوعات السائدة عند جميع الفلاسفة الوجوديين هي موضوعات مثل الحرية واتخاذ القرار والمسئولية. وهناك موضوعات أخرى تتكرر لدى الوجوديين من بينها التناهي، الأثم، الاغتراب، اليأس، الموت وهي موضوعات لم تناقشها الفلسفة التقليدية بإسهاب، في حين أنها تعالج بالتفصيل عند الوجوديين<sup>(٢)</sup>.

وبالنظر إلى معظم فلاسفة الوجودية نجد أن معظمهم كانوا أدباء انتهجوا النهج الوجودي في رسم رؤاهم وتحليلاتهم مثل: سارتر الذي كان له عدد كبير من القصص والروايات والمسرحيات منها الأيدي القذرة، ألبير كامي فيلسوف العبث ومن أهم رواياته الطاعون والموت السعيد، جبريل مارسيل، وكذلك كان التوحدي فقد عرف بعبقرتيه الأدبية. فنجد أن حسه الأدبي والفني واضح في كتاباته خاصة كتاب المقابسات، فقد صاغ فيه الأفكار المتنوعة بأسلوب أدبي.

١ عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٠.  
جون ماكوري: الوجودية، ترجمة د/ إمام عبد الفتاح، مراجعة د/ فؤاد زكريا، عالم المعرفة، ١٩٨٢م، ص ١٩. ٢

فقد كان علم من أعلام الحركة الفلسفية الأدبية، فقليل عنه أنه: "فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة"<sup>(١)</sup>، فهو أديب فيلسوف يعلم أن في كل محسوس ظلاً من المعقول، وأن الحسيات معابر إلى العقل فليس بدعاً أن نراه يمزج الحس بالعقل والأدب بالفلسفة؛ لكي يخرج لنا من ذلك ثقافة حرة يرتاح لها المتأدب، ولا ينفّر منها المتفلسف"<sup>(٢)</sup>.

إن وجودية التوحيدي هي نفسها التي صاغها ماكوري "أسلوب في التفلسف، أسلوب يمكن أن يؤدي بمن يعتنقه إلى مجموعة من الآراء شديدة التباين حول العالم وحياة الإنسان فيه"<sup>(٣)</sup>.

وأولى هذه السمات التي تتميز بها الوجودية كونها (أسلوب في التفلسف) أن هذا الأسلوب يبدأ من الإنسان لا من الطبيعة، فهو فلسفة عن الذات أكثر منه فلسفة عن الموضوع.... فالفيلسوف الوجودي يفكر بانفعال عاطفي كمن اندمج كله في الوقائع الفعلية للوجود<sup>(٤)</sup>، وأدلاً واقعة على ذلك هي إحراق كتبه بسبب بأسه من مجتمعه وشعوره بعدم استحقاقهم علمه.

فهو يهتم كثيراً بالإنسان ومشاعره وتجاربه وتطلعاته، ومما يدل على اهتمامه بالوجود الإنساني وتقديمه مشكلة الإنسان على ما عداها من المشكلات قوله في الإشارات "رعمت الحكماء على ما أوجبه آراؤها ودياناتها أن من الوحي القديم النازل من الله قوله للإنسان اعرف نفسك، فإن عرفتها عرفت الأشياء كلها. وهذا قول لا شيء أقصر منه لفظاً، ولا أطول منه فائدة ومعنى"<sup>(٥)</sup>.

وبالنظر إلى فلسفة التوحيدي نجد أنها تجسيد لمفهوم الفردية التي تعني "ما يتميز به فرد عن آخر من الصفات الجسمية والمعنوية كبنيته، ومزاجه، وحساسيته، وذوقه، وأفكاره، وكل ما من شأنه أن يجعله ذا خلق فريد وطابع خاص"<sup>(٦)</sup>؛ أي أنه التوجه الذي

١ ياقوت الحموي: معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ م، ج٥، ص ٥.  
 ٢ زكريا إبراهيم: أبو حيان التوحيدي، "أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء"، المؤسسة المصرية العامة، ص ١٤.  
 ٣ جون ماكوري: الوجودية، ص ١٧.  
 ٤ جون ماكوري: المرجع نفسه، ص ١٧.  
 ٥ أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص ٣٩٤.  
 ٦ جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، الجزء الثاني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢ م، ص ١٤٠.

يشدد على فكرة استقلالية واعتماد الفرد على نفسه في اتخاذ قراراته حتى وإن عارضت هذه الأهداف المؤثرات الخارجية (الدولة، المجتمع، أو المؤسسات).

ويقترّب التوحيدي من جون ديوي ورأيه عن الفرد في كتابه (الفردية قديماً وحديثاً) الذي يدور حول التأكيد أن الفردية منيعة لا يمكن قهرها ولا تتراجع أمام العقبات التي تفرض عليه من قبل الأفراد أو السلطة أو المجتمع ككل.

وسمة أخرى يمتاز بها الفيلسوف الوجودي أنه يهتم بموضوعات لا يتعرض لها كثير من الفلاسفة وأغلبها موضوعات تتعلق بالمشاعر الإنسانية والعواطف مثل القلق، الانتحار، اليأس، الاغتراب وغيرها من الموضوعات التي سوف نلتمسها في فلسفة التوحيدي.

### الانتحار:

رغم ضيقه ويأسه من الحياة وخيبة أمله من الناس عندما تحدث عن الانتحار نجده يدين هذا الفعل شرعاً وعقلاً، ورأى أنه من أسبابه "إخفاق يتوالى عليه، فقر يحوج إليه، حال تتمنع على حوله وطوقه، وباب ينسد دون مطلبه أو مأربه، وعشق يضيق ذرعاً به ويبعل في معالجته"<sup>(١)</sup>، ولكنه يلتمس العذر لهذه النفوس الشقية الضعيفة، فرغم تعلقها بالحياة وهو ما يثير دهشته "لما اشتدّ عشق الإنسان لهذا العالم حتى لصق به وأثره وكدح فيه، مع ما يرى من حروفه ونكباته، وزاله باهله"<sup>(٢)</sup>، وميلها الشديد نحو البقاء، ولكن فمع ذلك تقدم إلى التخلي عنها وإزهاقها.

وحينما سُئل عن رأيه في انتحار شيخ ضاق رزقه واشتد نفور الناس منه مما دفعه إلى الانتحار أنه كان لا ينبغي أن يستسلم وأن يستمع لصوت العقل فالله هو مالك هذا البدن ولا يحق له أن يزهق روحه.

ويرى أن الانتحار فعل يتصف بالتناقض بداية من أن القاتل هو المقتول "من قتل هذا الانسان؟ فإذا قلنا: قتل نفسه، فالقاتل هو المقتول، أم القاتل غير المقتول، فإن كان أحدهما غير الآخر فكيف تواملا مع هذا الانفصال؟ وإن كان هذا ذلك، فكيف تقاصلا

أبو حيان التوحيدي وابن مسكويه: الهوامل والشوامل، مؤسسة هنداوي سي أي سي، ٢٠١٧م، ص ١٤٧ . ١  
أبو حيان: الهوامل والشوامل، ص ٢٤٣ . ٢

مع هذا الاتصال؟<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى أن الإنسان يريد أن يتخلص من مشاكله ويتحرر منها فيقدم على هذا الفعل للشعور بالراحة وهنا يظهر التناقض، فالنفس المقتولة لا تشعر ولن تدرك نتيجة فعلها فيصل إلى العدم لا للخلاص والتحرر من المشاكل، "لم سهل الموت على المعذب مع علمه أن لا حياة معه وليس بوجود فيه"<sup>(٢)</sup>، كما أنه يرى أن المنتحر ربما أوقع نفسه في شقاء آخر أعظم مما كان فيه وأدوم وأبقى.

### القلق:

في الوجودية يعد "القلق" ظاهرة محورية تسعى إلى حل أعضائها<sup>(٣)</sup>، إذ ان القلق له علاقه بالذى يمكن للانسان ان يفعله وحين تتم مواجهه هذه الامكانيه ينغمس الانسان فى القلق وهذا ما حدث مع التوحيدي .

يرتبط القلق بموضوعات ثلاث: المستقبل وإمكانات الذات وحرية الذات، وهذه الموضوعات أكثر ما أرق التوحيدي، ونجد أن فكار التوحيدي قد تقاربت مع أفكار (تيليش) في كتابه "شجاعة الكينونة" الذي تحدث فيه عن مفهوم الشجاعة، وكيف أنه لا يمكن فهمه وإدراك قيمته إلا في علاقته بالقلق، وما يعنينا هنا هو تقسيم تيليش القلق إلى ثلاثة أنواع، وبالنظر إلى النوع الثالث "قلق الخواء واللامعنى" نجده لا يختلف عن قلق التوحيدي، فقد عرفه تيليش بأنه ينشأ عن موقف تفشل فيه الذات في أن تجد إشباعاً من خلال المشاركة في مضمونات حياته الحضارية والثقافية فتعتقد معتقدات الإنسان واتجاهاته وأنشطته معناها.... ويصل الخواء ذروته في قلق اللامعنى، ويشعر الإنسان أنه لم يعد يستطيع أن يمضي قدماً لا في تأكيد مضمونات حضارته ولا في تأكيد قناعاته الشخصية<sup>(٤)</sup>.

وهذا نفس نوع القلق الذي كان يعاني منه التوحيدي قلق من الوحدة لفقد الصديق والولد، فقد افتقد كل مؤنس وصاحب، ويتضح قلقه في العديد من العبارات (أيها السيد أقصر تأميلي، ارع ذمام الملح بيني وبينك، تذكر العهد في صحبتي)، (خلصني أيها

أبو حيان : المصدر نفسه ، ص ١٤٩ . ١

أبو حيان : المصدر نفسه ، ص ١٨٥ . ٢

مجاهد عبد المنعم : كيركجارد ، مكتبة دار الكلمة ، ٢٠١٦م ، ص ٧٥ . ٣

٤ يمنى طريف الخولي : الوجودية الدينية "دراسة في فلسفة باول تيليش"، مؤسسة هنداوي سي أي سي ، ٢٠١٧ م ، ص ٩٠ .

الرجل من التكفف، انقذني من لبس الفقر، اطلقني من قيد الضر، اشتريني بالإحسان، اعتبدي بالشكر، استعمل لسان بفنون المدح)، وهذا ما دفعه إلى الهروب إلى الله "وكيف نبأ من هذه الأمراض وقد بتنا في معادن البلاء ودعينا في بلاد الفناء"<sup>(١)</sup>.

وكذلك كيركجورد يفرق بين الخوف والقلق اللذين يختلطان لدى عديد من علماء النفس في عصرنا، والقلق حسب رأي كيركجورد "مختلف تمامًا عن الخوف والانفعالات المماثلة والتي لها ارتباط بموضوع محدد في حين أن القلق هو حقيقة الحرية على أنها إمكانية الإمكانية"<sup>(٢)</sup>.

وبالنظر إلى أنواع القلق لديه ومسبباتها نجد أنه لا يختلف عن القلق الذي نجده في مؤلفات التوحيدي، فقد ميز بين نوعين من القلق: القلق الموضوعي والقلق الذاتي، وهي تفرقة تعتمد على القول بأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الفرد والجنس البشري. أما القلق الموضوعي فهو يشير إلى تأثير الجنس البشري على الفرد، في حين يشير القلق الذاتي إلى تأثير الفرد واستجابته لهذا التأثير<sup>(٣)</sup>.

وهذان النوعان بالنظر إليهما نجد أنهما مسببات اغتراب التوحيدي؛ لأن أساس غربته يتمركز حول موقف الآخرين منه وهذا ما سبق وأوضحته، أما بالنسبة للقلق الذاتي لم يشعر من المحيطين به سوى بالاحتقار والإهمال وغيرهما من المشاعر السلبية التي أوصلته لهذه الحالة، حيث يقول "لقد صحبت الناس أربعين سنة، فما رأيتهم غفروا لي ذنباً ولا ستروا لي عيباً ولا حفظوا لي غيباً ولا أقلوا بي عثرة، ولا رحموا لي عبرة، ولا قبلوا مني معذرة، ولا فكوني من أسرة، ولا جبروا لي من كسرة، ولا بذلوا لي نصرة"<sup>(٤)</sup>، ومن قوله هذا يتضح تأثير الآخرين عليه والذي دفعه لأن يكون غريب بين الناس الذي يصفهم بأنهم "سباع ضارية، وكلاب عاوية، وعقارب لساعة، وأفاجٍ نهاشة"<sup>(٥)</sup>، وليس المقصود هنا غربة مكانية بل غربة وجودية، فهي تفاعل مع الحياة وموقف منها كما سوف أوضح فيما بعد.

١ أبو حيان: الإشارات الإلهية، ص ٥٥. ١

مجاهد عبد المنعم: كيركجارد، ص ٦٧. ٢

إمام عبد الفتاح: كيركجورد رائد الوجودية، الجزء الثاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٣٥٠. ٣

٤ أبو حيان التوحيدي: الصداقة والصديق، تحقيق وتعليق د/ إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٠. ٤

٥ زكريا إبراهيم: أبو حيان التوحيدا أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، ص ٨٢. ٥

## الندم:

وقبل إيضاح رأيه في الندم عن الأفعال يجب التتويه أن التوحيد قد شعر بالندم الشديد وذلك بعد أن كاشف نفسه مكاشفة النصوح، وأخذ يعاتب نفسه على الانشغال بالدنيا والالتجاء الى الخلق التي افسدته فساد ظن انه لا يوجد معه صلاح قائلاً: "قد والله فسدت فساداً لا أرجوك معه لفلاح؛ ولذلك ما أدري بأي لسان أحاورك، وبأي خلق أجورك، وفي أي حقيقة أشاورك، وبأي شيء أداورك. سرك كفران ولفظك بهتان وسرورك طغيان وحنك عسيان"<sup>(١)</sup>.

فقد بيّن أن الدنيا لا تستحق الندم عليها، ولا الحسرة على ما فاته منها فهي من جهة دار الفناء وزائلة، ومن جهة ثانية فإن ما حدث لحكمة أرادها الله<sup>(٢)</sup> حيث قال: "ظهر نفسك من الحرقعة على فائت الدنيا، وقدس نفسك من الأسف على ما لم ترزق في الأولى، وتطامن لحكم الحق وإن شقّ عليك فإن ذلك أنهض بك وأشد لاسقلالك"<sup>(٣)</sup>.

وهو ما دفعه إلى التوبت والعودة إلى الله والاقبال عليه فقال "إلى متى نسئ ظننا به؟ إلى متى نشكو إلى خلقه وليس لنا معاذ إلا إليه؟ إلى متى نشرد عنه ولا قوام لنا إلا به؟ إلى متى نكذبه عن أنفسنا وهو أعلم بنا منا؟ وإلى متى نعتصم بغيره وهو أقرب إلينا من حبل الوريد....."<sup>(٤)</sup>.

ويردد في مواضع كثيرة ندمه على ما فاته من صحبة أهل التصوف وعلى الفترة التي عاشها بعيداً عن الله، وانشغاله بالخلق حيث إنه كان السبب في هذا البعد لأنه لم ينشغل احد بالخلق ووصل الى الحق، كما أنه يدعو من يسلك طريق التصوف ويترك الدنيا ألا يندم على ما لم يرزق به أو يناله في الدنيا.

أما عن رأيه في الندم عن الأفعال التي ياباها العقل ويكرهها الشرع، فقد رفض الندم على الأفعال لأنه امر خارج عن استطاعه الانسان لان الاختيار والاستطاعه والقوة والقدرة والرأى والرويه وغيرها من الامكانيات الى يملكها الانسان ليست له من جهه الملك

أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص ٨٥. ١  
وسيم إبراهيم: نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، دار دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ٩٣

٢. أبو حيان: الإشارات الإلهية، ص ١٢٣. ٣

أبو حيان: المصدر نفسه، ص ٢٠. ٤



بل من جهة التملك ، لان الله هو مالكةا وقد وهب الانسان جزء منها ويتبقى منها بقايا عند مالكةا والسبب في هذا انه ان ملكها ظن انه مستقل .

لذا لا بد من شئ دائما يجعل الانسان يفرغ الى ربه ويلجأ اليه في مسألته " ويتبرأ من حوله وقوته وعلمه وكل ما يملك؛ أي خلوص النفس في العاجلة كما قال واللجوء إلى المالك للخلاص في الآجلة، فالله وحده هو الذي يملك الاختيار والاستطاعة والقوة والقدرة والعزيمة، وهو وحده الذي يمنحها للإنسان متى شاء تمام فعله أمدته منها بما تمّ له فعله، وذكر قول الحضرمي الصوفي أنه قال: "النقب كثيرة والعروس واحدة، فقد ارتفع التناقض وسقط التنافي، وإنما قطعت هذا الأمر في طلب الحياة الدائمة التي لا شوب فيها من ألم، ولا عارض من أذى، ولا خوف من انقطاع"<sup>(١)</sup>.

### اليأس:

اليأس من العناصر الانفعالية الضرورية في تكوين الوجود..... فمن لا ييأس مما فيه، لا يطلب شيئاً أبداً، أعني لا يشعر ولا يفكر ولا يصبو<sup>(٢)</sup> ، ويمكن تشبيه يأس التوحيدي انه يأس رجل كان شعاره " اما ان اكون قيصر او لا اكون شينا" كما قال كيركجور في حديثه عن اليأس .

ولا أجد واقعه أدل على يأس التوحيدي من واقعة إحراق كتبه، فقد يأس من الحياة ومن التقرب من الناس، وتجاهل كثير من معاصريه علمه وأدبه وشعره بالغربة الاجتماعية، وظن أنه في إحراق كتبه انتقام من الذين أوصلوه لمثل هذا الشعور وكانوا السبب في توحده واغترابه ، وبعد اختياره طريق التصوف ادرك ان اليأس مع الله افضل من الرجاء فيمن سواه .

وعندما عاتبه صديقه أبو سهل علي بن محمد على هذا الفعل برر هذا الفعل بقوله "وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم وداد، ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ، ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة وإلى بيع الدين

أبو حيان التوحيدي : المقابسات، تحقيق وشرح د/ حسن السندي، دار سعاد الصباح ، ص ٢٠٠ . ١  
عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص ٩ . ٢

والمروءة وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق"<sup>(١)</sup>، ويتضح من هذا النص مدى إحساسه بالظلم والمرارة والأسى.

وضرب التوحيدي مثل بمن اقتدى بهم في هذا العمل ومنهم أبو عمرو بن العلاء، داوود الطائي، يوسف بن أسباط، أبو سليمان الدارني.

كما قام (كفكا) بنفس الفعل حيث كان غير راضٍ عن مؤلفاته لعدم كمالها أو لقصورها وضآلة قيمتها.... ويتفقان هنا في أن هذا الصنيع هو آية إخفاقٍ، إخفاقٍ في الظفر بالمجد عند التوحيدي، وإخفاقٍ من فرط اليأس الذي استولى على النفس من طول مواجهتها لمشكلة نفسها المستعصية على كل حل عند كفكا، ويتفقان كذلك في أن كلاً منهما نظر إلى إنتاجه فوجده عبثاً لا طائل تحته<sup>(٢)</sup>.

ياقوت الحموي: معجم الادباء ، ص ١٩ . ١  
أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية ، ص ٣٠ ، ٣١ . ٢

## المبحث الثاني: الآخر

ليس ثمة ذات بدون الغير سواء أكان الغير هو الخصم الذي اصطرح معه وتمرد عليه وسخر منه، أم كان هو الصديق الذي تعاطف معه وانجذب نحوه وبادله حبًا بحب، فإنني في كلتا الحالتين لا أستطيع أن أعيش بدونه<sup>(١)</sup>.

لقد أسفر التحليل الوجودي عن حقيقة أن الفرد لا يوجد باعتباره شخص إلا بين جماعة من الأشخاص، ليس ذلك فحسب بل نرى الوجودية تؤكد على أن الناس الآخرين هم عناصر أصلية تقتضيها فكرة الوجود البشري مثلما تقتضي وجود العالم.

وكما أن الفلاسفة الوجوديين لا يسعون إلى تقديم براهين على وجود العالم الخارجي فإنهم كذلك لا يسعون إلى البرهنة على أن هناك موجودات بشرية أخرى، فمذهب الأنا الوحيدة لا يمكن أن يكون مشكلة، إنما فلسفة لا تبدأ بالذات المفكرة الخالصة ولا بالفرد المنعزل، وإنما تبدأ دائماً بوجود عيني هو الوجود في العالم والوجود مع الآخرين<sup>(٢)</sup>.

يقول سارتر في مسرحية "الجلسة السرية": إن الغير الذين هم في الواقع جحيم بالنسبة إليه، ففي مسرحية "الأبواب الموصدة" أو "الجلسة السرية"، فإن مشكلة الآخر تتخذ صورة مشوقة؛ إذ تدور أحداث الرواية في جهنم، حيث نجد أنفسنا إزاء ثلاث شخصيات تحيا وجهاً لوجه، دون أن تملك الفرار من هذا الجحيم المستمر الناشئ عن تلك الحياه المشتركة. وليس جحيم سارتر عذاباً أليماً يصطلي بناه جماعه الأشرار، بل هو عالم الغير الذي لا مفر منه ولا غناء فيه<sup>(٣)</sup>، وبالنظر إلى حياة التوحدي نجدها أوقع تجسيد لهذه المقولة.

ويبدو أن اختلاطه واقترابه بأهل عصره قد مكنه من معرفة دخالهم؛ لذا فإن نقده لمجتمعه وبعض رجال عصره لم يكن من فراغ، ولكنه في نقده كان يكشف عوراتهم الخلقية والنفسية، فقد "انطلق يرمي زمانه وأهل زمانه بأقذع الهجاء، شاكياً نائحاً حيناً، متمرداً عنيفاً يجذف بكل شيء حيناً آخر"<sup>(٤)</sup>.

زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ص ١٥٣

جون ماكوي: الوجودية، ص ١٢١.

٣جان بول سارتر: جلسة سرية، ترجمة د/ مجاهد عبد المنعم، مقدمه د/ زكريا إبراهيم، دار النشر المصرية، ص ١٣.

عبد الرحمن بدوي: مقدمه الإشارات الإلهية، ص "يا" ٤

وبالنظر إلى أهم مؤلفات التوحيدي نجد أنها تدور حول الآخر (الهوامل والشوامل) وهو عبارة عن تساؤلات من التوحيدي عن كافة مظاهر الحياة وهموم الإنسان موجهة إلى أستاذه أبي علي أحمد بن يعقوب بن مسكويه، (الإمتاع والمؤانسة) الذي يعد استجابة لتهديد ووعيد أبي الوفاء لأبي حيان، (الصداقة والصديق).

ولقد كان التوحيدي مهتم بالبنفس البشرية، ويحاول أن يدقق في أسرارها، وقد فطن إلى الكثير من الحقائق السيكلوجية الكبرى، وفي كتابه "الهوامل والشوامل" يوجه إلى صديقه مسكويه أسئلة كثيرة حول ملاحظات نفسية جديرة بالبحث والتحليل، كان يذم الناس البخل مع غلبة البخل عليهم، أو يمتدحون الجود مع قلة ذلك فيهم.... كما أنه كان من أوائل الذين انتبهوا إلى ما نسميه اليوم بالمرض النفسي والمختلف عن المرض الجسدي<sup>(١)</sup>. وقد أدرك أبو حيان صعوبة وقوف المرء على أمراضه النفسية وعيوبه الخلقية، فقال على لسان أستاذه أبي سليمان "إن كثيراً من أخلاق الإنسان تخفى عليه، وتطوى عنه، وذلك جلي لصاحبه وجاره وعشيرته"<sup>(٢)</sup>؛ لذا فهو يحتاج إلى طبيب نفسي ولكن اشتراط ضرورة إعلامه بمكونات الضمير وخبايا الشعور.

ويضع طبيب النفس في مرتبة أعلى من مرتبة طبيب البدن، ويصف أطباء النفوس بأنهم أهل الفضل؛ ذلك أن مهمتهم أكثر تعقيداً من أطباء البدن، فالذي يعالج القسم الشريف من الإنسان - وهو النفس - يكون بالضرورة شريفاً<sup>(٣)</sup>.

إن "التجربة الصوفية" نفسها لم تكن عنده سوى مجرد وسيلة لتحقيق "شفاء النفس". وليس من العسير على المتأمل في كتاب "الإشارات الإلهية" أن يستخرج من ثنايا صلواته ومناجياته الكثير من الملاحظات السيكلوجية القيمة، والنظرات الفلسفية العميقة. فالتوحيدي لا يكف في هذا الكتاب عن الإشارة إلى ضرورة توافق الظاهر والباطن، وتلاؤم السر والعلانية، وتجانس الشكل والحال، وتكامل الفعل والانفعال<sup>(٤)</sup>.

١ أحمد عبد الهادي: أبو حيان التوحيدي "فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ص ١٠٦-١٠٧.

أبو حيان التوحيدي: المقابسات، ص ١٤١.

أحمد عبد الهادي: مرجع سابق، ص ١٠٧-١٠٨.

زكريا إبراهيم: أبو حيان التوحيدي "أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء"، ص ٢١٤.

## الأسرة:

كان أبواه فقيرين، وعمل أبوه في بيع التمر، ولكن لا نجد في كتبه أية إشارة إلى أسرته أو طفولته، وبالنظر إلى شخصيته ممكن أن نستنتج أنه لم يكن هناك في طفولته ما يجب الحديث عنه أو الإشارة إليه وهذا يتضح في تساؤله في الهوامل عن اشتياق الإنسان إلى ما مضى قائلاً: "وإن كان الماضي من الزمان في ضيق وحاجة وكره وشدة"<sup>(١)</sup>، وربما صمته عن الحديث عن أهله وعدم ذكر شيء عن طفولته أو علاقته بأسرته أكبر دليل على خيبة أمله في علاقته بهما، خاصة وأنه كان يكثر من الحديث عن نفسه في مراحل الكهولة والشيوخة.

ومع ذلك يتضح في المقابسات أنه كان يحب والدته لأنه رغم وفاتها وهو غلام كما قال إلا أنه كان يُعظّم منزلتها؛ وذلك في رده على أبي زكريا الصميري وحديثه عن والدته قائلاً: "الأم شأنها في الحس أعظم، وتدبيرها في المباشرة أظهر، وشفقتها بسبب ضعف قوتها أكثر"<sup>(٢)</sup>.

لقد بدأ غربته منذ الطفولة واستمرت معه في باقي مراحل حياته، فبعد وفاة والديه كفله عمه القاسي، فعندما كان يشاد بعلمه وتصوفه في مجلس أبي الحسن بن القطان الفقيه الشافعي كان ردُّ عمه أنه به عيب واحد أنه يأكل في كل يوم أربعة أرغفة. وكذلك كيركجور ولكن مأساته كانت مع والده الذي لم يتلقى منه معاملته جيدة بل كان يعامله بوصفه شيخ عجوز وقد راه تربيته دينيه صارمه .

كما أن كثرة التنقل بين بغداد ونيسابور وشيراز وغيرها من المدن، واستغراقه في طلب العلم وتحصيله الذي سهّلت له مهنة الوراقاة من الأسباب الرئيسية التي قد حالت جميعاً دون استقراره وتكوين أسرة، فقد ظل طوال حياته لا يجد "ولداً نجيباً، وصديقاً حبيباً، وصاحباً قريباً، وتابعاً أدبياً، ورئيساً منيباً"<sup>(٣)</sup>. وهكذا فُرِضت عليه الوحدة في الحياة وشعر

أبو حيان التوحدي : الهوامل والشوامل ، ص ٣٨ . ١

أبو حيان التوحدي : المقابسات ، ص ٢٧٦ . ٢

ياقوت الحموي: معجم الأدياء ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ج ١٥ ، ص ١٩ . ٣

بالوحشة التي وصفها بدقة في معظم كتاباته، وهو في هذا قريب أيضا من كيركجورد فسح خطبته (\*) و عاش حياته بلا زوجه ولا ولد.

### العامّة والخاصّة:

لم يسلم كلاهما من لسان التوحيدي فبالنسبة للخاصّة يعتقد أنهم قد حرموه من لذات الحياه وجانيوه وتركوه يعيش غريبا .

أما العامّة فنراه يحتقر العامّة ويزدريها؛ لأن طموحاته فوق طموحات أهلها ولأنه يرى فيها المهانة والفقر وهما أشد أعدائه<sup>(١)</sup>، فقد نشأ فقيراً وبقي كذلك حتى آخر حياته فقال "غدا شبابي هراماً من الفقر والقبر عندي خير من الفقر"<sup>(٢)</sup>، فليس هناك أدل من احتقاره للعامّة من قوله "والله لربما صليت في الجامع فلا أرى إلى جانبي من يصلي معي فإن اتفق فبقال أو عَصَّار أو نَداف أو قصاب، ومن إذا وقف إلى جانبي أسكرني بنتته"<sup>(٣)</sup>.

كما انه كان يرفض الكتابة لهم، وكان يرى ضروره البعد عنهم حيث أن "التصدي للعامّة خلوقه، وطلب الرفعة بينهم ضعه، والتشبه بهم نقيصه، وما تعرّض لهم أحد إلا أعطاهم من نفسه وعلمه وعقله ولوثته ونفاقه وريائه أكثر مما يأخذ منهم إجلالا وقبولاً واحتراماً، وإن من خالطهم ينسلخ عن المهمات النفسية واللدائد العقلية، ومن انتصب لهم لم يملك لا درهماً أو ثوباً أو ديناراً"<sup>(٤)</sup>.

وللأسف إن ذمّه للناس قد أبعدته عن قلوبهم وصرف الكثير عن ملاحظة عبقريته في العديد من المجالات، فقد كان "سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة والإحسان،

كان كيركجورد يخفي سر علاقته بأبيه ولما كان الحب في نظر كيركجورد يستلزم البوح والافضاء والمشاركه وبقضي الشفافية ، فان من يحجب شطرا منه عن يحب ، لأنه يعتبره سرا خاصا به ، يخون حبه وموضوع حبه ويقيم سعاده الزوجيه على اساس من الخداع . وهكذا هدم كيركجورد سعاده الزوجيه ضنا منه بسر ابيه الذي يتعلّق بمشاعر دينيه لها اعماق الاثر والجدور في حياه الاسره وحياته الشخصيه . فواد كامل : نصوص مختاره من التراث الوجودي ، الهيئه المصريه العامه للكتاب ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٦ . (\*)

١ الحبيب شبيب : المجتمع والرؤية "قراءة نصية في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م ، ص ١٦ .

ياقوت الحموي : المرجع نفسه، ج ١٥ ، ص ٢٣ . ٢

أبو حيان التوحيدي : الصداقة والصديق ، ص ٥ . ٣

التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، مراجعة/ هيثم خايفة الطعيمي، الجزء الأول، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠١١م ، ص ٤

الذم شأنه، والتلب دكانه"<sup>(١)</sup>، وصراحته قد أوقعتة في تورط دائم مع الناس، وكان يعتذر أوقات عن هذه الصفة ويقدم تبرير لها بأنه كان مدفوعاً بما هو مبتلى به وبما عاناه من معاصريه.

وكذلك صراحه كيركجور و جراته قد أوقعتة في العديد من المشكلات فقد كان ثائراً على الكنيسة وكان ينشر افكاره الثوريه هذه في نشره يصدرها كل اسبوعين سماها اللحظة صدر منها عشره اعداد وقد جلبت عليه سخط الكنيسه الرسميه التي انضمت اليها الصحافه الدنماركيه<sup>٢</sup>.

وكذلك رأيه في العامه لم يبتعد كثيرا عن رأى كيركجور، فيمكن اعتباره واحداً من أشد المعارضين لمبدأ "سلطة الشعب" ونظام الحكم الديمقراطي، حيث كان رافضاً بشدة لانتزاع الحياة الثقافية من أيدي النخبة الأرستقراطية، ووضعها في أيدي الناس "People"، والناس هنا عند "كيركجور" يقصد بهم "العامه" التي كان كثيراً ما يقلق من اتجاهاتها<sup>(٣)</sup>، ومن هنا تتضح دعوة "كيركجور" الحقيقية للتفرد، فالخطورة ليست في أن تكون عضواً في الحشد ولكن تكمن الخطورة في أن تكون منساقاً من قبل هذا الحشد، ولذلك يجب أن تكون لديك القوة لتصبح فرداً لست أي فرد بل فرداً مميزاً<sup>(٤)</sup>.

إن الفرد الذي يدافع عنه "كيركجور" هو الفرد المتميز والمتفوق ذو المواهب النادرة التي تجعله غريباً عن الجماهير التي قد تسخر منه تارة، وتارة أخرى تطارده<sup>(٥)</sup>.

### الصديق:

"آه يا أخي الذي لم أراه....."، وردت هذه الكلمات في "الصدقة والصديق" الذي يعد تعبير عن الحنين والالتئاع إلى الصديق الذي لم يخذه التوحيدي.

موضوع الصدقة قديم قدم الإنسانية، فيه تتجاوب عواطف النفس البشرية، وعلى صفحاته تتعكس نفسياتها وروحها... وإن التوحيدي الذي آلمته الحياة، وخدشته بأظفارها

١ ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ص ٣٨٠.

فواد كامل: نصوص مختاره من التراث الوجودي، ص ٢٨ . ٢

3 Caputo, J. D.: "How to Read Kierkegaard", New York ,London, W. W. Norton and Company, 2008", P: 90

4 Friedman,M.: The World Of Existentialism , Humanities Press ,New Jersey, 1991,P: 113.

إمام عبد الفتاح: كيركجور راند الوجودية، ج ١، ص ٢٢٨ . ٥

وجرعه كأس المرارة والحرمان واليأس فعاش على خلافٍ مع أهل زمانه يلقي الأذى حتى أُجبر على العزلة والاختفاء سنين طويلة<sup>(١)</sup>.

وربما ظروف حياته القاسية وعدم وجود علاقات اسريه لديه هو الذى دفعه الى البحث عن الصداقة، وجعلها بديل عن العلاقات الأخرى التي كان يفتقدها، فقد عاش حياة مليئة بالغربة والوحشة وكان يرى في الصداقة شفاء للصدر وتعليل للنفس وبرد للغليل.

ورغم أن الوزير "ابن سعدان" طلب منه كتابه "الصداقة والصديق" قبل توليه بعد أن سمع كلامه عن الصداقة، وهو الذي سامر التوحيدي سبعا وثلاثين ليلة طرح عليه فيها مسائل شتى، ولكنى أرى أن السبب الرئيسي هو تعلقه الوجداني الشديد ورغبته في أن يكون لديه صديق، فهو موضوع أمله عليه دوافع وجدانية وعاطفية. وقد جمع في هذا الكتاب أكثر ما قيل عند العرب في الجاهلية والإسلام عن هذا الموضوع.

ولقد قسم المجتمع من زاوية الصداقة إلى طبقات وهم الملوك والأمراء وأتباعهم والمزارعون والتجار ورجال الدين وأهل العلم والأدب والرعايا والسوقة، وبناءً لعشرته وملامسته تلك الطبقات رأى أن الطبقات التي توجد فيها صداقة رجال الدين لبنائهم إياها على التقوى أهل العلم إذا خلوا من التنافس والحقد ربما صحت لهم الصداقة وذلك قليل.

وقد حاول أن يكسب ود ابن عباد وابن العميد وصدائقتهم آملاً أن يجد في قربه منهم خلاصاً من ذل الفقر، وأن يتخلص من حرفة الوراقة التي كان يرى أنها حرفة الشؤم، خاصة أنه رأى العديد من الأساتذة يظفرون بعطائهم أمثال: أبي سعيد السيرافي وأبي سليمان المنطقي، إلا أنه لم يلقَ من ابن العميد إلا "الصد القبيح واللقاء الكريه، والجفاء الفاحش والقدح المؤلم، والمعاملة السيئة، والتغافل عن الثواب على الخدمة، وحبس الأجرة على النسخ والوراقة، والتجهم المتوالي عند كل لحظة ولفظة"<sup>(٢)</sup>، وهذا ما دفعه إلى تأليف كتاب "مثالب الوزيرين"، فقد شئ عليهم حملة عنيفة تكشف سوءاتهما وعيوبهما بعد أن فشل في أن ينال منهما رغبته في الرعاية والفضل بعد مرور ثلاث سنوات بصحبتهما.

١ أبو حيان التوحيدي: الصداقة والصديق ، ص ١٣ .  
أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة، ج ١، ص ٣ . ٢



ولذا لم يترك التوحيدي طريقاً للطعن بالصاحب والإساءة إلى سمعته إلا سلكها وطعن في خلقه وأدبه وعلمه وعرضه، فهو جاهل وبخيل وغبي ورقيع وسخيف وسفاك للدماء وغدار وقليل الوفاء والذمة<sup>(١)</sup>.

وقد أرجع حقه إلى الحسد والتنافس العلمي وتفضيله الجاحظ عليه ، فيقول عنه: "أول من أفسد الكلام أبو الفضل لأنه تخيل مذهب الجاحظ ، فظن أنه إن تبعه لحقه ، وإن تلاه أدركه ، فوَقَّه بعيداً عن الجاحظ قريباً من نفسه ، ألا يعلم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لا تلقى عند كل إنسان ولا تجتمع في صدر كل أحد بالطبع والمنشأ والعمل...."<sup>(٢)</sup>.

يقول في نقد الوزير ابن عباد "والناس كلهم محجمون عنه لجرأته وسلطته واقتداره"<sup>(٣)</sup>، وكان في نقده للوزيرين أثر سيء عليه فقد بعد عنه الناس إرضاءً لهم ، ولكن كل هذا لم يجبره للتنازل عن ذاته للآخرين وضياعها وانغماسه في المجتمع.

### السياسة والأخلاق :

واحتلت السياسة مجال واسع في أحاديث أبي حيان والوزير ابن سعدان في كتاب الإمتاع والمؤانسة، وكذلك مثالب الوزيرين الذي يعد تسجيل لأخلاق بعض الوزراء، والتوحيدي كعادته في جميع المواقف لم يكن سلبياً، بل كان له رأي في كل الأحداث السياسية وكان يصدر أحكاماً كما سبق وذكر في رجال سياسيين أمثال ابن عباد وابن العميد.

لقد كان مولد التوحيدي في العصر العباسي الثالث، ورغم ازدهار عصره الثقافي والفكري إلا أنه كان ملئاً بالاضطرابات السياسية حيث بدأ التدهور السياسي للخلافة العباسية وقد أدى ذلك إلى انقسام الدولة إلى دويلات واستيلاء الأعاجم على الدولة، وانقسم المجتمع إلى طبقتين طبقة حاكمة -أصحاب السلطة- وطبقة محكومة، وللأسف كانت تضم الأدباء والعلماء، وكذلك سادت الفوضى الاجتماعية والاضطراب الأخلاقي

١ أبو حيان التوحيدي : مثالب الوزيرين ، "أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد " ، تحقيق د/ إبراهيم الكيلاني، دار الفكر ، دمشق ، ص (ط) .

أبو حيان التوحيدي : المرجع نفسه، ج ١، ص ٩٥ . ٢

أبو حيان التوحيدي : المرجع نفسه، ج ٣، ص ٥٥ . ٣

وشبوح الفحش فيقول: "إن الحضارة العربية كان من طابعها القول المكشوف من غير موارد، لم نبعد عن الصواب"<sup>(١)</sup>. كما ساد الفساد فقد عاش في عصر الأثرياء ينفقون بسخاء فيما لا يستحق وبقراء يأكلون بعضهم في المجاعات.

وقد أبرز في كتاباته خاصة "الإمتاع والمؤانسة" الكثير من الفساد وتدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والعيوب الأخلاقية السائدة في عصره خاصة في فئة التجار وبعض الفئات الأخرى مثل الجند والكتاب، "قد تعاطوا المنكر حتى عرف، وتناكروا المعروف حتى نسي، يتمسكون من الملة بما صلح البضائع، ويتهون عنها كلما عادت بالوضائع، يسر أحدهم بحيلة، يرزقها لسلعة ينفقها لمسلم يحميه الإسلام، فإذا أحكم حيلته وغيلته غدا قادرا على حرده، فغر وضر وآب إلى منزله بحطام قد جمعه مغتبطاً بما أباح من دينه وانتهاك من حرمة أخيه"<sup>(٢)</sup>.

ولا عجب أن نرى التوحيدي في "الهوامل والشوامل" يسأل عن مشكلة الرزق، أو كما يقول عنها (ملكة المسائل والجواب عنها أمير الأجوبة) فيها ابتلى الناس، وهي كما يلخصها (حرمان الفاضل وإدراك الناقص) ولا عجب أن يطرح هذا وهو لم يكن يجد ما يقات به حتى إنه ليأكل من حشائش الأرض، وأبو سليمان المنطقي لا يجد أجرة سكنه، وأهل العلم كما صورهم في كتابه "الهوامل والشوامل"، ومثالب الوزيرين والإمتاع والمؤانسة، وما كانوا يلاقونه من عذاب حتى كانت مسألة الرزق في رأيه من أهم أسباب الخروج من ريقه الدين، كما فعل الرواندي، ومن أسباب الشك كما فعل أبو سعيد الحصريين، كما أنها كانت من أهم أسباب الإلحاد في الإسلام والارتياب في الحكمة<sup>(٣)</sup>.

أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر، حققه وعلق عليه د/ أحمد أمين، د/ السيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م، ص ١٠٠ .  
أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة، ج٣، ص ٦٢ .  
وسيم إبراهيم : نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي ، ص ١٢ . ٣ .

## المبحث الثالث: اغتراب (\*) التوحدي

وغربة التوحدي بدأت مبكرة باليتم والعيش مع عمه القاسي<sup>(١)</sup>، وظاهرة في جميع مراحل حياته، والفشل الذي اصطدم به في حياته وضيقه بالحياة وخيبة أمله في المحيطين به وعجزه عن التكيف مع مجتمعه مع انعدام تفاعله واندماجه عاطفياً وفكرياً مع هذا المجتمع كما سبق وأوضح، وضيقه بالحياة هو ما جعله يشعر بالغربة في وطنه لذا "أيس الوحدة ويئس من جميع الخلق، وانتحل القناعة رياضة"<sup>(٢)</sup>، وهذا ما كان يدفعه دائماً إلى كثرة البكاء والشكوى.

ويضاف إلى أسباب اغترابه سبب آخر وهو عدم اهتمامه بهيئته ومنظره في عصر بلغ شأن بعيداً في الحضارة والمدنية، واهتم هذا العصر بالمظهر والهندام أكثر من اهتمامه بالمخبر والحقيقة، فقد كان التوحدي صوفي السميت والهيئة رث اللباس نابي المظهر، لا هيئة له عند ملاقاته الكبراء، ومقابلة الوزراء، وقد أكسبه المظهر الصوفي واختلاطه بالصوفية والغرباء وركونه إلى أصحاب المرقعات والتاسومات فسوله وغراره، وربما كانت سبب حرمانه من بلوغ حقه، وزهد الأعاظم فيه، وإيثار سواه عليه<sup>(٣)</sup>.

وهذا السبب أيضاً كان من أسباب اغتراب كيركجورد، فقد كان بشع المنظر قميء القامة ذا صوت نشاز كأنه نعيب الغراب، إحدى ساقيه أطول من الأخرى محروماً من محاسن الجسد، ولقد أحدث له هذا الجسد الشائه متاعب لا حصر لها، كما ترك في

(\*) إن الاصطلاحات اللاتينية الدالة على الاغتراب يمكن استخدامها بشكل عام في مجال العلاقات الإنسانية بين الأشخاص، فقد استخدمت كلمة الاغتراب قديماً للتعبير عن الأحساس الذاتي بالغربة، أو الانسلاخ سواء عن الذات أو عن الآخرين. فالفعل اللاتيني يمكن أن يدل على معاني "التسبب في فتور علاقة حميمة مع شخص ما. أو في حدوث انفصال أو جعل شخص ما مكروها، أيضاً يمكن أن تشير الكلمة اللاتينية، إما إلى هذه الحالة من الانفصال أو الشقاق، أو إلى الظروف التي تنجم عنها. ولا يزال هذا المعنى هو المعنى الشائع في الاستخدام الحديث للكلمة الإنجليزية "اغتراب" حتى وقتنا هذا. حسن حماد: الإنسان المغترب عند إريك فورم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠٠٥ م، ص ٦٣ - ٦٤.

١ وليس أدل على قسوته من قول التوحدي بشأنه "إن عمي كان قاعداً في بعض العشيات في قطيعة الربيع، فاجترت به متوجهاً إلى مجلس أبي الحسن بن القطان الفقيه الشافعي، فقال له جلساؤه إن ابن أخيك يا أبا العباس مجتهد في طلب العلم يغدو وروح، ولقد سمعنا منطقه فاستأنسنا به، وقد كتب الحديث الكبير وسافر، وتصوف، فقال للجماعة: هذا كله كما تقولون، ولكن له عيب واحد، قالوا: وما هو؟ قال: يأكل في كل يوم أربعة أرغفة، فورد على الجماعة ما حيرها وأضحكها". جمال الغيطاني: خلاصة التوحدي "مختارات من نثر أبي حيان التوحدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥ م، ص ٧.

ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج ١٥، ص ٣٧ . ٢

محمد بركات محمد: أبو حيان التوحدي مغتربا، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠١ م، ص ٧٧ . ٣

الوقت ذاته انطباعات نفسية بالغة الأثر على شخصيته وعلى فكره وعلى مجرى حياته كلها<sup>(١)</sup>.

ولقد عانى التوحيدي الدلالات الوجودية المختلفة لمفهوم الاغتراب، فقد عانى من الاغتراب الاجتماعي والفكري والوجودي فهو شخصية قلقة تحيا في صراع وتمزق داخلي، فقد عانى ويلات الغربة وأحس أنه غريب في كل شيء غريب في وطنه، غريب عن أحبائه، غريب عن كل ما في الوجود من أشياء وأحياء، ينكر كل أحد وينكره كل أحد. وغربته لم تكن اختياريه بل فرضت عليه بسبب مواقف المحيطين به وسلبيات المجتمع.

فهو في وطنه غريب، وتلك هي الغربة الوجودية ذات المعنى العميق؛ لأنها إحساس بالوحدة الذاتية المطلقة التي يحملها الإنسان في داخل نفسه أينما حل وحيثما سار، وفي أي وسط كان، فالوطن المادي لا معنى له إذا قيس بالوطن الروحي الذي تقطنه تلك النفوس الشاردة<sup>(٢)</sup>.

وأقصى ما كتب التوحيدي عن الغربة حين سأل من الغريب فأجاب "الغريب من هو في غربته غريب، بل الغريب من ليس له نسيب، بل الغريب من ليس له من الحق نصيب"<sup>(٣)</sup> فقد استغرق الاغتراب نفس التوحيدي حتى وصل إلى مرحلة أصبحت الغربة موطنًا له ويشعر بالغربة داخلها فقد ضرب الاغتراب بجذوره في أعماق التوحيدي.

وحين طلب منه وصف الغريب ومحنته قال :

إِنَّ الْغَرِيبَ بِحَيْثُ مَا // حَطَّتْ رَكَائِبُهُ ذَلِيلٌ  
وَيَدُ الْغَرِيبِ قَصِيرَةٌ // وَلِسَانُهُ أَبَدًا كَلِيلٌ  
وَالنَّاسُ يَنْصُرُ بَعْضُهُمْ // بَعْضًا وَنَاصِرُهُ قَلِيلٌ<sup>(٤)</sup>

ومن خلال ما سبق عرضه من أفكار التوحيدي المختلفة يتضح أن غربته كان سببها الأساسي إخفاقه في تحقيق ما كان يصبو إليه من مكانة رفيعة يؤهله إليها إمكاناته العقلية، إلى جانب عدم قدرته على تقبل مجتمعه والتعامل معه، وجرأته في التعبير عن

١. إمام عبد الفتاح : كبير كجورد ، ج ١ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ص ١٩ . ٢

عزت السيد أحمد: فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٦م، ص ٢٨٤ . ٣

أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية ، ص ٧٩ . ٤

آرائه ومشاعره دون مجاملة دون تفكير في العواقب، وعجزه عن مسايرة الوزراء والأمراء وعدم قدرته على عقد أي صلات اجتماعية ناجحة كما سبق وأوضح.

وقد ذكر بعض أساتذته الذين كان لهم نفس الاتجاه ووجدوا في حياة التوحيد والاعتراب إحترام كبير للذات وبعد عن حياة الذل والهوان أمثال "أبي سليمان المنطقي"، "أبي بكر القومسي".

فقد اصطدم عقله بمعميات هذا الوجود ومشكلاته الكبرى، مثل مشكلة الموت كحقيقة كبرى صادمة ورهيبة لا مهرب منها، ومشكلة الشر البادي في العالم سواء تجلى في نفوس البشر أو في مظاهر الطبيعة المختلفة أو مشكلة التناقض داخل النفس الإنسانية بين الإرادة والعقل، والظاهر والباطن، والحقيقة والواقع<sup>(١)</sup>.

وقد كان يرى أن من أسباب شقاء الإنسان كونه أسيراً بين عقله وحسه "للعقل صلف شديد، فإذا قدته إلى التقليد جمح، وللحس برق ظاهر إذا أشرت له إلى التسامح ثاب وعاد وثبت واعتاد، والإنسان بينهم أسير"<sup>(٢)</sup>، بجانب عجزهم عن إدراك غياب الحكم الإلهية الخفية.

وفكره في الاعتراب ونجاته منه لم يكن بعيد عن فكر الفلاسفة الوجوديين، فعلى سبيل المثال (ليون شستوف) حيث يروي عنه أنه قال: "إن المخرج الحقيقي الوحيد إنما يوجد حيث لا مخرج للحكم الإنساني وإلا فما الحاجة إذن إلى الله؟ فالإنسان لا يتوجه إلى الله إلا من أجل الحصول على المستحيل إما الممكن فالإنسان كفيل به"<sup>(٣)</sup>، وكذلك كيركجور الذي حاول بكل ما أوتي من طاقة من أجل أن يرجع هذا الفرد ليقف مرة أخرى منعزلاً عن هذا العالم ليستطيع أن يعيش ويحيا مع الله<sup>(٤)</sup>. وفي تلك اللحظة فقط تحقق الذات الإنسانية وجودها الحقيقي وتستطيع الحصول على سعادتها الأبدية<sup>(٥)</sup>.

وكذلك التوحيدي فقد اتجه إلى الله وسلك الطريق الصوفي بعد رحلة طويلة في الحياة مليئة بخيبات الأمل والإخفاقات واليأس، فيقول: "قأما حالي فسيئة كيفما قلبتها لأن

محمد بركات محمد : أبو حيان التوحيدي مغترباً ، ص ٩٢ . ١

أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ص ١٠٥ . ٢

٣ عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ م ص ٢١٢ .  
4 Walsh, S.: "Kierkegaard Thinking Christianly in an Existential Mode", Oxford University Press Inc., New York, 2009, P: Viii.

5 Moor C. E.: "Provocations, Spiritual Writings of Kierkegaard", P: XIX.

الدنيا لم تواتني لأكون من الخانعين فيها، والآخرة لم تغلب عليّ فأكون من العاملين لها<sup>(١)</sup>. أي ان اللجوء الى الله بالنسبة للتوحيدي طريق يعبر به من اليأس الى الامل ، من الهجر الى الوصال ، من الغربية الى الانس .

فقد كان يحيا حياة كلها توتر وصراع وتمزق داخلي وانقسام وتفكك بسبب تطلعاته الاجتماعية والفكرية التي لم تتحقق وهو ما أوصله إلى حالة يشعر فيها بعدم نفع وجدوى كل شيء "إن العلم بلاء، والجهل عناء، والعلم رياء، والقول داء، والسكوت هباء، والنظر عداء، وكل ذلك سواء"<sup>(٢)</sup>، وهو ما دفعه إلى الوحدة وتغيير مساره الفكري والروحي والتوجه إلى الله ينجيه طالبا عنده الأُنس الذي فقده في الدنيا قائلا: "اللهم إنا قد أصبحنا غرباء بين خلقك فأنسنا في فنائك"<sup>(٣)</sup> ، واختيار طريق التصوف متدرجا في مقاماته كما سوف أوضح فيما بعد.

فقد وصل الى مرحله شبه تبسمه في وجه من حوله او ترفقه بهم او سعيه في حوائجهم من الكبائر العظيمة لذا توجه الى الله يطلب منهم ان يتم رفع سيرته عن سنتهم -وهذه كانت اماره قبول الله له - ويخلصه منهم لكي يلجأ الى الله وفي هذه الحال ينال الفوز وينجى .

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup>، ولم يذهب بعيدا عن معنى هذه الآية فقد شعر بالسكينة والاطمئنان حيث إن الغيب لا سبيل للإنسان للوقوف عليه، ولكن لا بد من التأكد أن الله لا يريد سوى الخير لعباده قائلا: "إن ما حرمانا من المال والثروة تخفيف عنا وما رزقنا من العمل والحكم تشريف لنا"<sup>(٥)</sup>.

فقد اعترف التوحيدي بأن التصوف كان نتيجة معاناته وغرته، فقد شبه الغربية بأنها أشجار البلوى وأن التصوف هو الطريق الذي ارتضاه لنفسه بعد السكن في مساكن الغربية وتجرع الكربة بعد الكربة بأنه ثمار العقبي ؛ لذا كانت نجاه الغريب تنتضح في

١ أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ص ١٨ . ١

٢ أبو حيان التوحيدي : المصدر نفسه ، ص ٨٧ . ٢

٣ أبو حيان التوحيدي : المصدر نفسه ، ص ٨٤ . ٣

سورة الشورى: الآية ٢٧ . ٤

٥ أبو حيان التوحيدي : المقابسات ، ص ٦٤ . ٥

وصفه له بأنه "من توجه إلى الله قائلًا لكل من سواه، بل الغريب من وهب نفسه لله متعرضًا لجدواه"<sup>(١)</sup>.

فكأن التصوف طريق للحدية الإنسانية يتحدر الإنسان به من مطامعه التي تستعبده ليحقق العبودية لله وهي التي تحرره أو تعتقه؛ ولذلك اتجه إلى التصوف وأهله<sup>(٢)</sup>.

أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ٨٤ . ١  
وسيم إبراهيم : نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، ص ٨٥ . ٢

## المبحث الرابع: أهم معالم التصوف عند التوحيدي

وقد تأثر التوحيدي بالصوفية منذ طفولته فهو من تلاميذ جعفر بن محمد بن نصير وقد صحب الصوفية منذ سنوات مبكرة من عمره، واهتمام التوحيدي بالصوفية وإعجابه بهم تجده في كل كتبه وفي مراحل الفكرية المختلفة، ففي (البصائر والذخائر) يذكر كلامهم بالإعجاب ويجد فيه ما يوحى بالتصديق وحسن النية، وإن لم يدرك في هذه المرحلة محل خفايا التصوف، ولم يكن على الاستعداد النفسي اللازم للدخول في هذا<sup>(١)</sup>، ويحكي أبو حيان عن نفسه أنه حجَّ في رفقة من إخوانه المتصوفة سنة ٣٥٤ هـ، ويصف ما احتملوا في عودتهم إلى بغداد من مشقات<sup>(٢)</sup>، وفي حديثه عنهم في الإشارات يصفهم بملوك الدنيا وسادة الآخرة أو أحبائي، ويرى أن الله خصهم بالفضل والتفضل، ويؤكد أن طريق التصوف هو ما يجب التنافس عليه لا الدنيا.

وهكذا انطوى أبو حيان على نفسه، ولم يبق في الأرض من يستطيع أن يبادله الشكوى والبث فحوّل طرفه إلى السماء، وأخذ يناجي الله بالإشارات وعاد إلى التصوف الذي نهل منه في شبابه... ولم يكن الانتقال عليه صعباً من حيث الطريقة الفنية، فقد كان يخاطب الأدميين متذلاً شاكياً، أو متمرّداً في بكاء، فحوّل هذا الأسلوب إلى مخاطبة المحبوب الأسمى، ومسح المعاني القريبة بمسحة من التلويح والإشارة. كان فقره حاجة مادية تضن بالضروري من العيش، كان فقر رجل اضطرته الحاجة إلى التفتيش عن البقول في الصحراء فأصبح فقراً إلى الرحمة، بل إلى المعرفة، بل إلى الوصول الصوفي، وكانت غربته في طبيعته وخلقه، وفي قلة المشاكل والنظير، فأصبحت غربة النفس العلوية في دنيا الطين<sup>(٣)</sup>.

ولقد كان كتاب "الإشارات الإلهية" أكبر دليل عن التغيير الذي حدث في شخصية التوحيدي سواء كان موضوعه أو الدافع من كتابته الذي كان على النقيض من كتاباته السابقة الذي كان يقدمها لأشخاص بعينهم مثل الإمتاع والمؤانسة، أخلاق الوزيرين وغيرها، أما بالنسبة لموضوعه فقد كان عبارة عن أدعية ومناجيات صوفية لله مثل بعض

وسيم إبراهيم: نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، ص ٩٨ . ١

أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ص ١١٥ . ٢

إحسان عباس: أبو حيان التوحيدي، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٥٦ م، ص ١١٦- ١١٧ . ٣



الرسائل التي تبدأ بالدعاء مثل: "اللهم إنا نسألك ما نسأل لا عن ثقة ببياض وجوهنا عندك وحسن أفعالنا معك، وسوالف إحساننا قبلك، ولكن عن ثقة بكرمك الفاضل"<sup>(١)</sup>، وهناك رسائل تبدأ بالمناجاة مثل: "اللهم رَوِّحْ صدورنا بنسيم ودك، واغمر أرجاء قلوبنا بغوامر من رفدك، وأذقنا حلاوة برك"<sup>(٢)</sup>.

أو رسائل تبدأ بمخاطبة شخص ما يحمله على ترك الدنيا والإعراض عن الشهوات فيخاطبه قائلاً: اسمع أيها الجليس، أيها صاحب الغادي وغيرها من الجمل، وأغلب الظن أن هذا الآخر كان يقصد بها نفسه، حيث كان يشعر بالازدواجية وهو في مناجاته الصوفية بسبب شعوره بالتصدع الداخلي، فمن ناحية كان يميل إلى أهل التصوف ولكن في الوقت ذاته لم يكن زاهداً أو متطرفاً في بعده عن الدنيا.

وقد ذكر في الإشارات كلمة "تصوف" ثلاثة وعشرين مرة، وكلمة "صوفي" اثنين وخمسين مرة، وكلمة "صوفية" إحدى وأربعين مرة<sup>(٣)</sup>.

وتمدنا "الإشارات" أيضاً بمفهوم واضح للتصوف حسبما كان يؤمن به أبو حيان، فقد عرّف أبا حيان التصوف بأنه " اسم يجمع انواعاً من الاشارات وضروباً من العبارة وجملته للتذلل للحق بالتعزز على الحق " ويقول ابو حيان عن التصوف : والتصوف معناه اكبر من اسمه ، وحقيقته اشرف من رسمه " <sup>(٤)</sup>، كما سلف القول أن الإشارة إلى علم التصوف بالإشارات والعبارات كان أمراً معروفاً متداولاً لدى الصوفية في عصر أبي حيان وقبله.

وقد استخدم التوحدي شأنه شأن الصوفية رموزاً وإشاراتٍ وأسلوباً إيحائياً روحياً، وقد ذهب عبد الرزاق محيي الدين إلى أنه ربما كان أسلوبه في الإشارات هو الذي جعل البعض يطغى في عقيدته "أعني بالأسلوب الرمزي الغامض الحاشد بالإشارة والألغاز، والذي يكون عادة عرضةً للنقد ممن لم يألّفوا عبارات المتصوفة"<sup>(٥)</sup>.

١ أبو حيان التوحدي: الإشارات الإلهية، ص ١ . ١

أبو حيان التوحدي: مرجع سابق، ص ٦٣ . ٢

طيبة صالح الشذر : ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحدي ، ١٩٨٩ م، ص ٦٤٣ . ٣

طيبة صالح الشذر :مرجع سابق ، ص ٦٤٥ . ٤

وسيم إبراهيم : نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحدي، ص ٧٩ . ٥

وفى تبريره استعمال الرمز ذكر قول عيسى عليه السلام للحواريين حين قال لهم " انكم لن تدكوا ملكوت السموات الا بعد ان تتركوا نساءكم ايامى واولادكم يتامى " فهو يري ان فى قوله هذا رمز وراءه رمز وشاره فوقها اشاره ، حيث ان المعنى المقصود ليس البغض او الكراهيه بل الوصول الى اقصي درجات المحبه بالتخلى عن كل ما سواه بالاتصال بالله الواحد فقط .

وربما الحسد والحقد الذي دفع معاصريه، وعلى رأسهم ابن فارس للترويج لذلك<sup>(\*)</sup>. وكان التوحيدي قد هجاه في كتاب الإمتاع والمؤانسة ووصفه بأقبح الأوصاف فكان طعنه في ابن حيان صدى تلك الملحمة بينهما.... كما كان "أبو الوفا بن عقيل" شيخًا للحنابلة يحارب الاتجاهات العقلانية والمستتيرة في عصره يرمي أيضًا التوحيدي بهذا البهتان<sup>(١)</sup>. وهو فى هذا قريب مما تعرض له كيركجور واتهامه بالهرطقة<sup>(\*)</sup> .

وربما أهم الأسباب التي دعت إلى اصطناع الأسلوب الرمزي:

(أ) لطافة المعنى حيث بلغ المعنى الغاية في اللطافة، أثر على الشعور الإنساني حتى أصبح من يحس بهذا الشعور لا يستطيع إبراز المعنى طبقا للحالة التي عنت له في داخله؛ وذلك لتعذر العبارات الظاهرة وعدم إسعافها لصاحب الوجدان المفعم بالمعنى الوجداني.

(ب) حفاظاً على أسرارهم من أن يطلع عليها غيرهم.

(ج) اختلاف أحوال الصوفية ومذاقتهم<sup>(٢)</sup>.

والتوحيدي يؤكد على أن أهل التصوف لهم لغة خاصة، ولغتهم مليئة بالإيحاءات والإيماءات، "أما الإيحاء الذي في الإيماء فسيرٌ حرّمٌ إعلانه في الثاني لما وجب كتمانها في الأول، وأما الإيماء الذي في الأنباء فلمشاهدة بدت في عرضه من الحق..."<sup>(١)</sup>.

(\*) وعلى درب هذه الإدانة سار ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين الذي قال: "زنادقة الإسلام ثلاثة ابن الراوندي، والتوحيدي، وأبو العلاء المعري. وشرهم على الإسلام التوحيدي لأنهما صرحا وهو مجمع ولم يصرح"، ومع ابن فارس وابن الجوزي سار الحافظ الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذي رمى التوحيدي بسوء الاعتقاد والضلال والإلحاد، وعلى ذات الدرب سار الخوانساري محمد باقر الموسوي. محمد عمارة: أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع، ص ٥-٦

محمد بركات محمد: أبو حيان التوحيدي معتربًا، ص ٨٨ - ٨٩ ١  
فقد اصطدم بالكنيسة البروتستانتية الدنماركية التي يعتبرها سادته في الضلال غارقه في الزيف زاخره بالفساد والانحلال... فكان من الطبيعي ان تؤدي به اراؤه الى التصادم مع الكنيسة الرسمية بوصفها مؤسسه جامده ، وقد جلب عليه ذلك سخط الكنيسة واتهامه بالهرطقة . فؤاد كامل : نصوص مختاره من التراث الوجودى ، ص ٢٧ . (\*)  
إبراهيم تركي: التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته ، دار الكتب القانونية، مصر ، ٢٠٠٩ م ، ص ٥٥ . ٢

وقد اوضح ايضا ان السبب في الايماء ان العين الفت المحدودات والاذن تحد بالمرسومات والقلب منقاد الى ما جرت عليه العاده لذا فكل ما يعلو عن هذا كله فلا يخبر عنه الا بالايماء

فقد ذكر التوحيدي أن البعد عن الدنيا بكل ما فيها من متع وملذات ومحاولته لترويض نفسه وهذا سوف يتحقق بالادبار و الاقبال اي الادبار عن النفس الاماره بالسوء و الاقبال على النفس الشريفة الفاضله ، وهذا هو الطريق للحضور<sup>(٢)</sup> مع الله قائلاً: "يا هذا تجمع عن تفرقك، وتفرق في تجمعك، أتدري ما أرى تفسير هذا اللغز؟ أي أحضر عن غيبتك، وتغيب عن حضورك"<sup>(٣)</sup> .

فالمنازل الرفيعة التي يرتقي إليها الصوفية لن تُنال إلا بالتخلي "هيات هيات، لن تنال المقامات والدرجات إلا برفض الهنات وما دون الهنات"<sup>(٤)</sup>. الانسان لن يفوز بالقرب من الله الا بالبعد عن كل ما كان غيره. (مصطلح التخلي)

فهو يرى أن موجب الربوبية ومقتضي العبودية لا يُنال إلا حينما يقوم الإنسان "وينتبرأ من حوله وقوته، ومن علمه وبصيرته، ومن جلده ونجدته، ومن أنفته وشيمته، ويلوذ بمن هو أولى به، ويستمد ممن هو أملك له، ويستأمر إلى من هو أقدر عليه، ويلقي مقاليدها كلها إليه"<sup>(٥)</sup>.

ويذكر التوحيدي أن لا بد للعبد من استيعاب العبودية حتى يصل إلى الحرية وحينها يشاهد العجائب ويرى الغرائب.

ولكن التوحيدي لم يدعُ إلى ترك الدنيا جملة، ولكن عدم جعلها أكبر همنا والتفكير في الآخرة والعمل لها، فهو يصف الدنيا بأنها دار ممر واجتياز وأيامها محدودة، أما الآخرة فدار مقر واعتزاز وأيامها ممدودة.

لذا كان يدعو إلى المبالغة في الطاعات والمدوامة على العبادات والحذر من الآفات ورفض الرذائل كلها والتخلي بالفضائل ويدعو إلى الصبر في هذا الطريق؛ لأن هذا

أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص ٥٩ ١  
 ٢ الحضور هو: تنبه خاص بظراً على قلب العبد إلى أمر معين فيحضر معه، وفي هذه الحال تفترض الغيبة عما سوى هذا الأمر. سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨١ م، ص ٣٢٨ .  
 أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص ٤٧ . ٣  
 أبو حيان التوحيدي: مرجع سابق، ص ٣٢ . ٤  
 أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص ٢٠٠ . ٥

لا يُنال إلا بتعب الجسد وهجران الراحة والبراءة من كل عائق، كما دعا إلى عدم التعجل في طلب المعرفة، بل لا بد من التأني لأن هذا يتماشى مع الطبيعة البشرية، وقد وصف التعجل بعنوان الفوت وآية الحسرة وعلامة الأسف، والمعرفة الحقة هي معرفة الله وغاية هذه المعرفة الاتصال بالمعروف.

وقد أوضح في الإشارات الجزاء الذي سوف يناله الإنسان من إتباع هذا الطريق وأهمها السمعة الجيدة في الدنيا ودخول الجنة والخلود بها.

ويقترب مره اخري كيركجور من التوحيدي فقد كان طريق الذات للاتصال بالمطلق التخلي عن العالم وهجره ونبذ كل ما سوى الله ، فلكى يقيم علاقه مطلقه مع غايه مطلقه عليه اولا ان يبدأ بممارسه نبذ الغايات النسبيه اما قبل ذلك فلن يستطيع اقامه مثل هذه العلاقه لان الفرد قبل ذلك يكون الى حد ما مباشرا كما يكون مستغرقا تمام فى الغايات النسبيه (١).

والقرب عبارة عن قلب حال الطالب وتغيره، قال الله تعالى لنبيه موسى: ﴿ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ، وَأَظْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (٢)، وهو ما أطلق عليه مسكويه في رده على التوحيدي الاصطناع؛ أي القرب من الله تعالى ولا يتم إلا بالسعي والرغبة والبعث عن مشاغل الدنيا، ووضح أنه لا شيء يمنع من الاصطناع، "بل الباب مفتوح والحجاب مرفوع" (٣)، وما يعوقه "أن يتشاغل بفضول عيشه الذي هو مستغنى عنه بما هو حي، وبالميل إلى لذات الحس التي تعوقه عن مطلبه وغايته ومنتهى سعادته" (٤).

وفي استعماله لمصطلح القرب يؤكد على استعماله الرمز، فهو لا يقصد به القرب المكاني لذا يوضح أنه منسوب إلى الله بحكم الاصطلاح والاتفاق ومنفي عنه بحق التنزيه ويحذر من الوقوف على اللفظ القصير الذي هو للعامة فتسحر به عن المعنى العريض الذي هو للخاصة.

امام عبد الفتاح ، كيركجور ، ج ٢ ، ص ٢٨١ . ١

سوره طه: الآية ٤٠ / ٤١ . ٢

أبو حيان التوحيدي : الهوامل والشوامل ، ص ١٥٤ . ٣

أبو حيان التوحيدي : مرجع سابق ، ص ١٥٥ ٤

ولقد أوضح أنه من فضائل القرب من الله انكشاف الفضائل بأسمائها الخاصة وحدودها العامة وانكشاف الرذائل بأسمائها الخاصة ورسومها العامة وضرب مثال لذلك الشجاعة والجبن، الكرم واللؤم، الحلم والسفه، الجود والبخل.

وفي حديثه عن القلب يشبّهه بأنه اناء لله فينا وكان يتضرع الى الله ان يملأ هذا الاناء باليقين والخشية والسكون والطمأنينة وخالص الذكر وكل ما من شأنه ان يعينه في طريقه .

ولقد حفل كتاب الإشارات بالعديد من المقامات والأحوال الصوفية (\*) ولفظ مقام والجمع مقامات ترد عند أبي حيان التوحدي في نصوص كثيرة جداً من كتاباته، وخصّ كتابه الإشارات الإلهية بالنصيب الوفير من هذه النصوص، حيث ترد لفظة مقام بمعنى المكانة والمنزلة في ابتهالاته<sup>(١)</sup>.

### التوبة:

تعد التوبة أول المقامات في الطريق الصوفي أول منازل السالكين، وأول مقامات الطالبين، وهي أصل كل مقام ومفتاح كل حال<sup>(٢)</sup>، وقد أعلن التوحدي في أكثر من موضع في الإشارات عن توبته ورجوعه عن كل ما لا يرضي الله، والعودة إلى الله والإقبال عليه فيقول: "إلى متى نشرد عنه ولا قوام لنا إلا به؟ إلى متى نكذب عن أنفسنا وهو أعلم بنا منا؟ وإلى متى نعتصم بغيره وهو أقرب إلينا من حبل الوريد"<sup>(٣)</sup>، ويرى أن التوبة واجبة في كل حال ولا تترك التوبة في كل حال.

(\*) يتحدث الصوفية عن شيء اسمه "حال" وعن شيء اسمه "مقام"، ويعتبرون الحال هو مقدمة للمقام، فمثلاً أول ما يبدأ الإنسان أن يشغل بالذكر يصل إلى طمأنينة مؤقتة للقلب لا تلبث أن تزول، فهذا حال، فإذا تابع الإنسان الذكر وصل إلى طمأنينة دائمة للقلب، فهذا مقام. سعيد حوى : تربيّتنا الروحية، دار السلام ، الطبعة السادسة، ١٤١٩ هـ ، ص ١٩١ . واختلفت أقوال الصوفية في عدد المقامات والأحوال، فقد جعلها الطوسي سبع مقامات: التوبة، الورع ، الزهد ، الفقر، الصبر، التوكل، الرضا، والأحوال عشرة: المراقبة، القرب ، المحبة، الخوف ، الرجاء ، الشوق ، الأنس ، الطمأنينة، المشاهدة واليقين. الطوسي : اللمع في التصوف ، تحقيق/ طه عبد الباقي – عبد الحلیم محود، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠ هـ ، ص ٦٨ .

طيبة صالح الشذر : ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحدي ، ص ٦٧٦ . ١

السهوردي : عوارف المعارف، دار المعارف، القاهرة، ص ٤٤٢ . ٢

أبو حيان التوحدي : الإشارات الإلهية، ص ٣٠ . ٣

## المحبة:

إن المحبة الحقيقية أساسها الزهد في النفع الشخصي، فإذا زهد الإنسان في الأشياء المادية ارتقى إلى مرتبة من المحبة الروحانية المبنية على تصور الكمال المطلق وهي محبة الله<sup>(١)</sup>.

يصف التوحيدي حاله بأنه المحب الذي يسعى للتخلص من كل ما يشوبه وهو في طريق المحبة، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾<sup>(٢)</sup>، والمعنى الواضح هنا أن المحبة طريق متبادل بين العبد وربّه، وهو ما ظهر عند التوحيدي أن الله هو الذي يسهل اللوذ به إذا أراد، وهو الذي يفرغ على القلوب محبته؛ أي أنه كان يرى أن طريق المحبة متبادل بين العبد وربّه.

ويؤكد على أن الغيبة عن كل ما سوى الله والزهد في كل متاع الدنيا هو السبيل للوصول إلى المحبة في قوله: "أيها الباحث عن غيب هذه الشهادة، بلسان النسك والزهادة، تلقّ محبته لك بروحك، وانعم بنسيم وده تجد راحتك... واخطط على قلبك بقلم العلم حقائق الحب بعلائق الوجد، متبرئاً من كل ما راق العين، واسترق السمع، واستعار المشاعر، وحال بينك وبين السرائر"<sup>(٣)</sup>، فقد كان حاله قريب من عشاق الصوفية الذين تعترتهم حالات الوجد الصوفي وأحوال ومواجيد صوفية مثل: "إلهي استزرتي فلما جئت حجبتي، دعوتني فلما أجبت حضرتي"<sup>(٤)</sup>.

وتعود اصداء فكر التوحيدي تتكرر عند كيركجور في حديثه عن المحبه حيث انها تقتضي من المحب الحقيقي الاينشغل الا بفكره واحده ، ومن شأن هذا الانشغال بالفكره الواحد ان يجعل من الانسان "فردا" استثنائيا منعزل عن القطيع متوحدا ازاء الله ، "وحدى ازاء الله وحده" هو الشعار الذى لم يفتأ كيركجور يردده طيله حياته ° . فلا مانع عند كيركجور ان تكون خافيا على الناس مادام ظاهرا بالنسبه لله .

جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ص ٤٣٩ . ١

سوره المائدة: الآية ٥٤ . ٢

أبو حيان التوحيدي : الإشارات الإلهية، ص ٢٧٣ . ٣

أبو حيان التوحيدي : مرجع سابق ، ص ٢٠ . ٤

فؤاد كامل : نصوص مختاره من التراث الوجودى ، ص ٣٣ . ٥

ومن خلال عرض المواقف الوجودية العديدة التي تعرض لها التوحدي والتي ادت الى اغترابه ونجاته التي كان سبيلها سلوك الطريق الصوفي يتأكد وجوديه التوحدي ، حيث ان صلب التفكير الوجودي يقوم على المقابلة بين " الوجود - لذاته " اى الانسان ، وبين " الوجود - فى ذاته " ولا مخرج من هذه المقابلة الا بوجود - من اجل - ذاته ، ومن اجله كل وجود اخر اى الالوهيه . وحين يحقق الانسان مبدئيات الموقف الوجودي ، اى حين يصوب تفكيره تجاه ذاته المتشخصه الوحيده المحاطه بالقلق والاغتراب والتناهي والعدم ، فالارجح ان يلتجئ فوراً الى الموجود المتعالى " الله " .<sup>١</sup>

يمنى طريف الخولي : الوجودية الدينية "دراسة في فلسفة باول تيليش " ، ص ٢٧ . ١

## الخاتمة

- لاقى التوحيدي الحظ السيء في الرزق والعلاقات الاجتماعية والمكانة الاجتماعية، حتى إنه قد أنْهَمَ بالزندقة؛ مما جعله يعاني من الغربة الاجتماعية والنفسية والوجودية.
- دفعته ظروفه التوحيدي إلى تغيير مساره، فقد انتهى الحال بالتوحيدي إلى طريق مضاد تمامًا للطريق الذي بدأ به حياته ، فبعد أن كان يريد المال والجاه والمكانة العلمية والأدبية انتهى به المطاف إلى النظر للعالم كأنها عدو يجب ذبحها عند الظفر بها لأنك إن لم تذبحها ذبحتك.
- فالغربة التي عانى منها التوحيدي كانت غربة مكانيه (الوطن) غربه اجتماعيه (افتقاد الاهل والصاحب) غربه نفسيه (عدم وصول المكانة العلمية التي كان يستحقها) غربه وجوديه (غريب في غربته)
- التوحيدي فيلسوف وجودي بالنظر الى الوجوديه انها الاساس الفلسفي للنظر في الموقف الانساني ، شديد القرب من الفلاسفة الوجوديين المؤمنين أمثال كيركجورد، بول تيليش، جبريل مارسيل سواء في المواقف التي تعرضوا لها في حياتهم أو آرائهم في بعض المسائل الوجوديه كالقلق واليأس وغيرها أو في طريقهم للخلاص من المعاناه فقد وجدوا ان الخلاص من أزمت الوجود الإنساني والسعادة الحقيقية تتحقق بالوقوف أمام الله ، وكذلك التوحيدي الذي انتهى إلى التصوف منهجًا وطريقًا.
- التوحيدي خرج من مأزقه الانساني وقهر اغترابه بوثبه ايمانيه لجأ فيها الى الله حيث وجد أن القرب الإلهي سبيل الخلاص من غربته والتي كان سببها الضياع والمعاناة التي لاقاها من مجتمعه والتي استمرت أكثر من ستين سنة.
- وفي النهايه يمكن القول ان التوحيدي مثله مثل كيركجور توصل الى ان الوجود الحقيقي لا يتحقق الا بالوجود امام الله اى الوجود الذى يرتبط بالمتعالي والمطلق .



## التوصيات:

- كشفت هذه الدراسة عن وجود ارهاصات لفكر الوجودي عند التوحيدي كنموذج للفلاسفة المسلمين وهذا ان دل على شئ فهو يؤكد على ان الوجوديه كتيار فكري يهتم بالوجود الانساني وانه كان موجود في الفكر الاسلامي ودعم بالجانب الديني ، مما يفتح الباب امام الدراسات للبحث المقارن بين المبادئ والافكار الوجوديه وافكار فلاسفه الاسلام .
- بالنظر الى الشباب نجد ان معظمهم يعيش الاغتراب وهو ما يكشفه عزوفهم عن المشاركة في قضايا المجتمع والانسحاب من الحياه الاجتماعيه وغيرها من الظواهر ، و ربما تتشابه ظروف حياتهم مع الظروف التي كان يعيش فيها التوحيدي، لذا فأن التركيز على الجوانب الوجوديه كالاغتراب واليأس والانتحار لدى التوحيدي وكيفيه تعامله مع الازمات ونجاته يعتبر نموذج لدعم الشباب خاصه في ظل الاوضاع والظروف الراهنه في المجتمع العربي بالأفكار والحلول .

## المصادر:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، حقق وقدم له د/ عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ج.١٩٥٠م.
- ٣- التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، مراجعة/ هيثم خليفة الطعيمي، الجزء الأول، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠١١م.
- ٤- أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، حققه وعلق عليه د/ أحمد أمين، د/ السيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م.
- ٥- أبو حيان التوحيدي: الصداقة والصدق، تحقيق وتعليق د/ إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٦- أبو حيان التوحيدي: مثالب الوزيرين "أخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد"، تحقيق د/ إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق.
- ٧- أبو حيان التوحيدي وابن مسكويه: الهوامل والشوامل، مؤسسة هنداوي سي أي سي، ٢٠١٧م.
- ٨- جان بول سارتر: جلسة سرية، ترجمة د/ مجاهد عبد المنعم، مقدمة د/ زكريا إبراهيم، دار النشر المصرية.
- ٩- جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، الجزء الثاني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.
- ١٠- جون ماكوري: الوجودية، ترجمة د/إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة د/ فؤاد زكريا، عالم المعرفة، ١٩٨٢م.
- ١١- السهروردي: عوارف المعارف، دار المعارف، القاهرة.
- ١٢- الطوسي: اللمع في التصوف، تحقيق/ طه عبد الباقي - عبد الحليم محود، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠ هـ.

## المراجع العربية:

- ١- إبراهيم تركي: التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، دار الكتب القانونية، مصر، ٢٠٠٩ م
- ٢- إحسان عباس: أبو حيان التوحيدي، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٥٦ م.
- ٣- أحمد عبد الهادي: أبو حيان التوحيدي "فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م.
- ٤- إمام عبد الفتاح: كيركجورد رائد الوجودية، الجزء الثاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- ٥- جمال الغيطاني: خلاصة التوحيدي "مختارات من نثر أبي حيان التوحيدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥ م.
- ٦- الحبيب شبيل: المجتمع والرؤية "قراءة نصية في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.
- ٧- حسن حماد: الإنسان المغترب عند إريك فورم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠٠٥ م.
- ٨- زكريا إبراهيم: أبو حيان التوحيدي "أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء"، المؤسسة المصرية العامة.
- ٩- زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة.
- ١٠- سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، ندرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨١ م.
- ١١- سعيد حوى: تربيتنا الروحية، دار السلام، الطبعة السادسة، ١٤١٩ هـ.
- ١٢- عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ م.

- ١٣- عزت السيد أحمد: فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٦ م.
- ١٤- فؤاد كامل: نصوص مختاره من التراث الوجودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ م.
- ١٥- طيبة صالح الشذر: ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، ١٩٨٩ م.
- ١٦- مجاهد عبد المنعم: كيركجارد، مكتة دار الكلمة، ٢٠١٦م.
- ١٧- محمد بركات محمد: أبو حيان التوحيدي مغترباً، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠١ م.
- ١٨- محمد عمارة: أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٧ م.
- ١٩- وسيم إبراهيم: نظرية الأخلاق والتصوف عند أبي حيان التوحيدي، دار دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- ٢٠- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، القاهرة، ١٩٣٦، ج ١٥.
- ٢١- يمنى طريف الخولي: الوجودية الدينية "دراسة في فلسفة باول تيليش"، مؤسسة هنداوي سي أي سي، ٢٠١٧ م.

#### المراجع الأجنبية:

- 1- Caputo, J. D.: "How to Read Kierkegaard", New York, London, W. W. Norton and Company, 2008.
- 2- Friedman, M.: The World Of Existentialism, Humanities Press, New Jersey, 1991.
- 3- Moor, C. E.: "Provocations, Spiritual Writings of Kierkegaard", The Bruderhof Foundation. Inc. USA, 2002.
- 4- Walsh, S.: "Kierkegaard Thinking Christianly in an Existential Mode, Oxford University Press Inc., New York, 2009.

أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا عند بروس جينينجس  
الإشكاليات الأخلاقية والحلول العملية

د. هدى عبدالرحمن جاب الله

أستاذ الفلسفة المعاصرة المساعد

كلية الآداب، جامعة الفيوم

[hma02@fayoum.edu.eg](mailto:hma02@fayoum.edu.eg)

doi: 10.21608/jfpsu.2022.122260.1166

## أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا عند بروس جينينجس الإشكاليات الأخلاقية والحلول العملية

### مستخلص

ناقش بروس جينينجس أصل جائحة كورونا واعتبرها جائحة صحية وحالة طوارئ صحية عالمية ، ورأى أنها ترجع إلى التدهور البيئي ؛ واستبعد سيناريو الإرهاب البيولوجي. وحاول إيجاد الحلول الفلسفية النظرية متمثلة في التأكيد على دور كل من الفلسفة والأخلاق المحوري وتقديم المبادئ الأخلاقية التي يجب أن يسترشد بها صنّاع القرار في السياسات الصحية . وتكمن الاستجابة العملية في وجود استجابة وقائية تقليدية تتمثل في شكل تدابير أبوية وقائية واحترازية مثل تدابير التباعد الاجتماعي والحجر الصحي الطوعي والالزامي ، وتكمن الاستجابة التكنولوجية التقنية في الحلول الرقمية مثل مراقبة الهاتف المحمول ، وتكمن التدابير الصيدلانية العلاجية في فرض اللقاح وتخصيص الموارد الصحية .

كما درس بروس جينينجس المعضلات الأخلاقية العديدة التي تتجم عن تلك الاستجابات (الوقائية التقليدية و التكنولوجية والصيدلانية) ، وحاول تقديم الحلول الأخلاقية لها من أجل الوصول الى مرحلة العدالة الصحية ، رافضا اللجوء إلى المنهج النفعي أثناء إدارة أزمة كورونا ، كما قدم دفاع أخلاقي عن أخلاق الفضيلة والواجب .

**الكلمات المفتاحية:** جائحة كورونا، بروس جينينجس، الإشكاليات الأخلاقية، التباعد الاجتماعي، الأخلاق.

## **Ethics of Preparedness and Responding to Corona Pandemic in Bruce Jennings Philosophy Ethical Problems and Practical Solutions**

Dr. Huda Abdulrahman Jaballah  
Assistant Professor of Contemporary Philosophy  
Faculty of Arts, Fayoum University

### **Abstract**

Bruce Jennings discussed the origin of the Corona pandemic and considered it a health pandemic and a global health emergency, and saw that it was due to environmental degradation; He ruled out the scenario of bioterrorism. He tried to find theoretical philosophical solutions represented in emphasizing the pivotal role of philosophy and ethics and presenting ethical principles that should guide decision makers in health policies. The practical response lies in the presence of a traditional preventive response in the form of preventive and precautionary parental measures such as social distancing measures and voluntary and mandatory quarantine, and the technical technological response lies in digital solutions such as mobile phone monitoring, and therapeutic pharmaceutical measures lie in imposing the vaccine and allocating health resources.

Bruce Jennings also studied the many ethical dilemmas that result from these responses (traditional, technological and pharmaceutical preventive), and tried to provide ethical solutions to them in order to reach the stage of health justice, refusing to resort to the utilitarian approach during the management of the Corona crisis, and presented a moral defense of the ethics of Virtue and duty.

**Keywords:** Corona pandemic, Bruce Jennings, ethical problems, social distancing, ethics.

## مقدمة

على مدى القرن الماضي ، شهد العالم عددًا من الأوبئة ذات التأثيرات المتفاوتة على الرعاية الصحية والاقتصاد العالمي ، كان تفشي الانفلونزا عام ١٩١٨ هو الأشد خطورة في التاريخ الحديث ؛ وأدى إلى وفاة ٥٠ مليون شخص في جميع أنحاء العالم ، ويعتبر Covid-19 مرض مُعد يُسببه فيروس Sars-Cov-2، أي الالتهاب الرئوي الحاد ؛ الذي أنتشر بسرعة وتفشي عالميًا حتى أصبح جائحة عالمية ، وهذا التفشي العالمي صاحبه شعورًا بالقلق ومخاوف مُستمرة من المرض أو الموت أو فقدان من نحبهم ، لذلك سعت الحكومات إلى حماية سكانها والاستجابة بفاعلية بوضع تدابير استثنائية سريعة وفعالة من أجل احتواء الجائحة والتخفيف من آثارها في مواجهة هذه الأزمة الصحية العالمية ؛ ومن ثم، فهناك أهمية أخلاقية كبيرة لوضع خطط للاستعداد والاستجابة لهذا الفيروس اللعين ؛ الذي تسبب في معاناة البشرية ، ومن الضروري أن تصبح تلك التدابير الاحترازية والسياسات الصحية أثناء جائحة كورونا أخلاقية في المقام الأول ، وذلك لأنها تُثير الكثير من الإشكاليات الأخلاقية ؛ حيث تتعارض الحقوق والحريات .

ومن المثير للدهشة والقلق ألا يتم الاهتمام المناسب من قبل مجتمع الفلاسفة بصفة عامة وفلاسفة الأخلاق بصفة خاصة بالقضايا الأخلاقية المصاحبة لتفشي الأمراض المعدية والفيروسات ، أو حتى النظر في الآثار الصحية الكارثية المترتبة على التدهور البيئي وتغير المناخ وعلاقته بظهور الأوبئة ، أو محاولة تقديم تفكير أخلاقي جاد ؛ يعتمد على مبادئ أخلاقية مناسبة لتوجيه صنّاع القرار أثناء الجائحة .

## أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في تقديم مناقشة فلسفية وعرض تحليلي لوجهات نظر الفيلسوف الأمريكي بروس جينينجس حول كيفية التأهب والاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا ، ومن جهة أخرى ، فهناك حاجة ماسة إلى توضيح أهم التحديات الأخلاقية التي تواجه تلك التدابير الصحية التي اتخذتها الحكومات أثناء الجائحة وذلك لأن تلك التدابير "أبوية واستثنائية" ، ولا سيما أن المناقشة الفلسفية لجائحة كورونا لا تزال في مهدها ؛ وتحتاج إلى وضع مبادئ أخلاقية معيارية من أجل الوصول إلى القرار الأخلاقي العادل في



الاستجابة للجائحة وعدم التمييز أو الاستغلال في توزيع اللقاحات وأجهزة التنفس الصناعي وتخصيص الأسرة في المستشفيات وغرف العناية المركزة .

ومن جهة أخرى ، أخترت شخصية الفيلسوف الأمريكي بروس جينينجس عن غيره من الفلاسفة المعاصرين الذين ناقشوا كيفية الاستعداد والاستجابة للجائحة ، للأسباب الآتية :

أولاً : نظرًا لأنه من أهم الفلاسفة الأمريكيين المهتمين بمناقشة قضية الساعة في عالمنا المعاصر ، وهو جائحة كورونا وقبلها وباء سارس والأيدز ، حيث ناقش الجوانب المسكوت عنها لهذه الجائحة ، من حيث تأثير جائحة كورونا على فئات سكانية معينة ، وهي الفئات المهمشة والضعيفة وأكد على ضرورة أن نعطي لها الأولوية ، وفي نفس الوقت ، قام بتسليط الضوء على السياسات الصحية غير المقبولة في الغرب ؛ التي تَمَّتْ في حق كبار السن والأقليات السود والفئات الضعيفة ؛ من تمييز عنصري صحي متمثلًا في عدم حصولهم على أجهزة التنفس الصناعي أو سرير في غرف الرعاية المركزة ، ويشهد بذلك نسبة الوفيات الكبيرة التي كانت من الأشخاص السود وكبار السن في المجتمع الغربي. ومن ثم ، أكد على أن هذه الممارسات تجاه كبار السن والفئات الضعيفة غير مقبولة وغير أخلاقية وغير مسموح بها أخلاقياً ، وتُعبّر عن سياسات صحية نفعية لا تتماشى مع احترام حق الحياة ومبدأ عدم الضرر ، وأن كل شخص يحمل قيمة أخلاقية متساوية ، أو حتى مبدأ المعاملة بالمثل ، ومبدأ احترام جميع الأشخاص .

ثانيًا : لأنه حاول أن يسد فجوة في أخلاقيات الصحة العامة حاليًا ، من خلال توفير مفهوم أخلاقي شامل للتأهب لحالات الطوارئ الصحية بصفة عامة وجائحة كورونا بصفة خاصة ، كشكل مُميز من الممارسة المدنية من خلال التنسيق بين العديد من التخصصات ، كما حاول أن يوازن بين القيم المتعارضة والمتضاربة في بعض الأحيان ، وحاول تطبيق إطار من المبادئ والقيم الأخلاقية في التخطيط للتأهب والاستجابة للطوارئ حتى الوصول للتعافي ، بما في ذلك التزامات المهنيين الصحيين ، والالتزامات نحو الفئات الضعيفة.

ثالثًا : لأنه ناقش التحديات الأخلاقية التي تتعلق في المقام الأول بالاحتكاك بين الحريات الفردية وما يمكن اعتباره أبويه حكومية ، كما ناقش مشكلات أخلاقية جوهرية حياتية وحقيقية وعملية ؛ مُصاحبة لجائحة كورونا مثل مشكلة الحجر الصحي والتباعد

الاجتماعي مع تقييد الحرية ، ومشكلة انتهاك الخصوصية مع تتبع الاتصال الرقمي ، ومشكلة الفرز مع ندرة الموارد الصحية .

رابعاً : كما أنه أبرز دور الأخلاق والمبادئ الأخلاقية في التصدي لحالة الطوارئ الصحية المتمثل في جائحة كورونا ، وركز على التحديات الأخلاقية التي تواجه تلك التدابير الصحية ، كما قام برفض المنهج النفعي في الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا ونادى بأخلاقيات الفضيلة التي تركز على شخصية الفاعل الأخلاقي وتغيير السلوك الشخصي والطباع والعادات .

### أهداف البحث:

أولاً : أردت من دراستي لهذا البحث أن أسلط الضوء على تحليل أفكار بروس جينينجس الفلسفية ؛ والتي دعت بأن هناك حاجة أخلاقية لوضع خطط عادلة من أجل الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا تتمثل في التدابير الصحية التي تفرضها الدولة على المواطنين من تباعد اجتماعي وحجر صحي و مراقبة الهواتف المحمولة بتطبيق تتبع الاتصال من أجل معرفة المنطقة الموبوءة لعزلها، وإيجاد التطعيم أو اللقاح المقاوم للفيروس و تخصيص موارد الرعاية الصحية الشحيحة من أجهزة تنفس صناعي وأسرة الرعاية المركزة.

ثانياً : قصدت من هذا البحث ؛ التأكيد على دور الفلسفة المحوري في الاستجابة لجائحة كورونا بصفة خاصة والأزمات بصفة عامة ؛ داخل البناء الفلسفي عند بروس جينينجس، حيث أن الفلسفة لديه تقوم بالفعل في معالجة المشكلات التي نتعرض لها ، مثل مشكلة جائحة كورونا ، حيث توضح الفلسفة أهمية المسؤولية الأخلاقية ، وأن على كل فرد مسؤولية أخلاقية في أن لا يكون ناقلاً للعدوى للآخرين أو يُصاب بالمرض ، كما أن الفلسفة تعمّد إلى تعزيز الحس النقدي والتفكير العقلاني بداخلنا في مواجهة المشاكل الناجمة عن جائحة كورونا ، وتحثنا على التضامن والتعاون وأن هناك هدفاً مشتركاً نسعى من أجله ، وتحديد الأولويات في مثل هذه الظروف الصعبة ، كما أن الفلسفة يمكن أن تُغير الوعي الذاتي وتُعدل من السلوك الأناني إلى السلوك الايثاري وحب الصالح العام ، واعتقد أنه تكمن أهمية الفلسفة في إزاحة الخوف والتشاؤم من المرض من خلال تقديم نصائح أخلاقية لمحاربة الخوف والقلق من الأمراض .

**ثالثًا :** التأكيد على أهمية دمج القيم والأخلاق في عملية صنع القرار عند بروس جينينجس ؛ وذلك من أجل تقديم المشورة الأخلاقية لكل من صنّاع القرار ومسؤولي الصحة العامة وعند المواطنين أيضًا ، ولقد برهن بروس جينينجس على ضرورة أن تصبح الأخلاق هي الأساس في الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا؛ وقدم مبررات مُقنعة ، مثل أن الأخلاق تُوفّر التوجيه للاستكشاف المستقبلي للقضايا الأخلاقية في الاستعداد لجائحة كورونا والاستجابة لها ، كما يحتاج صانعو القرار إلى بوصلة أخلاقية أثناء الأزمة الصحية لكورونا واطر أخلاقي ؛ كدليل في صنع القرار الذي يجب اتخاذه من أجل مواجهة القضايا الأخلاقية الصعبة التي أثارها الفيروس من أجل ضمان العدالة والانصاف في توزيع الموارد والفرص ومراعاة الأشخاص الضعفاء ؛ وذلك في اطار من القيم والمبادئ الأخلاقية مثل مبدأ الاحترام وعدم الضرر والتناسب والخصوصية، التوزيع العادل والتضامن والصالح العام والمعاملة بالمثل من أجل تقليل الخيارات المأساوية والوصول إلى التعافي بشكل مُنصف ، أو بعبارة أخرى ، يهدف البحث إلى تطبيق الأخلاقيات على السياسات الصحية أثناء جائحة كورونا لتصبح خطط الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا أخلاقية ، والوصول إلى الرعاية الصحية الشاملة والعدالة أثناء الجائحة والتخصيص العادل لموارد الرعاية الصحية المحدودة .

**رابعًا :** يهدف البحث إلى محاولة وضع توازن أخلاقي بين أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا من الناحية النظرية والعملية معًا عند بروس جينينجس، فهي نظرية حين تتحدث عن أهمية الفلسفة والأخلاق والمبادئ الأخلاقية في اتخاذ القرار أثناء الجائحة ، وعملية حين تَعَمّد إلى تطبيق المبادئ الأخلاقية في الممارسة العملية أثناء معالجة واحتواء أزمة كورونا الصحية وحين تقوم بتغيير السلوك والعادات الشخصية ، لذلك فهناك ضرورة أخلاقية لترجمة تلك المبادئ الأخلاقية إلى مُمارسات مهنية حقيقية .

**خامسًا :** يأمل هذا البحث في رسم خريطة للتفاعل بين النظرية والممارسة في أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا بعد الفجوة الكبيرة بين مبادئ الأخلاق النظرية والممارسات العملية التي تمت بالفعل في الاستجابة لجائحة كوفيد - ١٩ .

**سادسًا :** إعادة النظر في التدابير الصحية الأبوية التي قدمها بروس جينينجس ، والتي اتخذتها الحكومات أثناء الجائحة، ومعالجة المعضلات الأخلاقية التي نجمت عنها ،

ومحاولة أثبات أن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة في مواجهة جائحة كورونا من تدابير التباعد الاجتماعي والحجر الصحي ومراقبة الهاتف المحمول و التطعيم الاجباري و تخصيص موارد الرعاية الصحية النادرة أو الفرز ؛ هي نفسها إشكاليات أخلاقية اذا لم تكن مُبررة أخلاقياً وعادلة وقائمة على الاقناع بدلاً من العنف ، والموافقة المستتيرة واحترام الاستقلالية بدلا من الإكراه والاستخدام المفرط للسلطة.

سابعًا : يهدف هذا البحث في إيجاد أخلاقيات عادلة للاستعداد والاستجابة للجائحة ؛ لا تتجاهل حقوق كبار السن والضعفاء والأقليات ؛ ولا تقوم على المذهب النفعي البغيض الذي يسمح بترك كبار السن يموتون بدون خجل أو حياء ، كما عبر عن ذلك بروس جينينجس .

### إشكاليات البحث

تكمن إشكالية البحث في الإجابة على التساؤلات الآتية :

(١) ما هو أصل ومصدر جائحة كورونا ؟ هل هي إرهاب بيولوجي أم تدهور بيئي ؟ وما هو موقف بروس جينينجس منها ؟

(٢) هل هناك دور حقيقي للفلسفة والفلاسفة في مواجهة جائحة كورونا عند بروس جينينجس ؟

(٣) هل هناك دور حقيقي للأخلاق في عملية صنع القرار الصحي أثناء جائحة كورونا عند بروس جينينجس ؟ وما هي المبادئ الأخلاقية التي قدمها بروس جينينجس ، والتي يجب أن يقوم عليها صنع القرار الصحي أثناء جائحة كورونا ؟

(٤) ما هو الفرق بين أخلاقيات التأهب والاستعداد للجائحة وبين أخلاقيات الطب والبيولوجيا ؟ وما هو علاقة أخلاقيات التأهب والاستجابة لجائحة كورونا بكل من أخلاقيات الصحة العامة والأخلاقيات التطبيقية ؟ وما هو المقصود بالتأهب والاستجابة لجائحة كورونا ، وما هي أهدافه الأخلاقية ؟ وما هي أشكال الاستجابة لجائحة كورونا عند بروس جينينجس ؟ وهل تلك التدابير الصحية الأبوية التي اتخذتها الصحة العامة أثناء جائحة كورونا ، أو كما أطلق عليها بروس جينينجس " حالة الاستثناء " أو " حالة الطوارئ الصحية " مُبررة أخلاقياً ؟

- (٥) هل تدابير التباعد الاجتماعي والحجر الصحي أخلاقية؟ ما هي المبررات الأخلاقية للحجر الصحي عند بروس جينينجس؟ وما هي المعضلات الأخلاقية التي تثيرها تدابير الحجر الصحي والتي قدمها بروس جينينجس؟
- (٦) هل تدابير تتبع الاتصال الرقمي أخلاقية؟ وما هي التحديات الأخلاقية التي تواجه تدابير تتبع الاتصال الرقمي؟
- (٧) هل تدابير أخذ اللقاح والتطعيم الإجباري أخلاقية عند بروس جينينجس؟ وما هي التحديات الأخلاقية التي تواجه فرض اللقاح بالقوة عند بروس جينينجس؟
- (٨) هل تدابير تخصيص الموارد النادرة الصحية أخلاقية وعادلة؟ وهل معايير الفرز أخلاقية وعادلة؟ وما هي التحديات الأخلاقية التي تواجه تخصيص الموارد الصحية النادرة؟
- (٩) ما هو المنهج الأخلاقي الذي أتبعه بروس جينينجس عند الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا؟ هل هو المنهج النفعي أم أخلاقيات الفضيلة؟ ولماذا؟

### منهج البحث:

اعتمدت الباحثة على **المنهج النقدي**؛ وذلك من خلال عمل مقارنة بين رؤي بروس جينينجس ووجهات النظر الفلسفية المؤيدة له والمعارضة له، ثم فحص هذه الآراء ونقدتها؛ لكي نخرج برأي شخصي فيها يتمثل في نقد النقد، وتحقيقاً لهذا الهدف، فلقد قسّمت البحث إلى مقدمة و أربعة مباحث، بالإضافة إلى الخاتمة وأهم نتائج البحث مع عرض الدروس الأخلاقية المستفادة من جائحة كورونا، ومحاولة تقديم الحلول الأخلاقية الممكنة والتوصيات لهذه المعضلات الأخلاقية التي ظهرت مع الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا، أو لأي جائحة مستقبلية.

### خطة البحث:

يأتي **المبحث الأول** بعنوان " أصل جائحة كورونا، تدهور بيئي أم إرهاب بيولوجي؟" وفيه مقدمة تحتوى على مدخل توضيحي؛ ويتم التعريف بشخصية بروس جينينجس

الفلسفية ؛ وتوضيح الأسباب الأخلاقية لاختيار شخصية جينينجس تحديداً لمناقشة أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للجائحة.

يحمل **المطلب الأول** عنوان "جائحة كورونا وتفشي الوباء" ، وهو يعمل علي توضيح الفرق بين الوباء والجائحة وعلاقتهم بتفشي المرض، ولماذا يعد فيروس كورونا جائحة صحية عالمية عند بروس جينينجس ؟ يأتي **المطلب الثاني** بعنوان : "علاقة جائحة كورونا بالتدهور البيئي" عند بروس جينينجس وفلاسفة الأخلاق البيئيين المعاصرين ، وفيه أقوم باستكشاف علاقة فيروس كورونا بالتدهور البيئي وفقدان التنوع البيولوجي وتغير المناخ ، واستبعاد سيناريو الإرهاب البيولوجي عند بروس جينينجس ، ولذلك يجئ **المطلب الثالث** بعنوان : "علاقة جائحة كورونا بالإرهاب البيولوجي" .

ويأتي **المبحث الثاني** بعنوان "المتطلبات الأخلاقية للتأهب والاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا أو للطوارئ الصحية عند بروس جينينجس" ويحمل **المطلب الأول** عنوان: التحليل الفلسفي لأخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا ، ويعبر عن تعريف الأخلاق عند جينينجس وأنواعها ، وطبيعة الأخلاق المعيارية ، والاختلاف بين أخلاقيات الطب والبيولوجيا وأخلاقيات الصحة العامة والأخلاق التطبيقية وعلاقتهم بأخلاقيات التأهب والتخطيط والاستعداد للاستجابة ، ثم الانتقال إلى أهداف أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للجائحة ؛ وأهميتها والمتطلبات الأخلاقية لها .

ثم يستكشف **المطلب الثاني** "أهمية الأخلاق في الاستجابة لجائحة كورونا عند بروس جينينجس" ، ودور الأخلاق في عملية صنع القرار وتقديم المبادئ الأخلاقية التي يجب أن يقوم عليها القرار أثناء جائحة كورونا والتي يجب أن يسترشد بها صناع القرار الصحي .

ويوضح **المطلب الثالث** : "أهمية الفلسفة في الاستعداد لجائحة كورونا" ، ودور الفلسفة المحوري خلال الأزمة عند بروس جينينجس والفلاسفة المعاصرين .

ويأتي **المبحث الثالث** بعنوان "التدابير الاحترازية للاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا أخلاقيات التباعد الاجتماعي والحجر الصحي عند بروس جينينجس" ، وفيه تتم مناقشة في **المطلب الأول** : طبيعة التدابير الأبوية للصحة العامة في حالة الطوارئ (الاستثناء) أو كورونا وهو يستوضح تعريف تلك التدابير الأبوية للصحة العامة ، والهدف

منها ، والأهمية الأخلاقية لها ، وموقف بروس جينينجس منها ، والتحديات الأخلاقية التي تواجهها مُتمثلة في نقد الفيلسوف الايطالي المعاصر جورجيو أجامبين لتلك التدابير الأبوية عند بروس جينينجس ، وعرض نقد النقد ؛ وهو وجهة نظرنا .

**أما المطلب الثاني :** يأتي بعنوان "التباعد الاجتماعي والحجر الصحي" عند بروس جينينجس والفلاسفة المعاصرين ، وفيه أُحدد طبيعة الحجر الصحي وأنواعه ومُبرراته الأخلاقية عند بروس جينينجس والفلاسفة الآخرين ، وأعرض النقد الذي قدمه جورجيو أجامبين للحجر الصحي على لسان بروس جينينجس ، وموقف بروس جينينجس منه ، ثم نعرض نقد النقد .

يعرض **المطلب الثالث "المعضلات الأخلاقية التي يثيرها الحجر الصحي ، النظرية والعملية"** ، وتتضمن المعضلات النظرية ، مُعضلة تقييد الحرية ومُعضلة استخدام الإكراه من قبل السلطة أثناء تنفيذ تدابير الحجر الصحي ، مع مقارنة موقف بروس جينينجس بالفلاسفة المعاصرين المتفقين مع موقفه والمخالفين له في وجهة نظره ، بينما تتضمن المعضلات العملية للحجر الصحي ، الشعور بالخوف والقلق والظلم والاستبداد و فقدان الأجور ومعضلة مُعاناة كبار السن في وقت الحجر الصحي و معضلة العنف المنزلي .

ويُعتبر **المبحث الرابع** والذي جاء بعنوان "أخلاقيات الاستجابة للطوارئ الصحية أو لجائحة كورونا عند بروس جينينجس" ، وهو يتضمن ثلاثة مطالب ، يأتي **المطلب الأول** بعنوان "أخلاقيات تتبع الاتصال الرقمي" ، وفيه نوضح وجهة نظر بروس جينينجس من قبوله تطبيق تتبع الاتصال الرقمي ؛ وهو أحد الحلول التقنية لمواجهة جائحة كورونا ؛ ونعرض أهم التحديات التي تواجه ؛ مثل مشكلة الخصوصية ؛ ونعرض الحلول الأخلاقية الممكنة له والتي قدمها جينينجس والفلاسفة المعاصرين .

ويأتي **المطلب الثاني** بعنوان "أخلاقيات اللقاح أو التطعيم الإجباري" ، وفيه نعرض الأهمية الأخلاقية للقاح عند بروس جينينجس والفلاسفة المعاصرين ، لأنه من أهم أدوات الاستجابة الصيدلانية لجائحة كورونا ، ومشكلة التطعيم الإجباري ؛ وموقف بروس جينينجس منها ؛ مقارنة بموقف الفلاسفة المعاصرين الآخرين منه ، والتحديات الأخلاقية التي تواجه فرض اللقاح ؛ مثل الفئات العمرية الأكبر سنًا .

ويأتي **المطلب الثالث بعنوان "أخلاقيات الفرز والتقنين"** ، وهو يُعبر عن تخصيص الموارد النادرة ومشكلة الأولوية في وقت جائحة كورونا ، وفيه يُقدم بروس جينينجس المعايير الأخلاقية للفرز ؛ لكي يصبح الفرز أخلاقي ، ويقدم التحديات الأخلاقية التي تواجه تخصيص الموارد الصحية النادرة مثل تحدى الندرة ، عدم اليقين ، اعطاء الأولوية لكبار السن ، ثم أقوم بعرض وجهات النظر التي انتقدت مع موقفه ؛ وكذلك عرض موقف كثير من الفلاسفة النفعيين ؛ والذين رفضوا اعطاء الأولوية لكبار السن بهدف منع تكلفة الفرصة غير المقبولة ؛ لأن موارد الرعاية الصحية أصبحت محدودة بسبب توافد الأعداد غير المسبوقة على المنافذ الصحية ، بما يفوق قدرة استيعابها في فترة زمنية محددة ، وهذا يُثير مشكلة العدالة أثناء تخصيص موارد الرعاية الصحية المحدودة ، ومن ثم ، لجأت الدول الأوروبية الغنية إلى تخصيص موارد الرعاية الصحية وتقنينها وحرمان كبار السن والفئات الضعيفة منها ، ومن المفارقة أنه لم تلجأ ما يسمونها دول العالم الثالث الفقيرة ذات الموارد الصحية المعدومة إلى مثل هذا الإجراء اللإنساني وغير الأخلاقي . ومن جهة أخرى ، فإن المعضلات الأخلاقية التي يطرحها تخصيص الموارد تتقاطع مع أسئلة أخلاقية خاصة بالعدالة ، وهذا يثير مشكلة العدالة ، فهل نقبل بعدالة المنفعة أو عدالة الواجب أو عدالة الإنصاف ؟ .

وهنا نجد أنفسنا بحاجة ماسة إلى مناقشة المنهج الذي يجب أن نتبعه عند الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا ، وهذا هو موضوع **المطلب الرابع** والذي جاء بعنوان: **"المنهج الأخلاقي في الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا"** ، وفيه تُقدم المبررات الأخلاقية التي وضعها بروس جينينجس لرفض المذهب النفعي في إدارة أزمة كورونا ورفضه للقرار النفعي، ونقدم دفاعه الأخلاقي عن أخلاق الفضيلة النظرية والعملية في قيام العاملين الصحيين والأطباء بواجبهم الأخلاقي أثناء الجائحة ، وتأييده لأخلاقيات الواجب ؛ لذلك طالب (صناع القرار والحكومة والمهنيين الصحيين والأطباء والمواطنين العاديين ) في أن يقوموا بتأدية الواجب الأخلاقي عليهم أثناء جائحة كورونا من أجل الوصول إلى مرحلة التعافي والشفاء التام .



## المبحث الأول : أصل جائحة كورونا : تدهور بيئي أم إرهاب بيولوجي

يكن هدفنا في هذا المبحث أن أسلط الضوء على حقيقة فيروس كورونا ؛ هل هو جائحة عالمية أم وباءً محلياً ؟ ؛ وأن أحاول أن أستكشف سببه ومصدره، هل هو التدهور البيئي ؟ أم هو سيناريو الإرهاب البيولوجي ؟ والتركيز على علاقة الصحة البيئية بالصحة البيولوجية ، وذلك بعد ما وضعت جائحة كورونا العالم علي مُنعطف صعب ، وباتت أسبقية أن نبقى أحياء لها الأولوية لدى الجميع ، فلقد زعزت جائحة كورونا اليقين الذي تمتع به الإنسان طيلة فترة حياته في بسط قدرته على الطبيعة وتفوقه عليها ، وأصبح الآن في عُرِي تام مع ذاته ، يتوارى خجلاً وخوفاً خلف باب منزله من عدو لا يُرى بالعين المجردة !

يوضح بروس جينينجس **Bruce Jennings** <sup>(١)</sup> أنه " مع انتشار جائحة كورونا أصبحت الصحة العامة قوة لا يُستهان بها بعد ظهور التحديات التي تلوح في الأفق

### (١) بروس جينينجس

يعد بروس جينينجس عالم أخلاقي أمريكي معاصر ، يشمل بحثه مجموعة واسعة من الموضوعات بما في ذلك أخلاقيات الصحة العامة ، أخلاقيات البيولوجيا ، الأخلاقيات البيئية ، أخلاقيات رعاية المسنين ، أخلاقيات القتل الرحيم ، أخلاقيات الأوبئة . أخلاقيات استئصال الأمراض المعدية ، وهو أستاذ في مركز أخلاقيات الطب الحيوي بجامعة فاندربيلت ، ومدير أخلاقيات علم الأحياء في مركز البشر والطبيعة ، كتب على نطاق واسع في الصحة والبيئة ، وهو رئيس تحرير الطبعة الرابعة لأخلاقيات البيولوجيا ، كتب ٢٠ كتاباً بما في ذلك أخلاقيات الطوارئ الصحية ، وتدور جميع مؤلفاته حول الأخلاق ولاسيما تقدير قيمة الحياة والصحة .

Bruce Jennings, John D Arras, Drue H Barrett, and Barbara A. Ellis (2016): *Emergency Ethics: Public Health Preparedness and Response*, Chapter 1, Oxford University Press.

قام بتدريس الأخلاق من ١٩٩٦ إلى ٢٠١٤ ، وكان رئيس مجلس أخلاقيات البيولوجيا ، وهو نشط في مجالات السياسة الصحية ورعاية نهاية الحياة ، ونشر على نطاق واسع حول اتخاذ القرار في الصحة العامة ، وكان عضواً بارزاً في لجان الأخلاقيات ، شارك في تأليف منهج حول أخلاقيات الصحة مصمم للطلاب في برامج الشهادات الجامعية ومهنيي الصحة العامة ، وكان رئيس اللجنة الاستشارية للأخلاقيات في مراكز السيطرة على الأمراض .

Department of Health Policy, Bruce Jennings.

عمل في أخلاقيات البيولوجيا لمدة ٢٦ عاماً ، وهو رئيس تحرير الطبعة الرابعة لأخلاقيات البيولوجيا (موسوعة أخلاقيات علم الأحياء سابقاً).

Jennings, Bruce (2016): *Ecological Governance: Toward a New Social Contract with the Earth*, 1<sup>st</sup> edition, West Virginia University Press.

ومن أهم مؤلفاته:- تحريف الحكم الذاتي : الاستخدامات السلمية للقسر والقيود في المجتمع الليبرالي، ١٩٩٦ تحريف الاستقلالية: الإكراه والقيود في المجتمع الليبرالي، ٢٠٠٣ التوجيه الأخلاقي للتأهب والاستجابة لحالات الطوارئ الصحية، إبراز الأخلاق والقيم في خدمة الصحة العامة ٢٠١٦.

الإدارة البيئية : نحو عقد اجتماعي جديد مع الأرض ، ٢٠١٦

أخلاقيات المسنين : السياسة والممارسة في الرعاية التلطيفية ، مطبعة أكسفورد و ٢٠١٤

-الأخلاق ، العلوم الاجتماعية ، تحليل السياسات

أخلاقيات الصحة العامة ، النظرية والممارسة ، ٢٠٠٦

للرعاية الصحية، وهناك حاجة إلى ادراك التفاعل بين الصحة والبيئة ، أو العلاقة بين التدهور البيئي والتدهور الصحي".<sup>(١)</sup>

يشير بروس جينينجس في مقالته: " ما بعد أزمة كورونا " : " من أهم أسباب جائحة كورونا عند معظم الفلاسفة ؛ التدهور البيئي وفقدان التنوع البيولوجي ، وقد يعتقد البعض الآخر أن جائحة كورونا نوع من الإرهاب البيولوجي الذي تتعرض له الصحة العامة ، وهذا سيناريو خيالي ، لذلك كان لزامًا علينا الامتثال لتدابير الصحة العامة " .<sup>(٢)</sup>

يوضح هذا النص أن بروس جينينجس اعتقد أن جائحة كورونا تنتج عن تدهور بيئي، واستبعد سيناريو الإرهاب البيولوجي ، لذلك اذا ما قمنا بتحليل هذا النص سنجدّه يحتوي علي ثلاثة عناصر رئيسية وهي:

١- لماذا يعد فيروس كورونا جائحة صحية عالمية عند بروس جينينجس ؟

٢-التدهور البيئي وعلاقته بفيروس كورونا عند بروس جينينجس.

٣-الإرهاب البيولوجي وعلاقته بجائحة كورونا.

لذلك سنقسم هذا المبحث التمهيدي على ثلاثة عناصر : أولاً : معرفة الفرق بين الجائحة والوباء والتفشي ، ثانياً: ادراك العلاقة بين جائحة كورونا والتدهور البيئي وتغير المناخ وفقدان التنوع البيولوجي ، ثالثاً : معرفة ما هو المقصود بالإرهاب البيولوجي ؟ وهل جائحة كورونا تعد نوعاً من الارهاب البيولوجي حقاً ؟ وما هو موقف بروس جينينجس منها.

أخلاقيات الطوارئ للصحة العامة ، ٢٠١٦ ،  
مقدمة : النظرية الأخلاقية والصحة العامة ٢٠١٥.

(١) Bruce Jennings, Daniel Callahan (2002) : Ethics and Public Health: Forging a strong Relationship, American Journal of Public Health, 92 (2) : 169-17٠.

(٢) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, Hastings Bioethics Public Health, p. 119.

## المطلب الأول : جائحة كورونا و تفشي الوباء

## Corona Pandemic and the Outbreak of the Epidemic

أعلنت منظمة الصحة العالمية في عام ٢٠٢١، أن فيروس كورونا قد أصاب سبعة ملايين شخص حول العالم وأودي بحياة أكثر من ٤٠٠ ألف شخص ، وهذا يجعله جائحة عالمية وليس وباء محلي .

كما صرح بروس جينينجس في عام ٢٠٢١ أن " فايروس كورونا هو أكثر من وباء انتشر بسرعة حول العالم وأصاب الملايين من الأشخاص ، لذلك يعد جائحة وليس وباء متفشي ".<sup>(١)</sup> ، لذلك يجب علينا أن نقف قليلا عند الفرق بين الجائحة والوباء والتفشي.

أولاً:- ما هو المقصود بالوباء : الوباء هو تفشي مرض ينتشر بسرعة ويصيب الكثير من الناس في نفس الوقت.<sup>(٢)</sup> ، وقد يحدث الوباء عندما ينتشر مرض مُعدي بسرعة إلي أكبر عدد ممكن من الناس أكثر مما يتوقعه الخبراء مثل انتشار وباء أنفلونزا الطيور وسارس.<sup>(٣)</sup> ، ويعتبر المرض وباء وليس جائحة اذا ما انتشر علي مساحة كبيرة من القارة أو البلد أو المجتمع ، ويعتبر الوباء انتشارًا سريعًا وزيادة في حدوث شيء ما ؛ وغالبًا ما تكون له دلالة سلبية ، ويهتم بدراسة الأوبئة كل من علم الأوبئة\*<sup>(٤)</sup> وأخلاقيات الأوبئة\*<sup>(٥)</sup> .<sup>(٦)</sup>

(١) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, op.cit . p. 118.

(٢) Rebecca joy (2020) :Pandemic Vs. Epidemic: What is the Difference? Coronaviruses by the WHO, 2020, p. 346.

(٣)Richard Dicker: Principles of Epidemiology in Public Health Practice, 3rd Edition, Introduction of Applied Epidemiology and Biostatistics. p. 15.

(٥) علم الأوبئة **Epidemiology**: يهتم علم الأوبئة بدراسة الأوبئة، ويعتبر علم الأوبئة جزءاً لا يتجزأ من مكونات الصحة العامة وهو طريقة للتفكير السببي تعتمد علي أسباب المرض ، ويهتم علم الأوبئة بالأسباب والعوامل الأخرى التي تؤثر على حدوث المرض لأن هذا المرض لا يحدث بشكل عشوائي ، ولقد ركز علم الأوبئة في الأصل على أوبئة الأمراض المعدية ولكن تم توسيعه لاحقاً ليشمل الأمراض المعدية المستوطنة والأمراض المعدية غير المستوطنة ، ويتم تتبع التفكير الوبائي من أبقراط أي ما يقرب من ٢٥٠٠ سنة حينما حاول أبقراط شرح كيفية حدوث المرض

Richard Dicker: Principles of Epidemiology in Public Health Practice, 3rd Edition, Introduction of Applied Epidemiology and Biostatistics, p. 59.

(٦)أخلاقيات الأوبئة **Epidemiology Ethics**: تهتم أخلاقيات الأوبئة بدراسة صحة السكان ومعرفة التشخيص المناسب للمريض ووصف العلاج والعوامل التي تؤثر علي إصابة الفرد بالمرض

Dictionary of Epidemiology (6th ed ) (2014): New York : Oxford University Press.

**التفشي the Outbreak:** يعني حدوث المرض بأعداد كبيرة غير متوقعة ، وأن هناك زيادة مفاجئة في عدد حالات الإصابات بمرض مثل تفشي الحصبة قبل عام ١٩٨٠ ، وتفشي الأنفلونزا الإسبانية عام ١٩١٨<sup>(١)</sup> وقد يستمر تفشي المرض أيامًا وسنوات طويلة، ويعتبر الخبراء حالة واحدة من الأمراض المعدية بمثابة تفشي؛ وقد يكون مرضًا جديدًا على المجتمع أو غائبًا عن السكان فترة طويلة<sup>(٢)</sup>.

لذلك فإن تفشي المرض هو ارتفاع مفاجئ في عدد الحالات لمرض مُعدّ ، وهذا يجعل تفشي المرض مُرادف للوباء ، وغالبًا ما يتم استخدام الوباء والتفشي بالتبادل .<sup>(٣)</sup> ، وإذا لم يتم السيطرة علي المرض بسرعة فقد يتفشى المرض ويتحول إلي وباء ، وإذا لم تتم السيطرة عليه فقد يتحول إلى جائحة ، وهناك طريقة سهلة لمعرفة ما هو الفرق بين الوباء والجائحة ، وهي تذكر أن الجائحة لديها جواز سفر ، فالجائحة هي وباء ينتشر حول العالم ، وهناك خلط بين هذه المصطلحات ، لأن كلاهما مرتبطان ببعض البعض ؛ وهناك مد وجزر بينهما ، وكلاهما يحتاج إلي وضع تدابير للسيطرة.<sup>(٤)</sup>

وعلى هذا ، يكمن الفرق بين الجائحة والوباء في أن الجائحة سريعة الانتشار وقد تتجاوز بسهولة موارد الرعاية الصحية وتطغي عليها ، وبناء على ذلك يجب بذل جهود مُبكرة وحازمة ، وتتكون هذه التدابير الوقائية من التدخلات الدوائية أو غير الصيدلانية مثل التباعد الاجتماعي وتعقب الاتصال بالإضافة إلي مُعدات الحماية الشخصية مثل

---

كما ترتبط أخلاقيات الأوبئة بأخلاقيات الأمراض المعدية ، وتتضمن أخلاقيات الأمراض المعدية بعض القضايا الأخلاقية المميزة ودور الدولة ومؤسساتها في تدعيم الصالح العام لمجتمع معين وتدعيم الحقوق وتطبيق التدابير الوقائية التي تحد من انتشار المرض من خلال السيطرة على البيئة والتعاون الدولي للحد من انتشار المرض عالميا ، وتجعل الأمراض المعدية مريض ضحية وناقل للمرض للآخرين ، وهذا يضع الأوبئة والأمراض المعدية تحت مظلة الأمن القومي لأنها تهدد الأمن القومي ويتم اتخاذ تدابير وقائية من الإرادة السياسية

<sup>(٧)</sup>Alfredo Morabia (2004): A History of Epidemiologic Methods and Concepts, Discussion of the theories behind epidemiological methods, p. 93

<sup>(١)</sup> Rebecca joy (2020): Pandemic Vs Epidemic: What is the Difference, Coronaviruses by the WHO, 2020, p. 374.

<sup>(٢)</sup> Richard Dicker Principles of Epidemiology in Public Health Practice, 3rd Editions, Introduction of Applied Epidemiology and Biostatistics.

<sup>(٣)</sup> Alfredo Morabia (2004): A History of Epidemiologic Methods and Concepts, op.cit.

<sup>(٤)</sup> Schwartz, Meredith Céline (2020): The Ethics of Pandemics, Moral Respect, Objectification and Health care, 1st Edition, Ryerson University, P. xxi.

الأقنعة والقفازات ، وهذا يسمى بالتأهب للجائحة.<sup>(١)</sup> ومن ثم ، يعتبر فايروس كورونا جائحة وليس وباء لأنه أنتشر بسرعة البرق في العالم، كالنار في الهشيم وليس علي هيئة موجات، ونتج عنه خسائر اقتصادية وبشرية ، في حين أن الأوبئة هي كوارث ولكنها تدريجية ولها تأثير بطئ وتنتقل في شكل موجات ، وهذا يترك وقتا للتحضير لها بخلاف الجائحة.

أما عن موقف بروس جينينجس من الجائحة والوباء والتفشي ، فلقد اعتبر بروس جينينجس فيروس كورونا " **جائحة عالمية بعد تفشي الوباء عالمياً** " ، وبالتالي فإن فيروس كورونا " وباء تحول إلى جائحة بعد تفشي المرض عالمياً ".<sup>(٢)</sup>

### المطلب الثاني : علاقة جائحة كورونا بالتدهور البيئي

## The Relationship of the Corona Pandemic to Environmental Degradation

يُدرِك بروس جينينجس أن التدهور البيئي وفقدان التنوع البيولوجي لهما تأثير خطير علي الصحة العامة وظهور الفيروسات والأوبئة ، حيث يقول: " يؤثر تدهور النظام البيولوجي والبيئي علي الصحة العامة وظهور حالة الطوارئ الصحية".<sup>(٣)</sup> من الواضح ، أن هناك تأثيراً للتدهور البيئي على انتشار الأمراض المعدية التي تصيب البشر ، كما أن هناك علاقة قوية بين الصحة والبيئة ، فالتدهور البيئي العالمي يؤثر على صحة البشر ، لذلك يجب أن يكون هناك توازناً بين حماية البيئة ومكافحة الأمراض.

كما أوضح بروس جينينجس في كتابه " الإدارة البيئية : نحو عقد اجتماعي جديد مع الأرض" ، ٢٠١٦ ، أن هناك علاقة وثيقة بين انتشار الفيروسات والتدهور البيئي ، لذلك فإن تدهور صحة كوكبنا مُرتبط بتدهور صحتنا ، لذلك تساءل **جينينجس** عما اذا كان لدينا القدرة علي تجنب كارثة بيئية واسعة النطاق ، قائلا : " هناك الآلاف من أنواع

(١) Last J. A Dictionary of Epidemiology, 4th ed, Oxford, Oxford University Press, 2001, p. 321.

(٢) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, op.cit. p.118.

(٣) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, Oxford University Press. P. 34

الفيروسات التي نتعرض لها نتيجة التواصل البشري الساذج ، وتلك الفيروسات تقف على أهبة الاستعداد لتقفز في أجسادنا ، لذلك فهل نستطيع الاستجابة في الوقت المناسب لتلك التحديات البيئية؟ " .<sup>(١)</sup> يجاوب بروس جينينجس بأن القدرة على تجنب تلك الكارثة البيئية يتطلب تغيرات جذرية في الطريقة التي نتعامل بها مع العالم الطبيعي ، لذلك يقول : " يجب علينا تغيير ثقافتنا ورؤيتنا للبيئة استجابة لتغير المناخ وانتشار الأوبئة ، ولا يجب علينا أن لا نصبح أنانيين ونحن نلبي مطالبنا التي تحدث ضرر بيئي شديد ، كما نحتاج إلى حوكمة أكثر فاعلية وأكثر استباقية ، وتقليل استهلاك الموارد؛ لذلك سنحتاج إلي عقد اجتماعي جديد مع "الصحة العامة\*" <sup>(٢)</sup> ؛ نتحمل فيه المسؤولية البيئية " .<sup>(٣)</sup>

يلخص هذا النص مطالب جينينجس الأخلاقية نحو البيئة لكي نحاول أن نتجنب تلك الكارثة البيئية الوشيكة ، وهي دعوة أخلاقية بأن تتحمل الدول الصناعية الكبرى المسؤولية الأخلاقية عن ما أحدثته من تدهور بيئي و كارثة تغير المناخ وانتشار الأوبئة والفيروسات . يستكشف بروس جينينجس طبيعة هذا العقد الاجتماعي بين الإنسان والبيئة ، فيقول : " هذا العقد الاجتماعي هو اتفاق يتم أبرامته من قبل الجميع ؛ ويُحدد فيه الالتزامات الأخلاقية ومسؤولية كل منهما ، وذلك من أجل إحداث التغيير السلوكي المطلوب " .<sup>(٤)</sup>

ومن جهة أخرى ، يقول بروس جينينجس في موضع آخر : " سنحتاج إلى عقد اجتماعي جديد من أجل ضمان المحافظة على المسؤولية البيئية ، كما يجب علينا تبني قيم أخلاقية

(١) Jennings, Bruce (2016) : Ecological Governance: Toward a New Social Contract with the Earth, op.cit .p. 18.

#### (٢) الصحة العامة :

وضح بروس جينينجس المقصود بالصحة العامة حين قال : " هي علم وممارسة حماية وتحسين الصحة العامة للمجتمع من خلال الوقاية من الأمراض والتشخيص المبكر والسيطرة على الأمراض المعدية ، والتتقيف الصحي ، والوقاية من الإصابات والحماية من المخاطر البيئية ، لذلك فهي تلبي مصلحة المجتمع في ضمان الظروف التي يمكن أن يتمتع فيها الناس بصحة جيدة من خلال التطعيمات والسيطرة على الأمراض المعدية ، لذلك تركز على صحة السكان من خلال الوقاية من الأمراض المزمنة" .

Bruce Jennings, John D. Arras, Drue H. Barrett (2016): **Emergency Ethics: Public Health Preparedness and Response**, Oxford University Press.

(٣) Jennings, Bruce (2016): Ecological Governance: Toward a New Social Contract with the Earth, op.cit. p. 5.

(٤) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, op.cit, p. 120.

جديدة ومعايير أخلاقية جديدة للسلوك المستتير ؛ وذلك من أجل ضمان استمرار وجود الإنسان وبقائه على كوكب الأرض".<sup>(١)</sup>

ويتساءل بروس جينينجس عما اذا كان لدينا القدرة السياسية على تجنب كارثة بيئية واسعة النطاق ، فيقول : " هناك تحديات بيئية تؤدي إلى كارثة بيئية وصحية معًا ، وهذه التحديات البيئية تتطلب تغييرات جذرية في الطريقة التي نتعامل بها مع العالم الطبيعي " (٢).

ومن جهة أخرى ، يربط بروس جينينجس صحة الأرض بصحتنا ، لأننا جزء من الكل ؛ ولا يصلح الجزء بدون الكل ، فصحة الكوكب تعني صحتنا الشخصية ، لذلك يقول : " تعتمد جودة صحتنا علي شبكة مُعقدة من التعاون والاعتماد المتبادل " .<sup>(٣)</sup> وعلى هذا فهناك ارتباط بين علم البيولوجيا وعلم البيئة من خلال الأخلاق ، الأثنان هدفهما صحة الإنسان ، لذلك فإن الصحة البيئية تتضمن صحة الإنسان.

ويشير بروس جينينجس إلى مصطلح "الحوكمة البيئية" ، فيقول : " تعني الحوكمة البيئية ؛ تقدير العالم الذي نعيش فيه أخلاقياً ؛ وهذا له متطلبات أخلاقية مثل تغيير ثقافتنا السياسية ووعينا البيئي ، وأن نستجيب أخلاقياً لتغير المناخ ، والحد من الاستهلاك ، لذلك تقوم الحوكمة البيئية على رؤية جديدة وهدف جماعي ؛هدفه الحد من الأضرار البيئية أثناء الاستهلاك " .<sup>(٤)</sup> وعلى هذا ، فإنه مما لا شك فيه ، أن العلاقة بين الإنسان والبيئة يجب أن تقوم على توازن دقيق ، وتهدف الحوكمة البيئية إلى محاولة تقليل التأثير السلبي على البيئة والمحيط الحيوي للأرض ، وتقليل الآثار السلبية للكوارث البيئية لأنها تؤثر على صحة الإنسان .

(١) Jennings, Bruce (2016): Ecological Governance: Toward a New Social Contract with the Earth, p. 185.

(٢) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, p.118. and see . Jennings, Bruce (2003): Frameworks for Ethics in public Health, Bioethics, 9(2):151.

(٣) Ibid. and see Bruce Jennings , Lawrence O. Gostin, et al (2007): Introduction: Ethical theory and public Health, Public Health Ethics: theory, Policy, and Practice, Oxford University Press, p. xxx1.

(٤) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, op.cit , p. 115.

ويقدم بروس جينينجس حجة أخلاقية مُقنعة لتبني قيم أخلاقية جديدة ومعايير أخلاقية مؤثرة للسلوك المستنير من خلال رؤية بيئية للعالم من أجل استمرار بقاء الإنسان على كوكب الأرض ، لذلك يقول : "لا يجب أن نستمر في تدهور البيئة مع استنفاد الموارد المحدودة لأن هذا يؤدي إلى انعدام الأمن الغذائي والمائي ، كما يجب أن نربط بين التعدي على النظم البيئية وظهور الأوبئة والفيروسات ، لذلك نوصي بضرورة تغيير السلوك البشري نحو عقد اجتماعي محوره البيئة ، لذلك يعد التدهور البيئي أصل الجائحة ، فهناك علاقة قوية بين الأمراض والتدهور البيئي".<sup>(١)</sup> والواقع أن وجهة نظر بروس جينينجس والتي مضمونها ارتباط ظهور الأوبئة والفيروسات بالتدهور البيئي وفقدان التنوع البيولوجي ، تتفق مع العديد من فلاسفة الأخلاق البيئيين من أمثال باتريك هانتيجين وتين هاف و كاكوك و جيه بيرو كالكوت و راندال كورين ، وذلك علي النحو الآتي :

تقترب وجهة نظر بروس جينينجس مع رؤية **باتريك هانتيجن Huntjens Patrick** في التمسك بالمسؤولية الأخلاقية نحو المحافظة على صحة كوكبنا من أجل الوقاية من الأمراض ، وفي أصرار جينينجس مثل هانتيجين على أن هذه المسؤولية الأخلاقية تقتضي منا أحداث تغيير سلوكي ، فمثلا ، يقول هانتيجين : " أن الوقت قد حان لكي ننظف الفوضى ونتحمل المسؤولية ، وهذا يعني صحة كوكبنا واحترام حقوق الطبيعة ، لكي نستعيد توازنا مع كوكب الأرض ، ويجب تحقيق التغيير علي أرض الواقع ، وأن لا نصبح نحن سبب مرض الأرض ، أو كما قال فريدريك نيتشة : " إن كوكبنا مريض ، والمرض هو الإنسان نفسه " .<sup>(٢)</sup> .

وكذلك تتفق وجهة نظر بروس جينينجس مع رؤية **تين هاف H. A. M. J. Ten Have** - الاستاذ في مركز أخلاقيات الرعاية الصحية - في التأكيد على العلاقة السببية بين التدهور البيئي وفيروس كورونا، وعلى أن ظهور الأوبئة قد يكون نتيجة طبيعية لأسلوب حياتنا ، فمثلا يقول تين هاف : " لقد كان معروفاً أن الأمراض المعدية يتم تعزيزها

(١) Jennings, Bruce (2016): Ecological Governance: Toward a New Social Contract with the Earth, op.cit, p. 26.

(٢) Hunters, Patrick (2021): Towards a Natural Social Contract, Healthy and Just Society, Transformative Social – Ecological Innovation for a Sustainable, Healthy and Just Society, p. 60.



وانتشارها من خلال التدهور البيئي نتيجة لفقدان التنوع البيولوجي وتغير المناخ ، وبالتالي فإن التهديد العالمي للأوبئة لا يظهر تلقائيًا كحدث طبيعي ؛ ولكنه نتاج السلوك البشري ونتيجة لأسلوب حياة الإنسان واستغلال الكوكب " .<sup>(١)</sup>

تتفق وجهة نظر بروس جينينجس مع رؤية كاكوك Kakuk - وهو فيلسوف بيئي وأستاذ الفلسفة بجامعة ويسكونس- في التأكيد علي ضرورة احترام وجود الفيروسات معنا في النظام البيئي وإننا بحاجة للحماية ، فيقول : "إننا بحاجة للعمل لحماية الطبيعة والحياة البرية على وجه الخصوص ، ومن المستحيل منع الغزو البيولوجي لأنه ظاهرة عالمية بامتياز ، فلقد كانت الأمراض الفيروسية معنا منذ بداية البشرية ، ولا يمكن فصل الإنسان عن العالم الذي يحيط به من حيوانات ونباتات ، وفيروسات أيضًا " .<sup>(٢)</sup> ، ولكن نظرا لأن بروس جينينجس ليس فيلسوفا بيئيًا فهو لم يتعمق في أخلاقيات الأرض وأخلاقيات الحفظ والاستدامة كما فعل كاكوك .

تأثر بروس بروس جينينجس برؤية استاذة هولمز رولستون Rolston. H ، وهو (استاذ الفلسفة في جامعة ولاية كولورادو ورائدًا مبكرًا في دراسة العلاقة الأخلاقية بين الإنسان والأرض) في التأكيد على أنه لا يمكن للبشر أن يتمتعوا بصحة جيدة في ظل التدهور البيئي ، فمثلا يقول رولستون : " لا يجب أن نلوم الطبيعة على الأمراض التي تلحق بنا بسبب التدهور البيئي نتيجة استغلال الإنسان للتنوع البيولوجي ، كما أن الإنسان يتجاهل أن الفيروسات هي سكان عالمنا وقد كانوا وسيظلون دائمًا هناك ، لذلك فإن التعايش مطلوب " .<sup>(٣)</sup> كما دافع بشكل مُقتنع عن اتباع أخلاقًا أكثر احترامًا للحياة ؛ وأن يصبح المواطن عالمي .<sup>(٤)</sup> ، وفي الواقع ، لم يكن تركيز بروس جينينجس مُنصب على دراسة العلاقة بين الأرض والإنسان ، كما فعل هولمز رولستون ، لأنه لم يكن فيلسوف بيئي في الأساس ولكنه فطن إلى تأثير التدهور البيئي على صحة الإنسان .

(١) H. A. M. J. Ten Have (2020): Sheltering at our Common Home, Journal of Bioethical Inquiry, pp. 1-2.

(٢) Kakuk, P. (ed) (2017): Bioethics and Bio politics, Theories, Applications and Connections, Cham Cambridge University press. Springer.

(٣) Rolston. H (1988): Environmental Ethics, Duties and Values in the Natural World Temple University Press.

(٤) Holmen, Rolston (2011) : A New Environmental Ethics, The Next Millennium for life on Earth, Rutledge.

وتتفق وجهة نظر بروس جينينجس مع تين هاف حين شدد علي ضرورة ادراك آثار تغير المناخ على صحتنا ، وأن صحة الأرض من صحتنا ، لذلك نجد هاف يقول : " يجب أن نُدرك تأثير تغير المناخ وأن هذا يتطلب إجراءات مُستدامة لفترة طويلة جدًا ، وأننا جميعًا نتشارك في منزل مُشترك ، وهذا يُطور مفهوم " صحة كوكب الأرض " ، أو "صحة واحدة " ، نظرًا للترابط بين الصحة والتنوع البيولوجي ، ويجب تحويل هذا المنزل المشترك إلي منزل يشعر فيه الجميع بالأمان بدلا من أن يتربع علي عرشة الفيروسات " .<sup>(١)</sup> ، ومن جهة أخرى، تتفق وجهة نظر بروس جينينجس في التأكيد على ضرورة دراسة أصل الأوبئة واحتوائها قبل أن تصبح جائحة ، مع رؤية كريستيان كالاهاان Callaghan لذلك يقول : " ستظهر الأوبئة والفيروسات في المستقبل اذا لم تتم معالجة التدمير البيئي وفقدان التنوع البيولوجي ، كما ينبغي توسيع نطاق البحث الوبائي واتخاذ تدابير صارمة لمنع قفز الفيروسات إلى البشر ، ودراسة أصل الأوبئة وكيفية انتقالها من الحيوان إلى الإنسان ، كما أن هناك حاجة إلى التضامن والتعاون الدولي ، وهذا ليس مطلبًا أخلاقيًا بل ضرورة أخلاقية اذا ما أردنا أن نتغلب على تلك الفيروسات " .<sup>(٢)</sup>

ومن جهة أخرى ، لم يدافع بروس جينينجس عن أخلاقيات الأرض كما دافع جيه بيرو كاليكوت J. Bard Callcott ، أستاذ الفلسفة في جامعة ويسكونسن ، ونجد كاليكوت يُقدم العديد من المقالات البيئية التي مضمونها : " يجب أن يلقى المحيط الحيوي الاهتمام الأخلاقي اللائق ، لذلك فإن ظهور الخلل في المحيط الحيوي يؤدي إلى انتشار الأوبئة والفيروسات ، ويجب الأخذ في الاعتبار أن هناك قيمة جوهرية للكائنات غير البشرية " .<sup>(٣)</sup> يوضح هذا النص أن الخلل في التنوع البيولوجي يؤدي إلى انتشار الفيروسات مثل فايروس كورونا، وهذا يتنافى مع كونها إرهاب بيولوجي .

ويؤكد بروس جينينجس مثل راندال كورين Randall Curran ، أستاذ الفلسفة الأخلاقية ، أن التلوث البيئي من تلوث مياه وهواء وطعام هو سبب ظهور الفيروسات ،

(١) H. A. M. J. Ten Have (2020) : Sheltering at our Common Home.

(٢) Callaghan, o Cristina (2020): Planetary Health and Covid-19: Environmental Degradation as the Origin of the Current Pandemic, Environmental Health, CORONAVIRUS, ENERGING VIRUSES.

(٣) Callcott, J. Bard (1989): In Defense of the Land Ethics, Essays in Environmental Philosophy, New York. P. 49.

لذلك يقول كورين: "إن الكوكب الدافئ هو الكوكب الذي ينتشر فيه المرض بسهولة أكبر ، وهناك بالفعل مليار شخص بدون مياه نظيفة ، وهذا يؤدي إلى العديد من الفيروسات والأمراض التي تدور في العالم لتأتي إلينا مرة أخرى".<sup>(١)</sup>

وتتفق وجهة نظر بروس جينينجس مع رؤية كريستينا أوكالاجان Callaghan Cristina ؛ حين تشير إلى أن صحة الكوكب يترتب عليها صحتنا ، فنقول: "يجب أن ندرك أن حماية البيئة هي استراتيجية أساسية لتجنب الأزمات الصحية الكبرى الآن وفي المستقبل ، فالاستغلال غير المستدام للنظم الطبيعية يؤدي إلى خسائر فادحة في أنظمتنا البيئية مع تداعيات صحية بعيدة المدى".<sup>(٢)</sup>

وإذا كان بروس جينينجس قد أكد على وجود علاقة قوية بين الصحة البيئية وصحة الإنسان ، إلا أنه لم يوضح مدى حجم هذه العلاقة ولم يقف عندها كثيرًا ، ولذلك عرضت موقف هؤلاء الفلاسفة المعاصرين والذين تتضح عندهم الصورة أكثر، ويمكننا أن ندرك العلاقة بوضوح بين الصحة البيئية وصحة الإنسان . ومما سبق يمكننا أن نؤكد على وجود علاقة قوية بين انتشار جائحة كورونا والتدهور البيئي ، كما يعتقد معظم فلاسفة الأخلاق البيئيين ، في حين يعتقد البعض الآخر أن فايروس كورونا نوعًا من الإرهاب البيولوجي ، وهذا هو موضوع المطلب الثالث.

### المطلب الثالث: علاقة جائحة كورونا بالإرهاب البيولوجي

## The Relationship of the Corona Pandemic with Bioterrorism

استبعد بروس جينيفيز أن تصبح جائحة كورونا نوعًا من التهديد أو الإرهاب البيولوجي ، ولذلك يقول: "إن التفكير في الجائحة على أنها إرهاب بيولوجي هو تفكير عقيم لا يؤدي إلى شيء، وهذه الطريقة في التعامل مع المشكلات تُركز بشكل ضيق على

(١) Curran, Randall (2020): Ethicist's : Covid -15 Pandemic a wake –up call.

(٢) Callaghan, o Cristina(2020): Planetary Health and Covid-19: Environmental Degradation as the Origin of the Current Pandemic the American Public Health Association.

أسوأ سيناريو ممكن ، ويمكن أن تؤدي غالبًا إلى نتائج عكسية ، وليس لدينا أدلة كافية على ذلك " . (١)

وفي موضع آخر ، يجادل بروس جينينجس بأنه : " يعد فيروس كورونا من الأمراض الحيوانية المنشأ ، حيث تتعرض الآلاف من الأنواع الفيروسية للتواصل البشري الساذج والشع وتقف على أهبة الاستعداد لقفزة تطورية في حياتنا وأجسادنا". (٢)

والحقيقة أن استبعاد بروس جينيفيز فكرة أن تصبح جائحة كورونا نوعًا من التهديد البيولوجي ، قد اختلفت مع العديد من الفلاسفة من أمثال رونالد أطلس و لورانس جوستين و مايكل سيلجيت ، الذين اعتبروا جائحة كورونا نوعًا واضحًا من الإرهاب البيولوجي ، وذلك على النحو الآتي : اهتم رونالد أطلس Ronald M . Atals بالأوبئة ، ونظر إليها كنوع من التهديد البيولوجي أو نوع من الأسلحة البيولوجية، ورأى أن هناك خطوات يجب اتخاذها للحد من هذا التهديد الخطير للبشرية بنشر الأوبئة، كما أن هناك واجب أخلاقي على العلماء في عدم نشر الأوبئة. (٣)

وبالمثل، اعتقد لورانس جوستين **Lawrence O. Gostin** أن هذا الإرهاب البيولوجي حقيقة لا جدال فيها ؛ كما يمثل حالة طوارئ صحية واضحة". (٤) ويفسر مايكل سيلجيت **Michael Selgedid** العلاقة بين ظهور الأوبئة مثل أنفلونزا الخنازير والطيور وسارس وغيرها من الأوبئة في المستقبل ، بأنها نوعا من الإرهاب البيولوجي،

(١) Jennings, Bruce (2008): Ethical Guidance for public Health Emergency, p. 57.

(٢) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, op.cit, p. 118.

(٣) حول هذا الموضوع ، راجع مناقشة رونالد أطلس للإرهاب البيولوجي ، حيث يقول : . يجب أن تكافح ضد الإرهاب البيولوجي المتمثل في نشر الأوبئة ، وهو تهديد خطير للبشرية ، ويجب إيجاد مدونة أخلاقيات تحكم البحث في علوم الحياة قبل أن تصبح علوم الموت، ويجب على العلماء رفض المشاركة في أي بحث يهدف إلى الاستخدام في الحروب البيولوجية ، لأنه يجب العمل من أجل النهوض الأخلاقي ، وأن نوفر التوجيه الأخلاقي من أجل إفادة البشرية ، ويجب حظر اتفاقية الأسلحة البيولوجية ، ويجب الحماية من إساءة استخدام الأسلحة البيولوجية

Ronald M. Atlas, Margaret A. Somerville (2005): Ethics, A Weapon to Counter Bioterrorism, Vol 307, Issue 51717, pp. 1881- 1882.

(٤) Lawrence O. Gostin (2018): Public Health Law and Ethics, University of California Press, p. 63.

الذي يرجع إلى معضلة الاستخدام المزدوج ، أو إساءة استعمال المعلومات المنشورة بسبب التقدم العلمي (١)

والسؤال الذي نجد أنفسنا أمامه الآن ، هل تعد جائحة كورونا إرهابًا بيولوجيًا حقا عند بروس جينينجس ؟ .

في الواقع ، هناك وجهتي نظر متعارضتان ، الأولى أن جائحة كورونا تعد إرهاب بيولوجي ، والثانية ، أن جائحة كورونا ناتجة عن التدهور البيئي.

وتظهر وجهة النظر الأولى: عند باريت S . Barrett ، حين قال : " إنه من المحتمل أن يعد فيروس كورونا مُصنَعًا في المعمل ، والأكد أنه لم ينتقل من الخفاش إلي الإنسان ، كما أثبت العلماء أنه يمكن تصنيع الفيروس من مواد كيميائية خاملة يتم الحصول عليها بسهولة من المعمل ؛ لأنه ليس هناك يقين في استئصال المرض كما لا يمكن السيطرة المثلي عليه". (٢) كذلك يمثل وجهة النظر الأولى ، لورانس جوستن ، حيث يقول: " هناك سيناريوهات من الارهاب البيولوجي مُشابه لفايروس كورونا مثل الجمرة الخبيثة في الولايات المتحدة ؛ التي حدثت بنشر الجراثيم في حشد من الناس ، كما أظهرت رسائل الجمرة الخبيثة البريدية عام ٢٠٠١ ". (٣)

وتتمثل وجهة النظر الثانية : عند أرثر كابلان و جوناثان دي مورينو Jonathan Moreno and Arthur Caplan ، في تأكيدهما علي نفي سيناريو أن فايروس كورونا سلاح بيولوجي ، وهذا يظهر في العبارة التالية : " لنفترض أن فايروس كورونا أنتج بواسطة مختبر في وهان كسلاح بيولوجي ، وفي هذا السيناريو الخيالي ، نفترض أن الصينيين قد طوروا فيروسًا خبيثًا يصيب كبار السن ، ولكن توفر الطبيعة نفسها الكثير من

(أنظر المناقشة المفيدة لمايكل سيلجيت حول علاقة الأوبئة بإساءة استخدام التكنولوجيا وفساد أخلاقيات البحث العلمي ، حيث يقول : "١)

يجب عدم نشر بعض نتائج الأبحاث العلمية بسبب المخاطر على الأمن القومي والصحة العامة ، لأن تلك المعلومات قد تستخدم في الارهاب البيولوجي ولكن لا توجد رقابة على العلم بسبب الحرية العلمية ، لذلك فإن مفتاح العلم قد يكون هو نفسه مفتاح أبواب جهنم ، كما أن التطور البيولوجي يطور الأسلحة البيولوجية نفسها".

(٢) S . Barrett (2013): Economic Consideration for the eradication, endgame, philosophy Trans, RSoc, 368.

(٣) Lawrence O. Gorstein and Matthew K (2004): Ethical challenges in Preparing for Bioterrorism: Barriers within the Health care system, Journal of Public Health, 94(7): 1096-1097.

الأسلحة البيولوجية الطبيعية من تلقاء نفسها ، فقد تم تدمير جيش نابليون بسبب الشتاء الروسي ووباء التيفويد! " (١) .

ويبرهن آرثر كابلان **Arthur L. Caplan** على أن جائحة كورونا ليست فيروساً صنع في المعمل أو أنها نوع من الإرهاب البيولوجي، فيقول: " يجب أن نضع في الاعتبار أن الفيروسات تشتت بالغباء، فهي لا تستطيع أن تميز بين عدو أو صديق، ويمكن للأسلحة البيولوجية أن تعكس حرفياً في وجه المعتدى، ولكن لانزال الأسلحة البيولوجية أكثر دهاء لأنها لا يمكن أن تظل في نظامك البيئي إلى أجل غير مسمى، ولكن على الأرجح أن هذا الفيروس أتى من الخفافيش ؛ وأن المرض أنتقل من الخفافيش إلى البشر " (٢) .

وبناء على ذلك ، أعتقد أنه لا يوجد دليل كافي يشير إلى أن فيروس كورونا سلاح بيولوجي أو أنه تم هندسته وراثياً ، ولكن الدليل أنه أمتد من الحيوانات إلى البشر ، حيث إن بعض الحيوانات مثل الخفافيش ممكن أن تستضيف مسببات أمراض خطيرة يمكن أن تقفز على البشر ، كما أنه يجب الأخذ في الاعتبار، أنه يؤدي التدهور البيئي وفقدان التنوع البيولوجي إلى تهيئة الظروف التي تساعد على انتشار الأوبئة الفيروسية ، والواقع أنه مهما كان مصدر عدوى فيروس كورونا ، تدهور بيئي أم إرهاب بيولوجي ، فالثابت أن أصله الصين وهو مأساة عالمية.

(١) Jonathan Moreno and Arthur Caplan (2020): Covid -19 : Weapon, Op.cit, p. 63.

(٢) Ibid. Jonathan D. Moreno, Arthur L. Caplan (2003): In The Wake of Terror: Medicine and Morality in a time of Crisis, Basic Bioethic.

## المبحث الثاني: المتطلبات الأخلاقية للاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا

### Ethics of Preparing for the Corona Pandemic

أسعى في هذا المبحث إلى تحقيق الأهداف التالية : تسليط الضوء أولاً على مفهوم الأخلاق عند جينينجس و أنواعها وعلاقتها بأخلاقيات الاستعداد والاستجابة لفيروس كورونا ؛ وكيف أنها تنتمي إلى أخلاقيات الصحة العامة ؛ التي تنتمي بدورها إلى الأخلاق التطبيقية ؛ وتختلف عن أخلاقيات الطب وأخلاقيات البيولوجيا ، ثانياً ، مناقشة التدابير الأبوية للصحة العامة في حالة كورونا والتي تمثل حالة الاستثناء ، وثالثاً : التركيز على أهمية الأخلاق والفلسفة في حالة الطوارئ الصحية العالمية عند بروس جينينجس.

#### المطلب الأول : التحليل الفلسفي لأخلاقيات الاستعداد

#### والاستجابة لجائحة كورونا

أولاً: تعريف الأخلاق والقيم الأخلاقية: يؤكد بروس جينينجس صعوبة تعريف الأخلاق وأن تعريفها ليس بالأمر السهل، كما أن هناك خطأً بين الأخلاق النظرية Ethics، والأخلاق العملية Morales حيث يقول: "إن تعريف الأخلاق ليس أمراً سهلاً أو حتى من الممكن القيام به ، وغالباً ما يتم استخدام Morales ، وهي تعني التصرف بشكل أخلاقي ، محل Ethics، وهي تعني معتقدات ومعايير عن الخير والشر ، والصواب والخطأ ؛ التي يفعلها الناس فعلياً ويجب عليهم أتباعها في المجتمع ، أو هي الدراسة المنهجية في الأخلاق ، ولكن هناك فرق بينهما كبير ، لأن Morales تعني الممارسة أو ما يفعله الناس ويؤمنون به ، في حين تعد Ethics تقدم حساباً فلسفياً للاعتقاد المبرر وتختلف حسب ثقافة كل مجتمع".<sup>(1)</sup>

يوضح هذا النص عند جينينجس طبيعة الأخلاق النسبية التي تقوم على المعتقدات، وبالتالي تختلف المعتقدات عند الناس حسب ظروفهم وعاداتهم وتقاليدهم ، فهي موروثات اجتماعية يجب على الناس اتباعها. وتؤكد العبارة التالية علي صحة اعتقادي ، حيث

(1) Jennings, Bruce (2006): Ethics and Public Health : Model Curriculum, Hastings Center, And University of Washington, p. 4.

نجده يقول: " لا يوجد نظام أخلاقي يمكن أن يكون عالميًا حيث ترتبط الأخلاق بثقافة معينة ".<sup>(١)</sup>

ومن جهة أخرى ، يُعرف بروس جينينجس الأخلاق ، فيقول: " يجب فهم الأخلاق على أنها البحث عن الفضائل والقيم والمبادئ الأخلاقية اللازمة للعيش معًا في سلام واحترام متبادل وعدالة ، ولكن يجب الوضع في الاعتبار، أنه عند الوقاية من الأمراض المعدية والحد من المخاطر والوفيات والأوبئة؛ قد لا نقف كثيرًا أمام المنظور الأخلاقي ، بسبب دور الحكومة في إكراه المواطنين أو التأثير المتعلق بالصحة ، وهذا يُمثل مشكلة أخلاقية في حد ذاته ".<sup>(٢)</sup>

وعلاوة على ذلك، يوضح بروس جينينجس ما هو المقصود بالقيم الأخلاقية ، حيث يقول: " القيم هي تلك الأشياء التي لها أهمية أخلاقية أو قيمة بالنسبة إلى بعض الناس ؛ مثل قيمة رفاهية الإنسان أو احترام الأشخاص أو العدالة ؛ والتي تعتبر مرغوبة في حد ذاتها ، لذلك يجب على الناس تعزيزها ، وهي تتوافق مع ما هو حق أخلاقيًا ، وتعمل على تعزيز الخير البشري أو خير جميع الكائنات الحية ".<sup>(٣)</sup>

**ثانياً : أنواع الأخلاق:** يوضح جينينجس أن الأخلاق نوعان؛ النظرية والممارسة ، لذلك يقسم بروس جينينجس الأخلاق إلى قسمين ، أخلاق نظرية وأخلاق عملية ، كذلك يقسم جينينجس الأخلاق إلى مجالين ، ما وراء الأخلاق ، والأخلاق المعيارية ، تحاول الميتم أخلاق تحليل المعايير والأساليب العقلانية لدراسة الأخلاق مثلما تحاول فلسفة العلم توضيح طبيعة البحث العلمي ، وتعتبر الأخلاق المعيارية المكان الذي يكمن فيه مادة الأخلاق ، فهي تطور المبادئ والقواعد والمثل الأخلاقية التي توضح معايير الخير والشر والصواب والخطأ ، كذلك تحاول الأخلاق المعيارية تقديم إجابة معيارية وموضوعية على الأسئلة ، مثل ماذا أفعل وكيف يجب أن أعيش ؟ ".<sup>(٤)</sup>

(١) Bruce Jennings et al (2007): Public Health Ethics: Theory, Policy and Practice, op.cit, p. 432.

(٢) Bruce Jennings, Daniel Callahan (2002): Ethics and Public Health: Forging a strong Relationship, American Journal of Public Health, New York, USA, 92 (2):169-170

(٣) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit.

(٤) Jennings, Bruce (2006): Public Health Ethics: Theory Policy and Practice, op.cit.

And see Jennings, Bruce (1983): **The care of the terminally ill: Morality and economics**, New England Journal of Medicine 309 (24), 1490-1494.



ثالثاً : **الأخلاق المعيارية** : تقوم **الأخلاق المعيارية Normative Ethics** عند بروس جينينجس على توضيح الأسباب التي تجعل الشخص العقلاني يقبل الإجابة التي يقدمها ، وهي تقدم معايير أخلاقية مثل معيار الفضيلة أو المنفعة أو الواجب ؛ تطبق على صنع القرار في مجالات الصحة العامة والطب ، ويمكن أن تصبح الأخلاق المعيارية نشاط فلسفي أو محاولة لإعطاء أساس عقلي وموضوعي للأخلاق من أجل تقييم المواقف والأحكام الأخلاقية لكي نستطيع أن نجيب عن الاسئلة المعيارية ،وهي بذلك تحتاج إلى مبادئ أخلاقية ومعايير أخلاقية من أجل الفصل في تلك المعضلات الأخلاقية التي تواجهنا ؛ وذلك من أجل الوصول إلى القرار السليم أخلاقياً ،ومن أهم النظريات المعيارية نظرية الفضيلة والنفعية و الواجب عند كانط ، فالمعيار في نظرية الفضيلة هو الفضيلة ، والمعيار في النظرية النفعية هو المنفعة وعند كانط هو الواجب<sup>(١)</sup> .

رابعاً : **أمثلة الأخلاق المعيارية** : يوضح بروس جينينجس كيف أن كلا من **الأخلاق التطبيقية والأخلاق البيولوجية والطب** ، هي أخلاق معيارية ، وتلك الأخلاق المعيارية ضرورية في صنع القرار أثناء المعضلات الصحية .

(١)-**أخلاقيات الطب** : يعرف بروس جينينجس **أخلاقيات الطب** فيقول : " تعبر الأخلاقيات الطبية عن دور الطبيب ، وهي قديمة قدم الطب نفسه ، لكن أخلاقيات البيولوجيا هي مجال دراسة أوسع وأحدث نشأ إلى حد كبير خلال العشرين إلى الثلاثين عاما الماضية ، حيث فتحت الثورة البيولوجية قوى جديدة ومعضلات جديدة " .<sup>(٢)</sup>

(٢)- **أخلاقيات البيولوجيا** : يعرف بروس جينينجس **أخلاقيات البيولوجيا Bioethics** فيقول : " تعد أخلاقيات البيولوجيا أخلاقيات معيارية تُطبق على صنع القرار في السياسة العامة والرعاية الصحية ، ولقد نشأت أخلاقيات الصحة العامة جنباً إلى جنب مع أخلاقيات البيولوجيا ، وهي تنتمي إلى حقل الأخلاقيات التطبيقية ، وهي تؤكد على حقوق الفرد ومصالحه وحريةته " .<sup>(٣)</sup>

(١) للمزيد عن الأخلاق المعيارية : راجع عادل ظاهر (١٩٩٠) : الأخلاق والعقل ، نقد الفلسفة الغربية ، الطبعة الأولى ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ص ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٢٧، ٢٣٠ .

(٢) Jennings, Bruce (2006): **Ethics and Public Health: Model Curriculum**, Hastings Center, And University of Washington, p. 2.

(٣) Ibid, p. 3.

وعلى هذا ، تجادل أخلاقيات الطب والبيولوجيا لصالح الحريات المدنية والاستقلالية الفردية ، بينما تركز أخلاقيات الصحة العامة لصالح الأبوية والنفعية ، وفي حالة الطوارئ الصحية ؛ يتغير الوضع من تقييد حرية الفرد من أجل مصلحته إلى تقييد حرية الفرد من أجل الصالح العام أو المصلحة العامة ، وأن كان هذا يثير نقاشًا أخلاقيًا حيويًا .<sup>(١)</sup> ومن ثم تعمل أخلاقيات البيولوجيا لصالح الحريات المدنية والاستقلالية الفردية بينما تعمل أخلاقيات الصحة العامة لصالح التوجهات النفعية والأبوية والمجتمعية ، وتؤكد على دور الحكومة في الإكراه لتحقيق صحة جيدة وتقليل المخاطر .

ويوضح بروس جينينجس الفرق بين أخلاقيات البيولوجيا وأخلاقيات الصحة العامة ، حيث يقول : "نشأت أخلاقيات البيولوجيا استجابة للمعضلات الأخلاقية الناشئة في حقبة الستينات ، وركزت لسنوات على المعضلات الناتجة عن الطب بدلا من قضايا صحة السكان ، في حين تثير الصحة العامة عددًا من المشكلات الأخلاقية التي تتجاوز الحدود السابقة لأخلاقيات البيولوجيا وتتطلب شكلا خاصًا من التحليل الأخلاقي ، وفي نفس الوقت فإن أخلاقيات البيولوجيا تمثل توسعًا كبيرًا في أخلاقيات الطب ، وتلقت أخلاقيات البيولوجيا حافزها الأولي من انتهاكات أبحاث البشر وظهور حركة حقوق المرضى ، لذلك تركز على مصلحة الفرد والحفاظ على استقلاليته ، في حين تركز أخلاقيات الصحة العامة على الحماية من الأمراض المعدية والتي لم يتم التغلب عليها في الواقع، لذلك فهي تهتم بصحة السكان وليس صحة الأفراد ، والنتائج الصحية والتدابير الوقائية ."<sup>(٢)</sup>

(٣)- أخلاقيات الصحة العامة: يعرف جينينجس أخلاقيات الصحة العامة **public health ethics** ، فيقول : " هناك اختلافات مهمة بين أخلاقيات البيولوجيا و أخلاقيات مهنة الطب من ناحية ، وأخلاقيات الصحة العامة من ناحية أخرى ، حيث تتميز أخلاقيات الطب بالتوجه الفردي ، بينما تتعامل الصحة العامة مع المنظور السكاني للصحة العامة ، حيث تتعامل الصحة العامة مع أنماط الصحة والمرض والمحددات

(١) Bruce Jennings, Daniel Callahan: Ethics and Public Health: Forging a strong Relationship , American Journal of Public Health, p. 170.

(٢) Bruce Jennings, Daniel Callahan: Ethics and Public Health: Forging a strong Relationship, American Journal of Public Health, p. 169.

الاجتماعية للمرض والحلول الجماعية للتخفيف من عبء ومخاطر المرض لدى السكان ، ومع ذلك لا ينبغي للصحة العامة التغاضي عن حقوق ومصالح الأفراد كلما أمكن .<sup>(١)</sup> كذلك يقدم جينينجس تعريفاً آخر لأخلاقيات الصحة العامة؛ فيقول: "تعد أخلاقيات الصحة العامة علم عملي ، فهي تنتمي إلى مجال السياسة والأخلاق ، وترتبط الصحة العامة بالأخلاق ؛ لأنها لا تهتم فقط بشرح حدوث المرض في المجتمع ، وتركز الصحة العامة على الوقاية من الأمراض."<sup>(٢)</sup>

تهتم أخلاقيات الصحة العامة بالسكان أكثر من اهتمامها بالأفراد، وبالوقاية أكثر من العلاج، بينما تهتم أخلاقيات الطب بصحة الأفراد و بالعلاج ، أو بعبارة أخرى ، هناك فرق بين التوجه الفردي لأخلاقيات البيولوجيا والتركيز السكاني للصحة العامة - تأتي خدمات الصحة العامة من المؤسسات الحكومية بينما تأتي خدمات الأطباء من أفراد إلى أفراد ، لذلك فإن أخلاقيات الصحة العامة تركز على السكان بينما أخلاقيات البيولوجيا توجهها فردي .<sup>(٣)</sup>

(٤) - الأخلاق التطبيقية: يشير بروس جينينجس إلى أنه يقصد بالأخلاق التطبيقية ، الأخلاق العملية ، والتي تختلف عن أخلاقيات المهنة ، حيث يقول : "تتبنى الأخلاقيات التطبيقية وجهة نظر خارج تاريخ وقيم المهنة ، وتسعى الأخلاق التطبيقية إلى ابتكار مبادئ عامة وتطبق على أمثلة العالم الحقيقي للسلوك المهني أو اتخاذ القرار ، وهي تزود المهنيين وعامة الناس بمعايير السلوك المهني ، وهناك ميل في الأخلاق التطبيقية إلى الاستفادة من النظريات الأخلاقية العامة ، وهي تركز على السلوك المهني وليس على الفضائل الشخصية للمهنة ."<sup>(٤)</sup>

(٥) - أخلاقيات التأهب والتخطيط والاستعداد للجائحة أو لحالة الطوارئ الصحية: يُعرف بروس جينينجس أخلاقيات التأهب والاستعداد لحالات الطوارئ الصحية بأنها: " قدرة

(١) Ibid, p. 4.

(٢) Ibid. and see Jennings, Bruce (2003): the perversion of Autonomy: Coercion and Constraint in A Liberal Society, Georgetown University Press .

(٣) James C . Thomas (2002): A Code of Ethics for Public Health, American journal of Public Health Ethics.

(٤) Bruce Jennings, Daniel Callahan: (2002): **Ethics and Public Health: forging a strong Relationship**, American Journal of public Health, New York, USA, 92 (2):169-170.

أنظمة الصحة العامة والرعاية الصحية والمجتمعات والأفراد على منع حالات الطوارئ الصحية و الحماية منها والاستجابة لها والتعافي منها بسرعة ، ولا سيما تلك التي لا يمكن التنبؤ بها وتُهدد بإرباك القدرات الصحية ،وهي تشمل اكتشاف تفشي المرض أو الوباء ودعم التدابير الأبوية للصحة العامة والمراقبة ؛ للحد من انتشار المرض وضمان توفير العلاج الطبي الطارئ " (١).

كذلك يعرف بروس جينينجس التأهب والتخطيط للطوارئ الصحية ، حيث يقول " يقصد بها وجود الخطط والإجراءات والمعدات اللازمة لتعظيم القدرة على منع الأحداث الكبرى والاستجابة لها والتعافي منها بما في ذلك الجهود التي تدعم تقديم استجابة صحية عامة ومناسبة من شأنها أن تخفف من آثار المرض وتحد من المرض والوفيات إلى أقصى حد ممكن وتحافظ على البنية التحتية" (٢).

تأتي مرحلة التخطيط والتأهب والاستعداد للجائحة الصحية قبل مرحلة الاستجابة لجائحة كورونا عند بروس جينينجس ، حيث يقول : " يجب تحويل الانتباه من الاستجابة لحالات الطوارئ الصحية العامة إلى التأهب لأي كارثة صحية في المستقبل والتخطيط لها لتجنبها ، يجب أن نفكر في المرة القادمة ، بمعنى التأهب الذي يأتي قبل الاستعداد للجائحة الصحية ، وهذا يعني التخطيط للتأهب للكوارث الصحية ، وهذا يؤثر على كيفية استجابتنا ، لأن عدم التخطيط للتأهب للجائحة يجعل العضلات الأخلاقية لتدابير الاستجابة مأساوية ، وهذا يفسر إخفاقات التخطيط للكوارث في جميع البلدان التي تأثر ب كوفيد -١٩ " (٣) . ويذكر جينينجس أنه يجب أن يركز التخطيط والتأهب لحالات الطوارئ الصحية ، ليس فقط على الخطوات التي يجب اتخاذها في أعقاب الكارثة الوبائية مباشرة ، ولكن أيضا على التدابير الوقائية والتعافي النهائي والتخفيف ، ويعني الصيانة المناسبة للبنية التحتية المتقدمة لمدننا عندما يظهر التسمم بالرصاص من مياه الشرب ، وهذا

(١) Bruce Jennings, John Aras ( 2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, Highlighting Ethics and value in a vital Public Health service, p. 8.

(٢) Bruce Jennings, John D. Arras, Drue H. Barrett (2016): **Emergency Ethics: Public Health Preparedness and Response**, Oxford University Press.

(٣) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, op.cit, p. 148.

يتطلب تنظيم محلي ونشاط تعليمي وقنوات اتصال جديدة وإعادة تدريب الموظفين الحاليين والمشاركة المجتمعية ، وهذا لا يعني تأجيل التخطيط للكوارث حتي يتم معالجة مشكلات الفقر والعنصرية ، بل يجب أن يتم التعامل مع التخطيط للكوارث الصحية مع المجتمع كما هو وليس كما ينبغي أن يكون ، ولكن يجب مساعدة المجتمعات في الشعور بالهدف المشترك والتضامن ".<sup>(1)</sup> ويهدف بروس جينينجس من الاستعداد والتأهب للجائحة ، توفير التوجيه الأخلاقي والاستكشاف المستقبلي للقضايا الأخلاقية المحيطة بالاستعداد والاستجابة لحالة الطوارئ الصحية العامة ، حيث يقول : " لقد تم إنجاز الكثير في العقد الماضي بشأن قضايا أخلاقية محددة تنشأ في سياق جوانب معينة من الاستعداد للطوارئ ، مثل أخلاقيات تخصيص الموارد النادرة وتوزيع اللقاحات والأمراض المعدية ، ولكن ليس لها تحليل أخلاقي واضح ".<sup>(2)</sup>

ويوضح بروس جينينجس أهمية الاستعداد والتأهب لحالة الطوارئ الصحية ، حيث يقول : " يقلل التأهب لحالات الطوارئ الصحية العامة من تأثير حالات الطوارئ الصحية على المجتمعات المتضررة ، ويعزز بيانات آمنة وصحية ويضمن صحة عامة ومستدامة والاستعدادات الطبية من أجل التعافي سريعاً ".<sup>(3)</sup>

ومن جهة أخرى ، هناك متطلبات أخلاقية عند جينينجس من أجل التأهب لأي جائحة مستقبلية ، تتمثل في ضرورة وجود عقد اجتماعي جديد مع الصحة العامة ، وأخلاقيات جديدة لمواطنة الصحة العامة ، ورؤية الصحة على أنها منفعة عامة وليست سلعة تباع وتشتري ، ومعالجة الظلم الصحي والبيئي ، حيث يقول : " نحن بحاجة إلى عقد اجتماعي جديد مع الصحة العامة ، لإحداث التغيير المؤسسي والسلوكي الذي يتطلب الاستعداد للطوارئ والاستجابة لها ، لذلك من الضروري رؤية الصحة على أنها عامة

(1) Ibid.

(2) Bruce Jennings, John D Arras, Drue H Barrett, and Barbars A. Ellis (2016): Emergency Ethics: Public Health Preparedness and Response, Chapter 1, Oxford University Press.

(3) Bruce Jennings, John D. Arras, Drue H. Barrett (2016): **Emergency Ethics: Public Health Preparedness and Response**, op, cit.

وصالح مشترك ، لذلك يجب معالجة أوجه الحرمان وأشكال الظلم البيئي والصحي، في المناطق ذات الدخل المنخفض والمهمشة " (١).

(٦) - أخلاقيات الاستجابة لجائحة كورونا: إذا ما كانت أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للطوارئ الصحية عند بروس جينينجس أخلاق بيولوجية، فهي أيضًا تنتمي إلى أخلاقيات الصحة العامة، وهي تنتمي بدورها إلى الأخلاقيات التطبيقية؛ التي تختلف عن أخلاقيات الطب وأخلاقيات البيولوجيا، وعلى ذلك ، وإذا ما كانت أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا\* (٢) تنتمي إلى أخلاقيات الصحة العامة وتختلف عن أخلاقيات الطب ، فأنها ظهرت كأخلاق تطبيقية يمكن تطبيقها على العالم الحقيقي للسلوك المهني.

(١) Jennings, Bruce's et al (2006): Public Health Ethics :Theory, Policy, and Practice.

(٢) أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا :

لقد عبر عن أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للطوارئ الصحية ، علي سبيل المثال كل من جيمس ويلسون و سارة الين ومان فريد ماكس ، "يقول دوديل "طالما كانت البشرية مهمومة بأفات الأمراض والفيروسات التي تسبب بؤساً لا يحصى في العالم؛ وفيها يكون البشر هو العامل المضيف ، ويعد السيطرة على الفيروس هو ذروة الانجازات البشرية ، كما أن له فوائد صحية واقتصادية هائلة للبشرية

Dowdle Wr, Cochi SI (2011) : Disease Eradication in the 21 st Century: Implications for Global Health, Cambridge, Massachusetts Institute of Technology Press.

James Wilson كذلك تحدث جيمس ويلسون عن أزمة كورونا وما أحدثته من معاناه كبيرة ، فقال : " لقد شهد التفشي العالمي لجائحة كورونا الشعور بالقلق والخوف المستمر ، وهناك حاجة إلى الاستجابة العاجلة واتخاذ التدابير اللازمة".

James Wilson, David Hunter (2010): Research Exceptionalism ، the American Journal of Bioethics, Vol 10, Issue 8, 36 : 45.

ويشير مان فريد ماكس Fred Max إلى الأزمة الصحية التي أحدثتها جائحة كورونا وعواقبها الطارئة ، فيقول : " غيرت جائحة كورونا عاداتنا اليومية بشكل مباشر وغير مباشر ، وجسدت كل مخاوفنا وأماننا في المستقبل ، ولا سبيل إلى النجاة من هذه الأزمة إلا بالامتثال لتدابير الصحة العامة وإلا فسنجد أنفسنا في مفترق الطرق ؛ لا يمكننا أن نبقى حيث نحن ؛ ولا سبيل إلى الوراء ، فجميع المسارات سيكون لها عواقب مختلفة ومخيفة".

Manfred Max Bergman (2020): The World After Covid World 1 (1), 45. University of Basel, Switzerland. p. 2

وتصف ساره ألين Sara Allen تهديدات جائحة كورونا وكيفية تجنب آثارها المدمرة ، فتقول : "في عالم يتغير باستمرار ، تواجه البشرية تهديدات جديدة للصحة العامة كما حدث في ظهور الايدز وسارس وأخيرًا جائحة كورونا ، وعلينا توقع عبء مُتزايد من الأمراض المزمنة والتي لا يمكن الوقاية منها إلا اذا تمكنا من تنفيذ السياسات الفعالة في الوقت المناسب من أجل مواجهة التحديات الصحية ، ويجب علينا أن ندرك أن علينا واجبات في مقابل الحقوق مثل حق الحرية والخصوصية مع إمكانية مراجعة تلك السياسات الصحية الأبوية لكي لا تستخدم كذريعة لسحب الحقوق .

Sara Allan et al (2004): Making Decisions on Public Health, A review of eight countries, Altering in dividable behavior's and life styles, p.54.

James C . Thomas: " وكذلك يقول جيمس توماس أنه يجب على الدولة وضع التدابير الصحية لحماية صحة السكان، لذلك فهناك تفويض أخلاقي من السكان للدولة بحماية صحة السكان، وهذا التفويض للدولة يعني امتلاك الدولة عنصر القوة لتنفيذ هذا التفويض، وهناك حاجة إلى ممارسة السلطة لضمان صحة السكان، وفي الوقت نفسه لتجنب إساءة استخدام هذه السلطة، وهذا في صميم أخلاقيات الصحة العامة التي تنتمي إليها أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للجائحة.

**أهداف أخلاقيات التأهب والاستجابة للطوارئ الصحية:** يوضح بروس جينينجس أهداف أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للطوارئ أولاً في صنع القرار الأخلاقي المناسب وقت الجائحة وثانياً ، تغيير السلوك الفردي الأناني ، ثالثاً ، الامتثال للتدابير الأبوية الصحية الضرورية ، فمثلاً يقول: "تهدف أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للطوارئ إلى توفير التوجيه الأخلاقي المناسب لعملية صنع القرار بتطبيق المبادئ الأخلاقية على مواقف وحالات محددة، والاستعداد للطوارئ كنشاط ديناميكي والتركيز على أهمية المنظور الأخلاقي في الاستعداد للطوارئ والمسؤوليات الأخلاقية واتخاذ القرار المقبول أخلاقياً في التخطيط والاستجابة " .<sup>(١)</sup> وعلى هذا ، يربط بروس جينينجس أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للطوارئ الصحية بعملية صنع القرار ؛ ويوضح التحديات الأخلاقية التي تواجه صنع القرار من ضيق الوقت والمعلومات غير الكافية وعدم التقييم الأخلاقي ، ولذلك يقول : " عند التفكير في أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للطوارئ الصحية ، فإنه لا يجب اتخاذ القرار بمعرفة غير كاملة وتحت ضغط الوقت ، ويجب أن تصبح المعلومات السليمة الواقعية هي أحد مبررات صنع القرار لكي يصبح مبرراً أخلاقياً ، كما أن التقييم الشامل والمدرّس هو شيء ضروري لاتخاذ القرار الأخلاقي السليم " .<sup>(٢)</sup> يوضح هذا النص السابق شروط أخذ القرار أثناء الجائحة والتي تتمثل في المعرفة الدقيقة والواقعية والتقييم الشامل لتبعيات القرار وتأثيره

وإذا ما كان أول هدف لأخلاقيات الاستعداد والاستجابة أثناء الطوارئ الصحية هو اتخاذ القرار الأخلاقي الصائب ، فإن الهدف الثاني عند بروس جينينجس هو تغيير سلوك الأفراد والمؤسسات أثناء حالة الطوارئ من الحرية إلى الامتثال للقوانين والتدابير الصحية ، لذلك يقول : " يجب تغيير سلوك الأفراد والمؤسسات ؛ وهذا التغيير ليس سهلاً ، فحينما تكون هناك خسائر غير عادية في الأرواح والمرضى يجب أن يحدث تغيير سلوكي

James C . Thomas (2002) : A Code of Ethics for Public Health, A American journal of Public Health Ethics, p. 97.

(<sup>١</sup>) Ibid. And see Jennings, Bruce (2006): Ethics and Public Health: Model Curriculum. Hastings Center, and University of Washington, p. 117.

(<sup>٢</sup>) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response's, 29.

ومؤسسي".<sup>(١)</sup> وبعبارة أخرى ، يقول بروس جينفيز : " يهدف الاستعداد والاستجابة للطوارئ إلى توجيه الناس للتصرف بطريقة معينة أثناء حالة الطوارئ حتي لو كانوا يميلون إلى طرق أخرى تظهر فيها حريتهم الشخصية ".<sup>(٢)</sup> ويكمن الهدف الثالث لأخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا في تقييم فعالية خطط الطوارئ الصحية والتعلم من الأخطاء وإجراء تحسينات في المستقبل ، من أجل كسب ثقة الجمهور.<sup>(٣)</sup>

ويظهر الهدف الرابع من أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للطوارئ الصحية في العمل على وجود مجتمعات صامدة وأكثر مرونة وقادرة على الوصول إلى الاحتراف في الصحة العامة والمواطنة المسؤولة ، لذلك يقول : " يعبر الاستعداد والاستجابة للطوارئ الصحية عن صمود المجتمع وقدرته ، لذلك يجب أن يطور التأهب للطوارئ مجتمعات مرنة وتصبح أكثر مقاومة للمخاطر وتسمح لها بالتعافي بشكل مناسب وفعال ، كذلك يجب أن يقوم التخطيط والاستعداد للطوارئ الصحية على احترام مهني الصحة العامة وكفاءتهم وتطويرهم ، كذلك تدل الاستجابة الفعالة للطوارئ الصحية على الشعور بالمواطنة المسؤولة والمسؤولية الشخصية".<sup>(٤)</sup>

**أهمية الاستعداد والاستجابة للطوارئ الصحية :** تكمن أهمية الاستعداد والاستجابة للطوارئ الصحية عند بروس جيننجس في إنقاذ الأرواح وتقليل الضرر الجسدي ومواجهة الأزمات النفسية ، ولقد عبر عن ذلك حين قال : " يجب أن تحمي أنشطة التأهب للطوارئ الصحية السلامة العامة والصحة ، وأن تقلل من معدلات الوفاة والإصابة والمرض والمعاناة أثناء وبعد حالة الطوارئ الصحية؛ وأن تُلبي قاعدة الإنقاذ ، إنقاذ الأرواح وتجعل لها أولوية عالية، وألوية قبل أي شيء وتُقلل من الأذى النفسي والصدمات ".<sup>(٥)</sup>

(١) Bruce Jennings, John Aras ( 2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, Highlighting Ethics and Values in a Vital Public Health Service, p. 39.

(٢) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, p. 57.

(٣) Jennings, Bruce (2002): Ethics and Public Health: forging a strong Relationship. American Journal of public Health, New York, USA, 92 (2) :169-170.

(٤) Bruce Jennings, John Aras (2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, p. 33.

(٥) Ibid. And see Jennings, Bruce (2007): Public Health and Civic Republication, in A. Dawson, prevention and Public Health, Oxford, Oxford University Press, p. 138.



كما تكمن أهمية الاستعداد والاستجابة للطوارئ الصحية في تقديم الرعاية التلطيفية وتوفير الدعم النفسي، الذي يجعل المريض يكتسب مناعة نفسية وأجسام مضادة للصدمة النفسية، لذلك يقول جينينجس: "تعد الرعاية التلطيفية ضرورية لتوفير الدعم الجسدي والنفسي للمرضي في سياق جائحة كورونا، وهي مسؤولية أخلاقية للنظم الصحية، ومن الواجب الأخلاقي لمهنيي الرعاية الصحية تخفيف الألم والمعاناة، وهذا أمر ضروري من الناحية الأخلاقية".<sup>(١)</sup>

**المتطلبات الأخلاقية للاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا:** يؤكد جينينجس بأن الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا يحتاج إلى كل من مشاركة المجتمع ومشاركة العلماء في تقديم الأبحاث للوصول إلى اللقاح المناسب، كل هذا تحت قيادة حكيمة ديمقراطية: "يمكن التأهب للطوارئ الصحية كممارسة مدنية من خلال إيجاد القيادة والإرادة السياسية التي تهدف إلى الصالح العام، وتعزيز المشاركة المدنية المستنيرة أخلاقياً وتدعيم الأبحاث الوبائية، وهذا ينبثق من رؤية سياسية وأخلاقية مدعومة بالتجربة الديمقراطية، وهذا له آثار إيجابية علينا كشعب، وهذا يجعلنا نشعر بالعدالة والتضامن".<sup>(٢)</sup>

ومن جهة أخرى، يوضح بروس جينينجس أهمية الاستعانة بالحقائق والمعلومات الموثقة في أخذ القرار، فيقول: "إذا كان التخطيط للصحة العامة بدون حقائق فإنه يشبه الإبحار في الضباب، لذلك فإن التخطيط بدون حكم وقرار مدروس قائم على الأدلة؛ يشبه الإبحار بدون دفة".<sup>(٣)</sup> وعلى هذا، أقترح بروس جينينجس أن نعيد التفكير في التخطيط للاستعداد للكوارث بحيث يصبح ممارسة مدنية، حيث يقول: "يجب اعتبار عملية التخطيط للاستعداد للكوارث بمثابة تعبير عن المجتمع بأكمله حول قيمة الحياة وصحة أعضائه، أنه عقد اجتماعي من قبل الجميع يتم إبرامه لكي يُحدد مسؤولية كل منهما".<sup>(٤)</sup>

(١) Jennings, Bruce (2021): Palliative care in the Covid -19 Pandemic Briefing Note، Bio-ethical Principles, Practices and Recommendations Relevant to the Covid-19 Pandemic, p. 12 .

(٢) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, op.cit, p. 148.

(٣) Jennings, Bruce (2002): Ethics and Public Health: forging a strong relationship, American Journal of public Health, New York, USA, 92 (2) :169-170.

(٤) Ibid.

ومن ثم ، فهناك دور للحكومة ولصانعي القرار والسياسة الصحية ، كما أن هناك دورًا للمواطنين أيضًا في الامتثال لتلك التدابير الأبوية التي تعد شكلاً من أشكال الممارسة المدنية ، كما أن هناك دورًا لمهني الصحة العامة في تحملهم المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم ، وكذلك هناك دور للفلسفة والأخلاق ، وسنحاول في الصفحات القادمة توضيح هذه الأدوار بالتفصيل .

### المطلب الثاني : أهمية الأخلاق في الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا

## The Importance of Ethics in Preparing and Responding to the Corona Pandemic

يجادل بروس جينينجس بأنه : " مما لاشك فيه، أن الأخلاق تساعدنا في معرفة ما الشيء الصحيح في ظل مجموعة معينة من الظروف الصعبة التي نمر بها في حياتنا ، ولا سيما الكوارث الصحية وانتشار الأوبئة والأمراض المعدية " .<sup>(١)</sup>

**أهمية الأخلاق في صنع القرار خلال جائحة كورونا** : يستكشف بروس جينيفيز أهمية الأخلاق في صنع القرار خلال الأزمات والكوارث ، فيقول : " يجب أن يصبح القرار في وقت أزمة كورونا مُبرراً أخلاقياً ؛ واستجابة حقيقية للأزمة ؛ لأنه سيؤثر على حرية الأشخاص واستقلاليتهم وحقوقهم المدنية ومصالحهم الأساسية " .<sup>(٢)</sup> وكذلك يؤكد بروس جينيفيز على أنه يجب أن يصبح القرار في وقت الجائحة أخلاقياً ، فيقول : " يعد التفكير الأخلاقي ضروري في مجال التأهب والتخطيط للطوارئ ؛ لأنه يفترض الفضائل وتحمل المسؤولية الأخلاقية عن القرارات التي تصدر في وقت الأزمة " .<sup>(٣)</sup> ومع هذا الاهتمام المتزايد بالأخلاقيات في الصحة العامة ، يؤكد جينينجس على أهمية الأخلاق حيث يقول : " يجب تعليم الأخلاق في كل من برامج الشهادات وفي أماكن التعليم المهني المستمر وذلك من أجل تشجيع المناقشات المدروسة والمستنيرة والناقدة للقضايا الأخلاقية في هذا المجال من قبل خبراء في مجال الصحة العامة من أجل تقديم إرشادات تُبرر تدخلات

(١) Jennings, Bruce et al (2008): **Ethical Guidance for public Health Emergency, Preparedness and Response**, Highlighting Ethics and value in a vital Public Health

(٢) Bruce Jennings, John Aras (2016): *Emergency Ethics*, op.cit.

(٣) Ibid. and see Jennings, Bruce et al (1998): *The Perversion of Autonomy: the Proper Uses of Coercion and Constraints in a Liberal Society*.

الصحة العامة والإكراه أمام النزاعات الأخلاقية للاستقلالية والصالح العام و أطر حقوق الإنسان من أجل تزويد ممارسي الصحة العامة بالعديد من وجهات النظر وتوجيه عمليات التفكير نحو القيم المستدامة وفتح الحوار مع الآخرين".<sup>(١)</sup>

ويطرح بروس جينغيز تساؤلات أخلاقية عن أهمية القرار الأخلاقي في وقت الأزمة ، فيقول : " من سيتأثر بالقرار، وبأي طريقة ؟ ، هل سيكون التأثير مباشراً ؟ ، وهل سيبرر الضرر بمنفعة أكبر للآخرين ؟ ، هل الضرر مقصود من صاحب القرار أم أنه مجرد توقع أو احتمال ؟ ، كيف تؤثر كل تلك العوامل على الفوائد والأضرار التي ينطوي عليها القرار " .<sup>(٢)</sup>

وتكمن أهمية الأخلاق عند بروس جينغيز في توجيه صانعي السياسات ومهنيي الصحة العامة على اتخاذ خطوات جادة لتحديد المعضلات الأخلاقية وتضارب القيم الذي ينشأ في الخيارات على جميع المستويات ؛ وعلى التبصر بالسلوك الذي يجب أن يتبعه مخطوطو الطوارئ الصحية العامة بتقديم مبررات أخلاقية لتلك التدابير الأبوية ، ومتابعة تلك الأهداف بأكثر قدر من الفاعلية ، والبعد عن الممارسات غير الفعالة والمرهقة وغير المبررة أخلاقياً ؛ من أجل كسب ثقة الجمهور ، فالثقة العامة هي مفتاح أي تخطيط للطوارئ".<sup>(٣)</sup> يوضح هذا النص ضرورة الالتزام بالمبادئ الأخلاقية من قبل صناع القرار حتى في أصعب الأوقات ، ولكي تصبح تلك التدابير الأبوية مبررة أخلاقياً

ويجادل بروس جينجيس على أن " أخلاقيات اتخاذ القرار " – **Decision making Ethics** في مجال الصحة العامة تسمح بالتدخلات الوقائية ، فيقول : " ما يجعل أخلاقيات اتخاذ القرار صعبة هو وجود التعقيد العلمي وعدم اليقين العلمي وفعالية التدخلات الوقائية ، ويُعبر القرار عن سلطة الصحة العامة القانونية ، على سبيل المثال ، إجبار الأطفال على التطعيم أو دخول الأشخاص الحجر الصحي لوقف انتشار المرض المعدي وتعزيز وحماية حياة المواطنين" . وعلى هذا فإن أخلاقيات اتخاذ القرار تُعبر عن

(١) Jennings, Bruce (2006): **Ethics and Public Health: Model Curriculum**, Hastings Center, And University of Washington, p. 2.

(٢) Jennings, Bruce (2006): **Ethics and Public Health**, op.cit.

(٣) Bruce Jennings, John Aras (2008): **Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response**, p. 13.

الدور الحكومي للاستجابة للجائحة واستخدام الإكراه من أجل الصالح العام ، كما تُعبر أخلاقيات اتخاذ القرار عن السياسة الصحية المسؤولة " . (١)

ويُدلل بروس جينينجس على أن الأخلاق ضرورية عند صُناع القرار وعند المواطنين أيضًا ، لذلك يقول : " تُلزم الأخلاق صُناع القرار ومسؤولي الصحة العامة على السعي للحصول على اجماع أخلاقي في ظل عدم اليقين الأخلاقي بشأن النتائج الصحية ، من أجل الحصول على اجراءات عادلة ومُناسبة لتحديد الأولويات وتخصيص الموارد النادرة ، وكما تُلزم الأخلاق مسؤولي الصحة لاحترام ذوى الاحتياجات الخاصة أو الفئات الضعيفة وعلى النظر بعين الاعتبار إلى المجموعات ذات القابلية للضرر أو الظلم أثناء حالات الطوارئ الصحية العامة وهم من يقفون في الصفوف الأولى ، فلا داعي أن يتم وضع أعباء اضافية عليهم " . (٢) وهناك وظيفة ضرورية للأخلاق بالنسبة للمواطنين وبالنسبة للمجتمع، لذلك يقول جينينيز : " تكمن أهمية الأخلاق عند المواطنين العاديين في حثهم على التعاون، حيث تحت الأخلاق المواطنين على الشعور بالهدف المشترك والتضامن وتجعل المجتمع أكثر مرونة وأكثر قدرة على الصمود ، فالمرونة هي قدرة المجتمع على الصمود والاستجابة بشكل فعال وخلاق ووقائي واستباقي خلال الجائحة " . (٣)

يوضح بروس جينينجس مساهمات الأخلاق وأهميتها في وقت الجائحة، فيقول : " تعني الأخلاق التصرف بشكل أخلاقي واتخاذ قرارات مُبررة أخلاقياً، وهذا سيعتمد على حد كبير على ظروف مُحددة وملموسة ، لذلك فإن أفضل مساعدة يمكن أن تُقدمها الأخلاق هي إرشاد التخطيط المُسبق وتنظيم الاستجابة للطوارئ ؛ لتقليل عدد الخيارات المُساوية التي يجب اتخاذها ، وتحاول الفاء الضوء على المعضلات الأخلاقية التي تنشأ أثناء مرحلة الاستجابة للفيروس، واستخدام البدائل الأقل تقييداً والتواصل الشفاف " . (٤)

وعلاوة على ذلك، يشير بروس جينينجس إلى أهمية الأخلاق بالنسبة إلى مسؤولي الصحة العامة وصانعي القرار خلال الأزمة ، فيقول : " يتمثل دور الأخلاق في مرحلتي

(١) Bruce Jennings, Daniel Callahan: Ethics and Public Health: Forging a strong Relationship, American Journal of Public Health.

(٢) Ibid.

(٣) Jennings, Bruce (2007): Public Health and Civic Republicanism, op.cit, p. 38.

(٤) Bruce Jennings, John Aras ( 2008 ) : Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response.

التخطيط والاستجابة قبل وقوع الأزمة وأثناء الأزمة ؛ في تحديد مبادئ توجيهية عادلة للأزمات ، وتؤكد الأخلاق على أنه يجب أن يكون مسؤولو الصحة العامة على استعداد لتحمل المسؤولية الأخلاقية عن سلوكهم؛ وأن يكون لديهم أسباب وجيهة لاتخاذ القرار أو مبررات معقولة في أثناء الجائحة ، وأنه يجب أن يشمل قرارهم الاهتمام بالمحتاجين " (١). وهنا تصبح الأخلاق عملية عند بروس جينينجس ، حينما تنعكس على سلوك صناع القرار ومسؤولي الصحة العامة ، وكذلك يقول جينينجس : " تُجبر الأخلاق مسؤولي الصحة العامة وصناع القرار على تجنب فرض عبء لا داعي له على المجموعات بشكل غير عادل ، وعلى تحقيق المساعدة والتعافي بشكل مُنصف ومُوحّد قدر الامكان ، وعلى اعطاء الأولوية على أساس الحاجة الأكبر والمعرضين لأكبر المخاطر الصحية؛ بسبب خلع روتينهم اليومي وتغيير أنماط معيشتهم " (٢).

ويستكشف بروس جينينجس أهمية الأخلاق أثناء الجائحة في البعد عن الاختيارات القسرية غير المبررة وإيجاد بدائل أكثر قبولاً أخلاقياً ، ومن ثم يقول : " هناك خيارات صعبة ومؤلمة قد تفرضها علينا تلك الأزمة ، يبدو أن العديد من القضايا الأخلاقية تفرض خيارات صعبة أخلاقياً وصارخة للغاية ، بل حتى خيارات مأساوية ، حيث لا يوجد نتيجة دون تكلفة بشرية كبيرة ، ويُعتبر صنع القرار الأخلاقي خلال الأزمة هو رؤية ما وراء الخيارات الضيقة والاختيارات القسرية ، وغالبًا ما يكون التفكير الأخلاقي الثاقب هو عملية مقاومة الاختيار القسري والخروج من طريق مسدود من أجل إيجاد بديل أكثر قبولاً أخلاقياً " (٣).

ولكي تتسع دائرة النقاش الأخلاقي ، يمكننا أن نعرض موقف الفلاسفة المعاصرين من الأخلاق وتأكيدهم على دور الأخلاق أثناء الجائحة ، من أمثال جيمس ويلسون و همفريز و ستيفن كولين ، مارفي وجون أراس ، وذلك على النحو التالي :-

(١) Bruce Jennings, John Aras (2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, p. 14.

(٢) Jennings, Bruce (2012): The place of solidarity in public health ethics, Public Health Review 34 (1), 4, 2012.

(٣) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, op.cit.

يوضح راندال كورين Curren استاذ الفلسفة ضرورة أن نأخذ الأخلاق على محمل الجد ، لأنها تثبت لنا ضرورة التعاون معاً لكي ننجو جميعاً من الأزمة ؛ولا يمكن أن ينجو أحد بمفرده ، لذلك يقول : " جوهر الأخلاق هو تقديرنا لبعضنا البعض ، ويجب أن نعترف باعتمادنا على بعضنا البعض اعتماد متبادل " . (١)

كذلك يشير جيمس ويلسون Wilson ،أستاذ الفلسفة في جامعة لندن ، إلى أن : " الأخلاق هي التي تساعدنا على معرفة ما الشيء الصحيح الذي يجب القيام به في ظل ظروف معينة ،لذلك فإنه يجب أن تصبح الأخلاق هي الأساس الذي يقوم عليه التخطيط للجائحة ، ويجب أن يصبح التخطيط للجائحة على أساس اعتبارات أخلاقية " (٢)

ومن جهة أخرى ، يؤكد همفريز Humphreys على أن هناك علاقة قوية بين صنع القرار والأخلاق ، لكي يصير القرار أخلاقياً وقت الجائحة ، لذلك يقول : " يجب على الفيلسوف الأخلاقي اتخاذ قرار أخلاقي وقت الجائحة مستفيداً من أخلاق الفضيلة عند أرسطو وأخلاق الواجب عند ايمانويل كانط وأخلاق حقوق الإنسان التي تقوم على احترام حقوق الآخرين " . (٣)

كذلك يوضح ستيفن كولين Stevens Coughlin أستاذ علم الأوبئة بكلية جورجيا بجامعة أوغستا ، دور الأخلاق في الاستجابة للطوارئ ، فيقول : " هناك العديد من القضايا الأخلاقية التي أثرت خلال جائحة كورونا والتي تحتاج إلى التحليل الأخلاقي والنقاش الأخلاقي من أجل تصميم السياسات الصحية " . (٤)

ويستكشف البروفيسور مارفي Timothy Murphy قيمة الأخلاق والفلسفة الأخلاقيين في احتواء جائحة كوفيد -١٩ ، حيث يقول : " يحتاج صانعو القرار إلى بوصلة أخلاقية أثناء الأزمة ، لأنه يتعين عليهم اتخاذ قرارات صعبة ؛وذلك في إطار من القيم الأخلاقية مثل قيم عدم الضرر والتناسب والمعاملة بالمثل والثقة والتضامن والخصوصية ، كما يجب

(١) Curren, Randall (2020): Ethicists: Covid-19 Pandemic, a wake –up, op.cit.

(٢) Wilson, James: the Ethics in an Epidemic Aids, Morality and Culture, from the ethics of disease eradication, University College London. United Kingdom.

(٣) Humphreys, Joe (2020): Coronavirus :How can Philosophy help us in this time of crisis, op.cit.

(٤) Coughlin, Stevens . (2021): Ethics, Epidemiology, Oxford University Press, New York, ch7.

على فلاسفة الأخلاق الموازنة بين الحقوق والمصالح وتحديد الأولويات والوصول المنصف إلى تدابير الرعاية الصحية الوقائية " (١).

وتكمن أهمية الأخلاق في وقت الجائحة في تقديم المشورة الأخلاقية ، لذلك يقول **جيمس ويلسون Wilson** ، " يجب على الأخلاق أن تقدم المشورة الأخلاقية في حالة الطوارئ ، وأن تُرتب الأولويات على أساس الخطورة ، و يجب الالتزام بالتدابير الوقائية من أجل مواجهة الوباء، كما أنه يحتاج صنّاع القرار الصحي إلى القيم والمبادئ الأخلاقية لإقامة قرارًا أخلاقيًا صائبًا لمواجهة الجائحة ، ويجب أن يكون هناك تأهب أخلاقي واستعداد أخلاقي لمواجهة الجائحة ، وهذا يولد رؤي أخلاقية يمكنها أن تُساهم في حل المشكلات الأخلاقية ، ولكن لا تزال الاستجابة الأخلاقية مفقودة ، لذلك يجب أن يكون هناك استعداد أخلاقي قوي لمواجهة الأوبئة واتخاذ القرارات الأخلاقية المناسبة" (٢). ومن ثم ، يؤكد ويلسون على ضرورة دمج الأخلاق والقيم في عملية صنع القرار ؛ من أجل توفير التوجيه الأخلاقي والموضوعي، من أجل كبح جماح المرض ومنع انتشاره ، ورفض تلك التدابير الاستثنائية يعنى رفض اكتمال التوجيه الأخلاقي " (٣).

ويري الفيلسوف الأمريكي وعالم الأخلاقيات الحيوية **جون أراس (1945-2015)** John Arras ، أن مهمة الأخلاق تنحصر في صنع القرار وتوجيه السلوك البشري أثناء الأزمة الصحية لكوفيد - ١٩ ، وفي ذلك يقول : " تُعد الأخلاق البعد القيم في صنع القرار ، وتتضمن لغة الأخلاق أسماء مثل " الحقوق " و المسؤوليات والفضائل ، و صفات مثل الخير والشر والصواب والخطأ والعدل ، وتعني الأخلاق التفكير الدقيق والمنهجي في تحليل القرارات ، وتُساعد الأخلاق الممارسين المهنيين في الحفاظ على كفاءتهم وكسب ثقة المرضى ، كما تُوفر الأخلاق معايير عقلانية لاتخاذ القرار أو التصرف بطريقة ما بدلا

(١) Murphy, Timothy (1994): Ethics in an Epidemic, Aids, Morality and Culture, University of California Press, London.

(٢) Wilson, James (2020): Corona Virus, Stay at Home, The Philosophy of Public Health from Coronavirus to the Neglectful State.

(٣) Wilson, James (2020): The Ethics in an Epidemic, Aids, Morality and Culture.

من أخرى".<sup>(١)</sup> يوضح هذا النص أن الأخلاق ضرورية للمهنيين الصحيين أثناء الأزمة ، فهي تساعدهم في اتخاذ القرارات لكي يصبحوا موضع ثقة المرضى .  
وإذا ما كان بروس جينينجس قد سبق وأن قرر أن الأخلاقيات التطبيقية هي أخلاقيات معيارية ، وكانت أخلاقيات الصحة العامة التي هي فرع منها ، هي أيضًا أخلاقيات معيارية ، كانت أيضًا أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للطوارئ" أخلاقيات معيارية " تقوم على مبادئ أخلاقية ، ومن ثم نجد أنفسنا أمام هذا السؤال الأخلاقي ؟، ما المبادئ الأخلاقية التي تقوم عليها أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا ؟ .

### المبادئ الأخلاقية التي تقوم عليها أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا

يشير بروس جينينجس إلى أن هذه المبادئ الأخلاقية ليست من أجل مواجهة كورونا فقط ، ولكن من أجل الطوارئ المختلفة ، وهي ليست مطلقة لأنها مرنة ، ويوضح أهميتها بالنسبة لصناع القرار ، لذلك يقول : " تعني أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا ، تبني أطر أو مبادئ أو معايير أخلاقية ولكنها ليست قواعد أخلاقية ، أو ضرورات أخلاقية للوصول أخلاقيا إلى وجهة نظر معينة ، ولكنها تركز على التوجه الأخلاقي المناسب أو الإجابة الصحيحة، وهي تعبر عن البوصلة للتوجه الأخلاقي المناسب ، فنحن لا نركز على المبادئ الأخلاقية المصممة بشكل تجريدي ، ولكن على الأهداف الأخلاقية ، وهي عبارة عن أخلاقيات المهنة<sup>(٢)</sup> أو إرشادات عملية لممارسي الصحة العامة المنغمسين في الاستجابة لحالات الطوارئ ، حيث يجب اتخاذ القرار بسرعة وسط الظروف سريعة التطور ، وذلك لأن الاستعداد للطوارئ يعتبر نشاط ديناميكي هدفه حماية الحياة والصحة ".<sup>(٣)</sup>

(١) Arras, John (2015): *Methods in Bioethics, the way we Reason Now*, 1 Edition, Oxford, Oxford University Press.

#### (٢) أخلاقيات المهنة :

يعرف بروس جينينجس أخلاقيات المهنة فيقول : " تميل دراسة الأخلاقيات المهنية إلى البحث عن القيم والمعايير التي تم تطويرها من قبل الممارسين والقادة في مهنة معينة على مدى فترة طويلة من الزمن وتحديد القيم التي تبدو متصلة في المهنة نفسها وبناء مجموعة من المعايير الأخلاقية التي من شأنها الحفاظ على المهنة .

Jennings, Bruce (2002): **Ethics and Public Health: forging a strong Relationship**, American Journal of public Health, New York, USA, 92 (2):169-170.

(٣) Bruce Jennings, John D Arras ، Drue H Barrett, and Barbars A. Ellis (2016): *Emergency Ethics: Public Health Preparedness and Response*, Chapter 1, Oxford University Press.



## ١- مبدأ الاحترام ، احترام الأشخاص ؛ Principle for people\* (١)

يقول بروس جينينجس : " يجب أن يكون التأهب للطوارئ فعالاً وجدير بثقة الجمهور ، ويحقق غايات أخلاقية مناسبة ؛ ويحترم ويحافظ على كرامة جميع الأشخاص الإنسانية لأنه يقلل من الإكراه ". (٢) ومن جهة أخرى، يشير مبدأ احترام الأشخاص إلى " احترام الأشخاص ذو الاحتياجات الخاصة أو المستضعفين " "Respect for Persons With Special Needs or Vulnerabilities". (٣)

٢- مبدأ عدم الضرر Harm principle: يوضح بروس جينينجس أن مبدأ عدم إلحاق الضرر بالآخرين من أهم المبادئ الأخلاقية عند الاستعداد والاستجابة للجائحة ؛ فيقول : " يجب استخدام مبدأ الحد من الضرر وتعزيز الفوائد وأن نقلل من الوفيات والاصابة والمرض والعجز والمعاناة أثناء وبعد حالات الطوارئ ". (٤) يُعبر هذا المبدأ عن عدم نقل العدوى للآخرين؛ والتمسك بتدابير الدولة الاحترازية؛ وقوانين الصحة العامة حتى وأن تجاوزت الحرية الفردية.

خلص فاينبرج إلى أنه بغض النظر عن الخيارات التي يتم اتخاذها للتصدي لهذا الوباء المميت ، سيكون هناك شك واختلافات في الرأي ، لذلك فإنه كما لاحظ جوستين ، لا توجد طريقة لتجنب مثل هذه المعضلات سوى بالاعتماد على القيم الأخلاقية في صياغة قرارات الصحة العامة

Gostin LO (2002) : Public Health Law and Ethics . Berkeley and Los Angeles: University of California Press.

### (١) مبدأ احترام الأشخاص:

يشير الفيلسوف دانييلز Daniels إلى أنه يُعتبر مبدأ احترام الأشخاص من أهم المبادئ الأخلاقية التوجيهية للحكومات وأنظمة الرعاية الصحية لاستخدامها في التخطيط للجائحة ، ويُعتبر مبدأ الاحترام هو الوجه الوحيد للعدالة ، وهو يعني الاعتراف بالقيمة الأخلاقية المتساوية لجميع البشر واحترام كرامة الشخص لذلك فإن الاحترام له أهمية أخلاقية من منظور العدالة

Daniels N. (2008): Just Health, Meeting Health Needs Fairly, Cambridge, UK, Cambridge University Press, p. 25.

كما يوضح باور فايدن Faden Powers M الدلالات الأخلاقية لمبدأ الاحترام ، فقال: " يعد الاحترام بعداً أساسياً ومتميزاً لرفاهية الإنسان ويعني الموافقة المستنيرة وتقليل مخاطر الإكراه ، كما أنه يتعارض مع الوصمة ، ويستنكر مبدأ الاحترام للتأثير الأخلاقي للوصم بالمرض والسخرية.

Faden R., Powers M (2006): Social Justice: Moral Foundations of Public Health and Health Policy, biomedical ethics, 1st edition, Oxford University Press, p. 22.

(٢) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit.

(٣) Bruce Jennings, John Aras (2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, Highlighting Ethics and value in a vital Public Health service, p. 15.

(٤) Ibid, p. 14.

وترى سوسن داي Susan H. Day أن هناك بالفعل أضرارًا لا مفرًا منها مثل العزلة والضيق والاضطراب الاجتماعي ، ومع ذلك يجب أن تستند القرارات الصحية بشكل أساسي على مبدأ عدم الضرر ، وهذا يعني تأدية الواجب الأخلاقي لمنع تفشي المرض وتقليل الوفيات والتأكيد على استيفاء الموافقة المستنيرة ، كما أنه يُمكن تقليص استقلالية الفرد لمنع الأذى والضرر عن الآخرين <sup>(١)</sup>.

٣- مبدأ عدالة التوزيع <sup>(٢)</sup> \* **Principle of distributive Justice**: يري بروس جينينجس أن هذا المبدأ يُقصد به ضمان " العدل والإنصاف " Justice and Fairness " ، بمعنى تقاسم المنافع والأعباء المفروضة على السكان بسبب حالة الطوارئ الصحية ؛ والحاجة إلى التعامل مع آثارها بشكل مُنصف وعادل <sup>(٣)</sup>. يتطلّب هذا المبدأ الأخلاقي توزيع مخاطر وفوائد إجراءات الصحة العامة بشكل عادل ، والوصول العادل إلى الرعاية الصحية الشاملة أثناء الجائحة وتخصيص الموارد الصحية بشكل عادل من أسرة المستشفيات واللقاحات والأدوية مضادة للفيروسات ، كما أنه من المهم لصانعي القرارات تبرير قراراتهم على أساس العدالة ، والعدالة تعني معاملة الجميع بأنصاف ودون تمييز . <sup>(٤)</sup>.

٤- مبدأ الشفافية **Principle of Transparency** \* <sup>(٥)</sup> : عبر عن هذا المبدأ بروس جينينجس حين قال : " يعني مبدأ الشفافية أن عمليات صنع القرار يجب أن تكون

(١) Susan H. Day (2020): Teaching Ethics A Structured Curriculum on Ethics for Ophthalmology Residents is Valuable 120 (7):963.

(٢) مبدأ عدالة التوزيع:

Beauchamp يري بيوشامب وتشايلدريس أن العدالة التوزيعية هي التوزيع العادل والمنصف والملائم في المجتمع الذي تحدده المعايير المبررة ، وهذا المبدأ يتجنب التمييز والاستغلال.

Beauchamp D. (1999): Community: the neglected tradition of public health .New York: Oxford University Press

(٣) Bruce Jennings، John Aras (2016): Emergency Ethics، op. cit. and see (٣) Bruce Jennings، John Aras (2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response، op.cit، p. 15.

(٤) Beauchamp D. (1999): Community: the neglected tradition of public health .New York، Oxford University Press.

(٥) مبدأ الشفافية :

يؤكد هذا المبدأ أن سلطات الصحة العامة مُلزّمة بإبلاغ مُبرراتها بوضوح ؛ والسماح بعملية الاستئناف وأن هناك مُبررات أخلاقية قوية لقراراتها الأبوية ؛ مثل قرارات الحجر الصحي الإلزامي من أجل عدم تعريض حياة الآخرين للخطر والمرض والوفيات ، أو بصورة أخرى ، فإنه يعني أن المعلومات حول أسس القرارات يجب أن تكون متاحة للسكان الآخرين المتضررين وأن تكون الأمور شفافة.

شفافة وخاضعة للمساءلة" "Accountability" ؛ من أجل الحفاظ على ثقة الجمهور؛ ويجب على المسؤولين أن يشعروا بالمسؤولية الأخلاقية الشخصية ، والتي تعني "المسؤولية المهنية" ، Professional Responsibility ، والمواطنة من خلال التخطيط التشاوري The Communication Spectrum .<sup>(١)</sup>

وعلى هذا فإن مبدأ الشفافية يَتطلب ضرورة أن يتأكد صانعو السياسات من أن عملية صنع القرار الخاصة بهم مفتوحة ومُتاحة للجمهور من خلال نشر المعلومات ، كذلك يحرص مبدأ الشفافية علي توفير معلومات واضحة ودقيقة حول أساس القرارات التي يتم اتخاذها ، ولكن تكمن المفارقة عند بروس جينينجس حين دعي إلى حجب المعلومات الخطيرة عن الجمهور بسبب نتائجها ، فمثلا نجده يقول : " قد يكون حجب المعلومات ضروريًا من أجل منع الذعر والسلوك العكسي " <sup>(٢)</sup>

ومن جهة أخرى، نجد بروس جينينجس يقول : " إن حجب المعلومات عمدًا عن الجمهور والسرية يجب تجنبه ، ولكن لا يمكن استبعاده بشكل قاطع " . <sup>(٣)</sup> ، ثم يرجع بروس جينينجس ويؤكد على أن : " الشفافية أمرًا حاسمًا للاستجابة للجائحة بشكل سليم أخلاقيًا ، كما أن للأشخاص الحق في الحصول على المعلومات حتى يتمكنوا من الوفاء بالتزاماتهم أثناء حالة الطوارئ الصحية " .<sup>(٤)</sup>

٥- مبدأ أقل الوسائل ضررًا **The principle of Least Harmful means** : أكد بروس جينينجس على مبدأ عدم الضرر ، حين قال : " أن أي استجابة يجب أن تمنع من إيذاء القلة في سعيها لحماية الكثيرين ، ويجب أن توفر فرص متساوية في الحصول على الموارد الصحية " .<sup>(٥)</sup> ، وإذا ما حاولنا تطبيق مبدأ عدم الضرر عند بروس جينينجس

GostinLO (2004): Pandemic influenza: Public Health

<sup>(١)</sup> Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit. and see Bruce Jennings ، John Aras ( 2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, p. 16, p. 96.

<sup>(٢)</sup> Ibid. and see Jennings، Bruce (2015): Solidarity in the moral imagination of Bioethics، Hastings Center Report 45 (5):31-38.

<sup>(٣)</sup> Ibid.

<sup>(٤)</sup> Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, op.cit

<sup>(٥)</sup> Jennings, Bruce (2015): Solidarity in the moral imagination of Bioethics, Hastings Center Report 45 (5): 31-38.

سنجد أنه يعني عدم إلحاق الضرر بالمرضي الأكبر سنا والذين لديهم أقل احتمالية للبقاء على قيد الحياة ، ومن ثم فإن هذا يعني أن مبدأ عدم الضرر لا يتفق مع المبدأ النفعي لأنه يطالب بتلبية الاحتياجات الخاصة للفئات الضعيفة ، ويطالب بوضع قيود على الحرية الفردية .<sup>(١)</sup>

ومن جهة أخرى ، اذا ما كان بروس جينينجس قد سَمَح وَبَرَّر تقييد الحقوق والحريات في بعض الظروف ؛ كحالة استثنائية ورأى أن ذلك أمراً ضرورياً من أجل الحفاظ على الصحة ، إلا أنه أقر باستخدام "مبدأ الوسائل الأقل تقييداً وضرراً" ، حين قال : " يجب أن نستخدم أقل الوسائل ضرراً وتقييداً ، ويجب أن تكون المبررات واضحة عند إلحاق الضرر بالآخرين ، بمعنى أنه لا ينبغي عزل المجموعة كلها بل عزل المجموعة التي ظهر فيها المرض فقط ؛ ولا ينبغي تقييدهم دون داع ، و يفترض التزامات مهنية Professional Obligations ، ومسؤولية شخصية Civic Responsibility".<sup>(٢)</sup>

٦- مبدأ الانقاذ **Rescue principle**: يشير بروس جينينجس إلى مبدأ أخلاقي ضروري في أخلاقيات التأهب للطوارئ والجائحة وهو مبدأ الانقاذ ، بمعنى "إنقاذ الأرواح والوقاية من المرض " Saving Lives and Preventing Illness ، ومنع الضرر ، فيقول : " يجب أن تحمي أنشطة التأهب للطوارئ قاعدة الانقاذ ، بمعنى أن انقاذ الأرواح له أولوية عالية ، أولوية قبل أي شيء وكل شيء ، بمعنى أنه يجب أن نقلل من الوفيات والمرض ، وتنفيذ تدابير الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي ، فهناك واجب أخلاقي في أن نقلل من معدلات الوفيات والاصابة والمرض والمعاناة للأفراد المعزولين ، وحماية صحة أكبر عدد من السكان ".<sup>(٣)</sup>

٧- مبدأ الصالح العام<sup>(٤)</sup> **The Principle of the Common Good**: المبدأ الأخلاقي الذي أكد عليه بروس جينينجس كثيراً هو مبدأ الصالح العام ، فالصالح العام عند

(١) Bruce Jennings, John Aras ( 2008) : Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, p. 45.

(٢) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency ، Preparedness and Response, op.cit, p. 106, 108.

(٣) Bruce Jennings, John Aras ( 2008) : Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, p. 45.

(٤) (١٢١\*) مبدأ الصالح العام : وضع الفلاسفة اليونان بما فيهم أرسطو المفاهيم المبكرة للصالح العام ، وهو يعني الخير الخاص للمجتمع ويتقاسمه المجتمع بشكل فردي ، واستخدم أرسطو الخير العام بمعنى المصلحة المشتركة. ولقد

جينينجس يكمن في مكافحة العدوى ؛ وجعل لها الأسبقية والأولوية على كل شيء، وفي ذلك يقول : " يجب أن نُعزز الصالح العام للجميع أثناء وبعد حالة الطوارئ ، وهذا الصالح العام يتجاوز صالح الأفراد ؛ ويُبرر الإجراءات التي تنتهجها الحكومة ".<sup>(١)</sup> ومن جهة أخرى، يري بروس جينينجس أن : " الصالح العام يعني المنفعة الصحية العامة ، وهي تعد مصلحة مشتركة ، وهي التي يجب أن يصبح لها الأولوية عن الحرية الفردية ، لأنه يجب أن تصبح الأولوية لإنقاذ الأرواح والوقاية من المرض ".<sup>(٢)</sup>

تطور مفهوم الصالح العام عند جون لوك وجان جاك روسو ، وأدم سميث وجون ستيورات مل وجون رولز وفقا لأرسطو فإن الصالح العام هو الخير الخاص بالمجتمع ، والصالح العام هو الذي يعمل لصالح الأغلبية وهناك قيمة في الصالح العام عن الصالح الفردي .ولقد أشار جان جاك روسو إلى أن الإرادة العامة يجب أن تتجه نحو الصالح العام ، وأن السلطة تصبح شرعية إذا ما حققت الصالح العام ، وأن السعي وراء الصالح العام يجعل الدولة تتصرف كمجتمع أخلاقي ، وأنه يجب على المجتمع أن يقبل تضحيات متواضعة من أجل الصالح العام وكفانا سعياً لتحقيق المصالح الفردية الأتانية .وفي الأونة الأخيرة عرف جون رولز الصالح العام على أنه يهدف إلى مصلحة الجميع وأنه يجب علينا أن نتعاون من أجل الصالح العام ولكن من الصعب اقتناع الآخرين بضرورة التضحية ببعض من حرياتهم من أجل الصالح العام .

Manuel Velasquez et al(2014) : the common good, Santa Clara University, Santa Clara, center for applied ethics Markkula ،Center fo Applied Ethics at Santa Clara University .

كذلك يقول جون ستيورات مل في كتابه : " اعتبارات الحكومة التمثيلية " : " لا يجب أن يتحرك السكان من واقع مصلحتهم الذاتية فقط ، ويجب على الشعب أن يتعاون وأن يمتلك حرية محدودة ويتعاون مع القانون والسلطات العامة ويجب على الشعب أن يتقبل القوة التي تمارس عليهم باختيار عقلائي " .

M• John Stuart (2015): Considerations on Representative Government, Considerations on Representative Government, Create space independent publishing.

ويشير أدم سميث الفيلسوف الأخلاقي والمفكر الليبرالي الكلاسيكي في القرن الثامن عشر في كتابه الشهير " ثروة الأمم" ، إلى أن المصلحة الذاتية يجب أن تتحول إلى الصالح العام ؛ وأن عيش حياة فاضلة ومسؤولة لا يعني الاهتمام بالمصالح الفردية بل المصلحة المشتركة. ويوضح توماس سكانلون T.M. Scanlon استاذ الفلسفة الأخلاقية في جامعة هارفارد، في كتابه " ما ندين به لبعضنا البعض " : " أن ما يجعل الفعل صحيحاً أو خاطئاً من الناحية الأخلاقية هو أن نُعطي الأولوية لمصلحتنا الشخصية على الصالح العام، وذلك وفقاً لوجهة النظر التعاقدية ، وهذا يمكن تبريره للأخرين ؛ ولا يمكن رفضه بشكل معقول.

T.M. Scanlon (2000) : What We Owe to Each Other, Harvard University Press.

يوضح هذا النص أن مفهوم التبرير ضروري من أجل اصدار أي أحكام أخلاقية ، وأنه يجب أن نُعطي الأولوية للمصالح العام.

ويعرف جون لوك في "الرسالة الثانية للحكومة"، الصالح العام بأنه : " المصالح المشتركة لجميع أعضاء المجتمع السياسي ، على سبيل المثال ، المصلحة في الأمن الجسدي والسلامة ، لذلك فمن حق الحكومة سنّ قوانين مُلزِمة ويجب اتباعها للحفاظ على هذا الصالح العام.

Locke, John: second treatise of Simms, Karri: the concepts of Common Good Government and Public interest, p. 131.

(١) Ibid.

(٢) Locke, John: second treatise of Simms, Karri: the concepts of Common Good Government and Public interest, p. 131.

ومن جهة أخرى، اعتقد أن مبدأ الصالح العام يتكامل مع مبدأ التضامن، فالبحث عن الصالح العام يعني التضامن من أجل الصالح العام؛ والعمل الجماعي في مواجهة عدو مشترك وتهديدات مُشتركة ومرض مُعدي عالمي.

٨- مبدأ التناسب **Principle of proportionality**: يعني مبدأ التناسب استخدام الإجراءات التي تتناسب مع المرض ، ويجب الموازنة بين الفوائد المحتملة ومخاطر الضرر<sup>(١)</sup> ، ويجب أن تكون تلك التدابير الصحية مُتناسبة مع التهديدات والمخاطر ومع الفوائد التي يمكن جنيها ، وهذا يعنى التوازن المعقول بين درجة الصالح العام ودرجة الغزو الشخصي ، ويجب إلا يصبح التدخل مرهقاً أو غير عادلا ، وألا يتجاوز الحدود الأخلاقية ، لذلك يجب الوفاء بمبدأ التناسب ، التناسب مع القيود المفروضة على الحريات الفردية مع المخاطر المحتملة على المجتمع ".<sup>(٢)</sup> ولقد نادى بروس جينينجس بمبدأ التناسب ، حين قال : " يجب أن يكون هناك تناسب بين تجاوز الحقوق والحريات أثناء حالة الطوارئ والاستجابة للجائحة وبين الضرر الكبير على الآخرين ، بمعنى أنه يجب التناسب بين منع الضرر واحترام الحرية في ظل ظروف عدم اليقين ".<sup>(٣)</sup> لذلك يجب مراعاة مبدأ التناسب واستخدام الإجراءات التي تتناسب مع المرض.

١٠- مبدأ المعاملة بالمثل **The principle of Reciprocity** \*<sup>(٤)</sup>: يُقصد بهذا المبدأ عند جينيفيز : " إعطاء الأولوية وتقديم مزايا للعاملين في الخطوط الأمامية لأنهم يتحملون حصة غير متكافئة من المخاطر ، كما يُطلب منهم تحمّل مخاطر مُتزايدة أو مواجهة أعباء أكبر أو غير مُتناسبة من أجل حماية الصالح العام ؛ لذلك يؤكد مبدأ المعاملة

(١) Coughlin, S. Steven (2009): Ethics in Epidemiology، Public Health Practice، second Edition، the American Public Health Association.

(٢) Susan H. Day (2020): Teaching Ethics، A structured Cubiculum on Ethics for ophthalmology Residents is Valuable 120 (7):963.

(٣) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics ،op.cit.

(٤) مبدأ المعاملة بالمثل :

تري سوزان واي، أن مبدأ المعاملة بالمثل يعنى أنه كما يتحمل العاملون في الخطوط الأولى مخاطر عالية أثناء الجائحة ، فإنه يجب على الأفراد في المجتمع الحد من حرياتهم من أجل مساعدتهم في الوفاء بالتزاماتهم ؛ واتخاذ خطوات جادة لتقليل هذه الأعباء قدر الإمكان لأن كل من يقوم بالرعاية الصحية من أطباء وممرضين وفني الأشعة والتحليل وغيرهم ؛ يتحملون أعباء غير مُتناسبة من أجل الصالح العام ، لذلك فمن الضروري تحقيق عائد مادي مُتناسب مع المساهمات التي قدموها .

Susan H. Day (2020): Teaching Ethics، A structured Cubiculum on Ethics for ophthalmology Residents is Valuable 120 (7):963.

بالمثل على ضرورة أن يُدعم المجتمع هؤلاء أثناء القيام بأعبائهم <sup>(١)</sup> . وفي موضع آخر يقول بروس جينغيز : " نظرًا لأن العاملين الصحيين يُعرضوا أنفسهم للخطر ويواجهون ضغوطات نفسية هائلة ، لذلك يجب المعاملة بالمثل ، ويجب أن يُصبح لدي مُقدمي الرعاية الصحية والأطباء أولوية في الوصول إلى مُعدات الحماية الشخصية والحصول على اللقاح لأنهم يواجهون مخاطر غير متكافئة في مساعدة الآخرين " <sup>(٢)</sup> . ومن جهة أخرى ، قد يقصد بمبدأ المعاملة بالمثل ، عدم إعطاء الأولوية للشباب على حساب كبار السن ، ومعاملة كل من الشباب وكبار السن بالمثل ، أو قد يقصد جينينجس من مبدأ المعاملة بالمثل رفض التباعد الاجتماعي العنصري ، لأنه يجب أن يطبق التباعد الاجتماعي على الجميع .

١١- مبدأ المشاركة المدنية والمراجعة والفاعلية : يقصد بمبدأ المشاركة المدنية، إشراك أصحاب المصلحة من خلال المؤسسات والوسائل المناسبة في عملية صياغة الأهداف وصنع القرارات الصحية ، ثم يأتي مبدأ المراجعة وهو يعني تقييم السياسات الصحية وتنقيحها في ضوء التجربة ، وأخيرًا ، ينص مبدأ الفاعلية على أنه يجب أن تكون هناك طرق لترجمة تلك المبادئ الأخلاقية إلى ممارسات عملية <sup>(٣)</sup> . باختصار، تُلخص هذه المبادئ الأخلاقية إلى حد ما ؛ التوقعات العامة للناس حول كيفية استجابة الحكومة للمشكلات التي تنشأ أثناء الاستجابة للجائحة ، وهي تنطبق على المهنيين في قطاع الصحة العامة وسلوك الحكومات وإجراءات الصحة العامة <sup>(٤)</sup> .

ويوضح جينينجس حقيقة مفادها أن تلك المبادئ الأخلاقية ليست مُطلقة، بل هي فقط تقدم المشورة الأخلاقية ، فيقول: " لا يُقصد بهذه المبادئ الأخلاقية أن تصبح قواعد يجب أتباعها من أجل الوصول إلى قرارات صحيحة أخلاقيًا ، ولكنها تُوفر فقط التوجيه الأخلاقي لسياسات وأنشطة الاستعداد للطوارئ الصحية " <sup>(٥)</sup> .

(١) Bruce Jennings ، John Aras (2016): Emergency Ethics ، op.cit. .

(٢) Jennings, Bruce (2021): Palliative Care in Covid -19 Pandemic Briefing Note- Briefing Note, Bio- ethical Principles, Practices and Recommendations Relevant to the Covid-19 Pandemic.

(٣) Ethical issues in Pandemic Planning and response

(٤) Ibid.

(٥) Bruce Jennings, John Aras ( 2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response. p، 14.

وبناء على ما سبق ،يجب استخدام تلك المبادئ الأخلاقية السابقة من قبل صانعي السياسات وأصحاب القرار من أجل الوصول إلى القرار الأخلاقي الصحيح ، الذي يعمل على اكتساب ثقة الجمهور وزيادة شرعية الاستجابة للطوارئ الصحية ، لذلك يقول جينينجس : " أنه اذا ما كان صانعو السياسات والعاملين الصحيين يتصرفون بطريقة أخلاقية وجديرة بالثقة من خلال تطبيق المبادئ الأخلاقية بشكل عادل؛ فسيتم احتواء المرض والسيطرة عليه ".<sup>(١)</sup>

وعلي هذا يجب أن يتمسك صانعي القرار الصحي والسياسات الصحية في الاسترشاد بمثل تلك المعايير والمثل الأخلاقية حين يقوموا بوضع خطط للتأهب والاستعداد والاستجابة لأي جائحة صحية في المستقبل.

### المطلب الثالث :أهمية الفلسفة في الاستعداد لجائحة كورونا

## The Importance of philosophy in preparing for the Corona pandemic

يؤكد بروس جينينجس على أهمية الفلسفة في الاستعداد للجائحة ، فيقول : "هناك دور للفلسفة في توجيه صنّاع القرار للاستكشاف المستقبلي للقضايا الأخلاقية الناتجة عن الاستعداد لحالات الطوارئ الصحية العامة والاستجابة لها ".<sup>(٢)</sup> يوضح هذا النص عند بروس جينينجس الدور المحوري للفلسفة خلال الأزمات ، ويشير السؤال التالي :ما المساعدة التي يمكن أن نتوقعها من الفلسفة خلال الأزمات والطوارئ ؟ ، أو كيف يمكن أن تساعدنا الفلسفة خلال الأزمات الصحية ؟

يجادل بروس جينينجس بأن : " الفلسفة يمكن أن تساعدنا وقت الأزمات والكوارث الصحية حين تشدد على مسؤوليتنا الأخلاقية في عدم نقل العدوى وأن لا نصبح ناقلين للعدوى ، حرصا على أولئك الذين يمتلكون جهاز مناعي ضعيف ، وذلك لكي لا نلحق بهم أي ضرر ".<sup>(٣)</sup> ، وهذا يتفق مع ما أشار إليه همفريز Joe Humphreys إلى أنه

(١) Ibid, p. 13

(٢) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit.

(٣) Jennings, Bruce et al (2008): **Ethical Guidance for public Health Emergency, Preparedness and Response**, Highlighting Ethics and value in a vital Public Health.



" يمكن أن تساعدنا الفلسفة في وقت الأزمة بالرغم من أنه قد لا يكون الفلاسفة في الخطوط الأمامية ، ولكن لديهم دور يلعبونه مثل إثارة الأسئلة الوجودية العميقة ، كالسؤال التالي: هل من المعقول تتبّع الأوبئة بمراقبة البيانات الشخصية من الأجهزة الالكترونية ، كما قد تحدّ الفلسفة من القرارات المتهورة ، وأهم درس يمكن أن تعلمه لنا الفلسفة في وقت الأزمة هو ؛أن على كل فرد أن يتحمل مسؤولية أخلاقية للقيام بما هو صواب ، وتطبيق قسم أبقراط في عدم الضرر حتى لو كانت التكاليف الشخصية باهظة وتتضمن خسارة في الأموال ، وأنا جميعا نتشارك في المسؤولية لمنع انتشار الفيروس، ويجب دعم بعضنا البعض ".<sup>(١)</sup>

وعلاوة على ذلك يؤكد بروس جينينجس على قيمة الفلسفة في مواجهة والاستعداد لجائحة كورونا ، وذلك حين تساعدنا الفلسفة في تعزيز الحس النقدي بداخلنا إزاء المشاكل القائمة بالفعل والتي أدت الجائحة إلى احتدامها في الوقت الذي تركنا فيه سرعة المشكلات في العالم ، كما تساعدنا الفلسفة حين تؤكد على قيمة التضامن والتعاون ، حيث يقول : " تحثنا الفلسفة بضرورة التمسك بالواجب الأخلاقي، وهو التضامن والتعاون ، وأنه يجب على البشر أن يتربط ويتعاون في أي أزمة صحية ، ولكن من دواعي الأسف الأخلاقي أن التضامن كان غائبا بالفعل لأن الأمريكيين ركزوا بالفعل على حياتهم الفردية ومصالحهم الذاتية ".<sup>(٢)</sup> ، وعلي نفس المنوال ، يجادل همفريز : " تساعدنا الفلسفة في مواجهة ما يشهده العالم من تحولات كبيرة تذهلنا أحيانا بعمقها وسرعتها لأنها تتيح لنا التروي في النظر إلى الأمور والتحلي بمزيد من بعد النظر وإعمال العقل وأن نفكر في الجائحة على نحو سليم ".<sup>(٣)</sup>

وكذلك يقرر بروس جينينجس بأنه تساعدنا الفلسفة في المساعدة على التكيف أثناء الكوارث الصحية والأوبئة ، وأن نتعلم من الدروس السابقة للبشرية في الطاعون والجذري وسارس ، وأن نطور من استجابتنا للأوبئة في المستقبل ،بمعنى التكيف على التباعد

<sup>(١)</sup> Humphreys, Joe (2020): Coronavirus :How can Philosophy help us in this time of crisis.

<sup>(٢)</sup> Jennings, Bruce et al (2008): **Ethical Guidance for public Health Emergency, Preparedness and Response** • Highlighting Ethics and value in a vital Public Health, p. 108.

<sup>(٣)</sup> Ibid, p. 97.

الاجتماعي والحجر الصحي".<sup>(١)</sup> وبالمثل نجد إيريك وينر Eric Weiner يشير إلى دور الفلسفة في المحن والأزمات والتحديات ، وأنها تساعدنا أيضًا على التكيف ، فيقول : "تساعدنا الفلسفة عندما تقلب المحن حياتنا رأسًا على عقب في الاجابة على مأزق شخصية أكثر بكثير ، كما تُغير من وجهات نظرنا ، وهذه المهارة التي تقدمها لنا الفلسفة لا تقدر بثمن خلال الأوقات العصيبة ، كما يساعدنا التفكير الفلسفي في التعامل مع التحديات المتعددة التي تواجه العالم ؛ ومنها فايروس كورونا على وجه الخصوص ؛ حيث تسمح لنا الفلسفة بالرجوع إلى الوراء ورؤية المزيد قبل الاندفاع إلى الأمام".<sup>(٢)</sup>

ويؤكد بروس جينينجس أنه يمكن للفلسفة أن تضعنا أمام حقيقتنا وتعربنا عن ضعفنا ، وتقدم الحلول في كيفية الاستعداد والاستجابة للجائحة بتفعيل قيمة التضامن ، والدعوات إلى التضامن موجودة في كل مكان ، مثل الدعوة إلى التباعد الاجتماعي".<sup>(٣)</sup> وبالمثل ، يصف فيلاسكيز Velazquez دور الفلسفة في حل المشكلات العملية خلال المواقف الملموسة باستخدام التفكير العقلاني، فيقول: "توضح الفلسفة مدي هشاشة الإنسان وضعفه أمام فايروس لا يري بالعين المجردة، وتشرح مدى العجز البشري مع محدودية كفاءة العلوم التقنية مع إعادة اكتشاف الخير العام والتضامن الإنساني، مع التأكيد على مسؤوليات السلطة السياسية".<sup>(٤)</sup>

ولقد عمد فيلاسكيز إلى ايجاد ترابط بديع بين الكوجيتو الديكارتي وقيمة الفلسفة ، وذلك حين قال : "أنا أفكر ، اذن أنا موجود"، "فحينما أفكر في الوباء ، إذا فأنا فيلسوف"، لأن هذا التفكير يأخذنا إلى مجال الفلسفة.<sup>(٥)</sup> كذلك ربط فيلاسكيز بين انتشار الأفكار الفلسفية وانتشار الفيروس ، حين قال : "إن الفلسفة تشبه الفيروس لأنها تدفعنا إلى تحديد الأولويات وتجعلنا ندرك محدوديتنا ، كذلك فإن هذا الفيروس يمكنه حشد أفكار فلسفية

(١) Bruce Jennings, Daniel Callahan(2002) : Ethics and Public Health: Forging a strong Relationship, American Journal of Public Health, 92(2), p. 170.

(٢) Weiner, Eric (2020): Philosophy for A time of Crisis.

(٣) Jennings, Bruce et al (2008): **Ethical Guidance for public Health Emergency, Preparedness and Response**, Highlighting Ethics and value in a vital Public Health, p. 108.

(٤) G. Lourdes Velazquez: The role of Philosophy in the Pandemic, era Bioethics, Update, 6(2): 99-100.

(٥) Ibid, p. 102.

أكثر من رسالة فلسفية ، كما أن كل من الفلسفة والفايروس غير مرئي وينتقل من شخص لآخر ، كما تنتقل الفلسفة من خلال تكوين الأفكار عن طريق الفم ، وكذلك تنتقل الفايروسات ".<sup>(1)</sup> كما يشير فيلاسكيز إلى أن بعض الأفكار الفلسفية ذات طبيعة قاتلة مثل الفيروسات ويمكنها أن تقتل أصحابها ، فلقد قُتل سقراط لأن أفكاره الفلسفية كانت تهديدًا لهياكل السلطة ؛ وحدث الشيء نفسه مع اسبنوزا الذي أدت أفكاره إلى طرده من مجتمعه ، كذلك اعتبرت فلسفة جان بول سارتر خطرًا لدرجة أن مسرحية الذباب والباب المغلق والأيدي القذرة كانت ممنوعة ، وقال عنه غابريال مارسيل " إن أفكار سارتر الفلسفية أفسدت الشباب " ، وبهذا المعنى يصبح الفيلسوف مثل الفايروس ولكن الفرق في أن الأفكار الفلسفية تحدث تغيرات في الوعي، بينما الفيروس يحدث تغيرات عميقة على الجسد وليس العقول كما في الفلسفة ".<sup>(2)</sup>

كذلك يجادل بروس جينينجس بأن الفلسفة تُمكننا من استخلاص الواجبات والمبادئ التوجيهية للممارسة في المواقف التي تنتظرنا من خلال استخدام التفكير العقلاني في مواجهة الخيارات الصعبة التي يجب معالجتها ، لذلك فإن الفلسفة هي التي توجهنا إلى الأفضل ".<sup>(3)</sup>

وبالمثل، يقول همفريز : " عندما تساءل أفلاطون كيف كان من الممكن ضمان الأفضل في حياة الدولة ؟ ، كان يعتقد أنه ينبغي أن توجه هذه المهمة إلى الفلاسفة بسبب قدراتهم على استيعاب خير كل فرد ، لذلك يجب أن يشترك الفلاسفة مع خبراء الأخلاقيات والسلطات والقادة السياسيين لمواجهة الوباء اليوم ومدعم بمزيد من الحكمة ".<sup>(4)</sup>

وفي ضوء ذلك ، يرى بروس جينينجس أنه: " تكمن مهمة الفلسفة في القدرة على التكيف مع الأزمات وعدم التشاؤم ، والقدرة على دفع الابتكار الجماعي وجعل القرار

(1) Ibid, p.104.

(2) Ibid.

(3) Jennings, Bruce et al (2008): **Ethical Guidance for public Health Emergency, Preparedness and Response**, Highlighting Ethics and value in a vital Public Health, PP. 16-17.

(4) Humphreys, Joe (2020): Coronavirus: How can Philosophy help us in this time of crisis.

الأخلاقي مُمكننا".<sup>(١)</sup> ، وبالمثل يرى بانلسون أنه تكمن مهمة الفلسفة في رفض التشاؤم من المرض وعدم الجذع ، فمثلا واجه الفيلسوف الرواقي ماركوس أوريليوس وباء استمر ١٥ عاما خلال فترة حكمه كإمبراطور لروما جنبا إلى جنب مع الحروب والخلافات السياسية ، ومع ذلك ظل ماركوس هادئا طوال الوقت ولم يدع الخوف يأكله وكان صامداً ، كذلك ولدت الرواقية من رحم الكارثة ، فلقد أسسها زينون الإيلي بعد أن تحطمت سفينته بالقرب من أثينا ؛ وهي تقدم النصائح بشأن التعامل مع الكوارث ، ولقد كتب إبيكتوس إن ما يزعج الناس ليس الأشياء نفسها بل أحكامنا حول الأشياء".<sup>(٢)</sup>

### المبحث الثالث: التدابير الأبوية للصحة العامة في حالة الطوارئ (الاستثناء)

#### Parental Measures for Public Health in an Emergency (Exception)

أسلط الضوء في هذا المطلب علي طبيعة التدابير الأبوية للصحة العامة كنوع من الاستجابة لجائحة كورونا والتي تمثل حالة الاستثناء أو الطوارئ الصحية ، من حيث التعريف و الهدف و الأهمية الأخلاقية و موقف بروس جينينجس منها ، والوقوف قليلا أمام أهم التحديات الأخلاقية التي تواجه هذه التدابير الأبوية القسرية ، وعرض النقد الذي قدمه جورجيو أجامبين لموقف بروس جينينجس ؛ ثم نقد موقفه (نقد النقد)، وذلك على النحو التالي :-

في البداية ، أهتم بروس جينينجس بالاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا بسبب تأثيرها المدمر على المجتمع العالمي؛ وما أحدثته من معاناة كبيرة للبشرية ، ورأى أن جائحة كورونا تُمثل حالة طوارئ صحية عالمية، واعتبر فيروس كورونا من أهم التحديات الصحية التي تحتاج إلى اتخاذ تدابير فعالة احترازية ووقائية غير صيدلانية من الصحة العامة مثل إجراءات التباعد الاجتماعي والعزل والحجر الصحي المنزلي والإلزامي وتتبع وسائل الاتصال ، ولكن هذه التدابير قد تصبح تدابير أبوية كما في حالة الطوارئ أو الاستثناء مُتمثلة في الحجر الصحي الإلزامي أو العزل.

(1) Jennings, Bruce et al (2008): **Ethical Guidance for public Health Emergency, Preparedness and Response**, Highlighting Ethics and value in a vital Public Health

(2) Ibid.

ومن ناحية أخرى ،يستكشف بروس جينفيز الإجراءات التي يحتاجها الاستعداد والاستجابة لحالات الطوارئ الصحية، فيقول: " هناك إجراءات يطلبها التخطيط والتأهب لحالات الطوارئ الصحية العامة مثل الحجر الصحي الطوعي والإلزامي و التباعد الاجتماعي و مراقبة الهاتف المحمول و تخصيص الموارد النادرة و تقديم اللقاح ، وهذه الإجراءات يحتاجها الناس لحماية أنفسهم وحماية الآخرين ، ومن جهة أخرى ، لا يعني الاستعداد والاستجابة للجائحة تخزين الأطعمة والأدوية لأنه سيؤدي إلى نتائج عكسية . لذلك يقول جينينجس:" توضح أخلاقيات الاستعداد والاستجابة للطوارئ كيفية التصرف أثناء وبعد حالة الطوارئ ولكنها قد تتطوي على تقييد حرية الناس".<sup>(1)</sup> يوضح هذا النص أنه قد تؤدي التدخلات لحماية الصحة العامة إلى تقييد الحريات الفردية بسبب تلك التدابير الأبوية للصحة العامة في حالة الطوارئ الصحية ، فما هو المقصود بتلك التدابير الأبوية للصحة العامة في حالة جائحة كورونا.

ونظرا لأنه تنتمي أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا إلى أخلاقيات الصحة العامة التي تسمح بالتدخلات الصحية العامة من قبل الحكومة من أجل الاستجابة للجائحة ، وفي ذلك يقول بروس جينينجس: " تتعارض التدخلات الصحية من قبل الحكومة لمنع الضرر مع حرية الأفراد ، وذلك لأن كثير من التدابير الصحية إلزامية وأبوية وتتم بطريقة لا تتبع متطلبات الموافقة المستنيرة أو حماية الخصوصية أو السرية ، وذلك من أجل الحد من المرض وتعزيز صحة جميع أفراد المجتمع".<sup>(2)</sup>

صرح بروس جينينجس أن جائحة كورونا تحتاج من أجل مواجهتها والاستجابة لها ؛ إلى تدابير أبوية لأنها حالة طوارئ صحية أو استثناء، كما قام بتقديم تعريف لتلك التدابير الأبوية والتي تتمثل في التأهب والاستجابة للجائحة ، ووضح أهدافها ، وعرض أهم التحديات التي تصطدم بها مثل مشكلة تقييد الحرية والاستقلالية في الدول الليبرالية. طبيعة التدابير الاحترازية للصحة العامة أو الاستعداد والاستجابة للجائحة : من أهم سمات التدابير الاحترازية أنها تدابير استثنائية ، لذلك يقول جينينجس:" تعد التدابير

(1) Ibid. and see Jennings, Bruce's et al (2006): Public Health Ethics: Theory, Policy, and Practice, Oxford University Press, p. 36.

(2) Ibid, p. 170.

الاحترازية في أثناء الكوارث استثنائية لأنها تحمي الأرواح وتدافع عن الصحة ، ووقائية وغير صيدلانية" .<sup>(١)</sup> ولذلك يقول جينينجس : " هناك ضرورة أخلاقية في تقييم تلك التدابير الصحية الأبوية وأن تكون مُبررة أخلاقياً ، وأن تستفيد من أخطاء الماضي وأن لا نكررها ، لذلك فإن خطة الطوارئ ليست مجرد وثيقة بل هي عملية ونشاط بحد ذاته ؛ يمتد على مدى عدة سنوات؛ ويُعاد فيها النظر بشكل دوري" .<sup>(٢)</sup> **التأثير المزدوج لتدابير الصحة العامة وعلاجه:** يوضح بروس جينينجس أنه تؤدي تدابير الصحة العامة الناتجة عن الاستجابة لحالة الطوارئ الصحية إلي تأثير مزدوج ، فتلك التدابير من ناحية تؤدي إلى الحد من انتشار المرض والخسائر في الأرواح، ومن ناحية أخرى تؤدي إلى تدهور اقتصادي لا يمكن تخيله، ولذلك يقول : " حتى في أغني البلدان في العالم ، تؤدي تدابير الصحة العامة إلى ركوع النشاط الاقتصادي وإلى حدوث غيبوبة اقتصادية وأن كانت تحد من الخسائر في الأرواح ، وفي نفس الوقت فإن الانعاش الاقتصادي يهدد بمزيد من الاعتداءات على الصحة العامة " .<sup>(٣)</sup> كذلك من أشكال التأثير المزدوج لتدابير الصحة العامة ؛ أن الحفاظ على الأرواح يقتضي سنّ قوانين أبوية مثل قوانين الحجر الصحي الإلزامي ، ولذلك يقول جينينجس : " أن هذه الأبوية لا مفر منها عند التأهب للجائحة ؛ وذلك للحد من المرض والخسائر في الأرواح ، لذلك فأن بعض القرارات الصحية قد تصبح أبوية تحت ضغط الوقت ولها أسباب أخلاقية، لذلك قد يصبح القرار أبوي أثناء الأزمة " .<sup>(٤)</sup>

**أما عن موقف بروس جينينجس من هذه التدابير الاحترازية للصحة العامة :** فلقد طالبنا جينيفيز بالامتثال الطوعي لقرارات الدولة والحكومة في حالة الطوارئ والكوارث من أجل التأهب للطوارئ ، فقال : " يجب الامتثال الطوعي لقرارات الحكومة في حالات الاستثناء أو حالات الطوارئ ، وهذا يعبر عن ضرورة أخلاقية عامة؛ بالرغم من أن هذا الامتثال للناس قد يؤثر على حريتهم واستقلاليتهم المدنية ومصالحهم الأساسية ويعلق

(١) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Coved Crisis – A New Social Contract with Public Health, op.cit, p. 120.

(٢) Ibid.

(٣) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, op.cit, p. 68.

(٤) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit. p. 65.

الكثير من الحقوق " .<sup>(١)</sup> يوضح هذا النص عند بروس جينينجس أن أخلاقيات الاستعداد للطوارئ والتي تعبر عن حالة الاستثناء كما في حالة انتشار جائحة كورونا ؛ يجب الخضوع فيها لأوامر الدولة وقوانين الصحة العامة ، وهنا تظهر فكرة تقييد الحرية من أجل حماية صحة الفرد وتعزيز مصالح الفرد الفضلي .

### التحديات الأخلاقية التي تواجه الاستجابة للطوارئ الصحية أو لجائحة كورونا

إشكالية الحرية الفردية ومعارضة الأبوية : من أهم التحديات الأخلاقية التي تواجه الاستجابة للطوارئ الصحية أو تدابير الصحة العامة أثناء جائحة كورونا ، تقييد فكرة الحرية الشخصية لأن تلك التدابير الصحية أبوية ، ومن ثم يقول جينفيز: " نظرًا لأن الصحة العامة تسعى إلى حماية صحة السكان ، فأنها حتمًا ستواجه بمجموعة من التحديات الأخلاقية التي تتعلق فبالاحتكاك بين الحريات الفردية والحفاظ على الصحة العامة ، أو ما يمكن تسميته بالأبوية الحكومية " .<sup>(٢)</sup>

يميل التأهب للطوارئ والأزمات الصحية بطبيعته إلى الأبوية لأن إحدى مهامه توجيه السلوك أثناء الاستجابة لحالة الطوارئ بحيث تسود المصالح طويلة الأجل على المصالح قصيرة الأجل، وهذه الجوانب الأبوية لا مفر منها عند التأهب للجائحة وفي حالات الطوارئ الصحية ؛ من أجل الحد من المرض وتقليل الخسائر غير العادية في الأرواح " .<sup>(٣)</sup> يوضح هذا النص عند بروس جينينجس أنه دافع عن حالة الاستثناء والتي تُعبّر عن الاستعداد للطوارئ والتي تتعارض مع الاحترام المطلق للحرية الشخصية ولا تقبل الا بالأبوية المبررة أخلاقياً، لذلك قدم جينينجس تبريراً أخلاقياً لتلك الأبوية الموجودة في حالة التأهب للجائحة بدافع انقاذ الملايين من الأرواح ، والسؤال الآن ، هل تم قبول هذه الأبوية المبررة أخلاقياً بسلام ؟ ، يشير جينينجس إلى أن هناك معارضة ومناهضة لتلك الأبوية وعدم ثقة وتشكيك في تلك القرارات الصحية ، فيقول : " يرفض الكثير منا تلك

(١) Ibid. Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, op.cit

(٢) Jennings, Bruce (2007): Community in Public Health Ethics, Public Health and Civic Republicanism, Oxford University Press.

(٣) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, op.cit.

القرارات الأبوية في حالة الطوارئ لأنهم لن يكونوا مُستعدين للتنازل عن حريتهم الشخصية مقابل وعد بمزيد من الحماية والصحة، ولكن عدم الامتثال لتلك التدابير الأبوية له عواقب وخيمة".<sup>(١)</sup> وعلى هذا، يشير بروس جينينجس إلى التيارات المناهضة للأبوية في المجتمعات الليبرالية والتي ترفض زيادة سلطة الدولة وزيادة قوتها، فيقول: "هناك تيارات مناهضة للأبوية بشدة في الثقافة الأمريكية لأن الأمريكيون يقدرّون الحرية الفردية كما أنهم متشككون في السلطة ولا يخضعون لها، ولم يعودوا يؤمنوا بأن "الأب أعلم"، أو أن الطبيب يعرف أفضل"، لذلك يتشكك العديد من الأفراد في استخدامات القوة التي تدعي أنها تُصَب في مصلحة الأفراد الضعفاء أو في المصلحة العامة".<sup>(٢)</sup>

ومن ثم، فإن أهم تحدى أخلاقي يواجه الاستعداد والاستجابة للطوارئ الصحية أو جائحة كورونا هو عدم احترام الحرية والتضحية بها، فوجد جينينجس يقول: "يصبح من الصعب في حالة الطوارئ الصحية والاستعداد للجائحة أن يصبح الفرد حرًا لأن التدخل من قبل شخص ما؛ أمرًا لا مفرًا منه فعليًا، لأنه في حالة الطوارئ الصحية الخاصة بالأمراض المعدية؛ يصبح كل فرد ناقلًا محتملًا أو فعليًا للمرض، لذلك يمكن تجاوز الحقوق والحريات أثناء حالة الطوارئ عندما يكون هناك ضرر كبير ووشيك على الآخرين".<sup>(٣)</sup> يوضح هذا النص أن سلطة الدولة في اتخاذ التدابير القسرية قد تتجاوز الحقوق والحريات مؤقتًا؛ وكطرف استثنائي في حالة الطوارئ الصحية

ومن جهة أخرى، يوازن بروس جينينجس بين حق الحرية الشخصية وبين حق عدم الضرر، فيستخدم مبدأ "البديل الأقل تقييدًا"، ومن ثم يقول: "لا يجب التضحية بقيمة الحرية دون وزن أخلاقي مماثل، وتتم موازنة الحرية الشخصية دون وزن أخلاقي مماثل، وتتم موازنة الحرية الشخصية مقابل منع إلحاق الأذى بالآخرين والصحة والسلامة، ويجب استخدام البديل الأقل تقييدًا وهو وسيلة لتقليل الضرر وإظهار المزيد

(١) Ibid .And see Jennings, Bruce (2002): Ethics and Public Health: forging a strong Relationship, American Journal of public Health, New York, USA, 92 (2):169-170.

(٢) Bruce Jenning , John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit.

(٣) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, op.cit.



من احترام الحرية في حالة الطوارئ" .<sup>(١)</sup> ويعيد بروس جينغيز التفكير بين حقي الحرية ومنع الضرر ويحاول أن يقدم شروط تقييد الحرية ، فيقول : " يجب علينا أن نقيم مقارنة بين حق الحياة وحق الحرية ، أيهما ينتصر وأيهما له الأولوية ؟ ، ماذا عسي على الفرد أن يختار ؟ ، حق الحرية ، أم حق الحياة؟ ، وقد يشعر اختصاصيو الصحة العامة أن حماية الصحة العامة تُبرر تقييد الحرية ، ولكن يتم تبرير القيود علي الحرية فقط عندما تستمر القيود لفترة قصيرة ويكون الضرر الذي يلحق بالشخص قابلاً للجبر ، وعلى هذا فإن التوازن بين منع الضرر والحرية ليس سهلاً كما يبدو للوهلة الأولى لا سيما في مرحلة الاستعداد" .<sup>(٢)</sup> إذن هذه هي شروط تقييد الحرية عند جيننجس ، وإذا ما كان الاستعداد والاستجابة للطوارئ الصحية يتم باستخدام تدابير أبوية قسرية ، فهل معني ذلك أن معظم الناس يرفضون الامتثال إليها ؟ ، يجاوب بروس جيننجس فيقول : " يمتثل معظم الناس لتوجيهات الطوارئ الصحية ، كما أنهم يلجئون إلى السلطات للحماية والتوجيه ، أما القلة الباقية فهم ليسوا مُستعدين للتنازل عن حريتهم الشخصية مقابل وعد بمزيد من الحماية والأمان " .<sup>(٣)</sup>

ولذلك يقدم بروس جيننجس ضمان أخلاقي من أجل قبول هذه التدابير الأبوية القسرية وهو مُراقبة استخدام السلطة والتقييم المستمر لها ، لذلك يقول: " يجب أن يكون هناك مُراقبة مُستمرة لاستخدام السلطة أثناء تنفيذ خطط الطوارئ ، وذلك لضمان عدم اساءة استخدام السلطة ، وأن الاجراءات القسرية مُبررة في ظل هذه الظروف" .<sup>(٤)</sup> كما يشير في موضع آخر ، إلي ضرورة مُراقبة السلطة وتقييمها ، فيقول : " يعد تقييم الإجراءات الأبوية القسرية مُبرراً في مثل هذه الظروف وهو يدل على قياس فاعلية خطط الطوارئ وللتعلم من الأخطاء وعدم تكرارها في المستقبل" .<sup>(٥)</sup> بناء علي ذلك، فإنه يجب أن تصبح التدابير

(١) Ibid. And see Jennings, Bruce (2003): on Authority and Justification in Public Health· Florida Law Review, 55(5), pp. 1241-1242.

(٢) Jennings, Bruce (2005): Dependency, difference and the global ethics of long-term care, the Journal of Political philosophy 13 (4): 443-469.

(٣) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis – A New Social Contract with Public Health, op.cit.

(٤) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, op.cit

(٥) Bruce Jennings, John Aras ( 2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response

الأبوية مُشروطة وليست مطلقة، مُشروطة بالمراقبة المستمرة، وهذا يجعل تلك التدابير الأبوية مُبررة أخلاقياً ولها ضرورة أخلاقية، ومقبولة عالمياً.

ومن جهة أخرى ، لا يقبل بروس جينينجس بالحرية الفردية المطلقة ؛ ولكنه قبل الاستقلالية وهي على حد تعبير كانط "الحرية المسؤولة" ، ويضع شروط لهذه الاستقلالية أيضاً ، فيقول : " يجب أن تستند الاستقلالية إلى العقلانية ، باعتبارها الدافع الرئيسي للسلوك البشري ، لذلك فهناك تقاطع مؤلم بين الاستقلالية والحقوق والمسؤولية ، ولذا فإن الإكراه المبرر ضروري لصحة الناس والمجتمع والبيئة ".<sup>(١)</sup> ، ويوضح بروس جينينجس السبب في أن تقاطع الاستقلالية مع الحرية مؤلم بسبب المجتمع الليبرالي ، لذلك يقول : " هناك تصارع ليبرالي بين الأفراد مُقابل تقييد الحرية الفردية ، لأن الحرية الفردية أكبر قوة أخلاقية في المجتمع الأمريكي الليبرالي ، والسؤال الأصعب ، ما مستوى الاستقلالية التي يجب أن يضحى بها الأفراد والجماعات من أجل الصالح العام ؟ ، وهذا يتطلب وجود مستوى مُعين من الإكراه من قبل الدولة".<sup>(٢)</sup>

وعلي هذا ، لا يستبعد بروس جينينجس الإكراه المشروط في حالة الطوارئ الصحية أو جائحة كورونا ، لذلك يقول : " بالرغم من أن الإكراه ينبغي تجنبه إن أمكن ، إلا أنه لا يمكن استبعاده كقاعدة عامة وبشكل قاطع ، فقد تكون تدابير الحجر الصحي أمراً لا مفر منه ومُبررة أخلاقياً في ظل الظروف القصوى ".<sup>(٣)</sup>

اعتقد أن جينينجس حاول أن يمسك العصا من الوسط ، فتارة يدافع عن التدابير الأبوية القسرية أثناء الجائحة من أجل تقليل الوفيات وتارة أخرى يدافع عن الحرية المسؤولة لأنها أهم حق في حقوق الإنسان ، ثم في النهاية ، حاول أن يوازن بينهما باستخدام " مبدأ البديل الأقل تقييداً " والتركيز على الطريقة التي يتم بها تقييد الحرية ، لذلك يقول : " إن استخدام " البديل الأقل تقييداً " يحترم حق الحرية ويعارض حرمان الناس من حرياتهم بطريقة تعسفية غير مُبررة أو غير ضرورية ، لذلك فأن أسباب تقييد الحرية مُهمة

(١) Jennings, Bruce (2003): The perversion of Autonomy: Coercion and Constraints in A liberal Society.

(٢) Jennings, Bruce (1998): The perversion of Autonomy, the proper uses of Coercion and Constraints.

(٣) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, op.cit.

أخلاقياً ، تقييد حرية التنقل وتقييد حرية الاختيار ، وليست فقط أسباب تقييد الحرية ، ولكن أيضاً الطريقة التي يتم بها تقييد الحرية ، لذلك فإنه لن يكون التعدي على الحرية شديداً اذا ما أدرك الشخص أن الطريقة التي تم تقييده بها تتم بطريقة عادلة ومعقولة " (١). اذن هناك شروط أخلاقية قوية عند بروس جينينجس لتبرير تقييد الحرية في ظل الأزمات والجائحة ، واذا لم تتحقق مثل تلك الشروط تعتبر القرارات تعسفية وغير مبررة وغير مقبولة أخلاقياً ، ومن ثم يقول جينينغز : " ينبغي توخي الحذر في اصدار قرارات تعسفية تُقيد الحرية دون مُقابل ، لذلك فإن القرارات التعسفية وغير المستنيرة ليست مقبولة أخلاقياً حتى في حالة الطوارئ ، كما أنه ينبغي تحقيق فعالية الصحة العامة بأقل قدر من الإكراه " (٢) . ومن ثم، فليس من الغريب أن يدافع بروس جينينجس عن حق الأشخاص في عدم حرمانهم من حريتهم بطريقة تعسفية وفي نفس الوقت يدافع عن الأبوية المبررة ، لذلك يقول : " تعتبر الأبوية المبررة هي المصطلح المستخدم للتعبير عن فكرة تقييد الحرية من أجل حماية تعزيز مصالح الفرد الفضلى في حالة الاستثناء " (٣). في ضوء ذلك ، يجب أن تصبح الاستجابة الأخلاقية لحالة الطوارئ مثل جائحة كورونا بقبول حالة الاستثناء الأبوية والامتثال لقرارات الصحة العامة من تباعد اجتماعي وحجر منزلي طوعي والزامي وتطعيم اجباري وقرارات الفرز بشرط أن تصبح عادلة.

والسؤال الأخلاقي الآن: هل تم قبول هذه التدابير الأبوية من قبل الفلاسفة الليبراليين بمثل هذه السهولة ؟ ، نجد أن هناك العديد من الفلاسفة من رفض الامتثال لتلك القرارات الأبوية ومن أشهرهم نقد جيورجيو أجامبين *Gambian*

نقد جيورجيو أجامبين للتدابير الأبوية القسرية عند بروس جينينجس : أنتقد الفيلسوف الايطالي جيورجيو أجام بين (١٩٤٢ - ) هذه التدابير الأبوية ورفض الامتثال لها ، حيث تأسس فكر أجامبين على قراءاته لسياسة أرسطو وكتابه " الأخلاق النيقوماخية " ، ويصف حالة الاستثناء فيقول : " إن حالة الاستثناء التي تضعنا فيها الحكومات في أوقات

(١) Jennings, Bruce (2003): on Authority and Justification in Public Health· Florida Law Review, 55, pp. 1241-1242.

(٢) Bruce Jennings, John Aras (2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, p. 45.

(٣) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, chapter 1, op.cit

الأزمات أو في حالة الطوارئ هي حالة زائفة؛ لأنها تعمل على تقليص الحقوق وإبطالها؛ وهذه الحالة يتلاشى عندها المنطق، وفيها يتم تعليق القانون إلى أجل غير مسمى دون إلغاؤه<sup>(١)</sup> لذلك يرفض أجاميين حالات الاستثناء أو التدابير القسرية من الحكومة ويقدم أسباب أخلاقية لذلك، فيقول: "إن حالات الاستثناء تزيد من قوة وسيادة وسلطة الحكومات التي تستخدمها وقت الأزمات، وفي حالة الاستثناء يتم تعليق الحقوق وأهمها حق الحرية الشخصية".<sup>(٢)</sup>

ومن ثم، أنتقد جورجيو أجاميين حالة الاستثناء التي دافع عنها بروس جينينجس، لأن الحكومات تقوم باستغلال حالة الطوارئ والاستثناء وتفرض قوانين صحية وأحكام عرفية مثل حظر التجوال والسفر، وفي ذلك يقول أجاميين: "من أوضح الأمثلة على حالة الاستثناء هو استجابة الولايات المتحدة لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، واستغلالها كشرط دائم يضيف الشرعية على حالة الاستثناء باعتبارها النموذج السائد في حالة الطوارئ".<sup>(٣)</sup> يوضح هذا النص كيف حذر أجاميين من حالة الاستثناء ومن تعميم حالة الاستثناء التي تعني تشبيهاً دائماً للأحكام العرفية، وعلي هذا نقد أجاميين مفهوم السيادة والسلطة - الذي دافع عنه بروس جينينجس من قبل. ومن جهة أخرى، قدم أجاميين نقد فلسفي للسيادة والسلطة، حيث قال: "يرتبط مفهوم السيادة والسلطة بحالة الاستثناء، ولذا فإن تدابير الطوارئ التي تم تبنيها كاستجابة لجائحة كورونا من اغلاق وعزل غير محمودة وغير مبررة أخلاقياً".<sup>(٤)</sup> وكذلك يقول أجاميين: "أن انفاذ تدابير الحجر الصحي وحظر التجوال وحالات العزل والاعلاق امتثالاً لحالة الاستثناء رد فعل غير مُتناسب، ويعني مزيداً من السلطة المطلقة للحكومة، حيث الجميع محفوظ في قفص، لذلك يجب رفض القيود الخطيرة على الحركة، ويجب رفض تعليق الحياة اليومية لأن هذا يعني عسكرة

(١) Agamben, G (2015): State of Exception, Chicago, University of Chicago Press, p. 123.

(٢) Ibid.

(٣) Cald Well, Christopher (2020): Meet the Philosopher who is trying to Explain the Pandemic, Giorgio Gambian criticizes the "techno-medical despotism of quarantines and closings .

(٤) Gambian, G (2015): State of Exception, Chicago, University of Chicago Press.

حقيقية للمناطق والمدن ، و يشكل قيودًا خطيرة على الحرية " .<sup>(١)</sup> يوضح هذا النص عند أجاميين كيف رفض حالة الاستثناء ورفض التدابير القسرية من الحكومة التي تم اتخاذها من الصحة ، لذلك يرفض أجاميين ربط السياسة بالطب ويصفه بأنه ارتباط سخي ، فيقول : " إن قبول حالة الاستثناء يعني قبول تلك القبضة الشمولية الدراماتيكية على المواطنين بدافع الحفاظ على الصحة وحماية الأرواح ، لذلك فقد تم اختراع الوباء من أجل توسيع حالة الاستثناء " .<sup>(٢)</sup>

**نقد النقد:** اذا ما كان جورجيو أجاميين رفض حالة الاستثناء والتي تعني التدابير الأبوية للاستعداد للجائحة ، فأعتقد أن موقفه لم يستطع تبريره بما يكفي وحجته غير مقنعة للغاية ، في حين أن المبررات التي قدمها بروس جينينجس مقنعة للغاية لأنه جعل حالة الاستثناء مشروطة ، وهذا يتضح جليًا في هذا النص : " يجب على الأشخاص أن يمتثلوا لقوانين الصحة العامة ، وأن يراقبوا السلطة باستمرار لضمان عدم إساءة السلطة ، ونظرًا لأن حالة الطوارئ الصحية تشترط بعض التدابير الأبوية ، فإنه يشترط وجود المسؤولية الأخلاقية عن تلك القرارات الصحية "<sup>(٣)</sup> ، والجدير بالذكر أن ما يهم وقت الأزمات والكوارث الصحية وانتشار الأوبئة ، ليس هو الحفاظ على حريتنا واستقلاليتنا ، ولكن الحفاظ على سلامتنا بشكل جماعي ، ولا يجب اختزال المشكلة في أبوية القرارات الصحية أم التأكيد على استقلاليتنا ، لأننا بصدد كارثة صحية .

اعتقد أن بروس جينيفيز قبل حالة الاستثناء بشروط أهمها مراقبة السلطة والتقييم النقدي المستمر لها وأن يتحمل صانعو القرار المسؤولية الأخلاقية ، وهذا يشير إلى أن هناك ضرورة أخلاقية في تنفيذ تدابير الصحة العامة من أجل الاستعداد للجائحة حتى لو كان ذلك يعني زيادة سلطة الحكومة ، فهذا من أجل القيام بواجباتها ومسؤولياتها في حماية الأرواح أثناء الجائحة وحصر المرض والقضاء عليه ومنع انتشار العدوى والوقاية منه، لذلك يجب أن تتمتع الحكومة بسلطات تنفيذية من أجل ضمان أداء واجباتها أثناء

(١) Cald Well, Christopher (2020): Meet the Philosopher who is trying to Explain the Pandemic” ,op.cit.

(٢) Gambian, G (2015): State of Exception, op.cit.

(٣) Jennings, Bruce (2003):on Authority and Rational in Public Health. Vanderbilt University, p.19.

الجائحة لاحتوائها بشرط أن تكون تلك التدابير الأبوية مُبررة أخلاقياً، كما دعي جينينجس إلى استخدام البديل الأقل تقييداً، واهتم بالطريقة التي يتم بها تقييد الحرية ، لذلك اعتقد أن موقفه الفلسفي أقوى من جورجيو أجامبين ، كما أن أجامبين قد بالغ في عدم شرعية حالة الاستثناء في وقت الأزمات ، لذلك اعتقد أنها حالة مُبررة أخلاقياً من أجل انقاذ الأرواح .

ومن جهة أخرى ، أتفق مع بروس جينينجس حين قال : " لا ينبغي أن نُبالغ في ضرورة عدم شرعية استثناء الطوارئ في وقت الأزمات، لأن لها أهمية أخلاقية كبيرة؛ وتكمن قيمة التأهب لحالات الطوارئ حماية المجتمع والمحافظة على الماضي وحماية الحاضر وتعزيز المستقبل ، لذلك يعد الاستعداد للطوارئ مهمة أخلاقية معقدة " .<sup>(١)</sup> وعلاوة على ذلك ، فإن موقف بروس جينينجس من استخدام التدابير الأبوية المبررة ومراقبة وتقييم سياسات الصحة العامة يتفق مع سارة ألين ، حين قالت : " يجب مراقبة وتقييم سياسات الصحة العامة ، كما يجب أن يكون هناك مُساءلة عن تشريعات الصحة، كما يجب على الحكومات صياغة وسن القوانين بطرق تتماشى مع التزامات حقوق الإنسان ، كما يجب على الحكومة تزويد مواطنيها بأكبر فرصة لاتخاذ خيارات صحية " .<sup>(٢)</sup> والجدير بالذكر أنه اذا ما كان هناك مسؤولية أخلاقية تقع على الحكومات أثناء الأزمات من أجل منع انتشار فيروس كورونا ، فإنه يجب أن تنتج هذه المسؤولية الأخلاقية للحكومة سياسة مسؤولية تكون حساسة لمشاعر المجتمع ، لأنه كما يقول جينينجس : " تتلقي الصحة العامة أموالها من الجمهور، وتكتسب سلطتها القانونية من الجمهور، ويجب الحكم عليها من خلال خدمتها للجمهور ، طالما تم وضع ذلك في الاعتبار يمكن للتدابير الصحية أن تتجو من أي نقد موجهه لها " .<sup>(٣)</sup>

(١) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, op.cit, p. 45.

(٢) Sara Allan, et al (2004): Making Decisions on Public Health, op.cit, p.59. and see Martin : Law and Public Policy, international Cyclopedia of Public Health.

(٣) Bruce Jennings, Daniel Callahan (2002): Ethics and Public Health: Forging a strong Relationship, American Journal of Public Health

## المطلب الثاني: أخلاقيات التباعد الاجتماعي والحجر الصحي Ethics of Social Distancing and Quarantine

أردت من هذا المطلب أن ألقى الضوء على مفهوم التباعد الاجتماعي وأهدافه الأخلاقية عند بروس جينينجس، ثم أنتقل إلى الحجر الصحي الذي هو أهم أداة من أدوات التباعد الاجتماعي عند بروس جينينجس؛ وأناقش مفهومة وأنواعه وأسبابه؛ وأن أقف قليلاً أمام المخاوف الأخلاقية التي يثيرها الحجر الصحي عند جينينجس، مثل الإكراه والتأثير على الحرية وفقدان الأجور والبطالة وصعوبة الوصول إلى الإنترنت ونمط الحياة غير الصحي والخوف والقلق وعدم الشمول في فرض تدابير الحجر الصحي وتأثير الحجر الصحي على كبار السن .

### أولاً : التباعد الاجتماعي Social Distancing

يعد التباعد الاجتماعي\*<sup>(1)</sup> من التدابير الأبوية الصارمة التي فرضتها جائحة كورونا ، ويقول بروس جينينجس في مقالته : " ما بعد أزمة كورونا " : " أدت جائحة كورونا إلى فرض تدابير صارمة من الصحة العامة مثل التباعد الاجتماعي والحجر الصحي ومراقبة أجهزة الهاتف المحمول من أجل عزل المنطقة الموبوءة " .<sup>(2)</sup> ومن ثم فقد أدى تهديد جائحة

#### (<sup>1</sup>) التباعد الاجتماعي\* :

يعني التباعد الاجتماعي : " التدابير غير الصيدلانية وغير الدوائية للسيطرة على الجائحة ، وهو من أهم المكونات الأساسية لاستجابة الصحة العامة للأوبئة، والهدف منها هو تقليل انتقال العدوى ، وبالتالي تأخير ذروة الوباء ، ونشر الحالات على فترات أطول لتخفيف الضغط على نظام الرعاية الصحية " .

Min W. Fong and et al: Non pharmaceutical Measures for Pandemic influenza in No healthcare Setting – social Distancing Measures, volume 26, Number 5, Policy Review Centers for Disease Control and Prevention ، CDC, Emerging Infectious Diseases . ext Wave of Covid – 19 Vaccines, Global Health, Hasting Bioethics

H. A. M. J. Ten Have ويشير **تين هاف** إلى أن التباعد الاجتماعي يعني: " الانسحاب من التفاعلات الاجتماعية بسهولة، وقد يعني التباعد الاجتماعي وجود الحجر الصحي، العزلة الذاتية، الإغلاق من أجل السيطرة والاحتواء على الجائحة ومنع انتشار الفيروس، حيث يُعتبر المرض تهديداً واللقاحات أسلحة والفايروس عدواً

H. A. M. J. Ten Have (2020): Sheltering at Our Common Home, op. cit

**Michael. A Peter** ويوضح الفيلسوف مايكل أدريان بيتر معنى التباعد الاجتماعي فيقول : " يعني التباعد الاجتماعي الحفاظ على المسافة المادية والاجتماعية بين الأشخاص لمنع انتشار فيروس كورونا ، وهو البقاء بعيداً عن التجمعات والحفاظ على مسافة بين الآخرين عندما يكون ذلك ممكناً ، لذلك يُساعد التباعد الاجتماعي في منع حدوث ذروة المرض ؛ لأنه يمنعنا من الاتصال الجسدي مثل المصافحة

Pet , Michael. A (2020): Love and Social Distancing in the Time of Covid-19, the philosophy and Literature of Pandemics, pp. 755-756

(<sup>2</sup>) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Coved Crisis –Anew Social Contract with Public health, op.cit.

كورونا إلى اتخاذ تدابير غير مسبوقه؛ ومن أمثلة تلك القرارات؛ القرارات المتعلقة بالتباعد الاجتماعي و الحجر الصحي وأغلاق المدارس والجامعات وتخصيص الموارد النادرة وأولوية اللقاحات. (١)

يُشير بروس جينينجس في كتابه: "أخلاقيات الطوارئ" إلى أنه يجب الامتثال لمتطلبات خطط الطوارئ أثناء جائحة كورونا، ويجب الاستعداد للجائحة بالحجر الصحي والتباعد الاجتماعي والعزل لنصبح أكثر أمانًا. (٢)

**تدابير التباعد الاجتماعي ومبرراته: يجادل بروس جينينجس بأنه:** "من أهم تدابير التباعد الاجتماعي حظر التجمعات الكبيرة وأغلاق المدارس والجامعات والأماكن العامة وفرض حظر التجوال وغلق الشواطئ وإلغاء حفلات الزفاف من أجل إلغاء التجمعات الكبيرة". (٣)، وتوضح كلوديا اميرسون مبررات التباعد الاجتماعي، فتقول: "من أهم أسباب التباعد الاجتماعي الالتزامات الأخلاقية الثقيلة لأنه ينقذ الملايين من الأرواح ويؤدي عدم تحقيقه إلى ضرر كبير، وهناك التزام أخلاقي بتجنب الضرر لأن منع الضرر واجباً أخلاقياً، كما أن الفشل في حماية الآخرين يعرض الفاعل للوم الأخلاقي". (٤)

**هدفه:** يهدف التباعد الاجتماعي عند بروس جينينجس إلى: "تقليل انتقال العدوى؛ وبالتالي تأخير ذروة الوباء وتقليل حجم ذروة الوباء و تخفيف الضغط على نظام الرعاية الصحية؛ وهذا من أجل توفير اللقاحات في المرحلة المبكرة من الجائحة". (٥) وبالمثل، يهدف التباعد الاجتماعي عند ماين فونج إلى، لذلك يقول: "يهدف التباعد الاجتماعي إلى تأخير توقيت ذروة العدوى؛ حتى لا يغرق نظام الرعاية الصحية، كما أن هذا يقلل من مخاطر انتقال العدوى بين الأشخاص". (٦)

(١) Public Health Ethics Framework :A Guide for use in Response to the covid-19 Pandemic in Canada

(٢) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics ,op .cit.

(٣) Ibid.

(٤) Claudia Emerson, Peter Singer(2010): Is There an Ethical Obligation to Complete Polio Eradication, op.cit.

(٥) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics ,op .cit

(٦) Min W. Fong and et al: Non pharmaceutical Measures for Pandemic influenza in No healthcare Setting – social Distancing Measures.



وبناء على هذه الخلفية ، يري **ماين فونج** أن تدابير التباعد الاجتماعي مفيدة لاستجابة الصحة للجائحة ، لذلك يجب الامتثال لها ، ومن ثم يقول : " يمكن أن تكون تدابير التباعد الاجتماعي فعالة لتقليل انتقال العدوى وتخفيف أثر الجائحة ، لذلك ينبغي معرفة المدة المثلي لتلك التدابير " (1)

### \* ثانيا : الحجر الصحي Quarantine

أركز في هذا المطلب علي توضيح المقصود بالحجر الصحي، وإلقاء الضوء علي أنواعه، ومبرراته الأخلاقية عند بروس جينيفيز وعند الفلاسفة المعاصرين؛ لكي نتسع دائرة النقاش الأخلاقي وتقل الرؤية الأخلاقية، كما أعرض النقد الذي قدمه جورجيو أجامبين للحجر الصحي عند بروس جينيفيز وأقوم بنقد موقفه (نقد النقد) ، مُعتمده على وجهات نظر الفلاسفة الذين قبلوا الحجر الصحي ودافعوا عنه، وذلك على النحو التالي : -

**أولاً: تعريف الحجر الصحي:** " (3) يشير بروس جينينجس إلى معني الحجر الصحي

، فيقول : " يقصد بالحجر الصحي ، البقاء في المنزل ، وهو يعطي شعوراً بالأمان من

أجل المحافظة علي الصحة وتقليل الوفيات ، وعدم الامتثال لذلك له عواقب وخيمة، وقد

(1) ibid.

### ( الحجر الصحي: )<sup>2</sup>

يوضح فرانكلين وايت المقصود بالحجر الصحي ، فيقول : " يعتبر الحجر الصحي من أقدم الطرق المعروفة للسيطرة على انتشار الأمراض المعدية ، وبعد استخدام الحجر الصحي في أدق صورته ، انتهاكا مباشرا للحرية الفردية وهو مثال واضح على اتخاذ القرار الصعب المتعلق بحماية صحة السكان مع تقييد حقوق الفرد.

Franklin White، Lorann Stallone: Global Public Health: Ecological Foundations، Philosophical and Ethical Foundations of Public Health، Oxford University Press.

ويري **تين هاف** أن الحجر الصحي يعني الإيواء في المنزل ، أو البقاء في المنزل ، وأنه يجب علي الناس إغلاق جميع النوافذ والبقاء في منازلهم ، وغالبا ما ينظر إلى المنزل على أنه ملاذ أو ملجأ أو مكان آمن للراحة ، والفكرة الأساسية هي : " الانتظار حتي ينتهي الأسوأ " ، ثم أستأنف أنشطتك الحياتية مرة أخرى ، ويجب أن يصبح الحجر الصحي طوعي وهذا يتجنب دلالات الحجر الصحي الإلزامي أو العزل ، وبالرغم من أنه يقيد الحركة إلا أنه يناشد مسؤولية الإنسان ، وقد يسمح في الحجر الصحي المنزلي بالخروج من المنزل للضرورة من أجل شراء الأشياء الضرورية ولكن مع الحفاظ على تدابير التباعد الاجتماعي ووجود مسافة فعلية بين الأشخاص.

H. A. M. J. Ten Have (2020): Sheltering at Our Common Home, op.cit.

وقد يعني الحجر الصحي تقييد حركة الأشخاص وهي تدابير احترازية للحد من الاتصال بين الناس. ويعرف روس **أبشور** الحجر الصحي ، فيقول : " هو أداة حادة تستخدم للسيطرة على الأمراض المعدية ، وهو الوسيلة الوحيدة الفعالة للاستجابة لتهديد الأمراض والفيروسات الفتاكة المعدية .

Abshur، Ross (2003): Quarantine Ethics, Journal Ethics, 5(11), p. 393.

ويعرف **ماكس ويل** سميث الحجر الصحي بأنه : " مجموعة من الطرق الفعالة لتقليل وتيرة الاتصال الوثيق بين الناس من أجل تقليل المخاطر ومنع انتشار كورونا ، وهذا يتطلب من الناس البقاء في المنزل قدر الامكان

Max Well J. Smith, Diegosisilva (2020): Social Distancing, Social Justice and Risk During The Covid -19 Pandemic, Candia Journal of Public Health, 111(4), 459-460.

يرغب الناس في أن يكونوا مع أحبائهم أثناء تفشي مرض معين؛ ولكن يتعين عليهم عزل أنفسهم والبقاء في منازلهم".<sup>(١)</sup>

**ثانياً: أنواع الحجر الصحي :** يوضح بروس جينينجس حقيقة أن الحجر الصحي يعتبر من أهم تدابير الصحة العامة للاستجابة لجائحة كورونا ، وأنه نوعان ، حجر صحي طوعي وحجر صحي إلزامي ، لذلك يقول : " يُعبر الحجر الصحي الطوعي عن الحجر الصحي المنزلي المفروض من الذات ، وهو يعني الامتثال الطوعي ، بينما يُعبر الحجر الصحي الإلزامي عن البقاء في العزل في مكان مُخصص من الحكومات لهذا الغرض ، وهو يعني الامتثال الإلزامي ، وهذا العزل الإلزامي مُبرر أخلاقياً ، وقد يكون الحجر الصحي الإلزامي فيه إكراه، ومن أمثلة الحجر الصحي الإلزامي ؛حظر التجوال " .<sup>(٢)</sup> ، وعبارة أخرى، يُعبر بروس جينيفيز عن الفرق الأخلاقي بين الحجر الصحي الطوعي والإلزامي ، فيقول : " يُعتبر نهج الامتثال الطوعي أفضل من الناحية الأخلاقية من الامتثال الإلزامي ، وعلي سبيل المثال ، يَعد الحجر الصحي المفروض على الذات في منزل الفرد أفضل من الناحية الأخلاقية من الحبس الإلزامي في منشأة حكومية خاضعة لإشراف قوانين التباعد الاجتماعي " .<sup>(٣)</sup>

ويستكشف بروس جينينجس الفرق بين الحجر الصحي الطوعي والحجر الصحي الإلزامي ، فيقول : " إن الحجر الصحي الطوعي ليس فيه إكراه ، بينما الحجر الصحي الإلزامي فيه إكراه ، لذلك يجب على الحكومة تبرير الإكراه لأنها تحت تهديد صحي ، لذلك فإن هذا النهج القسري ضروري، ومن أمثلة الحجر الصحي الإلزامي ، الإغلاق ، "إغلاق المدارس والجامعات وحظر التجمعات الكبيرة وإغلاق النقل الجماعي والطيران ودور العبادة".<sup>(٤)</sup>

(١) Bruce Jennings, John Aras (2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, op. cit, p. 52.

(٢) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics ,op.cit.

(٣) Bruce Jennings, John Aras (2008) : Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, p.17.

(٤) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, op.cit, p. 52.

ويجادل بروس جينينجس بأن سياسات الامتثال الطوعي أفضل من الامتثال الإلزامي ، لذلك يقول : " يعد الحجر الصحي المنزلي أفضل من العزل في المستشفى الإلزامي " .<sup>(١)</sup> يوضح هذا النص أنه من المقبول أخلاقياً أن يُفضل الحجر الصحي الطوعي الذاتي عن الحجر الصحي الإلزامي في معظم السيناريوهات.

ثالثاً : المبررات الأخلاقية للحجر الصحي الطوعي والإلزامي عند بروس جينيفيز : يوضح بروس جينيفيز أهم أسباب قبول الحجر الصحي الطوعي ، فيقول : " من أهم أسباب قبول الحجر الصحي الطوعي ؛ أن الناس يخشون على حياتهم وصحتهم ، ويرون أن القيود مفيدة ومُبررة ، ويشعر الناس بأهمية عدم تعريض الآخرين للخطر من خلال الامتثال للحجر الصحي المنزلي " .<sup>(٢)</sup>

ويوضح بروس جينينجس ما هو المقصود بالحجر الصحي الإلزامي ، فيقول : " قد يُقصد بالحجر الصحي الإلزامي " العزل " ، وهو يعني فصل الأشخاص المصابين والتي تكون حالاتهم مؤكدة ، وتم الكشف عنها من أجل منع انتقال العامل المسبب للعدوى من المصابين إلى الأشخاص المعرضين للإصابة ؛ أو منع الأشخاص أن ينقلوا العامل المسبب للمرض إلى الآخرين ، وهذا من أجل منع الضرر ، وهو من أهم ممارسات سلطات الصحة العامة " .<sup>(٣)</sup>

ويستكشف بروس جينينجس مبررات الحجر الصحي الإلزامي ، فيقول : " هناك أشخاص لا يمثلون لأوامر الحجر الصحي الطوعي ، وقد يشكلوا خطراً جسيماً على الآخرين بسبب عدم رغبتهم في الامتثال للقيود السلوكية ، لذلك فهناك مبرر أخلاقي على إجبارهم علي القيام بذلك ، وبالمثل عندما لا يكون هنالك عدد كبير لا يمثلون للأوامر طواعية فيكون من المبرر أخلاقياً حظر التجوال ، وهذه السياسات الإلزامية لها ما يبررها " .<sup>(٤)</sup>

(١) Ibid, p. 50.

(٢) Ibid, p. 51.

(٣) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit.

(٤) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, op.cit.

ومن جهة أخرى ، يوضح بروس جينينجس المبررات الأخلاقية للحجر الصحي الإلزامي ، فيقول : " من دواعي الأسف الأخلاقي أنه توجد فئة من الأفراد لا يريدون أن يمتثلوا لهذه التدابير أو الحجر الصحي الطوعي ؛ وهم بذلك يشكلون خطراً جسيماً على الآخرين ؛ بسبب عدم رغبتهم في الامتثال لتلك القيود السلوكية ، لذلك فهناك مُبرر أخلاقي واضح في اجبارهم للقيام بذلك الحجر الصحي ؛ بإصداره قوانين حظر التجوال وتشريع الإجراءات العقابية مثل الغرامة والحبس لمن يكسر حظر التجوال أو عدم ارتداء الكمامة ، وهذه السياسات الإلزامية لها ما يبررها ، وهذه الحالات من الإكراه لها ما يبررها ، ومع ذلك ينبغي استخدامها بأقصى درجات ضبط النفس مع استخدام الاقناع العقلاني ".<sup>(١)</sup>

وعلاوة على ذلك ، يُعبر بروس جينينجس عن أسباب الحجر الصحي ، فيقول : " يُعتبر الامتثال الطوعي هو ما يتوقع من الأفراد في ظروف الجائحة ، لأن المخاطر ستصبح كبيرة وعدم الامتثال له مخاطر وعواقب وخيمة وفورية في بعض الأحيان ، وكما يخشى الناس على حياتهم فعليهم إلا يعرضوا حياة الآخرين للخطر ".<sup>(٢)</sup> كما أوضح بروس جينينجس أن هناك حجة أخلاقية قوية للحجر الصحي الإلزامي أهمها ، عدم الضرر والشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، لذلك يجب على الناس أن يشعروا بضمير حي يلزمهم بعدم تعريض الآخرين للخطر ".<sup>(٣)</sup>

رابعا: المبررات الأخلاقية للحجر الصحي الطوعي والإلزامي عند الفلاسفة المعاصرين أوضح بيتر سينجر **Peter Singer** أسباب الحجر الصحي الإلزامي بقوله : " هناك ضرورة أخلاقية في إغلاق المدارس بعد تفشي المرض وفترات الإغلاق المطولة وإغلاق أماكن العمل وإغلاق الخدمات الاجتماعية غير الضرورية لأنها تزيد من احتمالية انتقال الأمراض المعدية ، وكذلك من أمثلة الحجر الصحي الإلزامي والقسري و القيود المفروضة على السفر ، لأنه من المحتمل أن تؤدي تلك القيود الحدودية إلى تأخير انتشار

(١) Ibid.

(٢) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit.

(٣) Jennings, Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, op.cit.

الوباء والحد من انتشار العدوى وتقليل عدد الحالات واحتواء العدوى بنجاح".<sup>(١)</sup> يوضح هذا النص أن هناك بُعدًا أخلاقيًا جديرًا بالثناء الأخلاقي، يتمثل في المحافظة على تدابير الحجر الصحي.

كما أوضح روس أبشور **Ross Absurd** المبررات الأخلاقية للحجر الصحي ، وهي تتمثل في الإجراءات العادلة ، وأن تتفوق الفوائد المحتملة على الأضرار المتوقعة منه ، لذلك يقول : " من الضروري أن يكون هناك إجراءات عادلة للحجر الصحي لكي يصبح فعالاً ، وإلا فسيصبح الحجر الصحي مشكوكاً فيه أخلاقياً ؛ وليس له ما يبرره ، ويجب أن تتغلب نتائجه على العواقب السلبية المحتملة ".<sup>(٢)</sup> كما قدم لورانس جوستن **Gostin Lawrence** مبررات أخلاقية لمثل هذا التدخل الأبوي في الصحة العامة ، قائلاً : " هناك مبررات أخلاقية لمثل هذا التدخل الأبوي في الصحة العامة مثل المخاطرة على الآخرين ، بمعنى أن الحكومة تتدخل لمنع إلحاق الأذى بالآخرين ، أو تُعاقب الأشخاص لإلحاق الأذى بأنفسهم ، وأن من واجبها حماية مصالحهم من منظور أبوي " .<sup>(٣)</sup>

كما قدم هوبكينز ترافيلس **Hopkins Travels** عالم الأخلاقيات البيولوجية بجامعة هوبكينز ريدز ، مبررات أخلاقية قوية لقبول الحجر الصحي في مقاله : " الالتزامات الأخلاقية للتباعد الاجتماعي " والتي قدم فيها أسباب قوية للتباعد الاجتماعي والحجر الصحي ، حيث يقول : " من الواضح أن المساعدة في منع انتشار فيروس قاتل لها قيمة أخلاقية ، لأنه من المرجح أن يؤدي الاتصال الوثيق بين الناس إلى نقشي جديد ، لذلك يجب تجنب التجمعات الكبيرة وارتداء أغطية الوجه ؛ وهذا يعد مطلباً أخلاقياً، وله أسباب أخلاقية من أجل حماية أشخاص معينين؛ لدينا التزام مباشر تجاههم مثل أجدادنا ، فقد لا نُقدّر أنت حياتك ولكن عليك أن تحمي جدتك ؛ والسبب الآخر قد تُصبح أنت ناقل للمرض وتتسبب في ضرر كبير للآخرين ، لذلك يعد الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي

(١) Peter Singer, Claudia Emerson (2010): Is There an Ethical Obligation to Complete Polio Eradication, *Plume Metrics*, 17,375 (9723): 1340- 1341.

(٢) Ross Absurd (2003) : *Quarantine Ethics*, op.cit.

(٣) Gostin, Lawrence (2007) : *General Justifications for Public Health Regulation*, *Public Health* 121 (11) : 829-834.

فعلين أخلاقيين ومسؤولين ، لأنهما يولدان واجبين أخلاقيين بعدم الضرر واحتواء المرض (١)."

وإذا ما كان بروس جينينجس قد برر الحجر الصحي ورأى أنه ضرورة أخلاقية وله مبررات أخلاقية تُبرره ، فأنا نجد العديد من الفلاسفة رفضوا الامتثال للحجر الصحي الطوعي، واعتقدوا أنه يثير تحديات أخلاقية كثيرة ، وعلى رأسهم جورجيو أجامبين، وذلك على النحو التالي :-

**خامسا: نقد جورجيو أجامبين للحجر الصحي عند بروس جينيفيز :** رفض جورجيو أجامبين تدابير الحجر الصحي مُعتقدا أنه يُثير تحديات أخلاقية كثيرة ، مثل معضلة القيود على الحرية ، وفي ذلك يقول أجامبين : "يُعتبر فايروس كورونا حجة قوية لسحب الحقوق والخصوصية من المواطنين ، كما أن الحجر الصحي غير مُجدي ؛ لأن الحرب ضد عدوا غير مرئي هي من أكثر الحروب عبثية، كما أن القيود على الحرية تتسبب في تدهور العلاقات الإنسانية ، كما أن الحجر الصحي لا يحمي سوي المسنين ويتسبب في شلل اقتصادي ، وتُجبرنا أحكام الطوارئ على العيش في ظل حظر التجوال ، لذلك فقد تمّ اختراع الوباء ، ومن ثم ، فإن إنفاذ تدابير الحجر الصحي تُعبر عن رد فعل غير مُتناسب أو عسكرية حقيقية للمناطق والمدن، ويتم قبول الحجر الصحي باسم الرغبة في الأمان ؛ ولا يجب أن تصبح هذه العزلة طريقتنا في الحياة ؛ ولا يجب توسيع حالة الاستثناء وقبول تدابير الحجر الصحي الكلي ؛ بل فقط عزل المصابين أو المنطقة الموبوءة ". (٢)

ومن جهة أخرى ، يقول أجامبين : " لا توجد مبررات واضحة للحجر الصحي الكلي

، كما قد يستخدم الحجر الصحي في مناطق دون أخرى ويشعر السكان بالظلم ". (٣)

**نقد النقد: ١-** إذا ما كان أجامبين رفض الحجر الصحي ؛ ورأى أنه لا توجد مبررات قوية له ؛ وأنه يلحق الظلم بالسكان ، نجد بروس جينينجس يُقدم مبررات واضحة للحجر الصحي ؛ وأهمها عدم الحاق الضرر بالآخرين ، كما أنه يصر على ضرورة أنفاذ تدابير الحجر الصحي بشكل عادل وإنساني ، قائلا : " لا ينبغي عزل المجموعة كلها ؛ بل عزل

(١) Hopkins, Travels (2020): The Ethics of Social Distancing and Why it Doesn't Rule out protesting, Justin Weinberg, Philosophy Documentation Center.

(٢) Bellazzi, Francesca (2021): Covid -19 Calls for Virtue, Corona virus and Philosophy.

(٣) Ibid.

المجموعة التي ظهر فيها المرض فقط ، وينبغي التأكيد كثيرًا على الشمول في فرض تدابير الحجر الصحي على كل السكان وليس على مجموعة معينة كالسود أو المهاجرين؛ لكي لا يحدث صَرَر مُفرط وعنصرية بغیضة<sup>(١)</sup>.

٢- كان جورجيو أجامبين متطرفًا ومبالغًا في موقفه من الحجر الصحي ؛ لأنه يمكن تَبْرِير الحجر الصحي بمنع الحاق الضرر بالأخرين ، كما أن هنالك التزامًا أخلاقيًا بعدم الضرر، كما أنه يُلبّي العديد من المعايير الأخلاقية وأن كان مؤلمًا ، ويُعبر عن تجربة مُفرّعة ويثير الحزن والخوف والقلق والاكْتئاب ؛ ولكنه ضروري من أجل انفاذ الأرواح.

٣- يمكن أن يصبح الحجر الصحي الإلزامي مُشكلة أخلاقية عندما يكون غير مُبرر أخلاقيًا بما فيه الكفاية، لذلك غالبًا ما يُثار الجدل الأخلاقي بشأن الحجر الصحي الإلزامي ، ونجد ماثيو وينيّا: Matthew K. Wynia يقول: " يمكن أن تُؤدي الجهود المبذولة لفرض الحجر الصحي القسري من خلال السلطات العسكرية إلى نتائج عكسية ، لذلك يُعد الحجر الصحي فعالًا وطيّبًا حينما يكون مصحوبًا بجهود واسعة النطاق للتوعية والتثقيف الصحي ، ويجب أن يحتوي على مبدأ المعاملة بالمثل"<sup>(٢)</sup>.

٤- يجب على الدول تقديم مُبررات أخلاقية قوية للذين يخضعون للحجر الصحي الإلزامي والطوعي للمرضي غير الممتثلين ، كما أن الإكراه في الحجر الصحي يجب أن يصبح مشروطًا بتقديم الدولة مُبررات كافية للأشخاص الذين يخضعون للحجر الصحي .

٥- اذا ما كان هناك رفض للحجر الصحي لأنه يؤدي إلى العزلة ؛ فنجد الوضع مختلف تمامًا عند الفلاسفة ، لأنه كثيرًا ما أيد الفلاسفة العزلة بغرض التأمل ، فلقد اختار الفلاسفة العزلة بنية متعمدة ، فمثلا كان فيثاغورث يُمارس عبادة في العزلة بعيدًا عن الحياة الاجتماعية ، كما رأى ابن عربي في تحفته الرائعة " رحلة إلى رب القوة ": أن العزلة هي المطلب الأول لمسيرتنا الروحية<sup>(٣)</sup>. كما اعتقد الفيلسوف الأمريكي وليام جيمس أن فترة العزلة هي ما تجعلنا نفكر في حياة جيدة ، وهي التي تجعلنا نُحدد الأولويات في حياتنا ،

(١) Bruce Jennings, John Aras ( 2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, p.18.

(٢) K. Wynia, Matthew (2007): Ethics and Public Health, Emergencies: Restrictions on Liberty, The American Journal of Bioethics, 7 (2), 1-2.

(٣) Hopkins, Travis (2020): The Ethics of Social Distancing and Why it Doesn't Rule out Protesting، Justin Weinberg، op.cit.

كما اعتقد أرثر شوبنهاور بأهمية العزلة وأن شفاء الأرواح أهم من شفاء المرض ، وأنه بالعزلة تطيب النفوس .<sup>(١)</sup> ومما لاشك فيه أن العزلة التي ننشدها في الحجر الصحي تختلف تمامًا عن العزلة التي نادي بها نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) ، حين فضل الانعزال علي نفسه مُعتبرًا الآخرين حشرات المجتمع ، لذلك قال نيتشه في كتابه " هذا هو الإنسان " : " الرجل النبيل هو الذي يعتزل الناس ويبعد عنهم، وحينما يكون هناك رعا ع تتسم كل الآبار ، لذلك فأني بحاجة إلى العزلة ، سئمت من قرف الرعا ع " .<sup>(٢)</sup> كذلك نجد باشلار **Bachelard** في كتابه : " شاعرية الفضاء " ٢٠١٤ ، يقول : " هناك منفعة كبيرة من البقاء في المنزل ، فالمنزل هو المكان الوحيد الذي تضع فيه أفكارك ، فالمنزل هو الذي يسمح للمرء بالشعور بالسلام ، كما أن هناك ارتباطًا بين المنزل والأمان ، بدون المنزل يصبح الإنسان كائنًا مُشتتًا ، وفيه تبدو الحياة دافئة ومحمية ، وهناك ارتباط عاطفي بيننا وبين منازلنا لا يُنسي ، لذلك فحُضن المنزل هو عالمنا الأول " .<sup>(٣)</sup>

### المطلب الثالث: المعضلات الأخلاقية التي يثيرها الحجر الصحي

#### Ethical Dilemmas Posed by Quarantine

يُكمن هدفي في هذا المطلب ؛ تركيز الضوء على أهم المعضلات الأخلاقية التي يواجهها الأشخاص أثناء بقائهم في الحجر الصحي بسبب جائحة كورونا عند بروس جينينجس ؛ مع عرض وجهة نظر الفلاسفة المعاصرين أيضًا ، وتكمن المعضلة الأولى في التأثير على الحرية الشخصية و تقييد الحرية في بلد الحريات كما يزعمون !، بينما تكمن المعضلة الثانية في فرض الإكراه والقسر أثناء تنفيذ تدابير الحجر الصحي ، وهذا يتطلب تبريرًا أخلاقيًا، كذلك تكمن المعضلة الثالثة في فقدان الأجور والوظائف (البطالة ) أو معضلة فقدان الدخل ، وتظهر المعضلة الرابعة في الشعور بالخوف والقلق المستمر

(١) Paulson, Steve (2020): Can Philosophy offer a Light in the Dark?.

And see Weiner, Eric (2020): Philosophy for A time of Crisis, from Socrates to Camus, thinkers has asked how to respond when adversity turns our lives upside down. The wall street Journal.

(٢) فريدريك نيتشه (٢٠٠٧): هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة على مصباح ، منشورات الحمل ، ط١ ، بغداد.

(٣) Bachelard, G (2014): the Poetics of space, New York. Translated from the French by Maria Jolas, 1958, Beacon Press, Boston, United States of America.



والذي قد يتحول إلى اكتئاب ، وتكمن المعضلة الخامسة في مفارقة الحجر الصحي على كبار السن ، وأخيرا معضلة العنف المنزلي .

يشير بروس جينينجس إلى أن هناك مُعضلات أخلاقية كبيرة يواجهها الأشخاص بعد البقاء في المنزل مثل معضلة تقييد الحرية ، لذلك يقول: " ينبغي على الحكومة إيجاد تبريراً قوياً للإكراه والقسر ، ومع ذلك ينبغي استخدام أقصى درجات ضبط النفس ، وكذلك استخدام الاقناع العقلاني قبل استخدام المزيد من الإجراءات العقابية ، ومع ذلك لا ينبغي أن نقضي وقتاً طويلاً في اقناع الآخرين بالخطورة العالية بسبب ندرة الوقت لذلك يجب علينا أن ننقل من الاقناع إلى الإكراه تدريجياً " .<sup>(1)</sup> يوضح هذا النص عند بروس جينينجس أن قضية الحجر الصحي الإلزامي تُثير العديد من المخاوف الأخلاقية ؛ لأنها تصطدم بقضية الحرية الشخصية ؛ وأنه يمكن تجاوز الحقوق والحريات في حالة الطوارئ الصحية مؤقتاً .

**المعضلة الأولى : معضلة تقييد الحرية الإنسانية** ، عبر بروس جينينجس عن إشكالية الحجر الصحي الإلزامي والحرية الفردية ، فقال : " نظراً لأن الصحة تحمي صحة السكان ، فأنها حتماً تواجه مجموعة من التحديات الأخلاقية التي تتعلق في المقام الأول بالاحتكاك بين الحريات الفردية ، أو ما يمكن اعتباره أبوية حكومية ، لذلك يجب الموازنة بين فوائد وأضرار التدخل في الحرية من أجل الصحة " .<sup>(2)</sup>

كما يؤكد بروس جينينجس على أهمية القرارات الأبوية اثناء الأزمات الصحية ، فيقول : " أن هناك تحولاً في أخلاقيات البيولوجيا لصالح الأبوة عن الحرية والاستقلالية ، ولا ينبغي الاعتراف بمثل تلك الحرية السلبية التي تعني عدم التدخل أو عدم وجود عوائق للتصرف بناء على الإرادة الحرة ، فالحرية الإيجابية لا يظهر فيها الضرر ؛ وتحقق مثل إنسانية أكثر كمالاً كما تصورها العقل ، وهي ليست مناقضة للسلطة بل مناقضة للممارسة التعسفية للسلطة " .<sup>(3)</sup>

(1) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, chapter 1, op.cit.

(2) Jennings, Bruce (2006): Ethics and Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit.

(2) Jennings, Bruce (2006): Ethics, Public Health: Model Curriculum ,op.cit.

(3) Jennings, Bruce (2016): Re Conceptualizing Autonomy: A Relational turn in Bioethics. Hastings Centers Report 46 (3): pp. 11-16.

يوضح هذا النص موقف بروس جينغيز من الحرية التي يريدها ، وهي الحرية المعقولة التي لا تتعارض مع السياسة الصحية وتدابير الحجر الصحي المُبرر أخلاقياً . لذلك نجده يقول أيضاً : " من الصعب احترام الحرية المطلقة في حالة الطوارئ الخاصة بالأمراض المعدية ؛ لأنه يصبح كل فرد ناقلاً للعدوى محتملاً وفعالاً ، لذلك يمكن تجاوز الحقوق والحريات أثناء الطوارئ الصحية عندما يكون هناك ضرر كبير على الآخرين ؛ ومع ذلك لا يجب التقييد المفرط للحرية ؛ لأن له آثار جانبية غير مرغوب فيها ، ويجب استخدام مبدأ الوسائل الأقل تقييداً " .<sup>(١)</sup>

ومن جهة أخرى ، أوضح بروس جينجيس في كتابه " تحريف الحكم الذاتي : الاستخدامات السليمة للإكراه والقيود في المجتمع الليبرالي " ، حين قال : " إن الحرية والاستقلالية مرتبطان بالضرورة في الفلسفة الأخلاقية بتأثير ايمانويل كانط ، كما أن الاستقلالية في أخلاقيات البيولوجيا تعني أن نتحرر من القيود الخارجية وأن نعيش حياتك بطريقتك الخاصة ، دون مراعاة لمبدأ الضرر " .<sup>(٢)</sup> من الواضح أن الحق في الاستقلالية ليس حقاً مطلقاً أو مستقلاً ، ولكنه حق يمكن تقييده لمنع الضرر وعدم الحاق الأذى بالآخرين من أجل احتواء الجائحة .

ولقد برهن بروس جينجيس على أن أهمية الاستقلالية تتضاءل أخلاقياً أمام قيمة الصحة ، لذلك يقول : " إن هوسنا بالاستقلالية قد أخذنا إلى حافة الهاوية ، ولقد نسينا أن أخلاق الفطرة السليمة تُفيد الحرية الشخصية لصالح الصحة العامة ، كما أنه ليس جميع البشر يستحقون الحرية والاستقلالية حتى عندما تنتهك سلوكياتهم القانون أو اللياقة الاجتماعية ، لذلك فإن الفرضية القديمة التي تنص على أن كل البشر عقلانيون في الأساس قد ثبت عبثتها " .<sup>(٣)</sup>

(١) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit.

(٢) Jennings, Bruce (2003): the perversion of Autonomy: Coercion and Constraint in A Liberal Society, op.cit.

(٣) Ibid.

## المعضلة الثانية : معضلة استخدام الإكراه من السلطة أثناء تنفيذ تدابير الحجر الصحي عند بروس جينينجس، وموقف الفلاسفة المعاصرين منها

**أولاً:** موقف بروس جينينجس من استخدام الإكراه من السلطة أثناء تنفيذ تدابير الحجر الصحي: مما لا شك فيه ، أنه قد وافق جينينجس على استخدام الإكراه من قبل السلطة؛ وقدم مبررات أخلاقية على ذلك ، حيث يقول : " تعد الصحة حاجة إنسانية مهمة ، والصحة الجيدة ذات قيمة عالية ، وهناك دور حكومي للصحة العامة ، ومن ثم فإن هناك مبرراً لاستخدام الإكراه من قبل السلطة لأسباب عديدة ، وهذا أمر لا مفر منه من أجل الصالح العام " .<sup>(١)</sup> ، وكذلك يقول بروس جينينجس : " هناك مبرر أخلاقي واضح لإجبار الناس على القيام بطاعة السلطة ، بالرغم من أن هناك تقليداً طويلاً من الحريات المدنية ؛ لكن الأخلاق والقانون اعترفوا بأنه يمكن تجاوز الحقوق والحريات مؤقتاً أثناء حالة الطوارئ ؛ ولكن لا ينبغي إساءة استخدام السلطة " .<sup>(٢)</sup>

ولقد جعل بروس جينينجس استخدام الإكراه مشروطاً بعدم الإساءة وباستخدام البديل الأقل تقييداً وتقليل الضرر. ومن جهة أخرى ، يقدم جينينجس مبررات لاستخدام إكراه من جانب السلطة ، فيقول : " يُعبر الإكراه في السلطة عن السياسات الإلزامية التي يدعمها تطبيق القانون أثناء الاستجابة للجائحة ، وهو مقرون بضبط النفس والاقناع العقلي قبل الإجراءات العقابية ، ويهدف الإكراه في السلطة إلى الحفاظ على الأرواح " .<sup>(٣)</sup> ويجادل بروس جينينجس : " أنه تمتلك الصحة العامة سلطة قانونية من شأنها إكراه المواطنين من أجل الحفاظ على حياتهم ، وعلى سبيل المثال ، الإكراه على التطعيم للأطفال وتقييد التدخين في الأماكن العامة أو عن طريق الحجر الصحي لوقف انتشار الأمراض المعدية ، وتُمثل تلك التدابير الاحترازية والوقائية ؛ قوانين صحية ومعظم قوانين الصحة العامة وراءها غرض أخلاقي واضح وهو : حماية حياة المواطنين " .<sup>(٤)</sup>

(1) Bruce Jennings ، Daniel Callahan(2002): Ethics and Public Health : Forging a strong Relationship, American Journal of Public Health, 92 (2) : 169-176.

(2) Bruce Jennings, John Aras ( 2008 ) : Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, p. 30.

(3) Ibid, pp. 51-52.

(4) Bruce Jennings, Daniel Callahan: Ethics and Public Health: Forging a strong Relationship ، American Journal of Public Health

## ثانياً: موقف الفلاسفة المعاصرين من استخدام الإكراه في تنفيذ تدابير الحجر

الصحي:

في الواقع ، هناك وجهتان نظر متعارضتان بشأن استخدام الإكراه من السلطة أثناء تنفيذ تدابير الحجر الصحي ، هناك من الفلاسفة من أيد وهناك من عارض.

**وجهة النظر الأولى:** تعتبر وجهة النظر هذه عن الفلاسفة الذين تتفق وجهة نظرهم مع بروس جينغيز في قبول استخدام الإكراه من السلطة أثناء تنفيذ تدابير الحجر الصحي، مثل توماس دوجلاس و سارة كونلي و لورانس جوستن ، نانسي كاسي ، وذلك على النحو التالي :-

تتفق وجهة نظر توماس دوجلاس **Thomas Douglas** مع رؤية بروس جينجيس في قبول مستوى معين من الإكراه من قبل الدولة ، وفي ذلك يقول دوجلاس : " يعد الحجر الصحي الإلزامي والعزلة مُبررين أخلاقياً وتحت أي ظرف ، لأن فوائد الحجر الصحي تُبرر مستوى معين من الإكراه ، لكن يجب أن تكون الدولة قادرة علي تقديم مُبررات قوية لتنفيذ مثل هذه الإجراءات ، وهناك تبرير أقوى يتم توفيره من خلال مبدأ الإنقاذ الذي تفرضه الدولة ، لذلك قد تُجبر الدولة الأشخاص على الانخراط في أشياء لها فائدة كبيرة على الآخرين ، لذلك يجب علي الدولة أن تخلق الظروف التي تجعل الخضوع للتدابير القسرية واجباً أخلاقياً أساسياً على الأفراد ، وعندما تستطيع الدولة خلق مثل هذه الظروف ؛ يكون لديها أقوى مُبرر لتنفيذ مثل تلك التدابير الصحية القسرية أو القهرية ".<sup>(١)</sup>

كذلك تتفق وجهة نظر ساره كونلي **Sarah Conly** مع رؤية بروس جينجيس في تبرير الأبوية وهدم الدفاع الليبرالي عن الحرية الفردية المطلقة أثناء جائحة كورونا ، وتقدم دفاع نفعي عن الأبوية ، فنقول : " إننا غالباً ما نُصبح غير عقلانيين في اتخاذ القرار لدرجة أن خياراتنا المستقلة غالباً ما تقوض أهدافنا ، وهذا يعطي للحكومة حق في أن تمنعنا من التصرف وفق لقرارتنا ، فنحن كأفراد نقوم بأشياء تضر بنا ، وهذا يتعارض مع الطريقة التي نريد أن نعيش بها ، فنحن نأكل طعاما يجعلنا نعاني من السمنة وفشل القلب وأمراض أخرى ، ونستمر في التدخين ، ولدينا اعتقاد خاطئ بأنه من الخطأ التدخل

(1)Thomas Douglas, Hannah Maslin, Alberto Giubilini (2018): Developing World Bioethics 18 (2), 182-183.

؟ ، أعتقد أن هذا لا معني له وأنه من الواجب الأخلاقي إيقافني عندما أفعل خطأ أو يتعارض فعلي بشكل خطير مع فرص شخص آخر في الحياة".<sup>(١)</sup>

جادل لورانس جوستن **Lawrence Gostin** لصالح أخلاقيات الإكراه في الصحة العامة وتبرير قبول سلطة الدولة والحكومة ، حين قال : " يجب على الفرد أن يقبل سلطة الحكومة وأن لها مبررات أخلاقية قوية في التغلب على الاستقلال الفردي في ظل ظروف مناسبة ، وأن ذلك له ما يُبرره أخلاقياً بسبب قوة حجة الصحة العامة ؛ بما في ذلك الفوائد التي تعود على الجمهور والمخاطر التي يتعرض لها المجتمع".<sup>(٢)</sup>

كما توضح نانسي كاسي **Kass E Nancy** المبررات الأخلاقية القوية لقبول التدخلات الصحية القائمة على الإكراه مثل الحجر الصحي والتطعيمات الاجبارية ، فنقول : " من أقوى تلك المبررات الأخلاقية تحسين صحة السكان وليس الأفراد ، وأن تقلل تلك التدخلات من حدة المرض والوفيات ، ويجب تنفيذ ذلك بشكل عادل واستخدام إجراءات عادلة".<sup>(٣)</sup>

ومن جهة أخرى، يشير هاريس هولم **J. Harris** إلى أن هناك مبررات قوية لضرورة الامتثال لتلك التدابير القسرية الأبوية ، وإلى تضائل قيمة الحرية أمام قيمة الصحة ، لذلك يقول : " بالرغم من أن هناك معضلة أخلاقية في الحجر الصحي لأنه يعمل علي تقييد الحرية الفردية إلا أنه مُبرر أخلاقياً ، لأنه في حالة حدوث جائحة شديدة الوفيات ؛ قد يكون من المقبول أخلاقياً الامتثال القائم على الأدلة ، كما أن هناك التزاماً بديهيًا بعدم إلحاق الضرر بالآخرين ؛ من خلال عدم جعلهم مرضي".<sup>(٤)</sup>

(١) Conley, Sarah (2013): Against Autonomy, Justifying Coercive Paternalism, Cambridge University Press.

(٢) Gostin, Lawrence (2007): General Justifications for Public Health Regulation ، Public Health 121 (11) : 829-834

(٣) Kass E Nancy (2001): An Ethics Framework for Public Health، A American Journal of Public Health ، 1776-1777.

(٤) J. Harris et al (1995): Is There Amoral Obligation not Infect Others?، BMJ، Nov 4 ، 311(7014): 1215.

**وجهة النظر الثانية:** نقد الفلاسفة المعاصرين لسلطة الدولة التي تستخدم الإكراه وتتعارض مع الحرية الفردية ، من أمثال ميشيل فوكو ، كاكوك ، تشارلز هيلدرن ، كريستيان كونز ، تين هاف ، أندرو بارك ، وذلك على النحو الآتي :-

إذا ما كان بروس جينينجس قد رأى أن سلطة الدولة تحد من الحرية الفردية ، فأنا يمكننا أن نوازن بينه وبين الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو **Foucault Michel** في الثمانينات حين دعي إلى رفض ممارسة السلطة الأبوية من الحكومة ، قائلاً : " يجب أن تُحد الحرية الفردية من سلطة الدولة ومن سياسات التدخل ؛ لذلك يجب رفض الدولة البوليسية ومواجهة استبداد الدولة البوليسية ولا يجب السماح بتضخم رهاب الدولة ؛ ويجب رفض السلطة السيادية غير المبررة ".<sup>(١)</sup>

كذلك قدم **كاكوك Kakuk, p** وجهة نظر ميشيل فوكو حين رفض هو الآخر السلطة الحيوية ورفض عُنف الدولة وسلطة الدولة التعسفية ، ورأى أن احترام الحرية الشخصية هو مصدر الشرعية لسلطة الدولة ، وأن الدول التي لا تحترم حقوق مواطنيها ؛ لا ينبغي لها أن تتمتع بالسيادة أو السلطة عليهم ".<sup>(٢)</sup>

وإذا ما كان بروس جينينجس قد قبل الأبوة القسرية من الدولة في السياسة الصحية أثناء الجائحة ، فأنا نجد تشارلز هيلدرن **Charles Willis Hudlin** يقول : " إن الأبوة الجيدة هي التي تتطلب وسائل غير قسرية للسيطرة على السلوك المتعلق بالذات ".<sup>(٣)</sup> كذلك رفض أندرو بارك **Andrew Park** هذه التدابير الأبوية القسرية الأبوية المتمثلة في الحجر الصحي الإلزامي ، ودعي إلى ضرورة الاقتناع بدلا من الأبوية والإكراه ، لذلك يقول : " يُصبح الحجر الصحي مُفيدًا حينما يكون قائمًا على الاقتناع وليس الإكراه ، الاقتناع بخطورة عدم الامتثال لمتطلبات الحجر الصحي ونتائج عدم الامتثال غير المرغوب فيها ، وتلك هي شروط الحجر الصحي الفعال ".<sup>(٤)</sup>

(١) Foucault, Michel (2008): The Birth of Bio politics, Lectures at the college de France 1978-1979, Edited by Michel Senellart, Palgrave Macmillan, translated by GRAHAM BURCHELL, p. 185-239.

(٢) Kakuk, p. (2017): Bioethics and Bio politics, Chapter one, op. cit.

(٣) Hudlin, Charles Willis (2001): Ant paternalism and John Stuart Mill.

(٤) Andrew Park and et al (2006): When is Quarantine A useful Control Strategy for Emerging infectious Diseases?، American Journal of Epidemiology, 163 (5), 479-480.

ولقد تساءل كريستيان كونز Christian Coons، هل يجوز لحكومتك أو لأي شخص آخر التأثير عليك وإكراهك من أجل مصلحتك ؟ ، فيقول : " إن التدخل في حرية الفرد أو الاستقلالية بقصد تعزيز مصلحته وتجنب الأذى يثير الكثير من الجدل الأخلاقي ، هل ينبغي بهذه السهولة قبول الأبوة من قبل الأفراد أو من قبل الحكومة حتى لو كانت الحكومة غير قسرية؟" (١)

وكذلك رفض البروفيسور تين هاف قبول الإكراه من سلطات الدولة من أجل تبرير تعزيز الصحة واحتواء الجائحة ؛ لأن هذا يتعارض مع المجتمع الليبرالي ، لذلك يقول : " ترى المجتمعات الليبرالية أن الحجر الصحي والإلزامي والحجر الصحي في المنزل سياسة استبدادية لا تتفق مع الليبرالية ؛ حيث يؤكد الاغلاق والحجر الصحي القسري على تدابير الدولة الأبوية التي تتجاوز الحقوق والحريات الفردية ، ولا يجب أن يُعاني الغرب من تلك السياسات الاستبدادية لأنه مجتمع ليبرالي يهتم بحقوق الإنسان " (٢). يوضح هذا النص عند تين هاف أنه يستنكر الأبوية والسياسة الاستبدادية في البلدان التي تدعى الحرية فقط ، وكأن هناك بلدان من حقها الحرية وبلدان من حقها قبول القهر والاستبداد ؟! .

### معضلة فقدان الأجور عند بروس جينفيز وموقف الفلاسفة المعاصرين منها

تُسلط أزمة كورونا الضوء على الممارسات غير الأخلاقية من أصحاب الشركات والمصانع وعلى تجاهلهم لحقوق الموظفين والعمال في مثل هذه الظروف القاسية ، ومن ثم، يشير بروس جينفيز إلى أن هناك تحديات أخلاقية للحجر الصحي الإلزامي تتمثل في فقدان الأجور، وهذا له آثار سلبية سيئة، وقد يحدث بطالة عالمية تؤدي إلى الركود الاقتصادي في العديد من البلدان في العالم ، لذلك تؤدي تدابير الحجر الصحي إلى غيبوبة اقتصادية ، مع الوضع في اعتبارنا أن الانتعاش الاقتصادي يُهدد بمزيد من الاعتداءات على الصحة العامة " (٣) .

(١) Christian Coons, Michael Weber (2013): Paternalism: Theory and Practice. Cambridge University Press.

(٢) H.A.M.J.Ten Have (2020): Sheltering at Our Common Home, op.cit.

(٣) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit.

يوضح هذا النص عند بروس جينفيز مخاطر ومساوئ الحجر الصحي ، ولكن مع ذلك ، فإن هذه المساوئ والمخاطر تتضاءل أمام المحافظة على الأرواح والصحة العامة والحد من انتشار المرض

وإذا ما كان بروس جينينجس قد أستكشف مخاطر الحجر الصحي علي المجتمع ، وما يحدثه من ركود اقتصادي ، فإنه كذلك يوضح مخاطر الحجر الصحي علي الأشخاص وما يحدثه من فقدان الوظائف والأجور ، لذلك يقول : " هناك تأثير سلبي للحجر الصحي يتمثل في فقدان الوظائف ، وهذا يُنذر بتداعيات أخلاقية خطيرة، لذلك يجب حماية هؤلاء في المواقف غير المستقرة اقتصاديًا".<sup>(١)</sup>

ولقد عبر عن تلك المشكلة مايكل أوستن Michael Austin<sup>٢</sup> ، ، حين قال : " هناك آثار سلبية للحجر الصحي الإلزامي والطوعي على الموظفين والعمال ، فهناك تأثير سلبي للقيود التي فرضتها الحكومة ، لأن الدخل يتأثر سلبًا ، وهناك تداعيات أخلاقية خطيرة بعد البقاء في المنزل والحجر الصحي الطوعي والإلزامي ، وهو فقدان وظيفتك ، لأن وظيفتي بعقد مؤقت وليس دائمًا ، بالرغم من أنه هناك وعدًا غير رسمي بالتجديد ، ولكن هذا الوعد يمكن كسره في ظل هذه الأزمة الراهنة ".<sup>(٣)</sup>

كما عبر راندال كورين<sup>٤</sup> عن معضلة الدخل المفقود ، حيث يقول : " هناك مُعضلة أخلاقية للأشخاص الذين ربما تعرضوا للعزل الذاتي ولا يمكنهم تحمل البقاء في المنزل ؛ لأن هذا سيمنعهم من تلبية احتياجاتهم الأساسية أو احتياجات أسرهم لأن دخلهم مفقود ، وهذا يعد فشلاً في العدالة الاجتماعية ، وذلك حينما لا توجد ضمانات كافية للأجزة المرضية مدفوعة الأجر ".<sup>(٥)</sup>

ولقد وصف ماكسويل سميث Maxwall Smith معضلة فقدان الأجور بعد الحجر الصحي ، بقوله : " وضعت جائحة كورونا العالم على منعطف صعب ، وياتت أسبقية أن نبقى أحياء لها الأولوية لدي الجميع ، ولكن لكي نبقى أحياء يجب أن نكدح ونعمل ،

(١) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis –Anew Social Contract with Public Health ,op.cit.

(٢) مايكل أوستن هو أستاذ الفلسفة في جامعة كنتاكي ، متخصص في الأخلاق التطبيقية .

(٣) Austin, W. Michael (2020): Ethics in a Pandemic· Ethics for Everyone.

(٤) راندال كورين هو أستاذ الفلسفة ورئيس قسم الفلسفة وخبير الأخلاق ومتخصص الأخلاق البيولوجية والمعيارية

(٥) Curran, Randall (2020): Ethicists : Covid – 19 Pandemic, Awake Up Call.



وفايروس كورونا يبدو ضد مبدأ العمل ، فهي تدفع الناس للهروب من بعضهم البعض ، فلقد أفلس كثير من الشركات وفقدوا العمال عملهم " (١).

ويوضح مايكل بلانت **Michael Plant** تداعيات الحجر الصحي من بطالة وإفلاس ، بقوله : " هنالك تحديات أخلاقية خاصة بالحجر الصحي ؛ لأنه يؤدي إلى البطالة ، حيث يؤدي الاغلاق التام إلى تدهور اقتصادي ، وهناك مقايضة بين الصحة والبطالة ؛ وهذا خطأ أخلاقي، والمشكلة تكمن في خنق الاقتصاد من أجل إنقاذ الأرواح وخسارة الناتج المحلي الإجمالي والانكماش الاقتصادي وهذا الاغلاق التام لو استمر لفترة طويلة سيؤثر على الرفاهية ويؤدي إلى البطالة " (٢).

كما عبر **جورجيو أجامبين** عن معضلة الدخل المفقود ، بقوله : " في الحجر الصحي ستكون العائلات تحت ضغط اقتصادي لأن هناك هشاشة اقتصادية تحتاج إلى إصلاح شامل " (٣) . توضح هذه النصوص أن هناك حقين أخلاقيين يتصارعان ويتشاحنان وهما ، حق الصحة وحق العمل ، ولا سبيل إلى الصلح بينهما ، وحينئذ سيصبح علاج جائحة كورونا بالامتثال لتدابير الحجر الصحي أسوأ من الإصابة بفايروس كورونا نفسه؟، لذلك فما الحل الأخلاقي لتلك المعضلة ؟

يحاول **راندال كورين** حل معضلة الدخل المفقود أثناء جائحة كورونا بإيجاد نظام رعاية صحية شامل وعادل ، فيقول : " إن معضلة الدخل المفقود تُعبر عن الاختلافات الأخلاقية على مستوى المؤسسات والسياسات غير الإنسانية وغير العادلة ، لذلك فإن حل مُفارقة البقاء في المنزل هو وجود أجازة مرضية مدفوعة الأجر ، فإذا ما وجدت مثل هذه الإجازة المدفوعة الأجر ، فلن يواجه الناس مثل تلك المعضلة ، أو على الأقل لن يتحملوها بنفس القوة والحدة ، لذلك فإنه نفاق أخلاقي أن نُنادي بشيء ويعجز الأشخاص

(١) Maxwell Smith and Ross Upshur (2019): Pandemic Disease, Public Health and Ethics, The Oxford Hand Books of Public Health .

(٢) Michael Plant and Peter Singer (2020): When Will the Pandemic Cure be worse than Disease?, Business Fights Poverty.

(٣) Bellazzi, Francesca (2021): Covid -19 Calls for Virtue ، Corona virus and Philosophy، University of Bristol, Journal of Law and the Bioscience. Journal of law and the Biosciences, pp. 5-6 .

عن تحقيقه بسبب ظروفهم وكونهم مُعرضين لانعدام الأمن الغذائي ، كما أن هناك مسؤولية أخلاقية للحكومات في مثل هذه الظروف " (١).

يوضح هذا النص أن الحل يكمن في الإجازة مدفوعة الأجر ، والتي تُحسن من الامتثال للحجر الصحي والابتعاد عن العمل .

كذلك يشير هاريس هولم **J Harris** إلى أن الحل يكمن في التعويض عن الخسائر المادية وأن يكون التعويض مناسباً ، وفي ذلك يقول : " المشكلة تكمن في ذوي الدخل المنخفض الذين لا يستطيعون تحمل أجازة العمل غير مدفوعة الأجر ، لذلك يجب التعويض عن تلك الخسائر المادية " (٢).

#### المعضلة الرابعة : الخوف والقلق والشعور بالظلم

يُشير بروس جينينجس إلى معاناة القلق والخوف أثناء العزلة ، فيقول : " تفرض جائحة كورونا تحديات إضافية تتمثل في التباعد الجسدي والعزل ، وهنا يحتاج المواطنون سواء كانوا مُصابين أو غير مصابين إلى الدعم النفسي والجسدي ، وهي مسؤولية أخلاقية للنظم الصحية ، ومن الواجب تخفيف المعاناة والقلق والألم ، وتتفاقم معاناة المرضى بسبب التباعد الجسدي والبعد عن أحبائهم ، خاصة في نهاية العمر؛ عندما تكون فُرص الوداع محدودة أو غير موجودة ، مع تآكل ثقة المجتمع ؛ عندما ينظر بترقب عن التخلي عن المريض الضعيف ، وهذا ينجم عنه انهيار أخلاقي وتفكك واسع النطاق " (٣) ومن جهة أخرى ، يقول بروس جينيفيز : " إنه من الطبيعي أن يشعر الناس بالخوف والقلق بشأن المدة التي يحتاجونها للقضاء في المنزل ، كما أن هناك خوفاً وقلقاً مرضياً من فقدان الدخل ، خوف من الوصمة بهذا المرض " (٤).

يوضح هذا النص أنه يجب بذل الكثير من الجهود الأخلاقية لتقليل التأثير النفسي ؛ والذي يلحق بوصم الأشخاص الخاضعين للحجر الصحي.

(١) Curren, Randall (2020): Ethicists : Covid – 19 Pandemic, Awake Up Call ,op.cit.

(٢) J Harris et al (1995): Is There Amoral Obligation not Infect Others, 4 (311): PP.1215-1216.

(٣) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis –Anew Social Contract with Public Health, op.cit.

(٤) Jennings, Bruce (2013): The Hastings – Center Guidelines for Decisions in Life – Sustains Treatment and Care Near the End of Life: Revised and Expanded, 2nd Edition .

وبالإضافة إلى ذلك، يمكن التخفيف من حدة الخوف والقلق بطريقتين ، الأولى ، نظرية ، بمعنى الشعور بالهدف المشترك ، والتضامن ، وفي ذلك يقول بروس جينغيز : " لا شك أن الخوف والقلق سيظهران بقوة أثناء أي طوارئ صحية ، ويجب تجاوز هذه الدوافع والشعور بالهدف المشترك والتضامن ، ويجب أخذ التضامن على محمل الجد ."<sup>(1)</sup> ، أما الطريقة الثانية ، العملية ، باستخدام أجهزة الهاتف المحمول والتواصل الإلكتروني مع أقاربنا من أجل تخفيف حدة العزلة والقلق والخوف في العزل والحجر الصحي . ويمكن الشعور بالظلم بسبب عدم الشمول في فرض تدابير الحجر الصحي ، لذلك يقول جينغيز : " من الخطأ الأخلاقي عدم الشمول في فرض تدابير الحجر الصحي المنزلي والالزامي لأنه ينتج عن تلك التدابير القسرية التقييدية ضرر مُفرط على الآخرين الممثلين لتلك التدابير القسرية التقييدية ، فلماذا أنا في بيتي محبوس وأنت تُمارس التسوق وتتابع كل أنشطتك الحياتية ؟"<sup>(2)</sup>

### المعضلة الخامسة : معضلة كبار السن في وقت الحجر الصحي

عندما جاءت كورونا فضحت السياسات الصحية النفعية في الغرب ؛ ورغبتهم في التخلص من كبار السن والفئات الضعيفة ، فكبار السن في الغرب يُعانون بالفعل ، وجاءت كورونا وزادت من آلامهم ومعاناتهم ، ولقد عبر بروس جينينجس عن معاناتهم ، قائلاً : " في السنوات الأخيرة ، وثقت الدراسات البحثية التي تم نشرها على نطاق واسع ؛ سلسلة من المشكلات التي تبدو مُستعصية على الحل ، فيما يتعلق بجودة الرعاية المقدمة للأمريكيين في نهاية حياتهم ؛ من عدم كفاية المشورة وعدم كفاية التعاطف أو التواجد البشري ، وهذا يولد لديهم مُستويات عالية من المعاناة التي يُمكن الوقاية منها في نهاية الحياة " .<sup>(3)</sup>

كذلك يعبر بروس جينينجس في مقاله " التبعية والاختلاف والأخلاق العالمية للرعاية طويلة الأمد " ، ٢٠٠٥ ، فيقول : " يحتاج كبار السن إلى رعاية طويلة في الباقي من

(1) Jennings, Bruce (2012): The Place of Solidarity in Public Health Ethics, 21 (2), p.12.

(2) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit

(3) Jennings, Bruce et al (2010): Access to hospice care :Expanding boundaries ، overcoming barriers ، Palliative care: Transforming the care of serious illness 13 ، 159-160.

حياتهم من قبل أشخاص مُعينين هم مقدمو الرعاية ، ولكن من دواعي الأسف الأخلاقي أن المعايير الأخلاقية التي تقدم على أساسها الرعاية الصحية لهم ؛ هي معايير هشة بالفعل ومشروطة بالظروف الاقتصادية ، كما أن التفاوتات بين مقدمي الرعاية والشخص المسن ضعيفة للغاية ولا يحصل هؤلاء المسنين على رعاية جيدة أو دعم جيد<sup>(١)</sup>.

يُلفت بروس جينينجس انتباهنا إلى مُعانة كبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة في أثناء الحجر الصحي ، فيقول : " إن تدابير الصحة العامة مثل التباعد الاجتماعي والحجر الصحي المصمم للحد من انتشار الأمراض المعدية ، يطرح مشاكل إضافية على كبار السن والمرضى المسنين في دور رعاية المسنين ؛ وهم المجموعة الأكثر ضعفًا ، لأن هؤلاء الأشخاص غالبًا ما يعتمدون على المساعدات الخارجية أو على خدمة مقدمي الرعاية الصحية ، لذلك فإن الالتزام بتدابير الحجر الصحي يجعل هؤلاء الأشخاص كبار السن ؛ غالبًا ما يواجهون مصيرهم المأساوي ؛ لعدم وجود من يخدمهم ويقدم لهم يد المساعدة ، لذلك فإن هؤلاء الأشخاص هم من يدفعون الثمن النهائي لتلك التدابير القسرية وقد تكون العواقب وخيمة "<sup>(٢)</sup>.

ويقدم بروس جينينجس الحل الأخلاقي فيقول : " يجب تجهيز مقدمي الرعاية الصحية لتلبية الاحتياجات الخاصة للمسنين أصحاب الأمراض المزمنة في دور رعاية المسنين المنزلي ، ويقدم جينينجس حلاً أخلاقياً آخر ، فيقول : " قد تكون الرعاية مسؤولة في التمريض المنزلي أو الرعاية المنزلية التمريضية على المدى الطويل "<sup>(٣)</sup>.

ونتيجة لذلك ، تكمن إشكالية الحجر الصحي لكبار السن في أن الامتثال لتلك التدابير الصحي يُعرض حياة كبار السن للخطر ؛ لعدم وجود من يخدمهم ، كما أن عدم الامتثال أيضًا لتدابير الحجر الصحي يُعرض حياتهم للعدوى وجهازهم المناعي مُتهالك ولا يستطيع أن يقاوم الفايروس ، لذلك أعتقد أنه لا يجب ترك كبار السن بمفردهم

(١) Jennings, Bruce (2005):Dependency ، difference and the Global Ethics of Long-term care, The Journal of Political Philosophy 13(4)· 443-444.

(٢) Bruce Jennings ، John Aras ( 2008 ) : Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response· p· 73.

(٣) Jennings, Bruce (1988):Special supplement: Ethical challenges of chronic illness ، The Hastings Center Report ، Vol18 ،Issue 1, pp. 13-14.

(٤ ) Jennings, Bruce (2014) : Hospice Ethics, Policy and Practice in Palliative Care· Oxford University Press.

حتى في أسوأ الظروف الصحية يصارعون الموت، وأنه يجب على المهنيين الصحيين الذين يعملون في دور رعاية المسنين أن يتخذوا كافة الإجراءات الاحترازية لكي لا يلحقوا الضرر بالمسنين ، وعليهم أن يقدرُوا المسؤولية الملقاة على عاتقهم ، وأن لا يصبحوا أنانيين وهم يختاروا قرارهم ، لأن القرار في مثل هذه الظروف الصعبة يجب أن يُصبح إيثاري ومُستنير قدر الإمكان ، ويأخذ جميع الاعتبارات على محمل الجد .

### المعضلة السادسة: معضلة العنف المنزلي<sup>(١)</sup>

أشار بروس جينينجس سريعاً إلى معضلة العنف داخل المنزل ؛ وتعرض النساء في المنزل للقتل أو التعذيب أو العنف والإيذاء الجسدي والنفسي ؛ بسبب عمليات الإغلاق الإلزامية للحد من المرض ، و بعد البقاء في المنزل وتسريح العمال، وأنه ليست كل المنازل آمنة ، ولكنه أشار أيضاً أن هذه من أولى مهام علماء النفس وعلم النفس الأخلاقي<sup>(٢)</sup> في المقام الأول .<sup>(٣)</sup> يوضح هذا النص أنه يمكن أن تؤدي القيود المفروضة على الحركة إلى زيادة تواتر العنف في المنازل وزيادة خطورته، كما يؤدي عدم الاستقرار الاقتصادي

(٢٢٥) **العنف المنزلي**: هو مشكلة صحية عامة عالمية ، يأخذ أشكالاً مختلفة يؤدي إلى عواقب جسدية ونفسية كبيرة على الضحية والأسرة بأكملها ، تشمل المواقف التي قد تؤدي إلى حدوث نوبات من العنف في الأسرة العوامل الاقتصادية والسكن السيئ ، كما يؤدي عزل الحكومة القسري إلى مثل هذا النوع من العنف المنزلي ، ويجب الإبلاغ عن حالات الإساءة ، وقد يكون العنف جسدياً (الضرب والتعذيب والقتل ) ، جنسياً ، ونفسياً (الإذلال والترهيب) .  
Matteo Antonio Sacco et al (2020):The Impact of the Covid -19 pandemic on domestic violence : The dark side of home isolation، Medico –Legal Journal ،Vol. 88(2) 71-72.

### (١) علم النفس الأخلاقي: Moral Psychology

هو مجال للدراسة يجمع بين كل من علم النفس والفلسفة ، وهو يشير إلى موضوعات مختلفة تعبر عن تقاطع الأخلاق وعلم النفس وفلسفة العقل،

Doris, John, Stich, Stephen (2008): Moral Psychology, The Stanford Encyclopedia of Philosophy ، Stanford University.

Wallace, R. Jay (2007): Moral Psychology, The Oxford Handbook of Contemporary Philosophy ، OUP Oxford, pp. 88.

ومن أهم الموضوعات المشتركة بين علم النفس والأخلاق ،المسؤولية الأخلاقية ،الدفع الأخلاقي ، الإيثار ، الشخصية الأخلاقية وأخلاقيات الفضيلة.

Van Leeuwen et al (2019): The Psychology of Morality ، Review ، 23 (4): 363.

ويقدر علم النفس الأخلاقي بأن الأخلاق تعني حماية الأفراد وتركز بشكل أساسي على قضايا العدالة وعدم الضرر والرعاية والإنصاف والمعاملة بالمثل، ورفض المعاناة لدى الآخرين

Graham, Jesse, Jonathan Haidt (2007) : When Morality Opposes Justice ، Social Justice Research, 20 (1) : 113.

Jennings, Bruce (2016): Emergency Ethics ،op.cit‘ and see Curren, Randall (2020): Ethicists : Covid – 19 Pandemic, Awake Up Call.

والدعم الاجتماعي إلى سوء المعاملة المتصاعد وتفاقم الأوضاع الهشة بالفعل ، لذلك فإن الاستقرار الاقتصادي هو عامل حاسم في منع العنف الواقع على الزوجة ، كما تم إساءة معاملة الأطفال، ووقع عنف على الأطفال أيضًا بسبب إغلاق المدارس، لذلك فإن النساء والأطفال هم الأكثر عرضة للخطر في مثل هذه الظروف الصعب

### المبحث الرابع : أخلاقيات الاستجابة لجائحة كورونا(من الناحية العملية)

#### Ethics of Response to Corona

**تمهيد:** أركز في هذا المبحث على الاستراتيجيات التي يتم بها الاستجابة لجائحة كورونا ؛ مثل الاستجابة التقنية من خلال مراقبة الهواتف المحمولة من أجل معرفة المنطقة الموبوءة ،والاستجابة الصيدلانية العلاجية والتي تتمثل في أخذ اللقاح أو التطعيم لاستئصال العدوى الفيروسية ؛ وتعتبر سياسة التطعيم الصحية من أهم الاستجابات الدوائية الصيدلانية ، والتركيز على تخصيص الموارد الصحية النادرة في ظروف الجائحة، وما ينتج عنه من مشكلات العدالة ، والمنهج الأخلاقي الذي يجب أن نتبعه في مثل هذه الظروف.

### المطلب الأول: أخلاقيات تتبع الاتصال الرقمي(مراقبة أجهزة الهاتف المحمول )

#### Ethics of Digital Contact Tracing

**أولاً :** عند بروس جينينجس: اذا ما كان الحجر الصحي من أهم تدابير الاستعداد لمواجهة كورونا ، فإن تتبّع أجهزة الهاتف المحمول ومراقبتها من أهم عناصر مكافحة جائحة كورونا ،وذلك من أجل مراقبة المنطقة التي ينتشر فيها المرض؛ من أجل احتوائه والسيطرة عليه ، ويؤكد بروس جينينجس على ضرورة تتبع أجهزة الهاتف المحمول ، فيقول: " لا يجب عزل مجموعة بأكملها ، بل يجب عزل الأشخاص الذين يمثلون خطرًا حقيقيًا لنقل المرض من خلال تتبع اتصال الهاتف "(1) يُجسد النص السابق المبدأ الأخلاقي المتمثل في " استخدام أقل الوسائل تقييدًا " ، بمعنى حظر المنطقة الموبوءة وعزلها بدلاً من فرض الحجر الصحي على كل السكان ، ومن ثم فإن أخلاقيات تتبع الاتصال تساعد في فرض الحجر الصحي ،وتعمل على تخفيف إجراءات الإغلاق.

(1) Ibid.

وهذا هو ما أكد عليه روس أبشور Ross Abshur أيضًا حين قال: "يعد الحجر الصحي عنصرًا واحدًا من عناصر مكافحة الأمراض المعدية ، ومن غير المرجح أن تكون فعالة بمفردها ، وهي ليست بأي حال الطريقة الوحيدة للسيطرة على تفشي المرض ؛ لأنه يجب تتبع المخالطين من خلال مراقبة أجهزة الهاتف".<sup>(١)</sup> كما يوضح جيمس ويلسون James Wilson المقصود بتقنية تتبع أجهزة الهاتف المحمول ، فيقول: "يُقصد بتتبع أجهزة الهاتف المحمول ،التعقب الإلكتروني لتحديد موقع الأشخاص الخاضعين للحجر الصحي باستخدام التكنولوجيا وتتبع جهات الاتصال للمستخدمين ،وهو يُحدد مدي الامتثال لإجراءات التباعد الاجتماعي ؛وفيه يتلق الأشخاص المصابون للمريض إشعارًا بخطر الإصابة ؛ وينصحون بالعزل الذاتي لأنهم أصبحوا مخالطين لمريض مُصاب بالعدوى".<sup>(٢)</sup>

ثانيا :موقف الفلاسفة المعاصرين منه: هناك وجهتا نظر متعارضة بشأن استخدام مراقبة تتبع الهاتف: وجهة النظر الأولى : وهي التي تؤيد استخدام تتبع الهاتف وقامت بالثناء الأخلاقي عليه ، فمثلا يشرح اليكس ديبوف Alex Dubov قيمة "أخلاقيات تتبع الاتصال" في كبح عدوى فايروس كورونا ، فيقول: "يمكن أن يؤدي تتبع جهات الاتصال الرقمي إلى تسريع تحديد المرضي الذين تم تشخيصهم حديثاً ، وإبلاغ جهات الاتصال السابقة على الفور بخطر الإصابة بالعدوى، ودعم جهود التباعد الاجتماعي باستخدام بيانات تحديد الموقع الجغرافي؛ لفرض إجراءات الحجر الصحي والتنبؤ بمجموعات النقشي ؛ وهذا من شأنه أن يُغير من مسار الوباء وتخفيف إجراءات الإغلاق ويكبح جماح العدوى ، لذلك فإن تتبع الاتصال من أهم التدخلات غير الدوائية أثناء الجائحة".<sup>(٣)</sup> ومن جهة أخرى ، يُعبر استخدام تتبع أجهزة المحمول عن الحلول التكنولوجية الحديثة البعيدة عن الحلول التقليدية القديمة مثل الحجر الصحي الكلي ، ولقد عبّر لورانس بي ماكولولور Laurence McCullough عن هذه الفكرة حين قال: "يجب استخدام

(١) Abshur, Ross: Quarantine Ethics, op.cit, pp. 394-395.

(٢) Wilson, James (2016): Internal and External Validity in Thought Experiments, the WOBURN Suite –Senate House, University of London .

(٣) Alex Dubov, Steven Shoptawb (2020): The Value and Ethics of Using Technology to Contain the Covid -19 Epidemic.

التكنولوجيا لاحتواء جائحة كورونا بتتبع أجهزة الهاتف المحمول لحصر المنطقة المصابة وتتبعها، وهذا يمكن أن يُساعد في إنقاذ الأرواح؛ ويقدم الدعم المناسب في الوقت المناسب؛ ويتيح إمكانية الوصول بسهولة إلى المعلومات".<sup>(١)</sup>

كذلك يشرح أليكس دي بوف أهمية تطبيق تتبع الهاتف، فيقول: "يمكن للتكنولوجيا أن توفر طريقة للتخفيف من الإغلاق التقليدي دون التضحية بحماية المواطنين، ويعد التحديد السريع للحالات وعزلها بفضل تحديد الموقع الجغرافي أو بيانات البلوتوث؛ طريقة واعدة لتقليل معدلات الإصابة بالعدوى، فمن خلال متابعة الهواتف المحمولة يتم مراقبة الأشخاص الذين يطلب منهم الحجر الصحي المنزلي، يُراقب النظام اشارات الهاتف لتنبيه المسؤولين إذا ما ابتعد المرضى المعزولين عن عناوينهم أو إذا ما أغلقوا هواتفهم، وهذا التطبيق يُساعد في احتواء انتشار المرض".<sup>(٢)</sup>

وكذلك يقول جيمس ويلسون: "إنه بالرغم من المخاوف الأخلاقية بشأن الاستخدام غير الأخلاقي لهذا التطبيق، إلا أننا نجد الفوائد المتوقعة أكبر منه، مثل تقديم المشورة الأخلاقية الفعالة والعمل كمورد أخلاقي للاستجابة وتتبع انتشار الفيروس واحتوائه".<sup>(٣)</sup>

**وجهة النظر الثانية:** تُعبر عن التحديات الأخلاقية التي يواجهها هذا التطبيق؛ من حذف حق الخصوصية، فمثلاً نجد ماين فونج Min W. Fong يقول: "لا يوفر تتبع الاتصال سوى فائدة متواضعة ولا يوجد له سبب منطقي، وإنما له تكاليف متزايدة، لأنه يتطلب تتبع المخالطين موارد كبيرة، لأن عدد حالات المرضي وعدد حالات المخالطين ينمو بسرعة في وقت قصير، لذلك لا يوجد سبب عقلائي لذلك التطبيق".<sup>(٤)</sup>

ويوضح جيمس ويلسون طبيعة التحديات الأخلاقية التي أثارها هذا التطبيق والتي تتعلق بحماية الخصوصية، خصوصية البيانات، لذلك يقول: "آثار تطبيق تتبع الهواتف المحمولة مناقشات أخلاقية مهمة تؤدي إلى ضرورة وجود أخلاقيات لتتبع أجهزة

(١) McCullough, Laurence (2013): Ethical Issues in Pandemic influenza Planning، WHO.

(٢) Alex Dubov, Steven Shoptawb (2020): The Value and Ethics of Using Technology to Contain the Covid -19 Epidemic

(٣) Wilson, James (2016): Internal and External Validity in Thought Experiments ،Proceedings of the Aristotelian Society 116 (2) : 134-135.

(٤) Min W. Fong and et al: No pharmaceutical Measures for Pandemic influenza in Non Health Care Settings – Social Distancing Measures.



الهاتف المحمول؛ تهتم بفترة الاحتفاظ بالبيانات وترتبط مع أخلاقيات جمع المعلومات ، وذلك من أجل تقليل مخاوف الخصوصية ، كما أنه لا يمكن الوصول إلى جميع أجهزة الهاتف المحمول<sup>(١)</sup>.

أما بشأن التحديات الأخلاقية التي يثيرها تطبيق تتبع الاتصال ، فلقد تحدث اليكس بيدوف عن بعض الحلول الأخلاقية والتي من شأنها أن تجعل تطبيق تتبع الاتصال أخلاقياً ، فيقول : " البديل الأخلاقي هو تطبيق تتبع جهات الاتصال بعد الموافقة عليه من الأشخاص عند الكشف عن المعلومات بطريقة تراعي الخصوصية ، لذلك يجب أن يُوافق المستخدمون على مشاركة بياناتهم ، ويجب تطبيق تتبع الاتصال الرقمي بطريقة عادلة ومعقولة وغير عقابية "<sup>(٢)</sup> يوضح هذا النص أن الموافقة الفردية مطلوبة قبل إجراء تتبع الاتصال ؛ من أجل كسب ثقة المواطنين ومن أجل أن يصبح مُبرراً أخلاقياً ويُمكن الدفاع عنه.

**الحلول الأخلاقية:** اعتقد أن بروس جينينجس لم يقدم أي حلول لمشكلة تتبع الاتصال ، في حين وضع جيمس ويلسون مبادئ أخلاقية لضمان تطبيق تتبع جهات الاتصال بطريقة عادلة ، فقال : " هناك حاجة إلى الحفاظ على الشفافية لكسب ثقة الجمهور ، كما أن هناك حاجة إلى الأمن والأمان والخصوصية، كما يجب حماية البيانات وإجراء تقييمات مُستمرة لتطبيق تتبع الاتصال من أجل الحفاظ على الخصوصية ، كما يجب أن يصبح تنزيل التطبيق اختياري وليس اجباري " .<sup>(٣)</sup> ، ويرى آخرون : " يجب أن يصبح التطبيق أداة فعالة في السيطرة على تفشي المرض ، وأن يتم بالموافقة المستتيرة ، ويجب أن يظهر صانعو السياسات الثقة والالتزام بالشفافية والمساءلة ، ولا يجب استخدام الإكراه في تطبيق تتبع الاتصال للهواتف الذكية "<sup>(٤)</sup>أعتقد أنه يجب إضافة مبدأ التناسب إلى مبدأ الموافقة المستتيرة و الشفافية ، بمعنى أن يتناسب التدخل في الخصوصية مع إنقاذ الأرواح

(1) Wilson, James (2016): Internal and External Validity in Thought Experiments

(2) Alex Dubov, Steven Shoptawb (2020): The Value and Ethics of Using Technology to Contain the Covid -19 Epidemic' op'cit.

(3) Barrett (2013 ): Economic Consideration for the Eradication ' endgame ' Philos Trans ' ROCB' Philosophical Transactions of the Royal society, p. 368.

(4) Wilson, James (2016): Internal and External Validity in Thought Experiments, op' cit.

والاستجابة للجائحة ، كما يجب تفعيل مبدأ التقييم المستمر لتطبيق المراقبة ، وأن يكون تنزيل التطبيق طوعي وليس اجباري

### المطلب الثاني: أخلاقيات اللقاح (توزيع اللقاحات النادرة )

#### Ethics of Distributing Rare Vaccines

مما لا شك فيه ، أنه لن يتم القضاء على كورونا إلا بالاستئصال عن طريق التطعيم وأخذ اللقاح، وهو يعنى القضاء عليه في كل مكان ، لذلك فإن النجاح غير مؤكد أبداً؛ مالم يتم تحقيق الاستئصال ، وهناك بديل للاستئصال يُطلق عليه " السيطرة المثلى " ، لذلك فإن الاستئصال مهمة أخلاقية جريئة تعتمد على تعاون دولي ، لذلك فإن استئصال الأمراض المعدية يعمل على توفير المال و الأرواح ، وقد يتم الاستئصال باللقاح .

يشير بروس جينينجس إلى الأهمية الأخلاقية للقاح ، فيقول : " يعد اللقاح من أهم أنشطة الاستجابة للطوارئ والأزمات من أجل السلامة العامة ، وهو ضروري من أجل إنقاذ الأرواح وتقليل معدلات الإصابة بالمرض ، وحماية صحة أكبر عدد ممكن من السكان ، لذلك فهناك أهمية أخلاقية لهذه اللقاحات لأنها تحافظ علي الحياة ، والمحافظة على الحياة يجب أن نجعل لها أولوية قبل أي شيء وكل شيء " .<sup>(١)</sup> يوضح هذا النص السابق أن اللقاحات من أكثر التدخلات الطبية فاعلية من حيث التكلفة ، وأنها تستطيع بأذن الله أن تنقذ ملايين الأرواح ؛ وتحد من المرض بنجاح ، لذلك فهناك فوائد أخلاقية واقتصادية عظيمة للقاح.

وكذلك يوضح بروس جينينجس في موضع آخر إلى أن اللقاح من أهم الاستجابات والاستعداد للطوارئ ، فيقول : " يعني التلقيح الاستعداد للطوارئ أو الاستعداد لحدث كارثي في حد ذاته ، وهو يشمل مبدأ الإنقاذ ، إنقاذ الأرواح ومنع الضرر ، وهناك واجب أخلاقي في أن نقلل من الوفيات والإصابة والمرض والمعاناة بعد أخذ اللقاح ، وهذا يعتمد إلى تقليل الخسائر الاقتصادية " .<sup>(٢)</sup>

(١) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis –Anew Social Contract with Public Health ،op.cit.

(٢) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics ،op.cit.

وكذلك يوضح تايلور **C E Taylor** الأهمية الأخلاقية للقاح ، فيقول : " لما كان البشر هم المستودع الوحيد للفيروس ، فإن اللقاح يعمل علي وقف انتقال الفيروس بين البشر ".<sup>(١)</sup> وتكتشف **مرجريت ليو Margaret A.Liu** أهمية اللقاح على مدار تاريخ البشرية ، فنقول : " اللقاح هو الذي يوهن الفيروس ؛ لذلك يجب الاهتمام بتطوير اللقاح واختبار اللقاح ، وهناك فوائد صحية عالية قوية للقاح، فلقد قضي اللقاح على الجدري ، وأنقذ حياة ٤٠ مليون شخص على مدار العقدين الماضيين؛ كما قضي على مرض شلل الأطفال ، لذلك يجب تسهيل الحصول على اللقاح لأن له فوائد اقتصادية وأخلاقية".<sup>(٢)</sup>

ويوضح **جوناثان دي مورينو** المبررات الأخلاقية للاهتمام بالحصول على اللقاح ، فيقول : "هناك فوائد جمة لهذا اللقاح من أجل تدعيم مشكلة المناعة ، كما أن هذا اللقاح يلغي تدابير التباعد الاجتماعي والحجر الصحي وأغلاق المدارس والجامعات؛ لذلك يجب على صانعي السياسات تلقيح أكبر عدد ممكن من السكان بأسرع ما يمكن؛ بأنصاف قدر الإمكان".<sup>(٣)</sup>

وتقدم **كلوديا ايمرسون Claudia Emerson** العديد من المناقشات الأخلاقية حول أخلاقيات التحصين واللقاح وتكمن أهمية اللقاح في استئصال المرض نهائياً ، لذلك تقول : " يجب استخدام التطعيم واللقاح لوقف انتقال الفيروس، ويجب تطوير اللقاحات والقضاء على مسببات الأمراض ، لذلك فهناك حاجة أخلاقية لحمات التطعيم للحفاظ على استئصال المرض".<sup>(٤)</sup>

(١) C E Taylor, Feults and ME Taylor (2011): (Ethical Dilemmas in Current Planning for Polio eradication, Journal of Public Health.

(٢) Jeffery B Ulmer, Margaret A.Liu (2002): Ethical Issues for Vaccines and immization, Nature Reviews immunology, Vol2, pp, 291-292.

(٣) Jonathan D . Moreno et al (2021): Efficacy is Relative in a Public Health Crisis: Evaluating, the Next Wave of Covid – 19 Vaccines, Global Health, and Hasting Bioethics.

(٤) Claudi Emerson, Peter Singer (2010): is there an Ethical Obligation to Complete Polio eradication?, op.cit.

ويعبر جيمس ويلسون عن أهمية اللقاح ، فيقول : " تَهْدَف حملات التطعيم إلى خلق فوائد غير مُباشرة للآخرين من السكان؛ لذلك يعد التطعيم أخلاقي لأن له هدفًا أخلاقيًا جديرًا بالثناء الأخلاقي ؛وهو يحقق المصالح الفضلي لكل شخص ".<sup>(١)</sup>

كذلك تُعبر كيمبرلي تومبسون M. Kimberly Thompson عن أهمية اللقاح لأنه يعمل على القضاء على المرض ، ومن ثم تقول: " هناك أهمية أخلاقية في الحفاظ على كثافة التحصين للقضاء على عبء المرض ، وإذا ما انخفضت كثافة التحصين ستخفض مناعة السكان؛ ويمكن أن ينتشر الفايروس ".<sup>(٢)</sup>

والجدير بالذكر أنه ترتبط أخلاقيات التطعيم Vaccination Ethics بأخلاقيات استئصال المرض Ethics of disease eradication \*<sup>(٣)</sup>، لأن هدف التطعيم هو استئصال ، ومن ثم يري أرثر كابلان أن استئصال فيروس كورونا يعد هدفًا أخلاقيًا جديرًا بالثناء الأخلاقي ".<sup>(٤)</sup>

بعد أن عرضنا الأهمية الأخلاقية للقاح عند بروس جينينجس وبعض الفلاسفة المعاصرين، ننتقل إلى نقطة بالغة الخطورة ، وهي هل يجب أن يصبح اللقاح اجباري أم اختياري ؟ ، نجد بروس جينفيز يمثل وجهة النظر الأولى والتي يؤكد على التطعيم الاجباري ، ويرفض أن يكون اللقاح اختياري ، حيث يقول : " يمكن تجاوز حقوق المرضى بالتطعيم الاجباري لصالح هدف المحافظة على الصحة والاستئصال ".<sup>(٥)</sup>

(١) Wilson, James (2014): the Ethics of Disease Eradication, Vole 32, issue 52, London, pp, 7179 -7180.

(٢) Thompson ، M. Kimberly (2007): Eradication versus control for Poliomyelitis: An Economic analysis, 1363.

(٣) أخلاقيات استئصال المرض\* : تعني القضاء التام على الأمراض المعدية وإزالة جميع المخزونات المتبقية الموجودة في المختبرات ، لذلك فهو استئصال عالمي وإبادة المرض نهائيا لذلك فان استئصال المرض فهو عالمي ، أما القضاء على المرض فسيكون محليا في بلد معين .

S. Barrett (2013 ): Economic Consideration for the Eradication ، endgame ، Philos Trans ، ROCB، p، 368.<sup>(٣)</sup>

(٤) Caplan, Arthur (2009): is disease Eradication Ethical ، Vol373، issue 9682, pp. 2192.

(٥) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics ،op.cit.

ولقد اتفق مع وجهة نظر بروس جينينجس نظرية فاينر **F.Fenner** " تجريم عدم أخذ اللقاح " حين قال : " يجب سنّ مجموعة من القوانين التي تُحرم عدم أخذ اللقاح ؛ وتفرض عقوبات على عدم أخذ اللقاح ".<sup>(١)</sup>

أما وجهة النظر الثانية فهي التي ترفض التطعيم الإجباري ويمثلها مارجريت وجيمس ويلسون على النحو التالي : ترفض مارجريت التلقيح الاجباري وتقول : " هناك حقوق للأفراد في اختيار اتخاذ القرار بشأن التطعيم ، وانما يجب فقط بدلا من التطعيم الاجباري ، الوعي بخطورة عدم التلقيح أو التطعيم لأن عدم أخذ اللقاح يجعل الأشخاص مستودعات مُحتملة للعدوى ".<sup>(٢)</sup>

وإذا ما تعالت الأصوات بوجود مُبررات أخلاقية للتطعيم الاجباري ، فأنا يمكننا أن نجد جيمس ويلسون يرفض التطعيم الاجباري ، ويقول : " قد يبدو التطعيم الاجباري إشكالية أخلاقية ، ومن المرجح أن تصبح مشكلة رفض اللقاح مشكلة عامة ، كما أن هذا يقلل من الرفاهية ، لذلك لا ينبغي فرض التطعيم بالقوة لأن هذا يُمثل انتهاكاً لحقوق الإنسان ؛ويجب أن يوافق الشخص المراد تطعيمه؛ ولا ينبغي السماح بالإكراه في أخذ اللقاح ".<sup>(٣)</sup> اعتقد أنه يجب الوفاء بمبدأ عدم الضرر ومبدأ الإنقاذ مع مبدأ الموافقة المستنيرة عن طريق ، فمثلا عدم أخذ اللقاح له آثار جانبية وله مخاطر تعوق الحصول على الفوائد الصحية ، ومن جهة أخرى ، فإن التطعيم الاجباري ينتهك الاستقلالية ومبدأ الموافقة المستنيرة ولكنه يفي بمبدأ عدم الضرر والإنقاذ.

ومن جهة أخرى ، فهناك تحدى آخر يواجه اللقاح ،وهو صعوبة أخذ اللقاح عند أشخاص مُعينين لديهم ظروف خاصة ، وهذا التحدي عبرت عنه كلوديا ايمرسون حين قالت : " هناك تحديات أخلاقية تقف أمام أخذ اللقاح ؛لأنه يحتاج إلى مناعة قوية، وكذلك الأشخاص الذين يعانون من أمراض مُزمنة، حيث يؤدي الاستخدام المطول للعلاج إلى

(١) F.Fenner A.Liu، Jeffrey B. Ulmer (2002): Ethical Issues for Vaccines and Immunization، Nature Review immunology، vol2، p، 291.

(٢) Petre، Klepac، C. Jessica (2012): Towards the endgame and beyond، complexities and Challenges for the Elimination of infectious Disease.

(٣) Wilson، James (2014): the Ethics of Disease Eradication، Vol. 32، issue 52، London، pp. 7179 -7180.

تكيف الفيروسات وهروب فاعلية اللقاح<sup>(١)</sup>، أما بالنسبة لموقف بروس جينينجس فنجد أنه قد أباح فرض التطعيم وأخذ اللقاح ، ونادى بأنه : " يجب رفض المبادئ النفعية في الحصول على اللقاح والتي تجعل الأولوية للشباب والأصغر سنا والأشخاص ذو البشرة البيضاء ، وإذا لم نفعل ذلك ، سنكون وقعنا في الفشل الأخلاقي ".<sup>(٢)</sup>

### المطلب الثالث: \* أخلاقيات الفرز والتقنين<sup>٣</sup> (تخصيص الموارد الطبية النادرة )

#### Ethics of Sorting and Legalization

كان للانتشار السريع لجائحة كورونا تأثير غير مسبوق على أنظمة الرعاية الصحية الحديثة، وأدى إلى ظهور عدد من القضايا الأخلاقية المعقدة ، ومن أكثر القضايا الأخلاقية إلحاحاً؛ تخصيص أجهزة التنفس الصناعي لمواصلة العمل في البيئات الخطرة، وتكمن المشكلة في كيفية التوزيع العادل لموارد الرعاية الصحية التي لن تكون كافية لكل شخص.<sup>(٤)</sup>

والجدير بالذكر ، أنه تتعارض أخلاقيات الفرز مع الأخلاقيات الطبية ، لأن الأخلاقيات الطبية تستند على قسم أبقراط وتهتم بمصالح المريض ، وعلى النقيض من ذلك ، يتطلب الفرز أن يتم استبدال المصالح الفضلي لبعض المرضى باحتياجات الآخرين ، وبالتالي تمثيل مصالح المجموعة بدلاً من مصالح الفرد<sup>(٥)</sup>.

(١) Claudia Emerson, Peter Singer (2010): is there an Ethical Obligation to Complete Polio eradication?, op .cit.

(٢) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit.

#### (٣) أخلاقيات الفرز:

ظهر الفرز أولاً في سياق ساحات القتال في القرن الثامن عشر من أجل التركيز على رعاية الجنود الذين سيموتون دون أي مساعدة طبية مقارنة مع الأشخاص الذين اعتبرت حالاتهم ميؤوساً منها ، وتطور الفرز بسرعة لتحديد الجنود الذين يمكنهم العودة بسرعة للمعركة ، ويتم استخدامه الآن لتحديد أولويات الأشخاص في غرفة الطوارئ ، وقد يعطى الفرز الطبي الأولوية لناس معينين . يعبر فرانكلين وايت Franklin Whit عن أخلاقيات الفرز فيقول : " عندما توجد حالة طوارئ صحية عامة ، نجدها تطغي على قدرة المجتمع على الاستجابة ؛ لأنه عادة ما تكون الخدمات الطبية غير كافية ، لذلك فهناك حاجة إلى التخطيط ووجود آليات لتخصيص الموارد النادرة والمحدودة، وقد يتطلب هذا تحديد الأولويات والتقنين والفرز.

Franklin White, Lorann Stallone: Global Public Health: Ecological Foundations, Philosophical and Ethical Foundations of Public Health, Oxford University Press.

(٤) Schwartz, Meredith Celine (2020): The Ethics of Pandemic, Planning and Response, 1 st Edition, Ryerson University.

(٥) Ibid.

**تعريف أخلاقيات الفرز أو التقنين:** يشير بروس جينينجس إلى أخلاقيات الفرز بأنها : "تعني تخصيص الموارد النادرة وتوزيع أجهزة التنفس الصناعي وأسرة المستشفيات والأدوية النادرة ، وتوزيع اللقاحات النادرة وتوزيع أجهزة التنفس الصناعي وأسرة المستشفيات والأدوية النادرة ، وتحديد من سيكون له الأولوية في الحصول على أجهزة التنفس الصناعي وسرير العناية المركزة أثناء الجائحة ، الشباب أم كبار السن ".<sup>(١)</sup>

ومن جهة أخرى ، يقول بروس جينينجس : " إن قرارات توزيع اللقاح وإعطاء أجهزة التنفس الصناعي لشخص ما دون الآخر يجب أن يكون لها أسباب أخلاقية ومبررات قوية ، ويجب أن يصبح القرار عادلاً وأخلاقياً ويتم بمنتهى الشفافية ، ويجب معرفة على أي أساس يتم اتخاذ القرار ؛ لأن هذا سيؤثر على من سيعيش ومن سيموت ، ولا يجب أن نجد أشخاصاً تعرضوا لحرمان غير عادل لأن جميع الأشخاص متساوون في الوضع الأخلاقي ".<sup>(٢)</sup>

ويقدم بروس جينينجس المعايير التي يتم على أساسها الفرز ، فيقول : " يجب إعطاء الأولوية للعاملين في الرعاية الصحية الذين يقفون في الخطوط الأمامية ومُصنعي اللقاح وناقليه وغيرهم من الأفراد الذين لا غني عنهم للحفاظ على البنية التحتية الحيوية ، كذلك يجب إعطاء الأولوية للفقراء والمهمشين وإنقاذ الشباب مع كبار السن ، كذلك يجب حماية مصالح الفئات الضعيفة ويجب تلبية الاحتياجات الأساسية للفئات الضعيفة ".<sup>(٣)</sup>

**التحديات الأخلاقية التي تواجه تخصيص الموارد:** أشار بروس جينينجس إلى التحديات الأخلاقية التي تواجه تخصيص الموارد مثل عدم اليقين الأخلاقي والندرة

(١) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics , op.cit.

تهدف أخلاقيات الفرز إلى تخصيص الموارد النادرة ، ومنع تكلفة الفرصة غير المقبولة وينصب تركيز أخلاقيات الفرز على الالتزام بتقليل الوفيات ، وتعارض أخلاقيات الفرز مع أخلاقيات المساواة بين الأشخاص ومع أخلاقيات الصحة العامة ، وفيه تصبح وفيات المرضى الأكبر سناً مبرره أخلاقياً في ظل ظروف الندرة الشديدة ، وهذه الوفيات للمرضى كبار السن لا يمكن تجنبها وستصبح مبررة أخلاقياً ، لذلك فإن أخلاقيات الفرز تعطي الأولوية للمرضى الأصغر سناً عن المرضى الأكبر سناً تطبيقاً لأخلاقيات الفرز والندرة الشديدة .

Schwartz, Meredith Celina (2020): the Ethics of Pandemic , op.cit.

(٢) Bruce Jennings ، John Aras ( 2008 ) : Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response ، p٠ 15.

هناك معضلات أخلاقية يتعرض لها مقدمي الرعاية الصحية وخاصة الأطباء في وحدة الرعاية المركزة تتعلق بالفرز ، وهي قرارات صعبة تتعلق بالتطعيم وأجهزة التنفس الصناعي ، كما أن كل الفئات العمرية متساوية ولها قيمة أخلاقية متساوية فلا فرق بين شباب وكبار السن.

(3) Ibid.

Rarity\*<sup>(١)</sup> وتعارض المبادئ الأخلاقية ، وفي ذلك يقول : " هناك صعوبات أخلاقية تواجه تخصيص الموارد مثل عدم اليقين الأخلاقي بزوال الجائحة أو عدم حدوث طفرات جينية في الفايروس وتحوره ، وندرة موارد الرعاية الصحية ومحدوديتها وندرة أجهزة التنفس الصناعي ، ووجود قيم متضاربة على المحك مثل قيمة إنقاذ أكبر عدد ممكن من الأرواح التي تتعارض مع حماية كبار السن ، لذلك تعد الأرواح التي يتم إنقاذها إشكالية ؛ بسبب قلة الموارد وتعارض المبادئ وصعوبة تحديد الأولويات ".<sup>(٢)</sup>

ولقد عبر بروس جينينجس عن مشكلة الندرة حين قال : " لا يجب أن تجعل الندرة الفشل الأخلاقي أمراً لا مفر منه ، ونجد أنفسنا في نهاية المطاف في حرب هوبز ؛ التي يصبح فيها كل شخص ضد الآخر ، أو في حالة الطبيعة الأولى ، وسننافس هوبز عليها ، وهذا يتمثل في أنه في أوقات الندرة ؛ لا يجب أن ننزلق إلى التضحية بكبار السن ".<sup>(٣)</sup> لذلك أعتقد أن الصعوبة الأولى التي تواجه تخصيص الموارد هي عدم اليقين ، والصعوبة الثانية تتمثل في ندرة الموارد الصحية من أجهزة التنفس الصناعي والأسرة وقفازات وغيرها من وسائل الحماية الشخصية ؛ وهذا أدى إلى صراعات أخلاقية للمهنيين الصحيين الذين يعملون في الخطوط الأمامية بسبب قراراتهم غير الأخلاقية في جعل الأولوية للشباب بدلاً من كبار السن؛ وهذا له عواقب أخلاقية خطيرة تدفع بأزمة إنسانية ، وتظهر الصعوبة الثالثة في تعارض المبادئ الأخلاقية وتضارب القيم الأخلاقية مثل قيمة تأمين أفضل النتائج الممكنة وإنقاذ أكبر عدد من الأرواح يتعارض مع قيمة اعطاء الأولوية لكبار السن ، وذلك على أساس نظرية الأدوار النفعية ، فما هي نظرية الأدوار؟.

يصرح بروس جينينجس إلى أن **نظرية الأدوار العادلة fair role theory** \*<sup>(٤)</sup> لا تهتم بحياة المسنين في وقت الجائحة وذروة انتشار الفايروس ، لذلك يقول : " تعني نظرية

أخلاقيات الندرة ، يوضح لورانس بي ماكولو أنه في ظل ظروف الندرة ، فإنه يصبح الهدف منع تكلفة الفرصة غير المقبولة لأن موارد الرعاية الصحية محدودة ، لذلك يقول ماكولو : " تعني أخلاقيات الندرة إدارة الموارد الطبية النادرة بشكل مسؤول لاسيما في ظل ظروف الندرة الشديدة ، ومن ثم تصبح قرارات الفرز مبررة أخلاقياً .

(١) Schwartz, Meredith Celena (2020): the Ethics of Pandemic ، Ryerson University .

(٢) Jennings, Bruce (2006): Ethics and Public Health Curriculum ، The Hastings Center.

(٣) Jennings, Bruce (2020): Beyond the Covid Crisis –Anew Social Contract with Public Health ، op.cit.

نظرية الأدوار العادلة\* : تعني أن الأشخاص الأصغر سناً لديهم متطلبات أقوى بالتدخلات المنقذة للحياة عن كبار السن لأن فرصهم أقل بسبب نقص مناعتهم ، والمعنى الضمني هو أن إنقاذ سنة واحدة من الحياة لشاب يقدر بأكثر من سنة واحدة من الحياة لكبار السن لأنهم استنفذوا أدوارهم العادلة.



الأدوار أن الأشخاص الذين بلغوا سن ٦٥ عاما قد حصلوا بالفعل على نصيبهم العادل من الفرص ، بينما الأشخاص الذين تبلغ أعمارهم من ١٥ إلى ٢٥ عامًا ، يستحقون فرص أكبر في الحياة ، بمعنى أن كبار السن قد عاشوا بالفعل حياتهم ، ومن ناحية أخرى ، لا يزال يتعين على الأطفال والشباب أن يعيشوا حياتهم وأدوارهم ، كما أنه يجب الوضع في الاعتبار أن تركيز الموارد على المرضى الميؤوس من شفائهم قد يكون في بعض الأحيان غير فعال بشكل رهيب ؛ ويتعارض مع إنقاذ معظم الأرواح" (١) ، وعلى هذا فإن هذه الحجة تعطي الأولوية للأصغر سنًا ، أو الأكثر إنتاجية للمجتمع لذلك أعتقد أنه ترتب علي نظرية الأدوار البغيضة ، أنه تم ترك كبار السن يموتون في بيوت المسنين في الغرب دون مد يد العون لهم بحجة أن الأنظمة الصحية قد شارفت على الانهيار ، ومن الصعب توفير أجهزة تنفس صناعي لكل المرضى ، وهذا يدل على تجاهل حقوق كبار السن ، ولكن المسن مثله مثل الشاب يتمتع بحق الحياة ، وهناك واجب أخلاقي في مساعدته للحفاظ على هذا الحق .

والسؤال الأخلاقي الذي يتبادر إلى أذهاننا الآن ، ما موقف بروس جينفيز من نظرية الأدوار ؟ ، أو بمعنى آخر ، هل قبل جينفيز إعطاء الأولوية للشباب علي حساب كبار السن والضعفاء ؟ ، وبمعنى ثالث ، هل قبل جينفيز معايير الفرز ؟ ، نجد ه يقول : " يجب اعطاء الأولوية لكبار السن والمسنين ، بالرغم من أن المجتمع سيدفع تكاليف باهظة ، ويجب رفض معايير الفرز النفعية التي تتعارض مع اعطاء الأولوية للضعفاء " (٢)

وعلى هذا رفض بروس جينينجس النظرية النفعية التي تطالب بجعل الأولوية للشباب فقط على أساس تعظيم الفائدة ، ودافع عن حقوق المسنين ، ورفض نظرية الأدوار العادلة البغيضة ، والدليل على ذلك نجده في كتاب جينينجس " إرشادات مركز هاسيتجنر لاتخاذ القرارات بشأن العلاج والرعاية التي تحافظ على الحياة بالقرب من نهاية الحياة " ، وفيه يقول : " يجب تقديم رعاية آمنة وفعالة ورحيمة بالقرب من نهاية العمر ، وهناك حقوق للمسنين لا يجب تجاهلها حتى في وقت ذروة الجائحة ، ولا يجب أن ننسى

(٤) Jankowski, Jane (2020): Ethical Standards in a Pandemic, Current and announced Ethical Dimensions of the Covid -19 Pandemic.

(١) Ibid.

(٢) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit

إنسانيتنا ونتجاهل حقوقهم وعطائهم مهما كانت المبررات".<sup>(١)</sup> يمكننا أن نستنتج من هذا النص ، أنه ينبغي تجنب الوصول إلى هذه النقطة غير الأدمية ، وأنه يجب رفض التضحية بكبار السن ، ويجب رفض المبدأ الأخلاقي النفعي الذي يقر اعطاء الفرصة لأولئك الذين لديهم أكبر فرصة في البقاء على قيد الحياة من أجل تعظيم الفوائد ، وتلك هي مبادئ النفعية البغيضة ، التي تقر بتعظيم الفائدة والمنفعة ، وهذا يتفق مع مبادئ الفرز .

ومن جهة أخرى ، أصر بروس جينفيز في كتابه "أخلاقيات المسنين" عن الدفاع عن تعزيز أفضل الممارسات الأخلاقية لمهني الرعاية الصحية والتي يجب أن تقدم في رعاية المسنين ، فجنده يقول : " يجب توجيه المزيد من الاهتمام الأخلاقي بالمسنين ورعايتهم على أكمل وجه في نهاية العمر".<sup>(٢)</sup> ومن ثم ، اعتقد أن بروس جينينجس أستطاع حسم هذا الخلافات في اعطاء الأولوية للمسنين والاهتمام بالرعاية المؤسسية لهم ؛ بالرغم من التضارب في القيم الأخلاقية لذلك تعد قضية تخصيص الموارد من أكثر القضايا المشحونة أخلاقيا وبها جدل أخلاقي كبير ، كما أتفق مع بروس جينفيز وأرفض حجة الأدوار العادلة التي ليست عادلة، لأنه من الإنصاف اعطاء الأولوية لمن هم أسوأ حالا مثل الأشد فقرا وضعفاً وأكثر مرضاً ، كما أنه في هذا الوقت العصيب لا يجب أن نجردنا الوباء من إنسانيتنا ولا يجب التخلي عن أجدادنا الأكبر سنا ولا يجب أن نتركهم يموتوا مهما كانت المبررات النفعية ، وفي الواقع ، لم تظهر هذه المشكلة سوى في البلدان التي تدعى التحضر وتتشدق بحقوق الإنسان.

وعلاوة على ذلك ، طالب بروس جينينجس بتلبية الاحتياجات الخاصة للفئات الضعيفة ، قائلا : " يجب التوفيق بين احترام كرامة الفئات الضعيفة والصالح العام ومنع الأذى والظلم والحفاظ على كرامتهم وصحتهم وحقهم في الإنقاذ والحماية والتطعيم والحصول على فرص في الحياة كاملة ، ولا يجب جعل العمر معياراً لتخصيص أجهزة التنفس الصناعي واللقاحات النادرة، لأنه ليس من المناسب أخلاقياً تقليل النفقات والتكاليف

(١) Jennings, Bruce :The Hastings – Center Guidelines for Decisions in Life – Sustains Treatment and Care Near the End of Life : Revised and Expanded ، 2<sup>nd</sup> Edition .

(٢) Jennings، Bruce: Hospice Ethics, Policy and Practice in Palliative Care, op, cit.

لأن هذا مُقلق من الناحية الأخلاقية ، ويجب تطوير معايير أفضل للقبول في وحدات العناية المركزة " (١).

في ضوء ذلك ، جعل بروس جينينجس الأولوية للفئات الضعيفة ، وحاول أن يستكشف مفهوم الضعف ورأى أنه لا يشمل كبار السن فقط ، فيقول : " يشير مفهوم الضعف إلى عدم المساواة الاجتماعية والإعاقات البيولوجية ؛ لأن الضعف يُقوض القدرات العملية للأفراد على الاعتناء بأنفسهم ، لذلك فهناك عار أخلاقي يمكن أن ينشأ عندما تصبح الموارد شحيحة والأنظمة الصحية تحت ضغط ، كما لا يقتصر الضعف على الذين يعانون من ضعف في النمو أو في الإدراك أو المصابين بمرض عقلي أو كبار السن ، كما أن الضعف أيضًا دال على الحرمان الاجتماعي والثقافي والعنقي أو الأشخاص الذين يتعرضون لتمييز عنصري أو الوصم بالمرض أو الفقر أو يعيشون في منطقة تفتقر إلى خدمات " (٢).

وإذا ما تساءلنا ، هل موقف بروس جينينجس من عدم تجاهل حقوق الأشخاص الضعفاء أثناء الجائحة يتشابه مع وجهة نظر غالبية الفلاسفة الغربيين ؟ ، سنجد أنه من دواعي الأسف الأخلاقي أن هناك الكثير من الفلاسفة من أيديا حجة الأدوار العادلة وإعطاء الأولوية للشباب ، بخلاف موقف جينينجس ، وهناك أقلية من الفلاسفة رفضوا حجة الأدوار العادلة مع بروس جينيفيز ، وذلك على النحو التالي :

**الفريق الأول :** وهو الذي رفض حجة الأدوار العادلة، نجد **كلارا كالي Clara Calia** تقول : " يجب إعطاء الأولوية للنزاهة والأخلاق من أجل مواجهة التحديات الأخلاقية في حالة الطوارئ الصحية ، ولكي نتجنب أن تصبح قراراتنا غير أخلاقية " (٣) وكذلك **يري جين ريجنير Gean Reignier** : " أن اعطاء الأولوية للشباب وترك كبار السن يواجهون مصيرهم بعد سحب أجهزة التنفس منهم يؤدي إلى نتائج مؤلمة ؛ ويهز قناعتنا الأخلاقية بعد فرز المرضى على أساس الأولوية للشباب ، لذلك فإن القرار باستبعاد كبار السن من

(١) Bruce Jennings, John Aras (2016): Emergency Ethics, op.cit

(٢) Jennings, Bruce et al (1983): The care of the terminally ill :Morality and economics, New England Journal of Medicine 309 (24),1490-1494.

(٣) Clara Calia, Corinne Reid (2020): Ethical Challenges in the Covid -19= a Toolkit for Supporting analysis and resolution .

غرفة العناية المركزة هو قرار معيب أخلاقياً، حتى بعد أن تجاوز عدد المرضى سعة أسرة العناية المركزة في العديد من البلدان ، وأن يصبح المبدأ النفعي هو السائد والذي ينص على "إنقاذ أكبر عدد ممكن من الأرواح واعطاء الأولوية للمرضي الذين لديهم أفضل تشخيص" ، حتى بعد أن يصبح أخصائيو الرعاية الصحية مُجبرين على إتخاذ خيارات مؤلمة تتعارض مع مبادئهم الأخلاقية، لذلك لا يجب التضحية بكبار السن مهما كانت المبررات والاعذار. "(١) وعلى هذا ،اعتقد أنه قد رفض جين ريجنير عدم قبول المرضى الأكبر سنًا في وحدة العناية المركزة وسحب أجهزة دعم الحياة منهم .

كما نُقرر ميرديث سيلين **Meredith Celena Schwart** ، أستاذ الفلسفة بجامعة رايرسون بتورنتو بكندا، أنه يجب حماية كبار السن في ظل هذه الظروف الصعبة ، لذلك تقول : " كان الانتشار السريع لجائحة كورونا تأثيرًا غير مسبوق على أنظمة الرعاية الصحية الحديثة ؛ وأدى إلى ظهور العديد من القضايا الأخلاقية المعقدة ، ومن أكثر القضايا إلحاحًا :تخصيص أجهزة التنفس الصناعي وعدم كفاية حمايتنا لكبار السن والقسوة المذهلة تجاه كبار السن وإقصاء كبار السن وذوى الإعاقة أو الأقل حظًا، وهذا يعبر عن فشلنا الأخلاقي العظيم ". (٢)

**الفريق الثاني : يري يانكوفسكي Jane Jankowski** أنه يجب التركيز على المرضى المتوقع شفائهم في ظل ندرة الموارد والأسرة وأجهزة التنفس الصناعي. (٣) ويصرح **جون H. Gown** أنه : " يجب سحب العلاج من المرضى الميؤوس منهم ؛ من أجل إنقاذ المزيد من الأرواح ، وذلك بعد أن واجهت أنظمة الرعاية الصحية تحديات أخلاقية غير عادية ؛ مُتمثلة في نفاذ أسرة المستشفيات وأجهزة التنفس الصناعي ، وهذا

(١)Reignier, Gean (2020): Ethical Dilemmas Due to the Covid-19 Pandemic, Annals of Intensive Care, 10(84) .

(٢)Schwartz, Meredith Celina (2020): the Ethics of Pandemic, op.cit. And see Schwartz, Meredith Celene (2020): The Ethics of Pandemics, Moral Respect, Objectification and Health care, Broadview press, an independent publisher in the humanities since.

(٣)Jankowski, Jane (2020): Ethical Standards in a Pandemic, Current and announced Ethical Dimensions of the Covid -19 Pandemic, op, cit.

يؤدي إلى قرارات صعبة وينتج عنه سيناريوهات مؤلمة بعد وصول المستشفيات إلى سعتها ، لذلك فإن الهدف ترشيد الموارد الشحيحة وإعادة تخصيص الموارد أثناء الجائحة ".<sup>(١)</sup> كذلك يجادل البروفيسور **لورانس بي ماكولو** لصالح أخلاقيات الفرز وتخصيص الموارد النادرة في وحدات العناية المركزة ، ولكنه رفض **الفرز العنصري** ، لذلك يقول : " لا يجب أن يُحرم مريض لديه فرصة معقولة للاستفادة من رعاية وحدة العناية المركزة ، ويجب أن نؤيد الفرز ولكن بشرط ، أن لا يستخدم الفرز على أساس التحيز البيولوجي أو العرق أو الجنس ، ويجب أن نأخذ في الاعتبار الفوارق الصحية مثل إصابة المريض بالسكر والقلب والذي يضعف مناعته ومن فرصة بقاءه على قيد الحياة ، ونظرا لقلة أجهزة التنفس الصناعي فإن المرضي الذي تتطلب شدة مرضهم البقاء في وحدة العناية المركزة قد يتم تسريحهم وعلاج المرضي الأقل خطورة ، ويجب أن يقبل الأطباء في وحدة العناية المركزة المرضي الأقل خطورة ".<sup>(٢)</sup>

وبشأن الحلول الأخلاقية لمعضلة تخصيص الموارد النادرة ، يقول بروس جينينجس : " يجب التفكير بشكل استباقي قبل الوباء ، لأن عدم الاستعداد الكامل للوباء وعدم تدعيم نظام الرعاية الصحية ؛ يؤدي إلى حدوث ندرة في الموارد الصحية ، وفقدان غير مقصود في الأرواح ، واتخاذ قرارات الفرز والتقنين في ظل الندرة ".<sup>(٣)</sup>

وهذا عبر عنه أيضًا خبير الأخلاق **راندال كوين** Randall Curren، حين قال : " إن هذه المعضلة الأخلاقية لم تكن لتحدث لو كان لدينا نظام رعاية صحية لديه تغطية صحية شاملة ميسورة التكلفة ، وإن هناك أخفاقات أخلاقية على مستوى السياسات الصحية العاجزة عن احتواء الأزمة ".<sup>(٤)</sup>

والجدير بالذكر ، أن تخصيص الموارد النادرة تحتوي على بعض النتائج السلبية ، لأنه عادة ما يكون من المستحيل إيجاد حلولاً تفي بجميع المتطلبات الممكنة ، من الكفاءة والإنصاف في وقت واحد ، لذلك يجب إيجاد معايير عادلة للتخصيص ، ومن جهة أخرى

(١) H. Gown, M. Hoeri, D. E. Hoffmann et al (2020): Maryland's Experience with the Covid-19, Surg : What didn't, what Next, p. 150.

(٢) Schwartz , Meredith Celina (2020): the Ethics of Pandemic , op .cit .

(٣) Jennings, Bruce et al (2008): **Ethical Guidance for public Health Emergency Preparedness and Response** , Highlighting Ethics and value in a vital Public Health

(٤) Curren , Randall (2020): Ethicists : Covid – 19 Pandemic , Awake Up Call.

، فإن المعضلات الأخلاقية التي يطرحها تخصيص الموارد تنتج بسبب عدم المساواة في المعاملة ، وهي تتقاطع مع أسئلة أخلاقية خاصة بالعدالة مثل عدالة الفرز و عدالة توزيع اللقاح و عدالة تتبع الاتصال الرقمي و عدالة تخصيص الموارد ، فما هي مشكلة العدالة التي تحدث أثناء تخصيص الموارد النادرة ؟، هذا هو موضوع المطلب الرابع .

### المطلب الرابع: مشكلة العدالة أثناء تخصيص الموارد النادرة

## The Problem of Fairness during the Allocation of Scarce Resources

تثير جائحة كورونا مجموعة مذهلة من المعضلات الأخلاقية الكبيرة؛ بسبب الإجراءات غير المسبوقة من الحكومات ومقدمي الرعاية الصحية ، كما كشف الفيروس عن مشاكل كبيرة في العدالة العالمية .<sup>(١)</sup>

يوضح بروس جينينجس لماذا يعد التفكير في العدالة أثناء الجائحة معضلة أخلاقية ، حيث يقول : " بعد وصول الممارسين في الصحة العامة في الخطوط الأمامية إلى نقطة الانهيار بسبب استغلال الموارد بسرعة ، وفي هذا الوقت العصيب ، تبدو نظريات العدالة غير قادرة على حسم الخلافات المقبولة ؛ كما أنها تثير الكثير من الجدل الأخلاقي لأنها تعطي الأولوية لإنقاذ الشباب قبل كبار السن على أساس حجة الأدوار العادلة وأن العدالة تتطلب ذلك ، أي عمل المقايضة بين اعطاء الأولوية للشباب أو المسنين" .<sup>(٢)</sup> ، لذلك يُقرر بروس جينينجس أن التفكير في العدالة أمر بالغ الصعوبة أثناء حالة الطوارئ الصحية ، لذلك يقول : "حتى في أفضل الظروف فإن التفكير في طبيعة العدالة ومتطلباتها أمر صعب ، وسيواجه بعقبات مُزعجة ، كما أن هناك قيم أخلاقية على المحك ؛ ولا يوجد حلاً أخلاقياً واضح لها ، ومن العدالة أن نرفض التمييز غير العادل"<sup>(٣)</sup>.

(١) Schwartz , Meredith Celine (2020): The Ethics of Pandemic , Planning and Response , op.cit.

(٢) Jennings , Bruce (2016): Emergency Ethics, op.cit.

(٣) Bruce Jennings , John Aras ( 2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response. P.55.

يوضح هذا النص أن هناك عدم مساواة وإخفاقات في العدالة ، والتدابير المتخذة من أجل مواجهتها ، وأنها جميعا لا تواجه نفس المخاطر بنفس الدرجة ، وسيعاني الأشخاص الأكثر ضعفاً عن غيرهم، وسيعاني المحرومون والمهمشون وكبار السن أكثر، كما أن هناك أهمية بالغة للمحددات الاجتماعية على الصحة العامة ، حيث يؤثر الوضع الاقتصادي المنخفض على عدد الوفيات ، وهذا يرجع إلى التوزيع غير المتكافئ للفوائد والأعباء . اعتقد أن بروس جينغيز كان مخطئا بشأن موقفه من نظرية العدالة لأنها تتفق مع القاعدة الذهبية في الأخلاق والتعاطف مع الأكثر ضررا ، كما أن الوضع الأصلي يناسب صناعات القرار ويجعل قراراتهم أخلاقي وموضوعي لأن صناعات القرار سيختارون من وراء حجاب ، وهذا الحجاب هو الذي يعمي الناس بشكل أساسي عن الحقائق حول أنفسهم حتى لا يتمكنوا من تكييف المبادئ لصالحهم لذلك يتم الاهتمام بالأشخاص الضعفاء .

والسؤال الآن، ما نوع العدالة المطلوب تحقيقها؟، هل هي العدالة التعويضية، والتي تعني تعويض أي شخص عن الأعباء كجزء من الاستجابة الوبائية، وتعويض أصحاب الرعاية الصحية من يقفون في الصفوف الأولى ويموتون نتيجة تأديتهم واجبهام الأخلاقي، أما عدالة التوزيع تعني الاهتمام بالأشخاص حالاً في المجتمع ، أو إعطاء الأولوية لمن هم أكثر عرضة للإصابة للمرض أو الموت؟، اعتقد أنه يجب وجود النوعين من العدالة ، التعويضية والتوزيعية.

ولقد عبر بروس جينجيس عن مشكلة العدالة التوزيعية في ظل ندرة الموارد الصحية ، بقوله: "ربما تكون من أكثر القضايا الأخلاقية إلحاحاً وصعوبة وإثارة للقلق تتعلق بمشكلة العدالة التوزيعية ، من الذي يجب أن يُعطي له الأولوية في ظل ندرة الموارد واللقاحات والأدوية المضادة للفيروسات وأجهزة التنفس الصناعي ، كما يواجه المجتمع خيارات بنفس القدر من الصعوبة ، كما أن الكوارث تميل إلى التغلب على قدرة المجتمع على التفكير العقلاني ، كيف يجب علينا أن نحدد من سيعيش ؟ ، لأن الجميع لا يستطيع أن يعيش في ظل ندرة الموارد" (1).

(1) Jennings, Bruce (2016): Emergency Ethics, op.cit. and see: Jennings , Bruce (2008): Ethical Guidance for Public Health Ethics.

يستكشف بروس جينينجس مشكلة العدالة التوزيعية في حالة الطوارئ الصحية ، ويقرر أنها ترتبط بمعضلة من الذي يجب أن نجعل له الأولوية ؟ ؛ لأن حياة الأشخاص تتأثر بمثل هذه القرارات ،ومن ثم يقول : " يجب أن نجعل الأولوية للفقراء والأقليات العرقية والأشخاص الذين يعانون من إعاقات ؛لأن حياة جميع الأشخاص لها قيمة متساوية ، وتكمن مشكلة العدالة في الاختيار بين اعطاء الأولوية للشباب أم لكبار السن ".<sup>(١)</sup>

رفض بروس جينينجس النظرية النفعية في تخصيص الموارد ؛ والتي تركز على " أفضل النتائج الممكنة وتعظيم الفائدة الصافية الاجمالية " ، واعتمد على نظرية العدالة كإنصاف ؛ والتي تعتمد على توزيع الفوائد والأعباء في المجتمع وتعطي الأولوية للفقراء والمهمشين والمحرومين داخل المجتمع ، ومن ثم يقول : " يجب رفض القرارات النفعية ، ولا يجب اتخاذ القرارات النفعية في وقت الكوارث وأثناء الأوبئة ، لاشك أن العدالة كإنصاف تعني حماية الاحتياجات والحقوق الأساسية لجميع الأفراد والجماعات ، وهذا يعني التركيز على الفقراء وذلك بالنظر إلى العلاقة التاريخية بين الفقر والمرض ، لأنه تؤدي ظروفهم المعيشية إلى انتقال فعال للأمراض المعدية ، وهذا هو قلب مشكلة عدالة التوزيع ".<sup>(٢)</sup> ومن جهة أخرى ، يجدد بروس جينينجس رفضه تبنى النظرية النفعية للعدالة الصحية ، لذلك يقول : " إن النهج النفعي الذي يهتم بإنقاذ أكبر عدد من الأرواح هو نهج مرفوض لأنه يتجاهل الاهتمام بالضعفاء وكبار السن والمعاقين ، لذلك يجب رفض القرار النفعي من صانعي القرار أو صانعي السياسات أو من العاملين في الخطوط الأمامية ؛ وذلك لأن النفعية تُهمل حقوق كبار السن والمعاقين أو الأكثر ضعفاً واحتياجاً ".<sup>(٣)</sup>

وعلي هذا ، يقرر بروس جينينجس فشل النظرية النفعية في علاج مشكلة عدالة التوزيع لأنها تضع المعيار النفعي فقط ، لذلك يقول : " بشكل عام ، فإن النظريات النفعية ذات النطاق الواسع ليست مُناسبة لصنع القرار ، كما أن النفعية ترفض إعطاء الأولوية للفئات الضعيفة أو المحرومة وتعطي الأولوية للشباب فقط بحجة أنهم يمكن إعادتهم

(١) Bruce Jennings, John Aras ( 2008): Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response. P.57.

(٢) Jennings, Bruce (2007): Community in Public Health Ethics, And see : Jennings , Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency , Preparedness and Response.

(٣) Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency , Preparedness and Response ,P.47.



بسرعة للوضع الطبيعي ولديهم فرصة في النجاة ، كما أن كبار السن والأشخاص الذين يعانون من نقص المناعة ميووس من شفايتهم ونجاتهم من المرض ، لذلك أرفض النفعية (١) ."

ومن هذا المنطلق ، رفض جينينجس العدالة القائمة على مذهب النتائج أو العواقب وقبل العدالة كإنصاف القائمة على الواجب ، فقال: " يجب أن يكون العدل للجميع ، وأن نركز على الفقراء والمهمشين والأشخاص ذوي الإعاقة والمعزولين اجتماعيًا وكبار السن ، كما تتطلب العدالة الاهتمام بحقوق الإنسان وهو جزء لا يتجزأ من مهمة الصحة العامة ، لذلك فإن العدالة تُوجب إعطاء الأولوية للأكثر عرضه للوفاة ، وهذا مبدأ أخلاقي له جاذبية كبيره ولكنه لا يحقق نتائج صحية ، ولكن الأكيد أنه لا ينبغي تعظيم عدد الأرواح على حساب كبار السن والمعاقين ". (٢) وعلاوة على ذلك ، فإن العدالة التي يقرأها بروس جينينجس هي عدالة الواجب التي ترفض العدالة القائمة على النفعية والتي تتبني نظرية الأدوار العادلة ، لذلك يقول : " تعني العدالة ضمان حصول الجميع على فرص عادلة وتلبية الاحتياجات الإنسانية للجميع واعطاء الأولوية للأسوأ حالا والأكثر ضعفا ". (٣)

يوضح بروس جينينجس مُتطلبات العدالة ، فيقول : " من أهم متطلبات العدالة هو عدم تأخر العدالة ، لذلك فهناك قول مأثور وهو " أن تأخر العدالة هو إنكار للعدالة " ، وكذلك بالفعل فإن " المساعدة المتأخرة هي رفض للمساعدة " وتتطلب العدالة عدم سوء المعاملة قدر الامكان حتى تصل المساعدة بالفعل إلى وجهتها المقصودة ، لذلك فمن أهم متطلبات العدالة تلبية الاحتياجات الخاصة للفئات الضعيفة أو الذين يعيشون على هامش

(١) Bruce Jennings, John Aras (2008) : Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response.

وكذلك رفض بيتر سينجر من قبل النفعية وقدم مبررات أخلاقية كافيها ، فمثلا يقول : " تفشل النفعية في الانتقال من المصلحة الذاتية إلى المصلحة العامة ، كما لا تدين النفعية بأي التزامات من الأغنياء تجاه الفقراء ، لذلك يجب أن تكون المبررات عالمية وتطبق على الجميع ويجب أن ننقل من احترام مصالحنا إلى احترام مصالح الجميع وهذا غير موجود في النفعية "

Singer, Peter (2011): Practical Ethics, Cambridge University Press, p. 179.

(٢) Ibid.

(٣) Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, p. 59.

المجتمع أو الذين يعانون من التمييز العنصري أو الذين يعانون من مرض مزمن أو إعاقة (١)."

وبناء على ذلك ، يشير بروس جينينجس إلى أن العدالة تفرض واجبات أخلاقية على المهنيين الصحيين وعلى المواطنين العاديين في وقت الجائحة على حد سواء ، لذلك يقول: "يلعب المهنيون الصحيون أدوارًا محورية في الخطوط الأمامية عند الاستجابة للجائحة ، لذلك عليهم التزامات أخلاقية بتأدية واجبهم الأخلاقي وقد يتعرضوا للعدوى الفيروسية، ولكن عليهم أن يلبوا نداء الواجب". (٢) يوضح هذا النص عند بروس جينينجس أن هناك التزامات أخلاقية على العاملين في مجال الرعاية الصحية ، ولكن ما أود الإشارة إليه ، هو أنه من الضروري وجود التزامات أخلاقية تقع على المجتمع في المقابل ، كما أنه يجب منحهم وضعا خاصا عند تخصيص موارد الرعاية الصحية أثناء الجائحة لأنهم معرضين لخطر أكبر من الآخرين بسبب طبيعة عملهم ، كما أن قبولهم تأدية واجباتهم الأخلاقية من شأنه أن يولد واجب مقابل متبادل من جانب المجتمع.

في ضوء ذلك ، يرى بروس جينينجس أنه من العدالة أن يقوم العاملون الصحيون بواجباتهم أثناء الجائحة الصحية ، ويرفض أي عذر أو أي مُبرر لتهربهم من واجبهم الأخلاقي نحو المحتاجين ، وفي ذلك يقول: "إن الذين يفشلون في إظهار قدر من الشجاعة في مواجهة المخاطر يشبهون رجال الإطفاء الذين يرفضون إنقاذ الأطفال المحاصرين في مبنى محترق أو رجال الشرطة الذين يرفضون اللحاق بالمشتبته به في الأزقة والحارات المظلمة ، لذلك فإن الذين يرفضون تقديم العون للمرضي يسيئون فهم معنى أن تكون طبيياً أو ممرضة". (٣)

ويبقى السؤال: ما حدود هذه الالتزامات والواجبات الأخلاقية التي تقع على عاتق المهنيين الصحيين ؟ ، وذلك لأنهم مُعرضين لخطر الإصابة بالعدوى، وفي نفس الوقت لديهم التزامات أخلاقية تجاه أسرهم ، وبالتالي فإن فعل اختيار المخاطرة هو فعل جدير

(١) Ibid, p. 60.

(٢) Bruce Jennings , John Aras ( 2008) : Ethical Guidance for Public Health Emergency Preparedness and Response, op. cit. p.16.

(٣) Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, op.cit. p. 106.

بالثناء الأخلاقي . والجدير بالملاحظة ، أنه قد غاب عن بال بروس جينينجس أن الأطباء والمرمضات وجميع العاملين الصحيين في الخطوط الأولى ؛ يعملون في ظروف مستحيلة ونظام صحي منقوص التمويل ، بل حتي لا تتوفر لديهم معدات الحماية الشخصية البسيطة أو تدابير الحماية الشخصية غير الصيدلانية؟، فهل من العدل أن نلقي بهم في ساحة معركة الفيروس الفتاك حتي بدون معدات الحماية الشخصية ، وهل هذه التضحية بأنفسهم معقولة أو واجب عليهم؟، أعتقد أن الأمر مشكوك فيه أخلاقيا ، وأن من حقهم تأمين هذه المعدات لهم قبل مطالبتهم بتأدية واجباتهم الأخلاقية. وخلص بروس جينينجس إلى أنه اذا ما كانت العدالة تقرض التزامات أخلاقية على المهنيين الصحيين في أوقات الجائحة لكي يستطيعوا أن يستجيبوا للطوارئ الصحية ، فإن العدالة بالمثل تضع واجبات أخلاقية على المواطنين العاديين ، فما طبيعة تلك الواجبات على المدنيين ، نجد بروس جينينجس يقول : "يجب على المواطنين أن يشاركوا في الصالح العام أثناء الأزمات ؛ كما أنه يجب على كل فرد في المجتمع أن يساهم بما في وسعه من أجل تجنب عبء لا داعي له على أفراد المجتمع الذين يواجهون مخاطر أكبر بسبب وضعهم في البنية التحتية للصحة العامة ، كما يجب على المواطنين الالتزام بتدابير التباعد الاجتماعي" .<sup>(1)</sup> يوضح هذا النص أن قيام المواطنين بواجبهم الأخلاقي في المجتمع أثناء الجائحة يقلل من العبء المفروض على الأطباء لأن امتثال المواطنين للتدابير الوقائية يقلل من عدد الحالات التي تواجه مهني الصحة العامة ، وهذا يجعلهم يحافظون على صحتهم وعلى صحة الآخرين ويخفف من الضغط عليهم . ونتيجة لذلك ، ذكر بروس جينينجس: " أن الاستعداد للطوارئ والاستجابة لها هو مسؤولية أخلاقية كبيرة تقع على المواطنين العاديين؛ حيث كل مواطن عامل أخلاقي ، وهناك دور أخلاقي له في عدم نشر المرض والاهتمام بالصالح العام والشعور بالمسؤولية الأخلاقية ، لذلك فمن العدالة أن يحمي المواطنون أنفسهم وأن يحموا عائلاتهم من المرض" .<sup>(2)</sup>

(1) Ibid, p. 10.

(2) Ibid, p. 108.

## المنهج الأخلاقي في الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا

برهن بروس جينينجس على رفض المنهج النفعي وقبول أخلاقيات الفضيلة في التعامل مع حالات الطوارئ والأزمات وفشل المنهج النفعي في الاستعداد لجائحة كورونا ، وفي ذلك يقول : " نظرًا لأنه يعظم النفعيون الرفاهية والفائدة الصافية الإجمالية ، لذلك فهم يسعون إلى أفضل النتائج الصحية ، ومن ثم فهم لا يعطون الأولوية للفقراء والضعفاء اجتماعيًا ، ولهذا يفشل المنهج النفعي في التعامل مع الوباء لأنه يُبرر التضحية ببعض الناس مثل كبار السن من أجل الصالح العام ، ولذا لا يجب أن يصبح القرار نفعيًا أثناء الجائحة ، كما أن الحساب النفعي يبدو بغيضًا؛ ويؤدي إلى نتائج غير أخلاقية ووحشية وقاسية ، ومن ثم فإن النظريات النفعية غير مناسبة لصنع القرار أثناء الجائحة ".<sup>(١)</sup>

يوضح هذا النص عند بروس جينينجس لماذا رفض النظرية النفعية في التعامل مع المعضلات الأخلاقية الناجمة عن الجائحة ، أو حتى أن تصبح أساس القرارات الصحية أثناء الجائحة ، وذلك لأن المنفعة تعني تعظيم الفائدة والمنفعة لأكثر عدد من الأشخاص ، وليس كل الأشخاص ، كما أن النفعي هدفه إنقاذ المزيد من الأرواح ، وترك المرضى المصابين بإصابات خطيرة ، ولا يهتم بتحقيق العدالة للجميع ، بل المنفعة مجموعة معينة من الأشخاص ، وبالتالي فهي تفشل في احترام جميع الأشخاص ، ولذلك فهي غير ملائمة أخلاقيًا ، ولكن هل المنفعة تقاس ببساطة من حيث عدد الأرواح التي تم إنقاذها ، وذلك لأن التركيز فقط على المنفعة من شأنه أن يضر بشكل خطير بالسكان الفقراء والمهمشين اجتماعيًا والفئات الضعيفة والمحرومة ، لذلك أعتقد أنه يجب تعديل الهدف المتمثل في إنقاذ معظم الأشخاص ، إلى معاملة جميع الأشخاص بطريقة متساوية ، لذلك يجب التحول من المنفعة إلى الإنصاف ، كما يجب أن يعكس التخطيط للجائحة المبادئ التوجيهية الأخلاقية وليس المبادئ النفعية .

ومن الواضح ، أنه يؤكد بروس جينيفيز على رفض المنهج النفعي في إدارة الأزمة ، حين يقول : " لا يركز المنهج النفعي على حماية حقوق الفقراء والمحرومين داخل المجتمع ، كما أن الطريق الآمن لتحقيق فوائد صحية قصوى هو تركيز الانتباه على مُحنة الفقراء

(١) Jennings, Bruce (2016): Emergency Ethics, op.cit.

الذين تؤكد ظروفهم الصحية على سهولة انتقال الفيروس".<sup>(1)</sup> يوضح هذا النص أن النفعية لا تقيم أي وزن أخلاقي سوى لنتائج الأفعال ولا تكثرث بمعاونة الضعفاء والأقليات داخل المجتمع .

ولكن ما المنهج الأخلاقي البديل الذي افترضه بروس جينينجس ،و الذي يجب أن نستخدمه ونحن نتعامل مع المعضلات الأخلاقية لجائحة كورونا؟ ، نجد بروس جينينجس يشير إلى أن أخلاقيات الفضيلة هي التي تصلح للتعامل مع القيود التي تُفرض علينا والامتثال لها كاستجابة أخلاقية مناسبة ،مع نظرية العدالة كإنصاف ، وفي ذلك يقول : "تسمح أخلاقيات الفضيلة بالتعامل الجيد مع القيود والتدابير الحالية التقييدية برضا تام ، وذلك لأن الفضيلة هي التي توجه الفرد إلى فعل الشيء الصحيح ، لذلك يجب أن يتمسك العاملون الصحيون بأخلاق الفضيلة في تلبية نداء الواجب والقيام بالتزاماتهم المهنية وقت الأزمة والجائحة ، لذلك تتفق أخلاق الفضيلة في قيام العاملين بواجباتهم الأخلاقية نحو المرضى ، وفي ضرورة تمسكهم بالفضائل مثل الشجاعة والكفاءة ، لذلك ترفض أخلاق الفضيلة تخاذل المهنيين الصحيين في القيام بواجباتهم الأخلاقية أثناء الجائحة".<sup>(2)</sup> وبناء على ذلك ، يقول بروس جينيفيز في مقاله : "تنظيم الفضيلة" : "تحتاج المهن الصحية إلى الفضائل الأخلاقية ؛ كما تحتاج أن تكون هذه الفضائل الأخلاقية مُتأصلة في ممارساتهم وطباعهم وتقاليدهم ، ويجب أن تُعبر الأخلاقيات المهنية عن المثل والفضائل الأخلاقية ، لذلك فإن أخلاقيات الفضيلة تعمل على زيادة الفهم الأخلاقي وإلى تحفيز السلوك الأخلاقي ، كما تُعبر أخلاقيات الفضيلة عن المسؤوليات الأخلاقية للمهنيين الصحيين أمام المعضلات الأخلاقية ، لذلك يجب أن تلتزم الأخلاق المهنية بأخلاقيات الفضيلة والمسؤولية الأخلاقية".<sup>(3)</sup>

يوضح هذا النص عند بروس جينيفيز أن منظور الفضيلة يميل إلى التركيز على المسؤوليات الأخلاقية للعاملين الصحيين أثناء الجائحة ،وفي ذلك يقول أيضًا : "تدعم

(1) Ibid.

(2) Bruce (2016): Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response, pp. 60-62.

(3) Jennings, Bruce (1991): The Regulation of Virtue :Cross-currents in professional ethics, Journal of Business Ethics, Vol 10, Issue 8, p. 562.

أخلاقيات الفضيلة الواجب الأخلاقي القوى من جانب المهنيين الصحيين أثناء ذروة الجائحة والتهديد بالمرض المعدى ، فالأطباء الذين ماتوا أثناء تأدية واجبه الأخلاقي قد تجاوزوا نداء الواجب إلى نداء البطولة ".<sup>(١)</sup> وصفوة القول ، تعتبر أخلاقيات الفضيلة هي المناسبة في وقت الجائحة ، وهذا أكد عليه أيضًا العديد من الفلاسفة مثل فرانسيسكا بليز ، حين تقول : " تمكن أخلاقيات الفضيلة الفرد من التعاون بعقلانية مع القيود الحالية والتدابير الصحية الأبوية وتُصبح مُبررة أخلاقياً ، وتجعل أخلاقيات الفضيلة الفرد يتصرف بشكل مناسب مع الظروف التي يجد نفسه فيها وتجعله يُمارس الفضائل أثناء الجائحة وتعديل من رغباته وسلوكه لكي يُصبح معقولاً ، وتجعله يحترم القيود عن طيب خاطر ويعمل على تقييد حريته السلبية من أجل إنقاذ الأرواح ، وعلى ذلك تسمح أخلاقيات الفضيلة بالتعاون مع القيود ومع المخاوف الأخلاقية حول كيفية تصرف الفرد أثناء هذا الوباء ، وتدل أخلاقيات الفضيلة أن تقييد الحرية المطلقة يمكن أن يخدم الضعفاء ، لأن الوضع الحالي يُجبرنا أن نتصرف بشكل أخلاقي ".<sup>(٢)</sup>

ونتيجة لذلك ، فإنه من أهم الفضائل التي يجب أن تُمارس أثناء الجائحة هي الكرم والشجاعة والصبر والطاعة للإجراءات الحكومية المعقولة ، بالإضافة لفضيلة الحذر كما عند أرسطو ، لذلك سيكون من الحكمة مُمارسة التباعد الجسدي ، كما يجب مُمارسة فضيلة التعاون مع إجراءات الإغلاق وارتداء الأقنعة ".<sup>(٣)</sup> وعلى هذا فإن استجابتنا لجائحة كورونا يجب أن تسترشد بأخلاقيات الفضيلة بدلا من النفعية والحرية ، ويجب أن نحتضن فضائل الكرم وأن نتصرف بطريقة فاضلة ، وأن نُساهم في إنقاذ الأرواح ونتحلى بالنزاهة الأخلاقية .

وكذلك يجعل مارتن مون **Ole Martin Moen** في كتابه " أخلاقيات الطوارئ " أخلاقيات الفضيلة حصن الأمان في التعامل مع المشكلات التي تنتج من جائحة كورونا ، فيقول : " تعد أخلاقيات الفضيلة بر الأمان في حالة الطوارئ والاستثناء ؛ لأن حالة الطوارئ تجعل قيمنا الأخلاقية على المحك ، وتتفق أخلاق الفضيلة مع واجب المساعدة

(١) Ibid.

(٢) Francesca Belize, Conrad V Boyne burg K (2020): Covid -19 Calls for Virtue Ethics, Journal of Law and Bioscience, Vol 7, issue 1.

(٣) ibid.

"(١) ويذهب نيكولا سافكو Nicolai Safeco في كتابه " جائحة كوفيد -١٩" إلى أن :  
 خطط التأهب للوباء يجب أن تصبح أخلاقية على أساس أخلاقيات الفضيلة ".(٢)  
 بالإضافة إلى ذلك ، هناك مبادئ بيوشامب وتشايلدرس الأربعة في أخلاقيات  
 الطب الحيوي ، وهي ( الإحسان وعدم الضرر و احترام الأشخاص والعدالة ) ، وهذه  
 المبادئ الأخلاقية تمثل مبادئ الطب الحيوي ، وهي مفيدة بالفعل ، ولكنها لا توفر  
 إرشادات أخلاقية حول كيفية إعطاء وزن أخلاقي أكبر لأحد المبادئ الأخلاقية عن الآخر  
 ، كأن نعطي وزناً أخلاقياً لمبدأ الضرر عن مبدأ احترام الاستقلالية .(٣)  
 وفي هذا الصدد ، اعتقد أن المنهج الأخلاقي الذي يجب أتباعه أثناء الجائحة هو  
 القاعدة الذهبية ، عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ،حب لأخيك ما تحبه لنفسك ، قد  
 تلخص هذه القاعدة الأخلاقية كثير من الواجبات الأخلاقية المفروضة علينا أثناء الجائحة،  
 لذلك فهذه القاعدة الأخلاقية يجب أن تحظى بنقل أخلاقي لدى المواطنين والأطباء وجميع  
 العاملين في الرعاية الصحية ولدي صناعات القرار والحكومات .

(١) Ole Martin Moen, AKsel Braanen Sterri (2020): the Ethics of Emergencies· Philosophical Studies, 2621.

(٢) Safeco, Nicolai (2021): Covid -19 Pandemic, Philosophical Approaches , Multimedia Publishing.

(٣) Beauchamp TL, Childress JF. (2001): Principle of Biomedical Ethics, 5th ed, New York, Oxford University Press, pp.140-141.

## الخاتمة وأهم النتائج

جادل بروس جينينجس أن جائحة كورونا استدعت وجود خطأ للتأهب والاستعداد من أجل الاستجابة لها تُعرف بالتدابير الصحية الأبوية ، وأن الاستجابة ممكن أن تصبح وقائية تقليدية مثل الحجر الصحي الطوعي والإلزامي، وإجراءات التباعد الاجتماعي ، وممكن أن تصبح تقنية وتكنولوجية مثل مراقبة أجهزة الهاتف المحمول ، وممكن أن تصبح الاستجابة دوائية وعلاجية وصيدلانية عن طريق فرض اللقاح الاجباري و استخدام الفرز والتقنين وعدم تجاهل الاهتمام بكبار السن والفئات الضعيفة ، وهذا أدى إلى زيادة الضغط على العاملين في الخطوط الأمامية والأطباء والممرضين ، وهذا آثار تحديات أخلاقية لا حصر لها ، وحين الوقت لوضع الحلول الأخلاقية لها ، وذلك على النحو الآتي:

١- المشكلة الأولى: مشكلة تقييد الحرية الفردية ، اعتقد بروس جينينجس أنه يجب رفض الحرية وإظهار تحمل المسؤولية الأخلاقية ، وأنه يجب المطلقة التي تتعارض مع احترام التدابير الصحية قبول الاستقلالية بدلا من الحرية ، لأن الاستقلالية هي حرية فردية مسؤولة أخلاقياً ، كما أن التدابير الأبوية الصحية مُبررة أخلاقياً من أجل احتواء جائحة كورونا وتقليل الخسائر غير العادية في الأرواح وانقاذ الملايين من الأشخاص، ولذلك فإن تقييد الحرية المطلقة مُبرر أخلاقياً في حالة الطوارئ الصحية بشرط أن نهتم بالطريقة التي نُقيد بها حرية الأشخاص لكي لا ننتهك حقوق الإنسان ، واستخدام الاقناع العقلاني بدلا من استخدام الإكراه والقسر، وزيادة الوعي بخطورة عدم الامتثال لتلك التدابير الأبوية وأن كانت تُقيد من الحرية الفردية .

٢- المشكلة الثانية : مشكلة استخدام الإكراه من قبل السلطة أثناء تنفيذ التدابير الصحية ، اعتقد جينينجس أنه يجب رفض سلطة الدولة البوليسية الاستبدادية غير المبررة ، كما أنه يجب مُحاربة إساءة استغلال السلطة ومحاربة الفساد وإخفاقات النخبة ؛ لأن هذا يعمل على تآكل ثقة الجمهور، ومن جهة أخرى ، يمكن تجاوز هذه الإشكالية بأن نجعل هذا الإكراه من قبل السلطة مشروط بعدة شروط أولها مراقبة السلطة لضمان عدم إساءة استخدام السلطة ، ثاني شرط هو وجود عملية تقييم أخلاقي مُستمر للسلطة ، ثالث شرط تقديم المبررات الأخلاقية الكافية التي تُبرر استخدام مثل هذا الإكراه، رابع شرط هو



استخدام الاقناع العقلي بدلا من الإكراه بالقوة ، وهو يُعبر عن مبدأ استخدام البديل الأقل تقييدا ، خامس شرط يتمثل في أن يتحمل صنّاع القرار وأصحاب السياسات الصحية المسؤولية الأخلاقية عن قراراتهم ، وأن تكون هناك مسائلة وشفافية ، بمعنى أنه يجب أن تكون التدخلات الصحية ضرورية وفعالة ، واستخدام أقل البدائل تقييدا ، ويجب اتخاذ قرارات من قبل السلطة خاضعة للمساءلة القانونية .

٣- المشكلة الثالثة: مشكلة الصراع الأخلاقي بين الحقوق والواجبات الأخلاقية ، نجح بروس جينفيز في التعبير عن مثل هذا الصراع ، ولذلك أعتقد أن مثل هذا الصراع يجب أن يختفي لأنه لا ينبغي أن نُعلي من شأن الحقوق على حساب الواجبات في مثل هذه الظروف ، ولا ينبغي أن تتفوق الحقوق على الواجبات ؛ لأنه يجب أن نهتم بالصالح العام ، وليس المصلحة الفردية ، وعلى هذا ، لا ينبغي أن تتفوق الحقوق في بوصلتنا الأخلاقية عن الواجبات التي تُفرض علينا ، لأن هذا يُولد مستويات غير مقبولة من الأنانية ، ومن الناحية الأخلاقية يجب أن تأتي الواجبات أولا ، لذلك فإن لدينا واجب أخلاقي في تجنب الإصابة بالمرض ، ونقل العدوى للآخرين ، وهذا الواجب الأخلاقي يرجع إلى أبقرات في عدم الضرر ، كما أن عدم الضرر هو مبدأ أساسي في الفلسفة الأخلاقية ، ومن ثم يجب التركيز على الواجبات والمسؤوليات الأخلاقية وليس مجرد التأكيد على الحقوق

٤- المشكلة الرابعة : التحديات التي يثيرها الحجر الصحي ، مشكلة فقدان الأجور ، ومشكلة كبار السن مع الحجر الصحي ، ومعضلة العنف المنزلي .

أولا: لا يهدف الحجر الصحي إلى إزالة نقاط التفاعل بيننا ، على حد تعبير ترافيس هوبكنز ٢٠٢٠ . ، كما يغيب عن كل الفلاسفة الذين رفضوا التباعد الاجتماعي والحجر الصحي مثل أغاميين أن الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي الذي تدعو إليه الحكومات ليس عبئا بالأواصر المجتمعية ودعوة للعزلة بقدر ما هو تعزيز للعلاقات التراحمية داخل المجتمع ؛ لأنه يُحافظ على كبار السن. ثانيا : مشكلة فقدان الأجور : اعتقد أن مثل هذه المشكلة يمكن أن يواجهها الفقراء فقط وغيرهم من الفئات المحرومة ؛ وهؤلاء تقع عليهم أعباء متزايدة ، لذلك يمكن أن تُحل هذه المعضلة بإيجاد ضمانات كافية للإجازة المرضية مدفوعة الأجر من أجل ضمان الاستقرار الاقتصادي بعد خسارة الدخل، وإيجاد نظام رعاية صحية عادل ، على حد تعبير راندال كوين، كما أنه يجب اصلاح الهشاشة

الاقتصادية ، وهذا يحتاج إلى اصلاح كلي وجذري شامل ، وأن تقوم الحكومة بدورها في مثل هذه الظروف، على حد تعبير جورجيو أجامبين .لأنه من مصلحة الصحة العامة وكذلك العدالة، ألا تتعرض تلك الفئات المحرومة لمزيد من الحرمان ، لأن هذا سيشكل عدم مساواة فادحة يجب تجنبها بأي ثمن .

**ثالثا:** معضلة كبار السن والفئات الضعيفة مع الحجر الصحي : اعتقد أنه لا يجب ترك كبار السن والمسنين بمفردهم أثناء الجائحة لكي يصارعوا الموت ، بل يجب على الأطباء وجميع العاملين بدور رعاية المسنين أن يتخذوا كافة الاجراءات الاحترازية ولا يتركوهم بمفردهم مهما كانت العواقب ، وهذا يُحتم علينا أن نصبح إيثارين أكثر ؛ وأن نتمسك بواجبنا الأخلاقي ونطبق الفضائل النبيلة ، وهنا يكمن دور أخلاقيات الفضييلة.

**رابعا:** معضلة العنف المنزلي : اعتقد أن هذه المعضلة يمكن أن تحل بالخطوات التالية ، أولا : توفير خط ساخن للإبلاغ عن حالات العنف المنزلي أو الأسري الذي تتعرض له الزوجات بصفة مستمرة ،أو حالات الإساءة (الجسدية أو النفسية أو الجنسية )، ثانيا : يجب معرفة أن جزءًا كبيرًا من سبب ذلك العنف المنزلي هو فقدان الدخل والأجور والشعور بالضيق والاكتئاب ، لذلك يجب معالجة السبب الأول وهو فقدان الاستقرار الاقتصادي ، ومن ثم يجب على الحكومات أن تقوم بواجبها الأخلاقي من أجل تأمين النفقات و الغذاء الضروري أثناء تلك الأزمة الصحية ، كما أن وجود عقوبة رادعة للأزواج الذين يعنفون زوجاتهم تجعلهم لا يفقدون أعصابهم بسهولة ، ويفكرون في عواقب فعلهم ، ولا عجب ، فمن آمن العقوبة أساء الأدب .

٥ - التحديات التي يثيرها تتبع الاتصال الرقمي ، تعد مشكلة فقدان الخصوصية من أهم تلك المعضلات ، فبالرغم من أن تتبع الاتصال الرقمي يخفف من الأغلاق الكلي العام ويمكن أن يحررنا من الحجر الصحي ؛ لأنه يتتبع انتشار الفيروس إلا أنه يصطدم بخصوصية جمع البيانات ، وهذا يرتبط بأخلاقيات جمع البيانات ومدة الاحتفاظ بها ،لأنه ينشر بيانات الأشخاص الخاضعين للتطبيق وهذا قد يؤدي إلى مشاكل لا حصر لها ، وقد تحدث إساءة استخدام هذه البيانات ،لذلك اعتقد أن حل هذه المشكلة يكمن في الوفاء بمبدأ الموافقة المستنيرة ؛ أي موافقة الأشخاص على استخدام هذا التطبيق وأن لا يصبح تنزيل تطبيق تتبع الهاتف إجباري ؛ وذلك من أجل كسب ثقة المرضى و تحقيق عدالة تتبع

الاتصال ، كما أنه يجب الأخذ في الاعتبار أن حق الخصوصية ليس حقًا مطلقًا ، بل هو حق مشروط بعدم الضرر ، بمعنى أن هذا الحق يتجمد أمام الحاق الضرر بالآخرين .

٦- التحديات التي تواجه فرض اللقاح ، مشكلة التطعيم الاجباري ، بالرغم من الأهمية الأخلاقية للتطعيم أو اللقاح ؛ وأنه هدف أخلاقي جدير بالثناء الأخلاقي على حد تعبير جيمس ويلسون ، إلا أن التلقيح الاجباري يعد مشكلة أخلاقية كبيرة ، وأعتقد أن من الممكن أن نتجنب هذه المشكلة بزيادة الوعي بخطورة عدم التلقيح أو عدم أخذ اللقاح ؛ وأنه يجب اللجوء إلى الاقناع العقلاني أفضل من الإكراه والقسر ، لذلك يجب استيفاء الموافقة المستنيرة والاقناع العقلي والانتقال من الإكراه إلى الأفعال ، لأن هذا يحقق من الغاية الأخلاقية المنشودة ، وأن نترك اختيار الاجراءات العقابية كآخر بديل أماننا ، وفي نفس الوقت يجب رفض مشكلة التمييز العنصري في أخذ اللقاح ، بمعنى أنه يجب أن يكون اللقاح شاملاً ولا يترك أي شخص يتخلف عن الركب .

٧- إشكالية تخصيص الموارد الصحية النادرة : أو ما يعرف بالفرز والتقنين ، وهذه الاشكالية تفرز إشكالية أخرى وهي مشكلة الأولوية ، على أي معيار أخلاقي نقدم الأولوية في ظل ندرة الموارد ؟، أو السؤال بصيغة أخرى ، عندما تكون الموارد شحيحة ، كيف نصل إلى الإنصاف في الرعاية الصحية، وكيف نحقق العدالة الصحية ؟، وكيف ينبغي تحديد الأولويات اذا ما كانت الموارد الصحية شحيحة ؟ ، أعتقد أن حياة الجميع يجب أن تحمل قيمة أخلاقية متساوية ، ولا يجب أن نعطي الأولوية لفئة على حساب فئة أخرى ، فمثلا لا يجوز أخلاقياً اعطاء الأولوية للشباب على حساب كبار السن أو الفئات الضعيفة ، لذلك اعتقد أن جوهر المشكلة الحقيقي يكمن في الندرة ، ندرة موارد الرعاية الصحية في البلدان الغربية الغنية ؟! ، وكان الأفضل الاهتمام بنظام الرعاية الصحية وإيجاد تغطية صحية شاملة على حد تعبير راندال كوين (٢٠٢٠) ، ومن جهة أخرى ، أعتقد أنه كان يجدر بالبلدان الغربية الغنية أن يكون لديها نظام صحي قوي وليس مُتهالك ؛ وأن تهتم بالرعاية الصحية مثلما تهتم بالإنفاق على التسليح النووي ، وذلك بدلا من أن تلجأ إلي التقنين والفرز والتضحية بكبار السن كما فعلت .

٨- اشكالية المنهج النفعي مع نظرية الأدوار النفعية : اعتقد أن المنهج النفعي قد أثبت فشله الذريع في معالجة التحديات الأخلاقية الناجمة عن أزمة كورونا ، وذلك للأسباب

الآتية، أولاً: أنه جعل الأولوية للشباب علي حساب كبار السن ، ثانياً : أنه دعي إلى نظرية الأدوار العادلة ؛ والتي هي غير عادلة ، لأنه لا يجب أن ننسى إنسانيتنا على حد تعبير بروس جينينجس ، كما أن هذا يعبر عن فشلنا الأخلاقي الذريع على حد تعبير ميرديث سيلين (٢٠٢٠) ، كما سمح بالعنصرية الصحية وعدم الاهتمام بحياة الأقليات والسود . ومن جهة أخرى فأن البديل للمنهج النفعي هو التمسك بتطبيق أخلاقيات الفضيلة ونظرية الواجب الأخلاقي ، وأن يتحلى المهنيون الصحيون والأطباء في الصفوف الأولى في مواجهة الجائحة بالفضائل الأخلاقية وأن يقوموا بواجبهم الأخلاقي ، كما يجب أن يقوم المواطنون بواجباتهم اثناء الجائحة ويمتثلوا لتلك التدابير الصحية .

٩- مشكلة عدم المساواة في تقسيم الأعباء والمخاطر: أو مشكلة تحقيق العدالة الاجتماعية ، فمن غير المقبول أخلاقياً أن يتحمل الأطباء والمهنيون الصحيون الذين يقعون في الصفوف الأولى كل المسؤولية الأخلاقية ؛ وأن نتركهم حتي بلا أدوات حماية شخصية ، فهذا نوع من العبث بحياتهم الشخصية ، وفي نفس الوقت نبحث عن حقوقنا في الحرية الفردية ؛ ونرفض الامتثال لأوامر الحجر الصحي ؛ فهذا يزيد من الأعباء الملقاة عليهم لأنه يسمح بزيادة عدد حالات المرضي التي يتعرضون لها ، لذلك اعتقد أنه يكمن حل هذه الاشكالية بتطبيق مبدأ المعاملة بالمثل ، وضرورة الامتثال لتدابير الحجر الصحي ، وأخذ التطعيم لتخفيف الضغط الواقع عليهم ، ويجب جعل الأولوية لهم في توفير اللقاحات النادرة ، وتطبيق مبدأ العدالة التعويضية وتعويض أهالي المهنيين الصحيين الذين يموتون وهم يدافعون عن الواجب الأخلاقي ، كما يجب أن يصبح التعويض عادلاً مادياً ومعنوياً بتخليد ذكراهم .

## نتائج البحث

يمكن رؤية الاستجابة لجائحة كورونا من خلال عدسة أخلاقية، فنحن نحتاج إلى استجابة أخلاقية عالمية؛ ومسؤولة أخلاقياً؛ يجب أن يقترن الاستعداد للجائحة بقيم ومبادئ أخلاقية صريحة، ويجب أن يصبح الاستجابة للجائحة مسؤولة ومناسبة أخلاقياً؛ لتضييق الفجوة في عبء المرض الذي يقع على عاتق الفئات الضعيفة والمهمشة والمحرومة اقتصادياً.

هناك قيم أخلاقية على المحك عند الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا؛ كما أن هناك توترًا أخلاقياً بين المبادئ الأخلاقية مثل مبدأ عدم الضرر واحترام الحرية الفردية، كما أن التدابير الصحية لمواجهة جائحة كورونا فيها إكراه يتعارض مع احترام حق الحرية الفردية لأنها تدابير أبوية في الأساس، وهذا ينتج عنه معضلة استخدام الإكراه من السلطة أثناء تنفيذ تدابير الحجر الصحي والتطعيم وحظر التجوال، كما يثير مشكلة الأولوية، هل يجب أن تُعطي الأولوية لحماية حرياتنا الفردية والمصالح الفردية، أم للمصالح العام والرفاهية الاقتصادية للمجتمع البشري؟، وذلك بالاحتكام إلى مبدأ الضرر.

هناك قيم متضاربة في كثير من الأحيان؛ كما أن هناك صراعاً أخلاقياً بين الواجبات الأخلاقية والحقوق الفردية مثل واجب عدم الضرر وعدم إصابة الأشخاص الآخرين يتعارض مع حق عدم تقييد الحرية الفردية للآخرين من أجل المحافظة على الصحة؛ وهذا من شأنه أن يثير الكثير من المشكلات الأخلاقية بشأن كيفية السيطرة على الأمراض المعدية والفيروسات المختلفة، بمعنى أن الحق الإنساني في الصحة العامة يتعارض مع الحق في الاحترام المطلق للحرية الإنسانية، أو بصيغة أخرى، الواجب الأخلاقي في عدم نقل العدوي؛ والذي يتفق مع تدابير الحجر الصحي الإلزامي يتعارض مع احترام حق الحرية الفردية، وعلى هذا فإن المبادئ الأخلاقية قد تسير في اتجاهين متعارضين؛ وقد تتفوق الحقوق على الواجبات؛ وهذا ينتج عنه مشكلة أكبر بالمصالح العام، ولكن يجب أن تتفوق كفة الواجبات على الحقوق الفردية في مثل هذه الظروف الصعبة.

هناك صراع أخلاقي بين واجبنا تجاه أنفسنا وواجبنا تجاه الآخرين، كما أن هناك عدم توازن أخلاقي بين الأخلاق المجتمعية والأخلاق الفردية، كذلك فإن الواجب

الأخلاقي في التباعد الاجتماعي والحجر الصحي يتعارض مع مصلحة الأشخاص ويسبب معضلات أخلاقية كبيرة مثل معضلة فقدان الأجر ، ومعضلة تعريض حياة كبار المسنين للخطر كما أن عدم الامتثال لتدابير الحجر الصحي يعرض حياتهم أيضًا للخطر أو الموت ، ومعضلة العنف المنزلي ، ومن ثم فإن الإشكالية تكمن في أن هذه التدابير الصحية نفسها تُمثل تحديات أخلاقية غير مسبوقه.

تعكس أخلاقيات التأهب والاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا عند بروس جينينيس أنه هناك عدم توازن بين استقلالية الفرد مقابل مسؤولية الأفراد تجاه المجتمع ككل ، والسؤال الصعب هو، ما هو مقدار الاستقلالية الذي يجب أن يضحى به الأفراد والجماعات من أجل الصالح العام ؟.

تصطدم أخلاقيات تتبع اتصال أجهزة الهاتف المحمول بمشكلة الخصوصية، لذلك فهناك توتر أخلاقي بين احترام خصوصية الأفراد و استخدام أجهزة تتبع الاتصال و تعقب الهاتف المحمول لحصر المرض.

هناك مخاوف أخلاقية من التطعيم الإجباري ، بالرغم من أن هناك وظيفة أخلاقية للقاح ، حيث يعد اللقاح ضرورة أخلاقية من أجل استئصال المرض و انقاذ الأرواح وتقليل معدلات الإصابة بالمرض وحماية صحة السكان ؛ لذلك فهناك أهمية أخلاقية للقاح للقضاء على مسببات المرض ، ومع ذلك فإن التطعيم الإجباري يتجاوز حقوق الإنسان الفردية لصالح هدف المحافظة على الصحة العامة، وبمعنى آخر فإن التطعيم الإجباري يتفق مع مبدأ الانقاذ وعدم الضرر ويتعارض مع مبدأ الموافقة المستنيرة واحترام الحرية الفردية.

تصطدم أخلاقيات الفرز بالتخصيص العادل للموارد مثل تخصيص أجهزة التنفس الصناعي والأسرة في وحدات العناية المركزة ، وذلك حينما يصبح الفرز على أساس العرق أو الطبقة ؛ ويصبح فرز عنصري ، لذلك تُعبر أخلاقيات الفرز عن إشكالية أخلاقية ولا تعبر عن استجابة أخلاقية لجائحة كورونا .

يفشل المذهب النفعي بالوفاء بمتطلبات العدالة بالنسبة لكبار السن والفئات الضعيفة؛ وذلك للأسباب الأخلاقية الآتية : يذهب المذهب النفعي إلى تعظيم المنفعة لأكبر عدد ممكن من الناس، وتعظيم الفائدة الصافية الإجمالية والوصول إلى أفضل النتائج الصحية

، وإنقاذ أكبر عددٍ مُمكن من الأرواح ، لكن هذا يتعارض مع انقاز كبار السن والمعاقين ، وحماية الفئات الضعيفة ، لذلك فإن المذهب النفعي يتعارض مع متطلبات العدالة التي تُوجب إعطاء الأولوية للفقراء والمهمشين داخل المجتمع ، وهذا يُعبر عن وجود خلل أخلاقي جسيم به .

هناك قيم مُتنافسة في حالة الطوارئ الصحية في ظل ندرة الموارد ، قيمة إعطاء الأولوية للشباب والأصغر سنًا ، وقيمة إعطاء الأولوية لكبار السن والفئات الضعيفة المهمشة والفقيرة ، وقيمة اعطاء الأولوية للعاملين في الخطوط الأولى في الرعاية الصحية ، وهذا ينتج عنه مشكلة العدالة التوزيعية أو مشكلة الأولويات في الوصول لموارد الرعاية الصحية المحدودة أثناء الاستجابة لجائحة كورونا .

هناك أعباء جسيمة تم وضعها على المهنيين الصحيين والأطباء ؛ وذلك حين تم القائهم بمفردهم في ساحة القتال ضد هذا الفيروس القاتل حتى بدون تزويدهم بأدوات الحماية الشخصية الضرورية؟ ، لكي يصبحوا في نهاية المطاف ضحايا الواجب الأخلاقي ! ، وهذا يعبر عن مشكلة عدم المساواة في تقسيم الأعباء .

عند الاستجابة لجائحة كورونا ، فهناك تدابير احترازية مثل التباعد الاجتماعي والحجر الصحي الطوعي والإلزامي (العزل) ، وهناك تدابير علاجية مثل ايجاد اللقاح المناسب ورفض الفرز ، وكما تعبر الاستجابة لجائحة كورونا عن التفاعل بين التكنولوجيا مثل استخدام تتبع أجهزة الهاتف، المحمول .

تحتاج الاستجابة لجائحة كورونا إلى تدابير تقييدية أبوية، وهي لا يمكن فصلها عن قضايا حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية والقضايا البيئية على نطاق واسع ، وتحتل مسائل الاستقلالية والحقوق الفردية والإكراه والعدالة والصالح العام مكانة مركزية داخلها . يعد التأهب والاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا وظيفة حيوية للصحة العامة وهي مسؤولية حكومية ومسعي مدني أيضًا من أجل الصالح العام .

يعد الاستجابة لجائحة كورونا مهمة أخلاقية معقدة وتحتاج إلى تحليل أخلاقي يقوم على صنع القرار بطرق مسؤولة وعادلة ، لذلك فإن عملية الاستعداد لجائحة كورونا تسترشد بقيم أخلاقية .

تتشابك أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا مع العديد من التخصصات مثل أخلاقيات الطب وأخلاقيات الصحة العامة و أخلاقيات البيئة وأخلاقيات الأوبئة و أخلاقيات مكافحة الأمراض المعدية و أخلاقيات استئصال المرض وأخلاقيات الارهاب البيولوجي وأخلاقيات تتبع الاتصال الرقمي و أخلاقيات جمع البيانات وحمايتها و أخلاقيات التحصين أو اللقاح و أخلاقيات الفرز أو التقنين و أخلاقيات تخصيص الموارد الصحية النادرة و الأخلاق المهنية و أخلاقيات العمل .وهذا يدل علي أن الاستجابة لجائحة كورونا تدل على أنه ينبغي الانفتاح على وجهات نظر متعددة .ومن جهة أخرى اعتقد أنه يجب أن نعتمد على أخلاقيات قارب النجاة ومساعدة بعضنا البعض عند التخطيط والاستجابة للجائحة ؛ولذلك فمن الضروري العمل الجماعي في مواجهة التهديدات المشتركة ، لذلك فإن ميزة جائحة كورونا أنها عملت على توحيد الجنس البشري ، كمجتمع له مستقبل مشترك وهدف مشترك ، وهو الحرب العالمية ضد الفيروس اللعين . يجب أن تصبح أخلاقيات التأهب والاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا جزء لا يتجزأ من ممارسات وسياسات الصحة العامة، وهذا يعبر عن الطبيعة الفريدة لأخلاقيات الاستعداد والاستجابة للجائحة ،ويؤكد على تطبيق الأخلاق ضمن مناقشة تسعى للحلول وتستند إلى المبادئ الأخلاقية.

ترتبط أخلاقيات الاستعداد والاستجابة لجائحة كورونا بأخلاقيات البيئة حيث توجب على الإنسان أن يتخلى عن غروره وبراغي حرمة الأرض ،وأنه بسبب الاستغلال الوحشي لموارد البيئة وفقدان التنوع البيولوجي جعل البشرية كلها أمام مصير مظلم تعاني من الأمراض والأوبئة ، كما ثبت أن جائحة كورونا ليست نوعاً من الارهاب البيولوجي بل هي حصيلة التدهور البيئي وتدمير بيئتنا وفقدان التنوع البيولوجي ،ومن ثم ،فهناك علاقة وثيقة بين فقدان التنوع البيولوجي وانتشار الأمراض المعدية، كما أن هناك علاقة بين صحة النظام البيئي والصحة العامة ، لذلك يجب أن يعمل علماء البيئة مع باحثي الأمراض المعدية مع علماء الأخلاق ؛ من أجل تتبع تأثير التغير البيئي لتقليل مخاطر الأوبئة المستقبلية ، ويجب أن ندرك أن سلامة نظامنا البيئي هو أساس صحة الإنسان ، لذلك أعتقد أنه من أهم التدابير للاستجابة لجائحة كورونا هو حماية البيئة والعمل علي ايجاد بيئة نظيفة ، لذلك يجب أن تكون الاستجابة الفعالة لجائحة كورونا هو السلامة البيئية ،



ويجب الاهتمام بأخلاقيات صحة البيئة والتي تبرز العلاقة القوية بين الأخلاق البيولوجية والأخلاق البيئية .

اعتقد أن حقوق الإنسان والتي منها حق الحرية وحق الصحة، يبدوان عند بروس جينينجس كهدفين متعارضين بحيث يجب الاختيار والمفاضلة بينهما، ولكني أعتقد أن احترام الحرية الشخصية واحترام الحق في الصحة العامة لا يتعارضان لأنهما مترابطان ارتباطاً وثيقاً ، فالصحة تعني أن يتمتع الشخص بحريته ، لذلك اعتقد أنه لا يجب المفاضلة بين حقوق الإنسان وحق الصحة لصالح الصحة ، كما لا يجب العودة إلى تلك التدابير الأبوية غير المبررة مرة أخرى في الصحة. ينبغي أن نعطي قيمة أخلاقية للحفاظ على الصحة العامة من خلال المحافظة على قيمة الاستقلالية ،بمعني أن نقيم توازناً أخلاقياً بين قيمة الصحة والسلامة وبين قيمة الحرية والخصوصية ، وأن نحاول التوفيق بين أهداف الصحة العامة في حماية الأرواح أثناء الجائحة وبين تعزيز حقوق الإنسان ، ولا ينبغي أن نقوم بمقايضة أخلاقية بين حق الصحة وحق الحرية ، أو بين حق الصحة وحق الخصوصية ، كما يجب أن نضع في اعتبارنا أن حقوق الإنسان والصحة ليسا هدفين متعارضين بحيث يمكن مقايضتهما بل هما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً علي حسب تعبير شوارتز (٢٠٢٠)، ومن جهة أخرى ، فإن الاهتمام بحريتنا واستقلاليتنا في وقت الجائحة وعدم الامتثال للتدابير الصحية أثناء الأزمة يعد نوعاً من الأنانية المفرطة وغير المقبولة أخلاقياً، ويعبر عن الخلل الأخلاقي الجسيم ؛ لذلك فعلينا أن نتفادى هذا الصدام الحتمي بين الحرية الفردية والصحة العامة.

يجب النظر إلى الصحة على أنها عامة وصالح مشترك وليس سلعة ندفع ثمنها ، ويجب أن يصبح الاستعداد للجائحة ممارسة مدنية ، لذلك ينبغي قبول تدابير الصحة العامة أثناء الجائحة ، حتى وأن كانت تقيد الحرية الفردية .

يجب أن يكون الإكراه هو الملاذ الأخير ولا يستخدم إلا اذا كانت الوسائل الطوعية غير فعالة ، ويجب استبداله بالوعي والتثقيف ، ومن ثم يجب أن تتخلى الصحة العامة عن الأبوية المفرطة غير المبررة ، ويجب أن نأخذ الأخلاق على محمل الجد ، لأنه لا يجب العودة إلى أيام ما قبل حقوق الإنسان واستخدام الممارسات الأبوية في الصحة

العامه ، وفي هذا الصدد يجب إعادة النظر في السياسات الصحية ومراجعتها باستمرار في ضوء الأدلة والحجج الجديدة .

لم يقدم بروس جينفيز إجابات واضحة أو حلولاً جاهزة في بعض الأحيان للعديد من القضايا الأخلاقية ، وذلك لأن هدفه هو تزويد ممارسي الصحة العامة بالعديد من وجهات النظر وتوجيه فكرهم وحثهم على التصرف بشكل عقلائي وأخلاقي .

يحسب لبروس جينفيز أنه رفض نظرية الأدوار العادلة التي ترض إعطاء الأولوية للضعفاء ، ورفض التقنين المرتبط بالعمر لأجهزة التنفس الصناعي ، ورفض أن يتعامل المذهب النفعي مع المعضلات الأخلاقية الناجمة عن التدابير الصحية في مواجهة كورونا ، وتمسك بأخلاقيات الفضيلة وأهتم بحقوق الفئات الضعيفة .

### من أهم الدروس الأخلاقية المستفادة من الجائحة

\* هناك حاجة أخلاقية لحل الصراع الأخلاقي الكلاسيكي بين الفرد والمجتمع ، أو بين مصالح الفرد وبين مصالح الآخرين ، بين مصلحة الفرد في التحرك بحرية وبين مصلحة المجتمع في عزل أو تطعيم الأشخاص ، كل هذه المعضلات الأخلاقية تتطلب على الاختيار بين خير الفرد وخير الجماعة.

\* يجب أن نتعلم من أخطاء الماضي ونتعلم من الدروس السابقة ونزيد الاستثمار في الصحة ونزيد من عدد المهنيين الصحيين ، أو بعبارة جونثان مورينو (٢٠٠٣) " يجب تجنب أخطاء الماضي لمواجهة أهوال المستقبل ."

\* ما هو مطلوب أخلاقياً ، أن نتعلم من هذا الدرس القاسي لجائحة كورونا ونقدر قيمة العلم والعلماء ، وأن ننقل من الاستجابة لجائحة كورونا في وعينا ، إلى التأهب لمواجهة الأوبئة في المستقبل .

\* يجب أن نتعلم أن الواجبات الأخلاقية تعلق على الحقوق الفردية أثناء الجائحة ، هناك واجب أخلاقي أثناء أزمة كورونا على كل من الحكومات ومسؤولي الصحة العامة ، والأطباء والمواطنين ، وفلاسفة الأخلاق ، فمثلاً ينحصر الواجب الأخلاقي على الحكومات متمثلاً في سن التشريعات والقوانين وتقديم المساعدة المالية ومراقبة الصحة العامة ، وتقديم الحماية لجميع المواطنين في حالة الاستثناء ، وليس أن تستثني تلك

الظروف لمزيد من السلطة غير المبررة ، وهذا هو واجبها الأخلاقي نحو شعبها ؛ كما أنه ينبغي أن توازن الحكومات بين واجبها الأخلاقي نحو شعوبها مقابل واجبها نحو البلدان الأخرى ، وهناك واجب على مسؤولي الصحة العامة في أن لا يتخلفوا عن تأدية واجبهم الأخلاقي أثناء الجائحة ، وأن يقوموا بعلاج المرضى ، وهناك واجب أخلاقي علي الأطباء في الإبلاغ عن الأمراض المعدية إلى سلطات الصحة العامة ، كما أن هناك واجب أخلاقي على المواطنين في أن يمثلوا لمثل تلك التدابير الصحية الضرورية ، وأن يتحملوا المسؤولية الأخلاقية للقيام بما هو صواب ، وأن يعملوا على تدعيم بعضهم البعض . كما أن هناك واجب أخلاقي على الفلاسفة وعلماء الأخلاق في تقديم المشورة الأخلاقية والمبادئ الأخلاقية التي يتم على أساسها اتخاذ القرار .

\* يجب أن يكون التأهب والاستعداد للجائحة عالمي ووطني ، ويجب الحفاظ على مصالح الجميع وصحة الجميع، ويجب أن يصبح الاستجابة للجائحة ملموسة وسريعة .

\* يجب أن نضع في الاعتبار جهود الصحة العامة السابقة في القضاء على الأمراض المعدية أو الأوبئة السابقة مثل شلل الأطفال والسارس ، ومن هذه الخلفية ننتقل إلى مناقشة أخلاقية لاعتبارات التخطيط والاستجابة لجائحة كورونا.

\* هناك حاجة ملحة للتعامل بشكل أكثر حسماً للتحديات الاجتماعية أثناء أزمة كورونا ، من فقر وظروف المعيشة الصعبة وهشاشة العمل والافتقار إلى الوصول إلى الخدمات ، وهي تعبر عن مشكلة عدم المساواة واخفاقات العدالة ، لذلك يجب التركيز على حماية مصالح الفئات الضعيفة والمحرومة عند التخطيط والاستجابة للجائحة.

\* يجب أن يكون هناك أشكال متعددة من التعاون الدولي من أجل مواجهة هذا التهديد الخطير القاتل ومن أجل تحسين فرص بقاء الجنس البشري.

\* لا يجب أن تصبح الحقوق مطلقة، بل يكفيها أن تصبح نسبية ومشروطة بحق عدم الضرر، بمعنى أن حق الحرية أو الخصوصية يمكن أن يتجمد أمام حق عدم الضرر، وهذا يعني أن هناك حق أخلاقي قد يتفوق أخلاقياً على حق آخر في بعض الظروف.

\* هناك حاجة ملحة لاستمرار النقاش الأخلاقي المفتوح والمستدير حول الآثار الأخلاقية للتدخلات الصحية الأبوية ؛ والتي تحركها التكنولوجيا حين نستخدم تتبع الاتصال الرقمي في حالة الطوارئ الصحية العامة.

\* لا يزال هنالك الكثير من العمل الذي يتعين على الفلاسفة القيام به لمواجهة الجائحة ، ويجب مراعاة أنه لا توجد حلول سهلة لإدارة هذه الجائحة الكارثية ، فقد يتم اتخاذ تدابير صعبة وقرارات مأساوية من أجل إنقاذ الأرواح ، وقد تؤثر تلك القرارات على الحرية الشخصية والخصوصية، لذلك لا يزال هناك الكثير لنتعلمه حول أخلاقيات الاستعداد للطوارئ الصحية .

\* من دواعي الأسف الأخلاقي أنه لا يوجد خبراء أخلاقيون في جائحة كورونا في الوقت الحالي ، وغالبا ما يضع الاستعجال الأطباء أمام خيارات صعبة لذلك يجب عليهم الاستعانة بخبراء أخلاقيات البيولوجيا الذين يجب عليهم اعداد ارشادات لاتخاذ قرارات مسؤولة أخلاقيا ؛ تراعي مبدأ عدم الضرر والاحسان والامتنان ومحاولة رد الجميل ، على حد تعبير روس ويلمان. (١)

وعلى ذلك ، لا يزال علي فلاسفة الأخلاق الكثير من العمل لكي يقوموا به من أجل احتواء الجائحة ، وتحليل استراتيجيات التخفيف والاحتواء من أجل مواجهة الكوارث في المستقبل.

\* من أجل مكافحة الجائحة وتجنب ظهورها في المستقبل ، يجب ايجاد مبادئ توجيهية أخلاقية للحكومات وأنظمة الرعاية الصحية والأطباء لاستخدامها أثناء التخطيط للجائحة والاستجابة لها ، لذلك يجب تطبيق الأخلاقيات على السياسات الصحية ، ويجب أن تصبح الأخلاق جزءاً لا يتجزأ من سياسة الصحة العامة.

\* يجب تحقيق العدالة الصحية العالمية في الرعاية الصحية أثناء الجائحة ، بمعنى أنه ينبغي للحكومات أن توازن بين واجباتها تجاه شعوبها وواجباتها تجاه البلدان والشعوب الأخرى الفقيرة .

\* من أهم الدروس الأخلاقية التي يجب أن نتعلمها من جائحة كورونا هو أن نتعلم كيفية التعامل مع الفئات الأكثر ضعفاً بيننا من أجل تقليل معاناتهم ، لا أن نكون سبباً في زيادة معاناتهم.

(1) Willam D. Ross (2002): The Right and the Good, Clarendon Press, Oxford, Oxford, p. 20.

**التوصيات :**

يجب تفعيل الرعاية الصحية الرقمية والتقنيات الرقمية كاستجابة سريعة لجائحة كورونا وتشجيع الأطباء على ممارسة التطبيب عن بعد ، وهذا يعني الاستمرار في رعاية المرضى بالرغم من ظروف الحجر الصحي والعزل ، وضمان سلامة المهنيين الصحيين ؛ وهذا من شأنه تحسين النتائج الصحية .

أثناء الجائحة الصحية ، من الضروري سرعة الوصول إلى الانترنت الفعال ، الذي يسهل التعليم عن بعد والعمل عن بعد ، والاستشارات الطبية للطبيب بالفيديو ، وهذا يضمن سلامة الجميع.

**قائمة المصادر والمراجع**

أولاً : قائمة مصادر بروس جينينجس

(١) مؤلفات بروس جينينجس الفردية والمشاركة

- (1)- Jennings, Bruce et al (1998): **The Perversion of Autonomy: the Proper Uses of Coercion and Constraints in a Liberal Society, 1 st edition .**
- (2)- Jennings, Bruce (2003): **the perversion of Autonomy: Coercion and Constraint in A Liberal Society**, Georgetown University Press.
- (3)- Jennings, Bruce (2003): **on Authority and Rational in Public Health**, Vanderbilt University
- (4)- Jennings, Bruce (2006): **Ethics and Public Health: Model Curriculum**, Hastings Center, And University of Washington.
- (5)- Jennings, Bruces et al (2006): **Public Health Ethics: Theory, Policy, and Practice**, Oxford University Press.
- (6)- Jennings, Bruce (2007): **Public Health and Civic Republication, in A . Dawson, prevention and Public Health**, Oxford, Oxford University Press.
- (7)- Jennings, Bruce (2007): **Community in Public Health Ethics**, Oxford University Press

- (8)- Jennings, Bruce et al (2008): **Ethical Guidance for public Health Emergency, Preparedness and Response**, Highlighting Ethics and value in a vital Public Health
- (9)- Jennings, Bruce (2013): **The Hastings – Center Guidelines for Decisions in Life – Sustains Treatment and Care Near the End of Life**: Revised and Expanded, 2nd Edition.
- (10)- Jennings, Bruce (2014): **Hospice Ethics, Policy and Practice in Palliative Care**, Oxford University Press.
- (11)- Jennings, Bruce (2016): **Ecological Governance: Toward a New Social Contract with the Earth**, 1 st edition, West Virginia University Press.
- (12)- Jennings, Bruce (2016): **Ethical Aspects of Public Health Emergency, Preparedness and Response**, Oxford University Press.
- (13)- Bruce Jennings, John D. Arras, Drue H. Barrett (2016): **Emergency Ethics: Public Health Preparedness and Response**, Oxford University Press.
- (14)- Jennings, Bruce et al (2020): **Palliative care in the Covid -19 Pandemic. Briefing Note, Bio- ethical Principles , Practices and Recommendations Relevant to the Covid-19 Pandemic.**

(٢): مقالات بروس جينفيز الفلسفية

- (1)- Jennings, Bruce (1983): **The care of the terminally Ill: Morality and economics**, New England Journal of Medicine 309 (24), 1490-1494.
- (2)- Jennings, Bruce (1988): **Special Supplement: Ethical challenges of chronic illness**, the Hastings Report 18 (1): pp,1-16.
- (3)- Jennings, Bruce (1991): **The Regulation of Virtue: Cross-currents in professional ethics**, Journal of Business Ethics, Vol10, Issue 8 , p, 562.
- (4)- Jennings, Bruce (2002): **Ethics and Public Health: forging a strong Relationship**, American Journal of public Health, New York, USA, 92 (2):169-170.
- (5)- Jennings, Bruce (2003): **on Authority and Justification in Public Health**, Florida Law Review, 55(5), pp, 1241-1242.
- (6)- Jennings, Bruce (2003): **Frameworks for Ethics in public Health**, Bioethics, 9(2):151.

- (7)- Jennings, Bruce (2005): **Dependency, difference and the global ethics of long-term care**, the Journal of Political philosophy 13 (4): 443-469.
- (8)- Jennings, Bruce (2007): **Introduction: Ethical theory and public Health**, Public Health Ethics, Theory, Policy, and Practice.
- (9)- Jennings, Bruce et al (2010): **Access to hospice Care: Expanding boundaries**, overcoming Barriers, Palliative Care: Transforming the care of serious illness 13 , 159-160.
- (10)- Jennings, Bruce (2012): **The place of solidarity in public health ethics**, Public Health Review 34 (1), 4 .
- (11)- Jennings, Bruce (2015): **Solidarity in the moral imagination of Bioethics**, Hastings Center Report 45 (5):31-38.
- (12)- Jennings, Bruce (2016): **Re conceptualizing Autonomy: A Relational Turn in Bioethics**, Hastings Centers Report 46 (3): pp,11-16.
- (13)- Jennings, Bruce (2020): **Beyond the covid Crisis – New Social Contract With Public Health** Hastings Bioethics Forum, Pandemic Planning, and Public Health, pp, 116-121.
- (١٤)- Bruce Jennings, Daniel Callahan (2002): **Ethics and Public Health: Forging a strong Relationship**, American Journal of Public Health, 92 (2) : 169-176.

ثانيًا: المصادر باللغة الأجنبية :

(١)- المراجع باللغة العربية

عادل ضاهر (١٩٩٠): الأخلاق والعقل ، نقد الفلسفة الغربية ، الطبعة الأولى ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن .  
 فريدريك نيتشه (٢٠٠٧): هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة على مصباح ، منشورات الحمل ، ط١ ، بغداد.

(٢)- المراجع باللغة الانجليزية

- (1)- Agamben, Giorgio (2015): State of Exception, Chicago, University of Chicago Press.
- (2)- Arras, John (2015): Methods in Bioethics, the way we Reason Now, 1 Edition, Oxford, Oxford University Press.
- (3)- Alfredo Morabia (2004) : A History of Epidemiologic Methods and Concepts, Discussion of the theories behind epidemiological methods

- (4)- Bachelard , Gaston (2014): the Poetics of space ,Translated from the French by Maria Jolas , 1958,Beacon Press , Boston. New York, United States of America.
- (5)- Bellazzi, Francesca (2021): Covid -19 Calls for Virtue, Corona virus and Philosophy.
- (6)- Beauchamp D. (1999): Community: the neglected tradition of public health .New York, Oxford University Press.
- (7)- Beauchamp TL, Childress JF. (2001): Principle of Biomedical Ethics, 5 th ed , New York , Oxford University Press .
- (8)- Callcott, J. Bard (1989): In Defense of the Land Ethics, Essays in Environmental Philosophy, New York.
- (9)- Christian Coons, Michael Weber (2013): Paternalism: Theory and Practice, Cambridge University Press.
- (10)- Conly, Sarah (2013): Against Autonomy, Justifying Coercive Paternalism, Cambridge University Press.
- (11)- Coughlin, S. Steven (2009): Ethics in Epidemiology, Public Health Practice, second Edition, the American Public Health Association.
- (12)- Coughlin, Stevens. (2021): Ethics, Epidemiology, Oxford University Press, New York, ch7.
- (13)- Daniels N. (2008): Just Health, Meeting Health Needs Fairly, Cambridge, UK, Cambridge University Press.
- (14)- Dowdle Wr , Cochi Sl (2011) : Disease Eradication in the 21 st Century: Implications for Global Health, Cambridge, Massachusetts institute of Technology Press.
- (15)- Faden Ruth., Powers Madison (2006): Social Justice, the Moral Foundations of Public Health and Health Policy, biomedical ethics,1st edition, Oxford University Press .
- (16)- Foucault, Michel (2008): The Birth of Bio politics, Lectures at the college de france 1978-1979, Edited by Michel Senellart , Palgrave Macmillan , translated by GRAHAM BURCHELL.
- (17)- Holmen, Ralston (2011) : A New Environmental Ethics, The Next Millennium for life on Earth , Rutledge.
- (18)- Huntjens, Patrick (2021): Towards a Natural Social Contract, Healthy and Just Society, and Transformative Social – Ecological Innovation for a Sustainable, Healthy and Just Society.



- (19)- Kakuk , P. (ed ) (2017): Bioethics and Bio politics, Theories, Applications and Connections, Cham, Cambridge University press. Springer
- (20)- Lawrence O. Gostin (2018) : Public Health Law and Ethics, University of California Press.
- (21)- Locke, John: second treatise of Simms, Karri: the concepts of Common Good Government and Public interest.
- (22)- M, John Stuart (2015): Representative Government, Considerations on Representative Government, Create space independent publishing.
- (23)- Max wall Smith and Ross Upshur (2019): Pandemic Disease, Public Health and Ethics, the Oxford Hand Books of Public Health
- (24)- Murphy, Timothy (1994): Ethics in an Epidemic, Aids, Morality and Culture, University of California Press, London.
- (25)- Rebecca joy (2020): Pandemic Vs Epidemic: What is the Difference?, Coronaviruses by the WHO, 2020 .
- (26)- Richard Dicker: Principles of Epidemiology in Public Health Practice, 3 Editions, Introduction of Applied Epidemiology and Biostatistics .
- (27)- Ralston. H (1988): Environmental Ethics, Duties and Values in the Natural World Temple University Press.
- (28)- Schwartz , Meredith Celene (2020): The Ethics of Pandemics , Moral Respect , Objectification and Health care, Broadview press , an independent publisher in the humanities since.
- (29)- Schwartz, Meredith Celene (2020): The Ethics of Pandemic, Planning and Response, 1 st Edition, Ryerson University.
- (30)- Sfetcu , Nicolae (2021): Covid -19 Pandemic, Philosophical Approaches , Essays Collection Multimedia Publishing.
- (31)- Singer, Peter (2011): Practical Ethics, Cambridge University Press.
- (32)- T.M. Scanlon (2000) : What We Owe to Each Other, Harvard University Press.
- (33)- Wilson, James (2014): the Ethics in an Epidemic Aids, Morality and Culture, from the ethics of disease eradication, University College London. United Kingdom.

- (34)- Wilson, James (2016): Internal and External Validity in Thought Experiments, the WOBURN Suite –Senate House, University of London.
- (35)- Willam D. Ross (2002) : The Right and the Good, Clarendon Press, Oxford.

## (٣) المقالات باللغة الإنجليزية

- (1)- Abshur, Ross (2003): Quarantine Ethics, Journal Ethics, 5(11), p, 393.
- (2)- Alex Dubov , Steven Shoptawb (2020): The Value and Ethics of Using Technology to Contain the Covid -19 Epidemic.
- (3)- Andrew Park and et al (2006): When is Quarantine A useful Control Strategy for Emerging infectious Diseases?, American Journal of Epidemiology, 163 (5) , 479-480.
- (4)- Austin, W. Michael (2020): Ethics in A Pandemic, Ethics for Everyone.
- (5)- Barrett (2013): Economic Consideration for the Eradication, endgame, Philos Trans, ROCB, Philosophical Transactions of the Royal society, p, 368
- (6)- Barrett (2013) : Economic Consideration for the eradication , endgame , Philos Trans , RSoc , p, 368.
- (7)- Bellazzi, Francesca (2021) :Covid -19 calls for virtue ethics , Corona virus and Philosophy ,University of Bristol , Journal of Law and the Bioscience. Journal of law and the Biosciences, pp, 5-6
- (8)- Caldwell, Christopher (2020): Meet the Philosopher who is trying to explain the Pandemic, Giorgio Agamben criticizes the “techno-medical despotism of quarantines and closings”.
- (9)- Callaghan, o Cristina (2020): Planetary Health and Covid-19: Environmental Degradation as the Origin of the Current Pandemic, Environmental Health, CORONAVIRUS, And ENERGING VIRUSES.
- (10)- Curran, Randall (2020): Ethicist’s: Covid -15 Pandemic a wake –up call.
- (11)- Caplan, Arther (2009): is disease Eradication Ethical, vole 373, issue 9682, pp, 2192.
- (12)- C E Taylor, Fcults and ME Taylor (2011): Ethical Dilemmas in Current Planning for Polio eradication, Journal of Public Health.

- (13)- Clara Calia , Corinne Reid (2020): Ethical Challenges in the Covid -19= a Toolkit for Supporting analysis and resolution .
- (14)- Claudi Emerson, Peter Singer (2010): Is There an Ethical Obligation to Complete Polio Eradication.
- (15)- F.Fenner A.Liu, Jeffrey B. Ulmer (2002): Ethical Issues for Vaccines and Immunization, Nature Review immunology, vol2, p, 291.
- (16)- Francesca Bellazi , Konrad V Boyne burg K (2020) : Covid -19 Calls for Virtue Ethics , Journal of Law and Bioscience , vol 7 , issue 1.
- Francesca Bellazi , Konrad V Boyne burg K (2020) : Covid -19 Calls for Virtue Ethics , Journal of Law and Bioscience , vole 7 , issue 1.
- (18)- Ronald M. Atlas, Margaret A. Somerville (2005): Ethics, A Weapon to Counter Bioterrorism, Vole 307, Issue 51717, pp., 1881-1882
- (17)- Gostin, Lawrence (2007): General Justifications for Public Health Regulation, Public Health 121 (11): 829-834.
- (18)- G. Lourdes Velazquez (2020): The role of Philosophy in the Pandemic era, Bioethics Update, 6(2): 99-100.
- (19)- Graham, Jesse, Jonathan Haidt (2007): When Morality Opposes Justice, Social Justice Research, 20 (1) : 113.
- (20)- H. Gown, M. Hoeri, D. E. Hoffmann et al (2020): Maryland's Experience with the Covid-19, Surg : What didn't , what Next, p,150.
- (21)- H. A. M. J. Ten Have (2020): Sheltering at our Common Home, Journal of Bioethical Inquiry
- (22)- J. Harris et al (1995): Is There Amoral Obligation not Infect Others?, BMJ, Nov 4 , 311(7014): 1215.
- (23)- MJames C. Thomas (2002): A Code of Ethics for Public Health, A American journal of Public Health Ethics
- (24)- Hopkins, Travis (2020): The Ethics of Social Distancing and Why it Doesn't Rule out Protesting, Justin Weinberg, Philosophy Documentation Center
- Hudlin, Charles Willis (2001): Ant paternalism and John Stuart Mill.
- (25)- Humphreys, Joe (2020): Coronavirus :How can Philosophy help us in this time of crisis?

- (26)- Ole Martin Moen, AKsel Branen Sterri (2020): the Ethics of Emergencies, Philosophical Studies, 2621.
- (27)- Paulson, Steve (2020): Can Philosophy offer a Light in the Dark?.
- (28)- Jankowski, Jane (2020): Ethical Standards in a Pandemic, Current and anticipated Ethical Dimensions of the Covid -19 Pandemic, Cleveland Clinic.
- (29)- James Wilson, David Hunter (2010): Research Exceptionalism, the American Journal of Bioethics, Vol 10, Issue 8, 36: 45-46
- (30)- Jeffery B Ulmer, Margaret A.Liu (2002): Ethical Issues for Vaccines and immunization, Nature Reviews immunology, Vol2, pp, 291-292.
- (31)- J Harris et al (1995): Is There Amoral Obligation not Infect Others, 4 (311) :PP,1215-1216.
- (32)- Jonathan D . Moreno et al (2012): Efficacy is Relative in a Public Health Crisis: Evaluating, the Next Wave of Covid -19 Vaccines.
- (33)- Jonathan D. Moreno, Arthur L. Caplan (2003): In the Wake of Terror: Medicine and Morality in a time of Crisis, Basic Bioethics
- (34)- Jonathan Moreno and Arthur Caplan (2020) : Covid -19: Weapon , Accident or an administration gone batty?, The American Journal of Bioethics
- (35)- Min W. Fong and et al (2020) : No pharmaceutical Measures for Pandemic influenza in Non Health Care Settings – Social Distancing Measures, volume 26 , Number 5 ,Policy Review Centers for Disease Control and Preventior ,CDC, Emerging Infectious Diseases . ext Wave of Covid – 19 Vaccines , Global Health, Hasting Bioethics
- (36)- Kass E Nancy (2001): An Ethics Framework for Public Health, A American Journal of Public Health , 1776-1777.
- (37)- K. Wynia , Matthew (2007): Ethics and Public Health , Emergencies : Restrictions on Liberty , The American Journal of Bioethics, 7 (2), 1-2.
- (38)- Lawerence O. Gostin and Matthew K Wynia (2004): Ethical challenges in Preparing for Bioterrorism : Barriers Within the Health care system , Journal of Public Health ,94(7) : 1096-1097.

- (39)- Matteo Antonio Sacco et al (2020): The Impact of the Covid - 19 pandemic on domestic violence: The dark side of home isolation, *Medico –Legal Journal*, Vol. 88(2) 71-72.
- (40)- Manfred Max Bergman (2020) : The World After Covid World 1 (1), 45. University of Basel , Switzerland .
- (41)- Max Well J. Smith , Diegosisilva (2020): Social Distancing , Social Justice and Risk During The Covid -19 Pandemic , *Candia Journal of Public Health* , 111(4), 459-460.
- (42)- McCullough, Laurence (2013): Ethical Issues in Pandemic influenza Planning, WHO.
- (43)- Michael Plant and Peter Singer (2020): When Will the Pandemic Cure be worse than Disease?, *Business Fights Poverty* .
- (44)- Min W .Fong and et al : Non pharmaceuti ceutical Measures for Pandemic influenza in No healthcare Setting – social Distancing Measures.
- (45)- Nancy E. Kass, Ss D (2001): Public Health Ethics Framework: A Guide for use in Response to the covid-19 Pandemic in Canada, *American Journal of Public Health* , American Public health Association,91 (11): 1776-1777.
- (46)- Ole Martin Moen, AKsel Braanen Sterri (2020): the Ethics of Emergencies, *Philosophical Studies*, 2621.
- (47)- Petre, Klepac, C. Jessica (2012): Towards the endgame and beyond: complexities and Challenges for the Elimination of infectious Disease, *Philosophical Transactions of The Royal Society*.
- (48)- Peter Singer, Claudia Emerson (2010): Is There an Ethical Obligation to Complete Polio Eradication, *Plume Metrics*, 17,375 (9723) : 1340- 1341.
- (49)- Peter, Michael. A(2020): Love and Social Distancing in the Time of Covid-19, *the philosophy and Literature of Pandemics* pp, 755-756.
- (50)- Reignier , Gean et al (2020): Ethical Dilemmas Due to the Covid-19 Pandemic, *Annals of Intensive Care* , 10(84)
- (51)- Ronald M. Atlas, Margaret A. Somerville (2005): Ethics, A Weapon to Counter Bioterrorism, *Vole* 307, Issue 51717, pp, 1881-1882 .

- (52)- Sara Allan et al (2004): Making Decisions on Public Health, A review of eight countries, altering individual behaviors and life styles.
- (53)- Susan H. Day (2020): Teaching Ethics, A structured Cubiculum on Ethics for ophthalmology Residents is Valuable 120 (7):963.
- (54)- S. Barrett (2013 ): Economic Consideration for the Eradication, endgame, Philos Trans, ROCB, p, 368 .
- (55)- Thompson, M. Kimberly (2007): Eradication versus control for Poliomyelitis: An Economic analysis, 1363.
- (56)- Thomas Douglas, Hannah Maslen, Alberto Giubilini (2018): Developing World Bioethics 18 (2), 182-183.
- (57)- Van Leeuwen et al (2019): The Psychology of Morality, Review, 23 (4): 363.
- (58)- Weiner, Eric (2020): Philosophy for A time of Crisis, from Socrates to Camus, thinkers has asked how to respond when adversity turns our lives upside down. The Wall Street Journal.
- (59)- Wilson, James (2014): the Ethics of Disease Eradication, Vole 32, issue 52, London, pp, 7179 -7180.
- (60)- Wilson, James (2016):VII- Internal and External Validity in Thought Experiments, Proceedings of the Aristotelian Society 116 (2) : 134-135.
- (61)- Wilson, James (2020): Corona Virus, Stay at Home, the Philosophy of Public Health from Coronavirus to the Neglectful State.
- (62)- James Wilson, David Hunter (2010): Research Exceptionalism, the American Journal of Bioethics, Vol10, Issue 8, 36: 45-46.

#### ثالثاً : القواميس والمعاجم الفلسفية باللغة الإنجليزية

- (1)- Doris, John, Stich, Stephen (2008): Moral Psychology, the Stanford Encyclopedia of Philosophy, Stanford University.
- (2)- Wallace, R. Jay (2007): Moral Psychology, the Oxford Handbook of Contemporary Philosophy, OUP Oxford, pp, 88.
- (3)- Dictionary of Epidemiology (6th ed) (2014): New York: Oxford University Press
- (4)- Maxwell Smith and Ross Upshur (2019): Pandemic Disease, Public Health and Ethics, the Oxford Hand Books of Public Health.

- (5)- Principles of Epidemiology in Public Health Practice, 3 Editions, Introduction of Applied Epidemiology and Bioethicists, Centers for Disease Control and Prevention, 2016.
- (6)- Martin : Law and Public Policy , international Encyclopedia of Public Health. World Health Organization, Healthy at home.
- (7)- Selgedid, Michael J (2012): Atale of Two Studies, Ethics, Bioterrorism and the censorship of science, Oxford Handbooks Research Reviews.
- (8)- Last J. A Dictionary of Epidemiology, 4th ed Oxford, Oxford University Press, 2001. (91).

## قائمة مرتبة أبجدياً بأسماء السادة الأساتذة

## محكمي بحوث العدد الثاني والعشرين (أكتوبر ٢٠٢٢م) - الجزء الثاني

م	الأسماء	التخصص والائتماء المؤسسي
١	أ.د/ إبراهيم طلبة عبدالخالق أبوطالب	أستاذ بقسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة طنطا
٢	أ.د/ أحمد عبدالفتاح عياد	أستاذ علم النفس الإكلينيكي - كلية الآداب - جامعة طنطا
٣	أ.د/ أحمد فاروق أحمد حسن	أستاذ علم الاجتماع السياسي - كلية الآداب - جامعة المنيا
٤	أ.د/ أحمد محمود الجزار	أستاذ بقسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة المنيا
٥	أ.د/ الصاوي الصاوي أحمد عبدالرحيم	أستاذ الفلسفة المتفرغ - كلية الآداب - جامعة بنها
٦	أ.د/ جبر محمد جبر	أستاذ متفرغ بقسم علم النفس - كلية الآداب - جامعة بورسعيد
٧	أ.د/ شريف محمد عوض محمد	أستاذ علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة القاهرة
٨	أ.د/ صفاء عبدالسلام علي جعفر	أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية
٩	أ.د/ طه أحمد حسنين المستكاوي	أستاذ متفرغ بقسم علم النفس - كلية الآداب - جامعة أسيوط
١٠	أ.د/ عاطف محمد شحاتة عبدالعزيز	أستاذ بقسم علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة الرقازيق
١١	أ.د/ عبدالوهاب جودة الحاميس	أستاذ علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة عين شمس
١٢	أ.د/ عبده كساب عبدالقدوس	أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة - كلية الآداب - جامعة الرقازيق
١٣	أ.د/ علي عبدالرازق جليبي	أستاذ متفرغ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب - جامعة الإسكندرية
١٤	أ.د/ علي محمد المكاوي	أستاذ علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة القاهرة
١٥	أ.د/ عماد محمد أحمد إبراهيم	أستاذ بقسم علم النفس - كلية الآداب - جامعة الرقازيق
١٦	أ.د/ مجدي عبدالعاطف عبدالله صالح	أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة المتفرغ كلية الآداب - جامعة حلوان
١٧	أ.د/ محمود صادق سليمان عبدالعال	أستاذ بقسم علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة بورسعيد



أستاذ علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة المنصورة	أ.م.م. مهدي محمد محمد حسين القصاص	١٨
---	-----------------------------------	----

\*\*\*





**JOURNAL OF**  
**FACULTY OF ARTS**  
**PORT SAID UNIVERSITY**

**PEER-REVIEWED QUARTERLY PERIODICAL**

**ISSUE NO. 22**  
**OCTOBER 2022**  
**PART TWO**

Print International Standard Serial No. (ISSN: 2356-6493)

Electronic International Standard Serial No. (ISSN: 2682-3551)

**WEBSITE**

[HTTPS://:JFPSU.JOURNALS.EKB.EG/](https://jfpsu.journals.ekb.eg/)